

الذخيرة في مجاسين أهل الجزيرة

تأليف

أبي الحسن علي بن بسام الشنتري (٥٤٢هـ)

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

لقيم الثالث

المجلد الأول

دار الثقافة

بيروت - لبنان



الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة

٣



١٩٩٧ - ١٤١٧ هـ

مقدمة المحقق

جرى تحقيق هذا القسم من الذخيرة على فئتين من المخطوطات ،
الفئة الأولى تضم مخطوطتين وهما :

(١) مخطوطة الزاوية الحمزية بالخزانة العامة بالرباط (ورمزها : م)
وتقع في ٥٦٨ صفحة ، ولكن نصّ الذخيرة ينتهي فيها إلى الصفحة ٥٠٦
(الورقة ٢٠٣ / أ) فقد جاء في هذه الصفحة : « هاهنا انتهى ما أثبتته ابن بسام
رحمه الله في القسم الثالث من كتاب الذخيرة » وعلى الحاشية إزاء هذه
الخاتمة كتب : « الحمد لله : هذه الأوراق — من أبي بكر بن الدوس إلى
ترجمة أبي بكر ابن رحيم من كتاب مطمح الأنفس في ذكر علماء الأندلس
للوزير الكاتب أبي النصر الفتح بن خاقان مؤلف قلائد العقيان » . وعند
مقارنة هذه الصفحات (٥٠٦ — ٥٦٨) بالمطمح المطبوع تتضح فروق
واسعة بينهما ، فلعل هذه الورقات هي إحدى صور المطمح في نسخته
الكبرى أو الوسطى .

ويحتوي الجزء الخاص بالذخيرة من هذه النسخة كل القسم الثالث
دون نقص ؛ والنسخة بخط مغربي جيد ، وفي كل صفحة ٢٣ سطراً
ومتوسط عدد الكلمات في السطر الواحدة ١٢ كلمة ، والضبط على وجه
العموم حسن ، والأوهام قليلة ، ولهذا ولكمال النسخة أشرت إلى صفحاتها
في هذا التحقيق .

(٢) نسخة (رمزها : ب) كانت في ملك الأستاذ ليثي بروفنسال
وهي في ٢٣٤ ورقة ، وفيها نقص في أولها وآخرها ، وقد لحقت بها آثار

أرضة وبياض وطمس . وتشتمل كل صفحة من صفحاتها على ٣٣ سطرًا ومعدل الكلمات في السطر الواحد ٢٠ كلمة ، وخطها مغربي دقيق ، إلا أن غلبة العيوب التي أشرت إليها تجعل إقامة نص سليم منها أمراً صعباً . غير أنها تشبه النسخة (م) من جميع النواحي ، وكلتاها ترجع - فيما أقدّر - إلى أصل واحد .

وتضمّ الفئة الثانية من مخطوطات هذا الجزء ثلاث نسخ وهي :
(٣) نسخة الخزانة العامة بالرباط رقم : ١٣٢٤ (ورمزها : ط) وتقع في ١٩١ ورقة ويبدأ النص فيها ناقصاً على الصفحة الثانية من الورقة الثانية ، وقد تملكها شخص بمدينة فاس لقاء تسع عشرة أوقية سنة ١٢٠٤ ، وهي بخط مغربي جميل واضح ، فرغ نسخها أحمد بن الحاج علي بن الحاج أبي القاسم بن محمد بن سوادة الأندلسي من نسخها سنة ١٠٠٣ ، وفي كل صفحة من صفحاتها ٢٥ سطرًا ، ومعدل الكلمات في السطر الواحد ١٢ كلمة ؛ وتعدّ على وجه الإجمال جيدة الضبط .

(٤) نسخة المجمع التاريخي بمدريد - جيانجوس (ورمزها : س) وهي في ١٥٧ ورقة تمثل القسم الثالث من الذخيرة كاملاً ، وفي كل صفحة ٢٨ سطرًا ، ومعدل الكلمات في السطر الواحد ١١ كلمة ، مكتوبة بخط مغربي دقيق ، قريب الشبه بخط النسخة (ط) .

(٥) النسخة البغدادية (ورمزها : د) وهي في ٢٩١ صفحة ، في الصفحة الواحدة ٢٩ سطرًا ، ومعدل الكلمات في السطر ١٠ كلمات ، وخطها مشرقى نسخى حديث ، وقد تمّ نسخها مساءً نهار الاثنين ٢١ ربيع الثاني سنة ١٣٢٥ هـ . على يد عبد اللطيف آل ثنيان عن نسخة قديمة « مغلطة » فيها بياض كثير بخط مغربي « شكس » - كما يقول الناسخ . ولعلّها نسخت عن إحدى النسختين السابقتين ، أو عن نسخة تلتقي وإياهما

في الانتماء إلى أصل مشترك . فهذه النسخ الثلاث لا يقوم بينها من الفروق إلاّ ما ينشأ عن وهم أحد النساخ دون الآخر ، أو عن محاولة ناسخ (د) أن يصحح بعض ما وجدته من خطأ بمراجعة النصّ على الأصول . على أن النسخة الأخيرة أكثر الثلاث أخطاء - رغم وحدة المنتمى - لصعوبة الخط المغربي لدى ناسخها المشرقي .

وبين هاتين الفئتين من المخطوطات فروق هامة أصيلة منها :
(١) أن سياق النصّ في الفئة الأولى يختلف أحياناً اختلافاً جذرياً عن سياقه في الفئة الثانية ، حتى ليشبه أن يكون في الثانية تلخيصاً واختصاراً لما جاء في الأولى .

(٢) كل فئة تتضمن زيادات لا تتوفر في الفئة الأخرى ، ولكن الزيادات في الفئة الأولى أكثر وأغزر ، ولهذا السبب اعتبرت نصّ الفئة الأولى أساساً فلم أشر إلى الزيادات إلاّ في الصفحات الأولى من الكتاب على سبيل التمثيل ، أما الزيادات المستمدة من نسخ الفئة الثانية فقد وضعتها دائماً بين معقفين .

(٣) في بعض زيادات الفئة الأولى أمرٌ غريب يستوقف النظر ، وذلك هو دخول نصّ قلائد العقيان ضمن نصّ الذخيرة ، وقد نبهت إلى ذلك بأن جعلتُ ما ينتمي إلى القلائد - على نحو حاسم - مطبوعاً بحرف أصغر في المتن ، وليس في نسخ الفئة الثانية مثل هذه الزيادات .

هذا ويطيب لي في هذا المقام أن أتقدم بالشكر الجزيل لصديقي وأخي الدكتور محمود مكّي علامة الدراسات الأندلسية فهو الذي أمدّني بالنسختين (م) و (س) مكبّرتين ، وشجّعني على هذا العمل ، وآثرني على نفسه إذ كان بحاجة إلى نسخة الذخيرة في دراساته وبحوثه ، فجزاه الله عني خير الجزاء . وإذا ذكرت أهل الفضل فلن أنسى الصديقين : الدكتور عفيف

عبد الرحمن المدرس بمعهد المعلمين بالكويت ، والأستاذ محمد رشاد عبد
المطلب بمعهد المخطوطات التابع للجامعة العربية فكلاهما لم يضمنّ على هذا
العمل بما يكفل إنجازَه ، أما الأول فقد صوّر لي المخطوطات المحفوظة
بالمكتبة العامة بالرباط من نسخ الذخيرة ، وأما الثاني فقد تكرّم فأرسل
إليّ صور « ميكروفيلم » عن كلّ ما يحتفظ به المعهد من مخطوطات
الذخيرة ، فلهذين الصديقين أيضاً شكري الجزيل .
ولني لأرجو أن يتاح لي تقديم الأقسام الأخرى من الذخيرة محققة ،
فقد طال العهد والذخيرة تستدعي التحقيق ليفيد منها الدارسون ، معتمداً
في ذلك كله على عون الله وتوفيقه .

إحسان عباس

بيروت في حزيران (يونيه) ١٩٧٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَىٰ مَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

ذكر الجانب الشرقي من جزيرة الأندلس
وتسمية من نجم في أفقه من كواكب العصر
وبرز في ميادينه من فرسان النظم والنثر من
أول المدّة المؤرّخة صدر هذا الكتاب إلى وقتنا
الذي هو سنة اثنتين وخمسمائة حسبما شرطنا ،
واجتلاب غرر رسائلهم وأشعارهم ، وما
اتصل بذلك من نوادرهم وأخبارهم .

قال أبو الحسن ابن بسام : ولما أدارت تلك الفتنة رحاها ، على حَضْرَةِ
قرطبة وما والها - إذ كانت على ما قدمنا ذكره منتهى الغاية ، ومركز
الراية - فقلّصت أذيالها ، وانتسفت^١ جبالها ، واشتفت^٢ الماء من عودها ،
والنوت^٣ بمعظم طارفيها وتليدها ، شدت^٤ قوم^٥ من أهلها على حال لو رآها ابن
جبير^٦ لقال بالتقية ، وبين يدي قتال لو أحاط ببني ذبيان ليئسوا من البقية ،
بأذماء أنفسهم قد نازعهم الموت^٧ أرماقها ، وبقايا أحوال^٨ قد هتكت^٩
النوائب^{١٠} أستارها وأرواقها^{١١} ، فأصبحوا طرائد^{١٢} سيوف ، وجللاء^{١٣} حتوف ،

١ م : وتشعبت .

٢ يعني سعيد بن جبير ، وهو من أتقياء التابعين ، خرج على الحجاج مع ابن الأشعث ، ولم يكن
يقول بالتقية .

٣ س : وأوراقها .

قد خلعمهم ليين العيش على نحشنيه ، وأسلمتهم غفلاتُ الزمانِ إلى محنه ،
يلوذون بأفاقِ هذه الجزيرة المنكوبة ، لواذ الماء بأقطارِ الزجاجةِ المصبوبة ،
فكانوا كما وصف الملك الضليل حيث يقول ^١ :

فريقان منهم جازعٌ بطنَ نخلةٍ وآخرُ منهم قاطعٌ ^٢ نجدَ ككبك

لا بل كما قال ^٣ صاحبهم القسطلي أبو عمر يضجرُ من حاله ، ويحارُ
من إداره بين تلك الفتنة وإقباله ، ويصف ^٤ ما حلَّ به وانجلى عن أهله
وأطفاله ، في قصيدةٍ فريدةٍ [١ ب] مدح بها خيران الصقليّ فقال ^٥ :

تقسّمهنّ السيفُ والحيفُ والبلى ^٦ وشطّت بنا عنها عصورٌ وأزمانُ
كما اقتسمت أخذاتهنّ يدُ النوى فهم للردى والبرّ والبحر إخوان
إذا شرّق الحادي بهم غربت بنا نوى يومها يومان والحين أحيان

وكان القسطلي -- حسبما قدّمنا صدّرَ هذا الديوان -- من فتنة ذلك
الزمان بمنشأ ليها ، وعلى مدرج سيلها ، فأوثقت في حبالها ، وعركته عركَ
الرحى بثفالها ^٧ ، ولم يزل يتقلّب بين أطباقها ، ويترشّف أسارَ ثمادها وأرناقها ،
فكم له من وفادةٍ أخزى من وفادة البرجمي ^٨ ، ووسيلةٍ أضيع من المصحف

١ أي امرؤ القيس ، انظر ديوانه : ٤٣ .

٢ س : جازع .

٣ م : ذكر .

٤ م : ويذكر .

٥ م : يقول فيه ، وانظر ديوان ابن دراج : ٨٨ - ٨٩ .

٦ م : والجلا .

٧ من قول زهير بن أبي سلمى في معلقته :

فتمركم عرك الرحى بثفالها فتلقح كشافاً ثم تنتج فتنتم

٨ من المثل « إن الشقي وأفد البراجم » (الميداني ١ : ٧) وله قصة .

في بيت الزنديق الأميّ ، بقصائد لو مدحَ بها الزمانُ لما جار ، أو رواها
الزبرقان^١ لأمينَ السرار ، ورسائلَ أعذبَ من ماء الثغور ، وأعجبَ من
الدرِّ بين الترائبِ والنحور ، يتخللها بشكوى أحرَّ من الجمر ، وعذري في
البكاء أوضح من الفجر ، لو وجدتُ شفرةً عتابه مَحَزًّا ، أو صادفتُ ريحُ
عتابه عِطْفًا مهتزًّا ، لا بل كما قال عمرو بن معديكرب^٢ :

لقد ناديتَ لو أسمعتَ حيًّا ولكنَّ لا حياةَ لمن تنادي

أو كما^٣ قال أبو عبادة^٤ :

أهزُّ بالشعر أقواماً ذوي وِسْنٍ لو أنهم ضُربوا بالسَّوطِ ما شعروا

كقوله في مبارك ومظفر ، غلامين فدمين ، كانا يومئذ ببلنسية أميرين ، من
قصيدة يقول فيها^٥ :

فكم جزت من بحرِ الميِّ ومهمهٍ يكادُ ينسِّي المستهامَ ادِّكارِكِ
أذو الحظ من علم الكتابِ هداكِ لي أم الفلكُ الدوّارُ نحوي أداركِ
وكيف رضيتِ الليلَ ملبسَ طارقٍ وما ذرَّ قرْنُ الشمسِ الا استناركِ
وكم دون رحلي^٦ من بروجٍ مشيدةٍ تحرمُّ من قربِ^٧ المزار ، مزارك

١ الزبرقان : القمر .

٢ ورد هذا البيت في شعر كثير (ديوانه : ٢٢٢) ونسب لعبد الرحمن بن الحكم (الأغاني

١٥ : ١١٧ ط . دار الكتب) .

٣ هنا تبدأ المخطوطة (ط) .

٤ م : البحترى ، والبيت في ديوانه : ٩٥٥ .

٥ ديوان ابن دراج : ١٠٣ - ١٠٤ .

٦ م : ودي .

٧ م : رب .

وأرضي سيول^١ من خيولٍ مظفرٍ ويلي نجوم^٢ من رماح^١ مبارك
وممن كان أيضاً مدح^٣ صاحب^٤ دانية^٥ يومئذ ، الفتح^٦ بن أفلح ، بقصيدة
وصف فيها مشقة رحلته ، وتقلقه لمحتته على عادته ، فمنها قوله^٢ : [٢ أ]
غرائب مما أغرب الدهر أطلعت عليك هلال العلم من أفق الغرب
طوت فلوات الأرض نحوك وانطوت كبر إلى محق ، وشهر إلى عقب
كؤوساً^٣ تساقتها الليالي تنادماً^٤ فجاءتك كالأفداح ردت على الشرب
تعاورهن^٥ البر^٦ والبحر^٧ مثلما ترد^٨ بأيدي الرسل أجوبة^٩ الكتائب
يكتبن صفحات^{١٠} السعود نواظراً وينفضن^{١١} من أقلامهن^{١٢} على القلب
ويقضمن^{١٣} أطراف^{١٤} الهشيم^{١٥} تبلغاً إلى الروضة^{١٦} الغناء^{١٧} في المشرب^{١٨} العذب^{١٩}
ويفحصن^{٢٠} في رصف^{٢١} الحصى^{٢٢} بمناسم^{٢٣} تهيم^{٢٤} إلى حصبا^{٢٥} من اللؤلؤ^{٢٦} الرطب
فتلقي^{٢٧} جميعاً^{٢٨} في الصخور^{٢٩} كلاكلاً^{٣٠} تنوء^{٣١} لأرض^{٣٢} المسك^{٣٣} زهواً^{٣٤} على التراب
ولاح لها البرق^{٣٥} الذي أغدق^{٣٦} الثرى^{٣٧} فهن^{٣٨} إليه^{٣٩} موفضات^{٤٠} إلى نصب^{٤١}
فأي^{٤٢} رجاء^{٤٣} قاد^{٤٤} رحلي^{٤٥} اليكم^{٤٦} وقد أضعفتني^{٤٧} مثل^{٤٨} راغية^{٤٩} السقب
بعيد^{٥٠} من الأوطان^{٥١} مستشعر^{٥٢} العدا^{٥٣} غريب^{٥٤} على الأمواه^{٥٥} متهم^{٥٦} الصحب
أقل^{٥٧} من الرئبال^{٥٨} في الأرض^{٥٩} آلفاً^{٦٠} وان كان^{٦١} لحمي^{٦٢} للحسود^{٦٣} وللخب^{٦٤}

١ م : سماء .

٢ ديوان ابن دراج : ٩٥ .

٣ ط : كؤوس .

٤ م : نتائجا .

٥ هذا البيت وبعده أربعة أبيات لم ترد جميعاً في ط ر ، وفي موضعها : ومنها ، وقد

سقطت الأبيات ٤ - ٨ من س .

٦ الديوان : رضم .

٧ الديوان : اليكما . . . أضعفتني .

٨ م : الهدى .

٩ م س : يحمي للأسود ، وأثبت ما في الديوان .

وأعظمُ تأنيساً لدهري من المنى وأوحشُ فيهم من فتي الحبّ في الحبّ^١
فقله من عزمِ اليك استقادي فأفرطَ في بُعدٍ وفرطَ في قرب
حياءٍ من الحال التي أنا^٢ عالمٌ بها كيف عانت في سناها يدُ الخطب
وتسويفَ يومٍ بعدَ يومٍ تخوفاً لعلّي لا ألقاك منشرحَ القلب
وشحاً بباقي ماءٍ وجهٍ بذلتُهُ لعلّي أقضي قبلَ إنفادهِ نحبي
وتأخيرَ رجلٍ بعدَ تقديمِ أختها حذاراً لدهرٍ لا يغمضُ عن حربي

فكان في إهدائه الكلامَ ، إلى أولئك العبيد اللثام ، كمن يُهْدِي الهنمَ
إلى الصنم^٣ ، ويجعلُ الحمارَ على وجهه^٤ الحمار .

ولبارك ومظفر اللذين ذُكِرَا ونظرائيهما من أولئك العبيدِ أخبارٌ
سارتُ بها الركائبُ ، وأحاديثُ تحدثُ بها المشارقُ والمغرب ، وقد أثبتُ
في هذا المكان ، بعضَ ما وجدتُ منها لأبي مروان بن حيان ، حسبما شرطت ،
وعلى حكم^٥ ما بسطت [٢ ب] .

جملة أخبار ونوادير ، ممن ثار بهذا القطر يومئذ من فتيان^٦ ابن أبي
عامر ، ممن وصف القسطلي بعض أمره ، وتعلق شرط الكتاب بطرفٍ
من ذكره .

قال أبو الحسن بن بسام^٧ : وأبدأ أنا فأقول : كانوا عبدان محنة ،

١ س : اللجب . ٢ الديوان : أنت .

٣ م س : للصنم ؛ والهنم : التمر كله أو نوع منه .

٤ م : رأس .

٥ م : محكم .

٦ م : غلمان .

٧ انظر البيان المغرب ٣ : ١٦٢ .

وجتّانَ فتنةً ، قلّ الناسَ فأمرُوا^١ ، وخلّاهم الجوّ فباضوا وصفروا ،
 وغازوا الجماعةَ بقرطبةَ مدةَ أيامهم ، ودرسوا أحسابَ الأحرار بأقدامهم ،
 مستمتعين^٢ بدنياهم ، غافلين عن عادةِ الله في مَنْ جرى مَسْجَرُهُمْ ،
 فربما سقطت الفتنةُ عليهم بزعماء الأنام ، وزفتْ إليهم عقائلَ الكلام ،
 فيعكفون منهم على رسوم ديار ، وأصداء قفار ، سواء عندهم سجعُ البلبل
 ورغاء الإبل ، وسيمرّ في عرض القصص جملةٌ من غرائب ضياع الأدب ،
 في مدة أولئك^٣ المجاييب الصقلب ، مما فيه عظة لمن اعتبر ، وكان له نظر
 فنظر ، وبصيرة فتدبر^٤ .

رجع الحديث إلى سياقة نص ابن حيان :

قال أبو مروان^٥ : فمن غرائب هذه [الليالي و] الأيام ، اللاعبة بالأنام ،
 أن مباركاً ومظفراً المذكورين كانا ولياً أولاً وكالة الساقية ببلد بلنسية^٦ ،
 ثم اتفق^٧ أن صرفا عنها فدخلا على الوزير عبد الرحمن بن يسار أيام
 خدمته بها سنة إحدى وأربعمئة ، وقد دعيا للحساب ، فكلماه^٨ ومسحا
 أعطافه^٩ ، ولثما أطرافه^٩ ، فكتب لهما بما نفعهما ، وكان سبباً لردّهما

١ أمرُوا : كثروا .

٢ د ط س : مستمتكين .

٣ ورد بـمـدـعـا في م وحدها لفظة « الحبل » .

٤ م : فاذاكر .

٥ انظر البيان المغرب ٣ : ١٥٨ وما بـمـدـعـا ، وفيه بعض اختلاف وإيجاز؛ والمغرب ٢ :

٢٩٩ .

٦ د ط س : ببلنسية .

٧ د ط س : فاتفق .

٨ م : وكلماه .

إلى عملهما ، وعند خروجهما بالكتاب يومئذ تعلقَ خادمٌ لابن يسار بهما ، كان مدلاً عليه ، يسألهما برة وجزاءه على ما تهبأ لهما عند مولاه ، فخلع بلحامَ مبارك عن رأس فرسه وقد كان ركبهُ ، فخلأه فضيحةً لا يقدرُ على حركة ، ثم بعد لأيٍ ما ردهُ ؛ فلم تمض إلا مُدَيِّدة وضرب الدهر ضربانه ، ففضى لمبارك بالامارة هنالك ، ونالت ابن يسار الوزير المذكور محنةً قرطبةً بعد ذلك^١ ، فجال النواحي ، وأمَّ مباركاً هذا لا يشك في معرفته بمنزلته ، وحرصه على مبرّته ، فحلَّ ببلنسية ، فوالله ما أنصفه في اللقاء فضلاً عن القرى .

ثم بلغ من سياسة هذين العبدین القدمین ، مبارك ومظفر ، في مدّة إمارتهما إلى أن تقارضا من صحّة الألفة فيها طول حياتهما بما فاتا في معانها أشقاءً الاخوة وعشاقاً [٣ أ] الأحبة : فنزلا يومئذ معاً في سلطانهما قصر^٢ الامارة مختلطين ، يجمعهما في أكثر أوقاتها مائدة واحدة ، ولا يتميز أحدهما عن الآخر في عظيم ما يستعملانه من كسوة وحلية وفراش ومركوب وآلة ، ولا ينفردان إلا في الحرم خاصة . على أن جماعة^٣ حرمهما كنّ مختلطات في منازل القصر ، ومستويات في سائر الأمر ، مع أن لمبارك كان التقدم في المخاطبة هنالك في حقيقة رسوم الإمارة ، لفضل صرامة ونكراء كانتا فيه ، يقصّر فيهما مظفر لدمائة خلقه وانحطاطه لصاحبه في سائر أمره ، ورضاه بكل فعله ، على زيادة مظفر - زعموا - عليه ببعض كتابة ساذجة وفروسية . وبلغت جبايتهما لأول أيامهما إلى مائة وعشرين ألف دينار في الشهر : سبعون ببلنسية وخمسون بشاطبة ، فيستخرجانها بأشدّ العنف من

١ م : اثر ذلك محنة قرطبة .

٢ د ط س : بقصر .

٣ م : جماعات .

كل^١ صنف ، حتى تساقطت الرعية وجلت^١ أولاً فأولاً ، وخربت أقاليمهم
 آخراً ، فأقبلت الدنيا يومئذٍ عليهما وعلى نظرائهما بكثرة الخراج ، وتبوءوا
 المحبوبة بحيث لا يغاورون عدوآ ، ولا تطرقهم نائبة تضممهم لها^٢ نفقة حادثة ،
 فانتعشوا وكثروا ، ولحق بهم ، لأول^٣ أمرهم ، من موالي المسلمين ومن
 أجناس الصقلاب والافرنجة والبشكنس عشيرتهم ، ودربوا على الركوب ،
 حتى تلاحق^٣ بلنسية [ونواحيها] جماعة من هؤلاء الأصناف ، فوارس^٤
 برزوا في البسالة والثقف ، وانفتح على المسلمين [ببلد الأندلس]^٤ باب
 شديد^٥ في إباقة العبيد ، إذ نزع إليهم كل^٥ شريد^٥ طريد ، وكل عاق^٥ مشاق^٥ ،
 وزهدوا في الأحرار وأبنائهم ممن طرأ منهم عليهم ، فلم يواسوهم ؛
 وانتمت جماعة هذه الأخلاق^٥ الممتحنة الأصاغر معهم إلى ولاء بني عامر ،
 وانتفت عن نسبتها ابتغاء عرض الدنيا ، فكثروا وازدادوا ؛ وطلبت هذه العبدى
 المجابيب^٥ لما اتسعت لهم الدنيا فاخر^٥ الأسلحة والآلات ، والخيل المقربات ،
 ونفائس الحلبي^٥ والحلل ، فصارت دولتهم لأول وقتها أسرى الدول ، ولحق
 بهم كل^٥ عريف ، ورئيس^٥ كل^٥ صناعة^٥ معروف ، فنفق سوق^٥ المتاع
 لديهم ، وجلبت كل^٥ ذخيرة^٥ إليهم .

وشرع هذان الرئيسان مظفر ومبارك ، لأول سلطانها هنالك ، في
 بناء بلنسية وتحصينها وسد^٥ عورتها بسور^٥ أحاط بالمدينة^٥ ، تحت أبواب

١ م : وجلوا .

٢ البيان : تضممهم إل .

٣ د ط س : لحق .

٤ د ط س : بباب الأندلس .

٥ م : الأصناف .

٦ د ط س والبيان : وكانا بنيا بلنسية وسدا عورتها بسور أحاط بمرفئها .

حصينة ، فارتفع الطمع عنها وأقبل الناس إليها من كلِّ قَطْرِ الأموالِ ،
 وطمحت بسكانها الآمالُ [٣ ب] واستوطنها جملةٌ من جاليةِ قرطبة
 القلقة الاستقرار ، فألقَوْا بها عصا التسيار ، وأجمل عشرتهم ، فبنوا^١ بها
 المنازلَ والقصور ، واتخذوا البساتينَ الزاهرة ، والرياضاتِ الناضرة ،
 وأجرَّوا خلالها المياهَ المتدفقة . وسلك مبارك ومظفر سبيلَ الملوك الجبارين
 في إشادة البناء والقصور ، والتناهي في عكباتِ الأمور ، إلى أبعد الغايات ،
 ومنتهى النهايات ، بما أبقيا شأنهما حديثاً لمن بعدهما . واشتمل هذا الرأي
 أيضاً على جميع أصحابهما ، ومن تعلقَ بهما من وزرائهما وكتابهما ،
 فاحتذوا فعلهما في تفخيم البناء ، فهاموا منه في تُرَّهاتٍ مُضِلَّةٍ ، وتسكعوا^٢
 في أشغال متصلة ، لاهين عما كان يومئذ فيه الأمة ، كأنهم من الله على
 عهد لا يُخْلِفُهُ ، واتسع الحدسُ في عظم^٣ ذلك الإنفاق ، فمنهم من
 قُدِّرَتْ نفقته على منزله مائة ألف دينار وأقلَّ منها وفوقها ، حسب تناهيهم
 في سروها : من نضار الخشب ورفيع^٤ العمد ونفيس المرمر ، مجلوباً من
 مظانِّه ، وجلب اليهم سني الفرش من سائر الخلي والحلل^٥ ، فنفق سوق المتاع
 بعقوتهم^٦ ، وبُعْثِرَ عن ذخائر الأملاك لقصرهم ، وضربَ تجارتها أوجهَ
 الركاب نحوهم ، حتى بلغوا من ذلك البغية وفوق ملء فؤاد الأمنية^٧ ، فما
 شئت من طِرْفٍ رائع ، ومركب ثقيل ، وملبس رفيع جليل ، وخادم

١ س : فتبوموا .

٢ د ط س : واتسعوا ؛ البيان : وتكسفوا .

٣ م والبيان : عظيم .

٤ م : واجتلب رفيع .

٥ وجلب . . . والحلل : سقط من ط د س .

٧ وفوق . . . الأمنية : سقط من ط د س .

نبيل ، وآلاتٍ متشاكلة ، وأمورٍ متقابلة ، تروقُ الناظرين ، وتغيظُ الحاسدين ،
حرَّسها لهم المقدارُ إلى مدَّة .

بلغني أنه دُخل دار رجلٍ من أصحابهما يُعرَفُ بمؤمِّل القشتالي^١ ووقع
البصرُ بها من سرَّوِّها واكتمالِ النعمةِ فيها على ما لم يُشاهدْ مثلهُ قطُّ في
قصر الامارةِ بالحضرةِ العظمى قرطبة ، وأخبر المحدثُ أنه رأى في فرش
مجلسه مطارحَ من صُلبِ الفنكِ الرفيعِ مُطرَّزةً^٢ كما تدور بسقلاطوني
بغذاذي ، وانه كان يقابل ذلك المجلسَ شكلُ ناعورةٍ^٣ مصوغةٍ من خالص
اللجين من أغرب^٤ صنعة ، يحركها ماءٌ جدولٍ يخرقُ الدارَ أبدعَ حركةً ،
إلى أشياء تطابق هذا السرَّو : من جودَّةِ الآلةِ والآنيةِ والمائدةِ وجمالِ
الخدمِ ورقةِ الأسمعة^٥ ، وفخامةِ الهيئةِ ما لا شيء فوقها .

وكان لمبارك ومظفر جملة^٥ ذلك النعيم ، وفازا بقبض^٦ الخراج ،
ولم يعرضهما عارضٌ إنفاقٍ بتلك الآفاق ، فانغمسا في النعيم إلى قممِ رءوسهما
[٤ أ] وأخلدا إلى الدَّعةِ وسارعا في قضاء اللذة ، حتى أربيا على من
تقدم وتأخر ؛ حدثني من رأى ركوبَ هذين العبدِ الزلمتين^٧ في بعض أيام
الجمع للمسجد الجامع ببليسية بما أنسى مركبَ المظفرِ عبدِ الملك ابن [أبي]
عامر مولاها المتبئك^٨ - كان - للنعماء ، الوارث لحجابه الخليفة ، في فخرٍ

١ ط د س : بمولى القشتيلي .

٢ م : نعورة ؛ س : عوذة .

٣ م : بأغرب (وقبلها بياض) .

٤ الأسمعة : مجالس الغناء .

٥ د ط س والبيان : جنة .

٦ د ط س والبيان : بمنصر .

٧ س : الزنميتين ؛ وكلاهما صواب ، أي باللام والنون .

٨ المتبئك : المتمكن من النعمة .

لباسهما ووفورِ عددِ أصحابهما وحُسنِ خدمتهم لهما ، وأن كلاً منهما كان يظاهرُ الوشيَ على الخبزِ ، ويستشعرُ الدبقيَّ ، ويتقلَّسُ الوشي ، ويعتطفُ القسيَّ .

قال ابن حيان ، قال لي المحدث : وكنت أعرفهما عبدي غيبةً^٢ لمولاهما مفرِّجِ العامريِّ ، فكانا حظي من الاعتبار بالدنيا ، إذ كانا على استخدامهما لما من الجهل والأفن واللكنة من حجج الله تعالى في القيسم البالغة الدالة على هوانها عنده ، إذ أنالهما منها بجوحةٍ أضحت أبصار^٣ [أولي] النهي نحوها شاخصةً ، وقلوبهم مسلمةً لمن له الحولُ والقوة ، وهما عن الاعتبار عنها بمنجاةٍ من مندوحة الجهالة ، يحسبان أنهما نالا ذلك بالاستحقاق ، وإن لهما على الأيام دركاً ، يثان على ذلك سوق الرعية المضطهدة^٤ بسلطانهما ، ولا يعبان بما آدها من كلفهما ، ولا يرفقان لمجهودٍ ما بلغ من عنفهما ، يقلدانهم شرار العمال ، ويستزيدان عليهم في الوظائف الثقال ، مع الأيام والليال ، حتى لغدا كثيرٌ منهم يلبسون الجلود^٥ والحصر ، ويأكلون البقل والحشيش ، وربما أبرَّه ذلك على القوم بعد القوم منهم فلا يقاومونه إلا بالجلء عن مثواهم ، والتخلي عن قراهم ، فلا يأسفُ هذان العلجانِ ومَن تلاهما ، ولا يخافان من واقعة مثله لمن أقام بعدهم ، بل يتخذان ما جلا أهله من تلك القرى ضياعاً مستخلصةً ، فإذا وقع عليها اسم كبير منهم

١ يتقلَّس : يتخذ قلنسوة ؛ م : ويتقلَّس (وكلتاها صواب) .

٢ م والبيان : مهنة .

٣ م : أنفس .

٤ م : المضطرة .

٥ م : أثر .

٦ هنا تبدأ النسخة (ب) .

راجعها أهلها راضين منه بالاعتماد له بالسهمان^١ ، راجين في دفاعه من الحدثنان ، على هذه السبيل سلك^٢ أكثر الثوار المنتزين على أكنافها ، الثائرين بأطرافها ، بعد افتراق سلطان الجماعة بقرطبة آخر دولة بني عامر .

وكان موت مبارك هذا هنالك أنه ركب يوماً من قصر بلنسية يبغى الخروج للنزهة خارج البلد على فرسٍ وردٍ مطهَّم قلق الركاب ، وأهل بلنسية قد ضجروا لئلا^٣ افترضه عليهم ، فقال لهم يومئذ هذا العالج مبارك^٤ : اللهم ان كنت لا أريد إنفاقه فيما يعم المسلمون نفعه فلا تؤخر عقوبتي يومي هذا ؛ وركب إثر ذلك [٤ ب] فلما أتى القنطرة ، وكانت يومئذ من خشب^٥ ، خرجت رجل فرسه من حدها فرمى به أسفلها ، واعترضته خشبة^٦ نابية من القنطرة شدَّحت وجهه ، وسقط لفيه ويديه ، وسقط الفرس عليه ، وكسر أعضائه وفتق^٧ بطنه ، ففاضت نَفْسُهُ لوقته ، وأمين أهل البلد من مقتته ، وكفاهم الله أمره ، فثاروا يومهم ذلك وانتهبوا قصره . ثم اتفقوا على تأمير لبيب الصقلي ، فأحدث أيضاً فيهم أحداثاً مقتوه بها ، فلاذ بالطاغية ريمنده أمير الفرنجة ببرشلونة يومئذ ، واستبلغ في الطافه حتى صير نفسه كبعض عماله ، فغاظ المسلمين وعرضهم لملك النصرانية ، فوثب أهل طرطوشة على لبيب وقضوا عليه^٨ ، واستصرخوا ابن هود

١ ط د س والبيان : بالسهم .

٢ ط د س : سلف .

٣ ط د س والبيان : يستغيثون في أن يرفقهم (يرفق لهم) .

٤ هذا العالج مبارك : سقط من ط د س .

٥ ب : حطب .

٦ ط س : ثالية ؛ البيان : فائنة .

٧ م ب : ورتق .

٨ م : على هذا الظالم ، وفي الحاشية : عليه .

فلحق بهم ؛ وأظلم الأفق بينه^١ وبين مجاهد لما فاته من أمر طرطوشة ، وجرت بينهما حروبٌ خاف الناسُ وبال عاقبتها على ثغور مثغورة^٢ خلالَ كلمةٍ مختلفة ، وقوىً منتكئة ، ثم آلتُ حالُ تلك الناحية إلى تأثير عبد العزيز ابن أبي عامر ، حسبما نذكره في موضعه ان شاء الله .

انتهى ما لخصته من كلام ابن حيان ، في أخبار أولئك الفتيان^٣ .
قال أبو الحسن^٤ : على ان أكثر من لَفَطَتَهُ يومئذ تلك الفتنة القرطبية ، من الطبقة الأدبية ، فأفلت من شركها ، ونجا من دركها ، قومٌ لم تكن لهم بيوتٌ مشهورة ، ولا حظوظ من الأدب موفورة ، ولكنهم وجدوا ملوكاً أغماراً ، لا يعرفون إلا سُرى الليل ، ومتون الخيل ، أسود شعاب ، وأسود لصاب^٥ ، قد ضروا على الدماء ، وترأسوا على الدهماء ، خالعين لسليمان ، المتقدم ذكره صَدَرَ هذا الديوان ، معارضةً للطاعة ، واستعراضاً للجماعة ، متمسكين^٦ من طاعة هشام الخليفة ، كان قبله حسبما وصفنا ، بجبلٍ قد انتكث طرفاه ، بغاء لتتميم أمالمهم ، وحطباً في جبالهم :
لأمرٍ عليهم أن تتمَّ صدوره^٧ وليس عليهم أن تتمَّ عواقبه^٨

واحتاجوا في جباية أموالهم ، وتديير رجالهم ، إلى ذلك الفلّ من

١ ب م : بينهم .

٢ ب : ثغور شقوره ؛ د ط س : ثغوره .

٣ ط د س : انتهى كلام ابن حيان .

٤ ط د س : قال ابن بسام ؛ وكذلك هي الحال حيناً ورد .

٥ اللصاب : الشقوق ؛ والأساود : الحيات .

٦ ط د س : وتراموا .

٧ س : مستمسكين .

٨ البت لأبي تمام ، ديوانه ١ : ٢٢٩ .

الكتاب القرطبيين الذين أصبحوا يومئذ أيدي سبا وتفاريق العصا ، فشاركوهم في نعمتهم ، وألقوا إليهم بأزمتهم ، متمهدين بتدبيرهم لأكتافهم ، مؤتمنين بهم في شقاقتهم وخلافهم .

وقد كان الملك^١ سليمان أسيف على جماعة هؤلاء الفتيان لشرودهم^٢ عنه ، وانتباذهم^٣ منه ، وراسلهم بجملة رسائل^٤ [ه أ] من إنشاء ابن بردي وغيره من كتاب دولته^٥ ، رجاء في كرامة الدولة بهم ، مقتنعاً منهم بالطاعة ، حسبما فعله مجاوروهم من أهل الثغور ، ليكون من وراء التدبير ، ويأمن من الهزيمة ، في إنفاذ الصريمة ، فضموا عن رقاءه^٦ وطردوا^٧ رسله ، وخرسوا عن إجابته على كتبه ، وتجرأوا^٨ لحربه — حسبما قد وصفته في أخبار سليمان وكاتبه ابن بردي أول هذا الديوان — .

ومنهم مجاهد المنتزعي يومئذ على دائية والجزائر الشرقية نذكر أيضاً طرفاً من خبره النادر ، لأنه من غلمان ابن^٩ أبي عامر ، وإن كان لم يذكره القسطلي أبو عمر ، فأخباره تتعلق بأخبار من ذكر ، لأنه على قوالهم صب ، ومن ثناياهم انصب ، وفي سبيلهم من الخلاف أوضع^{١٠} وخب . على ان إليه كانت هجرة أولي البقية^{١١} ، وذوي الحرية ، من هذه الطبقة الأدبية القرطبية ، للين جنتابه ، وذكا شهابه .

١ د ط س : الخليفة .

٢ ط د س : لشرودهم .

٣ س : من كتابه .

٤ ط د س : كثرة .

٥ ب م : وطرحوا .

٦ د ط س : وصفت .

٧ م : بني .

٨ م : البقية .

نسخت من كتاب أبي مروان^١ ابن حيان ، قال : كان مجاهد^٢ فقي أفرأء
دهره ، وأديبَ ملوكِ عصره ، لمشاركته في علم اللسان ، ونقوذه في علم
القرآن ، عني بذلك من صباه وابتداء حاله ، إلى حين اكتهاله ، ولم
يتشغله عن التزويد عظيم ما مارسه من الحروب برأً وبحراً ، حتى صار
في المعرفة نسيج وحده ، وجمع من دفاتر العلوم خزائن جمّة ، وكانت
دولته أكثر الدول خاصّة ، وأسراها^٣ صحابة ، لانتحاله العلم والفهم^٤ ،
فأمّته جملة العلماء ، وأنسوا بمكانه ، وخيموا في ظلّ سلطانه ، واجتمع
عنده من طبقات علماء قرطبة وغيرها جملة وافرة ، وحلبة ظاهرة .
على أنه كان - فيما بلغني - مع أدبه من أزهّد الناس في الشعر وأحرمهم
لأهله ، وأنكرهم على منشده ، لا يزال يتعقبه عليه كلمة كلمة ، كاشفاً
لما زاغ فيه من لفظة وسرقة^٥ ، فلا تسلّم على نقده قافية ، ثم لا يفوز^٦ المتخصّص
من مضماره ، على الجهد لديه ، بطائل ، ولا يحظى منه بنائل ، فأقصر
الشعراء لذلك عن مدحه ، وخال الشعر من ذكره ؛ وكان مع ذلك بهمة^٧ ،
وأكثر الناس علماً بالثقافة^٨ ، فلا يضم من الفرسان إلا الأبطال الشجعان ،
ولم يكن في الجود والكرم ينهمك فيعزى إليه ، ولا قصر عنه فيوصف
بضده ، أعطى وحرّم^٩ ، وجاد وبخل ، فكأنه نجا من عهدة الدم . ثم
أكثر التخليط مجاهد^{١٠} في أمره ، فطوراً كان ناسكاً مخبئاً معتكفاً متبرئاً

١ أبي مروان : سقطت من ط د س ؛ وانظر هذا النص في البيان المغرب ٣ : ١٥٦ .

٢ ب م : وأسرى .

٣ ط د س : الفهم والعلم .

٤ س : راع فيه من لفظه وشرفه .

٥ ط س : يخلو ؛ والصواب : يجل (بطائل) .

٦ ب : بالتفانة .

٧ د ط : ومنع .

من الباطل كله ، يعكفُ على دفاترٍ يقرؤها ، وتارةً يعودُ خليعاً فاتكاً
لا يسائرُ بلهو ولا لذّة ، ولا يستفيقُ من شربٍ وبطالة ، ولا يأنسُ بشيءٍ
من الجدلِّ والحقيقة ، له ولغيره من سائر ملوك الطوائف في هذا الباب [٥ ب]
أنهار مأثورة مشهورة ؛ انتهى كلام ابن حيان^١ .

قال ابن بسام : وقد أثبت أيضاً^٢ في هذا القسم من الشعراء والكتاب ،
ورؤساء^٣ أهل الآداب ، ممن كان في ذلك الأوان إلى وقتنا هذا ، من
عُرِفَ مكانه ، واشتهر إحسانه ، وقدمتُ من تقدم في حلبة البيان ، دون
من سبقت في الزمان ، على ما شرطت في صدر هذا الديوان ، والله العاصمُ
من الزلل ، والموفقُ لأحسن القول والعمل ، بعزته .

فصل في ذكر ذي الوزارتين الأجل الكاتب الماهر [صاحب المظالم]
أبي عبد الرحمن بن طاهر^٤ ، وسياقة قطعة من رسائله ، وإيراد بعض شأنه ،
والتنبيه على مكانته من الفضل ومكانه ، وشرح خلعه عن السلطان ، وعلى
يدي من جرى ذلك^٥ وكان :

قال أبو الحسن : كان أبو عبد الرحمن بن طاهر أحدَ مَنْ جمع
الحديثَ إلى القديم ، وارتقى من رياسة الأقلام إلى سياسة الأقاليم ، واتفق لبي

١ ط س : انتهى كلامه . ٢ س : أنا .

٣ ب م : ورساء .

٤ هو محمد بن أحمد بن اسحاق بن طاهر ، راجع بنية الملتبس رقم : ٢٣ وقلائد العقيان : ٥٨
والمغرب ٢ : ٢٤٧ والذيل والتكلمة ٥ : ٥٩٠ والحلة ٢ : ١١٦ والخريدة ٢ : ٣١٣
والهعجب : ١٨٠ وأعمال الاعلام : ٢٠٢ ؛ وكانت وفاته سنة ٥٠٧ أو ٥٠٨ ببليسية ،
وقد نيف على التسعين ، وكان أبوه أبو بكر من أعلام تدمير ، بلغت وفاته قرطبة سنة ٤٥٥ ؛
وآل طاهر كانوا ذوي بيت عامر وعدد وافر يفخرون بالعروبية وينتمون في قيس هيلان .
• ذلك : سقطت من د ط .

ظاهر بالفتنة المطغية ، رياسة كورة مرسية ، - في خبر أضربت عنه لطوله
ولأني قد أوردته في كتابي المترجم بـ « سلك الجواهر من ترسيل ابن ظاهر » -
فكان أبو عبد الرحمن يكتب عن نفسه بهذا الأفق ، كالصاحب ابن عباد
بالمشرق ، وله رسائل تشهد بفضله ، وتدلُّ على نبهه ، لاسيما إذا هزل
فانه يتقدم على الجماعة ، ويستولي على ميدان الصناعة . ولما خبط أبو بكر
ابن عمار سَمَرَاتِ ملوكِ الأندلس بعصاه ، وتردَّدَ ينتجعهم بمكايده
ورقاه ، وانما كان يطلب سلطاناً ينثر في يديه^٢ سِلْكَهُ ، وملكاً يخلعُ على
عطفه ملكه ، جعل أبا عبد الرحمن بن ظاهر موقع همه^٢ ووجهَ أمته ؛
ولما ألقى المعتمدُ إلى ابن عمار بيده ، وقلَّده - على ما شرحناه في أخباره -
تدبير دولته وبلده ، بعثه على حرب ابن ظاهر بغاءً لنفسه ، وبناءً على
أسسه ، فأقبله وجوهَ الحيات ، وأخذ عليه الثغور^٢ والأسداد ، حتى فتَّ
في عَضُدِهِ ، وانتزع سلطانهُ من يده . ولما قال عَزْمُهُ وفَعَلُ ، وقام
وَزَنُ أمره واعتدل ، مدَّ يده وبسطها ، وكفر نعمةَ ابنِ عبادٍ وغمطها ،
وانتزى له من حينه على مُرْسِيَّةٍ وقعد بها مقعدَ الرؤساء ، وخاطب سلطانه
مخاطبةَ الأكفاء ، مستظهِراً على ذلك بجرِّ الأذيال ، وإفسادِ قلوبِ الرجال ،
معتقداً أنَّ الرياسة كاسٌ يشربها ، وملاءة مجون^٢ يسحبها ، فقيضَ له
يومئذ من عبد الرحمن بن رشيق ، عدوً في ثياب صديق : من رجلٍ مِدْرَهُ
خَبْرٍ ، وجذَّيل خديعةٍ ومكر ، فلم يزل يطلع عليه من الثنايا والشعاب ،
حتى أخرجه [ه ب] من مرسية كالشهاب ، وأبو عبد الرحمن بن ظاهر

١ ب : يده .

٢ ب م : موقع همته .

٣ ب م : بالثغور .

٤ مجون : سقطت من د ط س .

في أثناء تلك الحال ، مترددٌ بين النكبة والاعتقال ، فبعد لأبي ما سعى له الوزير أبو بكر بن عبد العزيز ، زعيمٌ بلنسية - كان - في ذلك الأوان^١ ، فخلص^٢ بعد أبو عبد الرحمن ، خلوصاً الثريا من يد الدبران ، والتقى هو وابن عمار بلنسية بعد ذلك ، وقد استوى الغالب والمغلوب ، وضعف الطالب والمطلوب ، وكان ابن عمار أخفش ، فقال له ابن طاهر ، وكان كثير النوادر^٣ : كذا يا أبا العيّننا ، لا أنت ولا أنا . فصار ابن عمار مع ابن رشيق تحت المثل : « أنفقت ما لي وحجّ الجمل »^٤ .

ولابن طاهر عدة نوادر أحرّ من الجمر ، وأدمع من الصخر : أرسل إليه ابن عمار وقت القبض عليه ، وهو معتقل بين يديه ، يعرض له خلعة يتسربلها ، ويشيرُ إليه بكرامة : هل يقبلها ؟ فقال لرسوله : لا أختارُ من خلعِهِ - أعزّه الله - إلا فروةً طويلة ، وغفارةً صقيلة^٥ . فعرّفها ابن عمار واعترف بها على رعوس أشهاده ، وبحضرةٍ من وجوه قواده^٦ وأجناده ، وقال : نعم إنما يعرضُ بزيتي يوم قصدته ، وهيئتي حين أنشدته ، فسبحان مَنْ يعطي ويمنع ، ويرفعُ من يشاء ويضع .

وحدثني غير واحد من أهل مرسية قال : لما قام البلدُ على ابن طاهر خرج هو وابن أخيه مخفيين لأبائهما^٧ ، هارين بدماهما ، وكلُّ شيءٍ لهما رصد ، وفي كلِّ فجٍّ عليهما عينٌ ويد ، فلقيا رجلاً من أهل مرسية

١ ط د س : زعيم بلنسية بعد ذلك وقد استوى في ذلك الأوان

٢ ب : فتخلص .

٣ انظر الحلة ٢ : ١١٩ .

٤ من أمثال المولدين ، انظر الميداني ٢ : ٢١١ .

٥ ط س : ضئيلة .

٦ ط د س : كتابه .

٧ م ب : مخفيين لأبائهما .

يدعى القبيلة^١ ، كان عندهم مشهور المنزع ، مضروباً به المثل في برْدِ المقطع ، وقد حمل قناةً فاعتقلها ، ولبس فروةً فحوّنها^٢ ، وفي رأسه قَلَمونٌ طويل ، أبردٌ من طلعةِ العذول ، فقال ابن طاهر لابن أخيه : يا بني أين المهرب ؟ قد قامت علينا كلُّ قبيلةٍ حتى العرب ، ما أرى هذا^٣ إلا عمرو بن معد يكرب أو يزيد بن الصقعب .

وحكوا أن ابن أخت لابن رشيق ذا الحية طويلة ، وطلعة ثقيلة ، وقف عليه يوماً وهو معتقلٌ عندهم ، فجعل يتوجّع^٤ له ويتفجع ، ويتملّقُ معه^٥ ويتصنّع ، فقال له ابن طاهر : خلاصي بيدك إن شئت ، لو أخرجتني في لحيتك لتخلصتُ وخَفَيْتُ . إلى نوادر كثيرة ، وأوابدَ عنه مأثورة ، إيرادها خارجٌ عن غرض هذا التصنيف ، وليست من شرطِ هذا التأليف . ولا ابن طاهر أيضاً في الجود نوادر تشهد أن كرمه لم يكن تكراً^٦ ، وأن مجده لم يكن تكسباً^٦ ولا تفحماً : مرّ به ولدُ ابن عمار بعد مَقْتَلِ أبيه ، في فئته القليلة ، وساقته المنكوبة المفلولة ، وقد لفظتهم البلادُ ، وأنكرهم الطريفُ والتلاد ، وتغير لهم الأشكالُ والأضداد ، ورحمهم الأعداءُ والحساد ، فأقبل عليهم ابنُ طاهر ببقيةِ حالٍ هم جَنَوُوا عليه إِدبارها ، وحكّمهم في فضلِ ثيابِهم^٧ [٦ أ] سلبوهُ خيارها ، ونحلي بينهم وبين ماءِ طالما حسّأوه عن برْدِهِ ، ودفعوا في صدرِهِ دون وِرْدِهِ ، تعالى من لا يتدلُّ سلطانه ، ولا يُجَحِّدُ إحسانه .

١ ب : القبيلة ؛ ط د س : النقبيلة .

٢ ب م : فرق لها .

٣ ط د س : ما هو إلا .

٤ ط د س : يتوقع .

٥ ط د س : له .

٦ ب م : نسباً .

٧ س : قد .

ما أخرجته من نوادر رسائل ابن طاهر في أوصاف شتى

فصول من رسائله السلطانيات التي أجزاها مجرى الاخوانيات

كتب اليه أبو بكر ابن عمار المذكور^١ ، في أثناء ما وقع بينهما ،
رُعةً عتابٍ وختمها بهذه الأبيات :

عندي حديثٌ إن سمعتَ قليلاً ولديّ نُصْحٌ إن أردتَ قبولا
يا راكباً ظهرَ التجني راكضاً في حلبتيه أما اعتقدتَ نزولا
لله درُّكَ لو طلبتَ حقيقي لوجدتني بدلَ العدو خليلاً
خذُ من عنانِ هوالكَ يوماً للنهي وانهجْ لرأيكَ في اللجاج^٢ سبيلاً
وَأفِقْ من الأنفِ الذي تعنَّدَه عزاً فقد يدعُ العريزَ ذليلاً

ومن بعضِ مخاطباتِ ابن طاهرٍ له ، رُعةٌ حُدِّثتُ أنه كتبها إليه من
موضعٍ معتقله^٣ : بقطعةٍ فحمٍ على ظهرِ آجرةٍ ، فيما زعم : قد كنتُ
— أعزَّكَ اللهُ — أتيقنُّ من حُسنِ طويبتك ، وكرمِ سجيبتك ، أنك لي
أسرعُ^٤ في الملمة من اليمين إلى الشمال ، فارتقتُ ووردك ارتقاب الصائمِ
لللهلال ، فلما وافيتَ تحدَّثتُ بملاقاتك ، واطلعتُ إلى مراعاتك^٥ ، فأبطأ

١ المذكور : سقطت من ط د س .

٢ ط د س : النجاح .

٣ ط د س : اعتقاله .

٤ ط د س : أسرع لي .

٥ ب م : ملاقاتك .

ذلك من سنائك ، ولزمني^١ أن استعلم السبب الموجب له من تلقائك ،
 وبالله أقسم لو مكنت من رقعة ومداد حاضر ، لحاطبتك بالمحجر وسواد
 الناظر ، لكن منعت من كل سبب لغير^٢ سبب ، وألحت عليّ النوائب
 بطلب علي طلب . وأما الحضرة المكرمة فكانت أعمرُ إليها مسافة الطريق ،
 وأجد للقول فيها بليل^٣ الريق ، وستسمع بالمشافهة كيف كان المنع لا التمتع ،
 فلست أجهل ما آتي وما أدع . وأما أمور الفتنة فمهدورة ، وعند العاقل
 مغفورة ، وهي كبساط النبذ ، يطوى على ما فيه^٤ من المز والذيد ،
 ولولا صدع بالفؤاد ، وقلب ملي^٥ من الخطوب الحداد ، لنبت إليك ما
 في النفس نبت النواة ، فأنت موضع السرّ والمناجاة ، لا زلت من الحوادث
 بمعزل ، ومن المكارم بمنزل .

قال ابن بسام : وقد حدثت أنه بعد خروج ابن طاهر من البلد ،
 رأى أن يلقي بيده إلى المعتمد ، إذ بدا له من ظاهر^٥ ابن عمار ما سكن
 بعض استيحاشه [٧ أ] فأنس ، فأصبحه كتباً أدرج له بينها صحيفة
 المتلمس ، ووقف ابن طاهر على مستودعها ، بفك طابعها^٦ ، فكتب إلى
 ابن عمار رقعة قال فيها : بالخبر تنجلي الشكوك^٥ ، ومع الفري تمتاز
 المسوك ، وربّ معمل سلامة ، ومُرسل استنامة ، قد يكشف^٦ [له]

١ ب م : فلزم .

٢ ب م : بغير .

٣ ب م : بلل .

٤ ط د س : يطوى بما عليه .

٥ ظاهر : سقطت من ط د س .

٦ د ط س : طوابمها .

المستورُّ من خيلٍ عن صيلٍ ، بل عن لحمٍ مُصِيلٍ^١ ، وهو الإناءُ ينضحُ
بما فيه ، ومرسومُ الوعظِ ليس بمجديه ، ولما بتُّ على^٢ مرحلةٍ من جنابك
العاطر ، مستسقياً من سحابك الماطر ، لما أصحبتني من تلك الرقاع ، التي
خلتها يدُ الاستدفاع^٣ ، مثَّلَ بين عينيَّ في النومِ [شخصاً] مائل ، يتغنَّى
بقول القائل :

لئن بُعِثْتُ إلى الحجاجِ يقتلني إنِّي لأحمقُ من تتخذي به العيرُ
مستصحباً صُحُفاً تدمي طوابعها وفي الصحائفِ حياتٌ مناكير

فوثبتُ كالمذعور ، وأتيتُ إلى تلك الطوامير ، ففضضتُ ختامها ،
واستعربتُ إعجامها ، فصرَّحتُ لي بأقوالِ بل^٤ أفتال ؛ فأبن لي - عافاك
الله - بأيِّ شيء استحللتَ دمي ، وبعثتني لإراقته^٥ على قدمي ، لا تبسل^٦ :

إن الأيادي قروضٌ كما تدينُ تسدانُ
من استلذتْ زماناً أرداهُ ذاك الزمانُ

وطالبُ الثارِ لا ينام ، والله وليُّ الانتقام .

ومن رقعةٍ عتابٍ له^٧ يقولُ فيها : [أستوهبُ اللهَ عقلاً يعقلُ عن
تكلفٍ ما لا أعلمه ، والتسوّر على ما لا أحسنُهُ ولا أفهمه ، وأستعينه على

١ صل اللحم وأصل : أنتن .

٢ ب م : عن .

٣ د ط س : الاستشفاع .

٤ د ط س : هي .

٥ د ط س : لاراقة دمي .

٦ د ط : لا تبالي ؛ س : لا تبال .

٧ د ط : وله من رقعة عتاب .

عملٍ يرضيه مني ، ويرضى به عني ، وأسأله لك. السند الذي يعزى الجودُ إلى بنائه ، ومنطقُ الفضل إلى لسانه ، محزراً أهلَ المعاهد ، وحرزاً ثابتَ القواعد ، [وقد تصرفت في سهوبِ الاسهاب ، وتعلقت بأطناب الإطناب ، وسلكت من البلاغة مسالكَ لا تُجد حِيَّاتُ الأذهانِ فيها مديباً ، ولا أرواحُ الأفكار في جوّها مهيباً ، فان قرعتُ بابها معك ، وقد باشرتَ بدعك ، زادني انغلاقاً ، وكنت ككودنٍ مع عتيقٍ لا يرجو له لحاقاً ، فالأحجى بذني الحجى سلوكُ سبيل الاختصار والإيجاز ، إذ لا بدّ من الوقوع تحت الاختصار والاعجاز ، والله يبقيك لإحياء رسم الأدب ، وإقامة أودٍ لسانِ العرب .

وفي فصل منها : وأكرمُ بخطابك الأثير ، المضمّن من الدرّ النثير ، ما لم يستخرج مثله غائصٌ من بحر ، ولا تقلدت الغواني شكلكه على نحر ، فله أدبُك ما أبرعه ، [وحسنُ لفظك ما أبدعه] ، أوضحت به مناهج العلماء ، وصدقت نتائج الحكماء ، ولم أزل ألمحه ، وأجبل طرفي فيه وأتصفحها ، متعجباً من غرائب كلمك ، وبدائع حكّمك ، إلى أن انكشفت لي أغراضه المبتدعة ، وجملته المختزعة ، عن ظنّ حكّمته في اليقين ، وشك غلبته على الصبح المبين^٢ : أنا أنزه ميزك الناقب ، ونظرك الصائب ، ورأيك الواضح الدلائل ، وما أوتيت من علم جوامع [٧ ب] الفضائل ، عن انتسابٍ مثل ذلك إليك ، واشتباه ما فيه عليك ، وكنت عهدتك تقضي بالخير على طباع الناس ، ولا يوضع على بصيرتك فيه غطاءُ التباس ، حتى فجأني^٣ منه ما لو أخبرتُ به عنك لأنكرته ، ولا أدري له سبباً ، ولا أعرف

١ ط د س : على .

٢ س : الحق المستبين .

٣ د ط : فاجأ ؛ س : فجأ .

له موجباً، إلاّ الاصغاء إلى من يضربُ ويسعى بالفساد ، ويدبُ بعقارب
الأحقاد ، وَيَشْنَبُ لكي يذكي نارَ الحرَد ، وَيُطِيرُ شرارَ الضَمَد^١ ،
وأنت أجل من أن تلتفتَ إلى غاشٍ^٢ ، أو تعرّجَ على ساعٍ بالنميمة واشٍ .
ومنها : وأما ذمُّ الزمانِ وبنيه ، فقد أكثرَ الناسُ فيه ، وكنتُ أجلبُ
شيئاً [منه] للحاجةِ إليه والتورك^٣ عليه ، غير أني اقتصرتُ مخافةَ التطويل ،
وتجنبْتُ آفةَ التثقيل ، فقد قالوا : الاطالةُ تفضي إلى الملالة . وأما من صرّحتَ
في مُدْرِجَتِكَ باسمه ، وشكواه اليك ما جرى عليه بزعمه ، فهو سَعَّرَ
ناراً غدا حريقها ، وفجّرَ أنهاراً ظلَّ غريقها ، وأمره أحقرُ من أن أحبر^٤
فيه كلما ، وأعمل في ذكره قلما . ومن قولك - أعزك الله - ان العهد بك
بعيد ، والشوقَ اليك شديد ، وتعريضك بقربِ النزولِ عليّ ، والخروجِ
عما تريدُهُ من الشكوى إليّ^٥ ، خرّج لي أن الذي اتفق لي في زيارتك
من الإغباب ، سطرَّ أسطرَّ هذا العتاب ، فمهلاً مهلاً ، وحلاً حلاً ، وربّ
سامع بأمرى لم يسمع عذري ، والله ما اعتمدت^٥ ذلك جهلاً بحقِّك ،
ولا قصدته إهمالاً لواجب تقدّمك^٦ وسبِّك ، بل دفعتُ إليه ضروراتُ
مكابدةِ أحوالِ هذا الزمان ، القاطعة عما يريدُه الإنسان ، ولئن نافس الدهرُ
في الورودِ عليك ، والوصولِ اليك [وأحوج إلى تركِ النهوض اليك]
فليس ذلك مما يخيلُ بالودِّ ، ولا يحلُّ وثيقَ العهد ، بل أنت كالشمسِ

١ الضمد : الحقد .

٢ م : والتورد .

٣ م : أجري .

٤ د ط س : لدي .

٥ س : هذا والله ما اعتمدته .

٦ د ط س : تقدّمك .

إن عدمنا مدارها^١ ، فما حُرِمنا أنوارها ، وقد علمنا أن مكانها عكبي^٢ ،
وَحُسْنُهَا جوهري^٣ ، وكان من الحكم أن أراجع على النظم ، لكن لا
آتي معك إحساناً ، ولو كنتُ حَسَاناً ، فابسط العذرَ ، وسهّل الأمرَ ،
[والله يهنيك صحةً تَكْفُلُكَ ، وسلامةً تَشْمَلُكَ ، برحمته ، والسلامُ
على من أراني عتابه^٤ ، ليعلم كيف ودّي عند ردّي جوابه^٥ ، ورحمة
الله] .

وله رسائل مطبوعة ، ومنازع إلى الأدب بديعة^٦ .

وكتب أبو عبد الرحمن إلى ابن عبد العزيز من طريقه يومئذ رقعةً يقول
في فصل منها^٧ : كتابي وقد طَفَلَ العشي^٨ ، وسال^٩ بنا إليك المطي^{١٠} ،
ولها من ذكرك حاد ، ومن لقياك هاد ، وسنوافيك المساء ، فنغتفر^{١١} للزمان
ما قد أساء [٨ أ] ونردُّ ساحةَ الأمنِ ، ونشكرُ عظيمَ ذلك المنى^{١٢} ،
فهذه النفس^{١٣} أنت مُقِيلها ، وفي بَرْدِ ظلك يكون مقيلها ، فله مجدك^{١٤}
وما تأتيه^{١٥} ، لا زلتَ للوفاءِ تحييه وتحويه :

١ ب : من نارها .

٢ هذه العبارة سقطت من د ط س ، ويبدو أنها مقحمة .

٣ وردت في قلائد العقيان : ٦٠ ، وذلك بعد أن تخلص من معتقله بمنى قوط بتأثير أبي بكر
ابن عبد العزيز ودفاعه عن ابن طاهر ، وقد صدرت هذه الرسالة عنه وهو بجزيرة شقر ؛
وانظر الذيل والتكملة ٥ : ٥٩١ والخريدة ٢ : ٣١٩ .

٤ د : وسار ؛ القلائد : ومال .

٥ ب : فتغتفر ؛ ط د س والقلائد والخريدة : فتغتفر .

٦ ط د س : النفوس .

٧ ب : درك .

٨ ط د : وما توليه .

* فدانت لك الدنيا ودامت بك العليا *

إن شاء الله تعالى ، بمنه .

وعند انجلاء تلك الظلماء [عنه] خاطب جماعةً من الرؤساء ، وذلك في جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين ، فمن ذلك رقعة خاطب بها صاحبَ المرية قال فيها : ولما تخلَّت مني - أيدك الله - يدُ الزمانِ ونوائبهُ ، وتجلَّت عني غمَّراته وغياهبهُ ، ابتدرتُ مطالعتك ابتدارَ الفرضِ ، وهصرتُ من مجاذبتك بالغصنِ الغضِّ ، فاتقأً لكمامةَ الفضلِ ، وعامراً لشريعةِ الوصلِ ، وحمَّدُ الله تعالى مقدِّمٌ في السرِّ والجمهورِ ، على ما درأ من الحوادث النكر :

وإذا جزى اللهُ امرءاً حسناً فجزى أخاً لي ماجداً سمحاً
ناديتهُ في كُرْبتي فكأنَّما ناديتُ عن ليلٍ به صباحاً

ذلك الوزير [الأجل] أبو بكر مُثَبِّتُ رسمِ الوفاء ، وباني مجده على قمةِ الجوزاء ، نَبَهَ لي كَرَمَ مسعاه ، دائباً ووالاه ، لم يكتحلَّ سوى الأرق ، حتى استنقذني من لجةِ الغرق ، ووافي بي على المنى ، وأحلتني من برِّه المحل^١ الأسنى ، فأنامَ اللهُ عنه عيون^٢ الأيام ، ولا أنساني له شكرَ ذلك المقام .

وله من أخرى^٣ خاطب بها ابن هود : إن الأيامَ - أيدك الله - تلوَّنُ ألوانها ، وللمساءة إحسانها ، ما تدرُّ شعباً إلا تصدَّعهُ ، ولا وصلاً إلا

١ س : بالمحل .

٢ ب : عين .

٣ ط د س : ومن أخرى .

تقطعه ، إن أمرتُ عهداً نقضته ، أو بنتُ بنياناً قوّضته ، على أنها قد تعودُ ،
ويكون لها الأثرُ المحمود ، ورمّني - أيدك الله - بسهامها ، وجرّعتني
غُصَصَ حمامها^١ ، فكان لله سترٌ وقي ، وصنغُ أبقى ، مكّن النفسَ من
رجائه ، ووطنَ الصبر على قضائه^٢ ، طمعاً في الحظّ من ثوابه ، وتبلّج
الفرَج من أبوابه^٣ ، إلى أن تبدّى فجره ، وتأتى أمره ، والحمد لله بحقه ،
منقذني من الخطب وربقه ، هو المبلوّ بعواطفه ، المدعوّ بعوارفه ، وفي كلّ
حالٍ - أيدك الله - أخطرني ببالك ، ومددت عليّ من ظلالك ، ووصلت
من سببي ، ونفست من كُرْبِي ، وأوجدتني من ذراك مفزعاً^٤ ، و [أوردتني]
من نعمك مشرعاً ، لا زال بِرُكِّ شاملاً ، ولا انفكّ سعدك كاملاً ،
فانك محيي الهمة ومقيمها ، وموليّ النعمة ومديمها ، وكم أحييت من
همم ، وأوليت من نعم ؛ فكافأ الله الولي^٥ السنّي واحدي الوزير الأجلّ
أبا بكر مكافأةً ماجد جدّ في سعيه ، وجرّد [٨ ب] من رأيه ، لدرء
مهمّي وكشفه^٦ ، حتّى انتضاني في كفه ، فخلطني بالعليّة نفسه ، ومهد
لي في جنبه وأنسه ، أيّده الله على شكره ، وفسح في عمره .

وله من أخرى كتب بها إلى الحاجب عماد الدولة^٨ : كتبتُ - أيدك

١ د ط س : وعلّ قرب من مرامها .

٢ ب م : لقضائه .

٣ ب م : أثوابه .

٤ ومددت . . . مفزعا : سقط من ط د س .

٥ ب م : ومؤتني .

٦ ط د : الوني ؛ س : السنّي الواني .

٧ د ط س : وكشفه حقيقي .

٨ زاد في د ط س : ابن المقنن بن هود؛ وهو عبد الملك بن احمد المستعين، وليس ابن =

الله - عند وصولي بلنسية^١ ، متخلصاً من يد المحنة ، مُتلبساً لله فيها أعظم المنحة ، أن تدارك في غمراتها ، وجلّي المسودّ من هفواتها ، فله الحمد كثيراً ، والشكرُ نصيراً ؛ وإني بلوثُ من إجمالك في حالي شدّتي ونجاتي ما عقّل اللسانَ ، وقبض البنانَ ، وأخجلَ الحوادثَ حتى كفتُ من اعتدائها ، وألوتُ تعثُرُ في استحيائها ، فإن أثنيتُ فمقتصرٌ عنك الثناء ، وإن دعوتُ فإلى الله يُرفَعُ الدعاء . وتلقّاني بطريقي كتابك الرفيعُ فتملكني برّه ، وحيّاني بشره^٢ ، وعظّمَ عندي قدره ، فله ما تبيده من فضلٍ وما تسره ، والله درُّ الوزير الأجلُّ أبي بكر ، جوزي بوفائه ، وفسح الله له في ظلّه وبقائه ، فانه ما اكتحل في كربتي بنوم ، ولا تمتع بمسرةٍ في يوم ، ولقد كانت قذى عينيه^٣ ، حتى حلّني من وثاقها بيديه .

ومن آخرى خاطب بها المظفر^٣ صاحب لاردة قال فيها : ان الله تعالى يصرفُ الأمورَ كيف يشاء ، له النعماءُ والبأساءُ ، فان عافى واصلَ المنز ، وان امتحن أحسن ، لأنه يمنح الأجرَ الذي هو أسنى ، ويعودُ بعوائده الحسنى ، وما المرءُ إلا كالنصل ، يُشحذُ بالصقل ، تنفذُ عليه الأقدارُ ، ليقعَ

= المقتدر ، تولى بعد أبيه سنة ٥٠١ بسرقسطة ، ثم انتزعها منه المثلثون سنة ٥٠٣ (انظر اصمال الأعلام : ١٧٥ والمغرب ٢ : ٤٣٨) .

١ ط د س : من بلنسية .

٢ مأخوذ من قول الشاعر ؛ وهو إبراهيم الصولي :

سأشكر عمراً ان تراخت منيّي أبادي لم تمنن وان هي جلت
رأى خلقي من حيث يخفى مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجلت

٣ زاد في ط د س بعد كلمة المظفر « أخاه » ؛ والمظفر يوسف بن سليمان (حسام الدواة صاحب لاردة) هو أخو أحمد المقتدر وايس بأخي عماد الدولة ولهذا اقتضى حذف الزيادة تخلصاً من الاضطراب .

٤ ط د س : النعمة .

الاختبارُ والاعتبارُ، ويبدو له الزمانُ وأهله، وحيث منبتُ الفضلِ وأصله؛ وكان لك - أيدك الله - من التهممِ بجاني ، والارتماضِ لنوائي ، ما أطابَ ذكركَ ، وأبانَ قدركَ^١ ، وأخبرَ أنَّ الجميلَ من سجايك ، وأن محاسنَ الدهرِ بعضُ حُلاك . ولما تَخَلَّصْتُ من تلك الأشرارِ ، وأذنَ اللهَ منها - وله الحمد - بالانفكاك ، أسرعتُ إلى قضاءِ حقِّك وإنه لأعزُّ الحقوق ، وتوفيةِ الشكرِ لك بياهرِ مجدك السابقِ غيرِ المسبوق ، والثناءِ على أنعم الله تعالى قبل كلِّ شيءٍ وبعده التي جلَّت عن الإحصاء ، وجَلَّت من الغمَّاء . وقد أوليتَ ما أثبتَ لك في الرقابِ رِقاً ، وما تحبُّ به الركائبُ غرباً وشرقاً ، وإن المستقلَّ بي والخاذبَ بضبعي لمحبيي ميتاً^٢ الوفاء ، ومحرزِ جزلِ الثناء ، قسيحي في المهمِّ ، وظهيري [٩ أ] على الملمِّ ، الوزيرُ الأجلُّ أبو بكر ، فاني تبوأْتُ في ذراه محلاً وداراً ، ورأيتُ الخطوبَ تعتذرُ اعتذاراً .

وله من أخرى إلى^٣ القادر بالله ابن ذي النون^٤ : حُكِّمُ الزمانِ - أيدك الله - تعثُّرُ^٥ الإنسان ، ولولا دفاع^٦ الله لهوتَ قدمه ، واستوى عدَمُه ، لا يبالي^٧ حيث انتحت نوابه ، ولا من ازورَّ جانبه ، يُلْفَى الدهرَ عابساً ، ولثوب العذرِ لابسا . وكتابي من بلنسية وقد وافيتها موافاة

١ ب : ذكرك ؛ م : وأبان الله قدرك .

٢ س : نبت .

٣ د ط س : ومن أخرى خاطب بها .

٤ هو يحيى بن اسماعيل بن المأمون بن ذي النون ، تولى سنة ٤٦٧ بعد جده المأمون .

٥ ط د : تمثير .

٦ ط : دفع .

٧ ب م : يقال .

الآمن بقراره ، خارجاً من ليلِ الحوادثِ واعتكاريهِ^١ ، مستبشراً^٢ بنهاره ، مستشفياً^٣ من آثاره ، فالحمد لله بما أولاه ، حمداً يبلغُ رضاه . وما أنا — أيدك الله — في أمري ، وما يسرَّهُ اللهُ من انجلاءِ ضُرِّي ، بأجدلٍ مني لتوقفِ الأيامِ عن مكانك ، وقد أوضعتَ في بنيانك ، تظن أن ما تُتلفُهُ ، لا تُصْرِفُهُ ، وكرمَ اللهُ من لطفِ خفيٍّ ، وكرمٍ حفيٍّ ، وهو المستولُ بأحبِّ أسمائه ، أن يعيدَ عزَّكَ إلى بهائه^٤ . وان من تلقَى رايةَ^٥ المجدِ ابتداراً ، وأخذني من أيدي الخطوبِ اقتساراً ، لَعَلَّمُ الوفاءَ الذي إليه يشار ، وشخصُ السيادةِ الذي به يستنار ، واحدي الوزيرُ الأجلُ أبو بكر — أدام الله عزَّه وأحسنَ جزاءه ، ووصلَ اعتلاءه — .

وكتب^٦ أيضاً في ذلك إلى بعض إخوانه : علمي — أعزَّكَ اللهُ — بصدقِ وفائك ، ومحضِ صفائك ، وأنك ضاربٌ في حالي بأوفى السهام ، أوْجَبَ أن أسبقَ اليك بالمشاركة والإعلام ، وكتبتُ عند الخلاصِ من العُقْلَةِ ، والتخلُّصِ من العُطْلَةِ ، بفضلِ اللهِ الذي له المشيئةُ الغالبةُ واليدُ العاليةُ ، هو المردِّدُ حَمْدُهُ بما أولى وسنَّى ، المرجوُّ لطفُهُ بعوائدِ الحسنى . ورعى اللهُ الوزيرَ الأجلُ أبا بكر ، وقارضه وفيَّ الشكر ، فلقد بزَّ الأنامَ طُراً ، ووافتِ فعالتهُ الكريمةُ غرّاً ، لم يقصِّرَ عن أمدِ السعي ، مُدَّةَ

١ م : باعتكاره .

٢ م : مستتراً .

٣ م : مستسقىاً .

٤ كان ابن ذي النون قد واجه ثورة بطليطلة ففر منها حوالي سنة ٤٧٢ فاستعان بأذونش ملك قشتالة فأعاده الى ملكه على شروط قاسية ، ثم انزع منه طليطلة .

٥ م ب : وبدر .

٦ تنفرد ب م بهذه القطعة .

ذلك البغي ، حتى أخذني من أيدي الخطوبِ عَنَوَة ، وأحلّتي من جزائه
وِبْرَه صَفْوَه ، فله وفاؤه وَسْرُوهُ ، وغايته في العلاءِ وشأوه .

قال ابن بسام: وخاطبت جماعة من رؤساء الجزيرة يومئذ الوزيرَ أبا بكر
[بن] عبد العزيز [المذكور] شاكرين له على ما كان في ذلك من سعيه الحميد
[المشكور] ، منها رقعةٌ للمؤمن بن هود يقول فيها : وقد تتابع عنك
— أعزك الله — أحسنُ الحديثِ المذيعُ لخطايا سَرُوكِ وسرائره ، المعربُ
عن سجايا سنائك ومآثره ، منذ انتدبتَ بشرفٍ منحاك [٩ ب] لما يسره
اللهُ من حميدِ مسعاك ، فانتضيتَ من عزمك باتراً يفلُ نصالَ النواذب ،
وأيقظتَ من حزمك ساهراً ينيمُ عيونَ الحوادثِ ، وسهّلَ الله الوعدَ
بصدقِ بصيرتك ، وذلّلَ الصعبَ بيمنِ نقيبتك ، حتى شردتِ المحنةُ
وعمتِ المنحة ، بتخلّصِ ذي الوزارتينِ الكاتبِ الأجلِّ صاحبِ المظالمِ
أبي عبد الرحمن سندي^١ ، والخطيرِ من عددي — [أبقاها الله] — من تلك الغمرة ،
وانتضائه بالاستقلالِ من العثرة ، واستقرتِ الحالُ — أيديك الله — بدءاً وعوداً ،
عما قصّرَ عليك أو فرّ الحمد ، ونشرَ عنك^٢ أنضَرَ العهد ، فجازاك^٣ الله
أفضلَ ما جازى علكم من أعلامِ الوفاءِ ، ووفّأك^٤ اكرم ، ما وفّني متقدماً
في أحوالِ الصفاء ، متوحداً^٥ بجميلِ المقامِ وجليلِ الغناء ، وخاطبتُك
مُعَلِّماً بحقيقةِ اعتزازي^٦ بما يسّر الله على يدك من هذه العائدة^٧ ، وسنّاهُ

١ م ب : سيدي .

٢ د ط س : عليك .

٣ ط د س : فجزاك .

٤ ط د س : أكل .

٥ ط د س : متودداً .

٦ م ب : اعتذاري .

٧ م : العارفة .

بلطفٍ توصلِكَ إلى هذه الفائدة^١ ، فلو خصصتَ بذلك مَنْ يشاركني بالنسبة وهو قسيمي في اللحمة^٢ ، لم يعدلَ عندي بما أوليتَ في جانبِ مَنْ أعزَّهُ اللهُ باتمامِ النعمة ، فقد كان تألُّمي^٣ من إساءةِ الدهرِ في هضمه ، وتطاوُلِ خطوبه الشُّكْرِ إلى ظلمِهِ ، بازاء ما يقتضيه الاعتدادُ بفضله ، والابتهاجُ بشرفِ محلِّه ؛ إذ كانت النفسُ تُشْفِقُ من حادثةٍ تصيبُ نبيهاً ، من الاخوان ، فضلاً عن نائبةٍ تحلُّ بساحةٍ جليلٍ من الأعيان ، والله تعالى يصرفُ النُوبَ عن فينائِكَ ، ويكفِّ المحاذِرَ دون أرجائك^٥ ، بمنته .

قال أبو الحسن : ونأخذ هنا بطرفٍ من أخبار الوزير الأجل أبي بكر ابن عبد العزيز^٦ المذكور ، بهذا الموضوع ، حسبما اقتضاه سرد الكلام ، وأدى إليه شرط النظام .

كان أبو بكر أحدَ مَنْ سبق وادعأ ، وتجاوز ذروة الشرف متواضعاً ، كتب أبوه عن الوزير الكاتب أبي عامر بن التاكرني^٧ أيام وزارته لعبد العزيز ابن أبي عامر ، وأبو عامر أطلع جتده ، وأرهف حدته ، وبلغ به الدرى ، حتى قيل : « كلُّ الصيدِ في جَوْفِ الفَرَا »^٨ .

١ وخاطبتك . . . الفائدة : سقط من ط د س .

٢ ط د س : باللحمة .

٣ ط د س : نالني .

٤ د ط : نبهاه .

٥ والله . . . أرجائك : سقط من ط د س .

٦ كان أحد رجال الكمال بالأندلس ، وعنه بلنسية التي بها تبصر ، توفي ببلنسية سنة ٤٥٦ ؛

انظر أعمال الاعلام : ٢٠٢ وقلائد العقيان : ١٦٧ .

٧ ط د س : التاكروني .

٨ انظر فصل المقال : ١٠ والميداني ٢ : ٥٤ .

وقد ذكره أبو مروان ابن حيان فقال : وفي العشر الأواخر من [شهر] جمادى الآخرة سنة ست وخمسين نُعيَ إلينا وزيرٌ بلنسية ، ابن عبد العزيز ، وكان — على خمولٍ أصله في الجماعة — من أراجح كبار الكتاب ، الطالعين في دمس هذه الفتنة المدهمة ، وذوي [١٠ أ] السداد من وزراء ملوكها ، ذا حُنكةٍ ومعرفةٍ ، وارتياضٍ وتجربةٍ ، وهُدًى وقوام سيرة ، إلى ثراء وصيانة ؛ انتهى كلام ابن حيان .

قال أبو الحسن : ووزر أبو بكر بعد أبيه لعبد الملك بن عبد العزيز الملقَّب — كان — من الألقاب السلطانية بالمظفر ، فقطع ووصل ، واضطلع بما حمَلَ ، ودارت عليه الرياسة مداراً لم تدرُهُ رحى على قطب ، واشتملت عليه السياسة^٢ اشتمالاً لم تشمله جناجنُ على قلب^٣ : من رجلٍ ركب أعناقَ خطوبها ، صعبها وركوبها ، وامترى أخلافَ شأبيها ، منهنها وسكوبها ، فلما قصَّ يحيى بنُ ذي النون الملقَّب بالمأمون آثارَ آل^٤ ابن أبي عامر ، واجتثَّ أصلهم من بلنسية آخر الدهر [الداهر] — حسبما سنأتي عليه ، إذا انتهينا إن شاء الله إليه^٥ — كان ابنُ عبد العزيز ، زعموا ، أحقَّ من أقام مَيلَها ، وأوضح لابن ذي النون سُبُلها ، حتى خلصت له من الصلابة ، فكافأه ابن ذي النون لأول تملكه إياها بأن ولاه^٦ أمورها ، وحلَّه شؤونها ، ولاث^٦ بحقوقه سياستها وتديرها ، فسامى الفراقداً ،

١ : ملوكنا .

٢ : الرئاسة .

٣ : لم تشمله عليه : ابن قلب ؛ ب م : جناحان على قلب ؛ والجناحان : عظام الصدر .

٤ : آل : سقطت من د ط .

٥ : حسبما فذكره إن شاء الله .

٦ : ولاه : ولاه .

وتألف الشارد ، وقدح^١ الحاسد ، وقهر^٢ العدو المكابد ، وهو من ابن
 ذي النون قريب على البعد ، وحاله^٣ عنده جديدة على قدم العهد . فلما مات
 يحيى بن ذي النون صفت^٤ مشاربه^٥ ، وخلا له جانبه ، وضعف عنه طالبه^٦ ،
 وكان خليقاً بسموه^٧ ، مهيباً في صدر عدوه^٨ ، طاوول^٩ الجبال^{١٠} بالآكام ،
 وقل^{١١} السيوف بالأقلام ، متشبهها في مخالصة الإمارة ، من خصاصة الوزارة ،
 بأبي الخزم بن جهور ، فتم^{١٢} له من ذلك ما نيف^{١٣} على المراد ، وأطال غم^{١٤}
 الأعداء والحساد ، واجتمع عنده من سعة^{١٥} المال ، وفخامة الحال ، ونضرة^{١٦}
 الإقبال ، وآلات^{١٧} الجلال^{١٨} ، ما سار في البلاد ، وقصر عنه كثير^{١٩} من
 الأشكال والأضداد^{٢٠}

ومن أعجب ما هيباً له الزمان^{٢١} ، وأغرب ما سارت^{٢٢} عنه به الركب^{٢٣} ،
 أن ابن هود لما سما إلى دائية^{٢٤} فورد^{٢٥} صفوتتها^{٢٦} ، واقتعد^{٢٧} ذروتها^{٢٨} ، فيل^{٢٩}
 أهل بلده رأيه ، وعجزوا سعيه^{٣٠} ، في قصوره^{٣١} عن بلنسية ، إذ كانت
 أدنى لمن يريدتها ، وأجنتي^{٣٢} على من يستفيدها ، لوفور غلاتها^{٣٣} ، وتمام
 أدواتها ، واعجاز خواصها وذواتها ، ولخلوها عندهم من ملك^{٣٤} يفي

١ د ط س : وقدح .

٢ د ط س : وقهر .

٣ د ط س : الآكام .

٤ س ن د : جناعة .

٥ ب م : الجبال .

٦ م : والانداد .

٧ د : طارت ؛ س : صارت .

٨ ب م : وأقعد .

٩ د : فند ؛ ب : قفل .

١٠ د : وأجرى ؛ س ط : وأجدى .

بمقدارها ، ويدبُّ عن عُصْرِ دارها^١ ، فجاهروه بتعجيزهم [١٠ ب]
وشاعتُ على الألسنةِ أعجوبة من ترجيزهم ، كلماتٌ في أعجميةٍ مزدوجة^٢ ،
معناها : ما أحسقَ هذا وأهوجِه ، عَجَزَ عن الأيِّمِ ونكحَ المزوَّجَةَ ؛
وحيث تلففها من الألسنةِ ، انتبه لها لا^٣ من سِنَّةٍ ، وداخلَ الطاغيةِ
أذفونش مفرعَ آمالمهم ، وظهيرَ بَطالَتهم وباطلهم ، على عادتهم ، معشَرَ
الخلفاءِ ، من استنابته في زحوفهم ، وإجابته إلى مُرٍّ حتوفهم ، سعيًّا
عمهم بتنكيل ، ومكرًا أحاقه الله بهم عمًّا قليل ؛ فاشترى منه بلنسية يومئذٍ
[زعموا] بمائة ألفِ دينار ، تقربَ إليه بحاضرها ، وأعطاه رهنًا كفافًا
بسائرها ، فغزا بلنسية وقتَه في جيشٍ تضاءلت ذرى أطوادها^٤ عن
أعلامه ، وتناكرت وجوهُ نجومها تحت قَتامه ، فلم يركز لواءه ، ولا رفع
بناعه ، حتى خرج إليه ابن عبد العزيز منسلخًا من عديده ، في ثيابِ
جمُعتته^٥ وعيده ، فكلمه بما^٦ أرقَّ قلبه ، وكفَّ غرْبته^٦ ، وكان مما
قال له : هي بلادُك فقدَّم من شئت وأخرُ ، ونحن طاعتك وقوادك^٧
فأقلل منَّا أو أكثر ، في شبيه ذلك من ليين القول الذي يسئلُ الأحقاد ،
ويتألَّفُ الأضداد ، فانصرف عنه وقد ألحفه جناح حمايته ، ووطأ له
كنفًا من عنايته ، ورجع ابنُ هود وقد نفض يديه ، وأصبحت نفقته^٧
حسرةً عليه ، وكان الطاغيةُ بعد ذلك ، كلما جرى ذكرُ ابنِ عبد العزيز

١ وتمام . . . دارها : سقط من ط د س .

٢ كلمات . . . مزدوجة : سقط من د ؛ م س : كلمة أعجمية .

٣ لا : سقطت من ط د س .

٤ ط د س : جو .

٥ ط د س : أطواده .

٦ ب م : جمعه .

٧ ب : بأن .

شايعة وتولاه ، واسترجحه وزكاه ، حتى كان يقول - لعنه الله - : رجالُ الأندلسِ ثلاثة : أبو بكر ابن عبد العزيز و [أبو بكر] ابن عمار وششند^١ ، وسأجري في أخبار ابنِ ذي النون طرَفًا من ذكره ، وأشير إلى جهةٍ من مآلِ أمره .

بقية ما استخرجته من رسائل ابن طاهر السلطانيات

فصل^١ له من رقعةٍ خاطبَ بها ابنَ عبَّادٍ يقولُ فيها : مَنْ وَجَدَ سَلَفَهُ عَلَى مَذْهَبٍ مِنَ الْخَيْرِ بَيْنَ^٢ ، وَسَنَّ مِنَ الْفَضْلِ مَتَبِّينَ^٣ ، سَرَّهُ أَنْ يَتَحَلَّى بِتِلْكَ الْخُلُقِ ، وَيَتَجَلَّى مِنْ تِلْكَ الْأُفُقِ^٤ ، وَإِنَّ الزَّمَانَ اللَّدْنَ الَّذِي انْقَضَى ، وَامْتَحَتْ صُورَتُهُ الْحُسْنَى ، نَظَّمَ بَيْنَ ذِي الْوِزَارَتَيْنِ الْقَاضِي جَدِّكَ وَبَيْنَ أَبِي مَوْلَايَ ، كَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ ، عَقَدَ الصَّلَاةَ ، وَأَبْرَمَ بَيْنَهُمَا حَبْلَ الْخُلَّةِ ، وَشَقَّ بَيْنَهُمَا الْمَصَافَاةَ شَقَّ الْأُبُلُمَةِ^٥ ، وَأَطْلَعَهُمَا نَجْمَيْنِ فِي أَكْبَرِ تِلْكَ اللَّمَّةِ ، يَفْتَرِقَانِ^٥ عِنْدَ الْاسْتِعْمَالِ ، وَيَحْمَلَانِ يَوْمَئِذٍ مُضْلِعَ الْأَثْقَالِ ، إِلَى أَنْ امْتَزَجَتْ بِهِمَا الْحَالُ امْتِزَاجًا ، وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِنَفْسِ صَاحِبِهِ غَدَاءً وَمِزَاجًا ، وَلَمْ يَقْتَعِ مِنْ ذَلِكَ الْإِلْتِفَافِ^٦ ، بِوَاقِعَةِ الْكِفَافِ ، حَتَّى أْتَمَّ

١ ط س : ششاند، وكان ششند أو ششاند (سشندو دافيدس) من النصارى المستعربين، وزر للمعتضد بن عباد أولًا ثم فر إلى ملك قشتالة ، وكانت له أدوار متعددة في أحداث ذلك العصر ، وقد ولاه أذفونش على مدينة طليطلة عندما انتزعها من ابن ذي النون .

٢ ب م : مذهب .

٣ س : مبين متين .

٤ ط د س : الطرق .

٥ م ب : يفتترنان .

٦ م س : الالتفات .

[١١ أ] صنائعه^١ ، ورقم^٢ وشائعه^٣ ، خلال ما ابتداه ، ونهجه وهيباه^٤ ، فضمنا والرئيس^٥ الأجل^٦ أبك^٧ معتمدي . - كان - رضي الله عنه في زمرة^٨ الطلبة ، والأُسرة^٩ منهم المنتجة ، ورَتَعْنَا في رياض^{١٠} الاصطحاب ، واستدرينا من أدواحها بأمثال^{١١} السحاب ، نُصِيبُ من بَرْدِهَا ودرّها ، إلى أن أطلعت^{١٢} الأيامُ شجر^{١٣} مرّها ، برائع^{١٤} الفراق ، ولم نشف^{١٥} الأشواق ، وأقبلت^{١٦} الفتن^{١٧} والمحن^{١٨} تساق ؛ فلما اطمأنت^{١٩} بك قدم^{٢٠} الرياضة ، واستقرت^{٢١} منك في شخص^{٢٢} السيادة^{٢٣} والنفاسة^{٢٤} ، جعلت^{٢٥} الهمة^{٢٦} تنطلق^{٢٧} ، والارادة^{٢٨} مني تنقاد^{٢٩} وتتبع ، في الإلمام^{٣٠} بمدخلتك^{٣١} ، والتسبب^{٣٢} لمطالعتك^{٣٣} ، ليلشتم^{٣٤} باعتلاقك^{٣٥} ذلك الشعب^{٣٦} ، ويستريح^{٣٧} من برّحائه^{٣٨} القلب ، والأيام^{٣٩} على شيمها^{٤٠} وشؤمها^{٤١} ، في عوارضها^{٤٢} ولؤومها^{٤٣} ؛ إلا أني مع ذلك لم أخل^{٤٤} ٢ مشاهدتي من الذكر^{٤٥} لك ، والفخر^{٤٦} بك ، حتى وافى^{٤٧} رسولك^{٤٨} الناحية^{٤٩} ، فمددت^{٥٠} يد^{٥١} المخاطبة^{٥٢} لك ، وأحببت^{٥٣} فتحها^{٥٤} معك ، لأُعلق^{٥٥} منك^{٥٦} كفي^{٥٧} ، بماجد^{٥٨} يكون^{٥٩} ركني^{٦٠} وكهفي^{٦١} ، واثقاً^{٦٢} بحسن^{٦٣} المقابلة^{٦٤} والقبول^{٦٥} ، عارضاً^{٦٦} ٣ ودّي^{٦٧} بمهّب^{٦٨} الصبأ^{٦٩} والقبول^{٧٠} ٤ ، فان مننت^{٧١} بالمراجعة^{٧٢} فذلك^{٧٣} البغية^{٧٤} والمراد^{٧٥} ، وإلا فما أخطأ^{٧٦} الاجتهاد^{٧٧} ، والله^{٧٨} يُيسّر^{٧٩} المرتجى^{٨٠} منك ، ويدفع^{٨١} محذور^{٨٢} النائبات^{٨٣} عنك ، [بقدرته^{٨٤} الباهرة^{٨٥} ومشيئته^{٨٦} العالية^{٨٧}] ٥ .

وله من أخرى [إليه] : الآن سَفَرَتُ من الأيام^{٨٨} الحدود^{٨٩} ، واهتز^{٩٠} منها

١ بنيت الأفعال في هذه العبارة (في د ط س) على التثنية ، ولم يقنما . . . أنما . . . رقما . . الخ ،

ولكن الضمير يعود إلى « الزمان اللدن » .

٢ م ب : أقل .

٣ ط د س : عارضاً في .

٤ ب : أو القبول .

٥ موضع هذه العبارة في ب م : بمزته .

غُصِنُهَا الْأُمْلُودُ ، وَوَثِقَتْ نَفُوسٌ بِالنَّجَاحِ ، وَدَنَا غَمَامُهَا الْمَطْلُوبَ حَتَّى
كَادَ يُدْرِكُ بِالرَّاحِ ، لَمَّا أَتَتْ الْبِشْرَى عَنْ^١ مَوْلَايَ بِاقْتِرَابِهِ ، وَتَعَلَّقَتْ الدُّنْيَا
بِأَثْوَابِهِ ، وَلاذَّ بِهَ الْإِسْلَامَ ، وَعَزَّ جَانِبُهُ الْمُسْتَضَامَ ، وَمَا زِلْتُ أُتْرَقَّبُ الزَّمَانَ
أَنْ يَخْطُرَنِي بِبَالِهِ ، وَيَعْرِضُنِي عَلَى اهْتِبَالِهِ ، فَإِذَا بِهِ عَلَى اِزْوَارِهِ ، لَا يَبَالِي
مَنْ صَلِيَ بِنَارِهِ ، فَكَيْفَ أَذْمُ الزَّمَانَ وَمَوْلَايَ فِيهِ ، وَهُوَ تَابِعٌ أَمْرَهُ وَنَوَاحِيهِ ،
لَا زَالَ جَدُّهُ مَقْبَلًا ، وَسَعَدَهُ مَتَّصِلًا ، مَا صَدَعَ الْفَجْرُ ، وَطَلَعَ الْبَدْرُ .

وله من جواب علي كتاب : ورد كتابه^٢ العزيز الذي شفع به المنز
الروائح والغواصي ، فوريت^٣ بمضمونه زنادي ، وأخصب^٤ من^٣ مستودعه
مرادي ، وتأتى بما التمحت^٤ مرادي ، وتصفحت^٥ الطول وافي الذوائب ،
متصل^٥ السحائب ، ولبست^٥ ثوب^٥ الإجمال ، سابغ^٦ الأذيال ، واسع^٦ الأطلال^٦ ،
والله يبقيه للواء الفضل يرفعه ، وشيت^٦ المكارم يجمعه .

وفي فصل منها^٧ : وأما كتابك فكان جواباً ما أحسب^٧ ! وبيانا ما أعدب^٧ !
أنس^٧ من وحشة^٧ ، وألبس^٧ منة^٧ بعد منة^٧ ، ووقفت^٧ منه على ما ملأ^٧
جواني مسرة^٧ ، وبسط^٧ من وجهي أسرة^٧ ، وحمدت^٧ الله تعالى [١١ ب]
بالنعمة علي^٧ في ذلك ، وبما هياؤه الله على يدك هنالك ، وما زلت^٧ معشر^٧ هذه

١ ط د س : على .

٢ ط د س : كتابك .

٣ ط د : في .

٤ س : التمسته .

٥ ب م : وألبست .

٦ ط د س : الظلال .

٧ م ب : منه .

السَّلْمَةُ^١ الكريمة ، الزكية^٢ الأرومة ، تَشِيدُونَ البناء^٣ ، وتَحْلِدُونَ الثناء ،
وتَحْفَظُونَ الأرجاء ، وتمدّون الرفاء^٤ ، وأنّي بمثلِ سياستكم فيما فتحه
الله على المظفر ؟ لقد أخضعتم الرقاب ، وأطرتم الألباب .

وفي فصل من أخرى : [ورد لك كتابٌ كريمٌ وثغورٌ] نجدك مبتسمةً
منه ، وألسنةُ سرّوكِ ناطقةٌ عنه ، فطرَدَ العبوسَ ، وأحيا بخيره النفوسَ ،
فَهُنِّتَ هذا الشرفَ التليدَ ، والمذهبَ الحميدَ ، وزادك الله جمالاً ،
كما اختار لك جلالاً ؛ وتناولتِ المُدرَجَةَ الكريمةَ التي خطَّتها اليدُ العزيزةُ ،
وجعلتها بيبي وبين الحوادثِ شعاراً ودثاراً ، إذ تبيّنتُ فيها مخايلَ وآثاراً ،
بعد أن وضعتها تكريمةً على رأسي ، وأحييتُ بها أمني ونفسي^٥ ، وتوليتُ
من الدعاءِ المخلصِ ما اللهُ تعالى سامِعُهُ لك ، ومحققُهُ فيك . فأما الشكرُ
فلو أنّي فيه موصولُ اللسانِ ، بلسانِ الزمانِ ، لما وقَّيتُ بحقِّك منه ، ولما
قضيتُ وطراً به^٦ ، إلاّ أنّي على قصوري عنه سأبرِزُهُ في غلائله ، كالربيعِ
في أوائله .

وخاطبه^٧ ذو الرياستين [حسامُ الدولة أبو مروان] ابن رزيق برقعة
يخطُبُ فيها ودادهُ ، ويستميلُ فؤادهُ ، فراجعهُ ابنُ طاهرٍ برقعة يقول^٨

١ ط د س : الشيمة .

٢ م ب : الزكي .

٣ م ب : بالبناء .

٤ وتمدون الرفاء : سقطت من ط د س .

٥ م : وأنسي .

٦ س : ولا اقتضيت به .

٧ هذه الرسالة وردت في القلائد : ٦٦ مع اختلاف يسير في الرواية ، وانظر الخريدة ٢ : ٣٢٦ .

٨ ط د س : خطب . . . واستمال . . . وقال .

فيها : كلُّ المعالي — أدام^١ الله تأييدَ الحاجبِ ذي الرياستين — إليه ابتسامُها ،
 وفي يديه انتظامُها ، وعليه إصفاقُها ، ولديه إشراقُها ، وإن كتابتهُ الرفيعَ
 وافاني فكان كالزهرِ الجنيِّ ، والبشرى أتتْ بعد النَّعيِّ ، سرى إلى نفسي
 فأحيها ، وسلَّى عنيَّ خطوبَ الكروبِ^٢ وجلَّها ، فلتأتينهُ مني بالثناءِ
 الركائبُ ، تحمله أعجازُها والغواربُ ؛ وأما ما وصَفَ به — أيده الله —
 الأيامَ من ذميمٍ أو صافها ، [وتقلبها]^٣ واعتسافها ، فما جهلته ، [ولقد
 بلوتها] خُبْرًا ، ولقد رددتها على أعقابها نكُرا ، فلم أخضعُ لحنوتها ، ولم
 أتضععُ لِنَبوتها ، وعلمتُ أنها الدنيا قليلٌ بقاؤها ، وشيكٌ فناؤها ،
 وفي ذلك أنشدوا^٤ :

تفاني الرجالُ على حبِّها وما يحصلونَ على طائلِ

ومع ذلك ما عدمتُ من الله سِثْرًا كثيرًا ، ولا صُنْعًا لطيفًا ، له الحمدُ
 ما ذرَّ شارق ، وأومضَ بارق .

ورأيت ما انتدب إليه — أيده الله بسنائه — من الشفاعة عند القائدِ الأعلى^٥
 — أعزّه الله — ، والصدقُ متواعدهُ ، وقد كان بدائي بالإجمالِ لو عاد
 عائده ، وبيدِ الله تعالى [١٢ أ] الأمورُ يتقضيها ، عليه التوكلُ فيها ،

١ ط د س : أيده .

٢ س : كروب الخطوب .

٣ زيادة من القلائد .

٤ البيت للمثنبي ، ديوانه : ٢٦٤ .

٥ ط د س : عند فلان ؛ والقائد الأعلى المشار إليه هو أبو عبد الله محمد بن عائشة ، وكان ابن
 رزين قد سأله أن يرد على ابن طاهر ما أخذه المرابطون من أملاكه ، فأعلمه ابن عائشة « أن
 أمير المسلمين حد له ألا يخوله شيئاً ، ولا ينزوله منها نفساً ولا رياً » (القلائد : ٦٦) .

٦ د ط س : بالاحسان .

وفهمتُ ما أومى إليه من التنقلِ إلى ذَرَاهِ ، والورودِ على نَدَاهِ ، وأُنْتَى لي بذلك وقد قيدتني الهمومُ^١ فما أستطيعُ نَهْضاً ولا أُنْقَدَمُ ، ولو أطقْتُ ذلك لأعدت العمرَ غضباً جديداً ، ولقيتُ الكمالَ شخصاً وحيداً ، عند مَنْ تُقَرُّ بسوابقه العَجَمُ والعربُ ، وتؤكَلُ خلائقه [بالضمير]^٢ وتُشْرَبُ .

قال أبو الحسن : وكان ذو الرياستين^٣ قد رأى لو انتقل ابنُ طاهرٍ إلى ذَرَاهِ ، أن يستمدَّ برأيه ونُهاه ، وهيهات ! أبو عبد الرحمن كان أصونَ لفضله ، وأفطنَ بالزمانِ وأهلهِ ، من أن ينخدعَ بمنتقِلِ ظلِّه ، ويحكّمه فيما أبتَ الخطوبُ من جلالته ونبله : من رجلٍ شديدِ الإعجابِ [كان] بأمره ، بعيدِ الذهابِ بقدره ، زارياً على زعماءِ أهلِ عصره ، إن ذُكِرَتِ الخيلُ فزيدُها ، أو الدهاءُ فسعيدُها وسعدُها ، أو الشعراءُ فجزرُها ولييُدُها ، أو الأمراءُ فزيادُها ويزيدُها ، أو الكتابةُ فبديعُ همَدانِ ، أو الخطابةُ ففي حِرِّ أمِّ سحبانِ ، أو النقدُ فقدماءُ ، أو العلمُ فلستَ من رجاله ولا كرامته ، وليس له من ذلك كلُّه إلا البراءةُ من الإحسانِ ، والاستطالةُ بمكانه من السلطانِ ، أبا الله الا انهماكه في الشرابِ والشطرنجِ^٤ ، وكان على ذلك ضيقَ الفناءِ ، جهَمَ اللقاءِ ، أحذقَ الناسِ بحرمانِ مَنْ قصده ، وأشدَّهمُ احتمالاً لمن لامه في البخلِ وفنَّده ، وانتحاه بأصنافِ الذمِّ واعتمده ، على ما كان يداخِلُهُ من كِبَرٍ ، ويعتقده لنفسه من جلالته

١ س : قيدني اليوم ، ط : قيدني الهرم ؛ وهو الصواب .

٢ بالضمير : لم ترد في م ب س .

٣ ط د س : ذو الوزارتين . ؛ وسيأتي هذا اللقب نفسه بعد قليل في ب م ، فهو على هذا

ذو الرياستين و ذو الوزارتين .

٤ هذا التهكم موجه إلى ابن رزين .

٥ وليس له والشطرنج : سقط من د ط س .

قَدَّرُ^١ ، وكان الشاعرُ إذا وفدَ عليه ، أو مثَلَّ بين يديه ، أخذ يناقشهُ الحسابَ ، ويغلقُ دونه الأبوابَ ، ويستحيه بضروبِ نقده ، ويصبُّ عليه من شآبيبِ بَرْدِهِ ، حتى يخرجَ بين الحائطِ والبابِ ، ويرضى من الغنيمةِ بالايابِ ، على ذلك حججٌ أصحُّها جهله ، وأوضحها بخله^٢ .

حدثني^٣ من شهد ذا الوزارتين ابنَ عمار - المتقدم الذكر - وهو يقول : إليه عنك يا ذا الوزارتين ! بأيِّ شيء عارضت قصيدتي :

أدرِ الزجاجَةَ فالنسيمُ قد انبرى

أبقولك في أوَّلِ قصيدة :

أشمتُ نَشْرِكُ أم شمتُ العنبرا
ومصبتُ ريقكِ أم مصبتُ السكرَا

ومن ذكر هذا وأشباهه من القول ، حتى عدل به عن سبيلِ الطرب ، وكاد ينشق عليه جلدُهُ من الغضب .

وأخبرني من سمع ابن رزين في ذلك المجلس أو نظيره^٤ يقول [١٢ ب] لمسلم المغنِّي ، وكان بحضرته يومئذ : أنا والله أغنى منك ، وأشعر من ذلك ، يعني ابنَ عمَّار ، فقال له ابن عمار ، بِنَدْرَبِ جَتَّانِه ، وسلاطة لسانه : وأرقصُ ممن - أعزك الله - ؟ فلم يجرُ جواباً ، وعاد نشاطُهُ إطراقاً واكتئاباً .

وكان أدخلَ نفسه أيامَ إناخةِ الأميرِ مَزْدَلِي على بلنسية ، فما أمرَّ

١ على ما كان قدر : سقط من د ط س .

٢ على ذلك بخله : سقط من د ط س .

٣ ابتداء من هذا الموضع حتى آخر الفصل لم يرد في ط د س .

٤ م : أو في سائره .

ولا أحلى ، ولا سَبَقَ ولا صَلَّى ، ومات في أثناء ذلك ، وَنُصِبَ ابنه مكانه هُ
هنالك ، فضاقت مدهاه ، وأسلمه في يد أمير المسلمين ما قدمت يداها ، فَنَسِيَ .

ومن رسائل ابن طاهر الاخوانيات وما يجانسها^١

نسخة [من] رقعة يقول^٢ فيها : المرء إذا تحقَّقَ تأمُّلهُ ، وَعَرَفَتْ
في المودة سبيلهُ ، تناسبت مذهبُهُ ، وتجانست ضرائبهُ ، وإنك - أحسنَ
الله مقامكَ وطمعكَ - لما امتطيت ركابَ النوى ، وتجرَّدَ منك ربعُ الغرب^٣
وأقوى ، كحلَّ السهادُ جفني ، وتمكَّنَ [الاشفاقُ مني ، وأخذت نفسي
في الذهوب ، وشمس أنسي في الغروب ، حتى طلع [البشيرُ بالقفول ،
فجعلت حينئذ أقول :

لله نذرٌ واجبٌ ولك البشارةُ يا رسولُ

وثابت إليَّ المسرةُ ، كأولِ مرة ، وظلت أرحُ في أثوابها ، وأنسى
لي بها ، فالحمد لله على صنعه الكريم ، ومنته الجسيم ، أشكره شكرَ مَنْ
استعلى بسلامتك قدحهُ ، وعاد بإيابك صُبْحهُ ، وأسأله الإطالة في
بقائك ، والصيانة لحوبائك .

وله من أخرى : الآن ساغ للكلام الالتماسُ ، وساعدت في معالجته
الأنفاسُ ، وتبادرت إلى إثباته الأناملُ ، وخفت فيه القلمُ العاملُ ، حين
أعيدَ إلى الجسم فؤادهُ ، ورُدَّ في البصر نُورهُ وسواده ، بأوبيتك التي

١ وما يجانسها : سقطت . ن د ط س .

٢ د ط س : قال .

٣ د ط س : القرب .

بَسَّطَتْ مِنِّي مَا انْقَبَضَ ، وَهَدَّتَنِي إِلَى الْبَيَانِ وَقَدْ أَغْمَضَ ، فَلَمْ أَجِدْ فِي
فَمِ الشُّكْرِ رَيْقًا ، وَلَا إِلَى إِضْحَاحٍ مَا أَلْقَى طَرِيقًا ، فَلَمَّا وَافَى بِأَخْذِكَ فِي
الْصَدْرِ الْبَشِيرِ ، وَوَقَعَ بِلِحَاقِكَ التَّقْدِيرِ ، فَكَأَنَّمَا انْتَشَطْتُ مِنْ عَقَالِ ،
وَأَمَنْتُ مِنْ نُكُوسِ بَعْدِ لِبْلَالِ ، فَثَابَ إِلَيَّ مِنْ نَافِرِ الْقَوْلِ ثَابِتُهُ^١ ، وَتَرَاجَعَ
لَدِي غَائِبُهُ وَغَارِبُهُ .

وله من أخرى : فَتَرَطُّ الْمَسْرَّةِ عَلَى الْإِطَالَةِ بَاعَثَ ، وَبِالْكَلامِ عَابَثَ ،
وَلَا سِيْمَا إِذَا طَلَعْتَ بَعْدَ أَفْوَلِ ، وَأَذْنْتَ مِنْ نَخْلِ^٢ بِقَفْوَلِ ، فَلَا تَنْكَرَنَّ
مِنْ مَقَالِي ، مَا يَمْلِيهِ لِسَانُ الشُّوقِ مِنْ حَالِي . لَمَّا تَحَقَّقْتُ [خَبَرَ] تَغْيِيبِكَ ،
لَا عَدِمْتُ [١٣ أ] الْأُنْسَ بِسَبَبِكَ ، هَاجَنِي مِنْ ذِكْرِكَ هَاجِجٌ ، وَمَسَّتِي
مِنْهُ حَرَقٌ وَاهِجٌ ، شَرَّدَ لِي مَنَامِي ، وَرَدَّدَ قَعُودِي وَقِيَامِي ، وَأَقْرَحَ الْمَآقِي ،
وَبَلَغَ بِالنَّفْسِ التَّرَاقِي ، تَأْسُفًا^٣ لِبَعْدِكَ ، وَمُحَالَفَةً لِلْهَمُومِ مِنْ بَعْدِكَ .

وله من أخرى : قَدْ أَثْقَلْتَنِي عَوَارِفُكَ - أَعَزَّكَ اللهُ - حَتَّى مَا أَبْقَيْتَ^٤
لِي يَدًا تَنْظُمُ ، وَلَا لِسَانًا يُعَرِّبُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ لَكَ وَيُفْهِمُ ، فَأَنَا لَكَ
رَهِينٌ ، أَيَادِي لَا تَسْتَقِلُّ بِهَا الرِّكَابُ ، وَلَا يَقُومُ بِشُكْرِهَا الْإِطْنَابُ وَالْإِسْهَابُ ،
وَإِذَا كَانَ الْعَجْزُ عَنْ مَجَازَاةِ بِرِّكَ أَمْلَكَ وَأَحْصَرَ ، وَالْعِيَانُ فِي ذَلِكَ عَنْ
شَفُوفِكَ وَتَقْدِيمِكَ^٥ أَنْطَقَ وَأَخْبَرَ ، فَالاعْتِرَافُ لَكَ بِالتَّأَخَّرِ عَنْ مَضْمَارِكَ
أَجْدَرُ مَا سَمَّتْ إِلَيْهِ هِمَّةُ الْأَمَلِ ، وَسَايَرَتْ إِلَى مَدَى سَبْقِهِ^٦ يَدُ

١ ب م : ثانية .

٢ ب م : تأسياً .

٣ د ط س : أبقيت .

٤ س : رهن .

٥ ب م : وتقديمتك .

٦ ب م : سبقك .

المتناول ، والربُّ تعالى ينظم لك أشناتَ المحاسنِ والأثر ، كما أحيا بسنائِكَ
 كريمَ الآثارِ والسيِّر ؛ وإن كتابكَ - لا عدمته من روضِ ناصر ، وأنسِ
 محاضر - وردني مفتتحاً للفضل والتهمم ، وعارضاً صدقَ مشاركتك في
 حالتي^١ الصِّحة والسَّقَم ، وإن الذي بلغكَ من الالتيابِ المطيفِ بي ،
 والوهنِ المساورِ لي ، أثارَ لفكركَ - أنعمه الله - شُغلاً ، وحملَ خاطرَكَ^٢
 - أصحَّه الله - ثِقلاً ، إلى ما وصل ذلك من سؤالِ مُلْطِفٍ ، وإيرادِ
 من قلبِ السحرِ مُغْتَرِفٍ ، فقامتُ لهذه الصلَّةِ الكريمةِ على قدمِ التعظيمِ ،
 ووفيتها قسطَ الشكرِ محليّ بالتوفيةِ والتتميمِ ، وقلتُ : لله فعلٌ كريمٌ ،
 يُثقلُ الرقابَ ، ويسترقُ الألبابَ .

وله من أخرى : لما تراختِ المطالعةُ بيننا ، وتصدَّتِ الموانعُ لنا ،
 حركني إليك عهدُ كريمٍ . وودَّ بينَ الجوانحِ مُقيمٍ ، وعندِي من ذكري
 لك^٣ ، وشوقي نحوكَ ، ما لا يأتي عليه البيانُ ، ولا يتسعُ له الزمانُ ، وأما
 شكري لمشاركتك ، وثنائي على مظاهرتك ، فبِحَيْثُ يقنَعُ الربيعَ حياءً ،
 ويفضحُ الغصونَ لدونةً واثناءً ، ويكسبُ الماءَ عذوبةً ، والحجرَ رطوبةً .

وله من أخرى يعاتبُ بعضَ الأقاربِ :

وإذا الفتى صحبَ التباعدَ واكتسى كِبِراً عليّ فلستُ من أصحابِهِ

نعم ، أعاذني الله من موجدتِكَ ، ولا حرمني جميلَ رفقك وتؤدَّتِكَ^٥ ،

١ ب م : حال .

٢ د س : ناظرِكَ ، وسقطت من ط . .

٣ م : من ذكراك .

٤ ط د س : وتشوفي .

٥ س ط د : ومودتك .

فاني قرأتُ الكتابَ الكريمَ الذي أطلتَ من جَنَاحِه ، وأطنبتَ ما شئتَ في إفصاحِه ، وأكثرتَ من أناشيدهِ وأهزاجِه ، وغيرتَ من عَدْبِه بِأَجَاجِه ، فجددَ لي رسومَ إيناسِك ، وهبَّ بمعلولِ أنفاسِك [١٣ ب] وذكرَ بأيامكِ المراضِ ، ونشرَ من ألفاظِكِ العواض^٣ :

كلامٌ لو أنَّ اللحمَ يصلِي بجره غريضاً أتى أصحابه وهو منضجٌ
ما البدرُ يُجتلي في أعقابِ أسحاره ، ولا الربيعُ يُختالُ في أثوابِ أنواره
وأزهاره ، بأوضحَ من شيباته ، وأملحَ من كلماته ، ضدَّرتَ بقولِ
ابن الحسين^٣ :

ما كانَ أخلقنا منكم بتكرمةٍ لو أنَّ أمرَكُمُ من أمرنا أممٌ
وأخَّرتَ ذكرَ حكمتِه ومعجزته :

وإذا كانتِ النفوسُ كباراً تعبتُ في مُرادِها الأجسامُ

وضربتَ المثلَ في صحيفةِ قريشِ على بني هاشمِ الأخيارِ ، وأغفلتَ ما كانَ
من تسلطهم على الجارِ ، وأردفتَ بقوله عليه السلام [في من وصل أو قطع
الرحم ، وتركتَ كلامه على تفرده] : « المسلمُ من سَلِمَ المسلمونَ مِن
لسانِه ويده » ، فوعيتُ الكلَّ عنك وعبياً ، واستوفيتُهُ شريباً وأريباً ،
وتصرَّفتُ بين محظورٍ منه ومباحٍ ، واستجمعتُ فيه إلى استعطافٍ لي واستصلاحٍ ،
ولعمركَ - وقيتَ الردى ، وجنَّبتَ الهوى - ما صدَّرتَ [صدوراً قالِ ،

١ س ط د : بمعلوم .

٢ ب م : العراض .

٣ يعنى المثني ، والبيتان في ديوانه : ٣٢٤ ، ٢٤٩ .

٤ س : شريباً وريباً .

ولا فسّد لقيلاً وقال ؛ ما تركتك توسّد^١ [للجاجك^١ ، إلا وقد يشت^١
من علاجك ، تمدّ في غلّوائك ، وتجدّ في استعلائك .

وفي فصل منها : وايمُ الله يا معشرَ القرابة ما وجدتُ أبي [رحمه
الله] يستكثُرُ بكم من قِائَةٍ ، ولا يفرعُ إلى رأيكم في مِلْمَةٍ ، ولا يمتاركُم^٥
عند نَفَقَةٍ^٢ ، ولا يمتازُ منكم على ما به من علو مرتبة^٣ ، يكلؤكم هاجعين ،
ويقيمكم مائلين ، فانما أنتم عيالٌ مَبَرَّةٌ ، وأمّالٌ دَرَّةٌ ، وأتلاءٌ عَقَبِيهِ ،
وأشلاءٌ لولا غمامةٌ سيبهِ ، وأنا أففو أثرًا هادياً ، وأفتدحُ زنداً واريّاً :

لا أحتدي خُلُقَ القصي ولا أرى متشبّهاً في سؤدَدِ بغريبٍ^٤
وكذا النجابةُ لا يكونُ تمامها بنجيبِ قومٍ ليس بابن نجيب

فمن أقبِلَ منكم قبلتُ ودّه ، ومن تولّى تركتُ ردّه ، لا أترفعُ^٥
ولا أتقلّع ، كما لا أتخشعُ ولا أتصنّع .

ومن أخرى : التأميلُ ، إذا ثبتَ فيه الدليل ، وعصّدتهُ [من] المودّةِ
شواهد ، يؤيّدُها الاختيارُ الناقد ، لم يُستربُ بجانبه ، ولا يفرغُ ماءُ الملام
على مذانبه ، فيما تحظرُ منه موانعُ الانشغال^٦ ، وتُحجِرُ عنه مخافةُ الإضجارِ
والإملال ، من مطالعةٍ يُجتنى بها زهرُ^٧ الكلام ، ويروى بها ظمأُ الأفهام ؛

١ د : الحاجة ؛ ط س : الحاجة .

٢ ولا . . . نفقة : سقط من ط د س .

٣ د ط س : رتبة .

٤ البيهتان للبحثري ، ديوانه : ٢٤٧ - ٢٤٨ مع اختلاف متعمد في الرواية .

٥ س ط د : أتوقع .

٦ س ط د : الأشغال .

٧ س ط د : تجتني بازهار .

وأنا - أدام الله أيام بهجتك - ، وإن قصّر بي عن متابعة المداخلة جلالتك ، واقتصرت بي على ما تحققتته من إخلاصي وتعويلي لإحاطتك ، فغير مفارق لدعاء صالح فيك أرفعه ، ولا لإهمال واجب لك أضيّعه ، إذ أشخاص آمالي بك استشرافها [١٤ أ] وعليك انحطاطها والتفافها ، ونحوك تنني أجيادها ، وإليك تبارى جيادها ، فمهما وقع تفريط ، فالعذر فيه مبسوط ، والقلب بودك مغمور ، وبالذكر لك معمور . ولما جدّ بي الشوق جده ، وتجاوز بي حدّه ، أعملت في هذه الأحرف أنملي ، وأملى خاطري واللوعة لا تكاد تملي ، [لتنعيم بمراجعتي شافياً بشرح أحوالك ، لا زالت زهاء أملك ، ممتناً ، إن شاء الله] .

ومن أخرى: أمّا جنّوحي إليك واعتدادي ، واقتصاري عليك واعتمادي ، فقد وضح نهاره ، وتفتّح بهاره ، ما المسك إلا دونه ، وكثير له أن يكونه ؛ وقد علمت أني واليت^٢ أمير المسلمين وناصر الدين [أبا يعقوب يرسف بن تاشفين] فيما منيت به من الأحوال ، وتصرف الأحوال ، فأختر أمره^٣ المقدار ، وليس للمرء الخيار ، وناديته الآن نداء مستصرخ قد انقطعت به الأسباب والعلق ، وزهق منه الرّمق ، ومثلك في علو النصاب ، وشرف الانتساب ، أعار بياني عنده بسطاً ، ونصّ عليه من اختلالي فرطاً ، ودعاه إلى ما يجده عند الله مُحضراً يوم القيامة^٥ ، وما

١ ب : نجني ؛ م : تجني ، ولعلها محرفة عن « تجني » .

٢ يريد أنه وإلى الكتابة إليه .

٣ ب م : أمده .

٤ ب : الرقق .

٥ س ط د : يوم يلقاه .

يبقى إلا الأحاديثُ والذِّكْرُ^١ ، ولك بما تأتيه المنُّ والشكر ، [ثم] لا يزالُ له به دعاءٌ مرفوع ، وثناءٌ على أعجازِ الركائبِ موضوع ، وأنا أستنهضُ سرَّوكَ بحسنِ المناب ، إذ أعلقتُ سببي منك بأشرفِ الأسباب ، ثقةً بمجدك ، ومعرفةً بجدك ، ومِنْ مثلكَ فليكنِ الصُّنْعُ ، والمحتدُّ الرفيعُ ينبتُ حوله الفرْعُ ، ومراجعتك الكريمةُ مؤنسة ، وعن النفسِ منفسّة .

وله من أخرى : كثيراً ما كنت أسمع إنشاد هذا البيت :

إذا أيقظتكَ حروبُ العدا فنبههُ لها عُمراً ثمَّ نمَّ^٢

فلا أدري مَنْ عمر ، إلى أن مررتَ ببالي فقلتُ : هو هو ، أخو الحياء والإنصاف ، ومشربُ الأدبِ الصافي ، وانك أبا حفصٍ - على ما فيك من عظيمِ الانقباض ، وعليك من سِرِّبالي الحياء الفضايف - لقبسٌ بيدِ المسترشد ، وسهمٌ في يدِ الرامي المسدّد ، خبأكَ^٣ الله فضيلةً لإخوانك ، وطُرفَتَ دونك^٤ عينُ زمانك .

وله من أخرى : وردني من لدنك كتابٌ وقفتُ به من مشهدك الحسن . وغيبك المؤمن ، على ما عرفتُ يقينهُ ، ووجدت قبلي قرينهُ ، ثناءً عليك يتأرجح ، وجيدةً إخلاصٍ [لك] لا تنهَجُ ، والله يديمُ خلستنا^٥ نيرةً سُرجها ، ضخمًا بسلامتك تَبجها .

١ فيه إشارة إلى قول حاتم :

أماوي ابن المال غاد ورائح ويبقى من المال الأحاديث والذكر

٢ هو من شعر بشار ، ديوانه : ٢١٧ (جميع العلوي) .

٣ ب م : حماك ؛ س ط : حباك .

٤ س ط د : عنك .

٥ ب م : خلستها .

ثم رأيتُ ما نشرتهُ من الرغبة [١٤ ب] في جَبْرِ فلان ، قَبَّحَهُ
الله من إنسان ، وعاءُ فُسُوقٍ ، له في البغي أكثفُ سوق ، وكلُّ شفاعتكم
عندي مقبول ، فالقلبُ على مودتكم مجبول ، لكنها معوذةٌ من أن
يُدنِّسَ بذلك الساقط طاهرها ، وما قَتَلَ أرضاً جابرها^٢ ، فليكنْ عندك
نَسْمَةٌ^٣ حرب ، وقرارة رَيْبٍ ، ليس كما نَحَلَّتْ^٤ من الخلال ، ولا كما
قُلَّتْ^٥ في الأحوال ؛ ووصفته بالحجِّ وإنما حجَّتِ العير ، وبالفقه وإنما هو
منه الخليُّ الفقير ، وبالقراءة وما يحفظُ التنزيلَ ، ولا يميزُ المحرَّفَ^٥ من
الحروف ولا المستطيل .

جملة ما وجدت له^٦ من الرسائل ، في الشفاعات والوسائل

فصل^٧ له من رقعة في صفة الأستاذ^٧ أبي القاسم عبد الدائم : نحن
لا ننزلُ بالحلْمَةِ ، منازلَ الحِلْمَةِ ، فتنناولها بأطرافِ البنان ، ونسلك بها شِعْبَ
أهلِ الزمان ، بل نصونها في مُضْمَرِ القلب ، ونحفظها على النأي والقرب ،
[وإنك — ما علمت — شيمتُكَ الوفاء ، وقرارتك] الصفاء ، وبعدُ :
فما زلت مفيدِي ضروبِ الفوائد ، ومقلِّدِي عجائبِ القلائد ، حتى كأنك

١ ط د س : خبر .

٢ د س ط : جبارها .

٣ ب م : سمة .

٤ ب : تخيلته ؛ م : تخيله .

٥ ط د س : الحرف .

٦ ط د س : ومما له .

٧ ط د س : نسخة رقعة له كتبها مع الأستاذ .

إذا رأيتَ ما بأرضي من الأدب الماحل ، والفهم الناحل ^١ ، أنزلتَ عليها
الماء فاهتزتَ ورَبَّتْ وأنبتتَ من كلِّ زوجٍ بهيج .
وقد طوّقتني بالأديب أبي القاسم عبد الدائم ^٢ - حرسه الله ^٣ - طوقَ
الحمامة ، وسقيتني به دَرَّ الغمامة ، فتنفستُ أنفاسَ العراق ، واجتليتُ ^٤
محاسنَ كالجَمع بعد الفراق ، فأنا الشاكرُ صُنْعَكَ ، القائمُ معك . ولقد
لطفَ فيما أَلَّفَ ، وأوَضَعَ فيما وضع ، فسرَدَ المعاني أجملَ سرد ، ونثرَ
الفقرَ نثرَ الجمانِ من عِقْدٍ ، وصرَّفَ المتأملَ فيه بين جدِّ وهزل ، ونقَّله
على أفتابٍ بين حقائقٍ وبُزُلٍ ، وقد قبلتُ ما أهداه ووضعتهُ على الرأسِ
إكراماً ، وجعلتُ له الحمدَ لزاماً وزماماً ^٥ ، فله أنتَ والله هو ! لقد
شددتَما أزرَّ العلم ، وأحييتَما عافيَ الرسم ، وهنيئاً لقطركما لقد تدفقَ بكما
سَيْلُهُ ، وتفرَّيَ عن صبحكما ليلُهُ ؛ وتصفحتُ ما قرنَ بتلك الأسفار ^٦ ،
من منتقى الأشعار ^٧ ، يتخللها من الكلم ^٨ السلسال ، والمثل المثال ، ما
يستنزُلُ الطير من وكُناتِهِ ، ويفضحُ عمرو ^٩ البيان في نزعاتِهِ ، فشهدتُ
لقد أوتي البسطةَ والفنون ، إن سَكِمَ من العيون .

١ ب : النابل ، م : النائل .

٢ أرجح أنه عبد الدائم بن مروان بن جبر اللدوي، أبو القاسم، وهو من الطائرين على الأندلس
نزل المرية ، وكان قد روى كثيراً من كتب الآداب واللغات (الصلة : ٢٧٢) .

٣ حرسه الله : سقط من ط د س .

٤ ب م : واجتليت .

٥ وزماماً : سقطت من ط د س .

٦ ط د س : الأشعار .

٧ ط د س : الأخبار .

٨ ط د س : الكلام .

٩ عمرو بن بحر الجاحظ .

وكان وصولُ الكلِّ على يَدَيِّ فلان ، وقد وصفه بصفاته ، وصقله بمراعاته ، وقد حملتُهُ^١ ما أتعطى^٢ منه ، إن لم تكن^٣ بفضلِكَ^٣ المعتدِرَ عنه .

وله أيضاً من أخرى فيه^٤ : [١٥ أ] إذا شئتَ - أعزَّكَ اللهُ^٥ - أن تجلِّوَ البصرَ ، وتحبِّوَ الفكرَ ، فقد وافتكَ الأيامُ بجلائها ، ووفرت لك من حباؤها^٦ . ويوافيك بكتابي - وافتك الآمالُ - الأديبُ الحلو الحلال ، أبو القاسم عبد الدائم ، قاصدُك [وسيدي] أبقاه اللهُ ، وستلقى به الأدبَ الموفى ، والذهبَ المصفى ، ونهزةَ الأصحاب ، ونزْهَةَ الألباب . وقد كانت استقرت به الدارُ^٧ عندي ، وأضاءَ به أفقي وزندي ، حتى أوجدهُ النفسُ أدواءً ، وآثرَ بمكانك لها^٨ شفاءً ، حيثُ المحلُّ فسيح ، والهواءُ صحيح ، والطبيبُ موات ، غير آبٍ ولا عات ؛ وقد دعوتُ اللهُ أن يُبرِّثهُ من وصِّبه ، ويرعاه في قلبه ، وأنت بمجدك تؤمِّنُ على الدعاء ، وتبتدرُ هذا العلقَ بالاحتواء ، وتلزمه [من] مسهرةِ الأطباءِ كلِّ [محمود] النقية^٩ ، مأمونِ الضريبة ، وكم بذلك من ثناءٍ ترتديه ، وعلاءٍ تحتويه ، لا زال

١ ط د س : وحملته .

٢ ط د س : أيقظني ؛ وأتعطى منه أي أستحيي ، يعني من عطاء أعطاه إياه ، وهو قليل .

٣ ط د س : إن تكون بفضلِكَ .

٤ ط د س : في خبره .

٥ أعزك الله : سقطت من ط د س .

٦ ب : حماها ؛ د : جنائها ؛ م : حمائها .

٧ ط د س : الحال .

٨ س ط د : له .

٩ ب : البقية .

مثلُ هذا النجم طالعاً في سماءك ، وزاد [الله] في مضائك^١ وبهائك ،
بقدرته الغالبةِ الباهرة .

ومن أخرى^٢ : وفلان ممن يأوي إلى خيرٍ وصلاح ، ويستضيء من
طلب العلم بمصباح ، وبحسب ذلك أحبُّ حياطتهُ ، وأريدُ إرادته ،
ورغبتِي حفية^٣ لدى مجدك في أن تضعهُ منك ببال ، وتخففَ ما يطرأ
عليه من أنقال ، وتقلدَهُ من محافظتك ما يحصلُ به على مزيةٍ حال ، حتى
يرى عليه أثر الشافع ، وتلدَّ خبرَهُ أذنُ السامع ، وثقتي بما خططتُ لك
من سطوري هذه ، أغنتني عن الاحتفال ، والإلحافِ في السؤال ، وأنت
أرطبُ عوداً ، وأخصبُ نائلاً وجوداً ، من أن يثنيك عن العلائق ، أو
يفتقرَ المشفوعُ لك فيه^٤ إلى ضمان ، فان حاشيتهُ من تلك النوائبِ والدقائقِ ،
سار شكري اليك سيرةَ الفيالق ، يوافقك بأحشاده^٥ ، ويضيقُ جوك
باعداده ، بقيتَ للفضلِ رباعاً يحطُّ إليه ، وثملاً يعولُ عليه ، وقدرُك
سامٍ ، وزمانك مناضلٌ عنك رام ، وإنما أنت ركنُ الفضلِ وأسه^٦ ،
وزينُ الدهرِ وأنسه^٧ ، ومركزُ الكرمِ وقطبُهُ^٨ ، وعينُ الشرفِ وقلبه .

وله من أخرى^٨ : لما استحکم ما بيننا استحکام البنیانِ ذي القواعد ،

١ م : مراثك .

٢ ب م : وني فصل .

٣ م : حقیقة .

٤ ط د س : له فيك .

٥ م : باحتشاده .

٦ ط د س : عنه مناضل .

٧ ب م : ورأسه .

٨ هذه القطعة والقلمتان التاليتان لما لم ترد كلها في د ط س .

وصار ذلك مستقرًا في علم الصادر والوارد ، جُعِلْتُ إليك شفيعاً ،
وارتجى النُّجْحُ بي وشيكاً سريعاً . وتصلُ أحرفي هذه على يدي فلان من
أهل شلب ، ممن كانت له جال بذلك الغرب ، إلاَّ أن عادة الأيام في
مثله مسبلوَّة ، ومنازلهم عندها مجفُوَّة ، ونَسَبَتَهُ عن الوطن والصميم ، كما
يُنْبَدُ الكراعُ من [١٥ ب] الأديم ، واعتمد هذا الوقف ، يرجو فيه
الرفق ، وأنت محطُّ أملي ، ويد عمله ، آثرك لتثير له أمراً يتقلده ، فانك
منجزٌ به متعهدٌ ، ورغبتى مؤكدةٌ إلى مجدك فيه ، فله خلالٌ تُحظيه ،
وما يقع عنده من حسن صنيعتك فهو واقعٌ من اعتداده وودادي ، موقع
الماء من ذي الغلَّة الصادي ^١ ، وما خططُ له بيدي ، إلا تكرمه لأمره ،
ومبالغةً في بره ، لمكانه عندي ، وتفعلُ يا معتمدي ما تحصلُ به على العاطر
من شكري وحمدي ، إن شاء الله .

وله من أخرى : أكرم يد - أعزك الله - يطوقها المرء جيداً مجده ،
ويزينُ بها ديوانَ حمده ، ما سدَّ خلَّةً من حسيب ، أقعدته يدُ الدهرِ
المريب ؛ وموصلُهُ - وصل الله حُرْمَتَكَ بالسلامة من نكد الأيام -
ابن المستعين بالله ^٢ - رضي الله عنه وأرضاه - توسَّلَ بي إلى مكارمك في
ترميح حالته ، والرمِّ لحوالته ، لما جفَّتْ غُضارته < وعوضَ نكد العيشِ
من رغد النعمة ، وحوَّلَ إلى الضيق بعد السعة ، وإلى التجوُّل من الدعة ،
ومثلك - ولا مثيلَ لك - رقاً لما به [. . .] شرفه ونصابه ، واغنم

١ مقتبس من قول القطامي :

فهن ينيذن من قول يصبين به مواقع الماء من ذي الغلة الصادي

٢ المستعين بالله هو أحمد بن هود ، ولعل هذه الرسالة شفاعة في أحد أولاده بعد التياث حال
بني هود في سرقسطة وإخراج أهلها لأحمد عماد الدولة وهو ابن المستعين (سنة ٥٠٣)
من سرقسطة .

الصنيعة، وحقّق ضماني عنده وما يرتجيه، فانك ستجزى بما تسديه، أجمل الذكر، وأحفل الشكر، مع الأجر المغبوط، والذخر المحوط، والله لا يُعدّمك ارتهان المنّ وارتباط الأحرار، ويحرسك من حوادث الليل والنهار.

وله من أخرى: لم تزل - أعزك الله - من الظلم معصراً^١، وعند عماء مبصراً، وعلى الخير معاناً، وللفضل عنواناً؛ وموصلي كتابي له طلب قد دثر طلكه، بالأفق الذي بك ازديانه وتجمسه، وتوجهه باذن المظفر لاستخراجه، وتشخيصه على منهاجه، ولا غنى به عن كريم مؤازرتك، ومعلوم سيادتك، برأي حسن يظهر فيه، يكون معه دنو وطره وتأتيه، وأنا أسأل سناك العناية بأمره، وإيثار العدل الذي لست مع^٢ غيره، وللرجل إليّ أذمة قديمة، وقد استوجب على علاك بذلك، غاية محافظتك واهتباك، وهو مورد عليك شأنه، ومظهر إليك برهانه، وفضلك في الاصابة إليه، والدلالة على ما حُزّت به الصواب من طرفيه، مرتهاً حمدي، ومعيداً لليد البيضاء عندي.

وفي فصل من أخرى^٣: ومؤدّي كتابي هذا لما تناكرت له الأيام، وأعوّزه في استصلاحها المرام، آثر جوازي [١٦ أ] وقصد داري، وما انتقل من ظلك إلا إلى ظلك، ولا تعوّض من محلك إلا بمحلك، فسكن سكون المريح من تعب، البعيد عن نوبه، ينتظر أن تنظر إليه عواطفك، وتستجدّ عليه عوارفك، حتى إذا كان الآن، ورأى عنان

١ المعصر: الملجأ.

٢ م: من.

٣ د ط س: ومن أخرى.

زمانه قد لان ، نبهني ونام ، وذكرني الدمام ، فوكلت عزمي برعيه
توكيلاً ، واستقبلت وجه كرامتي لديك تقبيلاً ، أسألك فضلك المعهود ،
وشرفك المسود لا المسود ، في أن ترفع عنه إساءة الحادثات ، وتجمع
له شمالاً^١ من يد الشتات ، وتوجد له سنن الحاجات إليك سهلاً ، وتقول
لذي العداوة فيه مهلاً ، وهذا — أعزك الله — يرُبني^٢ لك ما سلف من
الأيادي ، ويخط سطورها لك في سواد^٣ فؤادي ، وأشكرُك عنه كما
شكر الروضُ صباه ، والعمرُ صباه .

وله من أخرى إلى ابن العطار ، وقد ثنيت له الوزارة : في إحاطتك
الوافية ، ودرايتك الوافرة ، أنبي بك راجح ميزان الدخري ، منهل ماء
الفخر ، ثري أرض الود ، عطر رائحة العهد ، وأن بشراي تتابعت أن
هلاك في الوزارة طلع بدرأ ، وأن نداءك بها صار شفعاً وكان وترأ ، فقلت :
ساقها شغفها ، وزانها شرفه لا شرفها ، فليهنها حلولك بفرقديها ،
وجمعك بين نسريها^٤ ، وأنتك مقلدها^٥ من خلالك فذأ وتؤماً^٨ ،
وملبسها^٩ من صفاتك طرُزاً وأعلاماً^{١٠} ، حُسن يقين ، ومثابة^{١١} دين ،

١ د ط س : شمالا له .

٢ م ط : يرب ؛ س : يدب .

٣ سواد : سقطت من ط د س .

٤ ط د س : شاقها .

٥ م : وزانه .

٦ ط د س : نيربها .

٧ ط د س : تقلدها .

٨ ط د : وتؤماً ؛ س : وتؤما .

٩ ط د س : وتلبسها .

١٠ ط د س : وعلمها .

١١ ط د س : ومثابة .

وطيبَ جِذْمٍ ، ورسوخَ ورعٍ وعلمٍ ، وأدباً^١ كالروضِ نبههُ الصبأ ،
 وكرماً كالغيثِ غمرَ الربى ، ولقد قعدتُ للتهنئة فأقبلتُ إليَّ هوادياً ،
 وانثالتُ عليَّ من حواضرها وبواديه^٢ [جميعهم يضحكُ وَيُسْرُ ، ويقول
 لكلِّ أناسٍ في جميلهم خبر ، أولُّهُ كلامي ، وإلياك مقامي] فان تقدّمتُ
 ففطرَ الهبةً ، وان تأخّرتُ فلِعِظَمِ الهيبة .

ومن رسائله^٣ في الدعابة والهزل

فصل له من جواب علي كتاب [عتاب] لابن عبدوس^٤ لتقدمه
 صاحبيه ، في عنوان رقعة عليه :
 وردني من لدنك كتابٌ كريمٌ^٥ انهلتُ عليَّ منه سحائبٌ^٦ فكاهتك
 ودقاً ، فلم يترك لي من فطرَ الضحك شدقاً ، مما عدبَ استماعه ،
 وذهب بالإبداع اختراعهُ ، وان كنتَ قد تعدّيتَ طورك ، وغلبتَ
 ظننك وحكمتَ جورك ، ولم تحاسبَ نفسك عند الهجوم ، بما تقلعُ عنه
 من الإفحام والوجوم ، إذا أقيمتُ عليك الحجّة ، وسدّتْ دونك مناهجها ،
 وعرضتَ عليك المحجّة ، وضاقَتْ عنك مخارجُها ، وعلمتَ أنك مذنبٌ
 فيما فعلتَ ، منتشِبٌ [١٦ ب] فيما دخلتَ ، ووقعتَ بين ندامةٍ واعتذار ،

١ ط د س : وآداباً .

٢ م : حاضرها وبواديه .

٣ م ب : ومن رسالة .

٤ المعروف بهذا الاسم من معاصري ابن طاهر هو أحمد بن عبدوس ، مناس ابن زيدون في
 حب ولادة ، وقد توفي سنة ٤٧٢ .

٥ كريم : سقطت من ط د س .

٦ س : سحابة ؛ ط : سحاب .

وتوبة واستغفار ، ولو أنك تمنعُ نظرك ، وتدمن تدبّرك ، لما طارت بك فتخاءٌ نشاطك ، ولما توهمت أنك إن جادلت لم أعاطِكَ ، كلا ، فإنَّ خصمك لا يتنكّلُ ، على أن لسانك الأطول ، فكيف أضعُكَ أبا عامر -- كما زعمت -- موضعَ قدحِ الراكب^١ ، وأنت بمنزلة ما بين العين والحاجب ، وأصولُ بك على الأبعادِ والأقارب ، ولم أذهب إلى تأخيرك في العنوان ، وإن كنت شيخ الأوان ، إلا عنايةً بك وتحقيقاً لدعاويك ، فيما تنكره من سنينك ، وبقولك بملء فيك : إنك أصغرُ القوم سنّاً لا جسماً ، ولقد شهدت لك بما قلت عدواناً وظلماً ، لأن ما يبدو من تغضبك يكذبني ، وحسبي أن العقوبة^٢ منك ما مطّلتني ، وهذا جزاء الافتراء ، وعاقبةُ المسامحة والإغضاء ، فأين عزّبت عنك بوادرُ فطنتك ، أم أين غرّبت شمسُ فهمك وتثبُّتِكَ ؟ لقد أوليتَ اليدَ^٣ كفراناً ، وقابلتَ بالاساءةِ إحساناً ، ولو أني وفقتُ [لصدّرت بك] ، إذ تجرّي هذه المعاني على الأسنان ، ولدلت على ما يخفيه المقرّضُ من شيبك ويعانيه من هرمِ شبابك ، وقد ولاك قفاه [إعراضاً] وطلّقك ثلاثاً ، فحينئذ كنت تحمدُ وتقول : فدتك النفس والولد ، وإنما من الله لعظةٌ لأهل الزور ، وعثرةٌ منك بينةُ العثور ، لا أقيلك فيها ، ولا أقول لك : لعمراً ، منها .

١ الراكب يملق قدحه في آخر رحله ، وفي الحديث « لا تجعلوني كقدح الراكب » أي لا تؤخروني في الذكر .

٢ اضطرب النص هنا سهواً في ط د س : إذ ورد « فأين عزبت عنك بوادر . . . » وهذا سيرد بعد قليل .

٣ ط د س : الندى .

٤ منك : سقطت من ط د س .

ومن أخرى : وقد نظمت أنساً ، وبسطت منّي نفساً ، كان نأيك^١ قبضها ، وفراقك أوحشها وأمراضها ، والله هزلك ما أرقه وأعبقه ، وجدك ما أروقه^٢ وأعتقه ، إنك لفارس زمانها ، وغارس بستانها ، وإن كنت أنحيت في عتابك ، وأربيت في غلوائك لسجرائك^٣ في كتابك ، فانه حلوا من الرضى ، محمول بصحيح الهوى ، ولم أشك في الذي تضمنه من نزاعك [نحوي] ، والتياحك لبعدي ، وفي تلاحظ القلوب سلوة ، [وفي تسارب الكتب راحة ونشوة] ، أسأل الله إذالة^٤ الانتزاح بقرب يعجله ، على ما نؤمله .

وعرضت عليه رقعة رجل^٥ يتزهد^٦ ، وهو بالضد^٧ ، أطال فيها اللفظ بالوعظ وردد ، فأجابه ابن طاهر برقعة يقول في فصل منها : ورد كتابك فوعظ وذكر ، ونصح فبصر ، ونبه من سينة الغفلة ، واغترار المهلته ، [١٧ أ] وحذر من يوم الندامة ، وبعث يوم القيامة ، فيرحمك الله من هاد ، وخائف معاد ، ومبتغي إرشاد ، وداع إلى صلاح وسداد ، لقد حركت أنفاساً قاسية ، وهزرت جندلة راسية^٨ ، قد تحكّم فيها ضلالها ،

١ ب م : تانك .

٢ م ب : أوثقه ؛ ط س : أورقه .

٣ من قول أبي تمام :

قدك اتبب أربيت في الغلواء كم تملدون وأنتم سجرائي

والسجرائ : النظراء ؛ وفي م : بسجرائك .

٤ ط د س : ازالة ؛ م : إذالة .

٥ ط د س : لرجل .

٦ م ب : متزهد .

٧ وهو بالضد : سقطت من د ؛ وفي س ط : وهو بضد .

٨ م ب : قاسية .

وأفرطَ في الجهالة لإيغالها ، فَمِعَوَلُكَ دُونَهَا نَابٍ ، لا يُوْثِرُ فِيهَا بظْفِرٍ
ولا نَابٍ .

وفي فصل منها : ولا يَغْرُتُكَ ما ترى^١ فيه من سَمْتِ الوقار ،
ولزومِ الدار ، ومداومةِ^٢ التسبيح والاستغفار ، فتحتَ الرغوةَ مَدَقٌ^٣ ،
ودون ذلك الشعار من الرياءِ فِسْقٌ :

لا تمدحنَ امرءاً حتى تجرّبَهُ ولا تدمننَهُ من غيرِ تجريبٍ^٤

استخبرُ مَنْ في أفْئِكَ ، ولا تطلقُ من عِنانِ قلمك ، إلا بعد اجْتلاءِ
اليقين ، وتحفَظُ من عَدَوَى القرين ، فقد تعدي الصّاحَ مباركُ الحربِ^٥ ،
وأنا أربأُ بك من قالٍ وقيلٍ^٦ ، ومن ذا ينيب حينئذٍ لحجتك^٧ ، ويسفرُ
عن وجه القبولِ لمعدرتك ، كلاً ، فان الله لا يبدّئس منك ظاهراً ،
ولا يلبّس عليك ظاهراً ، بل يكشفُ إليك ما يصرفُ القولُ عنك ويعلمك
ما لم تكن تعلم .

وله من أخرى إلى بعضِ إخوانه وقد حضر محاصرةَ شاطبة : ورأيتَ
مآلَ الأمرِ بوقوعِ الحربِ ، وشروعِ النَّقْبِ ، وأنه وُضِعَتِ الملائيسُ^٨ :

١ ط د س : تماين .

٢ د ط س : وادامة .

٣ ط : مذقة ؛ د : مذمة .

٤ البيت في فصل المقال : ٧٧ وهو من أبيات في حماسة البحري : ٢٣٣ تنسب لأبي
الأسود الكناني .

٥ هو من قول الشاعر :

جانبيك من يجني عليك وقد تعدي ... البيت

٦ م : قيل وقال .

٧ س ط : يثبت ؛ م ب : يحجتك .

٨ الملائيس : المناقير من حديد .

فقلتَ : الآن حميَ الوطيس . فأرجو أن يُصْحِبَ الظفر ، ويُسْعِدَ^١
القَدَر ؛ وحدثتُ أنه دُعِيْتُ « نَزَالِ » فكنتَ أَوَّلَ نازل ، فقلتُ
لمحدثي : أمْجِدُ أنت أم هازل ؟ ! سيدي أشدُّ بأساً ، وأعزُّ نفساً ، من أن
يُرمَى يومَ جِلاَد ، إلا على ظهرِ جواد ، فان لبسَ زَغُفًا ، هزمَ ألفاً ، وان
تقلَّدَ صَمَّصامَةً^٢ ، لم يُبقِ هامة ، ولكن أذْكَرَهُ^٣ بهذه الشهامةِ ،
قولُ أبي دلامة^٤ :

ولو أنَّ بُرْغوثاً على ظهرِ قملةٍ يكرُّ على صفتي تميمٍ لولتِ
وقوله :

إذا صوتَ العصفورُ طار فؤادُهُ وليتُ حديدُ النابِ عندَ الثرائدِ^٥

ووددتُ أن أنظرَ عند الصبيحةِ إلى الحكيمِ أبي جعفر ، فتجتلي العينُ
منه أحسنَ منظر ، وقد صَفَّفَ مَراهِمَهُ^٥ ، وجمعَ دراهمه ؛ وأما جارُّنا
أبو الخطَّار ، ففي القنا الخطَّار ، وخصَّصَتْهُ^٦ بالتقديم للصدّاقة [والحوار] ،
وأما الفقيهُ أبو مروان فرائحُ في قميصه المدلوك^٦ ، وعليه نصفُ جُلْجُلٍ
من الوشي المحوِّك ، يحذرُ من الفُرْقَةِ ، ويقصُّ على الفِرْقَةِ ، وإنه لأنس^٧
في السِّقْرِ ، وزيّن^٨ في الحضر ؛ وأما سائرُ الإخوان ، فأرفعهم لغير هذا

١ م : ويسعف .

٢ م ب : أدركه .

٣ البيت من شعر الطرماح ، ديوانه : ٦٣ ؛ ورواية الشطر الثاني في م ب : رأته تميم يوم
زحف لولت ؛ اختار نسبه إلى أبي دلامة ، تهكماً ، وتشبيهاً لمن يتحدث عنه في الجبن
بأبي دلامة .

٤ البيت لعمر بن ذي الأصبع العدواني ، انظر كتاب من اسمه عمرو : ٥٨ وروايته : إذا هتف .

٥ ط د س : مواهه .

٦ المدلوك : المصقول .

الرهان^١ [١٧ ب] . والله يبقيك ذخراً للزمان ، وعيناً في الأوان .

وله من أخرى : خذ هذه النادرة ، من يدي هذه الطالعة الفاترة ، وأنجز لها مجدك الموعود ، وصل عندها فضلك المعهود ، فانها تقوم بمقام الجيش في الغناء ، وتصل الرواح بالغدو في الثناء ، ولولا غنة^٢ [فيها] ، تلفف فكيتها وتلويها ، لكانت أحسن الناس وصفاً ، ولا سيما إذا مسحت أنفاً ، بسبابتها عند الكلام ، وحدثت حديث مصر والشام ، فهناك يقطف الزهر ، وتغرف^٣ الدرر :

* ولكن حديثاً ما حديث الرواحل^٣ *

فهي لا تقنع بشيء سوى الحاصل العاجل ، فأقبل على شأنها لا زلت قبلة القاصد والآمل .

وله من أخرى : [الشيخ أبو الفضل لما] استبدل الجار ، أنكر الدار ، فحصل من وساوسه في بيت وبال وسقوط ، وحثي أن يظن أنه من بقية قوم لوط ، وأتى له ويعطى هذه الدرجة ، والسقط يحرق^٤ الحرجة^٤ ، ورجب عن تلك الدار متحولاً^٥ ، وقصد مجدك لا ينبغي سواه معولاً .

ومن أخرى : هذه - أعزك الله - عريضة^٥ من رأس الصباح ،

١ ط د س : الزمان .

٢ د ط س : يقطف . . . ويعرف .

٣ شطر بيت لامرئ القيس ، وصدده « فدع عنك نهياً صريح في حجراته » .

٤ السقط : الشرر عند القدح ، يقال للأمر الصغير يجر أمراً خطيراً .

٥ ط : غريدة ؛ د : غريرة ؛ س : عزيرة .

وَسَوْرَةٌ^١ شديدة من الاقتراح ، وقد وَرَدَتْ مستورة^٢ تحت الظلام ،
محفوفة بالحنام ، فأقسمُ لقد قطعنا الليلَ بها ضحكاً وتعجباً ، فما عندنا إلا
من ودَّعه صباحه ، وودعته نهاره ، وقد كان في الحل^٣ ما يكفي فهو نعم الإدام ،
كما قال عليه السلام ، ولكن أردت أن يكون لك في كل برٍ مقام ،
وقلت : هذا الحلو الحلال والحرام ، ولولا أن الصبا عني ولتى ، لرشفناه
رشفاً ، واستزدناك منه ضعفاً .

وله من أخرى : هذا الحلبي^٦ [أعزك الله] يوافي ذراك^٧ وماء الحجبل يقطر
من وجناتِهِ ، ويستغفرُ لذنب^٨ لم يكن - علم الله - من جناتِهِ ، وهو علق^٩
كما تراه لا علك ، وعند الشميم نداءً أو مسك^{١٠} ، فاشددْ يديك به ولك
الربحُ ، واسمخْ له ومن عوائدك^٩ السَّمخُ ، ومن الظلم أن يُحتسى بغير
حلاه ، فيقال كذوبٌ والصدقُ منجاةٌ ، أو يقال بذي^{١١} ، والعرضُ
نقيٌّ ، ومثلك رِقٌّ لِغُرْبَتِهِ ، وكشفَ من كربته ، فاجتلى الشكرَ في
غلائله ، واعتبقَ المجدَّ في غدائره ، لا بريحِ الحمدِ من ذخائره .

١ د ط : مسرورة .

٢ د ط س : منشورة .

٣ ب م : الأجل .

٤ د ط س : لك من ؛ ب م : له في .

٥ م : يوم .

٦ الحلبي : سقاء دبق بالحلب ، وهو نوع من النباتات ؛ ط د س : الحلي .

٧ د ط : دارك .

٨ ب : للذنب ؛ ط : من ذنب .

٩ ب : عدائك .

١٠ ب : بدي ؛ ط د م س : بري .

وفي فصل من أخرى : مرّ بنا كاتبك^١ السريُّ وأمامه وزراؤه^٢ ،
عصابةٌ كأنّها الخطي^٣ ، وقد حفّفت من حواجه ، وأحفى من شواربه ،
وهو يتفكّه^٤ ، من قادمتي حمامة أيكّة^٥ ، كمن تصنّع وترفّع^٥ للقافية
فلا تواتيه^٦ ، فسألته عنك فقال بفتور : هو - أعزّه الله - لي سنانٌ وأنا
له ميجن^٧ ، فقلت : قرّت بكما عين^٨ ، لقد تخرّج من الحرب [١٨ أ]
بظهر المحتطب ، إن لم يكن لك درعٌ تقّيك من القنا السلب^٩ ، وأستغفرُ
الله مما يجنيه^٧ ، على أن الصدق لا إثم فيه ، ووجب إعلامك بنادرة
هذا اللبيب^٨ ، فأنها من الغريب ، لا برحت في كل شَيْءٍ عين المصيب ،
ومن كل فضلٍ وافر النصيب .

ومن أخرى : لا بدّ للنفوس أن ترتاح ، وللنوادر أن تُستباح ، وفلان
أصابته طارقة ، وابنة الكرم له معانقة ، فنتفت عنه كل ريشة ،
[وتركته في أسوأ عيشة] ، وإني لأعجب من غفلاته ، والحذر في مشتبهاته ،
حتى لقد يكون حارسته من اللصوص ، وأمنع من البنيان المرصوص ،

١ ط : كتابك .

٢ م ب : زواره .

٣ ب م : الحصى .

٤ فيه إشارة إلى قول النابغة :

تجلو بقادمتي حمامة أيكّة برداً أسف لئانه بالأمم

أي أنه يبتسم عن شفتين لمياوين .

٥ س : كم يقترح ويديع ؛ ط : كم يقشع ويريع .

٦ د : بالآوبة ؛ م : بلا رسه ؛ س ط : وليه (دون إعجام) .

٧ ط : يجنب ؛ د : يجيب ؛ س : يجيب (دون إعجام) .

٨ ط د س : البيت .

ومثلك رقّ له وأولاه^١ ، وعطف عليه لما دهاه ، وكان حسناً ، لو التمسَ له سكناً^٢ ، تكونُ من شرطه ، ومن خيرٍ رهطه^٣ ، فيقطعَ بها الليلَ الطويلَ ، وينفي معها الهمَّ الدّخيلَ .

وله من أخرى : أذكّرُ سرّوكَ بالشيخِ ابنِ القزّازِ أن تخاطبهُ بِالك ، وتجعله من عمالك^٤ ، فسيحوك لك من الثناءِ بروداً ، وينظمُ عليكَ من لآليءِ الحمدِ عقوداً^٥ ، فإنه قد ترشّحَ للخطة ، وتبجحَ لحلاوةِ الضبطة^٦ ، وشمّرَ عن ساقيه لمركبِ الغبطة ، وأخافُ أن يكونَ من مراكبِ السلفِ ، التي تحدى بأند خلف ، فهي لاصقةٌ بالأرضِ ، مقيمةٌ على شدّةِ الركنِ ، فقَضَلِكَ بالتعجيلِ ، مستبدأً بالشكرِ الجزيلِ .

ومن فصلٍ من أخرى : مَشَكِي ومَشَلُك - مثلُ رجلٍ من العربِ ، استقرى عقيلةَ رَبِّرَبٍ ، بل^٧ سليلةَ فضلٍ وحَسَبٍ ، فأجزلتُ قِراه ، وأكرمتُ مشواه ، فلما اطمأنَّ المجلسُ ، وانتظمَ التأنُّسُ ، سمعتُ إلى بعضِ أوطارها ، فراقه ما تحت إزارها^٨ ، فجعل يَنْشِدُ^٩ :

١ س ط : وآواه .

٢ السكن : الزوجة ؛ ط : مسكناً ..

٣ س ط : جيد .

٤ د ط س : وتخلطه بأعمالك وتجعله من عمالك .

٥ م : برداً . . . عقدا .

٦ م ب : السبطة .

٧ بل : سقطت من ط د س .

٨ د ط س : أزارها .

٩ هو نَهْشَل - أو سهيل - بن مالك مرّيجي بن طيء فأكرمت مشواه أخت حارثة بن لام ، فلما بهره جماها أنشد هذه الأبيات (انظر فصل المقال : ٧٦ والميداني ١ : ٣٢) .

يا أُنحِتَ خَيْرِ الْبَدْوِ وَالْحَضَارَةِ مَاذَا تَرَيْنَ فِي فِتْيِ فِزَارَةٍ
 أَصْبَحَ يَهُوَى حُرَّةً مِعْطَارَهُ لِيَتَاكَ أَعْيَى وَاسْمَعِي يَا جَارَهُ
 وكذلك غَيْرُكَ^١ المخاطَبُ في شتوني وأنتَ المراد ، وإليه^٢ الإيماء ،
 وفيك يبدأ القولُ وَيُعَاد ، والله أنتَ ما أعطرَ خَلَائِكَ ، وأكثرَ اهْتِبَالِكَ ،
 لا زالت أياديك كالأطواقِ ، ومعاليك معطرّة الآفاق .

ومن أخرى : الكَرِيم يَلِين بِالْمُهْزَةِ^٣ ، وَلَا سِيمَا بِجَنَاحِ الْإِوْزَةِ ، وَقَدْ
 وَافَتْكَ عَارِيَةٌ مِنَ الرِّيشِ ، خَالِيَةٌ مِنَ الْحَشِيشِ^٤ ، تَمَتْ لِيَلِيكَ بِسَالِفِ
 الدَّمَامِ ، وَصَالِحِ الْآيَاتِمِ ، وَقَوَامُ عَيْشِهَا أَنْ تَهِيءَ^٥ لَهَا غَدِيرًا ، وَحَمِيًّا
 كَثِيرًا ، فَفَضْلِكَ فِي أَنْ يُصَحِّبَهَا^٦ رَأْيِكَ الْجَمِيلِ ، بِخُدْمَةٍ وَإِنْ قَلَّتْ ،
 وَكَلَّا فليس منكَ قَلِيلٌ ، وَتَسْتَجِدُّ فِيهَا مَنَافِعَ جَمَّةٍ ، مِنْهَا أَنَّهُ تَكُونُ مَرُوحَةً
 عِنْدَ السَّمُومِ ، وَمُضْحَكَةً لَكَ عِنْدَ الْوَجُومِ ، فَإِذَا رَأَيْتَهَا وَصَوَّحْتَهَا فَوْقَ
 [ظَهْرٍ] الْمَاءِ ، رَأَيْتَ أَبْدَعَ الْأَشْيَاءِ [١٨ ب] تَحْسِبُهَا سَفِينًا فِي الْعِيَانِ ،
 وَكَأَنَّهَا بَعْضُ مَرَابِضِ الْغَزْلَانِ ، وَلَوْ جِئْتَ أَنْ أَعْدَدَ أَوْصَافَهَا لَطَالَ الْكِتَابُ ،
 وَامْتَدَّ الْإِسْهَابُ ، [فَاغْتَنِمِ سَمَاحَ الزَّمَانِ بِهَا ، وَأَنْزِلْهَا] مِنَ الْبَرِّ فِي أَسْنَى
 مَسْرَاتِهَا ، وَإِلَى فَلَانٍ هَذَا الْإِيْمَاءُ وَهُوَ التَّصْرِيحُ ، وَعِنَهُ الْكِنَايَةُ وَهُوَ
 النَّسَبُ^٧ الصَّرِيحُ .

١ ط د س : غير .

٢ ب م : واليك .

٣ ب م : بالهزة ؛ ط س : بالهزة .

٤ م ب : الحنّيش .

٥ د ط س : تتيح .

٦ د ط س : يصحبها .

٧ ط د س : السبب .

وفي فصل من أخرى : وكأني أنظرُ اليكَ وقد استحرَّ الجِلاَدُ ،
وأدركك الإعجاب ، وهانَ عليك الكتاب ، وأنت تقول ، من فرط ما
تصول^١ :

إني انصرفت^٢ وأقلامي قوائلُ لي المجدُ للسيِّفِ ليس المجدُ للقلمِ .
اكتبُ بنا أبدأً قبل^٣ الكتابِ به فانما نحنُ للأسيافِ كالخدم

لا تعجلُ ، فلها حجاج ، كأنها زجاج ، تُفترى بها أوداج ، ولربَّ
جيشٍ هزمته ، ومُلْكٍ هدمته ، والله تعالى نعمةٌ عظيمةٌ فيما كان من الفتح ،
جاءتْ كفلتقِ الصبحِ ، تبشِّرُ دولةَ الإسلامِ ، بالنصرِ وارتفاعِ^٤ الأعلامِ .

ومن رسائله^٥ في التعازي وما يجانسها^٦

فصل له من رقعة إلى ابن رزين يعزيه في أبيه^٧ : كتبتُ لهُفانَ وقد
أسمعُ الناعي ، فأضرم نار الأسي بين أضلاعي ، للرزيةِ العظمى ، التي
رمى سَهْمُها فأصمى ، بوفاةِ مَنْ جُمِعَتْ فيه المحاسنُ والحلال ، وزال
كما تزولُ الجبال ، وقلَّ له المُشابهُ والنظير ، وماتَ بموته البَشْرُ الكثير ،
الحاجبُ ذي الرياستين أبيك ، ربُّ الشرفِ الصميم ، والحسبِ العِدِّ

١ البيتان للمثنبي ، ديوانه : ٥١٢ .

٢ رواية الديوان : حتى رجعت .

٣ الديوان : بعد .

٤ ط د س : وإيقاع .

٥ ب : رسالة .

٦ وما يجانسها : سقطت من د ط س .

٧ توفي ذو الرياستين سنة ٤٩٦ هـ ، وهذا قد يعني تاريخ هذه الرسالة .

الكريم ، أوسعه الله رحماه ، وجعل الجنة مأواه ، فانا لله وإنا إليه راجعون ؛
على الرزية فيه ، ليتني بالنفس أفيديه^١ ؛ فأما القلبُ فمنحلٌ ومُنسَلِبٌ ،
وأما الدمعُ فمنهلٌ ومنسكبٌ ، سقى الله جدتهُ سبيلَ القطرِ ، ونفعه بحسنِ
المذهبِ وجلالةِ القدرِ ، وجزاه جزاءَ المحسنين ، وأنزله دارَ المقامةِ في
عليين ، وهناك الله ميراثهُ من الرياسة ، ومكانهُ العليُّ من النفاسة ،
ومنحك العمرَ الطويلَ ، وأمتعك العزَّ الظليلَ ، وساعفك بكلِّ ما تهواه
الزمانُ ، ولا زال بك يتَّجَمَّلُ ويزدانُ .

وله من أخرى : كتبتُ وقد وافاني كتابكُ بما أطال ليلى وأسهر
عيني ، وحال بين التماسكِ وبيني ، للنازلةِ الفاجئةِ ، والحادثةِ الفاجعةِ ،
في المتوفاة^٢ - نضر الله وجهها وقدس روحها^٣ - فلقد رميتني الأيامُ
بشكلها فأصابتُ مني صميمًا ، وسلبتني علقًا كريمًا ، وأنسا عظيمًا ، وأبقت
بقلبي ندوبًا ، وتركتني على العزاءِ مغلوبًا ، فانا لله وإنا إليه راجعون^٤ ،
تسليمًا له فيما قضى ، وقولاً يوجبُ عنده الزلْفى والرضى ؛ وهو الخيمامُ ،
والموتُ الزُّؤامُ ، جعلنا [١٩ أ] الله منه على حدَر ، ووفّقنا منه لخيرِ
عملٍ ونظر .

وله من أخرى^٥ : وتوفّي فلان - عفا الله عنه - وكان البقيّةَ التي

١ أوسعه الله . . . أفيديه : سقط من د ط س ، وورد في موضعه « وفي فصل منها » .

٢ د ط س : بوفاة فلان .

٣ نضر . . . روحها : سقط من د ط س .

٤ م : رمانى الزمان ؛ ثم الأفعال على التذكير : فأصاب ، وسلبتني ، وأبقتى وتركتني .

٥ وإنا إليه راجعون : سقطت من ط د س ، وكذلك حيثما وقعت .

٦ د ط س : وفي فصل من أخرى .

يُؤنَّسُ لبقائها^١ ، ويُعشَى إلى أضوائها ، فاختلستهُ المنيةُ ، وفجعتُ به الدنيا الدنيَّة ، فمن شأنها أن تذهبَ بالأفاضل ، وتخيِّم^٢ على الأمثال ؛ نقله الله إلى رضوانه ، وحنَّفه بغفرانه ، وأحسن العزاء عنه ، وإن عزَّ العيوضُ منه .

وأما عهدنا فقد درَّسَ منه^٣ العهدُ ، بخطوبٍ يُستَمَنَّى معها الفقدُ : بلادُ لحقها التغيير ، واستولى عليها التدمير ، وأكلتِ الجوعَةَ بنيها ، وتعطلَّ الشرعُ والدينُ فيها ؛ فلا صلاةَ تُجمع ، ولا منبرَ يُرْفَعُ ، والكلُّ ذاهلٌ ، وفي حوضِ الردى ناهلٌ ، فلينحَ على الإسلامِ نائحٌ ، وليُسجبهُ صدىٌ من جانبِ القبرِ صائحٌ .

وهذا محلولٌ من شعرٍ لتوبة^٤ بن الحمير ، ويتعلَّقُ بذيله خيرٌ رواه أبو عبيدة قال^٥ : إن ليلي الأخيلىة مرَّتْ مع زوجها في بعض نُجعهمِ بالموضع الذي فيه قبرُ توبة ، فقال لها زوجها : لا بدَّ أن أعرجَ بك إلى قبره كي تسلِّمي عليه ، وأرى^٦ هل يجيبكِ صدهاء كما زعم حيثُ يقول : ولو أنَّ ليلي الأخيلىة سلَّمتْ عليَّ ودوني جندلٌ وصفائحُ لسَلَّمتُ تسليمَ البشاشةِ أو زقا إليها صدىٌ من جانبِ القبرِ صائحٌ فقالت له : وما تريد من رمةٍ وأحجارٍ ؟ قال : لا بدَّ من ذلك ، فعدل بها عن الطريق ، فلما دنت راحلتها من القبر ورفعت صوتها بالسلام

١ ط د س : لبقائها .

٢ ب م : وتخيِّم .

٣ م : منا .

٤ م : قول توبة .

٥ أثبت صاحب الأغاني (١١ : ٢٢٩) روايةً أخرى وفيها أن ليل هي التي أصرت على التسليم .

٦ ب م : حتى أرى .

عليه ، إذا بطائرٍ قد استظلَّ بججارةِ القبرِ من فيحِ الهاجرةِ وطار فنفسرَ راحلتها فَوُفِصَتْ^١ بها فماتت . وهذا اتفاقٌ غريبٌ ، وحديثٌ في هذه الهامة عجيبٌ ، وهي على ما زعم الأعرابُ طائرٌ يخرجُ في القبرِ من رأسِ القَتِيلِ فلا يزالُ يقولُ^٢ : اسقوني ، اسقوني ، حتى يؤخذَ بثاره ، وفي ذلك يقول الآخرُ^٣ :

يا عمروُ لا تدعُ شتمي ومنقصتي أضربكَ حيثُ تقولُ الهامةُ اسقوني
وهذا الخبرُ في شعرهم أشهرُ من أن يذكر .

وله من أخرى : الدنيا - صرفَ الله عنك صروفها - على الفجائعِ مبنيةً ، [وقصارها كدرٌ أو منيةٌ] ، وانَّ الحازمَ من وطنَ لأحداثها ، وأيقنَ بانكائها ، فأوسعها صدرًا رحيبًا ، وقلبًا صليباً ؛ وكتبَتُ والدمعُ محدودر ، وقد حُمِّ قضاةٌ ونفدَ مقدور ، بوفاةِ الولدِ الطيبِ المباركِ أبي عبد الله ابنا ، وقرّةِ أعيننا ، كان - نضّرَ الله وجهه ولقاه رحمته ومغفرته ، ورفع في دار المقام منزله ° - فناهيك بأسفي عليه وتوجّعي ، وما أوقد [١٩ ب] نارَ^٤ الأسي بين أضلعي ، فانه كان مرجوًّا في الأبناء ، معدوداً في النُجباء ، للسيادةِ مرشّحاً ، وبالفضائلِ مؤشّحاً ، ينهلُ الخيرُ من أعطافه ، ويعجبُ الدهرُ من أوصافه ، أكرم به من سليل ، كان على أحسنِ خليقةٍ وأهدى [طريقةٍ وأقوم] سبيل ، ولكن ياأبي الله إلاّ ما

١ وقصت بها : كسرت عنقها ؛ وفي ط د س : فرقصت بها فوقعت .

٢ ط س د : يصيح .

٣ هو ذو الاصبع العدواني ؛ انظر المفضليات : ٣٢١ .

٤ قد تقرأ في ب : بولد الولي .

٥ المبارك منزله : سقط من د ط س .

٦ نار : سقطت من د ط س .

يريد ، فأسعد بجواره ونعم السعيد^١ .

ومن أخرى : كتبتُ مُجْمِلاً ومختصراً ، ومنتحياً مستعبراً^٢ ، وأعزّزُ عليّ بأنّ أعزّي^٣ مخاطباً ، ولا أكونَ مشاهداً ومواظباً ، وان المقدمَ لحرمته ، لفائزٌ من الله بأنم نعمته ، فسلوأ^٤ - أعزكما الله - عن الحادث^٥ سلوآ ، ودعاءً إلى الخالقِ مرجوآ ، في أن يكشفَ عنكما الغمَاءَ ، وينيرَ بكما الظلماءَ ، وأبشرا على الصبر الجميل ، بالأجرِ الجزيل ، وما حطّ ما أصبتما به من قَدْرٍ ، وإنما حطّ من وِزْرِ .

وله من أخرى :

* عيدٌ بأية حالٍ عدتَ يا عيدُ *

عاد والله بفيضِ الدموع ، وفضّ الضلوع ، ومفارقةِ الأعزّةِ الجلّةِ^٥ ، ومخالفةِ الأسى والذلةِ ، فتوهّم^٥ - أبارك الله من نُوبه - ما بقلبي من تلهّبهِ ، للحال التي أنتم عليها ، وكيف مُقامي ، وانتحابي واحتدامي ، ولكنني ضارعٌ إلى الله أن يغفرَ الذنوبَ ، ويكشفَ الكروبَ ، وإنا لله وإنا إليه راجعون على هذا المنظرِ ، في هذا اليومِ الأكبرِ ، وقد عهدناه أغرّاً وضاحاً ، يُعيدُ الليلَ فجرأً وصباحاً ، وهو المرجوُّ لتلافينا ، والإقالةِ من عثراتنا ومهاوينا .

١ ولكن . . . السعيد : سقط من د ط س .

٢ د ط س : ومعتبرا .

٣ ط د س : أكون .

٤ م : الحادثات .

٥ د ط س : والأجلة .

٦ د ط س : بها .

وله من أخرى : أيُّ ذهنٍ - أيديك الله - ينطاع ، أم أيُّ كلامٍ يُستطاع ،
واللسانُ معقول ، والفؤادُ منقول ، والدمعُ هامرٌ ، والشجُوُّ دائرٌ ، لما
طرقتُ به الأيام ، وقرعَ به الحمام ، حين صرخ بالمجدِ ناعيه ، ونفضتِ
التربَ يد مواليه ، وقامت للبكاء نواديه ، طوراً تؤبنه^١ وطوراً تخاطبه :
[وكان حصاداً للمنايا ازْدَرَعَنَّهُ^٢ فهلاً تركزَ النبتَ ما كان أخضراً^٣

ذلك بحر السياب ، من المقتبل الشباب] ، نخيلةِ الرجاء ، وسلالةِ
الرؤساء ، مولاي ، كان - قدس الله روحه وأنس بالعفو ضريحه^٣ -
من ، والله ، جدعَ لفقده أنفُ المكارم ، وصدعَ من شملها المتلائم ،
وانحسر به عن الدنيا زِينُها ، وفقدت بل فُقِئتُ منها عينها ، فهي عاريةٌ
عوراءُ ، ناكلةٌ غبراءُ ، لخطبٍ ما سكَّ المسامعَ شكُّهُ ، ولا صكَّ
الحدودَ مثله ، هَدَمَ ، والله ، جَسَدِي ، وَجَدَمَ يدي ، وقصمَ ظهري ،
وعاضني من عُرْفِي بِنُكْرِي ، وَعَصِيبَ له باللهاةِ الريقُ ، وحالفني السهرُ
والتأريق ، وكيف لا وقد قَرِحَتِ الجفونُ ، وسال بالدم غرْبُها الهتون ،
[إذ رمى الدهرُ فأصمى ، وغيمَ فأعمى ، والحمد لله الحاكم ببقائه ،
العادل في قضائه ، وما أُصِيبَ - أيديك الله - من أُنِيب ، والصبرُ أحق ،
وهو بك أليق :

وكلَّ فتىً وإن أمسى وأثرى ستخلجه وإيانا المنونُ]

وفي فصل منها : وبالله أجلّ الأقسام ، لولا مقيِّداتُ لي من الأسقام ،
لسرتُ إليك سَيْرَ العَجُولِ ، وبادرتُ [٢٠ أ] بدارَ الثكول ، لأنتجبَ

١ ط د س : تؤبنه ؛ م : توانيه .

٢ البيت لأبي حزابة التميمي واسمه الوليد بن حنيفة (الأغاني ٢١ : ٥٩ ط. دار الكتب) .

٣ مولاي . . . ضريحه : سقط من ط د س . ٤ ط د س : عبرا (عبري) .

شاهداً كما انتحبت^١ غائباً ، وأؤدي من مفروضات أياديك واجباً .

وله من أخرى : موهوبُ الدنيا - أيديك الله - إلى استلاب ، ومعمورُها إلى خراب ، ومطمعُها كالأل والسراب ، تُغافِصُ^٢ ذا العزّة ، وتقطع درّة^٣ الدرّة ، وتخونُ^٤ ذا الثقة المبيّرة .

وفي فصلٍ منها : فرعٌ [والله] من الفضل ذوى ، ونجمٌ في الرياسة خوى ، أظلمت بعده الآفاق ، وأدرك تمامها المحاق ، وإلى الله الشكوى ، فهو أضحك وأبكى ، والحمدُ لله على نافذِ أفضيته ، ومحتوم قدرته ، وهو المنهّل ، لا يُعَلُّ^٥ منه الذي ينهل ، فالتماسكُ عند هجومه ألزم ، ووفورُ الأجرِ عند ذوي النهى أحزم .

وفي فصل من أخرى : أسرع اليك يا معتمدي الفِطامُ ، وأقصدتك للحوادث سهام ، وحملت ثقلاً لا يُطاقُ ، وتغيرت له الآفاق ، فقبحاً لدنيا عَفَّتْ^٦ بيدها جمالها ، وَحَدَّتْ^٦ لارتحالِ بهجتها^٦ جِمالها .

ومن أخرى : كتابي عند ورودِ الخبرِ الصحيح بالتغلبِ على دانيةٍ وتثقيفِ قصبتهَا ، وتملكِ معزُّ الدولة - [استنقذه الله] - وهجومِ المنية على إقبالِ الدولة - [رحمه الله] - فاعجبُ يا سيدي من انتقاضِ الحال بغتةً^٤ على الفور ، وذهابِ دولةِ السؤددِ والسرو^٦ ، على بُعدِ مرامها

١ ط د س : أنتحب .

٢ س : ذا .

٣ م ب : لانهجت الى بهجتها .

٤ ط د س : بعده .

٥ ط د س : السرور .

٦ م : والسور .

وشدة أركانها ، وعزّة سلطانها ، أعاذنا الله من سوء القضاء ، وجعلنا في حيز الاحتماء . ولما وردَ هذا الخبرُ الذي يورد المنون ، ويسهّرُ العيونَ ، طيّرتُ به إليك على شرطٍ ما بيننا من التساهم في الأمور ، في القليل والكثير ، [واللهُ يقِي جانبكَ ويكفيه ، ويدبُّ عن قطرك ويحميه ، بقدرته] .

وفي فصل : يجبُ أن تعذرني - أعزك الله - إذا كتبتُ ، فالذهنُ قليل ، والقلبُ عليل ، والقول قليل ؛ وبلغني ما أصممتك به الأيامُ في الصميم ، والظلُّ الكريم ، بوفاةِ الوالدة الطاهرة ، والحنّة الساترة ، ألحفها اللهُ رحمته ، وألحقها جنّتهُ ، ومثلك في رُجحانه ، لم تنوّه المصائب من أركانه ، بل سلّمَ اللهُ في حكمه ، واسترجع للخطبِ على عظمه ، فغَنِمَ الثوابَ ، [وعلمَ المآبَ] .

وله من أخرى يعزّي بموت المقتدر : أيُّ خطب - أيُّدك الله^٢ - طلعت به النوائب ، واسودّت له المشارقُ والمغارب ، لقد ترك شملَ الإسلام صديعاً ، وصيّرَ عبّرةَ الشؤون^٣ نجيعاً ، بمن كنّا نلوذُ به : قريع الزمانِ ، ومُبير العدا ومُولي الإحسان ، مولاي المقتدر بالله - نفع الله صداه ، وكرم مثواه^٤ - فلو درى الحمامُ بمن فتجع ، لارعوى أو توجّع ، ولكن هكذا تزولُ الجبال ، وتنصرمُ الآمال ، وينهالُ السناء [٢٠ ب] وينهدمُ البناء . وفي فصل [منها] : وما أعملتُ يداً إلا والدمعُ منسجمٌ ، والشجوةُ

١ ط د س : تهد .

٢ ط د س : أعزك الله .

٣ م ب : غرة الشرف .

٤ مولاي مثواه : سقط من ط د س .

مُحتدِمٌ ، وقليلٌ أن تطيشَ الألبابُ ، وقد حَلَّ^١ هذا المصابُ ، وفي
مولاي الرجاء والعزاء ، وإليه الانتماء والاعتزاء ، لا زال يستقبلُ دهرًا
جديدًا ، وعمراً مديداً ، حتى يخلدَ ذكراً مشيداً ، وفخرًا تليداً .

وله من أخرى : مالي أرى المجدَ - أعزك الله - قد سُدَّتْ معالمه ،
وانهدَّتْ دعائمه ، بفقد من كان يُغرقُ البحرَ فيضُ نواله ، ويكائرُ نجومَ
السماءِ بعضُ خياله ، واحدِ الدنيا ، وجامعِ العُلْيَا ، ومن كان يُطرقُ
الحليمُ لأناتِهِ ، ويحارُ الفهم من آياته^٢ ، ويعزُّ الدينُ بمكانه ، وبذلُّ
الشركُ لسلطانيهِ ، مولاي المقتدر بالله - قدس الله روحه ، ونورَ ضريحه^٣ - .
وفي فصل : وإني لأعلمُ نَيْلَ الخطبِ منك ، وصَدَرَ الرزءُ^٤ عنك ،
وحيثُ انتهى [بك] البكاء والعويل ، وغناءُ لعمرى لذي^٥ المصابِ قليل ،
وما أعزَّيكَ وأتركَ نفسي ، وقد شردتْما سَكَنِي وأنسي ، ولكن أعرِضُ
عليك مكانَ السلوِّ وقد لاح لي بدرُهُ ، بالرئيسِ الشهمِ^٦ المعظمِ قَدْرُهُ ،
الحاجبِ مولاي المؤمن ، فذئَّ العصرُ^٧ ، ومقتادِ كلِّ كريمة ، [وورَّادِ
كلِّ كريمة] مَن يحمي الحمى ، ويُسدي النعمى ، ويزاحمُ الأفلاكَ ،
ويبهرُ الأملاكَ .

١ د ط س : جل .

٢ ب م : اناته .

٣ مولاي . . . ضريحه : سقط من ط د س .

٤ ط د س : الرزء .

٥ ط د س : الخطب .

٦ ب م : لذني .

٧ ط د س : السني .

٨ الحاجب العصر : سقط من ط د س .

وله من أخرى : أني يُستطاعُ الكلامُ - أيّد الله مولاي^١ - وقد
اغبرت الدنيا وأظلمت الآفاقُ ، ونُعِيي^٢ الإسلامُ ، وعني به الحِمَامُ ،
وقامت نوادبهُ ، وأوحشت مغاليه وجوانبهُ ، ولكنني أقولُ عن صُعدائها ،
وللعينِ غصصٌ بمائها ، وللنفسِ تنفّسٌ من بُرحائها : لقد مات منقطعُ
القرين ، وكاليء هذا الدين ، من كان - والله - ينيرُ إذا دَجَتِ الخطوبُ ،
ويثيرُ إذا عنّ الهبوبُ^٣ ، ومن يملأُ الأفواهَ طيبُ ثنائه ، ويملكُ القلوبَ
بشرُّ لقائه ، ومن كان يرهبُ الشركُ صَوْلَتَهُ ، ويخافُ العدوَّ وطأتهُ ،
فبردَ الله ثراه ، وسقاه الحيا ورواه ، فلو يعلمُ التربُّ ما ضمُّ^٤ من كرمٍ
ونائل ، وحلِّمٍ إذا خفّتِ الحلومُ غيرُ زائل ، لطاول^٥ السماءَ ، واعتنقَ
الجوزاءَ ، ولقد قلتُ لما غالتي فيه الغوائل :

فما كان ما بيني لو آني لقيتُهُ^٦ وبين الغنى إلا ليسانٍ قلائل^٦

وله من أخرى : الدنيا - أعزّك الله - ليست بدارٍ قرارٍ ، والمرءُ منها
على شفا جُرْفٍ هارٍ ، وإنما هي جِسرٌ على الطريق ، وعدوٌّ في ثيابِ صديقٍ^٧ ،

١ م : أيّدك الله ، وسقطت العبارة من ط د س .

٢ س : وقد نعي .

٣ س : ذعر الهبوب ؛ ولعلها « الهبوب » .

٤ د ط س : ضمته . ه د ط س : لطلال .

٦ محور بعض تحوير عن قول الحطيفة في رثاء علقمة بن علاثة (ديوانه : ٢٤) :

وما كان بيني لو لقيتك سالماً وبين الغنى إلا ليالٍ قلائل

ومثله ينسب للنايفة الذبياني (ديوانه : ١٩) .

فما كان بين الخير لو جاء سالماً أبو حجرٍ إلا ليالٍ قلائل

٧ مقتبس من قول أبي نواس :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدوٍّ في ثيابِ صديقٍ

ولما بلغتني وفاة فلان - [رحمه الله و] نصر^١ وجهه وبرّد ثراه - علمتُ أنك الجبلُ الذي لا يرتقي الجزعُ ذراه ، وإن كان سهمُ المنايا أصابَ حميماً ، واستلب كريماً ، فقد أبقي اللهُ^٢ بك الصدعَ مرزوباً ، والجزعَ مغلوباً .

ومن أخرى : كتبتُ والدمعُ وآكفُ ، والحزنُ عاكفُ ، للرزيةِ الشاملة ، والقاصمةِ النازلة ، في فلان ، فيا عظم ما [٢١ أ] دَهَمَت^٣ به الأيام ، وفُجِعَ فيه الإسلام ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، تسليماً لنافذِ القضاء ، ومقدّرِ الفناء ؛ ولقد نالني من الكرب لهذا الخطب ما لو شهدتهُ لراعك المنظر ، وبلعلتُ نفسُك الكريمة تتفطر ؛ وخاطبتُ الحاجبَ - أيد الله صبره ، وجبرَ صدّعه - مقيماً للرسم في تعزيتِهِ ، ولو استطعتُ لنهضتُ بنفسي لقضاء الحق وتوفيته ، فنسبُ بفضلك عني مناباً [كريماً] ، وأعلمه - أيد الله - تفجّعي وتوجّعي ، وتأسّفي وتشيعي ، وفي بقائه ما يسدُّ الخللَ ، ويمدُّ الرجاءَ والأمل .

فصول اقتضبتها من كلامه في وصف ثغور البلاد والاستنفار للجهاد

فصل له من رقعة : استوضحتُ جميعَ تلك الأحوال التي وصفتها ، والأحداث التي قصصتها ، فأكبرتُ وقوعها ، ثم عرفتُ للأيام صروفها

٢ م ب : نصر الله .

٣ ط د : فدحت . س : قدحت .

٤ ب م : والاستعداد

وصدوعها ، وتألّت لما يجري على المسلمين من نكدي فاضح ، وتلفٍ فادح ، فليت شعري أين البصائر ، وحتّامَ تدورُ هذه الدوائر ، على رمق الجزيرة وقد أشفى ؟ أما آن للنصر أن يتّبع [وللداء] أن يشفى ؟ نظر الله للكلِّ ، وأراهم مواضع الرشد ، من العقديّ والحلِّ ، بمنه .

وفي فصل^١ : كتابي بعد أن^٢ وقفتُ على كتاب فلان^٣ الذي أودعه ما ودّع من حيات^٤ ، ولم يدع مكاناً لمسلاة^٥ ، فانه للقلوب مؤذٍ ، وللعيونِ مقديّ ، وللظهورِ قاصم^٦ ، ولعُرى الحزمِ فاصم^٧ ، فليندبِ الإسلامَ نادب^٨ ، وليبك له شاهد^٩ وغائب^{١٠} ، فقد طُنّبي مصباحه^{١١} ، ووُطّبي ساحة^{١٢} ، وقُصّ جناحه ، وهيض عضده^{١٣} ، وغيض ثمده^{١٤} ، إلى الله نفرع^{١٥} ، وإليه نضرع^{١٦} ، في طارقِ الخطبِ ومنتابه ، فلا حولَ ولا قوةَ إلاّ به ، فهو كاشفُ الكروب ، وناصرُ المحروب .

وفي فصل^٨ : واتّصل بنا أنه أباد الديار ، في جميع تلك الأمصار ، والمسلمون بينهم سوام^{١٧} ترتع^{١٨} ، وأموالهم نهب^{١٩} يوزع^{٢٠} ، والقتلُ يأخذ

١ القلائد : ٥٨ ، والرسالة الى المعتصم بالله صاحب المرية المرية ايام رياسته .

٢ كتابي بعد ان : سقطت من ط د س .

٣ القلائد : كتاب المنصور ملاذي المعتد بك ايديك الله .

٤ ط د س : ما أودع من حياة .

٥ م : للمسلاة .

٦ م ب : وللظهر .

٧ القلائد : نوادبه شاهده وغائبه .

٨ يذكر في الرسالة - كما اوردها صاحب القلائد - أن فرديناند نزل على قلعة ايوب محاصراً ، وغرسية بسرقة ، ورذهر بوشقة وما والاها .

منهم فوق ما يدع ، فأطلِ الفكرةَ في هذا الحرمِ الداخل ، والبلاءِ الشامل ،
واللهُ المرجوُّ لكشفِ الغُمَّةِ ، وتلافي الأُمَّةِ ١ .

وفي فصل من أخرى : ورد كتابك بالخطبِ الأبتعِ ، والحادثِ
الأشنعِ ، الجاري على المسلمين - نصر الله مقانبيهم ، وجمع على الائتلافِ
مذاهبهم - في مدينة بربرشتر ، وكانت صدرأ في القلاعِ المنيفة ، وعيناً من
عيونِ المدائنِ الموصوفة ، إلى ما سبق قبلُ في القلعة القلهرية وغيرها من
مهمات القلاع : الدروب ٢ والمعاقيل ، وخطيراتِ الحصونِ والمنازلِ ،
فأطار الألباب ، وطأطأ ٣ الرقابَ ، [وصرم الآمالِ والهمم ، وأسلم
من الذلة والقلّة إلى ما قصم] وانك رأيتَ الحال في معرضِ جلالها للنواظرِ
[عياناً] ، ووصل [٢١ ب] بينها وبين الخواطرِ أسباباً وأشطاناً ، فما
شئتَ من دمعٍ مسفوحٍ مراقٍ ، ونفسٍ مترددةٍ بين هاهنا وتراقٍ ، وأسىً
قد قرعَ حُصَيَّاتِ القلوبِ فرضَّها ، وعدل عن المضاجعِ بالجنوبِ فأفضَّها ،
ومآل تستكُّ من سماعه الأسماع ، وتضيقُ عن إيرادِ حقيقته الرقاع ، فالله
[يدرأ] في نحرٍ ما فدح من الخطوبِ الكبارِ ويدفعُ ، ولإليه نلجأ فيما أَلظَّ
من عقيمِ الدواهي ونفزعُ ٥ ، فمنه الغوثُ والانتصارُ ٦ ، ومعادةُ الإقالةِ إذا
جدَّ العثار .

وفي فصل من أخرى : وإن الملائمَ الكريمَ - تكفَّلَ اللهُ به - وردَ وقد
امتطى العزمَ ظهراً ، واستشعر النصيحة سرأً وجهرأً ، ووسَّع نطاقَ البيانِ ،

١ ط د س : غمته . . أمته .

٢ ط د س : مهمات الدور . ٣ في النسخ : فاطارت . . . وطأطأت .

٤ ط د س : صدر . ٥ س ط د : يالجا . . . ويفزع .

٦ ب م : والانتصار .

ونذب إلى ما فيه ثبات الإيمان ، وأعرب عما رأته ورآه ، مَنْ في طاعتك من جموع المسلمين - وفقهم الله - من الاستنفارِ لأمرِ هذا العدو الذي قد سحبَ في الجزيرة أذيالَهُ ، وفوقَ للاستيلاء على حدودها ٢ نصالَهُ ، لما تحقَّقَ له أن ٣ العزائمَ عن مقارعتة ناكلة ، والبلاذَ من أعدادٍ تقاومُهُ عاطلة ، فبانتُ أصالتك وتفردُ جدِّك ، وتجددَ الحفاظ والانتقاذ للملة الإسلام بجهدك ، وقد تعيَّنَ البدارُ على كلِّ رئيس ومرعوس ، ولزم الجهادُ كلَّ شريفٍ ومشروفٍ ، وقبيحٍ على المسلم أن يحلَّ لإزاراً ٤ ، ويسوخَ من الكرى غيراراً ، وإخوتهُ المسلمون بين مشدودٍ بالإسار ، أو جزرَ النيوبِ والأظفار ، تالله ما في النصفَةِ أن تُسكِّنَ الظلال ، وأطواقُ حَمَلَةِ القرآن الأغلال ، [والله تعالى يصيِّرُ الأيدي في الدفاعِ يداً ، ويعيدُ العدوَّ المستأسدَ مهتضمًا مضطهدًا] .

ومن أخرى ٥ : كتبت - أيَّد الله أمير المسلمين - وقد وافى الخيرُ المبهج بأنَّ الجزيرة المهتزمة - حماها الله - حلَّتْها إمامها العادلُ ، وسيفُهُ العاملُ ، وليثها الخادرُ ، وقَرْمُها المبادرُ ٦ ، فكان عندي كالماء للظمان ، والنجم للحيران ، فقلتُ : خبرٌ والله جلَّتْ الشك من اليقين ، وشفى صدورَ قومٍ مؤمنين ، فالحمدُ لله ربِّ العالمين ، إذ يقيمُ الله به للحقِّ مناره ، ويحمي من الإسلام ذماره ، فأنفُ الكبرِ أجْدَعُ راغمٌ ، ووجهُ الظلمِ أسْفَعُ قائمٌ .

١ س ط د : ثبوت .

٢ م : حصونها .

٣ ط د س : لما تحقَّقه من أن .

٤ وتفرد . . . البدار : سقطت من ط د س . ه ط س د : أزارا .

٦ سقطت هذه الرسالة من ط د س .

٧ ب م : المعاذر ؛ ولعل الصواب « المغاور » .

وودِدْتُ أن أسعدَ بلقائه ، وأستظلَّ بلوائه ، وألِّمَ بجوانبه ، وأسيرَ في كتابه ، فأنالَ حظاً جسيماً ﴿ يا ليتني كنتُ معهمُ فأفوزَ فوزاً عظيماً ﴾ (النساء : ٧٢) . ولولا أن العدوَّ - فصره الله - بهذه الأقطار ، يجوسُ خلالَ الديار ، فلا تمكُنُ المسالك ، ولا تتورَّدُ المهالك ، لكنتُ أوَّلَ واردٍ مع الورادِ ، ولقضيتُ فرَضَ الجهادِ ، وملأتُ عيني مدن ملاء البسيطةَ عدلاً ، وزاد الفضيلةَ فضلاً ، وإنَّ العينَ لنفيضُ من الدمع ، لما جندتُ بي الأيامُ [٢٢ أ] في القطع ، وعسى اللهُ أن يفسحَ المهلَّ ، ويرفعَ الوجلَ ، ويبرئ العللَ ، ويبلغَ الأملَ .

وفي فصل من أخرى : وفيما ذكرتُ قرعُ الظنابيبِ ، وشرعُ الأنايبِ ، وهرجُ يشملُ البعيدَ والقريبَ ، ومحضُ ودي ، وصحيحُ عقدي ، وما لا يُشكُّ^١ فيه عندي ، يحملني لك على الانتصاح ، شحاً مني ورغبةً في الصلاح ، وحسماً لأسبابِ الفتنة ، التي تعظمُ معها المحنةُ ، فإن وافق قولِي قبولاً ، وكان على أحسنِ التأويلِ محمولا ، فذلك الذي إليه عرَضتُ وله تعرَّضتُ ، وإذا كان ما سواه ، فهي أمورٌ يريدُها الله .

وله من رقعة إلى ابن جحّاف أيامَ ثورةِ ابنِ عمّه ببلنسية^٢ : قد ألبستني - أعزك الله - من برك ما لا أخلعه ، وحمّلتني من ثنائك^٣ ما لا أضيّعه ، فأنا أستريحُ إليك استراحةَ المستنيم ، وأصرفُ الذنبَ على

١ ط د س : شك .

٢ انظر قلائد المعقّيات : ٧٠ و Recherches لدوزي ٢ : IV (من الملحقات) .

٣ ط د س والقلائد : شكرك .

الزمن المستليم^١ ، وإن ابن عمك - مد الله بسطته - لما ثار ثورته التي ظن أنه قد بلغ بها السماك ، وبذت معها الأملاك^٢ ، نظر إلي متخازراً [متشاوراً]^٣ ، وتحيلني محاسداً أو منافساً ، ولعن الله من حسده جمالها :

فلم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها^٤

ثم تورم علي أنف غرته ، فرماني بضروب^٥ محنته ، وفي كل ذا أنجرعه على مَضَضِهِ ، وأنغافل لغرضه ، وأطويه على بُلُوكِهِ ، وما أنتصِرُ بشيء سوى عمله^٦ ، إلى أن رأى اليوم [سوء رأيه]^٧ ، ان يزيد في تعسفه . وبغيه ، فاستقبلت من الأمر غريباً ما كنت أحسبه ، ولا بان إلي سببه ؛ ولما جاءه رسولي مستفهماً ، عبسَ وبسرَ ، وتاه^٨ واستكبر ، فأمسكتُ محافظةً للجانب ، وعملاً على الواجب ، لا أن هيبة أبي أحمد قبضتني ، ولا أن مبرته عندي اعترضتني . وأقسم بالله حليفة بر : لو الأيام قذفت بكم إلي وأنا بمكاني ، لأوردتكم العذب من مناهلي ، ولجعلت^٩ جميعكم على عاتقي وكاهلي ، ولكن الله يعمر بكم أوطانكم ، ويحمي من النوب

١ ط د س والقلائد : المليم .

٢ س ط : الأنداك .

٣ زيادة من القلائد .

٤ ب م : فلم تكن تصلح له ولم يكن يصلح لها ؛ س : ولا كان يصلح . . والبيت لأبي

المتاهية ، ديوانه : ٦١٢ .

٥ القلائد : بصروف .

٦ ط د س والقلائد : بشيء من عمله

٧ زيادة من القلائد .

٨ القلائد : وأدبر

٩ د : ولجملت ؛ القلائد : وحملت ، س ط : وتحملت .

مكانتكم^٥ ، ويحوطُ هذه السيادةَ الطالعةَ فيكم ، النابتةَ بمعاليكم^١ ، فلا يسركَ مفظعُه ، وليسوكَ مَصْرَعُه ، فما مثلهُ يُمَطَّلُ ، ولا يلبثُ حيناً ولا يُمهَلُ .

قال أبو الحسن^٢ : ومُدَّ لأبي عبد الرحمن بن طاهر هذا في البقاء ، حتى تجاوز [مصارع] جماعةِ الرؤساء ، وشهد محنةَ المسلمين ببلنسية على يدي الطاغيةِ الكنبيطورية^٣ - قصمه الله - وحصل بذلك الثغر ، في قبضةِ الأسر^٤ ، سنة ثمان وثمانين وأربعمائة^٥ ، ومنها كتب رقعةً إلى بعض إخوانه يقول^٦ فيها : كتبتُ منتصفَ صفر ، وقد حصَلنا في قبضةِ الأسرِ ، بخطوبٍ لم تجرِ في سالفِ الدهر ، فلورأيتَ قُطْرَ بلنسيةَ - نظرَ الله [٢٢ ب] إليه : وعاد بنوره عليه - وما صنعَ الزمانُ به وبأهليه ، لكنتَ تندبُه وتبكيه ، فلقد عبثَ البلى برسومِه^٧ ، وعفَى^٨ على أقمارهِ ونجومه ، فلا تسألُ عما في نفسي ، وعن نكدي ويأسي ، وضُمتُ الآن إلى الافتداءِ ، بعد مكابدةِ أهوالِ ذَهَبْتِ بالدِّماءِ ، وما أرجو غيرَ صنْعِ الله الذي عوَدَ ، وفضليه الذي عهَدَ ؛ وساهمتك مساهمةَ الصفيِّ ، لما أعلمُ من وفائك وتمثلك الحففي^٩ ، مستمطراً من تلقائك دعوةَ إخلاص^{١٠} ، عسى^{١١} أن تكونَ سريعةً

١ ط س والقلائد : البانية لمعاليكم .

٢ تارن بالخلقة السيرة ٢ : ١٢٥ ودوزي ٢ : ٧ .

٣ ط س : طاغية كان يدعى الكنبيطار ؛ قلت : وسيأتي التعريف به .

٤ ط س د : وحصل لديه أسيراً . . .

٥ علق ابن الأبار على هذا بقوله : كذا قال ابن بسام وإنما دخل الكنبيطورية ببلنسية سنة سبع وثمانين .

٦ ط د س : قال . ٧ م : برسومه وبأهله .

٨ د ط س : وعدا .

٩ مساهمة . . . الحففي : سقط من د ط س . ١٠ ط س د : الاخلاص .

١١ م : على أنها عسى .

إلى فَرَجٍ وِخْلاصٍ ، بِإِذْنِ اللَّهِ ، فَهُوَ - عَزَّ وَجْهَهُ - يَقْبَلُ الدُّعَاءَ مِنْ دَاعِيهِ ، وَمَا زَالَ مَكَانُكَ مِنْهُ تُرَى الْبَرَكَةُ فِيهِ ١ .

قال أبو الحسن : وإذ قد انتهى بنا القول إلى ذكر بلنسية فلا بدَّ من الإعلان بمحنتها ، والإتيانِ بنبدٍ من أخبارِ فتنتها ، التي غرَّبَ شأوها في الإسلام ، وتجاوزَ عفوها جهدَ الكروبِ العظام ، وَذِكْرِ الأسبابِ التي جَرَّتْ جرائرها ، وأدارت على المسلمين دوائيرَها ، والإشادةِ باسمِ من سلك في طريقها ونهج ، ودخل أبوابَ عقوقها وخرج .

ذكر الخبر عن تغلب العدو عليها وعودة المسلمين إليها ٢

قال أبو الحسن : ونذكر إن شاء الله في القسم الرابع ، نُكْتًا وجوامعَ ، تُؤدِّي إلى كيفية تغلبِ أذفونش طاغيةِ طاغوتِ الجلالة - قصمها الله - على مدينة طليطلة ، واسطة السلك ، وأشْمَخَ ذُرَى المَلِكِ ، بهذه الجزيرة ، ونشرحُ الأسبابَ التي ملكتهُ قيادَها ، ووطأتهُ مهادها ، حتى اقتعد صَهْوَتَها ، وتبجحَ ذِرْوَتَها ، وأن ٣ يحيى بن ذي النون ، المتلقَّب من الألقاب السلطانية بالقادر بالله ، كان الذي هيَّجَ أولاً نارها ، وأججَ أوارها ،

١ باذن . . . فيه : سقط من د ط س .

٢ نشر دوزي هذا الفصل في Recherches ج ٢ : VI - XVIII وانظر في حادثة بلنسية البيان المغرب ٤ : ٣٤ واعمال الاعلام : ٢٠٣ والجزء الثاني من كتاب ميراندا Hist. Mus. de Valencia .

٣ ونذكر . . . وان : سقط من د ط س ؛ وبدىء الفصل بقوله : وكان يحيى بن ذي النون هو الذي سجر أولاً نارها . . .

٤ ب م : نارها .

وكان عندما خلتى [بين] أذفونش وطليلة - جدد الله رسمها ،
وأعاد إلى ديوان المسلمين^١ اسمها - قد عاهده على أن يعيد له صعباً بلنسية^٢
ذلولاً ، وأن يمتعه بنصرتها وتملك حضرتها ولو قليلاً ، علماً منه أنه أسير^٣
لديه^٤ ، وعيال^٥ عليه . فصار تهرة^٦ المعامل^٧ ، وتبرأ منه المراحل^٨ [بعد
المراحل] ، حتى استقر بقصبة قونكة^٩ ، عند أشياعه بني الفرج - حسبما
نشره في القسم الرابع إن شاء الله تعالى - وهم كانوا ولاية أمره ، وواعية^{١٠}
عرفه ونكره ، بهم أولاً صدع ، ولإيهام آخرأ نزع ، وطفق يداخل ابن
عبد العزيز بمعاذير يلفقها ، وأساطير ينفقها^{١١} ، وأعجاز من الباطل وصدور
يجمعها ويفرقها ، وابن عبد العزيز يومئذ يضحك قليلاً [٢٣ أ] ويبكي
كثيراً ، ويظهر أمراً ويخفي أموراً ، والفلك يدور ، وأمر الله يسجد^{١٢}
ويغور . وورد الخبر بموت ابن عبد العزيز أثناء ذلك ، واختلاف إبنه
بعده^{١٣} هنالك^{١٤} ، فانسلا ابن ذي النون إلى بلنسية انسلال القطا إلى الماء ،
وطلع عليها طلوع الرقيب على خلوات الأحياء ، وانتهجت السبيل بين ملوك^{١٥}
أفقنا وبين أمير المسلمين [وناصر الدين] رحمه الله - على ما قدمنا ذكره -
سنة تسع وسبعين ، وصدم أذفونش الطاغية - قصمه الله - تلك الصدمة
- المتقدمة الذكر - يوم الجمعة ، فرجع - لعنه الله - وقد هبض جناحه^{١٦} ،
وركدت رياحه^{١٧} ، وتنفس خناق يحيى بن ذي النون هذا ، فتنسم روح

١ د ط س : الإسلام ، س : دين .

٢ م ودوزي : يهره ؛ د ط س : بهذه .

٣ قونكة (او كونكة = Cuenca) مدينة تقع على بعد ٥٠ كيلومتراً شرقي وبذة (Hueta) .

٤ ب م : وطاقية ؛ د ودوزي : واعية ؛ ط س : واغية .

٥ س ط د ودوزي : يشمقها .

٦ س : ابنيه بذلك .

٧ ملوك : سقطت من س .

البقاء، وتبأنَّ بما كان بقي له من ذمّاء، ودخلَ من معاقدَةِ أميرِ المسلمين فيما^١
دخل فيه معشرُ الرؤساء ؛ ولم يزلْ لإدبارِهِمْ^٢ - على ما ذكرنا - يستشري
وعقاربُ بعضِهِمْ^٣ إلى بعضٍ تدبُّ وتسري ، حتى أذنَ اللهُ لِأَميرِ المسلمين
[رحمه اللهُ] في إفسادِ سعيهِمْ ، وَحَسَمِ أدواءِ بغيهِمْ ، والانتصارِ لِكِوَافِ
المسلمين من فعلِهِمْ^٤ الذمِيمِ ورأيِهِمْ ، فشرعَ في ذلك - على ما قدمته -
سنة ثلاث وثمانين ، فجعلت البلادُ عليه تنثالُ ، والمنابرُ باسمه تزدهي^٥
وتختال ؛ واستمرَّ ينثرُ نجومَهُمْ^٦ ، ويطمسُ رسومَهُمْ^٦ ، باقي سنة ثلاثٍ
وسنةٍ أربعٍ بعدها ، وفي ذلك يقول الأديبُ أبو تمامِ ابنِ رباحٍ^٣ :

كَأَنَّ بِلادَهُمْ^٥ كَانَتْ نِساءً تَطالِبُها الضرائِرُ بِالطِلاقِ

وفي ذلك أيضاً يقول أبو الحسينُ ابنُ الجُدِّ ، وأراه عرَّضَ بصاحبِ
ميورقةَ بعد خلعِ بني عبّاد :

ألا قُلْ للذي يَرجو مَنَساماً بعيداً بين جنبكَ والفِراشِ
أبو يعقوبَ من حُدَّتْ عنه فَرَشِ سَهْمِ^٥ العداوةِ أوفِراشِ
إِذا نَفَسَ القِضاءِ جِبالَ رِضوى فكيف تراه يصنعُ^٦ بالفِراشِ

ولما أحسَّ أحمدُ بنُ يوسفِ بنُ هودٍ، المنتزعي إلى وقتنا هذا على ثغر

١ د ط س : ودخل من المحالفة فيما .

٢ م ودوزي : تزدان ؛ ط د س : تزهي .

٣ ط د س : يقول بعض أهل العصر ؛ وأبو تمامِ غالبُ بنُ رباحِ المعروف بالحجامِ سترد
ترجمته في هذا القسم من الذخيرة .

٤ ط س : أبو الحسن ، وكذلك في المغرب ١ : ٣٤٠ ؛ وقد ترجم له ابنُ بسامِ في القسم الثاني
من الذخيرة .

٥ ط د س : فرش منه .

٦ ط د هـ : يفعل .

سرقسطة ، بعساكر أمير المسلمين تُقْبِلُ^١ من كُلِّ حَدَبٍ ، وتطلعُ على أطرافه من كلِّ مَرَقَبٍ ، أسدَ كلباً من أكلبِ الجلالة يسمّى برذريق^٢ ويدعى بالكئييطور^٣ ، وكان عقلاً ، وداءً عُضالاً ، له في الجزيرة وقائع ، وعلى طوائفها بضروب المكروهِ اطلّاعاتٌ ومطالع ، وكان بنو هود قديماً هم الذين أخرجوه من الحمولِ ، مستظهريين به على بغيهم الطويل ، وسعيهم المدمومِ المخدول^٤ ، وسلطوه على أقطارِ الجزيرة يضعُ قدّمه على صفحات أنجادها ، ويركزُ علمه في أفلاذِ [٢٣ ب] أكبادِها ، حتى غلظَ أمره ، وعمَّ أقاصيها وأدانيها^٥ شره ، ورأى هذا منهم حين خاف وهي ملكه ، وأحسَّ بانتشار سلكه ، أن يضعه بينه وبين سرعانِ عساكرِ أمير المسلمين ، فوطأ له أكنافَ بلنسية وجبى إليه^٦ المال ، وأوطأ عقبه^٧ الرجالَ ، فنزلَ بساحتها وقد اضطربَ حبْلها ، وتسربَ أهلها ، وذلك أنَّ الفقيه أبا أحمدَ بنِ جحّاف متولّي القضاء بها يومئذٍ لما رأى عساكرَ المرابطين - [أيدها الله] - تترى ، وأحسَّ بهذا الطاغية - لعنه الله - من جهة أخرى ، امتطى صهوةَ العقوق ، وتمثل : « من فُرس اللصِّ ضجّةُ السوق » ، وطمعَ في الرياسة بجدعِ الفريقين ، وذُهِل^٧ عن قِصّةِ

١ ط د س : تنسل .

٢ ط د س : بلذريق ، حيشما وقع .

٣ Rodrigo Diaz de Vivar وقد اشتهر باسم El Cid Campeador أي « السيد » ؛ وقد كتبت عنه دراسات متعددة منها بحث لدوزي في Recherches ج ٢ : ١ - ٢٨٣ وكتاب لرامون مننث بدال La Espana del Cid (مدريد ١٩٤٧ الطبعة الثانية) ولبروفنسال بحث عنه في Revue Historique (١٩٣٧) وللدكتور حسين مؤنس بحث مستفيض عنه في مجلة الجمعية التاريخية المصرية (١٩٥١) ؛ وانظر Hist. Mus. de Valencia (ج ٢) .

٤ وسعيهم . . . المخدول : سقطت من ط د س . ٥ ط د س : قاصيها ودانيها .

٦ ط س د : له . ٧ ط د س : وذهب .

الثلعب بين الوعلين ، فاستجاشَ لأولِ تلك الوهلة لمةً يسيرةً من دُعاةِ أميرِ المسلمين^١ فهجمَ بهم على ساحةِ^٢ ابنِ ذي النون الجلاء على حين غفلته^٣ ، وانفضاضٍ من جملته ، واستشراءٍ من علته ، حيثُ لم يكن له ناصرٌ إلا الشكوى ، ولا هادٍ إلا صدر العصا^٤ ، فقتله^٥ — زعموا — بيد رجلٍ من بني الحديديّ طلباً بدّحلٍ عما كان هو قد قتَلَ مِنْ سَلَفِهِ ، وهدمَ من بيوتِ شرفِهِ — في خبرٍ سيأتي ذكره ، وَيُشْرَحُ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ فِي مَوْضِعٍ^٦ من هذا الكتاب^٧ أمرُهُ — وفي قتله لابنِ ذي النون القادر، يقولُ أبو عبد الرحمن بن طاهر :

أيها الأخيْفُ^٨ مهلاً فلقد جئتَ عويصا
 اذ قتلتَ الملكَ يحيى وتقمّصتَ القميصا
 ربَّ يومٍ فيه تُجزى^٩ لم تجدْ عنه محيِصا

ولما تمَّ لأبي أحمد^{١٠} شأنُهُ ، واستقرَّ^{١١} به — على زعمه — سلطانهُ ،

١ ط د س : لمة يسيرة من الخيل .

٢ د : ناحية .

٣ ط د س : من غفلته .

٤ ط د س : القنا .

٥ ط د س : فقتلوه .

٦ ط د س : في القسم الرابع ؛ دوزي : موضعه . ٧ ط س د : المجموع .

٨ ط د س والخريفة ؛ الاحنف ؛ والحاء غير منقوطة في ب ؛ والأخيْف من كانت احدى عيشيه زرقاء والاخرى سوداء ، وانظر الحلة ٢ : ١٢٥ .

٩ س : تجزى .

١٠ ط د س : لابن جحاف .

١١ ب م : واستمر .

وقع في هيراش ، وتفرقت الطيِّاء على خِراشٍ ، ودُفِعَ إلى النظر في أمورٍ سلطانيَّة لم يتقدم قبلُ في غوامضِ حقائقها ، وإلى ركوبِ أساليبٍ سياسيَّة لم يكن له عهدٌ باقتحامِ مضايقتها ، ولا بالدخولِ في ضنكِ مآزقها ، ولم يعلم أنَّ تديرَ الأقاليمِ غيرُ تلقينِ الخصومِ ، وان عَقَدَ ألوية البنودِ ، غيرُ الترجيحِ بين العقودِ ، وانتخالِ الشهودِ ، وشُغِلَ بما كان احتجَنَ من بقيَّةِ ذخائرِ ابن ذي النون وشيعته عن استجلابِ الرجالِ^١ ، والنظرِ في شيءٍ من الأعمالِ ، وانفضت عنه تلك الحملة اليسيرة [من الخيل] المرابطية التي كان تعلقٌ بسببها ، وموَّهَ على الناسِ بها ، لضيقِ المذاهبِ ، وغِلظةِ ذلك العدوِّ المصائبِ ، وقوي طَمَعُ رُذْرِيْقَ في مُلْكِ بلنسية فلزمها ملازمة الغريمِ ، وتلدَّدَ بها [تلدَّدَ] العُشَّاقِ بالرسومِ ، يمتسفُ أفواتها ، ويقتلُ حماةَها ، ويسبقُ إليها كلَّ أمنيَّةٍ^٢ ، ويطلعُ عليها من كلِّ ثنية ، فربَّ ذروة [١٢٤] عزَّ قد طالما تلددتِ الأمانِي والنفوسُ دونها ، ويُمسِتِ الأقمارُ والشموسُ من أن تكونها ، قد ورد ذلك الطاغية يومئذٍ مَعِينها ، وأذالَ مصنوها ؛ وربَّ وجهَ كانت تُدميه الدرُّ ، وتحمسه الشمسُ والبدرُ^٣ ، ويتغايرُ عليه المرجانُ والدرُّ ، قد أصبحَ دريَّةً لزجاجه ، ونعلاً لأقدامِ أراذلِ أعلاجه ، وبلغَ الجهدُ بأهلها والامتحانُ ، أن أحلَّوا مُحَرَّمَ الحيوانِ ، وأبو أحمدَ المذكورِ في أنشودةٍ ما سهَّلَ وسنَّى ، شرقاً بعُقبِي^٤ ما جرَّ على نفسه وجنى ، يستصرخُ أميرَ المسلمين على بُعْدِ

١ وشغل . . . الرجال : سقط من ط د س .

٢ م ودوزي : ويسوق . . . منية .

٣ وتحسه . . . والبدر : سقط من ط د س .

٤ د س ط ودوزي : وشرك ما .

داره^١ ، وتراخي مزاره ، فتارة يُسمِعُهُ ويحركه ، وتارة ينقطعُ دونه ولا يُدريكُهُ ، وقد كان من أمير المسلمين بموضع ، ومن رأيه الجميل برأى ومسمع ، ولكن أبطأ به عن نصره تنائي الدار ، ونفوذ المقدار ، وإذا قدر الله أمراً فتح أبوابه^٢ ، ويسر أسبابه^٣ ، فتم للطاغية^٤ رذريق - [قصمه الله] - مرآده^٥ الذميم من دخول بلنسية سنة ثمان وثمانين^٦ على وجه من وجوه غدره ، وبعد إذعان من القاضي [ابن جحاف] المذكور ألباه بسطوة^٧ كفره ، ودخوله طائعا في أمره^٨ ، على وسائل اتخذها ، وعهود ومواثيق - بزعمه - أخذها ، لم يمتد لها أمد^٩ ، ولا كثر لأيامها عداد ، وبقي معه مُدَيِّدَةً يضجر من صحبتها ، ويلتمس السبيل إلى نكبتها ، حتى أمكنته^{١٠} - زعموا - بسبب ذخيرة نفيسة من ذخائر ابن ذي النون ، كان رذريق لأول دخوله^{١١} قد سأله عنها ، واستحلفه بمحضر جماعة من أهل الملتين على البرائة منها ، فأقسم بالله جهد أيمانه ، غافلاً عما في الغيب من بلائه وامتحانه ، وجعل رذريق بينه وبين القاضي المذكور عهداً أحضره الطائفين ، وأشهد عليه أعلام الملتين ، إن هو انتهى [بعد] إليها ، وعثر [عنده] عليها ، ليستحلن إخفار ذممه ، وسفك دمه ، فلم ينشب رذريق أن ظهر على الذخيرة المذكورة لديه ، لما كان قد قدر الله^{١٢} من إجراء محنته على يديه ، ولعلها كانت منه حيلة أدارها ،

١ د ط س : دياره .

٢ ط د س : الكنييطور . ٣ انظر ص ٩١ ، الحاشية : ه .

٤ ط د س : المذكور لسطوة .

٥ ودخوله . . . امره : سقط من ط د س .

٦ لأول دخوله : سقط من د ط س .

٧ دوزي : قد حم ؛ س ط د : حم .

وداهيةً من دواهيهِ سدّأها وأنارها ، فأنحى على أموالهِ بالنّهب ، وعليه وعلى أهلِهِ وولده بالعذاب^١ ، حتى بلغ جهده ، ويشس مما عنده ، فأضرم له ناراً أتلفت ذمّاه ، وحرقت أشلاءه .

حدثني^٢ من رآه في ذلك المقام ، وقد حفّر له حفيراً إلى رُفْعِيهِ ، وأضرمت النارُ حوَالِيهِ ، وهو يضمُّ ما بَعْدَ من الحطب بيديه^٣ ، ليكون أسرع لذهابه ، وأقصرَ لمدةِ عذابه ، كتبها الله له في صحيفة حسناته ، ومحا عنه بها سالفَ سيئاته ، وكفانا بَعْدُ أَلِيمَ نَقَمَاتِهِ ، ويسرنا [٢٤ ب] إلى ما يُزْلِفُ إلى مَرَضَاتِهِ^٤

وهم [الطاغية] يومئذ - لعنه الله - بتحريق زوجته وبناته ، فكلمه فيهنّ بعضُ طُغَاتِهِ ، فبعدَ لأبي ما لفته عن رائه ، وتخلّصهنّ من يدي نكراته ؛ وأضرمَ هذا المصابُ الحليلُ يومئذُ أقطارَ الجزيرةِ ناراً ، وجلّلاً سائرَ طبقاتها خزيّاً وعاراً ؛ وغلظَ أمرُ ذلك الطاغية حتى فدَحَ التهائم والنجود ، وأخافَ القريبَ والبعيد . حدثني من سمعه^٥ يقول ، وقد قوي طمعه ، ولجّ به جشعُه : على رذريق فتحت هذه الجزيرة^٦ ، ورذريقُ يستنقذها - كلمةٌ ملأت الصدور ، وخيّلت وقوعَ المخوف والمحدور^٨ . وكان هذا البائقة وقتَه في درب شهامته ، واجتماع حزامته ، وتناهي

١ دوزي : بأنواع العذاب .

٢ ط د س : أخبرني .

٣ ب م : حوَالِيهِ .

٤ وكفانا مرضاته : سقط من ط د س .

٥ ط د س : قلدح .

٦ ط د س : بلذني انه كان .

٧ ط د س : فتحت الأندلس .

٨ ط د س : وقوع المحدور .

صرامته ، آية من آيات ربه^١ ، إلى أن رماه [الله] سريعاً بحتفه ، وأماته ببلنسية حتفَ أنفه ؛ وكان - لعنه الله - منصورَ العَلَم ، مظفرأ على طوائف العجم ، لقي زعماءهم^٢ مراراً كغرسية المنبوز بالقم المعوج ، ورأس الافرنج ، وابن رذمير^٣ ، فقلَّ حدَّ جنودهم ، وقتل بعدده اليسير كثيرَ عديدهم ، وكان - زعموا - تُدرَس^٤ بين يديه الكتب ، وتقرأ عليه سيرُ العرب ، فإذا انتهى إلى أخبار المهلب استخفَّه الطرب ، وطفق يعجبُ منها ويتعجبُ .

وفي بلنسية [يومئذ] يقول أبو اسحاق ابن خفاجة^٥ :

عائتُ بساحتكِ العدا^٥ يا دارُ ومحا محاسنكِ البلى والنارُ
فإذا تردَّدَ في جنابك ناظرٌ طال اعتبارُ فيك واستعبار
أرضٌ تقاذفتِ الخطوبُ بأهلها وتمخضتُ بنجراها الأقدار
كنتِ يدُ الحدنانِ في عرصاتِها « لا أنتِ أنتِ ولا الديارُ ديار »

وتجرَّد أمير المسلمين - رحمه الله - لما^٦ بلغه هذا النبأ الفظيع ، واتصل به هذا الرزم الشنيع ، فكانت قذى أجمانه ، وجماع شانه ، وشغل يده ولسانه ، يُسرَّبُ إليها الرجال والأموال ، وينصبُ عليها الحبال والحبال ، والحربُ هنالك سجال ، والحالُ بين العدو وبين عساكر أمير

١ ط د س : الله .

٢ مراراً . . . رذمير : سقط من ط د س .

٣ ط د س : وكانت تدرس .

٤ ديوان ابن خفاجة : ٣٥٤ وقد وردت الابيات في الروض المعطار (بلنسية) ونفح الطيب

٤ : ٤٥٥ .

٥ ب م : البلى .

٦ ط د س : عندما .

المسلمين في ذلك إقبالاً وإقبال ، حتى رَحَصَ عارها ، وغسل شئارها ، وكان آخرَ أمراءِ أجناده ، المجهزين إليها في جماهر أعداده ، الأميرُ أبو محمد مَزْدَلِي ١ ، ظُبَّةُ حَسَامِيهِ ، وَسَلِكُ نَظَامِهِ ٢ ، ففتحها ٣ اللهُ عليه ، وأذِنَ في تَخَلُّصِهَا على يديه ، في شهر رمضان سنة خمس وتسعين ، كتبَ اللهُ ٤ منزِلَهُ في عليين ، وجزاه عن جِدِّهِ [٢٥ أ] وجاهدِهِ أَفْضَلَ جزاءَ المحسنين .

وفي ذلك ٥ كتب أبو عبد الرحمن بن طاهر إلى الوزير أبي عبد الملك ابن عبد العزيز [رقعة] يقول فيها : كتبتُ مُسْتَصَفَّ الشَّهْرِ المَبَارِكِ ، وقد وافى بدخولِ بِلنسية - جبرها اللهُ - الفتحُ ، بعد ما خامرها القُبْحُ ، فأضرمَ أَكْثَرَهَا ناراً ، وتركها آيةً للسائلين واعتباراً ، وتغشَّاهَا سواداً ، كما لبست عليه حداداً ، فهي تنظرُ من طَرْفٍ خفيٍّ ، وتتنفَّسُ عن قلبٍ يقلِّبُ ٦ على جَمْرِ ذكيٍّ ، غير أنه بقي لها جسمُها الأَنعمُ ٧ ، وتُرْبُّها الأَكْرَمُ ، الذي هو المسكُ الأَذْفَرُ ، والذهبُ الأَحْمَرُ ، وحدائقها العُلبُ ، ونهرها العذب ، وبسَعَدِ أميرِ المسلمين [وناصر الدين] وإقباله عليها ينجلي

١ هو مَزْدَلِي بن بُو بِلنكان (او سولنكان او ملنكان) ابن عم أمير المسلمين يوسف بن تاشفين رقد استولى على بِلنسية سنة ٤٩٤ (انظر خبر استيلائه عليها في البيان المغرب ٤ : ٤١) ثم ولي تلمسان سنة ٤٩٧ وفي سنة ٥٠٥ تولى على قرطبة وغرناطة والمرية ، وفي السنة التالية استدعي إلى مراکش فبرأ نفسه مما لحقه من تهم ، وكانت وفاته سنة ٥٠٨ (انظر صفحات متفرقة من ج ٤ من البيان المغرب) .

٢ والخال . . . نظامه : سقط من د ط س .

٣ د ط س : حتى فتحها .

٤ د ط س : كتبها اللهُ له منزلة .

٥ ط د س : وفي ذلك التاريخ .

٦ ط د س : يتقلب .

٧ ط د س - الأعظم .

عنها ظلامتها ، ويعودُ عليها حليتها ونظامها ، وتروحُ في الحلال ، وتبرزُ^١
كالشمسِ في بيتِ الحمل . فالحمدُ لله مالكِ الملُكِ ، مطهرُها من الشُّركِ ،
وفي عودَتِها إلى الإسلامِ عزٌّ وعزاء ، عما نَفَذَ به قدرٌ وقضاء .

وكتب أيضاً إثر ذلك إلى الوزير الفقيه^٢ ابن جحاف يعزيه بابن عمه
أبي أحمد المحرق المتقدم الذكر : مِثْلُكَ - وقالَ اللهُ المحاذيرَ - في
وفور الدين ، وصحة اليقين ، وسلامة الضمير ، وعَدَمِ النَّظيرِ ، وقوة
الرُّجحانِ ، ومعرفة الزمان ، أعطى الحوادثَ صبراً ، وردَّها على أعقابها
صُغراً ، فلم يخضع لَصَوَلَتِها ، ولم يتحفل بِسَوَرَتِها ، ودرى أنها الأيامُ
والغَيَرُ^٣ ، والحمامُ والتدَر .

ودارت الخطوبُ - عصمك اللهُ من إلامها ، وحماك من اخترامها -
بمصراع الفقيه القاضي أبي أحمد ، [ابن] عمك ، عفا اللهُ عنه ، ومهلكه ،
وانحطاطه من فلكه ، فانقضتْ لعمرى نجومُ المجد بانقضاضه ، وبكتْ
سماؤُ الفضلِ على تداعيه وانقضاضيه ، فانه كان من جمالِ المذاهبِ ،
والغوثِ عند النوائبِ ، بحيث يكونُ الغيثُ في قنَطِ المحلِ ، والحَدَبُ
عند انقطاع الرُّسلِ ، بعيداً عن القسوة ، صفوحاً عن الهفوة ، عطوفاً
على الجيرانِ ، عزيزاً على الإخوانِ ، يستهوي القلوبَ ببشره ، ويتملِّكُ
الأحرارَ ببره ، وإن الدنيا بعده لفي حدادٍ ، لما قصدته به من داهية نَادٍ ،
قائماً بأعبائها ، مبيراً لأعدائها ، فهي تبكيه بأربعةِ سجامٍ^٤ ، وتندبه في

١ ط د س : وتور .

٢ ط د س : وكتب يومئذ إلى الفقيه . ٣ ط د س : والعبر .

٤ ط د س : لما أصيبت به يد زناد .

٥ ناظر إلى قول المتنبي :

كان الصبح يطردها فتجري مدامها بأربعةِ سجام

كل مقام ، فما أسرع ما سلّبتهُ المنون ، وقد قرئتُ به منكم العيون ،
وطوّفكم طوقَ الفخار ، وأنافَ بقدركم على الأقدار ؛ فإنا لله وإنا إليه
راجعون ، على أليمِ المصابِ ، وعند [٢٥ ب] الله نحتسبُ كريمَ الأصلِ
والنصابِ ، وطوداً منيعاً ، وقرماً ربيعاً ، وقد تساوينا في الرزية ، فلنعدلُ^١
إلى التسلية ، فذلك أوفرُ ذخرأ ، وأعظمُ أجرأ .

قال أبو الحسن ؛ وأبو عبد الرحمن أكثرُ إحساناً ، وأوضحُ خبراً
وعياناً ، من أن يحاطَ بأخباره ، أو يعبرَ عن جلالتهِ مقداره ، وقد استوفيتُ
معظمَ كلامه في كتابٍ مفردٍ ترجمته بـ « سلك الجواهر في ترسيل ابن
ظاهر » وهو اليومَ ببلنسية سالمٌ ينطق ، وحيٌّ يرزقُ ، وقد نيّف على
الثمانين ، وما أحوجتُ سمعهُ إلى ترجمان^٢ ، بل هو حتى الآن يهب
الطروس^٣ من ألفاظه ما يفضّحُ العقودَ الدريّةَ ، وتوسعُ معه الليالي
البدرية ، وفيما أوردناه كفاية ، ومِن الذي يمكنهُ النهاية^٤ .

ذو الوزارين أبو عامر ابن الفرج^٤

من بيتهِ رياسة ، وعيرةِ نفاسة ، ما منهم إلاّ من تحدى بالإمارة ،
وتردّى بالوزارة ، فأومض في آفاقِ الدول ، ونهض بين الخيل والحول ؛ وأبو

١ ب م : فلنمد .

٢ من قول عوف بن محلم الخزاعي :

ان الثمانين وبلغتها قد احوجت سمي الى ترجمان

٣ ط د : الطروس .

٤ ترجمته في المغرب ٢ : ٣٠٣ والحلة السيرة ٢ : ١٧١ والمطمح : ١٥ - ١٦ ونفح الطيب

٣ : ٤٠٨ ، ٥٤٢ - ٥٤٣ ؛ وهذه الترجمة مطابقة لما في المطمح ، وقد نبه ابن سعيد الى

هذا التطابق بين الذخيرة والقلائد (وليست له ترجمة في القلائد ولعل ابن سعيد سها فذكر =

عامر هذا أحدُ أنجادِهِمْ* ، ومتقلدٌ مِجَادِهِمْ ، فافهم أدباً ونُبلاً ، وباراهم
 كرمًا [تخاله] وبلاً ، إلاّ أنه بقيَ وذهبوا ، ولقي من الأيام ما رهبوا ، فعينَ
 تَسْكُرُهَا ، وشربَ عكرها ، وجال في الآفاق ، واستندرتْ أخلافَ الأرزاقِ ،
 وأجال للرجاءِ قِداحاً متوالياتِ الاخفاق ، فانحملَ قَدْرُهُ ، وتوالى عليه جَوْرُ
 الزمانِ وَعَدْرُهُ ، فاندفنتْ أخباره ، وَعَمَسَتْ آثاره ، وقد أثبتْ له بعضَ ما قاله
 وحالُهُ قد أدبرت ، والخطوبُ إليه قد انبرت ، فمن ذلك :

الشمسُ أنتَ وقد أظللَ طلوعها فاطلعُ وبين يديكَ فجرٌ صادقٌ
 وكان له ابنٌ مكبودٌ قد أعيا علاجُهُ ، وتبأ للفسادِ بذلك مزاجُهُ ، فدُلَّ
 على خمرٍ قديمةٍ فلم يعلمَ بها إلاّ عند فتىٍ وسيمٍ ، فكتب إليه :

أرسلُ بها مثلَ ودكُ أرقُ من ماءِ خدكُ
 شقيقةَ النفسِ فانضحُ بها جوىِ ابني وعبدك
 وكتب معتذراً عن تخلفه عن مجيء منبذراً :

ما تخالفتُ عنك إلاّ لعذرٍ ودليلي في ذاك حرصي عليك
 هبّك أن الفراقَ عن غيرِ عذري أتراه يكونُ إلاّ إليك. [٢٦ أ]

فصل في ذكر ذي الوزارتين القائد أبي عيسى ابن لبون^١

أحد وزراء ابن ذي النون المعتز في دولته ، المعدّين لبأسه وصولته^٢ ، ولكنه
 ثار ، وخاض الهولَ المثار ، وخلص من الهللكِ ، واقتنصَ نافرَ الملك ، وكان

١ = القلائد بدلا من المطمح) ؛ ولم ترد هذه الترجمة في ط د س كما أن ابن بسام لم يذكر هذه الترجمة
 في الفهرست العام الذي وضعه في مقدمة كتابه ، مما قد يدل على أنها ترجمة دخيلة .
 ترجمته في المنرب ٢ : ٣٧٦ والحلّة ٢ : ١٩٧ وأعمال الاعلام : ٢٠٩ ونفح الطيب
 ١ : ٦٧٢ وازهار الرياض ٣ : ١٢٠ والقلائد : ٩٩ والخريدة ٢ : ٣٣١ والمسالك ١١ :
 ٤٤٥ وفي هذه الترجمة مشابه كثيرة مما جاء في القلائد ، وبعض العبارات مشتركة نسأ بين
 الكتابين ؛ رام ترد هذه الترجمة في ط د س ، ولم يذكرها ابن بسام في الفهرست العام الذي
 وضعه في مقدمة كتاب الجزيرة .
 ٢ م : رتدته .

شهم الفؤاد ، معدوداً في الأجواد ، منفصلاً في الوزراء والقواد ، حصل بمربيطراً
واقطعها ، وحلّ بها سيلك الرياسة ومطلعها ، وما خلغ اسم الوزارة ، ولا تسوّخ
سواها ممن أمته وزاره ، فغدت به منزح الوافد ، وكانت عنده مشاهد ، ترف للمنى
أبكارها نواهد ، يراق بها نجيع الراح ، ويساق إليها ترجيع الأقداح ، والندنيا
تُسعيدُهُ ، وتنعجز له ما تعده ، إلى أن لعب عليه ابن رزّين وخذّعه ، ولم يف
له بما أعطاه منها عوضاً وأقطعاه ، فبقي ضاحياً ، وغدا جوهُ من تلك العِدّة
صاحياً .

وله نظمٌ نَظَّم فيه من المحاسن جُملاً ، وأعاد سامعها ثَملاً ، وقد أثبت
له ما يدلُّ على نفاسة سبكه ، وجوذة حبه ، فمن ذلك ما قاله متوجماً
لخليط ظنّ ، وأوغلّ في شِعاب البُعدِ وأمعن :

سقى أرضاً ثووها^٢ كلّ مِزْنٍ وسائرهم سرورٌ وارتياحُ
فما ألوى بهم مللٌ ولكن صروفُ الدهرِ والقَدَرُ المتاح
سأبكي بعدهم حزنًا عليهم بدمعٍ في أعنته جماح

وكان بقصر مربيطر في المجلس المشرف منها ، والبطحاء قد لبست زخرفها ،
ودبح الغمام مطرفها ، وفيها حدائق ترنو على مُقَلٍ من جنسها^٣ ، وتبث طيب
نفسها ، والجلتار قد لبس أردية الدماء ، وراع أفئدة الندماء ، فقال :

قم يا نديم أدِرْ عليّ القَرَفَةَ أو ما ترى [زهر] الرياضِ مُفَوِّفاً
والجلتار دماءٌ قتلى معركٍ والياسمين حبابُ ماءٍ قد طفا

وله :

لما الله قلبي كم يحنُّ إليكم وقد بتمُّ حظي وضاع لديكم

١ مرديار - حسب الامالة الغالبة على لسان اهل الاندلس - ومرباطر (Murviedro)

٢ فتح الاله الدين بلسمية .

٣ تذا في الاثر ، ولعل السواب : ثووها .

٤ م : حسنها ؛ القلائد : برجنها .

إذا نحن أنصفناكم من نفوسنا ولم تنصفونا فالسلام عليكم
وله وقد كتب إليه راشد بن سليمان بالتمويل ، وكان عهد اليه ألا يخاطبه إلا^١
بالتسويد :

ثَقَلَتْ رُوحِي أَيْمًا ثَقِيلًا فِيمَا قَصَدْتَ لَهُ مِنَ التَّمْوِيلِ [٢٦ ب]
هَذَا عَلَى أَيْمِي عَهْدَتُكَ خِفَةً كَرَسُولٍ بُرْمٍ حَلٌّ عِنْدَ عَلِيلٍ
فراجعه :

لا والذي ولأك أولية الندى وجباك من خطط العلاء بجزيل
ما حدث عن سنن الكتابة عامداً ولو اعتمدت فعلت فعل نبيل
لكن بناني أنكرت ما عودت فتبرعت بكتابة التمويل
ولرب سر كامن عند امرئ أبداه بعض مقال المفعول^٢
لله رفعتك التي ضمنتها معنى الشئ من لفظك المعسول
نظم وعيشك لو غدا نثراً لما قدرته إلا من التنزيل
وافى به من لو أمنت صدوده عني غمرت يديه بالتقبل
وله يرثي ذا الوزارتين أبا محمد أخاه :

قل ليصرف الزمان كم ذا التناهي في تلقيك لي بهذي الدواهي
كان في عامر وأرقم ما يك فمي فهلا أبقيت عبد الإله
فيه قد كنت بعد استدفع الخط ب وأسطو على العدا وأباهي
أي شمس وافى عليها أفول فل غربتي عزائي ونواهي
وكتب إلى ابن اليسع :

لو كنت تشهد يا هذا عشتنا والمزن بسكب أحياناً وينحدر
والأرض مصفرة بالمزن كاسية أبصرت تبرأ عليه الدر يتثر

١ التمويل : قوله يا مولاي ، والتسويد : يا سيدي .

٢ القلائد : فماله المجبول .

وله :

يا ربَّ ليلٍ شربنا فيه صافيةً حمراءَ في لونها تنفي التبايحا
تري الفراشَ على الأكواسِ طائفةً كأنها أبصرتَ منها مصابيحاً

وله بعد زواله عن ملكه ، وأخذ سلطانه من سلكه ، يحنُّ إلى ليلائه السالفة ،
وظلالِ أنسيه الوارفة ١ :

يا ليتَ شهري وهل في لَيْتٍ من أربِّ هيهات لا تُفْتَضَى ٢ من لَيْتِ آرابِ
أينَ الشموسُ التي كانت تطلعنَا والجوُّ من فوقه ليلٍ جلابِ
وأينَ تلكَ الليالي إذ تلمُّ بنا ٣ فيها وقد نام حُرَّاسٌ وحجابِ
تبدى إلينا بلحينا حشوهُ ذهبٍ أناملُ العاجِ والأطرافِ عُنَابِ [٢٧أ]

وله وقد بات له الأسي ملء الجوانح ، وعدَّضَ بالبارح من السانح :

خليلي عوجا بي على مسقطِ الحمى ؛ لعلَّ رسومَ الدار لم تتغيرا
فاسألَ عن ليلٍ تولَّى بأنسنا وأندبَ أيَّاماً خلتْ ثم أعصرا ٥
ليالي إذ كان الزمانُ مسالماً وإذ كان غُصنُ العيشِ مَيَّاساً أخضرا
وإذ كنتَ أسقى الراحَ من كفِّ أغيدِ يناولنيها رائحةً أو مَبَكِّرا
أعانقُ منه الغصنَ يهترُّ ناعماً وألثمُ منه البدرَ يطلعُ مقمرا
وقد ضربتُ أيدي الأمانِ قبابها علينا وكفَّ الدهرُ عنَّا وأقصرا
فما شئتَ من لهُوٍ وما شئتَ من ددٍ ومن مبسمٍ يُجنِّيكَ عذباً مؤشرا
وما شئتَ من عودٍ يغتنيك مفضحاً « سمالك شوقٌ بعدما كان أقصرا » ٧

١ ب : الوارفة .

٢ القلائد والخريدة : تنقضي .

٣ م : نهم بها .

٤ القلائد والخريدة : اللوى .

٥ القلائد والخريدة : أياماً تقضت وأعصرا .

٦ القلائد والخريدة : فيثان .

٧ صدر بيت لامرئ القيس ، وعجره : وحلت سليمان بطن قو فمرعرا .

ولكنها الدنيا تخادعُ أهلها
لقد أوردتني بعدَ ذلكَ كلُّهُ
وكم كابدتُ نفسي لها من مُلِمةٍ
خليليَّ ما بالي على صدقِ نبيِّ
ووالله ما أدري لأبي جريمةٍ
ولم أكُ في كسبِ المكارمِ عاجزاً
لئن ساءَ تمزيقُ الزمانِ لدولتي
وأيقظتُ من نومِ الغرارةِ نائماً

تغرُّ بصفوي وهي تطوي تكذراً
مؤارداً ما ألفتُ عنهن مصدراً
وكم باتَ طرفي من أساها مُسهّراً
أرى من زماني ونيةً [وتعدّراً]
تجنّني ولا عن أيّ ذنبٍ تغيراً
ولا كنتُ في نيلٍ أنيلٍ مقصّراً
لقد ردّ عن جهلٍ كثيرٍ وبصراً
وكسبَ علماً بالزمانِ وبالورى

وله يأنف من المقام على ما رتب له من الإجراء ، ويكلف بالإدلاج والإسراء :

ذروني أجبُ شرقَ البلادِ وغربها
فلستُ ككلبِ السوءِ يُرضيه مريضُ
وكنْتُ إذا [ما] بلدةٌ لي تنكّرتُ
وسرتُ ولا ألوي على متعدّرٍ
كشمسٍ تبدّتُ للعيونِ بمشرقٍ

لأشفيَ نفسي أو أموتَ بدائي
وعظمٌ ولكنّي عُقابُ سماءِ
شددتُ إلى أخرى مطيَّ إباثي
وصممتُ لا أصغي إلى النصحاءِ
صباحاً وفي غربٍ أصيلٍ مساءً [٢٧ب]

وله في ذم الدنيا :

نفضتُ كفي عن الدنيا وقلتُ لها
من كيسرِ بيتي لي روضٌ ومن كتيبي
أدري به ما جرى في الدهر من خيرٍ
وما مصابي سوى موتي ويدفنتني

إليكِ عني فما في الحقِّ أغتبنُ
جليسُ صدقٍ على الأسرار مؤتمنُ
فَعِنْدَهُ الحَقُّ مسطورٌ ومختزنُ
قومٌ وما لهمُ علمٌ يمينُ دفنوا

فصل في ذكر ذي الرياستين أبي مروان عبد الملك بن رزين المتلقب
من الألقاب السلطانية بحسام الدولة ؛ والإعلان بأولية أمره ، وإثبات قطعة
من متخير شعره^١ .

قال أبو الحسن : كان [جدّ] ابن رزين الأول^٢ من كبار الجند ،
وأعلام الوفد ، ومشهور^٣ أهل الحلّ والعقد ؛ انطوى عنّي كيف كان
نجومهم^٤ ، وخفيّ عليّ من أين نشأت غيومهم^٥ ، ولم أظفر من ذلك إلا
بما حكاه أبو مروان ابن حيان من خبر جدّه هذيل بن رزين ، وقد أثبتّه
بنصّه ، وأتيت من حديثهم^٤ بفصه :

قال ابن حيان^٥ : وأما أبو محمد هذيل بن خلف بن لب بن رزين
المعروف بابن الأصلع صاحب السهلة – مَوْسَطَةَ ما بين الثغر الأعلى والأدنى
بقرطبة – فإنه كان من أكابر برابر الثغر ، ورث ذلك عن سلفه ، ثم سما
لأولّ الفتنة إلى اقتطاع عمله ، والامارة لجماعته ، والتقيّل لجاره إسماعيل
ابن ذي النون في الشّروء عن سلطان قرطبة ، فاستوى له من ذلك ما
أراد هو وغيره من جميع من انتزى في الأطراف ، غرباً وشرقاً وقبلةً

١ أبو مروان عبد الملك بن رزين (٤٣٦ - ٤٩٦) راجع ترجمته في القلائد : ٥١ (والخريدة
٢ : ٣٠٨) والمغرب ٢ : ٤٢٨ والمطرب : ٣٩ والبيان المغرب ٣ : ٣٠٩ واعمال الاعلام :
٢٠٦ والحلة السراء ٢ : ١٠٨ والمسالك ١١ : ٤٤٦ وكتاب Jacinto Bosch Vila: Historia
de Albarracín y Su Sierra, Tomo II, (Teruel, 1959).

وهذه الترجمة تلتقي في كثير مع نص القلائد .

٢ م ب : كان ابن رزين من الاول .

٣ د ط : ومشهود .

٤ د ط س : حديثه .

٥ نقل ابن الأبار في الحلة بمض هذا النص .

وجوفاً ، إلا أن هذيلاً هذا مع تعززه على المخلوع هشام لم يخرج عن طاعته ، ولا وافق الحاجب منذراً ولا جماعة المتماثلين على هشام في شيء من شأن سليمان عدوه ، إلى ٢ أن ظفيرة بهشام ، فسلك هذيل مسلكهم ، فرضي منه سليمان بذلك [وعقد له على ما في يده هنالك ، لعجزه عنه ، فزاده ذلك بعداً منه] وتمرس به الحاجب منذر بن يحيى مُدرجاً له في طي من استتبعه واشتمل عليه من أصاغير أمراء الثغر النازلين في ضبته ٣ ، فأبت له نفسه البخوع له والانضمام إليه ، فرد أمره وحادة ، وصار ضده ، وأجاره منعة معقله وشجاعة رجاله . وظاهر أعداء منذر حتى حالف الموالي العامريين ، واستمر معهم على دعوة هشام المخلوع وقطع دعوة سليمان ، وكانت واقية [٢٨ أ] الله عليه كونه بسطة ٦ الثغر ، فصار ذلك أرد الأشياء للبرابر ٧ [عنه] ، فسلم من معرفة الفتنة أكثر وقته ، وتخطته الحوادث لقوة سعده ، فتبتك النعمة ٨ وصفا عيشه ، واقتصر مع ذلك على ضبط بلده الموسم بولاية والده ، وترك التجاوز لحدّه والامتداد إلى شيء من أعمال غيره ، فاستقام أمره ، وعمر بلده ، وأنظر بعد جمهور الثوار بالأندلس شأواً بحياة ٩ . وليس في بلد

١ د ط س : جماعته .

٢ ب م : إلا .

٣ الضمين : الناحية والكنيف ؛ د ط س : ضمنه .

٤ البخوع : المناصحة في الطاعة .

٥ م : حلف .

٦ ط د س : موسطة ؛ والسطة : الوسط .

٧ س : أردى . . . إلى البرابرة .

٨ ط د س : فتبتت نعمته ؛ وتبتك النعمة : تمكن منها .

٩ ط د س : شأوه .

الثغر أخصب بقعةً من سهلته هذه المنسوبة إلى بني رزين ، سلفه ، في اتصالِ عمارتها ، فكثرت ماله إذ ناغى جاره وشبهه في جمع المال لإسماعيل ابن ذي النون ، وناقسه في خلال البخل وفرط القسوة فبذره ، وكان مع ذلك شاباً جميل الوجه حمي الأنف غليظ العقاب جباراً مستكبراً [صار] إليه أمر والده منبعت الفتنة ، وهو فقي كما اجتمع وجهه ، تبع العشرين من سنه ، فأنجده الصبا على الجهالة ، وقواه الشباب على المعصية ، فبعث في الشroud^٢ شأوه ، فلم يحالف أحداً من الأمراء على أداء إتاوة ، ولا حظي أمراء الفتنة منه بسوى إقامة الدعوة فقط ، دون بذل درهم معونة ، أو إمداد بفارس نصرته ، أو مشاركة^٣ للجماعة في حلوة أو مرقة ، على كثرة ما طرق الحضرة من خطوب دهم استخفت البطاء ، وقربت البعداء فضلاً عن الأولياء ، إلا ما كان من هذه الحية الصماء ، فانه لم يزل على تصاممه عن كل نداء ، إلى أن مضى بسبيله والدم حبيس عليه^٤ ، والأخبار شائعة^٥ عن جهله وفظاظته ، حتى زعموا أنه سطا بوالدته لتهمة لحقتها عنده ، فتولت قتلها [زعموا] بيده ، وكان أشنع ما كان من كبائره^٦ .

قال أبو مروان^٧ : وكان هذيل هذا بارع الجمال ، حسن الخلق ، جميل العشرة ، ظاهر المروعة ، لم ير في الأمراء أبهى منه منظراً مع طلاقة

١ جباراً مستكبراً : سقط من ط د س .

٢ ط د س : الشroud .

٣ د ط س : دون معونة بدرهم ولا امداد بفارس ولا شارك . . .

٤ والدم . . . عليه : سقط من ط د س .

٥ د ط س : متشابهة .

٦ وكان . . . كبائره : سقط من ط د س .

٧ انظر هذا النص في ملحقات البيان المغرب ٣ : ٣٠٨ .

لسانه ، وحسن توصليه بالكلام إلى حاجته دون معرفة . وكان مع ذلك أرفع الملوك همّةً في اكتساب الآلات والكسوة ، وهو أول من بالغ الثمن بالأندلس في شراء القينات ، اشترى جارية أبي عبد الله المتطبب ابن الكتاني^١ ، بعد أن أحجمت الملوك عنها لغلاء سؤمها ، فأعطاه فيها ثلاثة^٢ آلاف دينار فملكها ، وكانت واحدة القيان في وقتها ، لا نظير لها في معناها ، لم يُرَ أخفّ منها روحاً ، ولا أملح [٢٨ ب] حركة ، ولا ألين إشارة ، ولا أطيّب غناء ، ولا أجود كتابة ، ولا أملح خطأ ، ولا أبرع أدباً ، ولا أحضر شاهداً على سائر ما تحسنه وتدعيه ، مع السلامة من اللحن فيما تكتبه وتغنيه ، إلى الشروع في علم صالح من الطب ينسبط بها القول في المدخل إلى علم الطبيعة وهيئة تشريح الأعضاء الباطنة وغير ذلك مما يقصّر عنه كثير من منتحلي الصناعة ، إلى حركة بديعة في معالجة صناعة الثقف والمجاولة بالحجفة واللعب بالسيوف والأسنة والخناجر المرهفة ، وغير ذلك من أنواع اللعب المطربة ، لم يُسمع لها بنظير ولا مثيل ولا عديل . وابتاع إليها كثيراً من المحسنات المشهورات بالتجويد ، طلبهن بكل جهة ، فكانت ستارته في ذلك أرفع ستائر الملوك بالأندلس . وحدثت عنه أنه اجتمع عنده مائة وخمسون حظية ، ومن الصقلب المجابيب ستون وصيفاً لم تُجمَع عند أحد من نظرائه^٣ ؛ انتهى كلام ابن حيان .

قال ابن بسام : وأما ذو الرياستين فكان له طبع يدعوه فيجيبه ، ويرمي ثغرة الصواب عن قوسه فيصيبه ، على ازدرائه كان منه بالأئمة ، وقلة استخداه لمن عسى ان يأخذ عنه من الأئمة ، وربما خالسهم الكلمة بين

١ د ط س : ابن الكتاني المتطبب .

٢ د ط س : لغلاء سؤمها ، بثلاثة . . . الخ .

٣ وحدثت . . . نظرائه : سقط من ط د س .

مغالطة وأنفة ، وعولَ في أكثر ما يقرأ^١ على تعاليقه وصفحته ، وكثيراً ما رأيتُ في شعره وشعر غيره ممن سلك هذا المسلك ، ببداء مُضِلَّةٌ لا تُسَلِّكُ ، وأغاليطَ لا تُستدركُ . وبالجملة فلو جرى ذو الرياستين على عَقْوِه ، وعرف منتهى شأوِه ، لكان شاعراً مجيداً ، وناثراً معدوداً ؛ وقد أخرجتُ من نظمه ونثره^٢ ما هو الشاهدُ على ما أدَّيتُ^٣ من ذكره .

نسخةُ رقعةٍ له خاطبَ بها ابنَ طاهرٍ المذكور قال فيها^٤ : من عَرَفَ - أعزك الله - الأيامَ وصروفها ، وخلقها^٥ وصنوفها ، وخبرها على مناقيلها ، في وجوه تداولها ، وحلَّ محلَّك من التمييز ، والسبقِ والتبريز ، لم تزدْهُ شِدَّتْها إلا مُعْتَبِراً ، وشكراً لله وتدبُّراً ، وما زلتُ - أعزك الله - القالك بالودِّ على البعد ، فأراك بتقدُّمِك في الأعيان ، وإن لم أركَ بالعيان ، واستخبرُ الأخبار فأسمعُ ما يقرعُ صفاةَ الكبدِ منك بانحاء الزمان عليك ، وتنكره لك ، إلى أن وردَ عليَّ فلان صادراً عن ذلك الأفق ، فما قدِّمتُ على الاستفهام عن ذلك ، والاستعلامِ بحالك ، فذكرَ ما أزعجَ وكدَّرَ ارتماضاً لمثلِك أن يُعوِّزَه مَرَّام ، أو ينبو [٢٩ أ] به مقامٌ ، فجردتُ عن ساعدِ الشفاعة عند فلان في صرْفٍ ما يُمكن من أملاكك ، فوقعَ

١ م ب : يقرأ عليه .

٢ د ط س : وقد اجريت من شعره .

٣ د ط س : اجريت .

٤ وردت هذه الرسالة في موضعها هنا في ب م ، ثم مكررة في آخر الترجمة مع اختلاف في النص على النحو التالي : « وله يخاطب ابن طاهر مستدعياً الى الكون معه [برسالة] تدل على انافته في الفخر دلالة النسيم على الزهر والشاطيء على النهر : انت ادام الله عزك عالم بالزمان وانقلابه ، عارف باغارته واستلابه ، ومن عرفه حق معرفته لم تزدده شدته الا معتبراً... الخ » ؛ وهذا مطابق لما ورد في القلائد : ٥٤ . ه د ط س : وخلقها .

الاعتذار بأنه أمرٌ محذورٌ ، تقدّمَ فيه من أميرِ المسلمين^١ أمرٌ محذورٌ ، وأشارَ إلى إجراء ما يلمّ بالاكْتفاء .

وفي فصل منها : وأنا أعرَضُ عليكَ - أعزَّكَ اللهُ - ما هو الأوفقُ لي ، والأحقُّ بي ، عن عزيمةٍ مكينةٍ ، ورغبةٍ وكيدةٍ ، من التَّنقُّلِ إلى جهتي ، والاختلاطِ بي وبلحمي ، فأستوفي الحظَّ من مؤانستِكَ ، واستنفد الوسعَ في تكريمَتِكَ ، وأقاسمُكَ خاصَّ ضياعي ، ومعلومَ أملاكِي [ورباعي] ، وإن شقَّ عليكَ الكونُ بجهتي - جهَّتِكَ - لبردِ هوائِها ، وبُعدِ أنحائها ، فهذه شنتَمَريَّةٌ أقفُ طاعتها عليكَ ، وأصرفُ أمرها إليكَ ، وعندي من العَوْنِ على الارتجالِ ، ما يقتضيه لك رفيعُ الحالِ ، ولك الفضلُ في مراجعتي بما يستقرُّ عليه رأيُكَ ، ويأتي به إيجابُكَ ، مكرِّمًا مواصلاً ، إن شاء اللهُ .

فراجعهُ ابن طاهر برقعة قد كتبناها في رسائله^٢ [وبالله التوفيق] .

ومن شعر ذي الرياستين مما نقلته من خط ابنه ، قال :

أدرها مُداماً كالغزالةِ مُزَّةً^٣ تلينُ لرائيها وتأبى على اللمسِ
وتبدو إلى الأبصارِ دون تجسُّمٍ على أنها تخفى على الذهنِ والحسِّ
إذا شعشعتْ في الكاسِ خلت حبايها لآلئاً قد رُفَعْنَ في لبَّةِ الشمسِ
موكلةً بالهمِّ تهزمُ جيشهً^٤ بجيشِ الأمانِي والمسرَّةِ والأنسِ
فإن شئتَ^٥ قُلْ فيها أرقٌ من الهوا وإن شئتَ قُلْ فيها أرقٌ من النفسِ

قال أبو الحسن : البيتان الأولان من هذه القطعة صُبِحَ بلا صَبوح ،

١ من أمير المسلمين : سقط من ط د س .

٢ انظر ص : ٤٨ في ما تقدم .

٣ ط د س : قلت .

وَجَسَدٌ بِلا رُوح ، اسْتَأْذَنَ بِهِمَا عَلَي قَوْلِ الْحَسَنِ^١ فَمَا وَصَلَ ، وَدَنَدَنَ
حَوْلَ ذَلِكَ الْمُقْطَعِ الْمُسْتَحْسِنِ فَمَا تَحَصَّلَ لَهُ وَلَا حَصَلَ ، وَمُنِحَى الْحَسَنِ
الَّذِي انْتَحَاهُ ، وَمِيدَانُهُ^٢ الَّذِي رَامَهُ بِزَعْمِهِ وَتَعَاطَاهُ ، قَوْلُهُ^٣ :

أَكَلْتُ^٣ الدَّهْرُ مَا تَجَسَّمُ مِنْهَا وَتَبَقَّى لِبَابَتِهَا الْمَكْنُونَا
فَإِذَا مَا لَمَسْتَهَا فَهَبَاءٌ^٤ تَمْنَعُ الْكِفَّ مَا تَبِيحُ الْعَيُونَا
وَلِبَعْضِهِمْ فِي قَرِيبٍ مِنْهُ^٥ :

وَحِمَارَةٌ مِنْ بَنَاتِ الْمُلُوكِ تَرَى الزُّوقَ فِي بَيْتِهَا سَائِلًا [٢٩ ب]
مَدَدْنَا هَا ذَهَبًا جَسَامِدًا فَكَالَتْ لَنَا ذَهَبًا سَائِلًا
وَبَلَّغْنِي أَنَّهُ غَنِيٌّ الْمُعْتَمِدُ بْنُ عَبَادٍ بِهِمَا فَزَادَ فِيهِمَا هَذَا الْبَيْتُ :
وَقَلْنَا نَحْنِي جَوْهَرًا ثَابِتًا فَقَالَتْ : نَحَدُوا عَرَصًا زَائِلًا
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ :

لَمْ يُبْقِ مِنْهَا الْبَلْبَى [شَيْئًا] سِوَى شَبْحٍ بِقِيَّةِ الشُّكِّ بَيْنَ الصَّدَقِ وَالْكَذْبِ
وَلِبَعْضِ أَهْلِ الْعَصْرِ فِي قَرِيبٍ مِنْ هَذَا الْوَصْفِ ، وَإِنْ كَانَ فِي ذِكْرِ
السَّيْفِ :

تَدَبُّ الْمَنَائِمَا الْحَمْرُ مِنْ جَنَابَاتِهِ عَلَى جَامِدٍ فِي الْكِفِّ ، فِي الْعَيْنِ ذَائِبِ
وَقَالَ ابْنُ رَزِينٍ :

- ١ يعني ابا نواس الحسن بن هانئ .
- ٢ ديوان ابي نواس : ٣٣٩ .
- ٣ الديوان : درس .
- ٤ الديوان : اجتليتها .
- ٥ نسبها في بدائع البدائه : ١٥٨ لابن المعتز ، وذكر انه يشتمل ذلك عن اللخيرة .

يا ربَّ ليلٍ أطال الهجرُ لذتَه^١ فأياسَ العمرَ عن إدراكٍ مُتتصِفِه
ليلٌ تطاولَ حتى قد تبيَّنَ لي عند التأمُّلِ أنَّ الدهرَ من سُدَّفه
وله^١ :

أنا مآلكُ تجمعتُ في خمسٍ^٢ كلُّها للأناجِ محيٍ مميتُ
هيَ ذهنٌ وحكمةٌ ومضاءٌ وكلامٌ في وقتهِ وسكوتُ

وهذا البيت قلب معناه ، فيما أراه ، من قول الأول ، وأحسن ما شاء :
وإن كلامَ المرءِ في غيرِ كنهه لكالنبْلِ يهوي ليس فيه نصالُه^٢
ومن غريبِ شعرِ ابنِ رزِينِ قوله :

أُحْسِسُ^٣ بِمَجْلِسِ مَعْشِرِ مَا فِيهِ إِلَّا الطَّنْزِ بَرُّ
جِلسَاؤُهُ قُومٌ^٣ ثِقَا لُ كُلُّهُمُ نَحْبُثٌ وَشَرُّ
مَسَا فِيهِمْ^٤ إِلَّا ذُنِي لُ أَوْ غِيٍّ أَوْ مَضِرُّ
أُسْدٌ^٥ عَلَى ثَلْبِ الْكِرَا مِ وَإِنْ وَزَنْتَهُمْ فَنَدَرُّ
هَذَا يَغُوثٌ بِلِ أَضْ لُ وَذَا يَعُوقُ وَذَاكَ نَسْرُ
ذَلِكَ الْمَحَلُّ كَوَادِ عَوْ فِ لَيْسَ يَلْقَى فِيهِ حُرُّ^٥

وهذا من طرقِ تلك الزيزاء التي تستفها وحدَه^٥ ، وبعضِ الشؤون
التي عولَ فيها على ما عنده ؛ إذ هذا المثل يضرب للسيد المتبع الذي غلب

١ س : وقال يقخر .

٢ د ط س : تهوي ليس فيها نصالها .

٣ ط س : قدم .

٤ سقط البيت من د ط س .

٥ فيه إشارة إلى المثل : « لا حر بوادي عوف » ، انظر فصل المقال : ١٢٩ ، ٣٣٦ والميداني

٢ : ١٢٤ والمسكري ٢ : ٢٧٥ .

الناسَ على السيادة ، أو قسرهم على ما تعيّنَ منهم وأراده^١ ، ولو ألمعتُ
في هذا الكتاب بشيء [٣٠ أ] من التفسير لاجتلبتُ كلَّ ما قيل فيه ،
ولنثرتُ ما خفيَ على ذي الرياستين من مطاويه ، وقد ذكرتُ من ذلك
جملةً موفورة ، في كتاب : « سرّ الدخيرة » .

ما أخرجته من شعر ذي الرياستين في النسيب وما يناسبه

[قال] :

أخى^٢ على جسمي النحولُ فلم يدعُ متوهماً من رسمه المعلوم
عبّستُ به أيدي الضنا فكأنه سرٌّ خفيٌّ في ضميرِ كتوم

وقال :

أقسمتُ بالوردِ الجنيِّ ورنّتي نايٍ وعودِ
لأواصلنك بالرضى أو تأنفنّ من الصدود
ولأشربنك بالمئى ولألثمننك من بعيد
ولأرضيننك ان سخطت بذلّة الدنّف العميد
ولأعطفننك بالخضوع وبالقنوع وبالسجود
فبحقّ ما في فيك من لعسٍ ومن ثغرٍ برود
أدمي يضيع وشاهداً خديك في عقد الشهود^٣

وقال^٤ :

- ١ د ط س : أو يقصرهم على ما يعين لهم من إرادة . ٢ س : أخى .
٣ ب م : الشهيد .
٤ هذه القطعة ، والقطعة الضادية التي سترد رابعة ، وردتا مكررتين في ب في آخر الترجمة .

أترى الزمانَ يسرُّنا بتلاقٍ ويضمُّ مشتاقاً إلى مشتاقٍ
وتعضُّ تفاحَ النهودِ شفاهُنا فلطالما شُرِّدنا بالأحداقِ ١
ويعيدُ أنفسنا إلى أجسادِها ٢

وقال :

تزهديني في الزهدِ عينٌ مريضةٌ يمرّضني من لحظها ما أعلّني
ولم تبقِ نفسي غيرُ عطفةِ شادنٍ عساني أفديّه بها ولعلني
شكوتُ إلى فيه الذي بي من الظما فأنهلي عذبَ الرُّضابِ وعكّني

وقال ٣ :

إذا زهدتني في الهوى خيفةُ الردى جلت لي عن وجدٍ يزهد [في الزهدِ]
فلا دمعَ ما لم يجر في إثره دمٌ ولا وجد ما لم يغن عن صفةِ الوجدِ

وقال :

برحَ السقمِ بي فليس صحيحاً من رأت عينه عيوناً مراضا
ان للأعينِ المراضِ سهاماً صيرتُ أنفسي الورى أغراضا
جوهرُ الحسنِ منذ أعرضَ للقلد ب ثني الجسمِ كلّه أغراضا

وقال :

يا مُقلّةَ الظبي الغريدِ رِ ووجنةَ القمرِ المنيرِ
ومصيبَ حباتِ القلوبِ ب بزاعبياتٍ ٤ الفتورِ

- ١ د ط س والخريفة : تفاح الحدود ؛ د ط س والقلائد : وترى بنا الاحداق بالاحداق ؛
الخريفة : وذرى سنا . . . الخ .
٢ د ط س : أجسامها . ٣ سقط البيتان من ط د س .
٤ الزاعبيات : رماح منسوبة الى زاعب، رجل أو بلد . وقال المبرد : تنسب الى رجل من
الخزرج ، كان يعمل الاسنة .

تالله إن لم تترك
لأسرحن^١ لواحظي
ولآكلنك^٢ بالمئى
عن ذا الجفاء وذا النفور
في ذلك الوردِ النضير
ولأشربنك^٣ بالضمير

وقال يفخر :

من كثر الجند رأى أسعدَهُ
ومن أذلّ المالَ عزّت به
فاهدمُ بناءَ البخلِ وارفض به
لا عاش إلا جائعاً نائعاً
يصعدُ حتى ينتهى حدّه
أيامُهُ وانصرفتْ جنده
من هدّم البخل بنى مجده
من عاش في أمواله وحده

وقال :

شأوتُ آل رزينٍ غيرٍ محتفلٍ
قومٌ إذا سئلوا أغنوا ، وان حربوا
جادوا فما يتعاطى جوداً أنملهم
وما ارتقيتُ إلى العليا بلا سببٍ
فمن يرّم جاهدأ إدراكَ منزلي
وهمٌ على ما علمتمُ أفضلُ الأممِ
أفنوا، وان سوبقوا جازوا^٤ مدى الكرم
مدُّ البحارِ ولا هطالةُ الديم
هيهاث هل أحدٌ يسعى بلا^٣ قدم
فليحكني في الندى والسيفِ والقلم

وقال ٤ :

وروضٍ كساه الطلُّ وشياً مجدداً
إذا صافحته الريح خلّت غصونته
إذا ما انسكابُ الماء عاينت خيلته
وان سكنت عنه حسبت صفاءه
فأضحى مقيماً للنفوسِ ومقعداً
رواقص في خضرة من العصب مبيداً
وقد كسرتة راحة الريح مبرداً
حساماً صقيلاً صاني المتن جرّداً

١ ط د س : يرى . ٢ ط د : حازوا . ٣ ط د س : على .

٤ انظر القلائد : ٥٢ والمغرب ٢ : ٤٢٨ .

وغنتُ به ورقُ الحمامِ حولنا غنايَ يُتَسَيِّكَ الغريضَ ومعبدًا
فلا تحقرنَّ الدهرَ ما دام مُسعداً ومُدًّا إلى ما قد حباكَ به يدا
وتخذُها مُداماً من غزالٍ كأنه إذا ما سعى بدرٌ تحمَّلَ فرقدا

وهذا البيت الأخير معناه مشهور وهو كثير في أشعارهم ؛ ومنه قول
عنان جارية الناطفي ، وقد روي لأبي نواس :

وكانها والكاسُ فوق بنائها شمسٌ يمدُّ بها إليك هلالُ
وقال ابنُ الرومي :

قمرٌ يقبِّلُ عارضَ الشمسِ^١

وقال ذو الرياستين [٣١ أ] [من جملة أبيات] :

قد خرَجنا من ازدحامِ القمامِ كشموسٍ خرَجنَ تحتَ الغمامِ
وحصلنا في نزهتين وفي حُبِّ نين بين المياهِ والآكامِ
بين [روض] مُدبَّجٍ وِغصون تتشَّى كشارباتِ المدامِ^٢
غرَدت فوقنا البلابِلُ والورُ قُ فأرقنني وهجنَ غرامي
ذاك طيرٌ - أطارَ قلبي شوقاً وحمامٌ مُغرَّدٌ بحمامِ^٣

وكتب إليه أبو جعفر بن سعدون بهذه الأبيات ؛ :

[فديناك لا يستطيعك النظم والنثر فأنت مليك الأرض وانفصل الأمر]

١ هذا البيت . . . الشمس : ورد في ط د س في موضع هذه العبارة : « ومعاني هذه الابيات
وأكثر هذه التشبيهات قد نهت عليها فيما مضى من هذا التصنيف ، واندرج لها نظائر في
تضاميف هذا التأليف » .

٢ ب : كشاربات مدام ؛ د : كشارب من مدام ؛ س ط : كشارب مدام .

٣ د : بحمامي . م ب : لحمام .

٤ هذه الابيات : عبارة لم ترد في د ط س .

وقد جلبت ساعاتنا هو يومنا ١ وساعد سعد منه لو ساعد السكر
وفضلك للجود المتمم ضامن ٢ فمن عنده خمر ومن عندنا شكر
فأجابه ذو الرياستين :

رغبتم وأرغبناكم وهي الخمر فما لم يكن سُكرانٍ فليكن السكر
إليكم فاني في الوغى والندى فتي ٣ هو البحر إن أعطى وإن صال فالدهر ٤

أخبر الوزير أبو عامر بن سنون أنه اصطحب يوماً والجو سماكي العوارف ،
لازوردي المطارف ، والروض [أنيقة لباته ٣] رفيقة هباته ، والنور مُستل ،
والنسيم معتل ، ومعه قومه ، وقد راقهم يومه ، وصلاته تصافح معنفيهم ،
ومبراته تشافيه موافهم ، والراح تشعشع ، و [ماء] الأمازي ينشع ، فكتب
إلى ابن عمار وهو ضيفه :

ضمان على الأيام أن أبلغ المنى إذا كنت في ودي مسراً ومعلنا
فلو تسأل الأيام من هو مفرد بود ابن عمارة لقلت لها : أنا
فإن حالت الأيام بيني وبينه فكيف يطيب العيش أو يحسن الغنى
فأجابه :

هصرت لي الأيام طيبة الجنى وسوغتني الأحوال مُقبلة المنى ٤
والبستي النعما أغض من الندى وأجمل من وشي الربيع وأحسنا
وكم ليلة أحظيتني بحضورها فبت سميلاً للسناء وللسنا
أعطل نفسي بالمكارم والعلا وأذني وكفني بالغناء وبالغنى

١ ط د س : اللهم بيننا .

٢ الى هنا تنتهي الترجمة في د ط س ؛ وما جاء بعدها في م ب يتفق مع ما ورد في قلائد العقيان :

٥٢ وما بعدها ؛ وقد انفردت ب ايضاً بزيادات اشرت اليها فيما تقدم ، وهي تكرار
سبق ذكره .

٣ زيادة من القلائد ؛ وفي م بياض .

٤ القلائد : الدنى .

سأقرن بالتمويل ذِكْرَكَ كلِّمَا
لأوسعتني قولاً وطولاً كلاهما
وشرفني من قطعة الروضة التي
تروقُ بجيد الملك عقداً مُرَّصعاً
قدمُ هكذا يا فارس الدَّستِ والوعى
تعاورتِ الأسماءُ غيرَكَ والكنى [٣١ ب]
يطوقُ أعناقاً ويخترسُ السنَا
تنائرَ فيها الطبعُ ورداً وسوسنا
وتزهى على عطفه وشياً معيتنا
لتطعنَ طوراً بالكلام ٢ وبالقلنا

وكتب إليه الوزير أبو جعفر بن سعدون وقد اصطبغ يوماً بحضوره ولارذاذ
رشّ ، وللربيع على [وجه] الأرض فترش ، وقد صقل الغمامُ الأزهارَ حتى
أذهب نمشها ، وسقاها فأروى عطشها :

فدينك لا يسطيعك النظمُ والنثرُ
مَرَيْنَا نذاكَ الغمرَ فأنهلَّ صيباً
وجاء الربيعُ الطلقُ يندى غضارةً
وما منهمُ إلاَّ إليك انتماؤهُ
خلا منك دهرٌ قد مضى بعبوسه
« فبشرتُ آمالي بملكٍ هو الورى
فراجعه :

إليكَ فلولا أنتَ لم يُنظَّمِ الدرُّ
إذا قلتَ لم ينطقُ فصيحٌ مدرَّبٌ
لكَ السبقُ كم روضتَ من عاطلِ الربى
ولما مِلكتَ القولَ قهراً^٥ وعوداً
ولا التامَ في مدحِ نظامٍ ولا نثرُ
ولا ساغَ في سجعٍ غناءٍ ولا زور
وحللتَ من سحرٍ وقد عُدِمَ السحرُ
أطاعك جيشُ النظمِ واثمرَ النثرُ

- ١ القلائد : الروض بالتي ؛ وفي م : الروض .
- ٢ القلائد : بالاقلام طوراً .
- ٣ القلائد : العصر .
- ٤ القلائد : العصر .
- ٥ القلائد : قسراً .

فلا نقلَ إلاَّ ما تقولُ باييةً ولا خمرًا ما لم تأتِ من فمك الخمر

ثم وجه فيه إلى روضة قد أرجتُ نفحاتها ، وتدبجتُ ساحاتها ، وتجردتُ
جداؤها كالبواتر ، ورمقت أزهارها بعيونِ فواتر ، فقال ذو الرياستين :

روضٌ كسناه الظلّ البيت ١ [١٣٢]

وللكاتب أبي الحسن ابن سابق عندما وصل مريبطر عند تخلّي أبي عيسى بن
لبون عنها ، وكان في جملة من انحرف عن ابن لبون ، وتشوّف إلى المستعين ،
وورد على غير عذب ولا معين ، فقال أبو الحسن ٢ :

من كان يطلبُ من أصحابنا صلةً على فراقِ أبي عيسى بن لبونِ
فليس يُقنعي من بده عيوضٌ ولو جمعيتُ على أموالِ قارونِ
قد كان كنزي فكفّ الدهرُ عنده يدي والدهرُ يمتنعُ بالنعيمِ إلى حين
كانَ قلبي إذا ذُكرتُ فُرفرتَه مقلّبٌ فوقَ أطرافِ السكاكينِ

فلما سمع قوله هذا ابن رزين قال :

هَبُّوا لنا حظكم من آلِ لبونِ كم تبخلونَ علينا بالرياحين
لا تملونا فحقٌّ أن ننافسكم في أكرمِ الناسِ في الدنيا وفي الدين ٣
ذاك الوفي ٤ الذي نبطتُ تمانمه عند الفِطامِ على حيلم ٥ ابن سيرين
اختارنا فتخيّرناه صاحبنا وكلّنا في أخيه غيرُ مغبون ٦
إن كان أنشَرَ ذكرِي في بلادكم لأنشرنَ له يحيى بن ذي النون
وكلُّ من حوله حاظٍ بحظوته يبعثي ٦ الحسودَ بترفيحٍ وتمكين

١ اورد هنا سبعة أبيات سبق إيرادها ، وهذا تكرار يدل على ان هذه القطعة المزيدة دخيلة على

« الذخيرة » وفيها اتباع وأصح لما جاء في قلائد المعيان .

٢ انظر القلائد : ٥٤ .

٣ القلائد : للدنيا ولدين .

٤ القلائد : الكرم .

٥ القلائد : علم .

٦ القلائد : يشجى .

حتى تقولَ الليالي وهي صادقةٌ هذا السموألُ في هذي السلاطين
وله ١ :

رباً صفراءَ تردتْ بشخوبِ العاشقين
مثلَ فِعْلٍ النارِ فيها تفعلُ الآجالُ فينا

وله بتشوقٍ إلى خليط ودّعه ، وأجرى بعده أدمعه ٢ :

دع الدمعَ يُفني العينَ ٣ ليلةً ودّعوا . إذا انقلبوا بالقلب لا كان مدمعُ
سرواً كاغْتداءِ الطيرِ ، لا الصبرُ بعدهم جميلٌ ، ولا طولُ الملامةُ ينفع
أضيقُ بحملِ الفادحاتِ ٥ من النوى وصدري من الأرضِ البسيطةِ أوسع
وإن كنتُ خلّاعَ العذارِ فلأنني لبستُ من العلياء ما ليس يُخلعُ [٣٢ ب]
إذا سلّتِ الألوّاطُ سيفاً نحشيتُهُ وفي الحربِ لا أخشى ولا أتوقّعُ

وأخبر أبو عامر بن سنون ، أنه كان معه بمنية العيون ، في يومٍ مُطرز الأديم ،
[ومجلس] معزّز النديم ، والأنسُ يغازلهم من كلّ نية ، ويواصلهم بكلّ
أمنية ، فسكراً أحدُ الحاضرين سكراً مثل له ميدان الحرب ، وسهّل عليه مستوعر
الطعن والضرب ، فقال :

نفسُ الذليلِ تعزُّ بالجرّيالِ فيقاتلُ الأفرانَ دونَ قتالِ
كم من جبانٍ ذي افتخارٍ باطلٍ بالخميرِ تحسبُهُ من الأبطالِ
كبشُ النديّ تخمطاً وعرامةً وإذا تُشبُّ الحربُ شاةً نزالِ
وله :

برحَ السقّمُ [البيت] ٦

١ انظر القلائد : ٥٦ والمغرب ٢ : ٤٢٩ .

٢ القلائد : ٥٥ والمغرب ٢ : ٤٢٩ . ٣ القلائد : الحفن .

٤ القلائد : الندامة . ٥ القلائد : الحادئات .

٦ تكرر هذا البيت من قبل ؛ وقد ورد وحده في م وورد في ب مع بيتين آخرين .

فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي محمد عبد الله ابن الفقيه أبي عمر بن عبد البرّ النمري وسياسة فصول من تروسيه ، تشهد لمن قال بتفضيله^١ .

كان أبو محمد قد حلّ من كتّاب الإقليم ، محلّ التمر من النجوم ، وتصرف في التأخير والتقديم ، تصرف الشفرة في الأديم ، وله ولأبيه قبله لواء سبق ، ولسانُ صدق ، وكفى بأبيه علماً لا يخفى ، ورحماً من العلم لا تُحفى ، وتواليفه اليوم تيجان رؤوس^٢ العظماء ، وأسوة العلم والعلماء . ولما^٣ شأى أبو محمد بالأندلس الحلبة ، وتبجح صدر الرتبة ، تهادته الآفاق ، وامتدت إليه الاعناق ، ففاز به قِدْحُ عباد بعد طول خصام ، والتفاف زحام ، فأصاخ أبو محمد لمقاله ، وتورط بين حباله وحباله ، وحلّ البلد النكد ، وركب يومئذ الأسد الرّد ، وعلى ذلك فكان غصّ أبو الوليد ابن زيدون بمقدّمه ، وجهد - زعموا - كلّ جهد في إراقة دمه ، ولهما في ذلك خبر سارت به الركبان ، وسمر تهادته السقار في جميع البلدان^٤ .

ولما رأى أبو محمد أنه قد باء بصفقة خسران ، وأن العشاء قد سقط به على سرحان^٥ ، أدار الحيلة ، وابتغى إلى الخلاص الوسيلة : زعموا

١ ترجمة ابي محمد بن عبد البر في القلائد : ١٨١ والخريدة ٢ : ١٣ ، ٤٧٨ ، (١٦٦) ، (٤٥٩) وبغية الملتبس رقم : ٩٦٥ والمغرب ٢ : ٤٠٢ والصلة : ٢٧٠ (وفيها أنه توفي سنة ٤٥٨ وهو مخالف لما ذكره ابن بسام) واعتاب الكتاب : ٢٢٠ والمسالك ٨ : ٢٤٦ .

٢ ب م : رؤساء .

٣ من هنا نقله ابن الأبار في اعتاب الكتاب : ٢٢١ مع إيجاز وحذف .

٤ ط د س : الركائب ، وسمر تهادته المشارق والمغرب ، وكذلك خ بهامش م .

٥ سقط العشاء به على سرحان : مثل ، وأصله أن رجلاً خرج يطلب العشاء فوقع على ذئب ، فأكله الذئب ؛ وقال ابن السكيت : هو سرحان بن معتب ، كان يحمي مكاناً ، فمر رجل

من بني اسد فرعى فيه فقتله سرحان (فصل المقال : ٣٦٢ والميداني ٢ : ٢٢١) .

أنه مذ دخل اشبيلية يومئذ لم يزل نافر النفس ، منقبض الأُنس ، فلما
استشعر الخذر ، وأحسَّ بالتغيّر ، ألقى عصا التسيار ، وأخذ في اقتناء
[٣٣ أ] الضياع والديار ، حتى ظنَّ عباداً أنه قد رضي جوارهُ ، واستوطن
داره ، فاستنام إليه برسالةٍ إلى بعض خلفائه من رؤساء الجزيرة وقتئذٍ ،
فجعل أبو محمد يتفادى منها ، ويتناقل عنها وهو يقول : لا أبا لك ، تمنّعي
أشهى لك . ولما انسلَّ من يد عبادٍ انسلال الطيف ، ونجا وأسأله^١ كيف^٢ ،
رجع إلى مُستقرّه من الشرق ؛ وأدار الحيلة على أبي عمر بن الخداء
الخانن^٣ ، فعوّضه بضياعه وعقاره ، وزيّن له اللحاق بدار بواره ، وسوء
قراره . وقد كان عباد قبل ذلك يعبدهُ ويمنّيه ، ويستدرجه ويدلّيه ،
فلما طلع عليه لم يزد على أن أسرّه وقصره ، وأظهر من الزهد فيه ، أضعاف
ما كان يعبدهُ ويمنّيه ، وجعل أبو محمد ابن عبد البرّ بعد ذلك ينتقل في
الدول ، كالبدري يترك منزلاً عن منزل ، وقد جمع التالّد إلى الطارف^٤ ، وكتب
عندنا عن أكثر ملوك الطوائف ، وقد أخرجت من شواهدة على الإحسان ،
ما يليق^٥ بغرض هذا الديوان . وكانت وفاة أبي محمد سنة أربع وسبعين
وأربعمائة .

١ د ط س واعتاب الكتاب : وسله .

٢ ذكر ابن الأبار أن والده الفقيه أبا عمر ابن عبد البرّ سافر من شرق الأندلس إلى اشبيلية
لتخليص ابنه من يدي عباد ، فأطلقه له ، وانصرفا عنه محنوفين بالاكرام .

٣ ب م : أبي عمرو بن الجدي ؛ ولقظة « الخائن » لم ترد في ط د س ؛ وأبو عمر ابن الخداء هو
أحمد بن محمد بن يحيى التميمي ، جلا عن قرطبة في الفتنة ثم عاد إليها فكان متصرفاً بينها
وبين اشبيلية إلى أن توفي سنة ٤٧٧ (الصلاة : ٦٥) .

٤ ط س د : والطارف . ه ط د س : يغي .

جملة ما أخرجته من رسائله السلطانيات

فصل له من رقعة عن ابن مجاهد وقد زفّ ابنته إلى ابن صمادح^١ :
قد انتظمتنا [أيّتك الله] انتظام السِّلْك ، وضرّحنا عن مشاربِ الحالِ
الجامعة لنا قذاة كلِّ شك وإفك^٢ ، وظهر الحقُّ المبينُ من المين ، وتبين
الصبحُ لذي عينين^٣ ، وأنفِدتِ الهديةَ^٤ المقتضاة ، محفوفةً بالحرم والمحارم ،
مكنوفةً بالكرائم ثم بالاعلام^٥ الأكارم ، وأنا أسألُ الله في متوجّهها
ومُنقلبها الرعايةَ الموصولةَ بك ، والكفايةَ المعهودةَ منك ، حتى يفنيءَ
عليها ظِلُّكَ ، ويبوّثها متّوى الحفاية^٦ محلُّكَ ، ويحميها حَوْزُكَ ومكانك ،
ويؤويها عزُّكَ وسلطانك ، ثم حسبي عليها كرمك وكننك ، وخليفتي
عليها بركٌ ولطفك ، فهي الآن ملكك وانت الكريمُ المسجع ،
وبضاعة متّجري منك وأنت المُرْبِحُ المُنْجِح ، فانك - والله يبيحك
ويعليك ، ويشدُّ قبضتَكَ على [رقاب] أمانيتك وأراجيك - ذخرُ الأبد ،
وعتادُ الأهل والإخوان والولد ، وعندك ثمرةُ النفسِ وفلذةُ الكبد ،
فارقتها عن شدة ضنّانة ، وأسلمتها بعد طولِ صيانة ، وما زُفّت إلا إلى
كريم^٧ يحملها محملَ الأمانة ، ويقضي فيها حقَّ الديانة ، ويرعى لها انقطاعها

١ انظر المغرب ٢ : ٤٠٢ - ٤٠٣ .

٢ ب م : افك وشك .

٣ من المثل : « قد بين الصبح لذي عينين » ، فصل المقال : ٦١ .

٤ الهدية والهدي : المروس ، وفي اللفظة تورية .

٥ د ط س : بالكرائم والاعلام .

٦ الحفاية والحفاوة بمعنى .

٧ ط د س : كفيل .

عن أهلها ، واغترابها عن مألها ومنشأها ، وهو حُكْمُ الله [٣٣ ب]
الواجب ، وقَدَرَهُ الغالب ، وسُنَّتُهُ المشروعة ، ومشِيئَتُهُ المثبوعة .
ولنا في رسول الله عليه السلام أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ، وفيما قاله في مثل هذه قُدْوَةٌ
يقتدى بها ، وسُنَّةٌ يَحْتَدَى عليها ، إذ تلا قوله تعالى ﴿ وهو الذي خلقَ مِنَ
الماءِ بَشَرًا فَجَعَلْنَاهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ﴾ (الفرقان : ٥٤) وقال عليه السلام :
« انما فاطمةُ بضعةٌ مِنِّي ، فمن أكرمها فقد أكرمني ، ومن أهانها فقد أهانني » .
اللهمَّ بارك لها وبارك عليها ٢ .

ولأبي ٣ محمد بن عبد البر ٤ :

لا تكثرنَّ تأملاً واحبسْ عليكَ عنانَ طرفِكْ
فلربما أرسلتَهُ فرماكَ في ميِّدانٍ حتفك

وكتب إلى بعض إخوانه ٥ : مَن صَحِبَ الذهْرَ - أعزَّكَ اللهُ - وقع
في أحكامِهِ ، وتصرَّف بين أقسامِهِ : من صحَّةٍ وسقَمٍ ، ووجودٍ وعَدَمٍ ،
وفتاءٍ ٦ وهَرَمٍ ، وبعادٍ واقترابٍ ، وانتزاحٍ واغترابٍ ، واتَّفَقَ لي ما
قد علمتَ من الانزعاج والاضطراب ، والتغرُّبِ والإياب ، لا والله ما
جرى من حركاتي شيءٌ على مُرادِي واعتقادي ، وإنما هيئاتُ الأقدارِ
والآثار ، وعند ورودي أُعلِمْتُ بما أصابتك [به] صروفُ الأيام ، من

١ ورد في الصحيحين ، باب مناقب الصحابة ، ومسند أحمد ٤ : ٣٢٦ بلفظ مختلف .

٢ ب ط د س : لنا . . . علينا .

٣ من هذا الموضع حتى قواه : « فالمصائب جليل » لم يرد في د ط س ، وأكثره متابع لقلائد العقيان :
١٨١ وما بعدها ، وقد فصل بين رسالتين في وضوح واحد هو زفاف ابنة مجاهد الى ابن
صمادح ، وأغلب الظن أنه دخيل على أصل اللخيرة .

٤ البيهتان في القلائد وبنية الملتبس والخريدة ٢ : ١٣ ، ٤٧٨ ، والمغرب .

٥ انظر القلائد : ١٨١ . ب : وقتي ؛ م : وقتو .

الامتحان والالتزام ، فيعلمُ اللهُ لقد أَلَمْتُ لذلك نفسي ، وساءَ به أثرُ الزمانِ
عندي ، فقد جمعتنا حوادثُ الأيامِ وصروفها ، وقد اختلفتْ أنواعُها
وصنوفُها ، على أنَّ الذي أصابك أثقلُ عبئاً ، وأعظمُ رزماً ، واللهُ يعظمُ
أجرَكَ ، ويجزِلُ ذُخْرَكَ ، ويجعلُ هذه الحوادثَ آخرَ حوادثك ، وأعظمَ
كوارثك ، حتى يستديمَ ما بعدها من سرِّاءِ سَابِغَةٍ تُنْعِمُ بِالكِ ونخاطرِك ،
وتُقِرُّ عَيْنَكَ وناظرِك ، ولا زلتَ من خطوبِ الدهرِ في جهةٍ من الكفايةِ
مكينةً ، ودرعٍ من الحمايةِ حصينةً .

وكتب مهنئاً للمعتضد بأخذِ شِلْبِ^١ : كتابي - أعزك الله - عن حالِ
قد أطلَّ جناحُها ، وآمالٍ قد أسفَرَ صباحها ، ويدٍ قد أورى^٢ زندُها ،
ونفسٍ قد انتجيزَ وعدّها ؛ أعزبه من صنْعِ جميلِ صنْعِ الله لك بحصولِ قاعدةِ
شِلْبِ وذواتِها في قبضتِك ، واستظلالِ ذلك الأفقِ بظلِّ طاعتك ،
وخروجِ صاحبها عنها من غيرِ عقْدِ عاصمٍ ، ولا عهدٍ لازمٍ ، قد خاب
ظنُّه في التماسكِ ، وأخلفه^٣ أمَلُّه في التهالكِ ، فأَيُّ نعمةٍ ما أجلتها
وأجزلها ! وأيِّ منةٍ ما أتمَّها وأجملها ! على حينِ تضاعفِ حُسنِ مَوقِعِها ،
وبان لطفِ محلِّها وموضعها ، ولاحت عنواناً في [٣٤ أ] صحيفةِ مساعينا ،
وبرهاناً على تأتّي أراجينا ، فالحمدُ لله على ما منَّ به وأحسنَ ، حمداً
يواني الحقَّ ويقضيه ، ويحتوي على المزيدِ ويقترضيه ، وهو المسئولُ أن
يُتبعَهُ بأشكاله ، ويشفَعَهُ بأمثاله ، فظهوري منوطٌ بظهورك ، وسروري
موصولٌ بسرورك ، واتصالُ حالي بأحوالك ، وحبلي بجمالك ، هنالك الله

١ القلائد : ١٨٢ والخريدة ٢ : ٤٧٩ .

٢ القلائد والخريدة : اشد .

٣ ب م : وجمله ، والتصويب عن القلائد .

ولإي ما خوّلك ، وقرّنت بالزيادة آلاءه قبلك .

وله يرثي بعضَ حظاياها :

بعضك بل كلّك في الرّمسِ لتفديتِكِ النفسُ بالنفسِ
يا فجعةٌ ما مثلها فجعةٌ من ناظرٍ صار إلى رمسِ
غرسٌ نما حتى إذا ما استوى عدتْ يدُ الدهرِ على الغرسِ

وله :

قل في الحمام وما عسّاك تقولُ النفسُ تجمعُ والحمامُ يَصُولُ
يا أيها الملهوفُ كرباً لا تُفِقُ إن جلَّ صبرُكَ فالمصابُ جليلُ

وله من أخرى^١ : وقد توغلتُ معك في أسباب الألفَةِ ، وهتكتُ
بيني وبينك ستارَ المراقبةِ والكلفةِ ، فأنا أستريحُ اليكَ بخفياتِ سرِّي ،
وأجلو عليكَ بنياتِ صدري ، خروجاً اليكَ عما عندي ، وجرياً معكَ
على ما يقتضيه إخلاصُ ودِّي ، وجلاءً لشواغلِ بالي ، واستظهاراً بكِ
على حالي ، وشفاءً لغصصِ^٢ نفسي ، واستدعاءً لما شرّدَ ونفّرَ من أنسي ،
كما يَسْفِثُ المصدورُ ، ويتلقى بردَ النسيمِ المحرورِ^٣ ، وكما تفيضُ النفسُ
عند امتلائها ، وتجودُ العينُ طلباً للراحةِ بمائها أو دماؤها ؛ وكنتُ أشرتُ
في كتابي بتوجهه من توجّهٍ من قبلي ، ممن كان رَوْحَ أنسي ، وريحانَ
خلدي^٤ ونفسي ، إلى أن قرّعَ ما قرّعَ من لوعةِ الفراقِ ، ولذعَ ما لذعَ
من روعةِ الاشتياقِ ، وأنا أظنُّ أن ذلك عاقبةُ الصبرِ تغلبُهُ ، والجلدِ

١ زاد في ط د س : في ذكرها ، يعني في ذكر ابنة مجاهد وزفافها الى ابن صمادح ، انظر

ص : ١٢٧ . ٢ ط د س : لمضض .

٣ د ط س : المخمور .

٤ ط د س : نفسى . . . جلدي وأندي .

يَعْقُبُهُ ، وان انصرامَ الأيامِ يُنسيه وَيُذهِبُهُ ، فإذا هو قد أفرطَ
 وزاد ، وغلب أو كاد ، حتى نفى السلو ، ومنع الهدو ، وتعدى اللدع
 إلى الإحراق ، وتجاوزَ الرُوعَ إلى الاطباق ، والأفقُ داجٍ مظلم ، والنهارُ
 عندي ليلٌ مستبهم ، وإني لأستخفُّ لما أجدهُ حلمي ، وأستضعفُ مما
 أكابدهُ عزمي ، واستنهضُ للثباتِ تأييدي وحزمي ، فينزِع [٣٤ ب]
 بي الإشفاقُ المستولي ، ويترجمُ الزفيرُ المستعلي ، ويتصورُ لي أنَّ قطعةً
 مني ، بانَّتْ منفصلةً عني ، وأن جزءاً من أجزائي ، ذهب بصبري وعزائي ،
 حتى إذا تفكرتُ في خروجها إليك ، وأنت من أنت ، تراجعتُ وتماسكت ،
 وإذا تذكرتُ تعريسيها بك ، وحالكَ حالكَ ، تصبرتُ^١ وتماكتُ ؛
 واللهُ يُطلِعني من سلامةِ الوصول ، وكرامةِ الحلول ، ما يُقرُّ العينَ وَيَسِّرُ
 النفسَ ، بمنهٍ وَيُمنِّه .

قال أبو الحسن : كناية أبي محمد عنها بـ « الهدية »^٢ ، كناية سرية^٣ ،
 وإنما احتذى في ذلك حدو بلغاء المشرق - ذكر أبو منصور الثعالبي
 قال : لما زَفَّ بختيار بنته إلى أبي تغلب بالموصل كتب عنه الصابي فصلاً
 بمعناها استحسنته البلغاء وتحفظوه ، وأقرَّ له كلُّ بليغٍ بالبلاغة فيه وهو ؛
 قد توجه أبو النجم بدر الحرمي ، وهو الأمينُ على ما يتلحظه ، الوفيُّ
 بما يحفظه ، يحملُ الهديةَ ، وإنما نُقِلتْ من وطنٍ إلى وطنٍ ، ومن
 معرَّسٍ إلى معرَّسٍ ، ومن مأوى بئرٍ وانعطافٍ ، إلى مأوى كرمٍ والطفاف ،
 ومن منبت درت له نعمائه ، إلى منشأ تجودٍ عليه سماؤه ؛ وهي بضعة

١ ط س : تبصرت . ٢ انظر ما تقدم ص : ١٢٧ .

٣ ب م : برية .

٤ د ط س : احتذى حدو بلغاء المشرق ، كقول الصابي في فصل عن بختيار وقد زف ابنته
 إلى أبي تغلب بالموصل : وقد توجه أبو النجم . . . الخ .

مني انفصلتُ إليك ، وثمره من جنى قلبي حَصَلْتُ لديك ، وما بان عني من وصلتُ حَبَلَه بجبلك ، وتخيرتُ له بارعَ فضلك .

ولما أَلَمَّ الصابي في هذا أيضاً بفصل لابن ثوابه عن المعتضد إلى ابن طولون في ذكر ابنته قطر الندى المنقولة أيضاً إليه ، يقول فيه : وأما الوديعه فهي بمنزلة من انتقل من يمينك إلى شمالك ، عنايةً بها وحياطةً لها ، ورعايةً لمواتك فيها .

فحكى أن الوزير عبيد الله بن خاقان انتقد الفصل على ابن ثوابه^٢ وقال له : ما أقبَحَ ما تفاعلتَ لامرأة زُفَّتْ إلى الملك بتسمية الوديعه ، والوديعه مُسْتَرَدَّةٌ ، وقولك : من يمينك إلى شمالك أقبَح ، لأنك جعلتَ أباها ابن طولون اليمين ، والشمال أمير المؤمنين ، ولو قلتَ على حال : وأما الهدية فقد حَسُنَ موقعها منّا ، وجلَّ خطرُها عندنا ، وهي وإن بَعَدَتْ عنك ، بمنزلة من قَرُبَ منك ، لتفقَدِنَا لها وسرورها بما وردت عليه ، واغترباطها بما صارتُ إليه ؛ فكتب الكتاب يومئذ على ذلك .

وكان في جملة من تحمَّلَ قطر الندى يومئذ إلى المعتضد أبو عبد الله ابن [٣٥ أ] الجصاص^٣ ، وكان آية من آيات خالقه في الجهل والغباوة ، مع وفور الجاه وغلظ النعمة ، ونوادره في النوكى مأثورة مذكورة ، جدت أبو اسحاق الماذراني قال : خرجنا إلى الشماسية مع الوزير عبيد الله بن سليمان نستقبلُ ابن الجصاص ، وقد وافى بغدادَ بقطر الندى ،

١ د ط س : وألم الصابي أيضاً في هذا الفصل لابن ثوابه عن المعتضد إلى ابن طولون . . . قال .

٢ د ط س : فانتقد الوزير عبيد الله تلك اللفظة عليه . . . الخ .

٣ نوادره كثيرة في كتب الادب : كالبصائر لابن حبان ونثر الدر للآبي وزهر الآداب وجمع الجواهر للحصري والنفوس للصابي ونشوار المحاضرة للتونخي وفوات الوفيات للكاتب .

٤ د ط س : وغلظ .

وبالمعتمد يومئذ علة^١ كبرت معها خصيتاه ، فلما سألناه عن أبي الجيش خمارويه وعن الحرّة قطريّ الندى قال : أما الأمير^٢ ففي عافية ، وأما العروسة^٣ فجتكم بزُبدٍ على ورق^٤ ، والله لا يضعُ الأمير^٥ فردَ خصيتيه عليها إلا قتلها ؛ فأضحك من حضر .

ومن نُوكِه أنه دخل عليه بعضُ إخوانه فوجده يصلّي وقد أطل السجود ، فقال له : ما هذه السجدة^٦ ؟ فقال : سألتُ ربي حاجةً ، أن يمسخني يومَ القيامة حوراء^٧ ويزوجني عمرَ بن الخطاب ، قال له : فكنتَ إذنُ تسأله أن يزوجك بالنبّي عليه السلام ، قال : غششتني يا سيدي ، أردتُ أن تجعلني ضرةً لعائشة !

ومن نوكة أنه كان عند الوزير ابنِ الفرات يوماً فذكروا^٨ هزاراً جارية ابن المعتزّ وأنها تزوجتُ بغلامه سريعاً بعده ، فقال ابن الجصاص لابن الفرات : أعزّ الله الوزير ، لا تنقن بقعبة ولو كانت أمك ؛ فتبسّم الوزير ، وانقلب المجلسُ ضحكاً .

وأجيبَ بختيار يومئذ على كتابه برقعة من لإنشاء أبي الفرج البتغاء يقول^٩ في فصلٍ منها : وأما أبو النجم بدرٌ فقد أدّى الأمانة^{١٠} إلى محتملها ، وسلّم الذخيرة الجليلية إلى متقبلها ، فحلت^{١١} محلّ العزّ في وطنها ، وأوت من حمى الأسود^{١٢} إلى مستقرّها وسكنها ، منتقلة عن عطنِ الفضل والكمال ، إلى كتفِ السعادة والإقبال ، وصادرة عن أنبلِ ولادة ونسب ، إلى أشرف اتصال وأنبه سبب ، وفي اليسير من لوازم فروضها وواجبات

١ د ط س : ورقة .

٢ د ط س : الخليفة .

٣ د ط س : فتداكروا .

٤ د ط س : فتبسّم ابن الفرات .

٥ د ط س : قال فيها : وقد أدى أبو النجم بدر الأمانة .

٦ ط س : فجاءت .

٧ ط س د : الأسود .

حقوقها ما عاق رغبتني عن الوصاة بها ، وكيف يوصي الناظر بنوره ،
أم [كيف] يُحَضُّ القلبُ على حفظِ سروره .

[رجع] :

ولابن عبد البرّ عن المعتضد إلى أبي عمر أبيه [من] رقعة يقول^١ فيها :
إن كنتَ لم نتعارفْ تراثياً ، ولم نتلاقَ تدايماً ، ففضلكَ في كلِّ قطرٍ
كالشاهدِ ، وشخصكَ في كلِّ نفسٍ غيرُ متباعدٍ ، فأنتَ واحدٌ عصركَ ،
وقريعٌ دهركَ ، علماً بيدك لوأوه ، وفضلاً إليك اعتزأوه^٢ ، وكنتَ كذلكَ
والناسُ موفورون ، والشيوخُ [٣٥ ب] أحياءُ يرزقون ، فكيف وقد
درَسَ الأعلامُ والكُدى^٣ ، وانتزعَ العلمُ بقبضِ العلماءِ فانقضَى ،
والله يباركُ في عمركَ ، ويعينُ كلاً على بركٍ ؛ وإلى ذلكَ من مشهورِ حالك ،
فبيننا من وكيدِ الذمامِ السالفِ ، وشديدِ اتصالِ الطائفِ والطارفِ ، وأنتَ
له جِدٌّ ذاكِرٌ وبه حقٌّ عارفٌ ، ورعايةٌ مثلُ هذا منك تُقْتَبَسُ^٤ ،
ولديك تُلْتَمَسُ^٥ ؛ ولم تَنْزَلْ نَفْسِي إِلَيْكَ جانحةً ، وعيني نحوكَ طامحةً ،
انجذاباً إلى العلمِ ورغبةً فيه ، ومنافسةً في قضاءِ حقوقِ حامليه ، والناسُ
عندنا إلى ما عندك ظِماءٌ ، ولدينا الداءُ وأنتَ الشفاءُ ، فاجعلْ بفضلك
للغربِ منك نصيبَ الشرقِ ، فهو أولى بكَ وأحقُّ ، وعندني لك من
الإعظامِ والاكرامِ ما يُضاهي حالك ، ويُسامي آمالك ، وقد صارَ عندي
جزءٌ منك متحكماً^٦ فيه على المنصورِ - أيّده الله - وعليك ، وإرادتي^٦

١ د ط س : قال .

٢ الكدى : جمع كدية ، الارض المرتفعة ، والاعلام : الجبال ؛ يعنى درس العلماء الاعلام
ومن يليهم في الشهرة والارتفاع . ٣ والله تبارك . . . تلتمس : سقط من ط د س .

٤ ب م : ونفسي . ٥ د ط س : جزء من اجزائك محكما .

٦ د : وارادني ؛ م : وان اذنتني .

أن أجمعَ شملكما ، وأصلَ جبلكما .

وله عنه من أخرى إلى ابن هود : مَنْ اعتقدَكَ - [أعزَكَ اللهُ] -
عماداً له وظهيراً ، وراك عتاداً وذخيراً ، طالعَكَ بحالِهِ وأمرِهِ ، وأطلعَكَ
على حلوهِ ومُرِّهِ ، وخرج إليك عن سِرِّهِ وجهرِهِ ، وناجاك بمختلجاتِ
صدره ، ومعتلجاتِ فكره ، مستريحاً إلى النجوى ، بالغاً عُدْرَةَ^٢ نفسه
في الشكوى ، واثقاً بقضائكِ الفصلِ فيما يُوردُهُ ، عالماً بحكمك العَدْلِ في
ما يعدُّه^٣ ، راضياً بانصافِكَ في ما يُقدِّره^٤ لديك ويُمَهِّدُهُ^٥ ، واللهُ
لا يُعَدِّمُنِي الاستظهارَ برأيك أعشو إليه سراجاً ، وسعيك أحتدي عليه
منهاجاً ، وقد علمتَ صورةَ حالي مع المدبرين ؛ لقرطبة^٥ وصبري لهم
في الخطيرِ والخليلِ ، وانجراري معهم الزمنَ الطويلَ ، مغضياً لهم على ما
يوحشُ وَيُرِيْبُ ، مُغْمِضاً لهم على بوادرِ لا تزالُ تُنوبُ وتُتوبُ^٦ ، على
أنها جنائياتُ قعدة ، لا نكاياتُ مَرَدَّة^٧ ، وأن وسعهم^٨ لا يتعدى هذا
الحدَّ ، وطوقهم لا يتجاوزُ هذا الحدَّ .

وفي فصل منها : فلم تزلْ عقاربُ سعيهم إليّ تَدِبُ ، وريحُ جنائياتِ
بغيتهم عليّ تَهْبُ ، وأنا في كلِّ ذلك أقابلُ تخشينهم بالتلبيين ، وأتلقى
غَلَّتِي مراجلهم بالتسكين ، أتغاضى عما يَرِدُنِي منهم مرةً ، وأغالطُ

١ م : ومختلجات .

٢ ب م : عند .

٣ م ب : تمده ؛ ط س : يقدره ؛ د : يقرره

٤ م ب ط : المديرين .

٥ ط س د : بقرطبة .

٦ س : تنوب وتنوب .

٧ ب م : العقدة المردة . ٨ ط د س : سعيهم .

نفسى فى التأويل تارة ، ولا أقارضهم عن شىء مما يطالبونى فىهم^١ مساترةً ومجاهرةً ، مع إمكانِ المقارضة سرّاً وعلائيةً ، طاعةً منى لعواطفِ النفس ، فى الإبقاء على الجنس ، ما وجدتُ إلى الإبقاء سبيلاً ، وعليه^٢ مُعيّناً ، [٣٦ أ] وكنت أرجو مع ذلك أن يثوبَ ثائبُ استبصار ، ويخطرَ خاطرُ إقلاع وإقصار ، فلا والله ما يزدادون إلا تمادياً فى الإضرار ؛ والعجبُ كلُّ العجبِ أنّهم يُمالئونَ على أعدائهم المنابذين ، وواترهم^٣ المطالبين ، الذين صيروا ملاءمهمُ بددًا ، وعصاهم قِددًا ، واستباحوا دماءهم وأموالهم ، وغيروا آثارهم وأحوالهم ، وجاهدوهم جهادَ الكفار ، وساموهم سومَ أهلِ الذلّةِ والصغار ، فكففتُ عنهم غرْبَتهم ، وشغلتُ عنهم بنفسي حرْبَتهم ، ولو أغمضتُ فىهم ، ولنتُ لواترهم ومطالبهم ، لما كانتُ صدورُ مجالسهم ومجامعُ أُنديتهم ، لأفراسيهم إلا مرابطةً ، ولا عاد أهلُ دارهم وعامرُ أفنيّتهم لخيالهم إلا مسارحَ وبسائطَ ، فما ظنك ببيصائرٍ تقلّب - فى طلبِ الثار ، ومنازدةِ العدا الفجار - الطبايع ، وتغلّب - فى مهاجرةِ الخوارج المرّاق ، الروافض الفسّاق - الشرائع ، فاعجب لهذا الاعتزاء بالمخالفة ، والانتهاؤ فى المكاشفة .

وله عنه رقعة أقتضبها تخفيفاً للتطويل ، شرح فيها قتله لابنه إسماعيل .
قال ابن بسام : وكان عبّاد قد ألحقَ يومئذٍ بابنه حاشيةً وأبلغَ فى المثلة ،

-
- ١ د ط س : فىه .
 - ٢ م : وعلية اكرن .
 - ٣ ب م : واحربهم .
 - ٤ ب م : اللمة .
 - ٥ ط د س : فكففت .

وتجاوز بها إلى من نشأ في الحلية^١ ، وما حماها عنده من الظباء ثدي^٢ ناهد ، ولا شفقة الوالد^٣ . أخبرني^٤ من لا أزد^٥ خبره من وزراء اشيلية قال : شهدنا مَجْلِسَهُ بعد ثلثة ، من هذه الحادثة ، ووجهه قد اربد^٦ ، وودَّ كل واحد [منهم] أنه لم يشهد^٧ ، ولم يزيدوه على السَّلام ، وأرتج عليهم الكلام^٨ ، فصوب فيهم وصعد^٩ ، وزأر كالأسد وقال : يا شامتين ، مالي أراكم ساكتين ، اخرجوا عني . فقام كل^{١٠} يجر ساقيه ، ولا يُقدم أحد^{١١} أن يَطْرِفَ بشفره^{١٢} إليه ، فلما صرنا بباب القصر ، دعا بنا فانصرفنا ، وأذن لنا في الجلوس فجلسنا ، ثم خرج أمره^{١٣} بأن يحضرك^{١٤} الكاتب ابن عبد البر^{١٥} ، فدخل ، ومجلسه^{١٦} قد احتفل ، وقال له : اكتب إلى ابن أبي عامر ، وحلّل دم الخائن^{١٧} الغادر ، وكلاماً هذا معناه . وجاءه الغلام بجلد الرق^{١٨} والدواة ، والوزراء والخاصة جلوس^{١٩} بذلك المقام ، وقالوا في أنفسهم : ما عسى أن يتَّجه لابن عبد البر من كلام ، على هذه الحال ، لاسيما على الارتجال ؛ قال المحدث : فسوى الجلد^{٢٠} ، وجعل يستمد^{٢١} ويكتب^{٢٢} ، وعين المعتضد فيه تصعد وتصوب ، فلما فرغ منه أسمع ذلك إلى آخره ، وخرجوا عنه وهم يرون أن ابن عبد البر من آيات فاطره^{٢٣} ، وكان [قد] قال في تلك الرقعة [بعد الصدر] :

١ م : يشاء في الحيلة ؛ ب : يشاء في الحلية .

٢ ط د س : من الظباء ، برد ماء ، ولا شفة لمياء ؛ ب وخ بهامش م : ثدي ناهد ولا شفة لمياء .

٣ نقله ابن عداري في البيان المغرب ٣ : ٢٤٥ بصيغة الغائب ؛ وفي ط د س : أنهم دخلوا

عليه بعد ثالثة من تلك الحادثة الخ .

٤ ط د س : تلك .

٥ ط د س : بشفر عين .

٦ ط د س : فلما صاروا نفذ بانصرافهم الامر ، فرجوا وجلسوا ثم امر ان يحضر .

٧ ب : الخائن

إذا تقوضي - أيديك الله - حق المشاركة ، وتعوطي^١ حق المساهمة
 بين إخوان الصفاء ، في [٣٦ ب] صغار الأبناء ، فأخلق بتقاضيه في
 العجائب العقم^٢ ، وتعاطيه عند النوائب الدهم^٣ ، وطرات علي^٤ [يا سيدي
 وأغلى عددي] من خطوب الأيام طارئة^٥ دهباء دهباء^٦ ، وفجأتني^٧
 من ضروب^٨ الأقدار فاجئة^٩ عمياء صماء^{١٠} ، ثارت إلي^{١١} من مكمني ،
 وطلعت علي^{١٢} من مأمي ، وشرعت نحوي من قبل الجنة التي كنت أعدها
 لأشباهاها ، وأديرها متفيتها بها من تلقائها وتجاهها ، إلا أن الله بصنعه
 الجميل الذي لا أنفك^{١٣} أشكره^{١٤} وأحمده كفاني أولاً^{١٥} ثم شفاني آخرأ^{١٦} ، له الحمد
 دائماً ، والشكر واصبأ^{١٧} ، وشرح ذلك^{١٨} [أيديك الله] أن الغي العاق^{١٩} ،
 اللعين المشاق^{٢٠} ، إسماعيل ابني بالولاد لا بالوداد ، ونجلي بالمناسب لا بالمذاهب ،
 كنت قد ملت بهواي إليه ، وقد مته^{٢١} على من هو أسن منه ، وحبك^{٢٢}
 الشيء^{٢٣} يعمي ويصم^{٢٤} ، والهوى يطمس^{٢٥} عين الرأي أو^{٢٦} يللم^{٢٧} ، فأثرته^{٢٨}
 بأرفع الأسماء والأحوال^{٢٩} ، ووسعت عليه في خطيرات الذخائر والأموال ،
 وأخضعت له رقاب أكابر الجند ووجوه الرجال ، ودربته^{٣٠} في مباشرة
 الحروب ، وأجراته^{٣١} على مقارعة الخطوب ، ولم يكن^{٣٢} فيما أحسبه أنني

١ م : تعوطي . . . تقوضي .

٢ د ط س : العجم .

٣ د ط س : دهباء عمياء ، وفجأتني

٤ د ط س : صروف

٥ م : دائماً . . . لازماً .

٦ من هنا يبدأ النقل عند ابن عذاري في البيان المغرب ٣ : ٢٤٥ .

٧ م ب : إذ ؛ والمعنى : أو يكاد ؛ وفي الحديث الشريف : « وان مما يثبت الربيع ما يقتل

حيطاً أو يللم » .

٨ زاد في البيان : وخصصته بما بيدي من القواعد والاعمال . ٩ م ب : أكن .

إنما أشحذُ على نفسي منه^١ شفرةً ، وأوقد [منه] بالتدريب والتخريج^٢ تحت حِصِّي جمرَةً ، وما كنتُ خصَّصْتُه بالإيثار ، واستعملته في المكافحة والغوار ، إلا لجزالة كنتُ أتوسّمها فيه كانت عيني بها قريرة ، وشهامة كنتُ أتوهمها منه كانت نفسي بها مسرورة ، فإذا الجزالة جهالة ، والشهامة شيرة وكهامة ، وقد يُفتنُ الآباءُ بالأبناء ، وينطوي عنهم ما ينطون عليه من الأسواء^٣ ، مع أن الآراء قد تنشأ وتحدثُ ، والنفوس قد تطيبُ ثم تخبثُ ، لقرينٍ يُصلحُ أو يُفسدُ ، وخليطٍ يُغوي أو يُرشِدُ ، وكما أن داء العرّ قد يُعدي ، كذلك قرينُ السوء قد يُردّي ، ومن اتخذ الغاوي خديناً ، عاد غاوياً ظنيناً ، ﴿ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً﴾ (النساء : ٣٨) . وقد انطوى عن بعض الأنبياء عليهم السلام ما آل إليه [أمر] بعض بنيتهم ، هذا والوحي يشافهم ويناجيهم ، فكيف بنا وإنما نقضي على نحو ما نسمع ، ونقطع على حسَب ما نرى ونطلع ، وليس علينا ضمانُ العواقب ، ولا إلينا عِلْمُ حقائق المذاهب ، وهي الخواطرُ ، لا يعلمها إلا الفاطِرُ ، والبواطنُ ، لا يحيطُ بها إلا الظاهرُ الباطنُ ، وقد يخبثُ طعمُ الماء مع الصفاء ، ويروقُ منظرُ الدمنة الخضراء ، ويدوي ثمرُ الدوحة الغناء ، في التربة الغضراء .

وفي فصل منها : ولما وثب هذا اللعين [٣٧ أ] الغيبين ، من المهدي ، إلى سرير المجد ، ودرج من الأذرع ، إلى المحلّ الأرفع ، وراه استغنى ، وأثرى من زينة الدنيا ، أشره ذلك وأبطره ، وأطغاه وأكفره ، وطلب

١ ط د س : من أبي .

٢ ط د س : بالتخريج والتدريب .

٣ س : الأهواء . ٤ م رب : ويخبث . ٥ ب م : يعد .

٦ م ب : وتردي ثمرة . ٧ د ط س : رفعة .

الازدياد ، وأحبّ الانفرادَ والاستبداد ، وقَيَّضَ^١ له قُرْناءً سوءَ أعدوهُ وأردوهُ ، وأتَّيَحَ له جُلُساءٌ مَكْرٍ أَعْرَوْهُ^٢ وأَعْوَوْهُ^٣ ، وأشعروهُ الاستيحاءَ والنَّفارَ ، وزَيَّنوا له العقوقَ والفرارَ ، لينفردَ وينفردوا معه بالبلد ، ولا تكونَ على أيديهم [فيه]^٤ يدُ أحدٍ ، فخرجَ ليلاً بأهله وولده خروجاً [شنيعاً] فتَنَقَّ فيه قصري ، وخرقَ به حجابَ ستري ، يؤمُّ الجزيرةَ الخضراءَ وما يليها ، لِيتملكها^٥ ويعيِّثَ فيها ، وكنتُ غائباً على مقربة ، فوردتُ وطيرتُ في الحينِ إلى الجهةِ مَنْ يصدُّهُ^٦ عنها ، ويمنعهُ منها [فسبقهُ الخبر ، وفاته الوطر ، وأوى إلى قلعةِ ذي الوزارتين القائد أبي أيوب ابن أخي حصادٍ سيدي ، وأفضل عددي - سلمه الله - فوجهتُ إلى اللعينِ أعرضُ عليه قبولَ عذره ، وسرَّبتُ الخيلَ مع ذلك للاحاطةِ به وحَصْرِهِ ، حتى أُلجَاهُ ذلك إلى التنصُّلِ والاعتذارِ ، وأجاءهُ إلى الإقالةِ والاستغفارِ ، فأقبلتهُ وقَبِلْتُهُ^٧ وعفوتُ عنه ، وأغضيتُ على ما كان منه ، وصرفتُ إلى جميعِ حالِهِ وماله^٨ ، ولم أؤدِّبهُ إلا بالإعراضِ والمجرانِ ، وإن كنتُ قد أنستهُ مع ذلك بمزيدِ الإنعامِ والإحسانِ ، فإذا به كالحيةِ لا تُغني مداراتُها ، والعقربِ لا تُسالمُ شبائُها ، وكأته قد استصغَرَ ما أتى ، واحتقر^٩ ما جنى ، فردى ، وسدَّي ، ما صارت به الصُّغرى التي كانتِ العظمى ، فلم أشعُرْ به إلا وقد أَلَّفَ أوباشاً من خِساسِ صبيانِ العبيدِ الممتهنين في أدوَنِ وجوهِ التصريفِ ، إذ لم يطعمَ اللعينُ أن يساعدهُ على هذه الفتكة^{١٠} ،

- ١ د ط س : وقرن .
٢ د ط س : ليتمكن منها .
٣ د ط س : بهامش س : أبي .
٤ د ط س : حماد .
٥ د ط س : ورددت عليه جميع ماله .
٦ م : واستحقر .
٧ ب م : الشمة .

من فيه أدنى رَمَقٍ وأقلُّ مُسَكَةً ، ثم سقاهاهم الخمرَ وسقى نفسه ليجتري ويجريهم ، ويحولَ بينهم وبين أدنى مَيزٍ لو كانَ فيهم ، وسلَّحهم بضروبٍ من الأسلحة المتصرِّفة في أماكن الضيقِ والسعة ، وطرقَ القصرَ في بضعَ عشرةَ منهم ، وتعلَّقَ معهم الأسوارَ والحيطانَ ، وتسنَّمَ بهم السقوفَ والجدرانَ ، يرومُ فيَّ القضيةَ العظمى ، والطامةَ الكبرى ، التي قامَ دونها دفاعُ الله تعالى ، فشعرتُ^١ [بالحركة] وخرجتُ ، فلما وقَّعتُ [عينه و] أعينهم عليَّ تساقطوا هارين ، وتطارحوا خائفين خائبين ، وإنما كان رجاؤهمُ أن يجدوني في غمرةِ الكرى ، أو على غفلةٍ من أن أسمعَ وأرى ، فقالت بحمدِ الله أراجيهم ، وضلَّتْ أعمالُهُمُ ومساعيهم ، وأعجلتُهُم عواقبُ كفرهم^٢ وتعدُّ بهم ، وخرق اللعينُ سورَ المدينةِ فاراً بنفسه [وأخرجتُ الخيلَ في أثره] فلحقَ غيرَ بعيد ، وسبقَ إليَّ في حال الأسير المصفود ، وكذلك سائرُ الجناةِ ، وباقي العُصاة^٣ ، أظفر الله بهم [ومكَّنَ منهم ، وأعثرَ على جميعهم ، فلم يفلتُ منهم أحدٌ ، ولا فاتَ منهم بشرٌ . ولقد اتفق من صنع الله الجميل في من غَدَرَ وخترَ ، أن فرَّ اثنان منهم فتجاوزا وادي شوش من شرقي قرمونة ، وكنتُ قد أخرجتُ خيلاً للضرب على بلد باديس ، فخرجا هنالك إلى أيدي تلك الخيل وهي منصرفة بما غنمتُ ولا علم لهما بما وقع فتفقوهما واستاقوهما ؛ وحصل في قبضتي جميع الصبيان من العبيد المذكورين] وأقمت حدودَ الله تعالى على الجميع منهم ، وأنفدتُ حُكْمَهُ العَدْلَ فيهم [والحمد لله كثيراً] . فاعجبُ يا سيدي لأبناء الزمن ، وأنباء الفتن ، وانقلابِ عينِ الابن [٣٧ ب] المقربِ

١ ب م : فشعرت .

٢ د ط س : مكفرهم .

٣ د ط س : العصاة . . . الجناة .

المودود ، إلى حالِ الواترِ الحسود ، والثائرِ الحقود ، واعتبر في ورود المساعةِ من مَوطينِ المسرةِ ، وطلوعِ المحنةِ من أفقِ المنحةِ [وانعكاس بعض الهبات خبالاً ، والأعطيات وبالاً] . وقد أربت هذه الحال على كلِّ مَنْ جرى له أو عليه من الآباءِ والبنين ، عقوقٌ من السِّلَفِ المتقدمين ، فلم يكنْ أكثرُ ما وجدناه من ذلكَ في الأخبارِ والآثارِ إلا استيحاءاً وشروداً ، ونبوأً وندوداً ، إلا ما شدَّ لأحدِ ملوكِ الفرسِ وآخرَ من [ملوك] بني العباس . وجمَعَ هذا اللعينُ في إرادتِهِ ومحاولتهِ بين الشاذِّ النادر ، والمنكرِ الدائر ، وزاد إلى استباحةِ الدِّمِ ، التعرضَ لإباحةِ الحُرِّمِ ، وإلى ما رامَ من إتلافِ المُهتجاتِ ، التسامحَ فيما كان يجري على العوراتِ المصوناتِ ، [ولولا دفاعُ الله تعالى لامتدت أيدي السِّفَالِ فضلاً عن أعينهم ، واتسعَ خرقٌ لا قوةَ على رتقه معهم ، وقد قيل :

هو الشيءُ : مولى المرءِ قرن مباين له وابنه فيه عدوٌّ مقاتلٌ]

وهو زمانُ فتنةٍ ، وشمولٌ إحنةٍ ودمنةٍ^٢ ، والناسُ بأزمانهم أشبهُ منهم بأبائهم ، وأصدقُ من هذا قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوٌّ لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ (التغابن : ١٤) .

[وقد استجلبتُ من الغربِ ابني محمداً ، ملتزمَ شُكْرِكَ ، ومعظمَ قَدْرِكَ ، - وفقه الله - لأقعدِهِ مَقْعَدَهُ ، وأسدَّ به مَسَدَهُ ، وأرجو أن يكونَ أوطأَ أكنافاً وجوانبَ ، وأجملَ آراءٍ ومذاهبَ ، وأحمدَ أخلاقاً وضرائبَ ، واللهُ أسألُ الخيرَ في ما آتَى وأذُرُّ ، وأقدِّمُ وأؤخِّرُ] . نفثتُ - يا سيدي - نفثةَ مصدرٍ ، وأطلتُ في الشَّرْحِ والتفسيرِ ، خروجاً

١ د ط س : لواحد من ملوك .

٢ د ط س : وشمول محنة .

إليك عن هذا الخطبِ الخطير ، والملمِّ الكبير ، وهو خيرٌ فيه معتبر ،
 [وقلتُ : ما له ظهورٌ وظَمَرٌ ، والله يتمُّ النعمى ، ويُجَمِّلُ العُقْبى ،
 ويوزِعُ الشكرَ على ما أولاه بمنه ، وإياهُ أسألُ أن يجعلك في حيز الكفاية ،
 وجانبِ الوقاية ، حتى لا تساءَ بقريبٍ مأمون ، ولا بعيدٍ مظنون ، بمنه
 وطوله ، إن شاء الله] .

إيجاز الخبر عن هذه الأحدوثة بلفظ ابن حيان^١

قال أبو مروان : وفي سنة أربعمائة وخمسين تواترَ الإرجافُ بقرطبةَ
 أن عباداً دبّرَ النزولَ بزهراتها المعطّلة بأسفلها ، التي منها أبدأً كان يُصابُ

١ يختلف النص في د ط س في خبر هذه الحادثة ولذلك اثبتته هنا: «وفي سنة خمس [كذا] تواتر
 الارجاف بقرطبة ان عباداً دبّر النزول بزهراتها المعطلة التي منها ابدأً كان باب مقتلتها ،
 وسبق الخبر باذه قد انهض نحوها ابنه اسماعيل وهو كالنار [في] أحجارها مستكنة ، ولا
 يشك انه ارسل منه على قرطبة شواظ ناز لا يذر منها باقية ، فنفس الله مخنقها بما نقص تدبيره
 وقت نزمه فأقصر صاغراً ، وكان من قدر الله تعالى ان كره هذا الفتي ما حمله عليه والده
 من ذلك وهاج منه حقوداً كانت له بنفسه كامنة ، جسرتة على معصية ابيه ، وانصرف من
 طريقه إذ عظم عليه امر الهجوم على مثل قرطبة مع قرب حليفهم باديس بن جبوس الذي
 لم يشك في اسراعه اليه فيقع بين حيين يمضغانه ، وانه عرض ذلك على ابيه فاستجيبته واغلف
 وعيده وكاد يسطو به ، فأوحشه ذلك ، ودبّر الفرار عنه مع خويصة له أغوتة ، فأصاب
 فرصة بمغيب والده عن حضرته الى مكان متززه بمحصن الزاهر ، فاقتحم قصره ، وعلق
 ببعض ذخائره ، واحتتملها مع امه وحرمة ، واستكثر مما غله من المال والمتاع ، ومضى
 لوقته مبادراً طريق الجزيرة الخضراء فظفر به ، وصرف بعد أن اضطره الى ابن ابي حماد بقدمته
 مستجيراً به فأجاره باسفل قلمته ولم يصمده اليها استظهاراً على مكيدة قدرها من ابيه ،
 وبادر بالكتاب اليه انه حصل لديه ، فسر المعتضد بذلك ، وخاف ان يلحق ببعض اعدائه
 هنالك ، فأب اسماعيل ودخل اشبيلية ليلا ونكب به عن القصر ، وصرف على ابيه جميع ما =

مقتلها ، وسبق الخبرُ بأنه قد أنهضَ نحوها ولدَه إسماعيلَ المتسمي بالمنصور خليفتهُ ووليَّ عهده ، وهو النارُ في أحجارها مستكنةٌ ، ولا يشكُّ أنه أرسل منه على قرطبة شواظَ نارٍ لا يذُرُ منها باقيةٌ ، فنفسُ الله مُخَنَّقٌ أهلها بما نقضَ تدبيرَه وثى عزمَه ، فأقصرَ صاعراً . فجرى من قَدَرِ الله الذي لا يُغَالِبُ أن كَرِهَ هذا الفتي ما حملة عليه والدهُ من ذلك ، وهاج منه حقوداً كانت له بنفسه كامنَةً ، جسَّرتَه على معصيةِ أبيه ، وانصرفَ من طريقه لأمرٍ اختلِفَ فيه ، فقيل إنه استوحشَ منه لمكروه كان أحلَّ به أبوه بين يدي إخراجِه إلى عُدُوَّةِ قرطبة لما قَدَّرَ الله من حتفه ، وقيل بل عَظَّمَ عليه أمرُ الهجوم على مثل قرطبة لِقِلَّةِ مَنْ معه

.....
 = كان تحمله من ماله ، حتى ان زاملة من زوامله فصرت عنه عند جده في السير ، وغادرها في الصحراء رازحةً ، فوقعت الى بعض فرسان والده فقبض عليها وصرفت بجملتها لم يقطع لها جبل ، فزعموا ان وقرها كان مالا صامتاً وذخائر . فأظفر الله عباده بولده ليهلوه فيما آتاه من ذلك فأثر الشفاء على المغفرة ، الا انه لحقته هذه الحادثة ، لطروقها من مأمنه ، وفساده لاكرم أعضائه عليه ، خشعة فتت عزمه في اذاة قرطبة والجمعاج بأهلها ، فتنفس مخنقهم قليلا ، وكفت الغارات عنهم وقتماً ، وسارع سمرهم الى الانحطاط . وكان الذي دبر له هربه عن ابيه وزيره وصاحبه ابو عبد الله البزلياني المهاجر اليه بن وطنه مالقة . وكان اسماعيل قد رمى الى هذا الكهل بمقاليده وفوض الى رأيه ، فلم يبارك له فيه ، وشكوا اليه بعض ما يناله من فظاظة ابيه ورميه المتالف به ، فحسن عئده العقوق له والذهاب عنه الى بعض أطراف اعماله ليتغير عليه وينفرد بنفسه ، وكان خرج معه وزيره هذا البزلياني ، فلما صرفوا من قلعة الحصادي - حسبما تقدم - عجل عباد ضرب عنق البزلياني مع نفر من نخول ابنه ، واعدتله ، فدبر من مكان اعتقاله الهجوم على ابيه ، وساعده الموكلون به ، فظفر بهم واتى عليهم ، وطمس اثر ولده وقطع دابره ، فكان لم يكن قط اميرا ، ولا انفذ حكماً ، ولا قاد جيشاً . وما ابن عباد ببدع فيما آتاه في هذا ، فقد يضطر الملوك مع ذوي ارحامهم السامين الى نيل منازلهم من مستجري عليهم الى ما يحملهم على انتهاك ذلك حباً للحياة الدنيا ، على ان العفو كان اقرب للتقوى ، مع ان اسباب الملك الاضطرارية لا تحتمل الاستقصاء ولا تعرض للتمحيص ، قرن الله باعمالهم الصلاح ، وجنبهم بهمه الجناح (ط د س : النجاح) .

من جيشه، وحذره لئلا يتركه ما بينهم وبين حليفهم باديس بن حبوس الذي لم يشك في إسراره إليه فيقع بين لحيين يمضغانه ، وأنه عرض ذلك على أبيه فاستجبه وأغلظ وعيده ، وكاد يسطو به ، وألزمه المسير لسبيله ، وأوعده القتل على التواني عنه ، فأوحشته [٣٨ أ] ذلك ، ودبر الفرار عنه مع خويصة له أغوته ، فمشى من اشيلية نحو مرحلتين ، ثم أظهر لأصحابه أن كتاباً سقط عليه من عند والده يستصرفه فيه لأمر أراد مشافهته فيه ، فرجع إلى اشيلية ، وأصاب فرصته بما قدر بمغيب والده عن حضرته إلى مكانٍ مُتنزهه بحصن الزاهر ، فاقتحم قصره ، وعلق ببعض ذخائره واحتملها ، وأخذ أمه وحرمة ، واستكثر مما غلته من المال والمتاع ، يخال أن ينجو ، واحتمل كل ذلك على الدواب ، وطلبها في الليل ممن يعهد لها عنده ، ومضى لوقته مديراً طريق الجزيرة الخضراء ، ثغر أعمال والده بالساحل ، مقدراً دخولها والانتزاع بها عليه ، فصار ارتبائه في تباطؤه الداعي إلى لحاقه وعوقبه عن طريقه ، واختلفت الحكايات في قصته هذه وسبيل مهربه ، وظفر والده به وانصرافه إلى يده ، مما يطول القول فيه ، بعد أن وقف في طريقه بعض حصون أبيه ، فغلقها قوادح في وجهه ، وخاف اجتماعهم للقبض عليه ، فاضطر إلى ابن أبي حصاد بقلعته طرف كورة شدونة ، مستجيراً به ، فأجاره - زعموا - بأسفل قلعته لم يصعد إليها استظهاراً على مكيدة قدرها من أبيه ، بعد أن نزل إليه واستقبله برجاله ، مشيراً إليه بمراجعة أبيه ، ورفع الخرق عليه بالإجابة إلى طاعته ، ضامناً له استجلاب عفو ، فلم يمكنه العدول عنه لقلته من معه ، وأجابته ، فأنزله عنده منزل تكريم ، وبادر الكتاب إلى عباده بحصوله بيده ، ووصف له ندمته ، وتشفع له ، فسرد عباده بذلك ، وكان شديد الخوف أن يلحق بأعدائه هنالك ، وأجاب هذا الحصادي

وشفّعه ، فأجاب إسماعيلُ إلى أبيه ، ودخل إشبيلية ليلاً ، ونكّب [به] عن قصره إلى بعضِ دوره بالقرب منه ، ومنعه أن يدخلَ عليه أحد ، وصرف الله على عبّاد جميع ما كان احتمله إسماعيلُ ابنه من ماله وذخائره لم يُحرّمُ منه شيء ، حتى إن زاملةً من زوامله قصّرتُ عنه عند جِدّه في السير وغادرها في الصحراءِ رازحةً ، فوقعَتْ إلى بعضِ فُرسانِ والده الذين سرّحهم لاقتفاء أثره ، فقبضَ عليها وصُرِفَتْ إلى إشبيلية بحملها لم يُنطع لها حبْلٌ ، فزعموا أنّ وقْرَها كان مالا صامتاً وذخائرٌ تفوقُ قيمةً ؛ وأظفرَ الله عبّاداً بولده أعظمَ الظفر ليلوّه فيما آتاه من ذلك ، فأثرَ الشفاء على المغفرة ، إلاّ أنهم - زعموا - لحقته [٣٨ ب] لهذا الحادثِ وفظاعته وطروقيه من مآمنه وفسادِ لأكرمِ أعضائه عليه ، وعمدةِ ثقائه لديه ، خشّعةٌ فلّتْ عزْمه ، وحيّرتْ قلبه ، فعيّنتْ به عما صمّدَ له من أذى قرطبة والجمعاع بأهلها ، فتنفّسَ مُخَنِّقُهُمْ قليلاً ، وكفّتِ الغاراتُ عنهم وقتاً ، وسارعَ سِعْرُهُمْ إلى الانحطاط .

قال أبو مروان : وبلغني أن الذي دبّرَ عليه هربَه عن أبيه وتولّى كِبْرَهُ ، وزيرُهُ وصاحبه ، أبو عبد الله محمد بن أحمد البزلياني المهاجرُ إليه عن وطنه مالقةً ، مختاراً له على مَلِكِهِ باديس ، فاعترف له عبّاد في جهله على نفسه وسوءِ مَوْرِدِهِ حُجَّةً للغدر في تحكّمه عن ذي اللبّ المقرر لحوطة نفسه ، فإن هذا الفتي إسماعيلَ كان رمى إلى هذا الكهل بمقاليدهِ وفوضَ إلى رأيه ، فلم يباركْ له فيه ، وشكا إليه بعض ما يناله من فظاظةِ والدهِ وقسوتهِ ورَمِيهِ المتالفِ به ، فحسّنَ عنده - زعموا - العقوقَ له ، والذهابَ عنه إلى أطرافِ أعماله العريضة ، كيما يتقرّرَ عليه ، وينفردَ بنفسه ؛ فلما قدّفَ به والده [ما] تعاطمتهُ من حربِ قرطبة

اعتزم إلى إنفاذ أمره في الفرار عنه من طريقه ذلك ، فعمل في النكوص عنه بما قدمناه ، وهجم على قصر أبيه وأخذ ذخائره ، وخرج مبادراً ، ووزيره هذا البزلياني معه قد تولّى كبير ما أحدثه ، ونفذ في مقدار ثلاثين فارساً من خاصّة غلمانته ، بعد أن غرق سفن المعابر الرابطة قدّام القصر بالنهر ، كيما يعتاص وصول الخبر إلى أبيه ، بالمتنزه الذي كان فيه بعد وّته ، إلى أن يُبعد في مهره ، فاتفق أن بادر إليه بعض غلمانته النازلين معه بالقصر ، وقد أنكر مدخل إسماعيل وخطفته ، فقطع النهر سباحةً ، وسبق إلى مولاه عبّاد فأيقظته من نومه ، وعرفه بالحادثه ، فسقط في يده ، وبادر بإخراج عِدّة من فرسانه ، وأندر عليه قوادّ الحصون ، فلجأ إلى قلعة الحصّادي - حسبما قدمناه - . واستقرّ بعد في اعتقال والده مدةً يقلّب الرأي في أمره ظهره لبطنه ، ولا يبين من قوة غضبه عليه ما يؤيس من استبقائه له ، وقد عجل على أبي عبد الله البزلياني لأوّل ما اعتقله عنده ، لفسرط حنقه عليه ، فضرب عنقه ، وقتل معه نفرًا من خواصّ إسماعيل ، فاستوحش من أبيه ، ولم يشكّ أنه لاحق بهم ، فدبر من مكانه ، موضع اعتقاله ، الهجوم على أبيه ، والتسور على قصره من قبيل عورة عرفها كيف [٣٩ أ] يفتك به ويصير مكانه ، وساعده الموكلون به على الأمر وقد منّاهم ببلوغ الأمل بتمامه ، فقاموا معه في ما أراد من ذلك ، والقدّر يجدّ بهم وبه ، إلى أن وقع في يد والده كرهةً أخرى فبطش به ولم يقبله ، وتفرد بقتله جوف قصره ، فلم يقف أحد على مصرعه لطمس آثاره وآثار جميع أصحابه وغلمانته وخواصّه ، بعد أن جلد بعضهم ، وقطع أطرافهم ، وتجاوز إلى الضعفاء من حرمة ونسائه فأتى على خلق منهم سرّاً وجهراً ، ومثّل بهم أنواع المثلّة ، حتى طهر أثر ولده هذا وقطع دابره ، فكأن لم يكن قط أميراً ، ولا أنفذ

حُكْمًا ، ولا قَاد جَيْشًا ، والله يُملي لمن شاء ، ويستدرجُ مَنْ يريد ،
له القوَّةُ البالغة .

وما ابن عبادٍ يبدعُ فيما أتاه في هذا ، فقد يُضطرُّ الملوكُ مع ذوي
أرحامهم السامين إلى نيلِ مرامهم من مستجريءٍ عليهم ، إلى ما يحملهم
على انتهاكِ أكثرَ مِنْ ذلك حُبًّا للحياة الدنيا الغريرة ، ومنجاةً بالرغبة
من الفرقة المبيرة ، على أن العفو أقربُ للتقوى لا محالة ، مع أن أسبابَ
الملوكِ الاضطرارية لا تختملُ الاستقصاء ، ولا تُعرَّضُ للتمحيص ،
قرنَ الله بأعمالهم الصلاح ، وجنبهمُ بمنه الجُنَاح .

قال ابن بسام : وكان خاطب المعتضدُ يومئذٍ جماعةً [من] حلفائه
وقصَّ عليهم نبأه [مع ابنه] ، فمن جواب بعضهم له في فصلٍ قال فيه :
تقديمُ الوصف - أَيْدِكَ اللهُ - للوداد والاعتقاد ، من المعارفِ المعتاد ،
فِيُسْتَفْتَحُ^١ به أوَّلُ المكتوب ، كما يُسْتَفْتَحُ الشعرُ بالنسيب ، لكني - أَيْدِكَ
الله - أربأُ يجلبها عن شاهدٍ غيرِ الضمير ، وواصفٍ غير ما في الصدور ،
وبرهانٍ غير الناظر المشهور ، وأرمي شاكلةَ الغرضِ ، وأصفُ ما أبانني
لياليَ على قَضَضٍ وَمَضَضٍ ، ثم ما ردَّ باقي الأُنس ، وشفى لاعيج النفس ، فإن
الأنباء وردتني عن المنصور أبي الوليد ابنك ابني - أعزه الله - بانزعاجه أولاً ،
وأبطأتِ الجليَّةُ كلاً ، فأشفقتُ على يقيني^٢ أن الداخلة تصدُّه ، والحقيقة
تردُّه ، وأن شهامته جمحتُ به ، وصرامته صرَّمتُ منه ، وأنه حسامٌ
دلقَ من غمده ، وسهمٌ نفذ وراءَ غرَّضه وحدِّه ، وأن ریح الصِّبَا عصفتُ
عليه وهو لَدُنُ المعطف ، وغرةَ الشباب اهتبلته^٣ وهو سلسُ المقوَد ،

١ ط د س : يستفتح .

٣ د ط س : اهتبلت غرته .

٢ ط د س : يقين .

لَيْسَ الْمُصَرَّفُ^١ ، والمرءُ للخطئِ والزللِ ، وكلُّ مَخْلُوقٍ فِيهِ النِّقْصُ
والخللُ .

ومن جواب ابن عامر له: الدنيا رَنْقَةٌ^٢ المشاربِ ، جَمَّةُ النواثِبِ ،
تسلكُ بأهلها كلَّ سبيلٍ ، وتريهمُ من خطوبها [٣٩ ب] كلَّ معلومٍ
ومجهولٍ ، تقطعُ ما تصلُ ، وتمنعُ ما تبدلُ [وتسوءُ من حيث تسُرُّ ،
وتخونُ من حيث تفني ، لا تمتنعُ بحالٍ ، ولا تدومُ] على وصالٍ ، وهذا
أصحُّ دليلٍ على هوانها وصغارها ، وأوضحُ تمثيلٍ في تفاهة^٣ شأنها ومقدارها ،
وان كثر فيها التنافرُ ، وعظمَ فيها التقاطعُ والتدابُرُ ، فنسألُ اللهَ ألاَّ
يصرفتنا عن التوفيقِ ، ولا يعدلَ بنا عن سَوَاءِ الطريقِ .

وإن كتابك ورد بما لم يقع^٤ في تقديرٍ ، ولا عن مثله في ضميرٍ ، من
الداهية الدهيئة ، والمعضلة الشنعاء ، والحال الحادثة مع من رين على قلبه
وعقله ، وغُيِبَ في حظه ورشده ، فزاع عن نهاه ، واتخذ لُله هواه ، ولقد
وقفت بك ، عمادي ، على عبرة المعتبرين ، وعظة المتدبرين المستبصرين^٥ ،
فإن الذي رمتك به الأيام لغريبة الغرائب ، تؤذن بانقطاع الخير ، وارتفاع
البرِّ ، أفلا راعى أولاً ما أوجب الله تعالى [تقدست أسماؤه] للآباء على
الأبناء ؟ فإنه قرن ذكرهم بذكره ، وشكرهم بشكره ، فقال : ﴿أَنْ اشْكُرْ
لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (لقمان : ١٤) وقال : ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا
تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (الاسراء : ٢٣) إلى ما جاء
في العنق ، فقد قيل : إنَّ العنقَ هُلِكَ ، والمروقَ شِرْكٌ ؛ وقيل : عنق

١ د ط س : المنصف . ٢ ط س : رفقة ؛ د : رقيقة ؛
٣ د ط س : تهافت . ٤ د ط س : وفي فصل منها : وافاني كتابك بما لم يقع
٥ د ط س : المعتبر المتدبر والمستبصر .

الوالدين يُعقِبُ النكد^١ ، ويمحقُ العدَدَ ، وَيُخْرِبُ البلدَ . ثم هلاً راعى
 آخراً ما سوَّغَتْهُ من النعم التي غُبِطَ بها ، وَحُسِدَ فيها ، وما خصَّصَتْهُ
 [به] من العزة التي بذَّ فيها الأندادَ ، وشأى فيها الأترابَ والحسادَ ؟ !
 ولكنَّ شيطانَ الغرارةِ أغواه ، وسلطانَ الجهالةِ أَرَداهُ ، مع قرناءِ سوءِ
 [قِيَّضُوا لَهُ] زَيَّنُوا لَهُ ضلالتهُ ، وأفسدوا عليه حالتهُ ، وبحقِّ قيل :
 الوحدةُ خيرٌ من الجليسِ السوءِ ﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ
 يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا تُجَدِّ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً ﴾ (الكهف : ١٧) وقد صنع الله لك
 صنْعاً جميلاً ، ودفع عنك جليلاً ، وأجراكَ على ما عودَكَ من فضله
 ﴿ وَلَا يَسْحِقُ الْمَكَرَ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾^٢ (فاطر : ٤٣) فالحمدُ لله على نعمةِ
 خَوَّها ، وولايةِ أجمَلها ، ومكيدةِ نقضها ، وسعايةِ دَحْضها . وفي
 علمه احتراقُ نفسي لهذا الحادثِ الكارثِ ، ومشاركتي في هذه الملمةِ
 المدلَّمةِ^٣ ، التي لم أخلِها من حالي الإشفاقِ والجزعِ ، وخطَّتي الارتماضِ
 والتفجعِ ، وان الأمر عندك وزْنُهُ عِنْدِي ، ومأخذُهُ مِنْكَ مأخذُهُ مِنِّي .

ومن جوابِ ابنِ مجاهدٍ [له] من إنشاءِ ابنِ أرقمٍ : وَافْتَنِي - أَيَدُّكَ
 اللهُ - مُسَاهِمَتِكَ الكريمةِ ، ومشاركتِكَ السليمةِ ، الصادرةُ عن الصِّدْرِ
 السليمِ ، المقتضيةُ للحمدِ والشكرِ العميمِ ، وقد كان سَبَقُ كتابٍ قبلُ بما
 لزمَنِي في الحادثةِ الأولى ، فقلتُ : حسامُ [٤٠ أ] دَلَّقَ ، وسنانُ زَلَّقَ ،
 وشبابُ عَصَفَ ، وجوادُ جَمَعَ فأسرفَ ، وعثرةُ تُسْتَقَالُ ، وغرارةُ
 يُرْفَعُ بها ذلكُ الاختلالُ ، ثم بعد نفوذِهِ وردني النبأُ على عَقَبِها ، بما

١ د ط س : عقوق الولد . . . الهمد .

٢ د ط س : واحاق المكر السيء بأهله .

٣ د ط س : هذه الحادثة الكارثة المهمة .

٤ د ط س : والوجع .

٥ د ط س : ثم ورد النبأ .

صغرت تلك على عظيمها، فترددتُ شرفاً، واضطربت قلقاً، حتى استوضحتُ
 من قبلك الأمر على آخره، وتلقيتُ عنك الخطابَ بموارده ومصادره،
 منسوقةً مراتبه ومناقله، مشروحةً أعجازه وأوائله، فما ساهمتُ إلاً
 من تلقى ما أنهيتهُ بنفسك، وشربَ ما عاطيته بكأسك، وشاطرَكَ الحالَ
 بنصفين، وكان هو وأنت في القضية سيين^١، فتجرعَ ما تجرعت [واستفطعَ
 ما استفطعت، واستغربَ ما استغربت] واعتبرَ بما اعتبرت، وفي الأيام
 والليالي معتبر، وإنها - لكما ذكرتُ ووصفت - عقيمةٌ معجبة، وعقناء
 مغربة، وما شهيدت لها أخت إلاً من أحدِ الفرس وأخرى من بني
 العباس، كما ذكرت، وقديماً استغوى الشيطان^٢، وكان للمرء سلطان،
 والزمانُ يمثلها جواد، ولإطلاع الغرائب معتاد، وقد أوتي صاحبُ الخضرِ
 على علمك من أقرب الولد رحماً، وأضعفهم نفساً وجسماً، ومن سوق
 بني أمية وغيرهم الجماء^٣ الغفير، والعدد الكثير، وكثيراً ما شهدنا وسمعنا
 بقاتلِ نفسه، وهي أكرمُ النفوسِ عليه، وآكلِ جسمه وهو أحبُّ
 الجسومِ إليه، وقد يفيضُ الداء من الدواء، ويشرق المرءُ بالماء، ويؤتى
 الحذرُ من مأمنه، ويجتني القبيح من حسنه، والأدواءُ تثور في الولد،
 كما تثور في الجسد، وتتولدُ في القلب والكبد؛ وقرناء السوء يكدرُون^٤
 الأصفياء، كما يكدرُ المشربُ العذب الدلاء، وما ندرى يا سيدي [إلاً]
 أنك أردتَ إقالته واللهُ قد عثره^٥، واعتقدت استعادته واللهُ قد غيرَه^٦،

١ م ب د س : شيئين ؛ ط سببين .

٢ ب د ط س : الجم .

٣ د ط س : يتكدر بهم .

٤ د ط س : الشراب .

٥ ط س : والله عثرته .

٦ د ط س : استعادته قدمته .

وأياك منه بقبیح فعله ، وأسلاكَ عنه بعظیم جرْمِهِ ، وكنتَ معه واللهُ
مَعَ غيره ، وأردته وأرادَ الله سواه ، ولا مانعَ لما أعطى ، ولا مُعطيَ لما منع :
وليس لأمرٍ حاولَ اللهُ جَمعهُ مُشْتِئٌ ولا ما شَتَّتَ اللهُ جامعُ

وقال اللهُ تعالى لنوحٍ عليه السلام بعد قوله ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ
إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ ﴿فَلَا تَسْتَلِنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ
تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (هود : ٤٦) وقوله للخضر عليه السلام ﴿فَأَرَدْنَا
أَنْ يُدَّهَمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رَحْمَةً﴾ (الكهف : ٨١) :
وكلُّ مصيبياتِ الزمانِ إذا أتتْ فهنَّ سوا ما لم يُصِبَنَّ صميمي
وما زادت هذه على أن وقى اللهُ صميمك ، وصانَ حرِيمك .

قال ابن بسام : ولما [٤٠ ب] أنشأ أبو محمد رسالته المتقدمة الذكر ،
تناغتْ لمةٌ من كتابِ العصر في معارضتها ، وقد ذكرتُ بعض من أجاب
عنها ، وأذكرُ أيضاً فصولاً لمن انتصف على زعمه بالمعارضة منها ، منهم
من أفردتُ فصلاً في ذكره ، ومنهم من لم يقعَ إليَّ شيء من أمره ، فلم
أجد إلى ذكره سبيلاً ، ولا على موضعيهِ من الصناعة دليلاً ، وكنتُ
جديراً بتأخير رسالة من أفردتُ في ذكره فصلاً ، حتى أقبسها له لألاء ،
وأضعها في يده لواء ، ولكن أذكرُ الشيء بما تعلق به ، أو كان من سببه ،
لأُقيدَ ما شرَدَ ، وأنسُقَ ما تفرَّقَ وتفرَّدَ .

وله ١ : أتمَّ اللهُ أيَّها الأمير ، الجليلُ مسجده ٢ ، الجميلُ مُعتَقدهُ ،

١ لم ترد هذه الرسالة في د ط س ؛ ووقعها هنا فصل بين مقدمة ابن بسام عن المعارضات لرسالة
ابن عبد البر ، والاسترسال بإيراد هذه المعارضات ؛ ومن اللافت للنظر ان هذه الرسالة
ثابتة في قلائد العقيان : ١٨٢ . ٢ القلائد : محمده .

المشهورُ فنُضِلُّهُ وسُوددُهُ ، عليكَ نعمةُ ظاهرةٌ وباطنةٌ ، وأجزل لك به قِسْمَةٌ متوافيةٌ زاكيةٌ ، وآتاك من كلِّ حظٍّ أجزلتهُ ، ومن كلِّ صنْعٍ أجمله ، ومن كلِّ خيرٍ أتمه وأكمله ، فإن الأيامَ قد وَصَلَتْ بيننا إلى التراسل سبباً ، وجعلتْ لنا في التواصلِ أرباباً ، فإذا أمكن سببُ قدَمته ، وإذا تبيأ رسولُ اغتنمته ، توكيداً للحال معك ، وتجديداً للعهد بيني وبينك ، فمثلُ الحظِّ منك لا يُهمَلُ ، وسببُ الحقِّ الذي لا يُغفلُ ، ومكاتبةُ الصديقِ عِوَضٌ من لقائه إذا امتنع اللقاء ، واستدعاءُ الأبناءِ إذا انقطعَت الأبناء ، وفيها أنسٌ تلذُّ به النفسُ ، وارتياحٌ تلذ منه^٢ الأرواحُ ، وارتباطٌ يتصلُّ به الاغترابُ ، واعتقادٌ يُتَّبِئُنُ به الودادُ^٣ ، ومثلُ خلتِكَ الكريمةِ عَمِرَتْ معايدُها ، ومثلُ عِشْرَتِكَ الجميلةِ شَدَّتْ معاقدُها ، ومثلُ مكارمِكَ المبررةِ^٤ حَمِدَتْ مصادِرُها ومواردُها ، فإني منطلقٌ إلى أخبارِكَ أراعيها ، وحريصٌ على أوطارك أفضيها ، ومستمطرٌ لكتبِكَ الكريمةِ أجتليها ، فمند صدَرَ عني فلان لم أتلُقْ عنك خبراً ، ولم أخطُ من تلقائك أثرأ ، وذلك لا محالةً لامتناع البحرِ وارتجاجه ، وتمذر المسلكِ وإرتاجه ، وإذ قد ذلَّ صعبه ، وهان خطبه^٥ ، فأنا أعتقد أن كتابك بازاء كتابي هذا مجددٌ عهداً ، ومهد عنه حمداً ، فإنه ما دخل إلينا ولا تكرر علينا إلاَّ وذكرك الجميل في فمه يُبدئُه ويعيدهُ ، وثناؤه^٦ يلهجُ به ويشيده ، في شكرِ الأميرِ الأجلِّ والإشادة بتعظيم أمرِه ، وتفخيم قدره ، فإنه لا يُعرَفُ عندنا إلاَّ بوسمه ، ولا يناضل [إلاَّ] بسهمه^٧ ، ولا يجاهدُ إلاَّ عنه ، ولا يُحتسبُ إلاَّ فيه^٨ . ومن جرى على البعد هذا المجرى ، وشكر شكره النعمى ، فحقيق بالإنعام [٤١ أ] خليق بالإكرام .

١ القلائد : وشبه . ٢ القلائد : تنتمش به .

٣ القلائد : وافتقاد الاعتقاد والوداد .

٤ القلائد : البرة .

٥ القلائد : ذل صعبه لراكب عل هائب .

٦ القلائد : وأثرك الحسن عليه .

٧ ب م : ولا يتامل باسمه . ٨ ب م : يحسب . . . منه .

فصول من جملة رفاع لغير واحد في ذلك

فصل من رقعة لبعضهم يقول فيها^١ : ما أبصرَكَ - أيديكَ اللهُ - بل
أذكَرَكَ^١ وكيف يُوقِظُ اليقظانُ ، وينبهُ الثبهانُ ، وحاشا أن تُعلِّمَ
الحِمْرةَ العوان ، إن الدنيا على الغيرِ موضوعة ، وعلى المكارِه مطبوعة :
ألا إنما الدنيا غَضارةٌ أَيْكةٌ إذا اخضرَّ منها جانبٌ جفَّ جانبٌ^٢
ونقلُ الطباعِ لا يُستطاع ، ولا تبديلُ لحكمِ الجليل ، والدنيا مُنكرةٌ
لمتعارفها ، مسلَّطة بنوائبها على بنيتها ، المتهاككين فيها ، لاسيما الأحرار ،
فلإنها تطالبهم بثار :

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشَّفتْ له عن عدوٍّ في ثيابِ صديقٍ^٣
ومنها : وما ظنك بدنيا قلَّما تسمَحُ بحبيرةٍ ، إلاَّ أتبعتهَا بعبيرةٍ ، ولا تجود
بمنحةٍ ، إلاَّ كدرتْها بمحنةٍ ، ولا تسقي شراباً ، إلاَّ شابهته صاباً ، ولا تهب
نسيماً ، إلاَّ قلبته سموماً ، تكاد تسوءُ بالساعاتِ ، وقلما تسرُّ إلاَّ في
الفلَّاتِ ، ثم تغري بنا الآفات :

ومن يأمنِ الدنيا يكن مثلَ قابضٍ على الماءِ خائتتهُ فروجُ الأصابعِ^٤
وفي فصل : والأنامُ أغراضُ ، لسهامِ الأعراضِ ، قلَّما تتخطاها إن
فُوقَتْ ، ولا تخطئها إن رُشِقَتْ ، وقد يمقُّها من لا يثقها ، ويتيامنُّها

١ د ط س : فصل لبعضهم قال فيه .

٢ البيت لابن عبد ربه ؛ أنظر جدوة المقتبس : ٩٦ والمقد ٣ : ١٧٥ .

٣ البيت لابي ذواس ، ديوانه : ١٩٢ .

٤ أصله للمجنون (ديوانه : ١٩٧) ورواية الصدر : فأصبحت من ليل الغداة كقباض

مَنْ لا يامنها ، وأي أمان ، من زمان ، يدبّ ديبّ العقربان ، ويشبّ
 وثوبّ الأفعون ، ما أمكنها إمكانٌ وعنّ لها مكان ، ويسعى بالنميمة ،
 بين الفروع والأرومة ، وهيئات أن تصطفى حية رقصاء لينّ مسّها
 قاتلٌ سمها ، يهوي إليها الجاهل ، ويحذرها العاقل ، وأي ناجٍ من بأسائها ،
 ولو كان في سويدائها ، هي والله ما علمت وتعلم ، قريبة العُرس من
 المأتم ، هكذا عُرِفَتْ ، وبهذا وصِفَتْ :

ومكثفُ الأيامِ ضدّ طباعتها متطلّبٌ في المساءِ جذوةَ نارٍ^١

وفي فصل منها : وإني مُنيتُ - أيّدك الله - من زمني الخؤون ، بشقيقةِ
 المنون ، وكادتُ تكون ، فيا لها [من] حادثةٍ عظمى ، وصدمةٍ صمّا ،
 كدَرَّتْ شربي ، وزوَعَتْ سِرْبِي ، واعمجبتُ لسهمٍ رُمِيَّ به راميه ،
 وتَبَجَلْ دُهْنِيَّ به مُنتَضِيه ، أشدّ ما كان له استبصاراً ، وبه انتصاراً ،
 [وعليه اقتصاراً] ، وليس يُنكرُ من الأزمان^٢ ، عكسُ الأحوالِ وقلبُ
 الأعيانِ ؛ وتفصيلُ^٣ هذا المجمل ، وإيضاحُ هذا المشكل ، الذي رمزتُ
 بذكره ، وعرضتُ بأمره ، أن العاقِ المشاقِّ ، الجلفَ البفيه ، المتمذهبَ
 بغير مذهبِ أبيه [٤١ ب] ومَنْ سَلَفَ مِنْ مُنْسَلِيه ، ابني إسماعيل ،
 الفاعلِ بي أسوأ الأفاعيل ، أحدثَ حدثاً أشنع ، مثلهُ يستفطع ، بما كان
 منه ، واستنداعَ عنه ، من استهانةِ عقوقي ، واطّراحهِ حقوقي ، وشذوذهِ
 عن أشكالِهِ ، وعدولِهِ عن سننِ آلِهِ ، وإن جمَعتهُ بي مَسَبُهُ ، فقد
 نفاه عني مَدْهَبُهُ ، كالذي استهواهُ الشيطان ، كأنّما اقتادهُ في أشطان ،
 وإذا قضى القدرُ ، عَشِيَّ البصر ، وما جرّاه على قُبْحِ فَعَالِهِ ، ومجانِبته
 المعهودَ من حاله ، إلا قُرْنَاكُ سوء قِيَضُوا له ، [إذ] جعلوا يضرّبون له أسداساً

١ البيت لأبي الحسن التهامي، ديوانه: ٤٧ . ٢ ط د س : الأيام . ٣ ط د س : وتفسير.

لأخماس ، ويكيدهونه بكيد الوسواس الخناس ، حتى < إذا > أوردوه
أنشوطه ، لم يكن مثلها أغلوطه ؛ هوى به الهوى هويّ الدليو أسلمته الرشاء^١ ،
ولا غرو فقد تعدي الصحاح مبارك^٢ الحرب ، وذلك أني لما أرضعته لبان^٣
مقتي ، وممكتته عنان^٤ ثقتي ، وأدنيث زلفتته ، وأبديت رفعتته ،
وأقبلته عين القبول ، وأحلتته مني محلّ الصلاة من الموصول ، وقلدتته
أعنة السياسة ، ووسنتته بسممة الرياسة ، وأوطأت عقبه الرجال ،
وتجاوزت به حدود الآمال ، نقلاً من حال إلى حال ، حتى مدت نحوه
الأعناق ، وسارت بذكره الأفاذ والرفاق ، وتبيطت به الآمال ، ولاذت
به الأمال^٣ ، وجعلت السيف والقلم من خدّمي ، ووضعت الوجوه
تحت قدمه ، يقول فيسمع مقالته ، ويصول فيرتاع لمصاليه ، حتى لقد
كادت الأقدام أن تستوي لولا فضل الأبوة ، ونقص البنية ، فلما رأى
الدولة قد ألفت إليه بأزمته ، وأقادتته بأعنتها ، استأسد وتتمر ،
واستشعر الأشتر والبطر ، وحاول الشفوف ، وربما كان فيه الحتوف ،
ونزع إلى الاستبداد ، منزع الغبي إلى العناد ، ورفض الحقوق ، وآثر
العقوق^٤ ، وكفر بالنعمة ونام عن شكرها ، فطويبت عنه بأسرها ، والشكر
للنعمة نتاج ، والكفر بها رتاج .

[وفي فصل منها] : فعلمت مرمي قوسه ومنزع سهمه ، كأنما
كنت نجي سره ، وولي أمره ، وقد تبصر الظنون بغير عيون ، فتبعت

١ من قول زهير :

فشج بها الاماعز فهي تهوي هوي الداو اسلمه الرشاء

٢ انظر الحاشية ٥ ص ٦٨ .

٣ د : ولاذت بحقوه الرجال ؛ ط س : ولاذت بحقوه الامال .

٤ د ط س : فأثر العقوق ورفض الحقوق .

خبره ، وَقَفَوْتُ^١ أثره ، بخيل كالسيل بالليل ، تُعْجِزُ طالبيها ، وتدرِكُ هاربها ، فلم ينتبه إلاَّ وقد أُحيطَ به ، ففزعَ إلى الاعتراف ، وهو يذهبُ بالاقتراف .

[وفي فصل] : ومدارةُ الحيةِ كيف تنفع ، وهي إذا أمكنها اللسعُ تَلَسَّعَ ، ولما أبى إلاَّ الإباء ، وأسَرَ الشحنةاء ، وحاول العظيمة ، وتناول الجريمة ، وكاد - وايم الله - يهدمُ بنيانَ الله ، لولا دفاعُ الله ، أَلْفَ أغماراً من العبدان كانوا عكوفاً عليه ، ورتباً حواليه [٤٢ أ] وأطمعهم في ما صرعهم ، وأكثرُ المطامع ، تتولُّ إلى المصارع^٢ ، ولو أنهم أيقنوا أنْ أنفستهم نَعَوًا ، وإلى دمائهم بأقدامهم سَعَوْا ، لتبَطَّوا ، وما تورطوا ، لكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً^٣ ، وإذا حان الحينُ ، عَمِيَّتْ العين ، وربُّ ساعٍ بقدمه ، على دمه ، فلما جنَّ عليه الليل ، والليلُ أخفى للويل^٤ ، تساقوا بينهم المدام ، ليقدموا^٥ بها أشدَّ إقدام [وربُّ إحجام أنجى من إقدام] ، فأخذوا الثبات ، وَعَقَّدُوا النيات ، وتسوَّروا الأسوار ، وتحطَّوا غيرَ ما دار ، وداعي الهوى يدعوهم ، وحادي الردى يحدوهم ، وقد اعتقلوا الردينيات ، وتأبَّطوا الهندوانيات ، وشمَّروا ذبلاً ، وادرعوا ليلاً ، واقتحموا المهالك ، في أضيقِ المسالك ، وترقَّوا الجدران ، بأشدَّ تمرِّدٍ وعصيان ، فسقط العشاءُ بهم على سِرْحان ، فما تمالكتُ أن سمعتُ حسيسَهُمْ ، ولحظتُ شخوصَهُمْ ، فملثوا فِرَقاً ، وتصيَّروا فِرَقاً ، أيدي سبا ، يجدون هرباً ، ويرومونَ الخلاص ، ولاتَ حينَ مناص ،

١ ب م : وقفيت . ٢ ط د س : مصارع .

٣ انظر سورة الانفال ، الآية : ٤٢ ، ٤٤ .

٤ هذا مثل ، انظر فصل المقال : ٨٥ والميداني ٢ : ٩٤ والمسكري : ١٢ - ١٦ .

٥ د ط س : عمي العين . . . فأخروا الثبات وعقدوا النيات ، بعد أن تساقوا المدام ليقدموا ؛ وعند هذا الموضع أتوقف عن الإشارة إلى ما كان من زيادات ب م على ط د س ، إلا نادراً .

ونفوسهم^١ تودّع أجسادها ، وتستحثّ آماها :
وضاقت الأرض حتى كان هاربهم^٢ إذا رأى غير شيء ظنّه رجلاً^١
ولم يمتروا أن قدرة القدير ، تنقضّ التدبير ، ولله عاقبة الأمور . وما
كان رجاء^٢ القوم ، إلا استغراقي في النوم ، وأيقظني القدر ، وما بي
من حذر .

وفي فصل : فلما رأى اللعين أن سهمه قد طاش ، وقد راش منه ما
راش ، وأيقن أنه حريق ناره التي سَعَّر ، وغريق تياره الذي فجَّر ،
شردّ شراد^٣ الظليم ، على حين لا حليف ولا حميم ، وتراعى من شرفات
القصر ، ترامي المدعور بالقسر ، وهو ينشد :

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأكثر ما يجني عليه اجتهاده^٤ ؛

فأعجلت إليه هنالك من عثر وشيكاً عليه ، واستاقه استياق العاني ، فيا
وقف المذنب الجاني ، يشكو إلى من يصم عنه ، ويتبرأ منه ، وسيقت بطانته^٥
أسارى ، من غير خمير سكارى ، فأفروا بما دبّروا ، وبه دُمروا ، فالحمد لله
جاعل تدميرهم في تدميرهم ، وإبادتهم في إرادتهم ، ومَن حَفَرَ لأخيه
[بشرأ] سقط فيها ، واستحضرت مشيخة العلماء وجعلت الأمر بينهم شورى ،
إشارة للعدل في القضا ، واتباعاً لأمر الله تعالى في الغضب والرضى ، فكلّهم^٥

١ البيت للمتنبي ، ديوانه : ١٢ .

٢ د ط س : رده .

٣ د ط س : شرود .

٤ خ بهامش م : اتته الرزايا من طريق الفوائد ؛ وهذا عجز بيت لابي فراس (ديوانه : ٨٣)

وصدر البيت : إذا كان غير الله للمرء عدة ؛ أما البيت الذي في المتن فورد غير منسوب

في التمثيل والمحاورة : ١٠ . ه س ط د : فكل .

حَدَّ إِفْذَاَ الحَدَّ ، وتلوا قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي [٤٢ ب] الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا ﴾ الآية (المائدة : ٣٣) .

فكانَ ما كانَ مما لستُ أذكرُهُ^١ فَظُنُّنَّ خَيْرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنِ الْخَبْرِ^٢

فاعتبر يا سيدي من هذه الفتن المضلّة لأبناء الزمن ، وانظر كيف يستدرجهم الشيطان ، في مدارج العصيان ، حتى إذا قحهم الغرر ، أسلمهم القدر ، وكل ذلك مسطوراً ومأثور ، وفي عقوق هذا من البين ، آية للعالمين ، وما كان هذا اللعين ، في ما جناه ، فاجتناه ، وشبهه ، فألهبه ، وكاده ، فأباده ، إلا كالبقرة تبحت على مدينتها بقرنيها ، وكالنملة تطلب حنطاً بجناحيها^٣ ، فتباً للأولاد ، يتقربون بالولاد ، ويتباعدون بالوداد ، في مصارع الحساد ، إن هم إلاّ فهود ، بأهْبِ أسود ، يتقلّبون بما صغروا ، ويستأسدون إذا كبروا .

وفي فصل : ولعلّ قائلًا قد سلبَ المعقول ، يصول يوماً فيقول ، ويطعن ويغمز ، حيث لا مطعن ولا مغمز ، وينحني الفظاظة والقسوة ، ويعتدّها وصمة عليّ وهفوة ، وربّ سامعٍ بخبري لم يسمع عذري^٤ ، ولست ببدعٍ ممن ظلم فانتصر ، وخولف^٥ فما اصطر ، ولا بنكير^٥.

١ البيت لابن المعتز ، ديوانه ٣ : ٤٩ وانظر قلب السرور : ٥٦٧ .

٢ اصل المثل : كباحث عن الشفرة (او عن المدينة) انظر فصل المقال : ٣٩٢ والميداني ٢ :

٣٩٩ ؛ وقد اشار الجاحظ في مواضع من كتاب الحيوان الى ان النمل اذا نبت له جناحان فقد دنا هلاكه .

٣ انظر فصل المقال : ٧٢ والميداني ١ : ٢٠١ والعسكري ١ : ٣٠٨ .

٤ قبلها في ب م صورة « وعز » .

٥ ب م : تنكر .

ممن أَرْضَى باريه ، باسْخاطِ أهليه ، إنَّ لي في من سَلَفَ أسوة ، وبالنبِيِّ عليه السلام قُدْوَةٌ ، ولو نَظَرَ بعينِ الحَقِيقَةِ ، ولم يعدل عن سننِ الطريقتة ، وكان من أنصاري ، في إقامة أَعْداري : هذا خليل^١ الرحمن ، وكان في الأنبياء مَنْ كان ، لما تَبَيَّنَ أن أباه عدوٌّ لله تَبَرَّأ منه ، وقد تَلَّ أيضاً عليه السلام ابنه الذبيحَ للجبين ، ووضع في حلقه السكِّينَ ، وهو من أبرَّ النبيين ، اتباعاً لأمرِ الله حتى فداهُ الربُّ الكريمُ ، بالذَّبِّحِ العظيمِ ، وصبرَ على ما لو حلَّ بالصخرِ لفلقه ، أو بالحجر لفرَّقه ؛ وهذا عمرُ بن الخطاب ، وكان من كان في الأصحاب ، قد قسا قلبهُ على أبي شحمة ، ولم تأخذهُ فيه [رَأْفَةٌ ولا] رَحْمَةٌ ، حينَ جلدَهُ ، حتى فَتَقَدَهُ ، وصَبَرَ غيرَ مكثَّبٍ ، صَبَرَ المحتسِبِ ، إرضاءً لباريه ، وتقرباً إليه بما يُرضيه . وكان لبعض بني العباس ، وَهْمُ أُمَّةِ الناسِ ، في ابنه العاقِّ ما قد دَرَسَ خبره ، وطمسَ أثرُهُ ، ولولا أن الإطالةَ ، تُفْضِي إلى المِلاَلَةِ ، لأوردتُ من خبره الأشنع ، ما فيه مَقْنَعٌ ، وأحدثهم عهداً في هذه العصور ، عبد الله الأمير وأبو عامر المنصور ، فأما عبد الله فقد قتلَ ابنه محمداً^٢ ، لما أحسَّ منه تمرداً ، وكان قُرَّةَ عينيه ، فما عيبَ ذلك عليه ؛ وأما [٤٣ أ] المنصورُ ، وحسبك به جزالةٌ وحزامةٌ في الأمور ، فقد فعل بابنه عبد الله ما فعل لما عصى ، وشقَّ العصا^٣ ، هذا وما بلغا هذا المبلغ ، ولا ولغا في الدم كما كاد هذا اللعين أن يبلغ ، ولو اقتصصتُ ، فوق ما نَصَّصتُ ، لأطلتُ وأملتُ ،

١ د ط س : وبالنبِيِّ عليه السلام قُدْوَةٌ ، ومن التابعين رضي الله عنهم اجمعين ، هذا خليل...
٢ - كان مطرف ابن الامير عبد الله يفرى أباه باخيه محمد ، فأخذ الامير ابنه محمداً وحبسَه ، ولما نحرى جاية الامر اطلقه اذ لم يجده مذنباً ، فقتله مطرف سنة ٢٧٧ ، هذا ما ذكره ابن عذارى ٢ : ١٥٠ .

٣ قتل عبد الله بن المنصور سنة ٣٨٠ ، انظر قصة خروجه على ابيه ثم مقتله في ابن عذارى ٢ : ٢٨٤ .

لكن اجتزيت^١ ، بمن سميت ، وأي عذر [يقوم] لمن مكنته^٢ الله في بلاده ، وحكمه في عباده ، ألا يُنفذَ حده الذي حده ، ويؤثر فرضه الذي فرضه ، ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْهُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (المائدة : ٤٧) ولولا عقابُ المسيء ، لقلَّ من لا يسيء :

والظالم^٣ في خلقِ النفوسِ فان تجدهُ ذا عفةٍ فلعله لا يظلم^٤ ولا غرّوا ان أسهبتُ وأطنبتُ في خبر المغرور ، فانها نفثةُ مصدر ، وما أطقتُ تجرعَ الغصص [في كتم هذه القصص] التي فيها عبرة لأولي الألباب ، وما كان هذا الذي طرا ، حديثاً يفتري ، ولا هذا الذي طرق ، نبأً يُختلق .

ومن رقعة أخرى أيضاً في ذلك مجهولة [القائل] : المحن على ضروب ، والنوائب تجري بمعضلات الخطوب ، فتفجأ بالرقم^٥ الرقماء^٣ ، وتطرق^٤ بالداهية الدهياء ، وتأتي بالغريبة الشنعاء ، فلا وافي سواه ، ولا مجير من بتغاتها حاشاه ، وهب الحازم ارتقب الخطوب مُعيداً لها من سننها ، ولقي المكاره بسلاتها وجننها ، كيف له بعلم خفيات الضمائر ، وخبيثات البواطن والسرائر ؟ إلا أن لطفه الخفي ، وصنعه الكافي الحفي ، يكلان من توكل عليه ، ويعضدان من اعتضد به [واستند إليه ؛ وكنت] قد اختصصت من ولدي الخائن^٥ الخاني إسماعيل بضروب

١ د ط س : احتذيت .

٢ البيت المتنبي ، ديوانه : ٢١٩ .

٣ الرقم : الداهية ؛ يقال جاء بالرقم الرقماء اي الداهية الدهياء .

٤ د ط س : وينصران .

٥ ب م : بالخائن .

من الإنعام ، والإحسانِ والمبرّةِ والإكرام ، ومَلَكَتُهُ زِمَامَ أَعْنَةِ الجنود ، وأظلمته بظلِّ خافقةِ البنود ، وأرضعته ثديِ الحرب ، وجرأتهُ على مقارعةِ الطعن والضرب ، وأنفذتُ أمرهُ ونَهَيْتُهُ ، وأجَزْتُ فعله ورأيه ، فمَقْصِرَتْ عليه أفاصي المطامع ، وأشيرَ نحوه بالأصابع ، ودُعِيَ بالرئيسِ الأمير ، ولتَقَبَّ بالمؤيَّد المنصور ، إلا أن ظنَّ المرءُ يخطئُ ويصيب ، والله أستاذٌ دون علم الغيوب ، وليس على المرءِ ضمانُ العواقب ، ولا كُلفٌ سوى الاجتهادِ في المطالب^١ ، فإنما هو بشرٌ ، يقضي بما ظهر ، والله ما بطنَ واستتر :

فان كان ذنبي^٢ أن أحسنَ مطلبي أساء ، ففي سوء القضاء لي العذرُ

وكان ينبغي أن يظهره من الاجتهاد منتهى الاستطاعة ، ويجري أمره إلى غايةِ اللازم من حدودِ الطاعة ، إلى أن علقَ به مَنْ أغواه من شياطين الإنسِ فزين له زُخْرُفَ الغرورِ [٤٣ ب] والفسوق ، وقذفَ به في هُوَّةِ الخلدانِ والعقوق ، فأحال طينتهُ إلى أحبِّ التُّرب ، وقد تعدى الصحاحَ مباركُ الجرب^٣ ، ونقله من الطبعِ الكريم ، إلى الخُلُقِ الذَّمِيم ، وعوضَهُ من طاعةِ الربِّ والأب ، آفةَ الكبرِ والعُجْبِ ، وحين لبس ثوبَ الغرّةِ والخيلاءِ ، وقاد الجيوشَ ملءَ الفضاء ، واستضافَ إليه مَنْ استضافَ من شيرارِ القُرباءِ ، طمعَ في بلدٍ ، لا تكونُ عليه فيه يدُ أحد ، ليستعملَ السِّفَةَ والجهلَ ، ويُهتَلِكَ الحرثُ والنَّسْلُ ، ويأبى دفاعُ الله من ذلك ،

١ د ط س : الغالب .

٢ د ط س : وما هو الا ..

٣ قد مر هذا ، انظر ص : ٣٥ ، ١٥٦ .

٤ د ط : العزة .

فهو أرافئُ بخلقه من إسلامهم للمهالك ، وطار النبا إليَّ ، وسقط الخبر عليَّ ، فبلغ عزَّ وجل ، من الكفاية غاية الأمل^١ ، ونخاب سعيه^٢ ، وقالَ رأيه ، وندم ولاتَ حينَ مندم ، فتحركتُ مني الرحمةُ التي قطعها ، وحتتِ الرأفةُ التي نبذها وخلعتها ، ففوتُ [عنه] واعتلق بحبلِ الإنابة ، وأسرعَ الدخولَ في بابِ الإجابة ، وهو منطويٌّ على شرِّ ضمائره ، ومسرٌّ لأخبثِ سرائره :

وأظلمُ أهلِ الأرضِ من باتِ حاسداً لمن باتَ في نعمائهِ يتقلَّبُ^٣
وقبلتُ توبتهُ الظاهرة ، وأقلتُ زلَّةَ قدميهِ العائرة ، ولم أخليهِ فاضل^٤
اهتبالي واعتنائي ، ولم أمنعه غيرَ قربي ولقائي ، فأطغاه ذلك وأبطره ،
وأطمعه في نيلِ ما كان أضمره ، فرام التي لا شوى لها ولا بقاءَ معها :
أريدُ حياتهُ ويريدُ قتلي عذيرك من خليلك من مُراد^٥

* * *

سبكناهُ ونحسبهُ بلحينا فأبدى السبكُ عن نخبِ الحديد^٦
ولعمري لئن أنجته آباءُ سروٍ وصديقٍ ، لقد سرى فيه للخؤولة لثيم^٧

١ ب م : الآمال .

٢ البيت للمتنبي ، ديوانه : ٤٦٦ ، وروايته : أهل الظلم ، وهي رواية س ط د .

٣ د ط س : من فضائل .

٤ الشوى : كل ما كان غير مقتل ، والتي لا شوى لها : فتكة تصيب مقتلاً .

٥ البيت لعمرو بن معد يكرب ، وكان علي رضي الله عنه يتمثل به (الكامل ٣ : ١٩٨ والسمط :

٦٣) وروايته : أريد حباه ؛ وفي د ط س : عذيري من خليلي ، وعكس الشطرين .

٦ البيت في التمثيل والمحاضرة : ٢٨٨ دون نسبة ، وروايته : فأبدى الكبر .

٧ لثيم : سقطت من ط د س .

طبعٌ وعِرقٌ ، ولا غَرَوُ في هذه الحال ، فقد يستحيلُ الزعاقُ من الزلال ،
وينامُ عرقُ الأبِ ويسري عرقُ الخال :

وأولُ خُبثِ الماءِ^١ خُبثُ ترابِهِ . وأولُ خُبثِ المرءِ خُبثُ المناكحِ .

فعاقدَ سَقَاطاً من خِساسِ^٢ صبيانِ العبيدِ المتصرفين في أحطِّ المراتبِ عندي ،
المنحطِّين عن الكونِ في جملةِ جندي ، إذ لم يجدْ مساعداً على هذه القضية ،
من فيه أقلُّ مُسكَّةٍ وبقيةٍ ، فاستهوى ضعفَ عقولهم^٣ ، واستنفرَ قليلَ
تحصيلهم ، وسلَّحهمُ بسلاحي ، وراشَّهمُ بفضلِ جناحي ، ودعاهم
إلى عصيانِ ربهم وأمري [٤٤ أ] والتعرُّضِ لهتكِ سلطانيهِ وسُتري^٤ ،
وتسنىموا مُنيّفَ الأسوارِ تسنّمَ الوعول ، بعد أن سقاهاهم صيرْفَ الشمول ،
التي تَدَّهَسُ بوافرِ العقول ؛ يظنُّوني نائمًا ويحسبونني غافلاً ، واللهُ
ليس بغافلٍ عمّا يعملُ الظالمون^٥ ؛ وكان عددُ الفتيانِ الفجار ، كعددِ
خزنةِ أهلِ النارِ ، فأطلعني الله تعالى على حِسِّهم^٦ ، وأسمعني خفيَّ
ركزِهِم^٧ ، فثرتُ من الفراشِ ، رابطَ الجاشِ ، فولَّوا على الأعقابِ حين
رأوا شخصي ، متساقطين على الأذقانِ إذ سمعوا صوتي^٨ ، وعاد الخائنُ الخائنُ
إلى سورِ المدينة بعد أن خرَّقَ اليه ، ورائدُ الموتِ يحولُ بين عينيه ، فغيرَ
بعيدٍ ما أسرتُهُ الخيلُ أسراً ، وقيدَ إليَّ عنوةً وقهراً ، وكذلك شيعتُهُ
المارقة ، وصحابتُهُ الجانيةُ الفاسقةُ ، فلم يفلت^٨ منهم بحمدِ الله أحدٌ ،

١ ط د س : المرء . ٢ د : خساساً من سقاط .

٣ س : قلوبهم . ٤ د ط ن : ستري وسلطاني ؛ ب : سلطاني وستري .

٥ ناظر الى الآية : ٤٢ من سورة ابراهيم .

٦ د ط س : كعدة . ٧ ط : صوتي .

٨ د ط ن : إذ سمعوا صوتي ، وفروا فأسرتهم الخيل اسرا ، وقيدوا الي عنوة وقهراً ، فلم
يفلت الخ .

ولا أجاره مكان ولا بلد ، حتى أخذ الله تعالى بثاره منهم ، وأقام حدوده^١ فيهم ؛ وأنا متأسف في هذه الرزية ، بكبار سلوك الإسلام والجاهلية ، فقد تعدى عقوق الأبناء ، إلى كبار البشر والأنبياء ، حتى قال الله تعالى لنوح عليه الصلاة والسلام : ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ، إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ (هود : ٤٦) والربُّ تعالى يُخْرِجُ الْحَبِيبَ مِنَ الطَّيِّبِ ، ويقضي ما شاء في علم الغيب ، لكنني على العيالات ، ورعاية الحرمات ، أرضي طاعة الله تعالى في من عصاه ، وألترم^٢ أمره في من خالف رضاه :
وإن السيِّفَ في الباغي جزاءً أحقُّ به من النَّسبِ القريبِ

بقية ما استخرجته من رسائله السلطانيات

فصل له من رقعة [عن ابن مجاهد] إلى المنصور^٣ بن أبي عامر : من اختار - أيديك الله - لخلتته أركي المعادن ، واعتمد ليمقتته أسنى المواطن ، كان جديراً أن يعتبط بجناها ، ويرتبط بنفوز عقبها ، ويعلم أنها على الأيام صقيلة الأرجاء لا يصدئها الإهمال ، صدقة^٤ المضارب لا يفلتها الأعمال ، وأنت الذي لا يداني شرفه ، ولا يسامى سلفه ، ولا تُجاري أعراقه ، ولا يبارى إعرافه ، فمن ظمير بصفائك ؛ عماداً ، وبوفائك عتاداً ، فقد أصمى سهمه وقرطس^٥ ، ونزل ساحة الفضل وعرس ، ووثق بأنه

١ ط د س : أرضيت . . . والتزمت .

٢ د ط س : الناصر ؛ والناصر هو عميد الله بن المنصور عبد العزيز بن أبي عامر .

٣ ب م : صدقة .

٤ م : بفضائك ؛ ب : بفضائك .

٥ قرطس : اصاب الرمية .

وردَ ورداً لا تكدرُهُ الدلاءُ ، واعتقدَ عقداً^١ لا يُغيّره الإصباحُ والإمساءُ ؛
وتلك حالي في ما مُنِحْتُهُ^٢ من صفائك ، ووليتُهُ من ولاتك ، والله يجرسُ
حظّي من وفائك ، ويرفعُ المضارَّ عن حَوْبَائِك ، [بمنّه] .

ومن أخرى عنه إلى المظفر بن الأفتس : إذا تشاكتُ - أيدك الله -
الأحوالُ والضرُوبُ ، تقاربتِ الأهواءُ والقلوبُ^٣ ، وقد قيل [٤٤ ب] :
الشكولُ أقاربُ ، والمذاهبُ مناسبُ :

ولنَ تنظِمَ العقَدَ الكعابُ^٤ لزينةٍ كما تنظِمُ الشملَ الشمتيتَ الشمائلُ^٥
وما تشئت لنا ، بحمد الله ، شملٌ ، ولا انقطعَ بنا حبلٌ ، ولا غبَّ بيننا
وَصَلٌ ، بل نحن على شلجٍ توأصلٍ يفتضيه التشاكلُ والتآلفُ ، ونهج تداخلٍ
يستدعيه التعاقدُ والتحالفُ ؛ وإنّي - علم الله - بمكانك لمباهٍ ، وبزمانك
لمظاهرٍ مضاهٍ ، أعتقدُ لك العقدَ الذي لا تُجاذبُ أهدابُهُ ، ولا يَنازِعُ
جلبابه ، وقد نظمتمنا من الأحوالِ المشاكلةِ والأسبابِ الواشجةِ ما كلانا
له مُرَاعٍ ، وإلى قضاء الحقِّ فيه وحفظ الحظِّ منه ساعٍ ، وربَّ حالٍ
جددت تآلفاً ووداً ، وأكّدتُ وشدّتُ^٥ على مرِّ الأيامِ عهداً وعقداً ،
وبنت ما لا يهدمهُ الدهرُ ولو انتحاه من خطوبه بمِعْوَلٍ ، وأنحى عليه بجرانٍ
وكلكلٍ ، واللهُ يصلُ ما بيننا بالدوامِ والثباتِ ، ويجرسُهُ من الانصرامِ
والانبتاتِ .

١ م ب : عهداً .

٢ م ب : منحت .

٣ م ب : والمطلوب .

٤ د ط س : الشمتيت .

٥ د ط س : وشدت وشدت .

وله من أخرى^١ : لئن ضننت الأيام بالمرغوب ، ولوتنا في نيل
المطلوب ، فلا ضير ، فلسنا نعلم أي القسمين أرجح فنتأسف على تركه ،
وأي الحظين أربح فننتظم في سلكه ، وحق لمن نظر بعين الفكر أن لا يبالي
بحالة تعرض ، أو عزيمة تنتقض ، أو حبل يترث ، أو شعب ينتكت ،
فربما كان الاعراض احكاماً ، وأصبح الانتقاض لإبراماً ، والهجران وصلاً ،
وظل النقصان كمالاً ، والله ولي السلامة ، في الظن والإقامة .
ووافاني كتابك العزيز ، فأول ما سرحت طرفي في مسطوره ،
وأعملت فكري في منثوره ، استطار الركاب فرحاً ، وعادت الغمرات
مرحاً ، ثم أنشدت وزددت :

أهم بشيء والليالي كأنها تطاردني عن كونه وأطارد^٢
بدا قضت الأيام ما بين أهلها مصائب قوم عند قوم فوائد

وعسى الله أن يعيد عهداً تجري فيه السوانح ، وتسقط به البوارح ، فيصفو
جمام ، وينقطع هيام ، ويسل حسام ، ويحمد مقام .

وله من أخرى إلى المنصور بن أبي عامر^٣ : إني - أيد الله الملك
الكريم - لما أضاءت لي أهلة مفاخره في سماء الفخار ، وأشرقت شمس
مكارمه على مفارق الأحرار ، وأبصرت شمائله الزهر تثير من الهمم كامينها ،
ومحاسنه الغر توظف من الآمال نائمها ، تيقنت أن بحق انقادت له القلوب
في أعنتها ، وتهادت إليه النفوس بأزمتها ، فآليت أن لا ألم إلا بجماه ،
ولا أخط رحلاً [٤٥ أ] إلا في ذراه ، علماً بأنه نثرة الفخر ، وغرة

١ لم ترد هذه الرسالة في د ط س .

٢ البيهتان للمتنبي ، وهما متباعدان في موضعيهما من القصيدة ، انظر ديوانه : ٣١٠ ، ٣١٣ .

٣ وردت هذه الرسالة في نفع الطيب ١ : ٥٩٧ ، وهي مبنية على الخطاب لا على الغيبة .

الدهر ، فيمَّمتُ سارياً في طالع نوره ، متيمناً بيمينِ طائرِهِ ، بأملٍ متحقِّقِ
الريح ، موقنٍ [بالفليج و] الشُّجج ، حتى حملتُ بدرجة^١ المجد ، وأنختُ
بدروة^٢ السَّعد ، فجعلتُ أثر من جواهر الكلام ، ما يُرَبِّي على جواهرِ
النظام ، وأنشرُ من عطر الثناء ، ما يُزري بالروضة الغنَّاء ، وحاشَ
للفضلِ^٣ أن يُعَطَّلَ ليلى من أقمارك ، ويخلىَ أفقي من أنوارك ، فأرى
منخرطاً في غير سالكك ، منحطاً إلى غير مُلكك ، لا جرَمَ أنه من
استضاء بالهلال ، غنَّيَ عن الدُّبال ، ومن استنار بالصباح ، ألقى سنا
المصباح ؛ تالله ما هزتُ آمالي ذوائبها إلى سواك ، ولا حدثُ أطماعي
ركائبها إلى حاشاك^٤ ، ليكونَ لذلك في أثرِ الوسميِّ للماحل ، وعليَّ جمالُ
الحليِّ للعاطل ، بسيادتيك^٥ الأولىة ، ورياستك الأزلية^٦ ، التي يتصمَّرُ
عن وصفها إفصاحي ، ويعيا عن بعضها بياني^٧ وإيضاحي ، فالقرايطيسُ
عند بثِّ مناقبِكَ تَفنى ، والأقلامُ في رَسْمِ آثارِكَ تخفى .
وفي فصل منها : والسعيدُ من نشأ في دولتك ، وظهر في جُمالتك^٨ ،
واستضاء بغرَّتكَ^٩ ، لقد فاز بالسبق من لحظته^{١٠} عيونُ رعايتك ، وكنفته^{١٠}

١ النفح : في دوحه .

٢ النفح : بدولة .

٣ النفح : الفهم .

٤ النفح : الى من عدلك .

٥ النفح : السنينة .

٦ النفح : الأولىة .

٧ ب م : ثنائي .

٨ النفح : امتك .

٩ ط د س : بقرتك ؛ النفح : بعزتك .

١٠ س : لإحظته .

حِرْزُ حمايتك ، فأنت الذي أُمِنْتَ بعدله نوابُ الأيام ، وقويت بفضله
دعائم الإسلام ، تحتالُ بك المعالي اختيالَ العروس ، وتخضعُ لجلالتك
أعزّةُ النفوس ، بسابقةٍ أشهرَ من الفجر ، وفطنةٍ أنورَ من البدر ، وهمةٍ
أبعدَ من الدهر :

لقد فاز من أضحى بكم متمسكاً يمدُّ إلى تأميل عزكم يسدا
سلكت سبيلَ الفضل خالقاً مركباً وغيرك لا يأتيه إلا تجسدا
ليهنيكم مجدٌ تليدٌ بنيمٌ أغارَ لعمري^١ في البلادِ وأنجدا

[وفي فصل] : وإنما أهدي إلى مولاي خدمتي ، وأضعُ في ميزانِ اختياره
همتي ، لأمتازَ في جملة عبيده ، وأشهرَ في خدامته وعديده :

وما رغبت في عسجدٍ أستفيدُهُ ولكنها في متفخري أستعجدُهُ^٢
وكلّ نوالٍ كان أو هو كائنٌ فلهظةٌ طرفٌ منك عندي نده
فكن في اصطناعي محسناً كجربٍ بينك لك تقريبُ الجوادِ وشده^٣
إذا كنت في شكٍ من السيفِ فابلهُ فاما تُنفيهِ وإما تعدّه [٤٥ ب]
وما الصارمُ الهنديُّ إلا كغيره إذا لم يفارقه النجادُ وغمده

وله من أخرى عن ابن مجاهد إلى ابن أبي عامر يعلمه بغدر أخيه حسنٍ
له ، قال فيها بعد الصدر : وان الموفقَ مولاي - رضي الله عنه - كان
رمى إليّ بعهدته ، وقلّدتني الأمرَ من بعده ، وبايعني بذلك من كان في
قبضةِ سلطانه ، واشتمالِ ديوانه ، ولما اتفقت الآراءُ ، ويئسُ الأعداءُ ،

١ النصح : أغار سناه .

٢ الأبيات للمثنوي ، ديوانه : ٤٥٤ مع اختلاف في ترتيبها .

٣ في النسخ : وبعده ، والتصويب عن الديوان .

مدّ أخي حسنٌ بيّعتي يداً ، وأظهر في طاعتي مُعتقداً ، فما آن للمدادِ
عهدِه أن يجفّ ، ولا حان ليدِ عاقده أن تنحرف^١ ، حتى داخلَ صاحباً
اشبيليةً في الغديرِ والخلاف ، فأنفذ إليه رجلاً يدعى سلمةً من جنده^٢
ليتصرّف على إرادته ، فأجمعوا أيديهم والقضاء أمسك^٣ ، وأزمعوا كيدهم
والقدرُ يضحك ، وتوخّوا صدرِي^٤ من صلاة الجمعة ، فوافوني^٥ قد
انسربتُ في كَلّة الأمنِ ، ونمت في حجرِ حُسْنِ الظنِّ ، فما استيقظتُ
إلاّ لصبحٍ^٥ صفائحهم تُصلتُ عليّ ، ولا انتبهتُ إلاّ لضوءِ رماحهم^٥
تُشرعُ إليّ ، إلاّ أن الله كان بازائي ظهيراً ، وتلقاني نصيراً ، وبين يديّ
رفداً ، ومن ورائي مدداً وردداً . فما كان إلاّ أن تساقطَ فراشهم^٥ في مصابيح
الفرج ، وأنعست^٦ شُبُههم في مواردِ الثلج ، وفزتُ وقد انجلتِ الكرةُ
عليهم . فأما سلمةُ المذكور فانه رمى عن قوسيه إلى نفسه^٧ ، وسطاً بسهمه
على جسمه ، فأنثى في بطاحيه ، مقتولاً بسلاحه ، وأما حسن فمرّ مستمراً
لما استمراه ، مستمراً لما استحلّاه ، قد عارضَ النعمةَ بجحْدِها فسأبنتُ
عنه ، وقارضَ الحسنةَ بضدّها فانتزعتُ منه ، على أنه كان بينَ الجفنِ
والناظرِ نازلاً ، وبين الضميرِ والخطيرِ جاثلاً ، قد قاسمتهُ العيشَ نصفين ،
والحياةَ شطرين ، له النومُ وليّ السهر ، وله الأمنُ وليّ الحذر ، وله
الصفوُّ وليّ الكدر ، أشقى لينعم ، [وأمتهنّ ليكرم] ، إلى أن واصلتهُ

١ د ط س : تنصرف .

٢ م : سلمة بن خذله .

٣ س : صدوري .

٤ د ط : فوافقوني .

٥ د ط س : لصبح .

٦ ط د : واذا نعت : س : وانعست .

٧ ط د س : بنفسه .

الرفاهيةُ فملاً ، ونادمته النعمةُ فاعتلّ ، ومسهُ الخيرُ فمَنع ، وغرتهُ
الأمانياُ فانخدع ، حتى ذاقَ وبالَ أمره ﴿ولا يحيقُ المكرُ السيئُ إلاّ بأهليه﴾
(فاطر : ٤٣) .

وله من أخرى [عنه] إلى المظفر بن الأفتس : وما أشكُ في ما ذكرتَ
من أخذِكَ معي بالنصيبِ الأوفَرَ ، والقسطِ الأكبر ، من المصابِ بفقدِ
الموفّقِ مولاي ومعظّمِكَ ، كان ، - لقّاه الله رضوانه ، وألحفهُ عَفْوَهُ
وغفرانه - فقد كان إذا عُدَّ الأفاضل لا يثني خِصْرَهُ إلاّ عليك ، وإذا
ذُكِرَ الرؤساءُ لم يُشِيرْ بتصحيحِ الوفاءِ إلا اليك ، فنحن لا نستوحشُ
بفقدِ فاضلٍ وذاتهِ موجودة ، ولا نرتاعُ لموتِ جليلٍ ٢ [٤٦ أ] وحياتهِ
ممدودة ، فانك إذا قال قائلٌ منا : كَسَدَتْ لوفاةُ ٣ الموفّقِ سوقُ الأدبِ ،
وبارتِ بضاعةُ الطلبِ ، وهوى نجمُ العلمِ ، وكبا زَندُ الفهمِ ، وعفا رسمُ
الحلمِ ، وطَفِيسِيءُ سراجِ الرأيِ ، استثنى بكِ المجيبُ ، وَعَزَّيْ بِمَكَانِكَ
المصيبِ ، وأطبقِ الإجماعُ أنك جِماعُ الفضائلِ ونظامها ، وفي يديك
لواؤها وزمامها .

وله [فصل] من أخرى : أظمأُ إلى ماءِ نهرٍ قد تغلغتُ في حياضِهِ ،
وأذادُ عن لآلاءِ زهرٍ قد توغلتُ في رياضِهِ ، وأتعطلُّ من حليكَ وقد
فاضَ فيضُ الرِّبِّ ، وأتعزّي من حُلِّيلِكَ وقد ضَمَقَتْ مَلابِسُها على

- ١ ط د س : أظمأُ
- ٢ ط د س : أذادُ
- ٣ ط د : تعزّي
- ٤ ط : وعاد

الجمهور ؟ ! كلا والله ، إني لعاجزٌ مع^١ تمكينها وإعراضها ، وقلةِ عملها وأعراضها ، ولقد رفع الله من هذا الأدب الذي جدّدتَ رسومتهُ بعد دثورها ، وأطلعتَ نجومه بعد غؤورها ، ونهجتَ سبيلتهُ بعد انشعابها وطموسها ، وبصّرتَ^٢ أعلامه بعد ذهابها ودروسها ، حتى مالت إليه الأعناقُ ، واثالتُ عليه الرفاقُ : وطمحتُ نحوه الأحداقُ^٣ ، وحقّ لشيءٍ نَفَقْتَهُ أن يعزّ وينفق ، ولنجمٍ أطلعتَهُ أن ينيرَ ويشرق ، ولغصنٍ سقيتهُ أن يبسُقَ ويورق ، وجدّدتَهُ عن قِدم ، وأوجدته من عدم ، ونشرتَهُ من كَفَن ، وبعثته من جنن ، فهو يُثني باللائك ثناء الأزهارِ للأمطار ، ويعبقُ بشيمك^٤ عقبَ الأنوار بالأسحار ، ويشيرُ إليك إشارةً المصنوع إلى الصانع ، ويدلُّ عليك دلالةً الليلِ على النجومِ الطّوالع .

وفي فصل من أخرى : ان سبقت إلى الفضلِ فالمعهودُ منك السَّبِقُ^٥ ، وان أوجبت [لك] عليّ حقاً فقد يمّا كان لك الحقّ ، وقد أبى الله أن يرتدي برداء الحمد ، ويقتعد ذرّوة المجد ، إلاّ من قرّع أنف الأنفة ، يمد النّصفة ، وعصى سلطان الحميّة الجاهلية ، بالانقياد لأحكام الملة الحنفيّة^٦ ، وما أربحه متجرّاً ، وأرجحه مفعراً ، لمن أهداهُ إليه توفيق ، وهداه^٧ عليه تحقيق ، وأنت — أيّدك الله — ذلك الناظرُ بعين اليقين ، الساهرُ

١ ط د : بعد .

٢ بصر : وضح ؛ ب م : وقصرت .

٣ ب م : اليها . . . عليها . . . نحوها ؛ ط د س : الارزاق .

٤ ب : بنسيمك ؛ د ط : بنسيمها .

٥ في انسخ : الا .

٦ ب ط : الحنفيّة .

٧ ط د : وعداه .

في مصالحي الدنيا والدين ، وبحقِّ علا قدرك ، وسما ذكرك ، وأصبحت
في رؤساء الأندلس المشار إليه ، والكبير المعتمد عليه .

ومن رسائله في ذكر الجهاد واستنفار كواف البلاد

فصل له من رقعة : ورد كتابك يحضُّ علي ما أمر الله به من الألفة ،
واتفاق الكلمة ، وإطفاء نار الفتنة ، وجمع شمل الأمة ، في هذه
الجزيرة المنقطعة عن الجماعة ، فله [٤٦ ب] رأيك الأصيل ، وسعيك
الجميل ، ومذهبك الكريم ، وغيبك السليم ! ! ما أصدق قبيلك ،
وأهدى دليلك ، وأوضح في سبيل البر سبيلك ! ! وقد كنت - علم^٢
الله - جائحاً إلى ما جنحت إليه ، ويلوح لي ما يلوح إليك : من أنا على
طرف إلا ما كفى الله ، وعلى قلّة إلا ما وقى الله .

وله فصول [اقتضبتها] من رسالة فيها طول ، كتبها على السنة
أهل بربرستر^٣ ، عنوانها : من الثغور القاصية ، والأطراف النائية ، المعتقدين
للتوحيد ، المعترفين بالوعد والوعيد ، المستمسكين بعروة الدين ، المستهلكين
في حماية المسلمين ، المعتصمين بعصمة الإسلام ، المتألفين^٤ على الصلاة
والصيام ، المؤمنين بالتنزيل ، المقيمين على سنة الرسول ، محمد نبي الرحمة ،

١ ب : مصالحي ؛ د ط : مصالحي .

٢ ب م : يعلم .

٣ بربرستر (Barbastro) تقع في ناحية وشقة على احد فروع نهر إبره الى الشمال الشرقي
من سرقسطة ؛ وانظر الخبر عن كائنتها في ابن عذاري ٣ : ٢٢٥ ودراسة عنها في Recherches

٢ : ٣٣٢ وما بعدها ، وسينقل ابن بسام نص ابن حيان عنها فيما يلي .

٤ ط د س : المعترفين بالوعد والوعيد المؤلفين . . . الخ .

وشفيحِ الأُمَّة ، إلى مَنْ بِالْأَمْصَارِ الْجَامِعَةِ ، وَالْأَقْطَارِ الشَّاسِعَةِ ، بِجَزِيرَةِ
الْأَنْدَلُسِ مِنْ وِلَاةِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَحِمَاةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَرِعَاةِ الدِّينِ ، مِنْ الرُّؤَسَاءِ
وَالْمُرُوسِينَ ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ، فَانَا نَحْمَدُ اللَّهَ الِيكُمْ ، حَمْدًا مِّنْ أَيْقَنَ بِهِ
رَبًّا ، وَجَعَلَهُ حَسْبًا ، وَليِّ الْمُؤْمِنِينَ ، وَغِيَاثِ الْمُسْتَغِيثِينَ ، مَجْرِي الْفَلَكَ
فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (الحج :
٦٥) وَنُصَلِّي عَلَى الْمُصْطَفَى مِنْ أَصْفِيَائِهِ ، مُحَمَّدٍ خَاتَمِ أَنْبِيَائِهِ ، الْمُبْتَعَثِ
بِأَنْوَارِهِ السَّاطِعَةِ ، وَحِجَاغِهِ الْقَاطِعَةِ ، عَلَى حِينِ عَقَّتْ رُسُومُ الدِّينِ ،
وَخَوَتْ نَجُومُ الْيَقِينِ ، فَجَلَا الشُّكَّ ، وَأَدْحَضَ الْإِفْكَ ، فَعَلِيهِ مِنَ السَّلَامِ
أَفْضَلُ سَلَامٍ ، مَا وَحَّدَ الرَّحْمَنُ ، وَتُسِّنِي الْفَرْقَدَانِ .

أما بعدُ : حرسكم الله بعينه التي لا تنام ، فانّا خاطبناكم مستنفرين ،
وكتابتناكم مستغيثين ، وأجفاننا قرّحى ، وأكبادنا حرّى^٢ ، ونفوسنا
منطبعة^٣ ، وقلوبنا محترقة^٤ ، على حين نشر الكفر جناحيه ، وأبدى الشرك
ناجذيه ، واستطار شرر الشر^٥ ، ومسنا وأهلتنا الضّر ، أحسن ما كنا
بالأيام ظنّا ، وملتئنا ظاهرة^٦ ، وفئتنا متناصرة ، لا تُشَلُّ لنا يد ، ولا
يُفَلِّ لنا حدّ ، حتى انقلبت العين ، وبان الصبحُ لذي عينين^٣ .

[وفي فصل منها] : وأي أمانٍ من زمانٍ قلما يخضرُّ منه جانبٌ إلا جفَّ
جانبٌ^٤ ، ولا تبرقُ منه بارقةٌ إلا اتبعتهَا صاعقة ، إلا ما وقى الله . وننبئكم

١ د ط : وحججه .

٢ ط د س : جرحى .

٣ من المثل : قد بين الصبح لذي عينين ، انظر فصل المقال : ٦١ والميداني ٢ : ٣١
والمسكري ٢ : ١٢٥ ، وقد تقدم ص : ١٢٧ .

٤ من قول ابن عبد ربه :

إلا انما الدنيا غضارة ايكة اذا اخضر منها جانب جف جانب

— معشرَ المسلمين — بعضَ ما نابنا في ثغورنا، عسى أن تكونوا سبباً لنُصرتنا،
 فالؤمنون إخوة^١ ، والمسلمون لُحمة^٢ ، والمرءُ كثيرٌ بأخيه ، وإلى أمه^٣
 يلجأ اللهبان ، وإلى الصوارم تفرعُ الأقران ، والسعيدُ من وعظُ بغيره^٤ ،
 والشقيُّ من عمييتُ عيناه ، وصمَّت عن الموعدةِ أذُنَاه . ونقصُ عليكم
 من نبأنا^٥ ، وما انتهت إليه حالُ ملأنا ، ما واللهِ يوجعُ [٤٧ أ] القلوبَ
 سماعه^٦ ، كما قصمَ الظهورَ وأسخنَ العيونَ اطلاعه .

وفي^٣ فصل منها : فأحاطت بنا كإحاطةِ القلادةِ بالعنق ، يسوموننا
 سريةَ العذاب ، بضروبٍ من الحرب والحراب ، آتاءَ ليلها ونهارها ، تصبُّ
 علينا صواعقها ، وترمي الينا بوائقها^٣ ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، على
 ما رأيتُ^٤ منا العيونُ ، من انتهاكِ تلك النعمِ المدخرات ، وهتكِ سترِ
 الحُرَمِ المحجَّبات ، والبناتِ المخدَّرات ، وما تكشَّف^٥ من تلك العوراتِ
 المستترات ، فلو رأيتم — معشرَ المسلمين — لإخوانكم في الدين ، وقد غلبوا
 على الأموالِ والأهلين ، واستحكمتْ فيهم السيوفُ ، واستولتْ عليهم
 الختوفُ ، وأثخنتهم الجراح ، وعبثتْ بهم زُرُقُ الرِّماح ، وقد كثُر الضجيجُ
 والعيولُ والنياح ، ودماؤهمُ على أقدامهم تسيل ، سيلَ المطرِ بكلِّ سبيل ،
 ورعوسهم قُدَّامهمُ تطير ، وقلوبهمُ في أجسادهم تستطير ، ولا مغيثَ
 ولا مجير ، وقد صمَّتِ الآذانُ ، بصراخِ الصبيان ، ونياحِ النسوان ،

١ هذا مثل ، انظر فصل المقال : ٣٢٧ والميداني ١ : ٢٣٢ .

٢ د ط س : أذباثنا .

٣ — ٣ تبدأ هذه الفقرة في د ط س : وذلك أنه احاط بنا عدونا كإحاطة القلادة بالعنق

فحاربنا حتى ظفر ، فانا لله . . . الخ .

٤ ط د س : تراءت .

٥ ط د س : وماذا كشف .

وبكاء الولدان ، وعلت الأصوات ، وفشت المنكرات ، وتمرد الشيطان ،
واشتهر الطغيان ، وظهرت الصلبان ، وأفصحت النواقيس ، وجلت^٣
الأباليس ، وسعرت طغاة الخنازير ، وصارت^٤ الدور كالتنانير ، دماء
تُسْفِكُ ، وستور تهتك ، وحرّم^٥ تنتهك ، ونعم تستهلك ، وأقفاء تُصْفَعُ ،
وأعضاء تُقَطَّعُ ، وأعيان^٦ تُرْتَكَبُ ، وأثاث ينتهب^٧ ، ومصاحف تمزّق ،
ومساجد تُحَرِّقُ ، فلا الأخ يُغني أخاه ، ولا الابن يدعو أباه ، ولا الأب
يُبدني بنيه ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ (عبس : ٣٧)
ولا المرضعة تلوي على رضيعها ، ولا الضبيعة تربي لضجيعها ، كأنهم
في مثل اليوم الذي ذكره الجليل ، في مُحْكَمِ التَّزْيِيلِ ، ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا
تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا
وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ﴾ (الحجج : ٢) ؛ فما^٧ ظنكم
— معشر المسلمين — وقد سيقت النساء والولدان ، ما بين عارية وعريان ،
قموذاً بالنواصي إلى كل مكان ، طوراً على المتون ، وطوراً على البطون ،
ومشيخة الرجال ، مقرّنين في الحبال ، مصفّدين في السلاسل والأغلال ،
مقتادين بشعور السبّال ، ان استرحموا لم يُرحموا ، وان استطعموا لم يُطعموا ،
وان استسقوا لم يُسقوا ، وقد طاشت أحلامهم ، وذهلت أوهامهم ،
وسخنت أعيانهم ، وتغيّرت ألوانهم .

١ م : وغشيت . ٢ د ط س : واستهوت .

٣ جلحت : حملت ؛ م : وجلجلت ؛ د : وضجت ؛ ط س : وخلصت .

٤ د ط س : وعادت ؛ ب : وسارت .

٥ ط س : وأعمار ؛ د : واغيار .

٦ م : واثاث تركب ؛ ط د س : وآثار تنتهب ؛ ب : واثاث تمتهب .

٧ قبل « فما » في د ط س : وفي فصل منها .

وفي فصل منها^١ : وما ظنكم - معشر المسلمين - وقد رأيتم .
 [٤٧ ب] الجوامع والصوامع بعد تلاوة القرآن ، وحلاوة الأذان^٢ ، مطبقة بالشرك والبهتان ، مشحونة بالنواقيس والصلبان ، عوضاً من شيعة الرحمن ، [والأئمة والمتدينون] ، والقومة والمؤذنون ، يجرهم الأ علاج كما تُجرُّ الذبائح إلى الذابح ، يُكبّون على وجوههم في المساجد صاغرين ، ثم أُضرمت عليهم ناراً حتى صاروا رماداً ، والكفر يضحك ويسنكي ، والدين ينوح ويبكي^٣ ، فيا ويلاه ، ويا ذلاًه ، ويا كرباه ، ويا قرآناه ، ويا محمداه ، ألا ترى ما حلَّ بحملة القرآن ، وحفظة الإيمان ، وصوام شهر رمضان ، وحجاج بيت الله الحرام ، والعاكفين على الصلاة والصيام ، والعاملين بالحلل والحرام ، فلو شهدتم - معشر المسلمين - ذلك لطارت أكبادكم جزعاً ، وتقطعت قلوبكم قطعاً ، واستعذبتم طعم المذايا ، لموضع تلك الرزايا ، وهجرت أسيافكم أغمادها ، وجفت أجفانكم رقادها ، امتعاضاً لعبدة الرحمن ، وحفظة القرآن ، وضعفة النساء والولدان ، وانتقاماً من عبدة الطغيان ، وحملة الصلبان .

وفي فصل منها^٤ : وقد ندب الله مسلمي عباده إلى الجهاد في غير ما آية من الكتاب ، يضيق عن نصها الخطاب ، ترغيباً وترهيباً ، فوعد المطيعين جزيل ثوابه ، والعاصين أليم عقابه ، والرواية عنه عليه السلام في فضل الجهاد ، وما يجازي فيه رب العباد ، أشهر من أن تذكر ، وأكثر

١ وفي فصل منها : سقطت من د ط س .

٢ س ط د : الإيمان .

٣ د ط س : ثم اضرمت النار عليهم حتى احترق الجميع وهلكوا ، والكفر يضحك ، والدين يبكي ، والعتاب ينكي .

٤ وفي فصل منها : سقطت من د ط س .

من أن تحصر^١ ، فالله الله في إجابة داعينا ، وتلبية منادينا ، قبل أن تُصدعَ صماتنا كصدع الزجاج ، فهناك لا ينفعُ العلاج .

وفي فصل منها : ولا بدّ للحقّ من دولة ، وللباطل من جولة ، والحربُ سجال ، والدهرُ دُور ، و ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ (يونس : ٤٩) ؛ ولولا فرطُ الذنوبِ ، لما كان لريحهم علينا [من] هُبوب ، ولو كان شملنا منتظماً ، وشعبنا ملتئماً . وكنا كالجوارح في الجسدِ اشتباكاً ، وكالأناملِ في اليدِ اشتراكاً ، لما طاشَ لنا سهمٌ ، ولا سقطَ لنا نجمٌ ، ولا ذلّ لنا حيزٌ ، ولا فُلّ لنا غرْبٌ ، ولا رُوعَ لنا سِرْبٌ ، ولا كُدّرَ لنا شِرْبٌ ، ولتكنّا عليهم ظاهرين ، إلى يوم الدين ، فالحذرَ الحذرَ ! فإنه رأسُ النظر ، من بركانِ تطاير منه شررٌ مُلهِبٌ^٢ ، وطوفانٍ تساقطَ منه قطرٌ مرهَبٌ^٣ ، قلّما يؤمن من هذا إحراق ، ومن^٤ ذلك إغراق ، فتنبّهوا قبلَ أن تُنّبّهوا ، وقاتلوهم في أطرافهم^٥ قبل أن يقاتلوكم في أكنافِكُمْ ، وجاهدوهم في ثغورهم ، قبل أن يجاهدوكم في دوركم ، ففينا [٤٨ أ] مُتَعَطِّظٌ لِمَنْ اتَّعَطَّ ، وَعَيْبَةٌ لِمَنْ اعْتَبَرَ ، فانظروا إلى ثغورنا كيف تُهتَضَمُ ، وإلى أطرافنا كيف تُخترَم ، وفيئنا كيف يُقتَسَم ، وأمّوالنا كيف تُصْطَلَم ، ودماؤنا مطلولة ، وحدودنا مفلولة ، وأنتم عنّا لاهون ، في^٦ غمرةٍ ساهون^٧ ،

١ س د ط : تحصى .

٢ د ط س : ملتهب .

٣ ط : مرتهب .

٤ ط : ولا .

٥ ط د س : أطرافكم .

٦ ط د س : وفي .

٧ انظر الآية ١١ من سورة الداريات .

وكاننا لسنا منكم ، ولا نحن سدادٌ دونكم مضروبة ، وجننٌ نحوكم منصوبة .

وفي فصل منها : وأنه إن استلبت الأطراف ، لم تتعدّر الأنصاف^٢ ، والبعضُ للبعض سببٌ ، والرأسُ من الذنّب ، غير أننا دتونا وبعدهم ، وشقينا وسعدتم ، ورأينا وسمعتم ، وليس الخبرُ كالعيان ، ولا الظنُّ كالعرفان ، ولقد آن أن يبصرَ الأعمى وينشطَ الكسلان ، ويستيقظَ النّومان ، ويشجعَ الجبان .

إيجاز الخبر بحادثة بربشتر التي ذكر ورجوع المسلمين إليها^٣

قال أبو مروان [ابن حيان] : وفي سنة ست وخمسين وأربعمائة تغلب العدو على مدينة بربشتر قسبة بلاد برطانية ، الواسط لما بين بلدي لاردة وسرقسطة ، ركبي الثغور العلاء ، وهي الأم البرزة ، التليد ، حلول الإسلام فيها لأول فتوح موسى بن نصير ، التي لم تزل من أقدم معمورات من تناسخ عمارة الأندلس من القرون الحالية ، اتخذت بأكرم البقاع وأوثق البناء ، راكبة لنهر ماردة سوراً^٦ مضروراً لأهل الثغور القصص ، [والدفع] في وجوه

١ د ط س : وإذا ابتليت .

٢ يريد إذا أصيبت اطراف البلاد بفارات العدو سهل عليه بعدئذ مهاجمة أو ساطها .

٣ قارن بدين عذاري ٣ : ٢٢٥ ونفح الطيب ٤ : ٤٤٩ .

٤ ب م : التليدة .

٥ ط د س : لم تزل أقدم .

٦ ط د : مارة سداً .

العدى^١ ، تناسختها قرونُ المسلمين منذ ثلاثمائة وثلاث وستين سنة ، منذ أول عهد^٢ الفتح الإسلامية بجزيرة الأندلس ، فرسخَ فيها الإيمانُ ، وتدورسَ بها القرآن ، إلى أن طرقَ الناعي بها قرطبتنا فجأةً^٣ ، صدرَ شهرِ رمضانَ من العام ، فصكَّ الأسماع وأطار الأفئدة وزلزل الأرض الأندلسية^٤ قاطبة ، وصيّرَ لكلِّ شُغلاً تسكعُ الناس في التحدث به والتسألُ عنه والتصويرِ لخلول مثله أيتاماً لم يفارقوا فيها عادتَهُمْ من استبعادِ الوجَلِ ، والاعتزازِ بالأمل ، والإسنادِ إلى أمراءِ الفرقةِ الهمل ، الذين هم منهم ما بين فِشَلٍ ووَكَلٍ ، يصدُّوهم عن سواءِ السبيل ، ويلبسونَ عليهم وضوحِ الدليل .

ولم تزل آفةُ الناسِ منذ خلقوا في صنفين منهم ، هم كالمليح فيهم : الأمراءُ والفقهاء ، قلَّما تتنافرُ أشكالهم ، بصلاحتهم يتصلُّحون ، وبفسادِهِم يُرذَوْنَ^٥ ، فقد خصَّ الله تعالى هذا القرن الذي نحن فيه من اعوجاجِ صنفِيهِم لدينا هذين ، بما لا كفايةَ له ولا مخلصَ منه ، فالأمراءُ القاسطون قد نكبوا بهم عن نهجِ الطريقِ ، زياداً [٤٨ ب] عن الجماعة ، وحوشاً^٦ إلى الفرقة ، والفقهاءُ أثمتهم صموتُ عنهم ، صدوفُ عما أكدَّ الله عليهم في التبيين لهم ، قد أصبحوا بين آكلٍ من حلوآئهِم ، خائضٍ^٧ في

١ ب م : العدو .

٢ ط د س : من عهد .

٣ ط د س والنفخ : أرض الأندلس .

٤ ط د س والنفخ : يشغل .

٥ م : والتساؤل .

٦ ط د س : يفسدون .

٧ ط د س والنفخ : وجرياً .

٨ ط د س : وخابط .

أهوائهم ، وبين مستشعرٍ خافَتَهُمْ ، أخذٍ بالتقيّةِ في صدقهم^١ ، وأولئك هم الأقلّون فيهم ، فما القولُ في أرضٍ فسد ملحها الذي هو المصلحُ لجميعٍ أغذيتيها ، وان أصبحت بصددٍ من خيالها^٢ : هل هي إلّا مُشفيةٌ على^٣ بوارها واستئصالها ؟ ! ولقد طمأ العَجَبُ من أفعالِ هؤلاء الأُمراءِ ، أن لم يكن عندهم لهذه الحادثةِ الغراءِ في بَرَبَشْتِ^٤ إلّا الفزعُ إلى حفرةِ الخنادقِ وتعليةِ الأسوارِ ، وشدُّ الأركانِ ، وتوثيقِ البنيانِ ، كاشفين لعدوهم عن السوءةِ السوءاءِ من إلقاءهم [يرمئذ] بأيديهم اليهم : أمورٌ قبيحاتُ الصوَرِ ، مؤذناتُ الصدورِ بأعجازٍ تُحِلُّ^٥ الغير :

أمورٌ لو تدبّرها حكيمٌ إذن لنهى وهيّبَ ما استطاع^٥

ولكن ما الحياةُ في أديمٍ تفرّى تَعَيْشًا ، فغلب الصنّاعُ ، يخالها^٦ العاجزُ سَحِيلاتٍ^٧ محاولةً ، وهي في حكمةِ القديرِ مُبرّمةٌ مفتولةٌ ، ضلّ فيها الحكماءُ قبلنا ، فلنا في الإقصارِ عن كشفها مندوحةٌ ؛ فلنأخذ فيما افتتحنا القولَ فيه من حديثِ المصيبةِ الفادحةِ في بربشتر :

وهو أن جيشَ الأردمانيين طنّبوا عليها ، ووالوا حصّرها ، وجدّوا في قتالها طامعين فيها ، وقد أسلمهم أميرهم يوسفُ بن سليمان بن هود ليخطبهم^٨ ، وركّاهم إلى أنفسهم ، وقعدَ عن النفيرِ نحوهم ، فأقامَ عليها

١ ب م : صرفهم .

٢ ط د س : بصدور من خيالها .

٣ ط د س : من .

٤ تحل : سقطت من د ط س والنفتح .

٥ البيت للقطامي ، ديوانه : ٣٤ .

٦ ط د س : الضياع بخالها .

٧ : بن : بخيالها ؛ والصواب « سحيلات » كما في د .

٨ ط س : لخطبهم .

العدو منازلًا أربعين يوماً ؛ ووقع بين أهلها تنازع على القوت لقلته ، ولما علم العدو بذلك جدًّا^٢ في القتال ، فدخل الكفرة المدينة البرانية في نحو خمسة آلاف دارع ، فبهت الناس وتحصنوا بمدبنتهم الداخلة ، ودارت بينهم حربٌ شديدة قتيلَ فيها من النصارى خمسمائة ؛ ثم اتفق من قَدَّر الله تعالى أن قناةً من عمل الأوائل ، سَرَبًا تحت الأرض بتقديرٍ موزون إلى أن أفضت إلى شطِّ النهر ، فأنهت في نفس ذلك السَرَبِ صخرةً عظيمة الجرم [صفوانة الخلق] من حجارة بنائة الأول سدَّت السَرَبَ بأسره ، فعدموا الماء وأيسروا من الحياة ، ودعوا إلى تأمينهم على النزول بأنفسهم خاصة دون مالٍ وعيال ؛ فأعطاهم أعداء الله^٣ ذلك ، فلما خرجوا نكثوا بهم وقتلوا معاً ، ولم يُطلقوا منهم غير قائدٍ ابن الطويل وقاضيهم ابن عيسى [٤٩ أ] في نفرٍ من الوجوه قليلٍ عددهم ، فحصلوا من غنائم بَرَبَشْتَرٍ على ما لا يُقدر [حَصْرُهُ] كثرةً ؛ زعموا أنه صار لأكبر رؤسائهم ، قائدٌ خيل رومة ، في حصيته نحو ألفٍ وخمسمائة جارية أبكاراً كلهن ، ومن أوقار الأمتعة من الحلي^٥ والكسوة والوطاء خمسمائة حِمْلٍ . وتحدث أيضاً أنه أصيب في هذا القتل والسبي مائة ألف نسمة^٦ ، وشدَّ الكفار أيديهم بمدينة بربشتر واستوطنوها ، وهلك من نساء بربشتر جملةٌ يكثرُ عددها عند إفلاتهن من عطش القصبية لتطارجهن على الماء ،

١ ط س د : في .

٢ ط د س : واعلم . . . فجند .

٣ ط د س : فأعطاهم العدو .

٤ ط س د : نحو قائد .

٥ ط د س : والحلي .

٦ ط د س : أصيب فيها بالقتل والسبي خمسون ألفاً .

يكرّعن فيه بغير مهل ، فكبهن للأذقان موتاً . وكان الخطبُ في هذه
النازلة^٢ أعظمَ من أن يوصفَ أو يتقصَى .
قال أبو مروان : وبلغني أنه كانتِ المرأةُ تطلُعُ من فوقِ سورِ المدينة ،
فتنادي من يَدنو^٣ إليها من الكفرة عن جُرعةِ ماءٍ لنفسها أو لطفلها ،
فيقولُ لها : هاتي ما معك ، أَلقي إليّ ما يرضيني أسقِكِ ، فتلقي إليه ما
عندها من كسوةٍ أو حليةٍ أو مال ، وتُدلي نحوه ما حضرها من قربةٍ
أو آنيةٍ في رشاء ، فتغيثُ به نفسها أو طفلها . وعرف الطاغيةُ ذلك ،
فنهى رجاله [عنه] وقال : اصبروا وقتاً ويؤخذونَ جُملةً . وآل بجماعتهم
آخراً أن ألقوا إلى المشركين بأيديهم فارين من الظمأ مع أمانٍ ، فلما رأى
الطاغيةُ كثرتهم وانتشارهم ، هاله ذلك وخاف أن تدرِكهم حميةٌ في
استنقاذِ أنفسهم ، فأمر أصحابه ببذلِ السيفِ فيهم ليخففَ من أعدادهم ،
فقتلَ منهم يومئذٍ خلقٌ عظيمٌ تُحَدِّثُ أنهم نبتوا على ستةِ آلافِ قتيلٍ .
ثم نادى ملكهم برفعِ السيفِ عنهم ، وأمرَ جميعَهُم بالخروجِ عن المدينةِ
بالأهلِ والذريةِ فابتدروا الخروجَ عنها مزدحمين على أبوابها ، فمات منهم
في ازدحامهم [ذلك ، من الشيوخ والعجائز والأطفال] جماعة ، وجعل
كثيرٌ منهم يتدلونَ بالحبالِ من ذرى السورِ فراراً من ضغطِ الازدحامِ
على الأبواب ، وبِداراً إلى شُرْبِ الماءِ ، واستمسك في القصبَةِ من وجوه
الناسِ وجلساءِ فتيانهم نحو سبعمائةٍ رجل ، تحصنوا فيها ولاذوا من موتِ
السيفِ بموتِ الغلّةِ . ولما برز جميعُ من بقي من أهلِ المدينةِ عنها إلى فناء

١ وهلك من نساها عند اذلتهم من عطش القصبه عدد كثير لتطرحهم . . . يكرعون . . .

نهل ، فكبهم . . موتاً .

٢ ط د س : المدينة .

٣ ب م : يدني .

بأبها^١ بعد من خُفِّفَ منهم بالقتل ، وهلك في الزجمة ، ظلُّوا قياماً ذاهلين منتظرين لنزول^٢ القضاء بهم ، نوديَ فيهم بأن يرجع كلُّ ذي دارٍ منهم إلى داره ووطنه بأهله وولده ، وأزعجوا لذلك ، فنالهم من الازدحام قريباً مما نالهم في خروجهم^٣ عنها فلما استقرُّوا فيها^٤ [مع عيالهم وذرياتهم] اقتسمهم المشركون بأمر سلطانهم قسمةً قرروها بينهم ، فكلُّ من صارت في حصته دارٌ حازها ، وحاز ما فيها من أهلٍ وولديهم ومال ، يحكم^٥ كلُّ عالجٍ منهم في من [٤٩ ب] سلَّطَ عليه من أرباب الدور بحسب ما يبتليه الله^٦ به [منهم] ، يأخذ كلُّ ما أظهره عليه من نَشَب ، ويقرِّره^٧ على ما أخفاه عنه^٨ ، يعذب به أنواعاً من العذاب^٩ حتى يُبلغَ نفسه عُذْرَها منه ، وربما زهقت نفسُ المسلم دون ذلك فاستراح ، وربما أنظره^{١٠} أجله إلى أسوأ من ذلك^{١١} ، فإنَّ عداةَ الله كانوا يومئذٍ يتولَّعون بهتكِ حرَمِ أسراهم وبناتهم بحضرتهم وعلى أعينهم ، لإبلاغ^{١٢} في تعذيبِ قلوبهم^{١٣} ، يغشون الثيبَ ويفتضون البكرَ ، وزوجُ تلك وأبو هذه موثقٌ بقيدي إيساره ، ناظرٌ إلى سُخْنةِ عينه ، فعينه تدمعُ ، ونفسه تنقطعُ ، ومن لم يرضَ ذلك منهم

١ ط د س : ولما برز جميع من خرج عن المدينة بفناء بابها .

٢ د ط س : نزول .

٣ د ط س : الخروج .

٤ د ط س : بالدور .

٥ ط د س : ليحكم .

٦ د ط س : ويقرِّره عليه فيما أخفى .

٧ د ط س : يهذب أشد العذاب .

٨ ط د س : إلى أسوأ من ذلك .

٩ ط د س : أباننا في تكايتهم .

أن-يَفْعَلَهُ^١ في خادمٍ أو ماهنة^٢ أو وَخَشٍ^٣ أعطاهن^٤ خواته وغلما^٥نه^٦
يعيشون^٧ بين^٨ عبثه^٩ ، فبلغ الكفرة^{١٠} فيهم^{١١} [يومئذ] ما لا تلحقه الصفة^{١٢}
على الحقيقة .

ولما كان^{١٣} ثلاثة أيام^{١٤} من استيلاء^{١٥} الكفرة عليهم ، نهدوا لمن كان بقي
من المتحصنين بذروة^{١٦} القصبية ، وأحاطوا بهم ، فنزلوا على أمان وقد
سهمت^{١٧} وجوههم ، وتغيرت خيلتهم^{١٨} ، من عبث^{١٩} العطش ، فتجافى
الكفرة عنهم ، وخرجوا يريدون مدينة^{٢٠} منتشون^{٢١} - أقرب مدن الإسلام
إليهم^{٢٢} - ففضي أن لقوا سرية^{٢٣} من خيل^{٢٤} النصارى ، لم يشهدوا فتح^{٢٥} بربشتر^{٢٦}
ولا علموا خبر^{٢٧} هؤلاء المسرحين^{٢٨} المكرويين ، فقتلوهم جملة ، إلا^{٢٩} من نجا
به أجله منهم ، وقليل^{٣٠} ما هم ، فمضوا على هذه السبيل^{٣١} على ما حكم^{٣٢}
الله فيهم .

ولما عزم^{٣٣} ملك^{٣٤} الروم^{٣٥} على القفول^{٣٦} [يومئذ] من بربشتر إلى بلده ،
تخير^{٣٧} من بنات المسلمين الجوارى^{٣٨} الأبقار ، والثيريات^{٣٩} ذوات^{٤٠} الجمال ،
ومن صبيانهم الأيفاع^{٤١} والحزاور^{٤٢} الحسان^{٤٣} ألوفاً^{٤٤} عدة ، حملهم معه ليهديهم

١ ط د س : او ذات مهنة .

٢ الوخش : ارذل الناس وسقاطهم ، يوصف به الرجل والمرأة .

٣ ط د س : فيهم .

٤ ط د س : منهم .

٥ د ط س : مرت .

٦ ط د س : سيث .

٧ Monzon إلى الجنوب من بربشتر ، وقال ياقوت : حصن من حصون لاردة .

٨ ط د س : منهم .

٩ د ط س : حرب .

١٠ د س : يوماً بحكم .

١١ د ط س : والبارد ؛ د : والجاذر ؛ والحزاور : جمع حزور . وهو الغلام .

إلى مَنْ فوقه ، وترك ببربشتر من رابطة خيله ألفاً وخمسمائة ، ومن الرجال ألفين .

قال أبو مروان [ابن حيان] : وأختم هذه الأخبار البربشترية ، الموقظة لقلوب أولي الألباب ، بنادرة منها يُكتفى باعتبارها عما سواها ، وتمثل لذوي النهى صورة البلوى التي تتوقع شرواها ، وهي ما حكاها لي بعض مَنْ أكتابه بالثغور عن رجلٍ من تجار اليهود : أتى بربشتر البائسة بعد الحادثة [عليها] ، ملتمساً فدية بناتٍ لبعض وجوه مَنْ نجا من أهلها حصاناً في سهم قومسٍ من وجوه الرابطة فيما كان يعرفه ، قال : فهديت إلى منزله الذي كان نزله فيها ، واستأذنت عليه ، فأجده^٢ جالساً مكان ربّ الدار مستولياً على فراشه ، رافلاً في نفيس ثيابه ، والمجلسُ والسريرُ كما تخلّتهما ربّتهما يوم محنته ، لم يتغيّر شيء^٣ من رياشتهما وزينتهما ، ووصائفُ علي [٥٠ أ] رأسه رُوقة^٤ مضموماتُ الشّعور قائماتُ على رأسه ساعاتُ خدمته ؛ فرحّب بي وسألني عن قصدي ، فعرفتهُ وجهه^٥ ، وأشرتُ له إلى وفور ما أبدله في بعض اللواتي على رأسه ، وفيهنّ كانت حاجتي ، فابتسم وقال بلسانه : لسريع ما طمعت من قُرب فيما أبرزناه لك^٦ ، فأعرض عمّن هاننا ، وتعرض لمن شئت ممن صيرتُه^٦ بحصني^٦ من سبيسي وأسراي أقاربك^٧ في من شئت منهم^٧ ؛ فقلت له : أما الدخول إلى الحصن فلا رأي

١ ب م : ذوي .

٢ ط د س : فوجدته .

٣ ط د س : لم يغيّر شيئاً . ٤ د ط س : ووصائف رومة .

٥ ط د س : (ما) أسرع ما طمعت فيمن أعرضناه لك .

٦ ط د س : لخصني .

٧ ط د س : منهم .

لي فيه . وبقربكَ أُنِستُ . وفي كَنَنفِكَ اطمأنتُ ، فسمني ببعضِ مَن هاهنا فإني أصيرُ إلى رغبتك ؛ فقال : وما الذي عندك مما تشوقني^٢ إليه ؟ قلت له : العينُ الكثيرُ الطيب . والبرزُ الرفيعُ الغريب ؛ قال : كأنك تشهيني ما ليس عندي ؛ يا بختة — ينادي بعض أولئك الوصائف : يريد يا « بهجة » [فيغيره] بعجمته^٣ — قومي فاعرضي على هذا اليهوديَّ الخداعِ مما ؛ في ذلك الصندوق ؛ فقامتُ إليه . وأقبلتُ بيدِ الدنانيرِ وأجناسِ^٤ الدراهمِ وأسناطِ الحلِيِّ . فَكُشِفَ وجُعِلَ بين يدي العليجِ حتى كادت تواري شخصه ؛ ثم قال لها : ادني إلينا من تلك التخوت ، فأدنتُ منها^٥ عدةً من قطع الوشي والحزِّ والديباجِ الفاخرِ بما حار له ناظري وبهتُ . واسترذلتُ ما عندي . ثم قال [لي] : لقد كثر هذا عندي حتى ما ألدَّ به ، ثم حلف بإلهه وآبائه : لو لم يكن عندي شيء من هذا ثم بُذل لي بأجمعه في ثمن مُدُنِيتهِ إليك ما سَخَّتُ نفسي بها فيه^٦ ، فهي ابنةُ صاحبِ المنزل . وله حَسَبٌ في قومه . اصطفتُها له مع جمالها لولادتي . حسبما كان قومُها يصنعونهُ بنسائنا نحن أيامَ دولتهم . وقد رُدَّ لنا الكرةُ عليهم ، فصرنا الآن فيما قد تراه ؛ وأزيدك بأن تلك الخود الناعمة — وأشار إلى جاريةٍ أخرى قائمةٍ إلى ناحية — لمغنيةُ السخينِ العين^٨ والدها التي كانت تشدو

١ ط د س : وما عندك .

٢ ب م : تشوق .

٣ ب م : بعجمته .

٤ ط د س : عليه الخداع ما .

٥ د والنفخ : وأكياس .

٦ ط د س : منه .

٧ ط د س والنفخ : في ثمن تلك ما سخت بها يدي .

٨ ط س : لمغنية الغبي ؛ د : لمغنية اللعين .

له على نشواته ، إلى أن أيقظناه من نوماته^١ ؛ يا فلانة — يناديها بلكنته —
 خذي عودك فغني زائرنا بشجوك ؛ قال : فأخذت العودَ وقعدت تسويبه ،
 وإني لأأمل دمعها يقطرُ على خدها ، فتسارقُ العليجَ مسحهُ ، واندفعتُ
 تغني بشعري ما فهمتهُ أنا ، فضلاً عن العليج ، فصار من الغريب أن حثَّ
 شيربهُ هو عليه ، وأظهرَ الطربَ منه . فلما قطعتُ ويشتُ مما عنده ،
 قمتُ منطلقاً عنه ، وارتدتُ لتجارتي سواه ، فاطلعتُ من كثرة ما لدى
 القوم من السبي والمغنم [على] ما طال عجيبي منه . فهذا فيه مقنعٌ لمن
 تدبره ، وتذكرةٌ لمن تذكره .

قال أبو مروان [ابن حيان] : وقد أفضينا^٢ في شرح هذه الفادحة مصائبَ
 جليلاً مؤذنةً برشكِ القلعة ، طالما حذرَ عليها^٣ أسلافنا لحاقها بما احتملوه عن
 [٥٠ ب] قبلهم من أثاره ، ولأشدُّ مما أفضينا عند أولي الألباب ما أخفيناه
 مما دهانا من داءِ التقاطعِ وقد أخذنا^٤ بالتواصلِ والألفة ، وأصبحنا
 من استشعارِ ذلك والتمادي عليه على شفا جرفٍ يؤدي إلى الملكمة لا محالة ،
 إذ قدرَ الله زمانها ، هذا بالإضافة إلى ما عهدناه في القرن الذي سلخناه من
 آخرِ أمدِ الجماعة على إدراك من^٥ لحقَ الذي قبله ، فمثلُ دهرنا هذا فرسٌ
 بهيمٌ الشية ما إن يباهي بقُرحةٍ فضلاً عن شدوخِ غرّة ، قد غرّبِلَ
 أهليه أشدَّ غريلة فسفسفَ أخلاقهم ، واجتثَّ أعراقهم ، وسفّه أحلامهم ،

١ ب م : نومته .

٢ د ط س والنفح : اشفينا .

٣ ط د س : عنها .

٤ النفح : امرنا .

٥ ط د س : زماننا .

٦ ط د س : ما .

وخبث ضمائرهم ، فاحتوى عليهم الجهل ، واقتطعهم الزيف ، وأركستهم
الذنوب ، ووصمتهم العيوب ، فليسوا في سبيل الرشد بأتقياء ، ولا على
معاني الغي بأقوياء ، شاء من الناس هامل ، يعاملون نفوسهم بالباطل ، من أدل
الدلائل على فرط جهلهم بشانهم ، اغترارهم بزمانهم ، وبعادهم عن
طاعة خالقهم ، ورفضهم وصية رسوله نبيهم عليه السلام ، وذوولهم عن
النظر في عاقبة أمرهم ، وغفلتهم عن سد ثغورهم ، حتى لظل^٢ عدوهم الساعي
لإطفاء نورهم يتبجح عراض^٣ ديارهم ، ويستقرى^٤ بسائط بقاعهم ،
يقطع كل يوم طرفاً منهم ويبيد أمة^٥ ، ومن لدينا وحوالينا من أهل كلمتنا
صوت عن ذكرهم ، لهأة عن بثهم ، ما إن يُسمع عندنا في مسجد
من مساجدنا ومتحفل من محافلنا مذكّر بهم أو داع لهم ، فضلاً عن نافر
إليهم أو مواس لهم ، حتى كأن ليسوا منّا ، أو كأن فتقهم ليس بمفض
إلينا ، قد بخلنا عليهم بالدعاء ، بخلنا بالغناء ، عجائب مغرّبة فاتت
التقدير ، وعرضت للتغيير ، فله عاقبة الأمور ، وإليه المصير .

قال أبو مروان [ابن حيان]: فلما كان عقب جمادى الأولى من سنة سبع
وخمسين [بعدها] شاع الخبر بقرطبة بارتجاع المسلمين لبربشره ، وذلك أن أحمد
ابن هود الملقب بالمقتدر ، المفرط فيها ، والمتهم على أهلها لانحرافهم إلى أخيه ،
صمد لها مع مدد عباد حليفه^٦ ، وسعى لإصمات سوء القالة عنه ، وقد كتب

١ ط د س : أنفسهم .

٢ ط س : أظل .

٣ ب م : عراض .

٤ ط د والنفع : أو ماش .

٥ ط د س : يرجوع المسلمين بحمد الله إليها .

٦ ط د س والنفع : امداد لحليفه عباد (ط : الحليفة) .

الله عليه منها ما لا يحويه إلاّ عفوّه ، فتأهّب لقصده بربشتر ، فسار نحوها ؛ ورجالُ ابن عبّاد نحو من خمسمائة فارس ، مقدّمتهُ من شِدادِ البرابرة وغيرهم من أبطال الأندلس ، فنزل عليها بجمعِهِ ، فجالدوا المسلمين ببابِ المدينة جِلاداً^١ ارتاب منه كلُّ جبان ، وأغرى الله أهلَ [٥١ أ] الحفيظة والشجعان ، وحمي الوطيسُ بينهم إلى أن نصر الله أولياءه^٢ ، وزلزل أعداءه^٣ ، وولّوا الأدبارَ ممتحمين أبوابَ المدينة ، فاقتحم^٤ المسلمون عليهم وملكوهم أجمعين ، إلاّ من فرّ من مكانِ الوقعة ولم يأتِ^٥ المدينة ، فأجبل [السيف] في الكافرين ، واستؤصلوا أجمعين ، إلاّ من استرقّ من أصاغرهم ، وابتغوا الفداء^٦ من أعاظمهم ، وسبوا جميعاً من كان فيها من عيالهم وأبنائهم ، وتملكوا المدينةَ بقدره الخالق الباري ، وأصيبَ على منحة النصر المتاح طائفةٌ من حُماة المسلمين ، الجادّين في نصرِ الدين ، نحو الخمسين ، كتب الله شهادتهم ؛ وقتل فيها من أعداء الله الكافرين نحو ألفِ فارسٍ وخمسمائة^٧ راجل ، فاستولى المسلمون بحمد الله عليها ، وغساوها من رجسِ الشُّركِ ، وجلّوها من صدى الإفك ، ثبتّ الله فيها قدّمَ الإسلام^٨ ، وجبر صدعَ من تولّى من إخوانهم ، بمنّه^٩ .

١ ط د س والنفح : فتأهّب لقصده بربشتر في جودع من المسلمين فجالدوا الكفار بها جلاداً...

٢ ط د س والنفح : وخذل .

٣ ط د س : فاقتحمها .

٤ ط د س والنفح : يدخل .

٥ ط د س : الفدية .

٦ ط د س : وخمسة آلاف .

٧ ط د س : قدمهم .

٨ ط د س : برحمته .

ومن رسائله الإخوانيات

فصل له من رقعة في استفتاح خلطة: قد يتراسلُ الناسُ وإن لم تتقدم
مباشرةً ، ولا سلفت مخالطة ، لأسباب تصلُ أهواءهم ، وأحوالٍ تجمع
آراءهم ، فتألفُ قلوبُهُم ، وتعود ذاتُ بيئتهم كأن لم تزل ملتزمةً ، وتلوحُ
قواعدُ مؤاخاتهم كأن لم تبحر مستقرةً مستحكمةً ، وقد دعاني إلى الأخذِ
بخطِّ من إخوانك ، والاكتتاب في ديوان أودائك وأصفيائك ، سببان :
أحدهما ما أراجُ إليَّ من طيب أخبارك ، وجليَّ عليَّ من محاسن آثارك ، وقد رَ
لديَّ من فضائلك التي تتنادُ اليك النفوس بأزمةٍ ودادها ، وتقفُ عليكِ
خالصاً اعتقادها ، فالفضائلُ حيث كانت مرغوبةً محبوبةً ، والهضمُ
نحوها جائحةً طامحةً ، والأهواءُ بها كلفةٌ ، ولها مكثفةٌ ، والسببُ الآخرُ :
مكانك من سيدنا الملك [الأعظم] — أدام الله رفعتَهُ ، وثبتَ وطأته ،
ومتكَّنَ سلطانهُ ودولته — وحظُّك الرفيعُ من أثرتهِ ، وحالك المشكورةُ
في خدمتهِ . فإنَّ كلَّ من اتصلَ به واعتصمَ بسببه ، وفاءً عليه ظلُّه
الظليلُ ، وأحاط به فضلُهُ الجزيلُ ، فقد جمعي وإياه ذمامٌ كبيرٌ وسببٌ
موصول . إذ أنا متمسكٌ من حبله بأوثقِ عُروةٍ ، ومستضيءٌ من نورهِ
بأنورِ جذوة .

وله [فصل] من أخرى [في مثله] : قديماً تواصل الناسُ على البعد ،
وتهادوا ثمرَ الإخلاصِ والودِّ . وإن لم يتقدم سببٌ موجبٌ للتواصل ، ولم

١ ط س : أراج .

٢ د ط س : محبوبة .

يرد رائد مقتضى للتراسل ، وما أقول^١ إن مخالطة^٢ تمكنت [٥١ ب]
لا سبب لها ، ولا بواسطة^٣ تمهدت لا باعث عليها ، فإن توق النفس
إلى استصفاء الفضلاء ، واقتناء مودات الأوفياء^٤ ، أقوى أسباب
الارتباط ، وأدعى أبواب الاختلاط ، ومحال أن تنجذب^٥ نفس ، إلى
من ليس لها به أنس ، أو يكلف ضمير^٦ ، بمن ليس له منه حظ موفور ،
وقد تخلت مخاطبتي لك من الأسباب إلا^٧ من سبب المحبة فيك ، والمعرفة
بجميل^٨ مذاهبك ومساعدك ، والرغبة في اقتناء خلقتك ، وادخار
صداقتك ، لما شهير من أحوالك الجميلة ، وظهر من خيالك النبيلة ،
ومن كان على ما أنت عليه ، فمرغوب^٩ فيه منجذب^{١٠} إليه ، مطلوب^{١١} إخاؤه ،
مخطوب^{١٢} صفاؤه ، محبوب^{١٣} على البعاد ، مفدى^{١٤} حتى من الأضداد .

وفي فصل من أخرى [في مثله] : إن كانت المعرفة لم تحقق^{١٥} ، فكم
أثر^{١٦} أهدي من عين ، وكم خبر^{١٧} أغنى عن خبر ، ولئن كانت الألفة لم تسبق^{١٨} ،
فرب طارف حديث^{١٩} أكرم من تالد موروث ، ورب مستفاد^{٢٠} مكتسب ،
أغبط من عتاد^{٢١} معتقب ؛ ووردني لك كتاب^{٢٢} [كريم] نطق^{٢٣} بلسان تفضلك^{٢٤}
فأصغى هوى النفس إليه ، واستصفى مودات القلوب لديه ، وقضى
أنك عين الأعيان ، وفاضل^{٢٥} الزمان ، والخاص^{٢٦} بنوع الإنسان .

١ ط د س : مخاطبة .

٢ د ط س : الاولياء .

٣ ب م : تتحدث .

٤ د ط س : وما مخاطبتي لك الا .

٥ د ط س : بجمع .

٦ ط د س : فهو مرغوب .

٧ ب م : تستيق .

وفي فصل من أخرى : منابتُ الفضلِ باسقةُ الفروع ، حميدةُ الجميع ، طيبةُ الجنى ، جميلةُ المخبرِ والمرأى ، لا تُطْلَعُ إلاَّ ما يُبْهَجُ ، ولا تُلْقَحُ إلاَّ ما يَنْتِجُ^٢ ، ولا تورقُ إلاَّ بما يَرْفُ ، ولا تثمرُ إلاَّ ما يَشْفُ ، وأنت في أطيبها معدِنًا ، وأكرمها موطنًا ، ومن أزكاها منبتًا ، وأسراها مغرِسًا ، ولا يَسْرُدُ منك إلاَّ ما يعقبُ نسيمه^٣ ، ويلدُّ شميمه ، ويروقُ منظره^٤ ، ويفوقُ مخبره ، وما زلتُ أعرفُ لكَ الحقَّ^٥ الوكيد ، والسبِقَ البعيد ، والسعيَ السديد ، فأقولُ إنك غُرَّةٌ في وجهِ الدهرِ البهيم ، ومعدرة من إساءة هذا الزمنِ^٥ المليم ، فما أخطأتُ عنك الفراسة ، ولا اختلفتُ فيكِ الرياسة ، بل أوفيتُ على المقدارِ المظنون ، وأتيتُ من وراءِ المتيقنِ المضمون .

وله من أخرى^٦ : ورد كتابك الكريم يُعربُ عن ودِّ لا تكذبُ فيك صفاته^٧ ، وعهد لا تُفْرَعُ صفاته ، وقد كنتُ أتأملُ فيك^٧ شواهدَ التحقيق ، وأعلمُ أنك الواقعُ عليه معنى الصديق ، على أنه في هذا الزمنِ كالعدَمِ ، إلاَّ في الكتُبِ والكَلِمِ .

وفي فصل من أخرى^٨ : ان عوائدَ المتكاتبين على أيِّ حالٍ كانوا من اتفاقِ المعاهد ، واختلافِ المقاصد ، قد جرت على سننٍ من ذكر [٥٢ أ]

١ ط س : المجنى ؛ د : المحيا .

٢ ط د س : تنتج .

٣ ط س : الخير ، وسقط النص من د ابتداء من قوله « وأسراها مغرِسًا » حتى آخر الرسالة .

٤ ط د س : الزمن .

٥ ط س د : الدهر .

٦ سقطت هذه الرسالة من د ايضاً وثبتت في سائر النسخ .

٧ ط د س : منك .

٨ هذه الرسالة والتي تليها سقطتا من د .

الودّ وانتحاله ، وَحُسْنِ العَهْدِ وجماله ، تمترية كلُّ فرقة^١ ، وتنعاطاه كلُّ طائفة ، حتى قد كاد يقع الالتباس بين المحقّ والمبطل ، وتختلجُ الظنونُ والظنن في عيانِ المتأمل ، بكثرة^٢ الدعاوى في الناسِ والنفاق ، وعدمِ التصافي في الأغلبِ والوفاق ، فالكلامُ منهلٌ مورود ، وحبلٌ ممدود ، وبابٌ غير مسدود ، فما عسى الموالي المحقّ أن يكتبَ به ، مُعرباً عن صحّةِ ضميره ومذهبه ، ولعلّ الظنين المسترابَ به قد سبق من القول في هذا الباب إلى كلِّ ثنيّة^٣ ، وأتى من الإسهاب والإغراب^٤ بكلِّ قضية سنية^٥ ، قبل إعمالِ الرويّة ، فهي ألفاظٌ مشتركةٌ غيرُ مُتميّزة ، وكلماتٌ مختلطةٌ غير متحيّزة^٥ .

وفي فصل من أخرى [له] : وكنتُ أضربُ صفحاً عن ذكرِ حالي معكَ وارتباطها ، وانجذاب نفسي إليكَ وانبساطها ، وامتزاجِ ذاتي بك واختلاطها ، إلاّ أنّي قلتُ : لا بدّ للنفوسِ من أن تُظهرَ أفعالها ، وللحقائقِ ان تعطيَ أحوالها ، فإن وراءَ كلِّ دعوى ، ستاراً^٦ من النجوى ، يُعلّمُ به هل تغلغلتُ في الضميرِ ذاهبةً ، أو أخذتُ في بعضِ الجوانبِ وازبة^٧ ؛ وعلمتُ أنه لا بدّ من شواهدِ اللسان ، مع معاهدِ الجنان ، واللهُ المطلّعُ على الضمائرِ لم يقبلَ عقْدَ الإيمان ، حتى يصحبهُ عقْدُ اللسان ، ولهذا السببِ لا بدّ

١ ط س : تخبر به كل طبقة .

٢ ط س : لكثرة .

٣ ط س : والاعراب .

٤ ب : نسية ؛ ط : يشبه ؛ س : بشبيهه .

٥ ط س : سراراً ؛ ب : سياراً .

٦ وازبة : ذاهبة ؛ وفي النسخ : وأرية .

للمرم أن يقول ، وللسان أن يجول ، إلا أنه يكتفى بالقليل من الكثير ،
ويُحالُ على خواطرِ الضمير .

وله من أخرى^١ : إن أخذتُ في ذكرِ فضائلك ، أوعطرتُ كلامي
بطيبِ شمائلك ، فلسانُ الأيامِ بها أفصحُ ، ولها أشرحُ ، وإن عدتُ إلى
وصفِ ما أعتقدهُ فيك وأضمرة ، وأطويه من ودادي لك وأنشرهُ ،
فشاهدُ ضميرك به أنطقُ ، وعنه أصدقُ ، فليس إلا الاتفاق والاصطلاح ،
على ما تتناجى به النفوسُ والأرواح .

وفي فصل من أخرى : وردني لك كتابُ أراني كيف يكونُ الكلامُ
درّاً ، والبيانُ سحراً ، وبطونُ المهارقِ حدائقَ ، وما بين مدبِّ الأقلامِ
بوارقُ ، فله يدٌ نممتُ وشيهُ ، ونظمتُ حليه ، وقرينةُ أطلعتُ أزاهيرهُ ،
ما أطولَ باعها ! وأكثرَ في فنونِ الأدبِ اتساعها ! والله زمانُ أصحابِ
بعد الامتناع ، ووصلَ بعد الانقطاع ، ورفعَ أعلامَ السعادةِ ، وبلغَ
أقصى الآمالِ والارادة ، بورودِ الكتابِ الأثيرِ من شاطبة ، وقد تبوأ
منها بسطة ذراه ، وذكرتُ أنه وصل إليها على تناهٍ من البهجة ، فاتتِ
الظنونَ ، وراقتِ العيونَ ، وتجاوزتُ حدَّ [٥٢ ب] الجمال ، واستوفتُ
غايةَ الكمال ، بالمنظرِ المعجب ، والمرأى المستغرب ، الذي لم تُفتقِ
الأسماعُ بمثله ، ولا نهضتِ الأفكارُ بشكله ، والحالُ مغنيةٌ بداتها ، عن
صفاتها ، فقد رفعها الله عن أن تحيطَ بها الأوصافُ ، ومحلُّها أجلُّ عن أن
تصفها الوصافُ ؛ فإنها نادرةُ الأيامِ ، وفائدةُ الزمانِ ، يسيرُ بها الركبُ ،
وتُحلتى بها الكتبُ ، وتدونُ في صحائفِ الفخر ، وتُعمَرُ على مرِّ الدهرِ ،
ويبلى العصرُ ، وهي جديدةُ الذكر .

١ سقطت هذه الرسالة واثنان بعدها من د ط س .

وله من أخرى : وحين انتظم أمل^١ ، وتناهى جدل^٢ ، لما اشرفت عليه من صدر الكتاب الكريم ، أوففتني منه على حفزة عتب^٣ ، وخرزت^٤ وخرز الأشافي ، ولدغت لدغ الأفاعي ، فأمرت الحلو ، وكدرت الصفو ، وخرزت النفس ، وشردت الأُنس ، فناهيك بكسلي بعد نشاطي ، وانقباضي غيب^٥ أنبساطي ، وهذه عادة الأيام يجيء كدرها جملاً ، وصفوها لمتعاً ، والله المستعان على ما يبيئني منك وأنا ذاهل ، ويطرقني وأنا غافل .

وفي فصل له^٦ : وربما تهيأت الصداقة^٧ ، وتمكنت العلاقة^٨ ، على تنائي الديار ، وبعده الأقطار ، بالأخبار السائرة ، والأنباء المتواترة ، ببارع مناقبهم ، وباهر مذاهبهم ، وجيل فضائلهم ، وسامي منازلهم ، فتعارف القلوب ، ويجمعهم عقد الوداد ، وإن تناءوا في البلاد ، وينظمهم سلك الصفاء ، وإن لم يكن سبيل^٩ إلى اللقاء ، فإذا خطب بعضهم وصل بعض ألفاه موطأ الكنف ، مهياً اللطف ، سهلاً مرآته^{١٠} ، سلساً زمامه . وقد خص الله الوزير الأجل بضروب من المفاخر ، وصنوف من المآثر ، تتأملها عين النظار^{١١} ، وتتحمّلها ألسن الأخبار ، ويخطها سواد الليل على^{١٢} بياض النهار ، ويحدو بها حادي الرفاق ، على أقاصي البلاد والآفاق ، ويسري بها سراً الركبان^{١٣} ، إلى نائي البلدان ، حتى لقد

١ ب م : حفرة عمت ؛ والحفزة : الطعنة .

٢ م : بعد ، وفوقها « غيب » خ .

٣ سقطت من د وحدها ؛ ط س : ومن أخرى .

٤ ط س : وجميل .

٥ ب م : الناظر .

٦ ط س : ويخطها عن ؛ م : ويخطبها .

٧ ب م : تنائي .

أسمعوها كلَّ أذنٍ صمّاءَ ، وأرّوها كلَّ عينٍ عمياءَ ، وعمرّوا بها
كلَّ قطرٍ وإن شطَّ وبعُدَ ، وأنطقوا بها كلَّ لسانٍ وإن عيَّ وجمدَ ،
فألويةُ الحمدِ عليه خافقة ، وألسنةُ المعجِدِ بفضله ناطقة ، وكلُّ أفقٍ
بكواكبهِ منير ، وكلُّ قلبٍ بصفاءِ مودّته معمور ، والله يُبقيه للمكارمِ
نظاماً ، وللأفاضلِ إماماً ، ولمحاسنِ الدنيا تماماً .

وفي فصل من رقعة وجدتها له منسوبة ، وفي ديوان رسائله [٥٣ أ]
مكتوبةً ، وهي فيما أراه لسواه^٣ : أما البلاغةُ فأنْت ابنِ بجدتها ، وأمّا
الفصاحةُ فأنْت لا بَسُ جلدتها ، والبراعةُ فأنْت مقيمٌ بردتها ، ولا غرورُ ،
فمن زاحم في العلمِ بالمنكبِ الأشدَّ ، ونخطا في عرصةِ الأدبِ بالباعِ
الأمَدَّ ، واستولى في مضمارِ الركابِ على الأمَدِ ، أتى من الإبداعِ بالعجبِ
العجيبِ [واجتني قِطْفَ الاختراعِ من المكانِ القريبِ] ، وتقنَّصَ شاردَهُ
بالسهمِ المصيبِ . وما زلتُ أفضُّ كتبك عن بدائعِ دونها السَّحرُ ، ولآلئِ
يُزهي بها النحرُ ، وغرائبِ يعذبُ بها لو مازجته البحرُ ، فأعترفُ بالتقصيرِ ؛
ومَن ركبَ في الكتابةِ عصا قصير ، أنسى له بمطاولته مَن ركبَ عصا
فقير^٥ ؟ وما كفاك - أبقاك الله - حينَ قابلتني بما لو قوبلَ به النجومُ
لأنحطَّتْ إليه من سمائها ، أو الغيومُ لترقرقتْ عليه من أرجائها ، أو
السَّمومُ لسمحت بنسيمها وأندائها ، وذلك ما أبديته ، مما أديته ، بل

١ ب م : غبي .

٢ ط س : وللفضائل .

٣ هذه الرسالة والتي تليها سقطتا من د وحدها .

٤ ب ط س : متمم .

٥ ط س : زفير .

أهديته^١ ، من تلك الرسالة المستبينة الإعجاز ، المنتظمة الهوادي بالأعجاز^١ ،
الآخذة بحاشيتي المجاز ، التي ربُّ قلائدِها ، وأبو فرائدها ، ووليُّ خرائدها ،
واحدُ أقرانه جلاله ، وقريعُ دهره جزالةً ، ونسيجُ وحده أصالةً ، الكاتبُ
الماهر ، وبَدْرُ الصناعةِ الباهر ، أبو فلان [أبقاه الله] ، فإنك جلوتَ [عليّ]
من أبقاره كرائم ، [وسُئمتَ إليّ من نتائجِ أفكاره تئاتم] ، وفتقتَ عن
زاهرِ افتقاره كرائمٍ [، وعرضتَ عليّ من توليدِ تفكيره^٢ ، وبديع
منشوره ، وأنيقِ تحبيره ، ما هو أحلى من لذّةِ الكرى^٣ ، وأشهى من
دركِ الغنى ، وأعبقُ من نفحاتِ الأنوار ، غبَّ القطارِ ، عند تبليجِ
الأسحار .

وفي فصل من أخرى : ولما تعيّن عليّ^٤ وظيفُ المراجعة ، بعد طول
الممانعة ، وشدة المدافعة ، نثرتُ [له] كنانَ اعترامي^٤ ، وشحذتُ أسنّةَ
أقلامي ، وامتريتُ دِرّةَ كلامي ، فبعد لأيٍ ما انقادتُ صعابه^٥ ، وذُللتُ
ركابه^٥ ، وفتحتُ^٥ شعابه ، وكتابي [أعزك الله] طوراً يبسطُ يدي وطوراً
يقبضها ، وتارة يُرسلها وأخرى^٦ يعترضها ، ومرة يُقعدها وأخرى
يُسهنُها ، حياءً من مقابلة بحرك بنطفي ، ومحاسنِ ضيائك^٧ بسُدّتي ،
ومناطقه طبعك بكُلّتي^٨ ، فأما الودُّ ، فمنتظِمُ العقدِ ، وأما العهدُ ،

١ ب م : بالهوادي الاعجاز .

٢ ب م : فكره .

٣ ط س : المنى .

٤ ب : اعزامي .

٥ ط س : وفتحت .

٦ ط س : وتارة .

٧ ط س : وضياء محاسنك .

٨ ط س : بتكلفتني .

فمستحکمُ الشدِّ ، وأما الجِدُّ ، فكرياضُ الورد .

وله من أخرى : وإذا كانت الأعلاقُ [النفيسةُ] الثمينةُ ، والجواهرُ
الرفيعةُ المصنونةُ ، يُرغَبُ في اقتنائها ، وَيُستَنَافَسُ في ادِّخارها واصطفائها ،
وهي أحجارُ جوامد ، ومتملِّكاتُ صوامت ، فأخْلِقُ بأعلاقِ الشرفِ
المجيدِ ، وجواهرِ السُّودِ التليدِ ، أن تمتدَّ إليها الأيدي والأعناق ، وتستهديها
الأقطارُ والآفاق ، وتخالسَ إليها الأيامُ والليالي [٥٣ ب] ولا يَعْتَمِدُ
منها إلاَّ الرفيعُ العالي ؛ وَعَلِقُ صفائك - أعزك الله - أرفعُ الأعلاقِ ،
كما أن عِرْقَ سنائك أكرمُ الأعراقِ ، فقد انجذبتُ إليك انجذابَ الراغبِ
فيك ، والحريصِ عليك ، واستشعرتُ لك ودًّا قدَّمتهُ ، وعهداً أحكمته ،
وصفاءً أخلصته ، وإخاءً أمحضته ، علماً أني أغرسُهُ من تربك في ثرى
ثري ، وأطاعُهُ من جوهرك في أفقِ صاحِبِ مُضَيِّبٍ ، وإن كانت المواصلَةُ
قبلُ لم يمتدَّ لها سَبَبٌ ، ولا انعقدَ لها مَادُّهَبٌ ، والمداخلةُ لم يَفْتَحْ لها
بابٌ ، ولا نازعَ إليها انجذابٌ ، فقد تعاقبتُ عليك الأيامُ من نوائبها
ومواهبها ، ومساء آتيا ومسراتها ، ما وَجَّهتُ مشاركتك فيه ، وقد قدَّمتِ
الرزِيَّةُ ، فارتفعتِ التعزية ، وأعقبتِ العطيَّةُ ، فلزمتِ التهنئةُ ، وأنا أسألُ
الله أن يهنئك كلَّ سرور ، ويجري بمحابتك المقدور .

وله من أخرى : لتمثلُ^٢ - أعزك الله - منصفاً مقامي ، وتتمخيلُ^١
مسعفاً خجلي واحتشامي ، من لدن افتتحتُ كتابك [إلى] أن اختتمته ،
وابتدأته إلى أن أتممتُهُ^٣ ، وقد رأيتُ في مبادئه وانتهائه^٤ ، واقتضبتُ^٤

١ ط س : صباح .

٢ ب : لتمثل .

٣ ب : وانتهائه .

٤ د ط س : وامتنعت .

من فصوله وغاياته ، ما غمّرَ وبهر ، ورقّ وراق ، وشقّ وشاق ، من
تواضعٍ شريف ، وتدانٍ رفيعٍ منيف ، ووسمي بسمائه ، ووصفي
بصفاته ، وحلاّتي بجلاه ، وأفحمي في علاه ، وأثبت في ديوانِ الكتابةِ
اسمي ، وإن كانت الحقيقةُ لم تثبتْ فيه رسمي ، ومن لي بالعصا في ميدانها ،
ولست من فرسانها^١ ، وكيف لي بتلك الصناعة ، وأنا مُزجى البضاعة ؟ !
كلا ، فقد سبق ارتجاجي رهوك ، وشأى اجتهادي عفوك ، أيام كنت
رخيّ البال ، ناظراً إلى الدهر بعين استصغار ، وان كنت أنت تخترع
فأتبع ، وتُهب فأجيب ، فالآن إذ أحمَدَتِ الخطوبُ نارَ رويّتي ، وارتشفتِ
النوائبُ ماءَ بداهي^٢ ، فما غادرت فيه شفاقةً ولا علالةً ، ولا أسارتُ
فيه صبايةً ولا بلالةً ، أرتجي أن أطيلَ فلا أميلَ ، وأختصرَ فلا أقيلَ ؟ !
هيهات ! يابى ذلك جفنُ "أرق" ، وقلبُ محترق ، وفكرُ نابٍ ، وذكر
كابٍ ؛ ولو كنتُ ممن يُبديء ويعيد ، ويُحسِنُ ويحيد ، لما اغترفتُ
إلاّ من بحرك ، ولا نفثتُ إلاّ من سحرك ، ولا أغرتُ إلاّ على نظمك
ونثرك ، فأنت قدوتي ، وبك أسوتي ، وإليك منتهى روايتي ، ومنك
معظمُ درايتي .

ومن أخرى : إن استدلتُ - أعزّك الله - أو أدلتُ أو انبسطت ،
فإخلاقاً إلى جنبِ المقة ، واعتماداً على ركنِ الوفاءِ والثقة ، وانقياداً لما
تقدّم من الدمام السالف ، وتأكدت من تالدِ الإخاءِ [٤٥ أ] والطارف^٣ ،
والله يُبقيك عيناً للزمان ، وعنواناً في صحيفةِ الإخوان .

١ ب م : خيل فرسانها .

٢ ط س : بديهي .

٣ ط س : ذلك الإخاء الطارف .

ومن أخرى خاطب بها أبا القاسم بن خيرون^١ : وقفتُ على ما حدّثتهُ
من مقابلة السّفيرين المشتملين على فنونِ الآداب ، وصناعةِ الكتاب ،
وطرقِ الخطاب^٢ ، الجامعةِ لفصاحةِ الأعراب ، وللبابِ اللباب ، وبادرتُ
إلى ذلك بدارٍ من علمٍ أنها نعمةٌ سابغةٌ مُنحتها ، ووصلةٌ وُصِلتُها ، لما
في تأملها من الإشرافِ على طُرُقِ البلاغةِ والكتابةِ ، وصناعةِ الترسيلِ
والخطابةِ ، مع ما يلزمُني من حقّك أفضيه ، وواجبك أتصرّفُ فيه وأوفيه ،
إذ أنت صنوّ أبي مولاي - مدّ الله عليّ ظلكما ، وكبت^٣ الباغي عليكما ،
والحاسدَ لكما - فكم يقرعُ سمعي من قولِ الحاسدين من^٤ خصّ أبي
مولاي بمعادةِ أهلِ الجهل ، وحباه بموالاةِ أهلِ الفضل ، ولا غرو فغيرُ
غريبٍ ذلك من فعلهم بالعلماءِ ، ولا يبديع من صنيعِ الدهماءِ ، وقد قال
الأول :

بيني وبينَ لئامِ النَّاسِ مَعْتَبَةٌ لا تنقضي وكرامُ النَّاسِ خلاّني^٥
إذا لقيت لئيمَ الأصلِ أبغضني وإن لقيتُ كريمَ الأصلِ حيّاني
. وقال آخر^٦ :

لقد زادني حباً لنفسيّ أنّي بغيضٌ إلى كلِّ امرئٍ غيرِ طائلِ
وأنّي شقيٌّ باللئامِ ولن تَرى شقيّاً بهم إلا كريمَ الشماثلِ

١ ب م : جبرون ؛ وقد ترجم ابن سويد لأبي القاسم بن خيرون (المغرب ٢ : ٤١٩)
ونسبه إلى حصن ببران من أعمال دانية ، وذكر أنه سكن دانية وكان من شعراء أقبال الدولة .

٢ ط د س : الخطابة .

٣ ط س د : وبكت .

٤ د : مذ .

٥ البيهتان في الصداقة والصديق : ٣٠ دون نسبة .

٦ هو الطرماع بن حكيم ، انظر ديوانه : ٣٤٦ ، ٣٤٧ .

وفي فصل منها : ومن العجائب العجيبة ، والنوادر الغريبة ، تحكك^١ من ليس من شأنه ، ولا يجري في ميدانه ، إلى مطالبته ، ونصبه لمحاربتنا ، بالإبراق والإرعاد، والتهديد^٢ والايعاد ، لا جرم أن^٣ يده أقصر ، وخطبه أيسر ، وهو أصغر وأحقر ، فما ريع بذلك الوعيد ، ولا رفع رأسه لذلك التهديد^٤ ، ولا أصبح سريره خائفاً ، ولا أمسى طائره واقعاً ، ولا طرفه خاشعاً ، ولا اضطرب به مستقر ، ولا قال أين المفر ، بل عدت ذلك من دلائل سموه الواضحة ، ومخايل علوه اللائحة ، وتضاحك منه لاهياً ، وأنشد :

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً أبشر بطول سلامة يا مربع^٥

ومن أطرف ما جاءت به الأيام ، وتحدثت به الأنام ، مناواة جاهل^٦ خسيس ، لإمام عادل رئيس ، لقد استنتت الفصال حتى القرعى^٧ ، ولا تعجبن لجاهل علا ، إن البغاث بأرضنا يستنسر^٨ ، وما لئيس جبان ، والجري مع العلماء في ميدان ؟ ! أوهمته نفسه إذ لُقّب [٥ ه ب] بالفقيه ، وذلك أقصى أمانيه ، وهو من العلم ، أبعده من النجم ، ومن الجهل الشديد ، أقرب من جبل الوريد ، وكيف يجاري العلماء ، ويسامي الكبراء ، ويزاحم أهل العلم بالفروع والأصول ، والعلّة والمعلول ؟ وماذا

١ ط س د : إلى محاربتنا .

٢ ط د س : والتمزير .

٣ د ط س : النشيد .

٤ البيت لجرير ، ديوانه : ٩١٦ .

٥ ط د س : موالاة .

٦ انظر امثال العسكري ١ : ٧١ وفصل المقال : ٤٠٢ وجمهرة ابن دريد ٢ : ٣/٣٨٤ : ٨٢ .

٧ انظر امثال الميداني ١ : ٧ وفصل المقال : ١٢٩ والعسكري ١ : ١٤١ ، ١٦٣ .

عليه من العلم [المدار] ، بوثائق ابن العطار ، وبعقد وثيقة وهو لا يعرف
معانيها وفصولها ، [ويطول وهو لا يميز حشوها وفضولها] ، إلى الله الشكوى
في دور العلم وتآلب الجهلاء والغوغاء ، وتألفهم على من بان فضله عليهم ،
حتى صاروا على الشر أعواناً ، وإن لم يكونوا قبل إخواناً ، خوفاً على جهلهم
أن يظهر ، وينتشر من غباوتهم ما استتر :

حسدوا الفتي إذ لم ينالوا سعيه^١ فالناس أعداء له وخصوم^٢
« وذو الجهل في الدنيا بندي الفضل مولع »

إن المقدم في حلق بصنمته^٣ أتى توجه منها فهو محسود^٤
وليت لو كانوا^٥ من الأكفام والأنداد ، وموضعا لوداد ، ومكانا للاقتصاد :

ولو أني بليت^٦ بهـ شامي خؤلته بنو عبد المدان^٧
صبرت على عداوته ولكن^٨ تعالوا فانظروا بمن ابتلاني

اخرج يا دجال . فقد غلب المحال :

قوم^٩ إذا ما جنى جانبيهم^{١٠} أمنوا للؤم أحسابهم^{١١} أن يقتلوا قودا^{١٢}

وفي فصل منها : وإني ليلبغني ما يأتي به من هذيانه في المشور والموزون ،
وتخطيه إلى العريض المصون . والنيل من ذوي الفضل والدين ، فأهم^{١٣}

١ البيت لأبي الأسود الدؤلي ، ديوانه : ٥٤ وانظر شرح شواهد النبي : ١٩٤ ونظام الغريب :

٧١ ونصل المقال : ٤٥ .

٢ ط د س : كان .

٣ ورد البيهقي في ديوان المماني ١ : ١٧٨ دون نسبة .

٤ ورد البيت في التمثيل والمحاضرة : ٤٥٦ دون نسبة ، وروايته كما في د ط س : من لؤم .

٥ ط د س : ما أهم .

بمعارضته ، ثم أمسكُ عنه لتفاهته ودنائه ، وأذكرُ قولَ القائل :
نجا بكَ لؤمكَ منجى الذبابِ حمتهُ مقاذيرُهُ أنْ ينالاً^١
[وقوله] :

* وَمَنْ يَعْضُ الْكَلْبَ إِنْ عَضَا^٢ *

لو كنتَ من أحدٍ يهيجى هجوتكمُ يا ابنَ الرقاع ولكن لستَ من أحدٍ^٣
وله من أخرى خاطب بها [الوزير] أبا المطرف بن الدباغ : مُطَالَعَتُكَ
- أعزَّكَ اللهُ - منتظرة ، وصلتك مستمطرة ، فلا تعتذرُ إلاَّ من الإغباب ،
ولا تستكثرُ قليلَ ما تصلُ به من الكتاب ، فأنا إلى أخبارِكَ متطلِّعٌ ،
ولآثارِ الصديقِ المخْلِصِ من النفسِ مَوْقِيعٌ ، وقد علمُ علامُ الغيوبِ
شُغْلَ بآلي بك ، واقتضائي الأيَّامَ لك ، ما تقتضيه لنفسك وذاتك ، من
آمالك وإراداتك ، وإنه ليعتريني حصْرٌ عند مجاوبتك ، وخبجلٌ حينَ^٤
[٥٥ أ] مكاتبتك ، من خلوتِ كتابي إليك ، من معنى تشدُّ عليه يديك ،
وفائدة تعودُ بمسرةٍ عليك ، ولكنَّ الأحوالَ لا تغربُ ولا تغيبُ ، وليس
على الأيَّامِ عَتَبٌ ولا تأنيبٌ .
وفي فصل منها : وردني كتابك مشاركاً لي بفضلك ، في ما أظلم من

١ البيت لابراهيم الصولي ، ديوانه : ١٦٣ (القطعة رقم : ١٢٩) وانظر الحماسة البصرية

٢ : ٢٨١ وأمالى المرتضى ١ : ٤٨٨ وديوان المعاني ١ : ١٧٩ .

٣ في التمثيل والمحاضرة : ٣٥٥ : وهل يعرض الكلب ان عضاً .

٤ البيت للراعي النميري ، ديوانه : ٦٤ ، وانظر طبقات ابن سلام : ٤٣٥ والتمثيل والمحاضرة :

٦٨ .

٤ ط د س : واقتضاء .

٥ د ط س : عند .

بالك ، واغتم من حالك ، وتعدّر من أمرك ، وتأخّر من إسعادِ دهرك ،
 كأنه نفثةُ المصدور ، وساوةُ الموتور ، وتعلّةُ الشاكي إلى أخيه ، وراحةُ
 الباكي مع مَنْ يباكيه ، وقد علم تعالى أن مساهمتي لك في ذلك مساهمةُ
 مَنْ يخصّه ما يخصّك ، ويمسه ما يمسهك ، ولكن ما يُصنّع مع الأيام
 إذا صممت عن الشكوى ، وأبت من العتبي ، والأقدار إذا لم ينته لها أمّد ولا
 مدى ١؟ وإن عدرك لواضح أن يضيق صدرك ، ويعاصيك [في] بعض الأحيان
 صبرك ، فقد ترى حظوظاً أنت بها أحقّ ، وغيرك إليها أسبق ، وأحوالاً
 أنت الجاري إلى غاياتها ، وغيرك الجاني لثمراتها ١ ، إلا أنها الجدود لا تُعجل
 عن آنائها ٢ ، ولا تُحفز في آنائها ، وعندك من معرفة الأيام ما يسليك
 وينفعك ، ومن الأدوات ما لا يهلك ولا يضيّعك ، وأنت في اقتبال
 سنك ، وعنفوانِ أمرك ، وحالك واعدة لك بأكثر مما في نفسك ،
 فلا تضجّر [بفضلك] فالزمن بين يديك ، وعدم الأماثل مُحجّج إليك .

ومن أخرى إليه ٣ : إذا اتفق للمرء وفي يصادقه ، وسري يوافقهُ ،
 وأديب يجاذبه أهداب الآداب ، وأريب يناهبه لباب الألباب ، فقد ظفر
 بالأخِ الأسنى ، وأفاض بالقيدح الملقى ، وراذ من الأُنس مراداً خصيباً ،
 وفوق في أهدافِ المني سهماً مصيباً ، فهي الضالة التي تُنشد ولا توجد ،
 والغريبة التي توصف ولا تعرف ، وهو الاسم الواقع على غير مسمّى ،
 كعنتاء مغرب ، وأرى أن قد ظفرت منك بذلك المطلوب الذي هو في

١ ط د س : الجاري ال غمراتها .

٢ ب ط س : إناها .

٣ د ط س : وله من أخرى .

٤ ب م ط د س : وأرى وقد .

حيثُ العدم ، وتنسبتُ^١ منك طيبَ السجايا والشيم ، واعتقدتُكَ من الذخائر
والعدّد ، واعتددتكَ لليوم والغد ؛ وَوَصَلَ كِتَابُكَ الْكَرِيمُ وَبَجَرُ الْقَوْلِ
فِيهِ يُزْبَدُ ، وَإِنْسَانُ الْبَيَانِ مِنْهُ يَسْجُدُ^٢ ، وَطَرَفُ الْإِهْتِبَالِ بِهِ يَسْهَرُ ، وَطَوِيلُ
بَاعِ الشُّكْرِ عَنْهُ يَتَقَصَّرُ .

وفي فصل من أخرى : قد يجزىء التيممُ عندَ عَدَمِ^٣ الماءِ ، ويكفي
التعلُّلُ من كمالِ الشفاءِ ، وتلكُ حالُ كِتَابِكَ الْكَرِيمِ الْوَارِدِ ، وجوابكُ
الأثير الوافد ، فإنه سدٌّ من الأُنسِ مسدّاً وإن لم يكفِ ، ونال من جلدكُ
الوجد منالاً وإن لم يَشْفِ ، أما^٤ إنه كان ماءً وإن لم يبلغ أن يكون صدءاً ،
ومرعى وإن لم ينته أن يكون سعداناً^٥ ، ورأيتك رحلت على أن المقام^٦
ثلاثاً فطابت لك حتى [٥٥ ب] أتممتَ عشر^٧ ، بل ما أقممتَ إلا^٨ دهرأ ،
فقد زدتَ على المثل ، وتملّيتَ مسافةَ الجلدل ، فهنيئاً لك غيرَ منغص ،
ومزيداً غيرَ منتقص .

ومن أخرى^٩ : ورد كتابك فلحظتُ منه فجرَ البيان ، وشجرَ الإحسان ،

١ ط د س : وشمنت .

٢ ط د س : يزخر . . . يسحر .

٣ ب م : فقد . ؛ د ط س : جلي .

٤ ط د س : إلا .

٥ إشارة إلى المثل : « ماء ولا كصداء ومرعى ولا كالسعدان » ؛ انظر فصل المقال : ١٩٩

والميداني ٢ : ١٥٣ والعسكري ٢ : ٢٠٦ .

٦ ط س : دخلت على المقام .

٧ إشارة إلى قول أبي نواس :

خرجنا على أن المقام ثلاثة فطابت لنا حتى أقمنا بها شهراً

٨ سقطت هذه الرسالة والتي بعدها من د ط س .

وثمارَ البديع المزرية ، واستخفني باعجابه^١ ، واستفزني بإطرابه^٢ ، فأشهد
لو كان خلقاً لكان إنسا ، أو نوراً لكان شمساً ، أو روضاً لكان حزنناً^٣ ،
أو ماءً لكان مزنناً ، وكلما سرّحت فيه ناظري ، وأجّلت في أرجائه
خاطري ، رأيتُ الطبعَ البعيدَ كيفَ مواقعُ إبداعه ، ومنتهى اختراعِهِ .

ومن أخرى : قد سقط القولُ بيننا في الاعتقاد ، وتعرّينا من سنن^٤
التزيين فيه والاحتشاد ، فلا يُحطُّ من روائه ، ولا يريقُ بالإعادة من
مائه ، وجعلنا الضمائرَ - وكفى بها بياناً وتبييناً - لا تنفك محوطة ، وبالكفاية
منوطة ، فلو استطعتُ لوضعتُ الدنب والجنّاح^٥ ، وسقطتُ سقوطَ الندى
قبيلَ الصباح ، لاسيما وقد اتصل بي اعتلالٌ طاف بك ، أرقّ عيني ،
وقربَ حَيثي ، فما عرفته إلا بطاريءٍ من أفقك ، استوضحته عن خبرك ،
إلا أنه أنسّ بتصرفك واستقلالك ، ثم تتابعت البشرى بطلوع الكرم
خطابك ، معلماً بابلالك ، فمضى الغمة ، وقوى الهمة ، وسكن القلب ،
وأزاح الكرب^٦ ، وأشفقتُ أن لم تشاركني لوقتِ العارض ، حتى من
الله بالشفاءِ الفاض .

١ م : باحسانه .

٢ ب : باطرايه .

٣ روضة الحزن اطيب شذا من سواها ؛ ب م : حرثا .

٤ ب : شنن .

٥ ب و خ بهامش م : لظرت بهمنّاح .

٦ وسكن القلب : وقعت هنا مكررة في ب .

فصول من كلامه في رسائل الشفاعات والوسائل

فصل^١ من رقعة كتبها شافعاً بابن حماد ، أحد أفراد القواد : وقد سمّيت بي هيمتي التي هو بفضله أسماها ، وأطال مداها ، أن أقرع باب كرميه شافعاً ، وأستمطرَ سحابَ نعمه راغباً ، في إقالة عثرة عبد من عبيد الدولة^١ ، باخع^٢ بحق^٣ الطاعة ، خاضع لعزّ القدرة ، مات بسبب القرابة واللحمة ، قد اتخذني سبباً إلى علائمه ، وسألماً إلى سمائه ، إذ علم أنني لدولته - خلّدها الله^٣ - وليّ ، وبدرّ نعمته غديّ ، وفي كنفها ربيّ ، ووثق أن مثلي من دُعائه في القطر الشاسع ، وأشياعه في البلد النازح ، لا يردُّ إذا رغب ، ولا يصدُّ إذا طلب ، ولا يحرم إذا شفع ، ولا يحجب إذا قرع ، لا سيّما وهو طالب عفوّ مذنب ، ورضي عن معتب ، والعفوّ أقرب للتقوى^٤ ، والصفح أدنى إلى الزلفى ، ولقيل العثرات عند الله جزاء^٥ الحسنى .

وفي فصل منها^٦ : وقد كنت قدّمت في شأنه من الرغبة ما يقتضيه^٧ ، [٥٦ أ] فأعلّمت أن شدة الموجدة عليه سدّت عنه باب رغبتي فيه^٨ ،

١ ب م : عند ابن عبيد الدولة .

٢ د ط س : ناخع نحو ؛ وبخع ونفع بمعنى أذعن .

٣ ط د س : أدامها الله بدوام الايام .

٤ في التنزيل : وان تعفوا أقرب للتقوى (البقرة : ٢٣٧) .

٥ ط د س : جزاؤه عند الله .

٦ وفي فصل منها : سقطت من ط د س .

٧ د ط س : من الرغبة في شأنه ما يقتضيه ؛ ب م : في شأنه قبل الرغبة .

٨ ط د س : شدت عنه وعني فيه .

فسلّمتُ بسياسةِ الدولةِ التي منها يستملي^١ الدهرُ إذا أملى حُكماً ، وعنها يقتبسُ الزمانُ إذا ارتأى عزمًا ، وعلمتُ أن لكلِّ أجلٍ كتابًا ، ولكلِّ أمدٍ^٢ حسابًا ، ثم لم أياس من عطفتِ الملكِ الأجلُ إذ كان كرمهُ أكرمَ شافعٍ إليه ، وأنجحَ وسيلةً لديه ، بناجيه بلسانِ الشفاعةِ ، ويلئمُ بين يديه بساطَ الضراعةِ .

وقد^٣ علم أن فلاناً المذكور سهم^٤ من سهام تلك الدولة على أعدائها ، وسيفٌ مسلولٌ دونَ مَنْ يلبسها من نواحيها وأرجائها ، ويقارعُ من ضادّها ، ويعاندُ من حادّها ، وفي الإبقاءِ عليه إبقاءٌ على جمهورٍ من المسلمين كثير ، وإحياء^٥ من الأرضين كبير ، وتأمينُ سُبُلٍ مخوفةٍ مقطوعة ، ورعيّةٌ ضعيفةٌ مروعةٌ ، وتُحَقِّنُ الدماءُ في أهبيها ، وتُمنَعُ الدهماءُ من كَلْبِها ، ويُرَدُّ على العيونِ كراها ، ويُنزَجى إلى النفوسِ منها ، [وفلان المذكور عند سيدنا يتدُّ قد دَميت بسوارها ، وصليتُ من شمسِ علائها بأوارها ، فهو فرعٌ من دولته المنيفة ، وواحدٌ من جملته الشريفة وعسى أن يكونَ العذابُ قد انتهى ، والملكُ الأجلُ قد استبقى] ؛ ولو أمكنني أن أخوضَ البحرَ إليه ، وأمثُلَ راغباً بين يديه ، لفعلتُ ، وكان ضماناً على كرمه ألا أرجعَ [عنه] صيفرَ اليدين ، ولا أنقلبَ بحفني حنين ، فليمثلني — خلّد الله ملكه — واطئاً للبساطِ ، سائلاً في السماطِ ، قد أطلقتُ

١ ط د س : يشتمل ؛ والصواب « يستمل » .

٢ ط د س : امر .

٣ قبلها ي ط د س : وفي فصل منها .

٤ ب م : وقد علم أنه سهم .

٥ ط د س : يلبس .

٦ ط د س : جماعة .

٧ ب م : واحياء .

لسانَ الرغبة ، وأدلتُ بذهامِ الولاية والمحبة ، وإن كنتُ لم أسعَ في ذلك ،
إلى هنالك ، بقدمي ، فقد سعتُ آمالي^١ وهممي ، وعَرَفَ^٢ الجميعُ ، أنني
الراغبُ الشفيعُ ، فالعيونُ ناظرةٌ ، والآذانُ مصيخةٌ ، والأعناقُ متطلعةٌ ،
والنفوسُ متشوفةٌ ، إلى ما يكونُ من الملكِ الجليلِ ، من الفعلِ الجميلِ ،
من مقابلة^٣ شفاعتي - إن شاء الله - بالقبول .

وفي فصل من أخرى : من حُكِّمَ شيمك - أيِّدك الله - الحالية ،
وَدَيِّدَنِ هممك العالية ، أن توجبَ للراغب ، وتُسْنِعِمَ قبلَ عزيمة الطالب ،
وتُسَعِفَ مِنْ غيرِ شفاعَةٍ ولا مسألة ، وتلتزمَ^٤ الحقَّ من غيرِ ذمامٍ
ولا صلة ، فكيف بك إذا تَوَسَّلَ بدمنةٍ محبةٍ متوسل ، وتوصلَ بحرمةٍ
قرايةٍ متوصل ، وضرع^٥ من عبيدِ اصطناعك ضارع ، وشفعَ من صدورِ
أودِائك شافع ، هنالك لا محالة يوري زندهُ من غيرِ قدح ، وَيُنْفِضِي
جده إلى نُجْحٍ ، وينتهي سُرَاهُ المحمودُ إلى أَيْنِ^٦ صبح ، ويجوزُ الشافعُ
جمالَ القبول ، وبفوزِ المستشفعِ بثمرةِ المأمول ؛ وفلان^٧ من أصحابي [الأخصيين]
الأخلصيين ، ومن أشياحك الأوديين الأجدين ، وكما نحن في أحوالنا كلها
مشاركين ، كذلك نشتركُ فيه شركَ عنان^٨ ، فلي شخصُهُ وَقَرْبُهُ ، ذلك

١ ط د س : سميت بآمالي .

٢ د ط س : وعلم .

٣ د ط س : ومقابلة .

٤ ب : ويلزم ؛ م . ويلزدي .

٥ ب م : وتضرع .

٦ د ط س : سراه . . . أين .

٧ د ط س : وان أبا فلان .

٨ شرك عنان وشركة عنان : ان يشترك اثنان في شيء خاص دون سائر أمواتهما ، اذ ان
يخرج كل شريك مبلغاً من المال ويخلط المبلغان وبأذن كل واحد له احبه بان يتجر بالمال .

ضميرُهُ وقلبه ، وإن لَنَزِمْتَنِي رعايتُهُ من وجه [٥٦ ب] فهي لك من
 وجوه الزم ، إذ حالك معه أقدم ، وأنت أرحم وأكرم^١ .
 وذكر أنه يخاصمُ بعضَ بني عمه - [كثره الله] - وكان الضَّلَعُ^٢
 في خصوصيته عليه . وإن كان الحقُّ في يديه ، لأسبابٍ دنيويةٍ ، لا لتوجهِ
 حُكْمٍ [ولا] قضية ، ورجبتهُ الموصولةُ برغبتي ، المؤيدةُ بشفاعتي ، أن
 يكونَ له منك جانبٌ يرقى منه إلى مُستصعبٍ مطالبه ، ويدراً منه^٣ في
 تحريمٍ مطالبه ، ويعيدُ الشهودَ عليه شهوداً له ، والمتألمين عليه إلباً معه^٤ ،
 وإذا شدَّ زندهُ حُسنُ رأيك في يده ، ضرب بنصلٍ يقطعُ الهامَ في غمده ،
 وسرى بسراجٍ يضيءُ له مبهمٌ قصده ، فإن الله يزرعُ بالسلطانِ ، ما
 لا يزرعُ بالقرآنِ .

وفي فصل من أخرى^٥ : عبدُ سيدنا - أدام الله عزه - قد تحيَّفتِ
 الأيامُ قواه ، وتحوَّنتِ الحادثاتُ عُرَاه ، وقربتِ الثمانونُ خطاه ، فاختلفَ
 بنائه حتى كأنه لم يتعلَّقْ من الكتابةِ بأطنابِ^٦ الإطنابِ ، ولا تصرَّفَ
 من البلاغةِ في سُهوبِ الإسهابِ ، ولا عدَّ في الدواوين من صدورِ الكتابِ ؛
 والحضرةُ الجليلةُ تنعيمُ^٧ باستماعِ بثته ، واغتنارِ رثته ، جرياً على الكرمِ .

١ - اد في ط د س : واحفى بالنعم واكرم .

٢ - الضلع : المبل . الهوى .

٣ - ص د س . به .

٤ - س . له .

٥ - ا د س : سجين .

٦ - الضلع : الإطناب .

٧ - تنعيم : التمام .

المعروف ، وسعيًا إلى الفضل المألوف ؛ وعبدُهُ يخدمُ البساطَ بالتقبيل ،
ويسألُ أن يُنزلَهُ منزلةَ القبولِ ، مُهتَبِلًا ، مجملًا ، إن شاء الله .

[وله من أخرى : كيف لا أتُحَكِّمُ - أيدك الله ، وأوصَلتَكَ إلى ما
ترضاه - على سيادتِكَ تُحَكِّمُ المُدِلَّ ، وأتقدمُ في ذلك تقدُّمَ المنبسطِ
المسترسِل ، وقد مهدتَ لي جانبَ الإفضالِ ، وأمنتَ سربي قديمًا وحديثًا
من الإملاَلِ والاختِجالِ ، فإن انبسطُ فبحقِّ ، وإن شَفَعْتُ فبضمَانِ
صدق] .

[ومن أخرى : إذا استحكمتِ المقة ، وتمكَّنتِ الثقة ، وخلص
الصفاءُ من كلِّ شَوْبٍ ، وسلمَ الإخاءُ من كلِّ عيبٍ ، ارتفعتْ أسبابُ
التحفظِ والترقبِ ، وعُصِيَّتْ دواعي الانقباضِ والتهيبِ ، واسترسل
المرءُ راغبًا في كلِّ ما عنَّ له ، وانبسطَ شافعًا لكلِّ من اتصل به ، وذلك
عندي - أبقاك الله - رسمي في تواترٍ من كتبي ، في من لي به لديك عنايةٌ
ولاكرام . وله إليَّ وُصْلَةٌ وذمام] .

[ومن أخرى : تازمني - أيتد الله مولاي - علائقٌ لو وقف منها على
السرى ، لتجلى له وجهُ العذر . من هزَّ فضليه في شأنِ فلان مملوكيه -
وحبيسةِ بره ، ليعطفَ عليه عطفةَ الماجد ، ويحنو عليه حنوَّ الوالد ، على
فراخٍ كزغبِ الفطا ، وعيالٍ ليس منهنَّ إلاَّ المفجعةُ الحرَّى ، دموعُها
تنهلُّ كالسحاب ، وضلوعُها تلتهبُ بنارِ الاكتئاب . قد شملهم الفرار ،
ونبا بهم القرار . وعوضوا بالبؤسِ من النعيم ، وأدِيلوا بالحزنِ من
السُرورِ المقيم ، كأنما يتكحلون^١ بالسهاد ، وينامون على شوكةِ القتاد] .

.....
١ د : يكحلون .

[وأنا أمدُّ إلى مولاي يدَ الضراعةِ ، وأسأله إن لم يستوجب المذكورُ الرعايةَ لنفسه ، فليَرعَهُ لأصله ومغرسه . وان لم يرقَّ لذاته ، فليرقَّ لبنيه وبناته ، وأهله وعوراته ، وأذكرُهُ كلمةَ المأمون^١ : لو علمَ الناسُ حرصنا على العفو لتوصلوا إلينا بالذنوبِ ، وقوله : إني لألندُّ بالعفو حتى أخشى أن لا أوجرَ عليه . وكان الحجاجُ^٢ قد استأصلَ بالقتلِ أسرى ابنِ الأشعث حتى انتهى إلى فتىٍ منهم فقال : أيها الأمير : لئن أسأنا في الذنوبِ ما أحسنتَ في العفو . فقال الحجاجُ : أفَ لهذه الجيف ، أما كان فيهم أحدٌ يُحسِنُ مثلَ هذا ؟ ! وأمسكَ عن القتلِ مع قساوته ، وحققتُ عنده هذه الكلمةُ الدمَ ، وتعمدتِ الإساءةُ والجرم . ومولاي بصحةِ فطرته ، وتوقدَ فكرته ، وذكاءِ فهمه ، واتساعِ حلمه ، أحدٌ من أتبعِ كريمِ الآثارِ ، وشيّدَ مباني الفخارِ ، ولم أذكره على طريقِ الحجّةِ ، لكن على وجهِ الذكري التي هي في الأكرمين ناجمة ، وفي المؤمنين نافعة ، كما قال الجليل ، في التنزيلِ ، ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الداريات ٥٥)] .

ومن كلامه في ذكر التهنئة وإقامة^٣ رسم الهدية

فصل له من جواب^٤ : ورد كتابُكَ ففضضتُ ختمه^٥ عن رياضِ تفتحتُ عن أزاهرِ كلمك ، ونشرتُ طيبه عن جواهرِ حكمك ، ولحظتُه

١ تارن بتاريخ الخلفاء للسيوطي : ٣٤٨ .

٢ انظر ابن خلكان ٢ : ٣٩ .

٣ ط س : وإقام .

٤ ط د س : فصل من رقعة له .

بعين التدبير^١ لمعانيه ، وجميع ما ضَمَّنْتَهُ^٢ فيه ، فوجدتُهُ قد أخذ بطرفي الآداب ، واكتست عليه حلة الإيجاز والاسهاب ، فاطردت مياهُ البراعة من فروع منشوره ، وعقب نسيمُ البلاغة من مسكه وكافوره ، وقابلتني منه أوجه من البرّ جميلة ، فأردتُ تترك معارضتك ، نكولاً عن مبارزتك ، وذهبتُ إلى العدول عنها كلالاً عن مناجزتك ، وأنتى بمناضلتك وقيدحك الفائز ، وكيف بمجاراتك وشأوي العاجز ، تالله لولا مخافة العقوق ، وترك واجبات الحقوق ، لأضربتُ عن مجاوبتك تقصيراً ، ولو شمرتُ عن ساعدُ ذهبي تسميراً .

ووصل معه الغزالُ الأهيف ، وكانَّ عينيه عينا وسانن مالت به نشوةُ الرّاح ، وثنى عطفه هزةُ الارتياح ، كأنما كُحِلا سحراً ، وأشربا خمراً ، ينظرُ بهما نظرَ المريب ، ويُعرِضُ إعراضَ الحبيب ، بجيد أتلع ، [٥٧ أ] ومنظرٍ أروع . وكانَّ قرنيه قلمان ، وكانَّ أذنيه جتلمان ، ينصبهما إذا أوجس^٣ ، ويثنيهما إذا أنيس^٤ ، وكأنما كُسي أبطلاه حلة الشفق ، وطُررت بسواد الغسق ، يتوحش في الإنس ، ويأنس في الكُنس ، عدوانه رِياح^٥ ، ومشواه قراح^٥ ، تحالهُ سهماً إذا انصاع ، ومعشوقاً أشعيرَ بَرقيب فارتاع ، يزداد جماله إذا نفر ، وتروق^٦ محاسنه إذا ذعير :
كاد يحكي غزالةَ الإنسِ لولا رقةً في الشوى وقرن علاه

١ ب م : ولحظت . . . التدبير .

٢ ب م : ضمنت .

٣ ط د س : أوحش .

٤ ب م : رماح .

٥ ب م : ومشواه فداح ؛ ط د س : وسواه فداح .

٦ ب م : وترق .

أنا أهواه لا لشيءٍ ولكن كلفاً بالفتى الذي أهده

وقرنت إلى هذه الهدية الرائقة^١، والمنحة الفائقة، شطرنجاً صغيراً
كان أفليدس قسم أجزاءه^٢، ورقق أشكاليته وأنحاءه^٣، يحار في لطيف^٤
صنعه الوهم، ويضل في كلفيته الفهم^٥، قد قسم قسمين: قسم أحمر،
وقسم كأنه من ناصع الجوهر، تتقابل^٦ خيلته بلا فرسان، وتنقاد
بلا عنان، في أرض مربعة الأقطار، تثير سنابكها العثار^٧، وكأن الرخ
إذا برز^٨ للمصاع، وأشهر العرصة^٩ للقرع، بطل^{١٠} تنقي حملته^{١١}،
ولا تؤمن جوتته^{١٢}، يهوي هوي الصقر في الجو، ويصول صولة
الأسد في الدو، إذا حمل على صف قسمه، وإذا ضرب قرناً قصمه،
يكمن فيله^{١٣} كمن الكمي، ويبرز بروز القصور الجري، يرتصد الفرصة^{١٤}،
ويبتهر الغيرة^{١٥}، وكأنما الفرز^{١٦} إذا جال متبخرأ^{١٧}، أو مشى متكبرأ^{١٨}،
ثمل^{١٩} يترنح، أو سكران يتزحزح^{٢٠}، فإذا شد عقده بالبيدق، فإنه^{٢١} مركز
دائرة^{٢٢} الفيلق، وكأنما الشاه كسرى حفت به مرازبه^{٢٣}، أو بدر أحاطت
بفلكه كواكبه، هي به قطب كواكب الجوزاء وعليها تدور الدوائر،
وقلب الكتيبة وعليها تقتتل^{٢٤} العساكر، وكأن الرجل^{٢٥} رجل جراد^{٢٦} تريش^{٢٧}

١ ب م : الرائحة .

٢ ط د س : لطف .

٣ ب م : تتقابل .

٤ ب م : عثار ، وسقطت العبارة من ط د س .

٥ ب م : الزناد ابرز .

٦ كذا بالصاد المهملة ، وربما قرئت في م ب : الفرسة .

٧ ب م : متكسرا .

٨ د ط س : يتدحرج .

٩ ب م : كأنه .

١٠ ط د س : دائرة .

١١ ب م : تقتل .

سهامَ الحرب ، وتقدحُ نارَ الطعنِ والضربِ ، تبرز إلى المقاتلةِ بلا سلاح ،
ويصرعُ^١ بعضها بعضاً بلا^٢ جراح ، قد اكتفت عن الصوارمِ بصرامتها ،
وعن السابغاتِ بصلابتها :

جيشانِ يقتتلانِ لا لعداوةٍ أبداً ويصطلحانِ لا لسودادِ
أهداهُ سعدُ الدولةِ التدبُّ الذي جمعتُ محبتهُ عُرَى الأكبادِ

وله من أخرى جمع فيها بين التهنية والتعزية : أحوالُ الدنيا — أعزك
الله — مبنيةً على التداولِ والتعاقبِ ، ومساءمتها ومسراتها جاريةٌ مجرى
التبادلِ والتقاربِ ، فمن عِبرة تفضي إلى عِبرة ، ومن مساءة تُعقبُ
بمسرة ، ومن محنة تفرُّ عن منحة ، ومن ترحة تُقلِّعُ عن فرحة ،
ولله تعالى في جميع الأحوالِ المختلفةِ ، والأقدارِ المتصرفةِ ، حقوقٌ من
الصبر على السراءِ [٥٧ ب] والضراءِ ، وعلى الأولياءِ المختصين فروض
من المشاركةِ والمظاهرةِ في كلِّ ما ناب من حزنٍ ، وثاب من حسنٍ ،
قد جرت بها العوائدُ ، واستوى فيها الغائبُ والشاهدُ ، فتلک تُرعى بالدعاءِ
والتهنيةِ ، وهذه تُتلقَى بالاطراءِ والتعزيةِ . والله يجعلُ أيامَ مسراتك
الأكثرَ إسعاداً ، وأوقاتَ تهنئاتك الأوفرَ أعداداً .

وأُنبئُ إليَّ من تقليدك العهدَ ، وامضائك العقدَ ، للناصر [سيدي
وأسنى عددي أبقاه الله] — على بلنسية — عمرها الله بدوام عزك ، وحماها
باتصال نصرك — مكان المعنصم — رحمه الله — فقلتُ : مُلكٌ ترددٌ
في عنصر ، وخاتمٌ تنقل من خنصر^٣ إلى خنصر ، وقد سددت — أيتك

١ ب م : يريش . . . ويقلدح . . . يبرز . . . س ط د : وتسرع .

٢ د ط س : بغير .

٣ د ط س : بنصر .

الله - ثلماً ، وشفيت^١ كلاً ، وسمت الخطوبَ رغماً ، وأوسعتها همماً .

ومن أخرى^٢ : أطالَ الله بقاءَ الوزير الأوحَد ، الخطير الأجد ، مسروراً بسمو الأحوالِ والرُتب ، معصوماً من طوارقِ الأحداثِ والنَّوب . إذا تقادمتِ الذرائعُ والوسائل ، وتناصرتِ الطبائعُ والشمائل ، كان للودِّ مع ذلك وفوراً وتماً ، ولكرمِ العهدِ ظهوراً وبهاء .

وفي فصل منها : وكيف لا أدخلُ إلى رضاه من كلِّ باب ، ولا أفتريسُ من عداه بكلِّ ظفرٍ وناب ، وأطيرُ من السرور ، لما تهيأ له من الظهور ، بكلِّ جناح ، وأتقدمُ إلى الفخار ، بما يبلغُهُ من^٣ الأوطار ، بغيرِ جناح ، وهو ركني الذي يقيمُ ظهري ، ويردُّ عني صَرفَ دهري ، ومعهُ هواي ، الذي يعضدُ ديني ودنياي ، ويؤدني إليَّ أملي ومناي ؛ أسألُ الله تعالى أن يُسقيهُ للوزارةِ زيناً وفخراً ، وللرياسةِ ركناً وذخراً ، وللدينِ عزاً وجلالاً ، وللملِكِ زيناً وجمالاً .

ولما طلع البشيرُ عليَّ بتصويرِ الوزارةِ اليه ، ودَوَّرَ رحي الخلافةِ عليه ، جدَّدتُ لله تعالى حمداً وشكراً ، ولنعمه الجزيلةَ ذكراً ونشراً ، وأخذتُني هزة الجذلِ والارتياح ، وأسفرَ لي وجهُ الأملِ والاقتراح ، فانتشيتُ من فَرَحٍ وطرب ، ونيلِ مُرادٍ وأرب ، ودعوتُ الله أن يجعلها ولايةً ، تبلغُ من السعدِ نهايةً ، وتضاعفُ للدينِ حمايةً ؛ وقد تَعَيَّنَ عليَّ أن أهنيءَ بالوزارةِ بل هي المهنةُ بمصيرها اليه ، وظهورِ رسمها عليه ، فهو المعدلُ لحدودها وسييرها ، المحسنُ لوجوهها وصورها ، المبيِّنُ لحججها وعمرها ،

١ ب م : وشعبت .

٢ لم ترد هذه الرسالة في د ط س .

٣ م : إل . ٤ ب م : فاشبت .

لا زال سيدنا زيناً للدول والممالك ، ونوراً في المواطن والمسالك ، وفخراً
لأهل المشارق والمغرب ، وقبيلةً لذوي الحاجات [٥٨ أ] والمآرب .

ومن رسائله في التعازي

فصلٌ له من رقعة : يا سيدي ، ومن لا زال جأشُهُ ساكناً ، وحرْمُهُ
آمناً ، وبألهُ ناعماً ، وأنفُ مَنْ عاداهُ راغماً ، بوُدِّي [أعزك الله]
لو خاطبتُكَ بالتهنيةِ لا بالتعزية ، وشاركتُكَ بالعطيةِ لا بالرزية ، ولكنها
الأيامُ تُحلي وتُمرِّ ، والأقدارُ تسوء وتُسرِّ ، والرزايا تتطرفُ وتُحيِّفُ ،
والمنايا تستدرجُ وتتخطَّفُ ؛ واتَّصلَ بي وفاةُ الوالدةِ [المرجوُّ لك دعوتها ،
المبلوغةِ بركتها] فساءَني يعلمُ الله أن يطرقَ خطبُ حماك ، ويطأُ رزقُ
ذراك ، مشاركةً^٢ لك في المهيم ، ووقوعاً معك تحتَ الحادثِ الملمِّ ، إلاَّ أني
أرجو أن تشدَّ له عزائمَ عزائك^٣ ، وتحملهُ على كبدٍ احتمالك ، وتقلبَ إليه
مجنَّه^٤ اصطبارك ، وتُذكي عليه قَبَسَ اعتبارك ، فتعلم كثرتَهُ وجمومتهُ ،
وتذكرَ شمولهُ وعمومه ، وتستشعرَ أنه عُرِفَ لا نُكِرَ ، وعَوَّانٌ لا بَكُرَ ،
فتتأسَّى بكثرةِ الباكين ، على الهالكين ، وتتعزَّى^٥ بسرعةِ اللاحقين ، على
السابقين . والنساءُ كيف كانت مراتبهنَّ ، والحرمُ وإن جَلَّتْ منزلتهن ،

١ د ط س : وانف عدوه .

٢ ب م : مشاركاً .

٣ ط د س : عزم عزائمك .

٤ د ط س : وتحمله على كبد .

٥ د ط س : ظهر .

٦ ط س : وتتعلى .

لم يُغلقْ عليهنَّ كأبوابِ الترابِ ، ولم يُسدَلْ دونهنَّ كستورِ القبورِ ،
وربَّ أمٍ مبرورةٍ ، وأختٍ كبيرةٍ ، قد نزعَتْ منزعاً من الصيانةِ ، وذهبت
مذهباً من مُباحِ الديانةِ ، ودَّ ابنها^١ وأخوها قبلَ ذلك لو طواها
كفنٌ ، وواراها جفنٌ ، فتقدُّمهنَّ أصونُ لهنَّ ، وأولى بهن .

وفي فصل من أخرى : كتبتُ عن قلبٍ يتشعَّرُ ، ونفسٍ بين ضلوعها
لا تستقرُّ ، لخبرِ الرُّزءِ الهاجمِ ، والنبأِ الشنيعِ الكالمِ ، بوفاةِ [الحاجبِ
عزِّ الدولة سيدي]^٢ ، كان ، لقاءه الله الرضوانَ ، وأخفه العفو والغفرانُ ،
محتضراً في أوَّل الكمالِ ، مخترطاً عند الإقبالِ^٣ ، مبادراً قبل الإبدارِ ،
معاجلاً بالسرارِ ، في عثوانِ الإقمارِ ، فيا لها حسرةٍ ما أنكاها للنفوسِ ،
وجمرةٍ ما أذكاها في القلوبِ ، وروعةٍ ما أفتتها في الأعضاءِ ، ولوعةٍ
ما أحرَّها على الأكبادِ ، لكنه أمرٌ يعمُّ ولا يخصُّ ، كلُّ نفسٍ لها جارِعٌ ،
وفيها كارِعٌ ، فمن مُبتدِرٍ يعاجلُ ، ومنتظرٍ يناول :

وما نحن إلاّ مثلهم غيرَ أنّنا أقمنا قليلاً بعدهم وتقدّموا

وأنت أعلمُ بالأيامِ وصروفها ، والأرزاءِ وصنوفها ، والأنفسِ ومآلها ،
والأجسامِ واضمحلالها ، والعواري وارتجاعها ، والمناجِحِ ومقاديرِ إمتاعها ،
من أن يغلبك الجزعُ والتهاكُّ ، وَيَسْرِعَ بك الجَلَدُ والتماسكُ ، فأنت
بالأزمانِ خبيرٌ ، وبالأحوالِ بصيرٌ ، وباستعمالِ ما في ذكرك من أمثالِ
التأسي [٥٨ ب] ومواعظِ التعزّيِ جديرٍ ، ومثلِك أعدُّ للأمورِ أقرانها ،

١ مباح : سقطت من د ط س .

٢ د ط س : ابوها .

٣ ب م : بوفاة فلان .

٤ د ط س : محتضراً في إقباله .

وحملَ على النفوسِ أحزانها ، ولم يُغْرِبِ الدهرُ عليه ببدعٍ من نوائبه ، ولم يَفْجَعَهُ بما لم يحتسبه من مصائبه ، ولم يتجاوزَ دَمْعَ العينِ حُزْنَ القلبِ ، إلى إحباطِ الأجرِ وإسقاطِ الربِّ ؛ وإن كان الله قد سَأَسَبَ بعدله ، فقد وهبَ بفضله ، وإن كان أخذَ فقد أعطى ، وإن كان اخترمَ فقد أبقى ، وبهذا صدقَ عروةُ بن الزبيرِ رضي الله عنه عندما منيَ به في أحدِ أبنائه ، وبعضِ أعضائه ، واللهُ يُمتِعُكَ بالباقيِ الراهنِ ، وينفعُكَ بالثاويِ الطاعنِ ، ويجعلُ هذه الرزيةَ مُنتَهَى بلواك ، وآخرَ رزاياك ، وَيُيسِّرُكَ للتسليمِ والاحتسابِ ، ويحفظُ عليك ما عرَّضَكَ له وعوَّضَكَ به من مذخورِ الثوابِ ، وإن كان قد جرى هذا الأمرُ ، على خلافِ حكمِ الدهرِ ، في تقدُّمِ الأسلافِ على الأخلافِ ، فَصُنِعُ اللهُ لك أجملَ ، وَصُنِعَهُ في بقائكِ أعدلَ ، لِيغنائِكَ عن المسلمينِ ، ومكانِكَ للدنيا والدينِ ، فاللمُّ ببقائكِ مُغتفرٌ ، والمهمُّ وإن جَلَّ مُحتَقَرٌ .

وذكرت أنه خرج من بيته مجاهداً ، وعن حمى الدين ذائداً ، فقد وقع أجره على الله ، وفاز بكرامة الله ، وإذا فاز بالسعادة والشهادة وهو فَرَطَكَ وشافِعُكَ ، فهو لا محالة مغتبطك ونافعك ؛ وقد أخذتُ بحظي من هذه الحادثة الشنعاء ، والداهية الدهيئة ، في من تُستقبَلُ له أحوال ، وتناطُ به آمال ، ويعدُّ في أكابر العدد ، وفي دخلة الصديق والولد ، والآخر (؟) إشفاقاً عليك من مضطرٍّ فقدته ، وتصوُّرٍ شديدٍ اكتئابيك من بعده ، فمثل هذا في مثله لم يكد يتسع للمصاب به صدرٌ ، ولا يثبت للصدمة الاجاجية صبرٌ ، فإن جَزِعَ الجازعُ فالعذرُ واضحٌ ، وإن صَبَرَ المصابُ فالأجرُ راجحٌ ،

١ راجع ابن خلكان ٣ : ٢٥٥ - ٢٥٧ في صبر عروة عندما فقد ابنه وقطعت رجله .
٢ ورد بعدها في ب م : بين سعادة اليوم والغد ؛ وهو سهو فيما يبدو ، لأن العبارة سترد بعد قليل .

ومشاركتك لي فيما طرقتك به الأيام ، وفجعك فيه الحمام ،
مما أشكره من فعلك ، وأنشُرُهُ من فضلك ، أوزعني الله شُكرَكَ ،
ومدَّ في عمرك ، وأعقبك زيادةَ العدد ، وجمع لك بين سعادةِ اليوم والغد .

وفي فصل منها : وأنت الطَّوْدُ الموفى على كلِّ هَضْبَةٍ ، المعلَى على
كلِّ فَرْحَةٍ وَكُرْبَةٍ^١ ، وما بقيتَ وعوفيتَ فكلُّ خَطْبٍ وإن جَلَّ جَللٌ ،
وكلُّ صَعْبٍ وإن أعضلَ فمحتملٌ^٢ ، فالله يا سيدي في نفسك العزيرة
أن يكونَ فيها كامنٌ رزءٌ^٣ يقدح ، أو أن يوهنَ منها باطنُ أسيِّ يكدح
[٥٩ أ] أو يقدحُ^٤ ، فأنت سدادٌ كلِّ مُلِمٍّ ، وسنا كلِّ مَظلمٍ ، وأباً
أضرب لك الأمثالَ ، وأعلمُ مع ذلك علمَ الحقيقة أن مُصابك كبيرٌ ،
ورزءك أليمٌ خطيرٌ ، لا يكادُ يتعلَّقُ بالجازعِ منه ملامٌ ، ولا يستمرُّ
على الصبرِ فيه اعتزامٌ ، فمن كَرَمِ الكَرِيمِ ، الجزعُ على الحميمِ ، ومن
خواصِّ القلوبِ ، الأسفُ على المحبوبِ ، وإذا كان الحيوانُ غيرُ الناطقِ
يحنُّ ويبرأ ، فنحن بذلك أحقُّ ، إذ نحن أرقُّ قلوباً وأرحمٌ ، إلا أن
مثلك ممن عَظُمَ قَدْرُهُ ، وتقدَّم بالأيامِ خُبْرُهُ ، أرجحُ علماً من أن
يُسَلِّمَهُ العزاءُ إلى التهالكِ ، أو تغلبَهُ الأرزاءُ على التماسكِ .

وفي فصل من أخرى عن ابن مجاهد إلى ابن أبي عامر : لو استغنى
— أعزك الله بالصبر ، وأيدك بالنصر — أحدٌ عن التعزية ، واكتفى مصاب

١ د ط س : هضبة . . . فرحة وكرب .

٢ ط س : شعب . . . محتمل .

٣ د ط س : جوى .

٤ ط س : يقرح .

عن التسلية^١ ، لأصالة رأي وسعة علم ، وجلالة قدر وجزالة نفس
وشدة كظم ، لكنت أنت الغني عن ذلك ، لإحاطة علمك بتقلب الأيام
وتصرف الأحوال ، وارتفاع قدرك عن أن يملأ الزمانُ صدرك ، وتبلغ
المحن^٢ صبرك ، فأنت أصلبُ عوداً من أن تروعتك^٣ المصائب ، وأشدُّ
ركناً من أن تُضعُضِعَكَ التوائب ، لكنّ الذكرى بابٌ مندوبٌ إليه ،
وسننٌ معمولٌ عليه ، ولئن جلّ الخطبُ ، وعظُمَ الكربُ ، فالثوابُ بقدره
المصاب ، والعطيةُ بحسبِ الرزية ، وإنما الأجرُ بالصبر ، والجزاء مع العزاء ،
وإن كان الله قد أخذ ابناً فقد ترك أبناء ، وإن كان [قد] سلب نعمةً فقد وهب
نعماً ، وإن كان الأعمى والأكثر أن تمضي الآباءُ ، وتخلف الأبناء ، فالملكُ
يدعو الله أن يخرجك من هذا العموم ، ويورثك أعمارَ الجميع ويجعلك
الباقي بعد كل قريب وحميم ، فكلُّ خطبٍ ما عداك يسير ، وكلُّ رزءٍ
إذا تخطّاك حقير .

وفي فصل من أخرى : لقد طرقت نائبة من الموتِ وفاجعة من
الكربِ في قطبِ الآمالِ ومدارِها ، وسناءِ الهممِ ومنازها ، وتاجِ الرياسةِ
وسوارها ، [الحاجبِ حسامِ الدولة ، كان ، رضي الله عنه وأرضاه ،
وجعل الجنة مأواه] فوالهفا عليه مردداً ، ويا أسفا له مؤبداً ، ماذا خطفت
[يد الحمام] وأصمت به سهام الأيام ؟ ! أي سماء للعلاء فطرت . وأبي

١ ب م : تسلية .

٢ د ط س : ويفلّج بالحن .

٣ ط س : تردعك .

٤ د ط س : على قدر .

٥ د ط س : للمالي .

نجم للمنى كدّرت ، وأيّ بحرٍ من الأسيّ سجّرت ، وأيّ عينٍ للبكاء
فجّرت ، مايقاسُ به مثيل ، ولا يُضاف إليه عدل ؛ وقد كان لي أن
أصرفَ المقال ، وأضربَ الأمثال ، وأجتلبُ من التعازي ما جاءتُ به
الآثارُ ، ووَرَدَتْ به الأخبارُ . غيرَ أنّه - أيّده الله - أعلى في انفضالٍ
[يداً] وأثبت في العلم قديماً ، وأرجحُ حليماً إذا طاشت العقولُ ، وأشدُّ
كظماً إذا اضطربت في الصدورِ النيرانُ ؛ من أن أوردت عليه ما لم
[٥٩ ب] يحيطُ به عادياً ، ولم يتوصّلُ إليه فهماً

وله من رفعة إلى المظفر بن الأفتوس يعزيه بالمنصور أبيه : وسهل كتابه
. . أباده الله - بما شرّد غمضي ، ونعمي بعمضي إلى بعضي ، وأطبق
سمائي على أرضي ، وأفضن مضجعي ، وأسأل مدمعي ، وعظّم ثكلي
وتجزّعي . من فطيم الخنطب الوارد ، وشنيع الرزء الوافد ، بوفاة
[المنصور سيدي وموثلي ، كان ، أوّسعه الله جنته ورضوانه ، ولقاه
رحمته وغفرانه] ؛ فيما لنا مصيبة قصّدت ظهري ، وذهلت فكري ،
وقتللت حدّي ، وأرغمت خدّي ، ودفعتني إلى الجزع وحدي :

فلو كنت في الباكن حولك كنت قد تأسيت فاستشفيت والعين تدمع
ولكنني أبكي فريداً وأشتكي وحيداً فما يننك عني التروع
هو الرزء أفضى بي إلى كل غاية . من البث لا أسلو ولا أتروع^١

١ ب م : نجم للعلى .

٢ ب م : فاجاب .

٣ د ط س . كتاب مولاي .

٤ ب م : بوفاة فلان .

٥ ط د س : وفلت .

٦ اتروع : اكنف وامتنع ؛ د ط س : اتروع .

لئن حَسَّنَ السَّلْوانَ والصَّبْرُ بِأمرىء^١ فأحسنُ حالاتي سلوًا ممنوع

وفي فصل منها : ومثلُ مولايَ الرئيسِ [الأجل] تلقى^٢ هذا الخطبَ الذي يهدُّ الجبالَ ، ويقطعُ الآمالَ ، ويخلعُ الفؤادَ ، ويصدعُ الأكبادَ ، بما حضَّ اللهُ تعالى عليه من الصبرِ ، وندبَ إليه من استجزالِ الذُّخْرِ ، فهو القائلُ تعالى ﴿لِنَمَّا يُؤَفِّي الصَّابِرِينَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: ١٠) [وأنت في نافذِ فهمك وثاقبِ علمك لا تبصِّرَ بل تذكرُ ، وكان من الحقِّ الأوجبِ والفرضِ الألزمِ أن أقيمَ قلمي مقامَ قلمي] وأكتفي بالركابِ عن الكتابِ ، وقل^٣ ذلك منِّي في هذه النائبةِ [المادمة] ، والنازلةِ القاصمةِ^٤ ، إلاَّ أني على علمك^٥ عن الإرادةِ مردودٌ ، وفي عقالاتِ الآلامِ^٦ والأعراضِ مَصْفُودٌ ، جعلَ اللهُ هذا المصابَ الخطيرَ آخرَ ما يقرعُ لك باباً ، ويحرقُ^٧ اليك عن كرهٍ حججاً .

وله من أخرى : كتابي والدمعُ يُنْشِي لِعيني سحائبه ، والحزنُ يجهزُ لي نفسي كتابيه ، والصبرُ قد فُلَّتْ شباته ، وصَوَّحَ نباته ، والقلبُ قد أظلمتْ آفاقه ، واشتدَّ بنارِ الرزيةِ احتراقه ، بما فجأ من وفاةِ الوزيرِ الفقيهِ أبي فلان^٨ ، عمدةِ الإسلامِ ، ومُبيِّنِ الحلالِ والحرامِ ،

١ ب : الصبر والسلوان ؛ بأمرىء : .قطعت من م د .

٢ ط س : يلقى .

٣ د ط : وقليل .

٤ ب م : القاصمة .

٥ د ط س : بملأه .

٦ ب م : الام ؛ ط س : غفلات الآلام .

٧ ط د س : ويحترق .

٨ د ط س : وفاة فلان .

وهاتك حُجْبِ الضَّلالةِ والجهالةِ ، فالديانةُ عليه لابسَةُ الحدادِ ، مفجوعةُ
 الفؤادِ ، وهي لفقدهِ باكيةُ الأجنانِ ، عاطلةُ البنانِ ، مُخْلِقةُ الجلبابِ ،
 منقطعةُ الأسبابِ ، منكوسةُ اللواءِ ، مهجورةُ الفناءِ ، قد ذهبَ ناظرُها ،
 وَزُمَّتْ للركابِ أباعرها ، [وَسَدَّتْ على الطالعينِ أبوابها] فمن لتحقيقِ
 معانيها ، وتعميرِ مغانيها ، أم من لاختيارِ أقوالها ، وتوشيةِ سربالها ،
 وإظهارِ ما خفي من مسائلها ، وجمالهِ ما صدَى من مناصلها ، أم من
 ينصرُ ملَّةَ الإسلامِ ، بلسانِ [٦٠ أ] كالصمصامِ ، أم من يردُّ على
 أهلِ التناسخِ ، بالحججِ الرواسخِ ، الثابتةِ كالجبالِ الشوامخِ ؛ فالدنيا تحلو
 لتُسمِرَ ، وتصفو لتكدرَ ، وتنظمُ لتنتثرَ ، وتجمعُ فتفرقَ ، وتسقي لتُشْرِقَ ،
 فهي كالشمسِ تُضيءُ فتعشي ، وكالطعامِ يُغذِّي فيؤذي ، فالأولى الزُّهدُ
 عن زخرفها وزِبرجِها ، والتَّركُ لما يحلو من رضاها ، ويخدعُ من سراها ،
 والإعراضُ عن وصالها ، وتَضَرَّتْها وجمالها ، فليست تُبقي على السيِّدِ
 ولا المسودِ ، ولا على القريبِ والبعيدِ ، ولا على الملوكِ والعبيدِ ، ولا على
 العالمِ والجاهلِ ، ولا [على] النِّبِيِّ والخاملِ .

ومن أخرى : إذا رُمْتُ - أعزَّكَ اللهُ - تعزيتك عن المصابِ الحادثِ ،
 والخطبِ الكارثِ ، ذكرتُ تماسُككَ فأمنسكتُ ، واستقبلني فاجعُ
 الرزيةَ فسكتُ :

فلو شئتُ أن أبكي دماً لبكيتُهُ عليه ولكن ساحةُ الصبرِ أوسعُ
 والليالي جاريةٌ في أخذٍ ما تلدُ ، وإعدامِ ما توجدُ :
 لا بدَّ من فقدٍ ومينٍ فاقدٍ هيهات ما في الدهرِ من خالدٍ

١ ورد البيهتان منسوبين لأبي نواس في محاضرات الراغب ٤ : ٥١٣ ولم أجدهما في ديوانه .

كن المعزى لا المعزى به إن كان لا بُدَّ من الواحد
برّد الله مضجعه ومثواه، وأكرم مُتقلبهُ ومأواه، ولقاه من برّدِ النعيم ،
كالذي كان عليه من الخلق الكريم ، وسقاه من السلسيل ، مثل ما كان
يأوي إليه من المذهبِ الجميل .

وكلامُ أبي محمدٍ كَلَمَهُ رائقٌ بديعٌ ، لا يتسَمَّحُ لاستيفاءِ محاسنه هذا
المجموع .

فصل في ذكر الوزير الكاتب الماهر أبي عامر بن التاكرني واجتلاب
جملة من نثره ونظمه ، تشهد بنبله وفهمه^١ .

وأبو عامر كاتبٌ مُجيدٌ ، ومُحسِنٌ معدودٌ ، نشأ أبوه في الدولة
العامرية يفرّجُ مراتبها ، ويتدرّجُ جلاببها ، إلى أن وليَ في أيام المظفر بن
المنصور^٢ زمامَ التعقّبِ على أهل الأندلس ، فلما^٣ انقضت الدولة العامرية
وانشقت عصاها ، وأدارت الفتنة المييرة رحاها ، كان أحدَ مَنْ مرق
من ظلماتها ، وآوى إلى جبلٍ عَصَمَهُ من مائها ، فاستقرَّ ببلنسية وأميراها
مظفر ومبارك - المذكوران في أوّل هذا القسم^٤ - فانتظم أبو عامر في سلكهما ،
وشاركهما في مراتبِ ملكهما ، إلى أن أجابا صوتَ المنادي ، وخلا منهما

١ أبو عامر محمد بن سعيد التاكرني نسبة إلى تاكرنا ، وكانت قصبية كورة رده ، وقال ابن
سعيد (المغرب ١ : ٣٣٠) أنها خربت ؛ راجع ترجمته في جذوة المقتبس : ٥٦ (وبنية
الملتبس رقم : ١٣٧) . والمغرب ١ : ٣٣٢ واعتاب الكتاب : ٢٠١ وأعمال الاعلام :
٢٢٤ - ٢٢٥ .

٢ نقل ابن الأبار بعض هذا النص في اعتاب الكتاب : ٢٠١ - ٢٠٢ .

٤ انظر ص : ١٣ وما بعدها .

النادي ، فخرًا حسبما شرحته للفم واليدين ، وفرق بينهما [٦٠ ب] من أعفى الفرقدين ، وأفضى ملكهما ومُلكُ مَنْ كان بهذا الأفق الشرقي من هؤلاء العبيد المجاييب إلى عبد العزيز بن عبد الرحمن^١ الملقب بالمنصور ، فنهل أبو عامر في دولته وعلّ ، ونهض بأعباء مملكته واستقل ، وكان بينه وبين أحمد بن عباس ، كاتب زهير الفتي - المتقدّم الذكرا^٢ - مكاتبات^٣ تنازعا فيها فضل البلاغة والبراعة ، وتسابقا منها إلى غايات هذه الصناعة ، وقد أثبت منها ومن سائر كلام أبي عامر في هذا الديوان ، ما يقضي له بالإحسان ، ويشهد بتبريزه على أهل الزمان .

فصول من رسائله السلطانيات

فصل له من رقعة عن المنصور إلى مجاهد الموفق ، وقد أظلم بينهما الأفق^٣ : إن أولى الناس بالاصطلاح^٤ نفوس^٤ جُبِلت على صقودادها ، وأحقّ الذنوب بالاطراح ذنوب^٤ جُنيت على غير اعتقادها ، وإن رسولك الكريم وردني فلم يتردد^٤ عندي إلا^٤ ريثما يتقدح^٤ زند^٤ الوداد في نفسك النفيسة ، فيؤري سراجاً من الصلّة أسري به في ظلماء القطيعة .

قال أبو الحسن [ابن بسام] : وكان مجاهد الملقب بالموفق قد انتزى عا دانية والجزائر الشرقية بغيره لعبد الرحمن بن أبي عامر مولاة - حسب ذكرناه - وحظوته بذلك عند محمد بن هشام بن عبد الجبار الناصري عدواً

١ د ط س : عبد العزيز بن أبي عامر .

٢ في القسم الأول من الذخيرة .

٣ اقتبس ابن سعيد هذه الرسالة في المغرب ١ : ٣٣٢ .

٤ م : بالاصلاح .

ناقض الدولة العامرية، فشرّد على أصحابه الموالي العامريين ؛ وكان مجاهد لا يستظهر بشيء من الخزم ، بل عمّله في الأغلب من تديره بالغبلة والمناوأة ، وتحويله على المسامة ، واستراحته إلى الغدر ، فلا يزال أمره ينتفض مع لازم الحرمان الموكّل به ، حتى يردّه على عقبه ، فكم فضّ من جيش ، وأذلّ من عزيز ، وأباح من حمى ، ووجه من فتح ، يُقال له ما بعده ، حتى إذا همّ أو كرب لم يلبث أن ينحسر عنه ، ويعود في أكثر الأمر غمّة عليه ، ثم يلبد مدة فيثب كالليث ؛ له في هذا الباب كليله أخبارٌ مأثورة مشهورة ، وقد قدمنا القول فيه أنه كان أديب ملوك ذلك الزمان^٢ ؛ كتب^٣ يوماً إلى المنصور حفيد ابن أبي عامر رقعة لم يضمنها غير بيت الخطيئة حيث يقول^٤ :

دع المسكارم لا ترحل^٥ لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي [٦١]

فلما وردت الرقعة على المنصور أقامته وأقعدته ، وكاد يمزق من إهابه ، فضلاً عن ثيابه ، واستحضر أبا عامر [بن] التاكرني فقال له : تطاطأ لها تُخطئك^٥ ، واسمع المراجعة عنه ، وعنون وبسمل ، وكتب هذا البيت خاصة :

شتمت مواليها عبيد نزار شيم العبيد شتيمه الأحرار

فسلا المنصور عما كان فيه .

ولما نهض العبيد من شاطبة إلى طرطوشة واقتضت الحرب هنالك قتل

١ ط د س : عن . ٢ ط د س : ملوك وقته .

٣ وردت هذه القصة في المغرب واحتاب الكتاب والنسخ ٤ : ١٣٢ .

٤ ديوان الخطيئة : ٢٨٤ .

٥ هذا مثل ، انظر فصل المقال : ٢٢٩ والميداني ١ : ٩١ .

مقاتل^١ الصقلي^٢ ، وسيق رأسه إلى بلنسية ، كتب منذر^٣ إلى المنصور يرعده^٤
ويبرق ، فراجعه أبو عامر المذكور عن المنصور ببني أبي الطيب^٥ :

فان كان أعجبكم^٦ عامكم^٧ فعودوا إلى حمص^٨ في القابل^٩
فان الحسام الخصيب الذي قتلتم^{١٠} به في يد القاتل

وله من رقعة^{١١} خاطب بها أبا جعفر بن عباس يقول في فصل منها^{١٢} :
كثبت^{١٣} عن نفس تفيض^{١٤} بمائها ، وتجيش^{١٥} بدمائها ، وتشكو إلى الله عظيم^{١٦}
أدوائها ، غيظاً على تقلب^{١٧} الزمان ، وعجباً من تنكر^{١٨} الإخوان ، لا يلفظني^{١٩}
عجب^{٢٠} إلا إلى مثله ، ولا أنتقل^{٢١} من مستغرب^{٢٢} إلا إلى شكله ، إن أبرمت^{٢٣}
حبالاً من الإخاء ، نقض^{٢٤} المفسدون مريرت^{٢٥} ، أو ملأت^{٢٦} يدي بمن أعتد^{٢٧}
به للشدة^{٢٨} والرخاء ، أفسد^{٢٩} الواشون سريرته : [وبحق قيل] :

إذا قلت هذا صاحب^{٣٠} قد رضى^{٣١} به . وقرت^{٣٢} به العينان^{٣٣} بدلت^{٣٤} آخر^{٣٥}
كذلك جدتي ما أصاحب^{٣٦} صاحباً من الناس إلا^{٣٧} خانني وتغيرا

ولا عتب^{٣٨} على الدهر فان العتب^{٣٩} على بنيه ، والدم لازم^{٤٠} لأهليه ، والناس^{٤١}
بأزمانهم أشبه^{٤٢} منهم بأبائهم^{٤٣} .

وفي فصل منها : ولو لمست^{٤٤} العيتوق ، وأدركت^{٤٥} بيض^{٤٦} الأتوق ،

١ د ط س : قاتل .

٢ وفي نسخة طرطوشة بعد لبيب النبي ، وتلقب «سيف الملة (أو الملك)» .

٣ ديوان المتنبي : ٢٦٣ .

٤ في الأصول : مصر .

٥ د ط س : وله من رقعة إلى ابن عباس .

٦ البيهقي لامرئ القيس ، ديوانه : ٦٩ .

٧ انظر هذا القول في الشئيل والمحاضرة : ٣٠٥ .

وجئتُ بالأبلىءِ العقوق^١ ، وسمح الدهرُ لي بعجائبه ، وخصني بغرائبه ،
 ما غيرَ مني فتيلاً^٢ ، ولا رأيتُ بمن عاشرتهُ بديلاً . وأعلمني فلان بما
 فلَّ من الحدِّ ، ولففتُ له رأسي حياةً من المجد^٣ ، والله ما يصلحُ السَّبَابُ ،
 بين الأراذل والكلاب [فضلاً عن الأفاضل] ، وانك لتعلمُ علمَ يقين ،
 وانك فيَّ على سننٍ^٤ مستبين ، أني ما عودتُ قطَّ لساني ، سبَّ مَنْ نافرني^٥
 وعاداني ، ولا صرفتُ عنانَ كلمي ، ولا صرفتُ شباةَ قلبي ، إلاَّ في
 ما يطيبُ على الأفواه [عَرَفُهُ] ، ويحسنُ مع الأيامِ وَصْفُهُ [٦١ ب]
 ولاني لمقبوضُ القولِ ، ساكنُ الطائرِ ، سالمُ الجانبِ ، مستعينُ بالله على
 العدوِّ والمطالب^٦ ، وما انطويتُ عمري قطُّ على حقد ، ولا رضيتُ بنقضِ
 عهد ، ولا خيست^٧ في حلِّ ولا عقد :

وَمَرَادُ النَّفُوسِ أَصْغَرُ مِنْ أَنْ نَتَعَادَى فِيهِ وَأَنْ نَتَفَانَى^٨

١ ناظر الى المثل : طلب الابلق العقوق ، وقال الشاعر :

طلب الابلق العقوق فلما لم يجده اراد بيض الانوق

والعقوق : الفرس حين تحمل ؛ والابلق لا يحمل ، والانوق : الرخمة وهي تحرز بيضها
 فلا يصل اليه احد ، والمعنى لو انني فعلت المستحيل .

٢ ب.م : قبيل .

٣ من قول ابي تمام (ديوانه ٢ : ١١٥) .

اتاني مع الركبان ظن ظننته لفتت له رأسي حياة من المجد

٤ د ط س : سبيل .

٥ د ط س : ناهذي .

٦ ط د س : المدو الطالب .

٧ د ط س : خنت .

٨ البيت للمقنبي ، ديوانه : ٤٧٠

والدنيا^١ عندي أحقر^٢ ، وجميع ما فيها في عيني أصغر^٣ وأزور ، من أن أراحم^٤ في حطامها ، وأنفس^٥ على تكسب آثامها .

وفي فصل منها : وقد كان يلزمك^٦ أن تعرض على نفسك ، ان كنت^٧ ثلثت^٨ عدواً قط بحضرتك ، أو تنقصت^٩ مخلوقاً بمشهدك ، على طول^{١٠} المجاورة ، وكثرة^{١١} المعاشرة ، فتجعل^{١٢} ذلك عياراً لك ، وقياساً مطرداً قبيلك ؛ اللهم إلا^{١٣} إن كنت^{١٤} عددت^{١٥} ما كنا نتفاكه^{١٦} [به] جماماً للنفوس ، وتمعاطاه^{١٧} عند معاطاة^{١٨} الكؤوس ، [من] توقيع^{١٩} نادر ، وهزل حاضر ، فما أشد^{٢٠} ما غيرت^{٢١} الأيام^{٢٢} والليال ، وقلبت^{٢٣} الأقوال ، أين يذهب^{٢٤} بك الكاشحون ، وكيف يمزخرف^{٢٥}ك المزخرفون ؟ ! والله لو كنا من الأغمار ، وممن لم يحنك^{٢٦} الليل^{٢٧} والنهار ، ما وجب علينا مع الدمام^{٢٨} المؤكد ، والعقد^{٢٩} المشدد ، أن تحملنا^{٣٠} الأيام^{٣١} وخطوبها ، ولا أن تعصف^{٣٢} بنا الرياح^{٣٣} وهبوبها ، فكيف وقد حلينا^{٣٤} شطور^{٣٥} الدهر ، وعرفنا^{٣٦} أحوال^{٣٧} العسر^{٣٨} واليسر ، واعرورينا^{٣٩} ظهور^{٤٠} العرف^{٤١} والنكر ، وركبنا^{٤٢} متون^{٤٣} البر^{٤٤} والبحر ، وجمعنا^{٤٥} الشدة^{٤٦} والليان ، وحالت^{٤٧} علينا^{٤٨} حالات^{٤٩} الأزمان ، وأرضعنا^{٥٠} بلبانها^{٥١} الكؤوس^{٥٢} ، وتصرفنا^{٥٣} مع الرئيس^{٥٤} والمرعوس ، فلم يكن^{٥٥} في خلال^{٥٦} ذلك^{٥٧} كلفه^{٥٨} إلا نظام^{٥٩} متسيق^{٦٠} ، وأمر^{٦١} متفق^{٦٢} ، وشعب^{٦٣} ملتئم^{٦٤} ، وسلك^{٦٥} منتظم .

وفي فصل منها : ولقد شهدت^{٦٦} فلاناً^{٦٧} ينحي^{٦٨} عليك ، ويتسب^{٦٩} كل^{٧٠} مكروه^{٧١} إليك ، بغاية^{٧٢} السب^{٧٣} ، ونهاية^{٧٤} الثلب^{٧٥} ، فقلت^{٧٦} له : بفيك^{٧٧} الحجر^{٧٨}

١ ط د س : وإن الدنيا .

٢ د ط س : يجب .

٣ د ط س : وتمعاطاه معاطاة .

٤ ط د س : وارتضعنا .

٥ ط : شهدت أن .

والأثلب^١ ، فخرج وهو يجمجم^٢ ، كالمتهيم^٣ لي يزعمه ، ولم يختلج قط
في صدري تلك الحماقات ، ولا شغلت سرّي تلك الهنات ، يعلم ذلك
من عنده مغيبات الأمور ، ولديه خفيات الصدور . ولقد كنت أشفق^٤
عليه وأحرص^٥ على خيره ، وكانت ظنونه^٦ على حسب سريرته ، وتوهمه^٧
بمقدار معتقده ، وبحقّ يقول أبو الطيب^٨ :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه^٩ وصدق ما يعتاده^{١٠} من توهم^{١١} [١٦٢]
وعادى محبته بقول عدّاته^{١٢} وأصبح في ليل من الشكّ مظلم
فسلط^{١٣} لسانه ، وصدق ظنونه ، وبلغتني قوارضه فلم أقارضه^{١٤} رغبة^{١٥}
في فيثته^{١٦} ، وحرصاً على رجعتته^{١٧} ، وأما أنت فعذرُك يضيق ، وأنت
الحميم الصديق ، وقد كان انتهى اليّ ما عميرت^{١٨} به مجالس^{١٩} فيها الرئيس
والمرءوس ، وأنت بها المنادم^{٢٠} والجليس ، فقلت لمبلغ^{٢١} ذلك : هيهات !
أبت الأعراف الزكّية ، والأخلاق السنية^{٢٢} ، أن أتنتقص^{٢٣} بحضرتها ، أو
يُنسب^{٢٤} إليّ الكذب^{٢٥} بمشهدها ، فلما انتهى إليّ تصديقك^{٢٦} ما نقله الواشون ،
وأفكته^{٢٧} الحاسدون^{٢٨} ، والله المستعان^{٢٩} على ما يصفون^{٣٠} ، وستكتب^{٣١} شهادتهم
ويُسألون ، قلت : صيّرت^{٣٢} وطاب^{٣٣} المروّة ، ودّرست^{٣٤} آثار^{٣٥} الأخوة ،
وطمست^{٣٦} أعلام^{٣٧} الرعاية ، وتفقّت^{٣٨} سوق^{٣٩} السّماية .

١ الاثلب : التراب والحجارة أو فتاتها .

٢ ديوان المتنبّي : ٤٥٦ .

٣ ط د س : فصدق .

٤ ط د س : والمنادم .

٥ ط د س : الزاكية السامية .

٦ ط د س : الحاسرون .

٧ انظر الآية : ١٨ من سورة يوسف .

وفي فصل منها^١ : ومن أعجب المعجائب ما يتصل بنا عنكم على السنة العامة وكثير من الخاصة ، بما لا أصل له ، ولا شبهة تصح منه ، فالأنفسُ سليمٌ ، والألسنُ حَرَبٌ ، ولو اتصلت المداخلة لارتفعت الشبهة ، ولم تبقَ لمتخلق حيلة ، ولا صار الكذب قُرْبَةً ووسيلة ؛ وقد كنت بفضلك حَضَضْتَ على فتح باب الصلَّةِ ، والتعهد بالرسُلِ لاستحكام المقَّةِ ، فامتثلنا ذلك حسبما حَضَضْتَ ، وصرنا إلى ما إليه نددت^٢ ، رغبةً في تأكيد الخلةِ ، وحرصاً على حَسْمِ كلِّ عِلَّةٍ ، ووافقنا من المنصورِ — أيده الله — نفساً جانحةً إليكم ، وسريرةً حريصةً عليكم ، فعميدُ الدولة — أعزّه الله — عمه الحاني ، وأهله الداني ، فلم تُتَقَبَلِ الرسلُ عنكم بواجب القبول ، ولا تُؤوَّلَ أمرهم على أجمل تأويل ، فمالك أنت أبا جعفرٍ لا تجدُ ذلك الوصلَ ، ولم لا تصلُ ذلك^٣ .

السنة أهل الزور ، وتحقق ما تُنَسِّقُه^٤ الأباطيل ؛ حتى يدوح^٥ في معرض الصدق ، ويشمل^٦ السداد ، ولا ينفق سوق الكساد . ربت قطباً عليه يدار ، ورأيك سراجٌ به يُستنار . وما خاطبتك إلا مشفهاً من جبل وصله الله أن ينقطع بالباطل ، وودَّ أخلصه الله أن يتغير ناقل . فان هذا إن تمادى بحسبه . وبقي التنافر والاستيحاش على شخصه . تعظم الدائرة ، وتتفاقم النائرة . وتزل القدم ، ولا ينفع الندم ، وما أخص بقولي هذا فريفاً . ولا أوردُ إلا تحقيقاً ، والله يكشف الغطاء عن قلوب قد رينَ عليها ، وزينَ الشيطان^٧ . أدب الفساد إياها .

١ وفي فصل منها : سقطت من د ط س .

٢ ط د س : أشرت .

٣ د ط س : وتحقق . . . تنمقه .

٤ ط د س : ويشتمل .

فأجابه أبو جعفر [ابن عباس] برقعة يقول^١ فيها : وقفتُ على ما
أومأت إليه وصرحت في طي التعريض ، وبه ما ترجفُ العامة بإخطارٍ
[٦٢ ب] ذكره ، وتهتفُ بعضُ الخاصة بالتحرز^٢ من كونه ، وفي مثله
يقول القائل :

لاني أرى شجراً تورّدَ غُصْنُهُ أُخْلِقُ به متورداً أن يشمرا
وإذا السماء تمخضتُ ببروقها ورعودها فجديرةٌ أن تمطرا

كلا أبا عامر ، قرب صلتف تحت الراعدة^٣ ، وما كلُّ بيضاء شحمة^٤ ،
وإن كانت ناصعة ، ولا وعمرك أبا عامر ، أطالته الله على حكمك ،
ما ينثني علينا في هذه الجملة خنصر^٥ ، ولا يؤثّرُ عنّا فيها حديثٌ مُسنَدٌ^٥ ،
ولا نحن إلا في حيز السماع المستفيض ، وأغلبُ ظنوننا فيه التكذيب ، وإن
كان الظنُّ أكذب الحديث ، وعنوان أحوالنا عندكم ، وسيرنا مقدود^٦ ،
من أديمكم ، فلا تسأل عما لدينا غيركم ، ولا تقس علينا إلا بما قبلكم ،
والمرجفون كثير^٧ ، والناس إلى الشرّ سراع ، ورياح أهوائهم تنثني^٨
سحاب التكذيب ، وتبتدر أخلاف التضريب ، وحق هؤلاء أن تستف
سبأهم^٩ ، وتخلع على أفتائهم^٦ نعالهم ، وهذا رأيي فيهم ، فاحكم^{١٠}
بفتواي عليهم ، وضعهم على يدّي عدل يعدل فيهم ، وأصغ إلى من

١ د ط س : قال .

٢ د ط س : بالتحذير .

٣ انظر أمثال الميداني ١ : ١٩٨ وفصل المقال : ٤٣٠ ، والمسكري ١ : ٣١٦ والجمهرة ٢ :

٢٥٠ ، والصلف : قلة الخير .

٤ انظر أمثال الميداني ٢ : ١٥٦ .

٥ ط د س : يذكر .

٦ د : أعقابهم .

يَعْرِضُ عَلَيْكَ ذَاتَ نَفْسِهِ ، وَيَطْلَعُكَ عَلَى بَنَاتِ صَدْرِهِ ، وَدَعْنِي مِنَ
 التَّعْرِيجِ عَلَى قَوْمٍ يُنْتَفِقُونَ سَوْفَهُمْ ﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ
 أَنْفُسَهُمْ ﴾ (النساء : ١٠٧) وَجَمَلَةُ الْحَالِ وَتَفْصِيلُهَا : ذَلِكَ الْعَقِيرُ^١
 الْبَرْشَلُونِيُّ مُسْتَرَابٌ ، وَالتَّدَاوِي بِهِ دَاءٌ عِيَاءٌ ، وَلَوْ صَرَفْتَ عَنَّاكَ إِلَى
 سِدِّ^٢ ذَلِكَ الثَّغْرِ وَالْبَرَاءَةِ مِنْهُ ، لِأَخْرَسْتَ أَلْسِنَةَ الْمَرْجُفِينَ ، وَابْطَلْتَ
 زُخْرَفَ الْمُخْرَقِينَ ، فَهَذِهِ^٣ عَيْنُ الْخَبْرِ ، وَمَكَانُ النَّظَرِ ، فَمَا بَالُنَا نَجْعَلُ
 الْعِتَابَ بُدْءَ نَطِيفٍ بِهِ ، وَنَنْسَجُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الصِّدْقِ حِجَابًا نَتَنَاجَى مِنْ خَلْفِهِ !
 وَالسُّرُّ دُونَ الْفَاحِشَاتِ وَمَا يَلْقَاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سِتْرٍ^٤

وَأَتَى لَكَ^٥ بِتَكْذِيبِ مَا شَاعَ ، وَتَزْوِيرِ مَا اسْتَدَاعَ ؟! وَقَدْ سَدَدْتَ عَلَيَّ ثُنَايَا
 الْجَبَلِ^٦ ، وَصَكَّكَتَ سَمْعِي بِهَذَا الْمَثَلِ :

قَدْ قِيلَ مَا قِيلَ إِنْ صَدَقْنَا وَإِنْ كَذَبْنَا فَمَا اعْتَدَارُكَ مِنْ قَوْلٍ إِذَا قِيلَ^٧
 وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكَ نَصْحِي بِصِدْقِ مَقَالِي^٨ ، وَأَخْوَكَ مِنْ صِدْقِكَ^٩ ،
 فَإِنْ كُنْتَ فِي مَا نَدْبَتْنِي إِلَيْهِ مُسْحِقًا ، وَأَرَدْتَ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى ، فَمَا أَخْلَقَكَ

١ العقير كالعقار : الدواء .

٢ د ط س : صدقت . . . سر .

٣ د ط س : فهو .

٤ البيت لزهير بن أبي سلمى ، ديوانه : ٩٥ .

٥ ط س د : لي .

٦ د ط س : الحيل .

٧ انظر فصل المقال : ٩٢ ، وهو مما قاله النعمان - فيما يحكى - ردأ على الربيع بن زياد ؟

ط د س : إن حقاً .

٨ د ط س : سر نصحتي بصديق مقالتي .

٩ في المثل (الميداني ١ : ١٦) : أخوك من صدقك النصيحة .

بهاتين الصفتين ، فاقدح لي أضيء لك^١ ، وكن مثلي أكن مثلك ؛ ولا تمنحني
 معي أن تقول : تزل القدم ، ولا ينفع الندم ، فإني أذكرك [٦٣ أ]
 قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾
 (الانفال : ٢٥) ولا تكلفني دفع العيان ، وتلزمي إقامة البرهان على
 كل محال ، فكل شيء يجوز تكليفه الإنسان إلا ما لا يُستطاع ، وعند
 الله أحتسب موعظتي ، وهو المجازي على نيتي .

فراجعه أبو عامر ثانية برقعة [أخرى] يقول^٢ فيها : وَرَدَ كِتَابُ
 كَرِيمٍ لَكَ قَدْ ضُمِّنَ مِنَ الْآدَابِ عِيُونًا ، وَاسْتَوْدَعَ مِنَ الْإِغْرَابِ فَنُونًا ،
 فَوَقَفْتُ مِنْهُ عَلَى تَرْجِيمِ الظَّنُونِ ، وَفِي حَيْرَةٍ بَيْنَ الشُّكِّ وَالْيَقِينِ ، وَقُلْتُ :
 هَذِهِ بَدَعُ الْمُتَطَرِّقِينَ ، وَتَكَلَّتْ الْمُتَفَلِّسِينَ ، طَوْرًا لِإِيْمَاءٍ وَتَلْوِيحٍ ، وَطَوْرًا
 لِإِفْصَاحٍ وَتَصْرِيحٍ ، وَكَلَّمَا نَظَرْتُ فِيهِ ، وَفَكَّرْتُ فِي مَعَانِيهِ ، اسْتَنَكَّرَ مَعَ
 الْعُرْفَانِ ، وَاسْتَعْجَمَ عَلَى نِهَائَةِ الْبَيَانِ ، فَقُلْتُ : لَا غُرُو قَدْ يُنْكَرُ اللَّيْثُ
 فِي قَرَارِهِ ، وَيُعْرَفُ الْهَلَالُ فِي سَرَارِهِ ، وَلَا بَدَّ مَعَ الْبَحْثِ أَنْ أُصِيبَ
 غَرَضًا ، أَوْ أَنْ أَكُونَ دُونَهُ حَرَضًا^٣ ، فَلَمَّا غَضَّتْ فِي بَحَارِكِ ، وَأَمْضَيْتُ
 فِكْرَتِي^٤ فِي مِضْمَارِكِ ، وَقَعَ السَّهْمُ فِي غَرَضِيهِ ، وَوَلَّاحَ الْحَقُّ فِي مَعْرَضِهِ ،
 وَبَدَأَ لِي أَنْ مَا خَاطَبْتُكَ بِهِ لَمْ يُوَافِقْ قَبُولًا ، وَلَا كَانَ عَلَى الصَّدَقِ مَحْمُولًا ،
 وَلَيْسَ الْكُذْبُ مِنْ شِيْمِي ، وَلَا الْمَدْقُ^٥ — بِحَمْدِ اللَّهِ — مِنْ كَلْمِي ، وَبِاللَّهِ
 مَا خَاطَبْتُكَ إِلَّا شُحْحًا ، وَلَا أَسْمَعْتُكَ إِلَّا نُصْحًا ، فَمَنِيتُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَكُونَ

١ عكس للمثل : اضيء لي اقدح لك ، انظر فصل المقال : ٢٠٥ والميداني ١ : ٢٨٥ والعسكري

١ : ٣٦ .

٢ د ط س : قال .

٣ ناظر الى الآية : ٨٥ من سورة يوسف .

٤ د ط س : وأنضيت فكري .

بسوقٍ كاسدة ، وَمِنْ قِبَلِكَ بِ « رَبِّ صَلَفٍ تَحْتَ الرَّاعِدَةِ » ، وكَلَامًا
والله ما رَعَدَتْ لَنَا سَمَاءٌ ، وَلَا تَكَدَّرَ لَنَا مَاءٌ ، وَلَا قَصِدَتْ بِخَطَابِي مَقْصِدًا
التَّهْدِيدِ ، فَالصَّدَقُ يُنْبِي عَنْكَ لَا الْوَعِيدُ ١ ، بَلْ خَاطَبْتُكَ بِقَلْبِ سَلِيمٍ ،
ووثبتُ لكَ على عهدٍ كريمٍ .

وفي فصلٍ منها : ومن العجبِ قولك : اقدحُ لي أضيءَ لك ، ولقد
قدَحْنَا لَكُمْ فَأظلمتم ، وحفظنا ذمامَكُم فضيعتُم ، ووصلنا فهجرتُم .
وقربنا منكم فبعدتُم ، وربَّ رسالةٍ أنشأناها رغبةً فرغبتُم عنها ، ورسولٍ
ملطفٍ قصدَ جهتكم طار بجناحِ الخزي ٢ منها ، بعد الترقيبِ عليه ، وإظهارِ
التشاؤمِ إليه ، ونحن على ذلك نفتلُ في الغاربِ والذروة ، ونزدادُ وصلًا
على الجفوة ، ونلينُ على القسوة ، ونصبرُ للأذى ، ونُغمِضُ على القذى ،
إن عاتبناكم لم تُتقلِّعوا ، وإن استعتبناكم لم تَرَجِّعوا ، بل تركبونَ الهياج ،
وتتأزَمون ٣ اللجاج .

ومن أغربِ ما به احتججتُم ، وأعجبِ ما به لهجتُم ، تكررُ فلان علينا ،
وتردُّدُهُ لَدِينَا ، كأنكم جهلتم القومَ وأطماعهم ، ولم تعلموا تطرُّقهم ٤
وانتجاعهم ، وأنهم يتعلَّلون بأدنى سببٍ في المراسلة ، امترأءَ لأخلافِ
العطاء ، وذريعةً لاستجزالِ الحياء ، وقد شُهرَ هذا من فعلهم ، في كلِّ
جهةٍ تكون من سلمهم ٥ ؛ فما [٦٣ ب] بالنَّا نُخصِّصُ بهذه اللائمةِ
وجنايتها ٦ عليكم ؟ والإنصافُ يقبلُ مدَمَّتْها عليكم ، أَلَمْ تُسَلِّمُوا مَنْ

١ انظر في هذا المثل ، فصل المقال : ٤٤٨ ؛ والميداني ١ : ٢٦٩ والعسكري ٢ : ٣١ .

٢ ب م : الجري .

٣ د ط س : وترسلون .

٤ التطرق : اتخاذ الطريق .

٥ د ط س : في سلفهم .

٦ د ط س : وغباثتها .

كان بكم مشتد^١ بعد العهود المؤكدة ، والمواثيق المشددة ؟ فاحتل العدو - قصمه الله - جهة لم تخطر^٢ ببأله ، واستصريحتم فلم تُصريحوا ، واستنجدتم فلم تُنجدوا ، والنعم تُنتسِفُ ، والستورُ تنكشفُ ، والدماءُ تُسْفَكُ ، والحرمُ تنتهكُ ، والإسلامُ يعلّزُ علن^٣ المحتضر ، وأهلهُ للشركِ كالهشيمِ المُحتَطَر ، فلا حرمةَ الإسلامِ رعيتم ، ولا ذمامَ المشاركةِ قضيتم . فلم تعدّون ذلك من ذنوبنا ، وتبثونَ بذلك رُسُلَكُم في البلادِ ، وتنادون هلمّ إلى الجهادِ ، تقولون بأفواهِكُم ما ليس في قلوبِكُم . واللهُ يعلمُ ما تكتُمون ، بل تدبّون الضراء ، وتُسِرّون حسواً في ارتغاه . كلُّ ذلك بمزأى ومسمع منا ، وغيرُ غائبِ عنا ، ولا نزدادُ مع حركتكم إلاّ سكوناً ، ومع تخشنتكم إلاّ ليناً ، فأبقوا على الودّ ما دام بوفائه ، وصبونوا جمالَ الحالِ ما بقيَ بمائه :

ولا توبسوا بيني وبينكم الثرى فان الذي بيني وبينكم مئري^٤

والعدو الذي حذرتم نحنُ أشدُّ حذراً منه ، وأعظمُ نفاراً عنه ، فقد صحَّ عندنا من أمرِهِ ، ما يضيقُ الصدرُ بحمله ، فيا للمسلمين ! تعالوا إلى التعاونِ ، واتفقوا ولا تفرّقوا . واتقوا عاقبةَ الخذلانِ . وقد ناديتُ إن اسمعتُ ، ونصحتُ بقدرِ ما استطعتُ ، فان وافقتُ قبولاً ، ولقيتُ تأويلاً جميلاً ، فان الخيرَ عتيدُ ، والتناولَ غيرُ بعيدُ ، وإن كان للهوى سلطانُ ، وللتعسفُ

١ د ط س : مستبدأ .

٢ ب م : تخطر . ٣ يماز : تأخذه كربة الموت ؛ ب م س ط د : يملق على .

٤ ناظر الى الآية : ١٦٨ من سورة آل عمران .

٥ في هذا المثل انظر فصل المقال : ٧٦ والميداني ٢ : ٢٥١ .

٦ البيت لجرير ، ديوانه : ٤٢١ وامالي القالي ١ : ٩٤ والسبط : ٢٩٢ واللسان (ثرى) .

عدوان ، فأخلىقُ بالأمةِ العزمِ أن يتدرعها مدركٌ لا يضام ، وميخربٌ
لا ينام^١ ، يقتحمُ النارَ ، ولا يخشى العارَ ، في يومٍ لا تطلعُ شمسُهُ ،
ولا يذكُرُ أمسه :

تبدو كواكبهُ والشمسُ طالعةٌ لا النور نورٌ ولا الإظلامُ إظلامٌ

وحينئذ تستغربُ ما إليه أشرت ، وتستهل^٢ ما منه حدّرت ، من استعمال
العقير البرشلوني على ما نهجت الحكماءُ عند إعضالِ الداء ، من استعمال
السّموم في أثناءِ الدواء ، ليتفقَ مزاجها ، وينفذَ علاجها ، فإن كان ما
يحاولونه من التدبير ، سبباً لذلك العقير ، فهو قريبٌ عتيد ، وإن كنتم
على ما عهدنا فهو من جهتنا نازحٌ بعيد ، وهذه جملةٌ مفصلةٌ ، وحقيقةٌ
محصلةٌ ، فإما ألفةٌ وانتظامٌ^٣ ، وانفاقٌ يحيي رمقَ الإسلام ، وإما داعيةٌ
تلفٌ ، وراعدةٌ صلفٌ^٤ ، وهنالك نزلُ القدم ، ولا ينفعُ الندم .

فراجعهُ ابن عباس أيضاً [٦٤ أ] برقعةٍ يقول^٥ فيها : التصدير
— أعزك الله — بـ « كتابي » و « كتبت » ، وتوشحهما بـ « كان » و « كنت »
بِشْرٍ يرفُ على صفحة التملق زبرجهُ ، وسرابٌ يحسبه الظمانُ ماءً^٦
فيستدرجه :

١ ناظر الى قول المتنبي :

لا افتخار الا لمن لا يضام مدرك او محارب لا ينام

٢ د ط س : يستغرب ويستهل .

٣ د ط س : ونظام .

٤ ب م : دون صلف .

٥ ط د س : قال .

٦ ناظر الى الآية : ٣٩ من سورة النور .

ولا يغرركَ ذو مَلَقٍ وبشرٍ يقولُ وليس يعدو أن يقالا

فتحتَ رغبةَ التصنُّعِ لبناً صريحاً^١ ، وعلى أديمِ التحقيقِ شعاراً سليماً ، وبين
أثناءِ المناقلةِ جدّاً كالقدَرِ ينزلُ بكرةً وأصيلاً ، وفي تضاعيفِ المساجلةِ
هزلٌ كالنسيمِ الخَصيرِ يُهدي الشفاءَ قليلاً قليلاً ، وفي استرسالِ الصديقِ
سلوةٌ بالغةٌ ، وجناتُ عتابِهِ حلوةٌ سائغةٌ ، وإن أنحيتَ فيه على خَشِينِ
مِبرِدٍ ، وأرجتَ شمائلكَ التي هي جامدُ البَرَدِ ، ودبَّ بِشْرُكَ منه
بنفَسٍ متداركٍ ، وأثرتَ عنه بعيرَ الكلمِ وهو باركٌ ، وساورتني ضئيلةٌ
بيانك^٢ ، وألقيتُ السَلَمَ إلى سلاطةِ لسانك ، وبرئتُ إليك من عُهُدَةٍ
قيصريِّ عن ساحةِ طوليكَ وعَرْضِيكَ ، وشهدتُ لك تطامنَ سَمَائِي عن
قرارةِ أرضِكَ :

فما حَسَنَ أن يمدحَ المرءُ نَفْسَهُ ولكنَّ أخلاقاً تُدَمِّمُ وتُمدِّحُ

وكلُّ ذلكَ لأشُقَّ كمامةَ صبري لك عن زهرةِ كلفي بك ، وأندرعَ
مُفاضةَ الاحتمالِ منك جُنَّةً بيني وبين الشماتةِ فيك ، هذا - أعزك
الله - حُكْمُ الصداقةِ التي وَضَعْتَ يدَكَ على رُمَّتِها ، وخلعتَ نجادَ
هواك على قمتها ؟ فان أَسْمَحَ قيادك ، وأنيسَ شِرادك ، وأجريتَ في
روحِ الإخاءِ نَفْساً ، وَجَرَرْتَ على أديمِ الوفاءِ يداً مَلْساً ، فبجميلِ
ذكركَ أبداً وأختمَ ، وفي حَيْزِ رضاك أُطيرُ وأجُمُ . وأما فَعَقَعْتَكَ أباً عامراً

١ من المثل : تحت الرغبة اللبن الصريح (انظر امثال العسكري ١ : ٢٧٠ تحقيق ابو الفضل
ابراهيم) يضرب مثلا للامر تظهر حقيقته بمد شفائها .

٢ من قول النابغة :

فبت كأنني ساورتني ضئيلة من الرقش في اذياها السم ناعم

بشنان الشُّركِ ، واعتصامك^١ بغيرِ حبلِ^٢ الله ، وإزعاجك بكتائبِ
الروم ، وإبراقك بالإجلابِ على ملّةِ التوحيد ، وإيعادك بمدرك لا يضام
يدرّع لأمةَ العزمِ ، ومِحْرَبٍ لا ينام يقنحمُ النار ، ولا يجتنبُ العار ،
فاتقِ الله يحميك ، أليسَ الله^٣ بالمرصاد ، أم اتخذتَ على الغيبِ حميلاً ،
وأثبتتَ على الحججِ ظهيراً ؟ وكفاك بهذا البيانِ سحراً في بابِ الجدل ،
وحسبك به فخراً على من تقدّم وتأخر ، وأما التخويف من اقتراب الساعة
بزلزلةِ الافرنجِ دَفْعَةً ، وبتقِ الجبلِ فوقَ رؤوسنا كأنه ظلّةٌ ، فنازلةٌ
تُحركُ لها حوارَ الإيمانِ [فيحنُّ]^٤ ، وطامةٌ كبرى يعجُّ لها الإسلامُ
ويضحُّ ، فبعضهم أولى ببعضٍ ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾^٥
(المائدة : ٥١) بحكمِ النصِّ ؛ فدعُ ضَرْبَ مثلِ السوءِ [٦٤ ب] لنا ،
وعُدْ إلى ما هو أليقُ بكم وبنا ، فعلى الانصافِ من نفسه أدلّةٌ واضحةٌ ،
وعلى الحقِّ بين المنصفين سبيلٌ^٦ لائحةٌ ، واذكرْ شئونَ أحوالنا الأوّلِ ،
ورفرف بخوافي الرجاءِ وقوادِمِهِ على أيماننا القدمِ :

وقلْ لخيالِ الحنظليةِ ينصرفُ إليها فاني واصلٌ حَبَلٌ مَنْ وَصَلُ
فلا أعرفنسي إن نشدْتُكَ ذمّي كداعي هديلٍ لا يُجَابُ^٧ ولا يملُ

١ ب م : وحذواتك .

٢ ب م : حزب .

٣ ط س د : هو .

٤ فيه إشارة إلى الآية : (واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة) الاعراف : ١٧١ .

٥ من المثل : حرك لها حوارها تحن (انظر امثال الميداني ١ : ١٢٩) ، والحوار : ولد

الناقة ، ومعناه : ذكره بمض اشجانه يبع له .

٦ د ط س : سبيل .

٧ ط س م : كراعي هديل ؛ د : كراعي هديل ؛ ط د س : يخاف .

فأما أبا عامر وقد نحت أثلة الشك^١ لتستيقن ، وقرعت مَرَوَّةَ الحديث لتستثبت ، فلأصدقك^٢ سين^٣ بكري^٤ ، استنامة^٥ إلى صدقك ، ولأطلعنك^٦ على مثل ما أطلعت من غيبك ، وأقول لك قول من زف^٧ إليك ودّه براحة ثقته ، وأنباك^٨ ما عنده بلسان صداقته ، وقد تُعدي الصحاح^٩ مبارك^{١٠} الجرب^{١١} ، ويغفر^{١٢} الله ظنوننا^{١٣} فبعضها^{١٤} إثم^{١٥} ؛ وفي هذين المثليين كيفية بدء الحال^{١٦} وعودها^{١٧} ، وجماع^{١٨} ما يعبر^{١٩} به عن حورها^{٢٠} وكورها^{٢١} ، وتحت جملتها^{٢٢} تفصيل^{٢٣} طويل ، وتفسير كثير ، بعيد^{٢٤} مرآته^{٢٥} عليك^{٢٦} قريب^{٢٧} :

فنجي^{٢٨} الفؤاد^{٢٩} يعلمه^{٣٠} العا^{٣١} قل^{٣٢} قبل^{٣٣} السماع^{٣٤} بالإيماء^{٣٥}
ولهذا^{٣٦} اكتفى^{٣٧} البليغ^{٣٨} من الإسهاب^{٣٩} فيما^{٤٠} يريد^{٤١} بالإيماء^{٤٢}

غير أن الكتائف ترفض^{٤٣} عند^{٤٤} المحفظات^{٤٥} ، والعجلة^{٤٦} تُترك^{٤٧} تبركاً^{٤٨} بالأناة^{٤٩} ، وإذا استكففت^{٥٠} حاجب^{٥١} أفقنا^{٥٢} بيد^{٥٣} رفك^{٥٤} ، وأومات^{٥٥} إلى^{٥٦} جونا^{٥٧} برجع^{٥٨} طرفك^{٥٩} ، أدرت^{٦٠} دراري^{٦١} الوداد^{٦٢} في^{٦٣} مناطق^{٦٤} أفلاكها^{٦٥} ، وتركت^{٦٦} أعلام^{٦٧} الوفاء^{٦٨} ثابتة^{٦٩} على^{٧٠} أساسها^{٧١} ، وجلوت^{٧٢} أعراس^{٧٣} الإخاء^{٧٤} في^{٧٥} أحسن^{٧٦} معارضها^{٧٧} ، فما^{٧٨} لنا^{٧٩} لا^{٨٠} نُقر^{٨١} الطير^{٨٢} على^{٨٣} وكُناتِها^{٨٤} ، وننكب^{٨٥} عن^{٨٦} الأفاعي^{٨٧} العزم^{٨٨} فلا^{٨٩} نطو^{٩٠}ها^{٩١} في^{٩٢} مراصدها^{٩٣} ، ونجانب^{٩٤} عن^{٩٥} بنت^{٩٦} الطريق^{٩٧} إلى^{٩٨} أمها^{٩٩} ، ونسري^{١٠٠} سُرى^{١٠١} النجوم^{١٠٢} على^{١٠٣} سمّتها^{١٠٤} ، ونعود^{١٠٥} إلى^{١٠٦} التي^{١٠٧} هي^{١٠٨} أعدل^{١٠٩} سنّاً^{١١٠} ، قبل^{١١١} أن^{١١٢} يسبق^{١١٣} السيف^{١١٤} العدل^{١١٥} سفها^{١١٦} :

١ د ط س : اثلتنا .

٢ من المثل : صدقي سن بكره ، انظر فصل المقال : ٤٥ والميداني ١ : ٢٦٥ .

٣ انظر ص ١٦٢ الحاشية : ٣ . ٤ د ط س : ذنوبنا .

٥ البيتان لابن الرومي ، ديوانه ١ : ١١٤ .

٦ من قول القطامي : وترفض عند المحفظات الكتائف ؛ وممنه تتحلل الاحقاد والسخائم عند حلول الامور التي تستدعي الغضب ؛ انظر ديوانه : ٥٥ وفصل المقال : ٢١٤ والسمط : ٩٠٣ واللسان (كتف) .

٧ : د ط س : مصادرها .

فانّ النارَ بالعودين تُسَدُّ كى وانّ الحربَ مبدأها الكلام^١

فلنحرم ثغرَ اليقين بجهدِ الشكِّ فيه ، ونسدّ ثنايا النفاقِ على منفقيه ،
حتى ييأسَ أهلُ هذه البضاعةِ عن مساعي نائمهم ، ولا يجدوا محزاً^٢ لشفارهم ،
وكلُّ ذنبٍ دونَ الذمِّ لَمَمٌ^٣ ، والسهمُ لنا ما لم يُسَبِّضِ الوتر ، وان حلبنا
لم نردّ في الضرعِ اللبن ، ولولا هناتُ سَلِّ العتابِ بيننا سخائمها ، وألانَ
تعاطينا النصفةَ شكائِمها ، لاختالت^٤ المنافرةُ^٥ بيهجتها وأزّينت ، ودارتُ
رحى الفتنةِ في قُطبها على ما خيّلتُ ، وإني وإن تقلدتُ بك الخطابِ
عن نفسي ، فتَبَّحتُها كنايةً^٦ إليها أشيرُ برمزي ، ومركزُ [٦٥ أ] حوالية^٧
أديرُ معاني لفظي ، ولم أتيهم صعيدَ هذه الغيطان فتمسحتُ بتربه ، ولا
انخرطُ في سلك الانطباع فتفصلتُ بين دُرِّه بشدره ، إلاّ وقد وُلّيتُ
فصلَ الخطابِ والحكومةَ باجماع ، ورضينا بما لنا و [ما] علينا في القضيةِ
دون ثانٍ^٨ ، ووُضِعَتْ واسطةُ القلادةِ لتعدّلَ ، ويكفي منها ما أحاط
بالعق^٩ ، فاذا ذكر المثلَ فهو لفظٌ يجمع بين معنيين ، وجنسٌ يشتملُ على
نوعين ، أشيرُ لك إليهما بقول الأول :

١ من أبيات تنسب لنصر بن سيار ، انظر مروج الذهب ٦ : ٦٢ وفصل المقال : ٢٣٣ .

٢ من أبيات تنسب لعماد الدين ابن الجوزي .

٣ من أبيات تنسب لعماد الدين ابن الجوزي .

٤ من أبيات تنسب لعماد الدين ابن الجوزي .

٥ من أبيات تنسب لعماد الدين ابن الجوزي .

٦ من أبيات تنسب لعماد الدين ابن الجوزي .

٧ من أبيات تنسب لعماد الدين ابن الجوزي .

٨ من أبيات تنسب لعماد الدين ابن الجوزي ، انظر الميداني ١ : ١٣٧ .

خليليَّ إنسانانِ دَينِي عليهما مليتانِ لو شاءَ لقد قضياي^١
خليليَّ أمسا أمٌ عمروٍ علمتها^٢ وأما عنِ الأخرى فلا تسلاني

وحقُّ هذه النكتِ الكامنةِ في ضميرِ القوَّة أن تخرجَ إلى حدِ الفعلِ بمرَّةٍ ،
ولا تُلوَّى فتتراخى كأولِ وهلةٍ ، فيُحتاجُ في المستأنفِ إلى عملٍ ، ويعيدُ
القضيةَ جدَّةً من ذي قبلٍ ، والله تعالى يُمسِكُ رَمَقَ الإسلامِ في هذه
البقعةِ ، وَيُثْقِلُ عَثْرَتَهُ بِالْهَامِ أهله إلى ما هُمُّ عنه في غمرةٍ .

قال أبو الحسن [ابن بسام] : وذكر بعضُ الرواةِ من نقلتِ الأخبارِ أن الواثقَ
لما رأى أحمدَ بنَ الحصبِ الكاتبَ يوماً يمشي بين يديه تمثلاً بالبيتينِ
المتقدمين ، فبلغ ذلك سليمانَ بنَ وهبٍ فقال : أنا والله تلك الأخرى ،
إننا لله وإننا إليه راجعون ، قالوا : فنكبهما بعد ذلك بأيامٍ .

وله فصل من رقعةٍ عنه إلى [ابن] مجاهدٍ : [واتصل بي الحادثُ]
على^٣ القاضي أبي العباس - رحمه الله - فقصم ظهري ، وجلَّ مصابهُ
عندي ، وعلمتُ موضعَ فقده من نفسك العزيزة - حرسها الله - وأشفتُ
من ذلك أشدَّ الأشفاق ، واحترقتُ نفسي [له] أبلغَ الاحتراق ، وعلمتُ
أنه لا بدَّ في^٤ مفارقةِ الإخوانِ وثقاتِ الخدمَةِ والأتباعِ ، مع طولِ الصحبةِ
وموافقةِ الطباعِ ، من لوعةٍ تلدعُ الكبدَ ، وتفتُّ العضدَ ؛ لكنَّ مَنْ كان

١ البيتان في الاغانى ٢٣ : ٥١٦ ورواية الاول : من الناس إنسانان ؛ ويروى الشعر لابن
الدمينة ، انظر ديوانه : ٣١ ، ١٧٠ .

٢ الاغانى : فمئهما .

٣ ط س د : عن .

٤ في النسخ : من .

في قوى نفسه على خليقتك ، وجرى في اعتبار^١ الدنيا على طريقتك ، فهو يلقى خطوبَ الدهرِ ، بمجنّ من الصبر ، إذ قد ذاق حُلُوها ومُرّها ، وخبَرَ صَفْوَهَا وكَدَرَهَا ، فليس حَدَثُ الزمانِ عنده بِسُكْرٍ ، ولا خطبه لديه بِمَنكرٍ ، وهو كما قيل :

وفارقتُ حتّى ما أراعُ من النوى وإن بانَ جيرانُ عليّ كرامُ

ومما زاد عليّ في الإشفاق ، ما كان لديه من الأغلاق - أوشك الله خلفها عليك ، ولا غيرَ نِعْمَتِهِ لَدَيْكَ - وما قد فاتَ من المال ، فهو ليومِ الحاجةِ ذخيرةٌ إلى صالح الأعمال ، وكلُّ جليلٍ [٦٥ ب] يصغر عندَ الدفاعِ عن حَوَائِكِ ، وكلُّ خطيرٍ محتمرٌ^٢ مع سلامتك وطولِ بقائك .

سما وله من رقعة^٣ عن إقبال الدولة إلى المعز بن باديس : أطال الله بقاء سيدنا الأجلّ رافعِ أعلامِ الهدى ، ومحبي كلمةِ التقوى ، وقوامِ أمرِ الدين ، ونظامِ شملِ المسلمين ، وشعارِ حزبِ المؤمنين ، وناظرِ عمّينِ الزّمانِ ، وروحِ جسمِ الأوانِ ، وحسامِ عاتقِ الإسلامِ ، وحنّاني جيئدِ الأنامِ ، مخلّدةٍ دولته ، مؤيَّدةٍ حيثُ يَمَمٌ ، بِطُشْتُهُ .

وفي فصل منها : وإني وإن تعدتُ عن مناسكِ فرضها ، وتأخرتُ في مضمارِ قَرَضِها ، فإني مُعِيرُها ضميراً كما انبلج النهار ، وشكراً كما أراجَ النور ، وهل أنا إلاّ أحدُ أبنائها ، وشُهْبِ سَمائِها ، وشيعةٍ^٥ علائها ،

١ ط د س : اعتياد .

٢ ط س : يحتقر .

٣ ط د س : أخرى .

٤ ب م : يمت .

٥ ط د س : وشيمة .

وإن جَدَمَ نَأْيُ الدار ، كَفَّ الخيار ، ففي البعد اعتذار ، وفي الجهدِ
إعذار ، وإن مع التجاور لَيُعَلِّمُ العيان ، ومع التحوار لِيُطْمِئِنُّ البرهان ، ومع
التزاور لتزول الأحوال ، ومع التقارب ليقع الإخلال ، والقوى [المخلوقات]
قريبة الإخلال ، سريعة الانفعال ، والنيرتُ على وفور ضيائها ، وظهورِ
سنائها ، فيما لا تُقَابِلُ كَلِيلَةَ ، وعندما لا تُسَامِتُ^٢ عَلِيلَةَ ، وفيما لا تناولُ
ضئيلة ، وما قُنَيْتَةَ^٣ ورثتها ، ونعمة طَوْفَتْهَا ، وَرَفَعَةَ^٤ أَلْبِسَتْهَا ،
بمكفورة آثارها ، ولا مسودة أنوارها ، ولا مواتي إلى الدولة العلية
بطارقة ، ولا شوافعي لديها بمستأنفة .

وله من أخرى عن المنصور إلى أهل قرطبة : إن كنتُ منكم بِنَبْوَة ،
وعنكم بِنَجْوَة ، فإني شهيدُكم بنفسي ، وقسيمُكم بحالي ، أراكم
بعين المشاهدة ، واكلاكم بعين الإحاطة ، أعدُّ كبيركم كالعمِّ ،
وصغيركم كابنِ الأمِّ ، فأتمُّ الأهلُ والجيران ، والدخائرُ للزمان ، في الدار
التي منها خَرَجْتُ ، والبَيْضَةُ التي فيها نشأت ، أفضلُ دارٍ تَكْتَفِي
عيابها ، وأولُ أرضٍ مسَّ جلدي تراها ، فلو أمكنَ أن تصيرَ إليكم
أمدادي مع الرياح ، وتطيرَ نحوكم أجنادي بألفِ جَنَاح ، ملبياً لدعوتكم ،

١ ب م : تزور .

٢ ط د س : يقابل . . . يسامت .

٣ ب م : فتية ، وسقطت العبارة من ط د س .

٤ من قول الشاعر :

أحب بلاد الله ما بين منج الي وسلبي ان يصوب سبحانه
بلاد بها عقى الشباب تمائمى وأول أرض مس جلدي تراها

وَمُسَارِعاً إِلَىٰ نَصْرَتِكُمْ ، لما تأخَّر ذلك عنكم طُرْفَةً^١ ، ولا تلبث^١ خطفة ، لكنَّ عوادي^٢ الفِتنِ ، وعوائقَ الزمنِ ، مَنَعَتْ من العَجَلَةِ قبلَ إحكامي لما حاولتُهُ من تأليفِ^٣ الكلمة ، فربَّ عجلةٍ تهبُّ ريثاً^٤ ، ومن أعدَّ للأمورِ عدَّتَها ، وأخذ لها شِكَّتَها ، كان قميناً^٥ أن يكونَ نظرهُ نافِعاً ، ودواؤهُ ناجِعاً . ولم أزلُ أحسمُ العِليلَ ، وأقطعُ [٦٦ أ] بالفتنةِ دونَ الأملِ ، حتى لانتِ الأيامُ بالسَّماحِ ، وسكنتُ بعدَ الجِراحِ ، وصار المسلمونَ إخوةً ، وفي جميلِ المعاشرةِ أسوةً^٦ ، وقبلَ الرميِّ تُرَاشُ السهامِ^٦ ، ويحسنُ التناولُ بقربِ المرامِ ، ورأيتُ ان استتلاف^٧ القلوبِ المتنافرةِ ، وتواصلَ الأهواءِ المتدابرةِ ، أقوى أسبابِ النجاحِ ، وأشدُّ الأعوانِ على الفلاحِ ، فتأخرتُ عنكم متقدِّماً إليكم ، وتبقيتُ^٨ دونكم وافداً^٩ عليكم ، ولم أقنَعْ من الأمورِ بغيرِ التحقيقِ ، ولم أرضَ من المركَّبِ بالتعليقِ ، وقد نَقَدْتُ ثِقَاتِي إلى الجهاتِ لتخييرِ^{١٠} الأجنادِ [وانتخالِ الأجنادِ] ، ليكونَ جميعهمُ صنفوةً^{١٠} ، ولا يشوبُهُمُ أحدٌ من الحَشْوَةِ ، وشرطتُ أن يتوجَّهَ

١ د ط س : لبث .

٢ د ط س : عوائد .

٣ د ط س : تألف .

٤ انظر هذا المثل في فصل المقال : ٣٣٥ والميداني ١ : ١٩٨ والعسكري ١ : ٣١٣ .

٥ ط د س : قميناً .

٦ من المثل : قبل الرماء تملأ الكنانان (الميداني ٢ : ٣١) .

٧ ط د س : اثتلاف .

٨ ط س : وتبقيت ؛ د : وتسقيت ؛ ب م : وتمنيت .

٩ م ب : واجداً .

١٠ د ط س : إلى الجهاد لتجهيز .

من قِبَلِي لِيَكُم ، ويفد منهم عليكم ، مَنْ له المزيّةُ والظهورُ ، والغناءُ
المشهورُ ، أولو البأسِ والنجدةُ ، والثّباتِ والشدةُ^١ ، والقلوبِ الأبيّةُ ،
والأنوفِ الحميّةُ ، يسمحون عنكم ببذلِ النفوسِ ، ويقومُ الواحدُ منهم
مَقَامَ الخميسِ ، تمتلئُ العيونُ منهم قُرّةً ، والنفوسُ مَسرّةً ، وفي الثالثِ
من [يوم] كتابي هذا ينفذُ إليكم من الوزراءِ مَنْ تكونُ حركةُ الخيلِ
معهم في زمانٍ معروفٍ ، [واجتماعُها] في مكانٍ موصوفٍ ، إن شاء
اللهُ ، ليصحَّ عندَ العدوِّ - قصمه الله - أن الأيدي قد ارتبطت عليهم ، وأن
الأعنة قد صُرِفَتْ إليهم ، وأن الوقتَ قد أزِفَ ، والغطاءَ قد كُشِفَ ،
فيا ليت شعري أينَ المفرِّ ، أم يقولون نحن جميعٌ صُبرٌ ، ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ
وَيُوَكَّدُونَ الدُّبُرَ﴾ (القمر : ٤٥) .

انتهى ما لخصته من كلام^٢ أبي عامر ، موجز^٣ الموارد والمصادر ،
ويتلوه مما يفني بشرطِ الكتاب من أخبار هذا الأمير^٤ عبد العزيز بن أبي
عامر المذكور ، وعبد الملك ابنه ، صِيَابَةَ دولتهم ، اللذين جاءا في آخرِ
الرعييل ، ورداً هذا الاسمَ على الجمول .

-
- ١ ب م : والشدة . . . والنجدة .
 - ٢ د ط س : اخبار .
 - ٣ ب م : من موجز .
 - ٤ د ط س : الرئيس .

إيجاز القول عن امارة عبد العزيز بن أبي عامر وابنه ببلنسية وأعمالها^١

قال أبو مروان [ابن حيان]: هو عبد العزيز بن عبد الرحمن بن المنصور محمد بن أبي عامر . كان الموالي العامريون عند ذهاب مجاهد عنهم قداً أسندوا أمرهم إلى نَفَرٍ من مَشِيخَتِهِمْ ، فتشاوروا في ارتياد أميرٍ من أنفسهم يعترفون له ، فاتفقوا على ابن مولاهم عبد العزيز هذا إيثاراً له على ابن عمته ، محمد بن عبد الملك ، وكان مقيماً بقرطبة ، وعبد العزيز بسرقسطة في كَتَفِ مندر بن يحيى [مند التجأ إليه غبّ الحادثة بقرطبة ، فدنسوا إليه سرّاً من مندر بن يحيى] فأحكم له التدبير ، وخرج سرّاً من سرقسطة ، فلاحق ببلنسية ، فاستقبله الموالي العامريون أفواجاً ، وقلدوه رياستهم . وكان عبد [٦٦ ب] العزيز هذا من أوصل الناس لرحمه^٢ ، وأحفظهم بقرابته ، ابتعثه الله رحمةً للمُستحقين من أهل بيته فأواهم ، وجبر الكسير ، واكتنف الطريد ، ونعش الفقير ، طول مدته ، إلى أن بلغ من ذلك مبلغاً أعياء ملوك زمانه . وخاطب لأول حينه الخليفة القاسم بقرطبة مع هدية حسنة وذكره بأيام سلفه ، فقبل القاسم هديته ، واعترف بوسيلته ،

١ انظر المغرب ٢ : ٣٠٠ واعمال الاعلام : ٢٢٤ وابن خلدون ٤ : ١٦١ ، وقد نقل ابن عذاري (البيان المغرب ٣ : ١٦٤) هذا النص . وراجع Hist. Mus. de Valencia ٢ :

١٦٣ وما بعدها .

٢ ب م : ثم .

٣ ط د س : من اوصلهم لرحمه .

٤ هو القاسم بن حمود الحسني ، بويغ سنة ١٢٤ ، ثم انتزع قرطبة منه يحيى بن أخيه ثم عاد القاسم إليها وبقي فيها حتى خلع سنة ١١٤ .

وَعَقَدَ لَهُ عَلَى أَعْمَالِهِ ، وَسَمَّاهُ الْمُؤْتَمَنَ ذَا السَّابِقَتَيْنِ ، فَتَوَطَّدَ سُلْطَانَهُ ،
وَاشْتَمَلَ عَلَى خِدْمَتِهِ أَرْبَعَةَ مِنْ الْكُتَّابِ حَتَّى سَمَّاهُمُ النَّاسُ الطَّبَائِعَ الْأَرْبَعَ ،
وَهُمْ : ابْنُ طَالُوتَ وَابْنُ عَبَّاسٍ [وَابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ] وَابْنُ التَّاكْرِفِيِّ الْمَذْكُورِ ،
كَاتِبُ رِسَائِلِهِ وَمَكَائِنُهُ مِنَ الْأَدَبِ وَالْعِلْمِ وَالذِّكَاةِ مَكِينٍ ، فَانْتَشَرَ كَلَامُهُ ،
وَاعْتَلَى ذِكْرُهُ ، وَلَمْ تَزَلْ حَالُهُ تَسْمُو حَتَّى اتَّصَلَ بِوِزَارَتِهِ فَنَالَ جَسِيمًا مِنْ
دُنْيَاهُ .

فلما كان سنة اثنتين وخمسين اعتلَّ علةً أعياء علاجها ، واختلفتْ
نُوبُهَا ، تُطْمِعُهُ تَارَةً وَتُؤَيِّسُهُ أُخْرَى ، وَالْإِرْجَافُ لَا يَفْتَرُ عَنْهُ ، إِلَى
أَنْ قَضَتْ عَلَيْهِ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنَ الْعَامِ ، فَاجْتَمَعَ أَصْحَابُهُ عَلَى تَأْمِيرِ وَلَدِهِ
عَبْدِ الْمَلِكِ^١ ، وَقَامَ لَهُ بِأَمْرِهِ كَاتِبُ وَالِدِهِ الْمُدَبِّرُ لِدَوْلَتِهِ ابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ،
[الْمَشْهُورُ مَعَ مَعْرِفَتِهِ بِابْنِ رُوَيْشٍ^٢ الْقُرْطُبِيِّ ، وَكَانَ مَوْصُوفًا بِالرَّجَاحَةِ ،
فَأَحْسَنَ هَذَا الْكَاتِبُ مَعُونَتَهُ عَلَى شَأْنِهِ ، وَتَوَلَّى تَمْهِيدَ سُلْطَانِهِ ، وَاسْتَقْرَّ
أَمْرُهُ عَلَى ضَعْفِ رُكْنِهِ ، لِعَدَمِ الْمَالِ ، وَقِلَّةِ الرِّجَالِ ، وَفَسَادِ أَكْثَرِ الْأَعْمَالِ .
وَرَاعَى هَذَا الْكَاتِبُ [الشَّهْمُ مَدْبَرٌ هَذِهِ الدَّوْلَةَ فِي هَذَا الْمُؤَمَّرِ عَبْدِ الْمَلِكِ
مَكَانَ صَهْرِهِ وَظَهِيرِهِ الْمَأْمُونِ يَحْيَى بْنِ ذِي النُّونِ ، إِذْ كَانَ صَهْرَ عَبْدِ الْمَلِكِ
أَبَا امْرَأَتِهِ ، الْمُسَاهِمَ لَهُ فِي مُصَابِ أَبِيهِ ، الْمَعِينَ لَهُ عَلَى سَدِّ ثُلَمِيهِ ، الذَّائِدِ
عَنْهُ كُلِّ مَنْ طَمَعَ فِيهِ ، فَانزَعَجَ ، عِنْدَ نَزْوِلِ الْحَادِثَةِ ، مِنْ حَضْرَتِهِ طَلِيظِلَةٌ
إِلَى قَلْعَةِ قَبُونِكَةَ مِنْ طَرَفِ أَعْمَالِهِ ، لِلدُّنُوِّ مِنْ صَهْرِهِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَبَادَرَ
بِإِنْفَازِ قَائِدٍ مِنْ خَاصَّتِهِ وَبِالْكَاتِبِ ابْنِ مِثْنَى إِلَى بَلَنْسِيَّةٍ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ ،
أَمْرَهُمْ بِالْمَقَامِ مَعَ عَبْدِ الْمَلِكِ وَشَدَّ رُكْنَهُ ، فَسَكَنَتِ الدِّهْمَاءُ عَلَيْهِ . وَمَضَى

١ د ط س : تأمير عبد الملك ابنه .

٢ ط د س : رويش ، والتصحيح عن البيان المغرب .

٣ ط د س : حضرة .

عبد العزيز أبوه لسبيله غيرَ فقيدِ المكان ، ولا عزيز الشان ، ولا مُبَكَّ^١
لسمائِهِ ولا أرضه . ما فُجِّعَ به إلاَّ [ذوو] رحمه [من] آل [أبي] عامر
لتناهيهِ في صلتهم . حتى صار لإسرافه في ذلك من أضرَّ الأشياءِ بخنده ،
وأجلَّبها لدمته ؛ له في ذلك أخبارٌ مأثورة ، فتوفي وهو أطولُ أمراءِ
الأندلسِ مدَّةَ إمارة ، تملَّأها أربعين حجة ، إذ كانت إمارته ببلنسية
صدرَ سنة اثنتي عشرة وأربعمائة ، فسبحانَ المنفردِ بالبقاءِ ، الأول قبل
الأشياء .

فصل في ذكر الوزير [٦٧ أ] الكاتب أبي المطرف عبد الرحمن بن
فاخر المعروف بابن الدباغ وإثبات جملة من نثره ونظمه^٢ .

وكان^٣ أبو المطرف هذا أحد من خُلِّيَ بينه وبين بيانه ، وجرى
السحرُ الحلال بين قَلَمِهِ^٤ ولسانه ، وكان استوحش من أميرِ بلده ، ومقيم
أودهِ ، ابن هود المقتدر^٥ . فخرج عنه وفرَّ ، وفارق عزَّ ذلك المقام ، « ونجا
برأس طمرة وبلحام »^٦ فأجزلَ المعتمدُ بن عبَّاد قِراه ، ووسَّع^٧ له ذِراه ،

١ ط س : سبك ؛ د : سمك .

٢ ترجمة أبي المطرف ابن الدباغ في القلائد : ١٠٦ والمغرب ٢ : ٤٤٠ والخريدة (قسم
المغرب والاندلس) ٢ : ٣٤٩ (٣٨٧) والمسالك ٨ : ٢٢١ .

٣ نقل ابن سميذ بعض هذا النص في المغرب .

٤ ط س د : قلبه .

٥ د ط س : المقتدر بن هود .

٦ من قول حسان بن ثابت يعبر الحارث بن هشام بفراره (ديوانه ١ : ٢٩) :
ترك الاحبة ان يقاتل دونهم ونجسا برأس طمرة وبلحام

٧ ط د س : وأوسع .

وأفردتهُ بحظٍّ من دنياه . ونخصّه بمكان سيرته^١ ونجواه ، وسفر بينه وبين المتوكل بن الأفضس أيامَ كونهٍ بيابرةً ، حين أخذ أخوه [يحيى] بيكظميه . وهمّ بالنزول على حكم المعتمد أو حكمه^٢ ، وقد كان ابن عباد فغَرَ فاه على المتوكل . وقَدَّرَ أن ينيخَ عليه [بكلكل - حسبما قدمته] في أخباره -- فوعده بالغرور^٣ . وزخرفَ له شهادتِ زورٍ ، على لسان [هذا] الوزير أبي المطرف المذكور . [فلما حاوَرَهُ وناظره ، خصّه [بنصيحة وآثره ، ومثّل له ذلّة المعزولين ، وذكره بفعل معاوية يومَ صفّين ، فأوجده سبيلاً ، ودرّجَهُ قليلاً ، ومات أخوه المنصور يحيى بعقب ذلك ، فورثه الله ملكه ، ونظمَ سِلْكَهُ ، فرحلَ إليه أبو المطرف ملبياً بحجّهِ وعُسْرَةِ ، متوسّلاً بسابقتي أنصاريّة^٤ وهجرة ، فصادفَ وجهاً خصيباً ، ومكاناً من العزِّ رحيباً .

وكان سببُ خروجهٍ من اشبيلية - فيما حدثني بعضُ وزرائها - أنه تشاد^٥ مع ابنِ عمّار ، فأشار المعتمدُ إلى حَسَمِ ذلك بين يديه ، فأبى أبو المطرف عليه ، ثم اجتمعوا بعد في مجلسِ أنسٍ دون رأيه ، فأمر المعتمد بنفسه ؛ وقد كان أيضاً بلغَ أبا المطرفِ أنه قد حَاحَ فيه بمجلس المعتمد وقُرِفَ بشيءٍ أقلقه ، وذلك أنه كان يعاني الخضابَ ويثابِرُ عليه ، فقال بعضهم فيه :

خضابٌ لعمرك لا للنساءِ ولكنّه لفحولِ الرجالِ

١ ب م : من سره .

٢ ط د س : وحكمه ؛ ب م : على حكمه أو حكم المعتمد .

٣ ط د س : الغرور .

٤ ب م : فدخل .

٥ د ط س : بحجة .

٦ د ط س : نصرة ؛ ب م : انصاره .

٧ ط د س : تشاجر .

فخاطبه بشعر قال فيه :

يُهَانُ بِحَمَصٍ عَزِيزُ الرَّجَالِ وَيُعْزَى إِلَيْهِمْ قَبِيحُ الْفَعَالِ
وَيُعْزَى ذُو النِّقْصِ مِنْ أَهْلِهَا بِنَطْلِيخِ أَعْرَاضِ أَهْلِ الْكَمَالِ

فوقع المعتمد على ظهر رقعة بهذين البيتين :

شعرتَ فجئتَ بعينِ المحالِ وما زلتَ ذا خطلٍ في المقالِ^١
متى عزَّ في حمصٍ غيرُ العزيزِ أو ذلَّ^٢ غيرُ الذمِيمِ الفَعَالِ

فلما قرع سمَّعهُ البيتان أخذهُ الأفكَلُ ، وخرج من حينه وكان يحدث نفسه بالتحول ، [٦٧ ب] إلى أن نفاه^٣ ، فلحق بالمتوكل فأواه ، وأجزلَ قراه ، وخاطب المعتمد في معناه ، ورحب به في بطليوس^٤ مثواه ، إلى أن اشتعلت بينه وبين الوزير^٥ أبي عبد الله ابن أيمن^٥ نارٌ ملاً الأفقَ شُعاها ، وأخذَ بأعنانِ السماء ارتفاعها ، فكَرَّ راجعاً إلى سرقسطة ، فقَتِلَ بيستانٍ من بساتينها ، بعد مديدة من لحاقه بها ، ورثاه الوزير أبو محمد بن عبدون بأبياتٍ أعربت عن ودِّه ، ودلَّت على كرمِ عهده ، وقد أثبتَّها من هذا التصنيفِ بحيث أجريت من ذكره ، فيما انتخبته من نظمه ونثره^٦ ؛ وأثبت من كلامِ أبي المطرف هاهنا ، ما يشهدُ بفضله ، ويدلُّ على نبه .

١ لم يردا في ديوان المعتمد .

٢ د ط س : ذم .

٣ ط د س : حتى نفاه .

٤ ط د س : المنصور .

٥ ترجم له ابن بسام في القسم الثاني من الذخيرة ، وأشار إلى تضايقه من قدم ابن الذباغ

إلى حضرة بطليوس .

٦ ط د س : الآفاق .

٧ ط د س : من شعره .

جملة من رسائله في أوصاف شى

• من ذلك فصول له في ذمّ الزمان [وبنيه] ، وتعذّر آماله فيه •

فصل له من رقعة : أوحيشُ بأيامٍ أقطَعُها وأفنيها ، وأثوابِ عيشٍ
أخلقها وأبليها ، بحيث لا أراك عياناً ، ولا أمليكَ من أنديتك^١ مكاناً ،
حتى أعتزَّ بك من هونٍ أغضي فيه على القذى ، وأصبر منه على حز^٢ المدى ،
وأتميّزَ من طبقةِ الاتضاع والاستخذاء ، وأعظمُ تلهفي بماضٍ من الدهر
بغير مستفاد ، وذاهبٍ من العمرٍ ليس بمستعاد ، وليت شعري أتُنَجِّزُ
الأيامُ موعوداً^٣ ، أو تُدْثِنِي من الأملِ بعيداً ، فترضي بما^٤ أسخَطْتِ ،
وتعتدري بما^٥ أذنبت ، وتُنسي متضضّ شدتها بليان ، وتمحو أثرَ إساءتها
بإحسان ؟! ما تحدّثني بذلك نفسي ، ولا إخالُ أن زماي يُدْثِنُ عيني بإسماح ،
ولا يزالُ مستمرّاً الجمّاح ، وما الحيلةُ إن أبى سوى التعلّلِ بالمى ، والاستراحةِ
بلعلّ وعسى ؟! وبودّي لو ملكتُ عن هذه الشكوى لساني ، وأمستكُ في
البوحِ بها من عنائي ، وأخذت نفسي بأناتها^٦ ، وأنظرتُ الأقدارَ^٧ إلى
أوقاتها ، حتى لا أسوء ولا أنكّد ، بما أوردُ منها وأردّد ، ولكي والله
مغلوبٌ بالاضطرار ، معدولٌ عن وجهِ الاختيار ، ومن^٨ أني

١ د ط س : انسك .

٢ ط د س : حور .

٣ س : موعداً ؛ ط : وعوداً ؛ د : موعداً عوداً .

٤ ط د س : .

٥ د ط س : .

٦ س : .

٧ د : .

أنوي في كتيبي أن تكونَ من الشكوى خالية ، وبزينةِ التجميلِ حالية ،
ولسانُ الحالِ تأبى إلا أن تبوحَ بمضمرة السرِّ ، وتكشفَ عن حقيقة الأمر ؛
وقد كان لي عنه معزلٌ إلى وصف ما للبين بقلبي من جرح وآثار ، وللشوقِ
بين جوانحي من وقودٍ وأوار ، فإنه منذَ هَسبُ يحولُ فيه القولُ كلَّ مجال ،
ويثنالُ عليه الكلامُ أيَّ انثيال ، وتأتى به الألفاظُ لازدواجها ، وتتراعى
المعاني في معرض انتاجها ، ولئن لم أبدأ به فإليه قَصَدْتُ ، وإياهُ أردتُ ،
وقد اكتفيتُ منه بما أتيت . ووقفتُ بك التهميت [٦٨ أ] .

وله في مثله من أخرى : قد كنتُ أؤملُ هذا التلاقي ، لأشكو فيه
إليك دواهيَ بَلَّغَتْ بالنفوسِ التراقي ، وصيَّرتُ المنيا أماني^١ ، فمن
لي الآن به وبوصولي إليك حيث أنت . ودونك ما لا يخفى عليك ، وقد
عرض الماءُ لعيني فكيف أريدُ . ومن أين أفصيدُ ، اللهُ حسبي في سوءِ
جَدَّتِي ، وأنت وليُّ عذري ، في الحضورِ بالمكانةِ إذ لم أجدُ سبيلاً إلى
المشاهدةِ ، ولا أكذبُ بك . ضاقتُ بي الأرضُ كلها ، وانسدَّت عليَّ
سبلها . وضللتُ عن كلِّ عزاءٍ وتماسكٍ ، وأسليمتُ إلى كلِّ يأسٍ
وتهاك . فتداركني ممزقاً . ونجيتني غرقاً ، وأخطرتني بهالك . واعرض
حالي على اهتبالك ، عسى أن يتجهَّ للفرجِ وجهه . أو يابوحَ منه فجر .

وله من أخرى : كلَّ يومٍ تظهرُ من فناءِ السحابِ ، وتطلُّعُ من
الطافِ برلكِ غرائبُ ، تُنسى لنا محاسنُ ، وتُستغنى عنها عيوبُ . بعدُ معها
مأثرٌ من تهتمِّ ، حتى كأنَّ الجسيمَ لم تلمسْهُ من غيرِ غرابٍ . واللفظُ

١ فيه إثارة من قول المتنبي

٢ ط د س : له .

٣ ط د س : فملك .

لم تُفهمْ بعدُ دقائمه^١ ، إلى أن أتيتَ فاخترتَ من ذلك سنناً^١ وبدائع^٢ ،
لا يزالُ مثلها^٢ لأولي الفضل شرائع^٣ ، وأنوارها في فلكك الفضل^٣ سواطع^٣ ،
فما أسعدتَ من تمسك بعصمتك ، واعتزى إلى جملتك ! !

وفي فصل منها^٤ : وكتابي [هذا] وأنا كما تدريه : غرض^٥ للأيتام^٥ -
ترميه ، ولكنني غيرُ شاكٍ من آلامها ، لأن قلبي في أغشية من سهامها ،
فالنصل على مثله يتقع^٦ ، والتألم مع هذه الحال يرتفع^٦ ، وكذلك التقرير^٦
إذا تابع هان ، والخطب إذا أفرط في الشدة لان ، والحوادث تنعكس^٦
إلى أضداد^٦ ، إذا تناهت في الاشتداد ، وتزايدت على الآماد^٧ .

وبعض ألفاظ هذا الفصل محلول^٨ من قول المتنبي حيث يقول^٨ :

رمانى الدهرُ بالأرزاءِ حتى فؤادي في غشاء من نبال^٩
فكنت^٩ إذا أصابني سهام^٩ تكسرت النصال^٩ على النصال

وله من أخرى : لا تستغرب - أعزك الله - ما صادفت [لي] هنالك من
تعذّر وحرمان ، كما لا أستغرب ما ألقىه عندنا من تسليط^{١٠} وعدوان ،

١ ط د س : شيئاً لم يكن .

٢ د ط س : لا تزال امثلتها .

٣ د ط س : المجد .

٤ انظر هذا الجزء من الرسالة في القلائد : ١٠٧ والخريدة ٢ : ٣٥٠ ، وقد قال الفتح انه
وجه بهذه الرسالة الى ابن حسداي .

٥ القلائد والخريدة : بهذه الحالة قد ارتفع .

٦ ط د س : الأضداد .

٧ القلائد : اضدادها اشتدادها . . . آمادها .

٨ ديوان المتنبي : ٢٥٤ .

٩ الديوان : فصرت .

١٠ ط د س : نشاط .

فالنحوسُ كلُّها مجتمعةٌ لي في قران ، ولا تعجبُ إلاّ لثبوتي لما لا يثبتُ
 عليه الخلقُ السَّردُ ، وبقائي على ما لا يبقى عليه الحجرُ الصَّانِدُ ، وبالجملةِ
 لا تسألُ عن الحالِ فقد صار في عينيَّ معمورُ الكُرةِ ، أضيقَ من خُرَّتِ
 الإبرةِ ، واستبهمتُ لي المطالب ، وانسدَّتْ عليَّ المذاهبُ . فما أدري
 أيَّ وجهٍ أيمّمُ^١ ، ولا [٦٨ ب] على أيِّ أمرٍ أعزم ، ويا ليت شعري
 أين الفرَجُ فهذا التناهي ، وقد بلغت القلوبُ الحناجرَ ومتى التلاقي ؟ نستغفرُ
 الله من هذا الضَّجَرِ ، ونعوذُ به من السخطِ على القدر ، ونسأله صبراً
 يشتدُّ لشدائدِ^٢ النَّوْبِ حتى تجوزَ وتعبر ، وتوفيقاً يهدي في غياهبِ الكُربِ
 حتى تنجلي وتُسْفِر .

وله في فصلٍ من أخرى^٣ : كتابي وعندي من الدهر ما يهدُّ أينسرهُ
 الرواسي ، ويفتتُ الحجرَ القاسي ، < فانا وإياه > فرسا رهان :
 * يُجدُّ نواباً وأجيدُ صبراً *

ومن أجلِّها قلبُ محاسني مساوي ، وأوليائي أعادي^٤ ، وقصدي
 بالبغيضةِ من جهةِ المقيّةِ ، واعتمادي بالخيانةِ من حيثِ الثقةِ ، فقسُّ بهذا
 على ما سواه ، وعارضُ^٥ به ما عداه ، ولا أطولُ عليك فقد غيرَ عليَّ
 حتى شرابي ، وأوحشي حتى ثيابي ، فها أنا أتهمُّ عياني ، واستريبُ من
 بناني^٦ ، وأجني الإساءةَ من غرسِ إحساني ، وقاتل الله الخطيئةَ في

١ ط د س : أين ايمم .
 ٢ ط د س : لنواب .
 ٣ انظر القلائد : ١٠٧ والخريدة ٢ : ٣٥٠ والمغرب ٢ : ٤٤٠ ، وقد خلط صاحب القلائد
 والخريدة بين هذه الرسالة والتي تقدمتها .
 ٤ ب م : يجهد ، وسقط من د ط س .
 ٥ ط د س : مساويا . . . أعاديا .
 ٦ د ط س : بياني .

قبره ، فلشدّ ما غرّ بقوله ^١ :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه ^٢ لا يذهب العرف بين الله والناس ^٣
من يزرع الخير يحصد ما يسرّ به ^٤ وزارع الشرّ منكوس ^٥ على الراس

أنا والله اغتررتُ به وفعلتُ خيراً فعدمتُ جوازيه ، وأذممتُ ^٣ عوائدهُ
ومبأديه ، وزرعتُه فلم أحصدُ إلاّ شرّاً ، ولا اجتنيتُ معه ^٤ إلاّ ضرّاً ،
وهكذا جدّي ، فما أصنعُ وقد أبى القضاءُ إلاّ أن أقضي ^٥ عمري في
بُوس ، ولا أنفكُ من نحوس ، ويا ليتَ باقيه قد انصرم ، وغائبَ الحمام
قد قدم ، فعسى أن تكونَ بعد الممات ^٦ راحةً من هذا النَّصب ، وسلوةً
عن هذه الخطوب والكرب ^٧ ؛ ودعُ بنا هذا التشكي فالدهرُ ليس بمعتبٍ
من يجزع ^٨ ، ولا بمشفقٍ على من توجع ^٩ ، واطرحُ بنا هذا القولَ في
الرياح ، واعدلُ بنا عن الجِدِّ إلى المزاح .

وله من أخرى : كتابي والحال على ما أسألُ الله لها تبديلاً وإدالةً ،
ولعنةِ الجِدِّ فيها استقلالاً وإقالةً ، ولستُ أشكو إلاّ زماني وقعودهُ

١ د : بقوله في شعره ، وكذلك هو في القلائد .

٢ البيت الاول وحده للحطيمية في ديوانه : ٢٨٤ ، وانظر ما تقدم ص : ٢٢٨ .

٣ د ط س : وذنمت ؛ القلائد والحريدة : وما حمدت .

٤ د ط س والقلائد : منه .

٥ القلائد والحريدة : افني .

٦ د ط س : ان يكون الممات .

٧ د ط س والقلائد والحريدة : والنوب .

٨ من قول ابي ذؤيب :

امن المنون وريبتها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

٩ الحريدة والقلائد ، وما في الايام رجاء ولا مطمع ؛ ط د س : ولا بمستقر على من يرتجع .

بجدّي ، وقبيح آثاره عندي ، فإنه وإن كان على الكلّ عادياً ، وللجميع بكأس مكروهه ساقياً ، فيخصني بمزية حرمان ، ويتوخائي بفضلة عدوان ، ويجعلي تصبّ سعيه ، وغرض رميه ، ومكان أذائيه وبغيه ، حتى كأني أبديت له معايير ، وأدرت عليه دواير ، ودالت العالم [٦٩ أ] على جورِهِ في الحكم ، وتطبّعه في الظلم ، وحسبيّ الله تعالى فيما أسخط وأرضى . ومع ما ذكرته فلي من الصبر جانب ، وإن حميت منه جوانب ، ومعني من التجميل بقية وإن سلّبتهُ السؤال ٢ .

وفي فصل من أخرى : ربما كتبت تارة واستوقفت أخرى ، وليس ذلك لتلونٍ وانقلاب ٣ ، وأفنٍ في الرأي واضطراب ، ولكني بحسب الحال أكتب ، وعلى قدر تقلب الخطوب عليّ أتقلب ، وما زلت أثبت لتوالي الرمي ، وأستمسكُ على قوة الرزم ، إشفافاً من أن أكون كلاً ، وأزيد في مؤنتك ثقلاً ، حتى قدم الغائب وقد تملأ من المرة الصفراء ، واستفرغ من خلطّي البلغم والسوداء ، وتلقى الساعي هراشه بالأغراء ، وناريته بالحلفاء ، فاندفع يهيج ويتهوج ٤ ، ويستشيط ويتأجج ، ولا حلم يردع ، ولا استبصار يتنفع ٥ ، فيالك من مكاشفة تركت الأبواب حيارى ، والناس سكارى ، فما أجيدُ إلاّ من يثلب ، ولا أمرٌ إلاّ بمن يتجهّم ويقطب ، حتى كأني وتّرت الجميع ، وحنيت عليهم الخطب الشنيع ، والله سمعي ماذا يسمع ، وقلبي كيف لا يتصدع !! ولو نال مني ذو حرمة

١ كذا في الأصول ، ولعل صوابه « ضيبت » .

٢ د ط س : الذوائب .

٣ ب م : وانقراض .

٤ ب م : ويتهوج .

٥ م ب : يقع .

تعزيت ، أو أخذ منّي مَنْ فيه إنسانية ما باليت ، ولكن المحنة بأوغاد
تدقُّ عن المجازاة متقاديرها ، والبلية بذبابٍ يحميها من أن تُنالَ مقاديرها .

حلّ هذا من قول القائل ، وهو لإبراهيم بن العباس في محمد بن عبد
الملك الزيات :

نجا بك لؤمك منجى الذبابِ حَمَتُهُ مقاديرُهُ أنْ يُنالاً^١

وله من أخرى : قد آلى الدهر ألاّ يُصيبيّ بنوايب ، حتى تكونَ
غرائب ، فهو يخترعُ كلَّ يومٍ فنّاً ، ويطرُقُني بما لم يطرُقْ قطُّ أذناً .

وفي فصلٍ من أخرى^٢ : تحيّلُ في استلطافِ فلانٍ فعساه يلينُ بعد
قساوتِهِ ، ويسكنُ غَضَبُهُ بعد اشتداده ، وكيف أوصيكَ وأنت ساحرُ
البلد ، وأحدُ النفّاثاتِ في العققد ؟ ومن العَجَبِ أنْ أدعوكَ إلى ذلك
وأنت الذي جنيتُ عليّ فيه ، وأذقتني مرارةَ تجنيهِ ، فكيف تُصلحُ وأنت
المفسد ، وكيف تستدنيه وأنت المُبْعِدُ ، وكيف تُنصِفُ وأنت الظالم ،
أو تبني وأنت الهادم ؟ ! هذا مرامٌ بعيد ، واسترضاءٌ حاسدٍ مثليكَ صعبٌ
شديد ، ولكني واثقٌ بأن يحيقَ بك شيءٌ مكرك ، فتذوقَ وبال أمركَ ،
وتحصّدَ زرائعَ^٣ شرك ، وتصلّي بنارٍ بغيبك ، وتجنّي ثمارَ سعيك ، والله
مُقَرَّبُ ذلك فيك ومدنيه منك .

١ مر البيت ص : ٢٠٤ وانظر ديوانه (رقم : ١٢٩) وديوان المعاني ١ : ١٧٩ .

٢ د ط س : ويقرطني . . . يقرط .

٣ ط د س : وفي فصل منها .

٤ د ط س : خيلت .

٥ د ط س : زرع .

وله من أخرى : كتابي عما عهدته من قعود الأيام بجازي [٦٩ ب] ،
واعراضها عليّ في وجوه قصدي^١ ، ومقابلتها بالخيبة والحرمان سعي
وجُهدي ، بل ما تنفكُ تلاعبُ بي تلاعبَ العايب . . . وتستطيلُ عليّ
استطالةَ العائثِ ، وتربني من أحداثها عجائبَ تسجمُ الدموعَ ، وتُطليعُ
عليّ من خطوبها غرائبَ تحطم الضلوعَ ، فيا لنفسٍ^٢ تستطيعُ حملَ هذه
الكُلفِ ، وتبقى عليّ ما في^٣ أيسرهٍ وشيكُ التلّفِ ، وقد كان شديدها
عندي هيئاً ، وصعبها عليّ ليناً ، حتى جدّ الجددُ برحلتك ، وجرت لي
الأشائمُ بفرقتك ، فسدت عليّ من الراحةِ^٤ الأبوابُ ، وقطعت بيني
وبين الفرجِ الأسبابُ ، ولم يبق لي مُعَلِّلٌ^٥ من دائها ، ولا فارحٌ عليّ
اشتباك^٦ غمائها ، ولعلّ الذي لم يزل^٧ يمتحنني^٧ ليعلم كيف أصبر ، وينظر
أشكرُ أم أكفر ، أن يجعلَ لحالي إدالةً^٨ ، ولعثرةِ جدّي إقالةً ، وأن
يقبضَ لجمعِ الشملِ ، ووصلِ الحبلِ ، سيباً ، ويقضي من عودَةِ المعجاسةِ ،
وتجديدِ المؤانسةِ ، أربأً ، بمنّه .

ومن أخرى في مثله : كتابي والحالُ في الخمولِ^٩ كما علمت ، والجُدُّ

١ د ط س : مقاصدي ؛ خ بهامش س : مطالبني .

٢ ط د س : للنفس .

٣ ب م : ما فيه في .

٤ ب م : الرافعة .

٥ د ط س : متعلل ؛ ب م : معلل لي .

٦ ط : استيالك ؛ س : اشبال .

٧ ط د س : لم يزل في امتحاني .

٨ د ط س : احالة .

٩ د ط س : والخمول .

في الشقاوة كما عهدت ، وكلما أرجو لباب الفرج انفراجاً ، يستبهم^١ ويزداد
إرتاجاً ، وكلما أطمع بمطالبة الأيام أن تلين تشند اعتزاه^٢ . ولسهام النوائب
أن تنشي تتنايع^٣ ولاء^٤ . والحمد لله الذي يبنتلي ليزى كيف الصبر^٥ ، ثم
يُنعم ليرى كيف الشكر . حمد متوكل عليه ، مفوض أمره في
كل حالة إليه .

وله من أخرى في مثله^٦ : لكل زمان طاغية^١ يُشقى به ويعبأ له^٢ ، وربما
خَصَّ بتسلطه ، وانقبض في تبسطه^٣ ، ولم يتصل بضرامه^٤ ، إلا من
ضايق في خيطاميه^٥ ، فهذا المهود^٦ ، ولا كمن جمعنا به عَصْر^٧ ، وضمنا
معه مِصْر^٨ ، فانه جاهر الكل بالقيل^٩ ، ودعا إلى مكروهه الجفلى^{١٠} ، وامتحنت
أنا منه وممن معه بأشد^{١١} محنة . وأسليست لأستهم وسهامهم بلا جنة^{١٢} ،
فمن أيد^{١٣} تستبيح الحمى . وألسنة تنطق بالخنا ، ومن سَطَوَات تملأ^{١٤} عراض
القلب رعباً . وترسل أدمع العين سكباً . ولو استطعت أن أطوي عنك
أحوالي . ولا أشغل بالك بأوجالي . لرفهتكَ عن سماع ما يجلب إليك
ارتماضاً . ولا تملك لي فيه امتعاضاً . ولكن أعوز الصبر . وأعجز احتمال
الضر . فاسترحت استراحة واجد^{١٥} كاظم ، وتعللت بالشكوى إلى متوجع
واجم^{١٦} ، على ما قيل :

١ د ط س : اعتداء .

٢ ط س د : وفي فصل من أخرى .

٣ ب م : ويمنى به .

٤ ط س : بالغل .

٥ د ط س : أشد .

٦ الواجم : الذي اسكته المم وعلته الكأبة .

ولا بدّ من شكوى إلى ذي حفيظةٍ ^١ يُواسيكَ أو يسليكَ أو يتوجّعُ^١
واشتمل كتابكَ الكريمُ على ^٢ ما استحيتُ منه، وغضضتُ طرفي
عنه ، وأوهمني أن [٧٠ أ] شكواي أثارته ، وربما انحفرت فيما الحالُ
بذاتها مُعربةٌ عن التّعذر ^٣ ، فأنظير الأمرَ إناهُ ، وأجره على مجراه ، وليس
إلاّ التفويض إليك ، والتوكّل عليك ، وما عندي أكثرُ من أن نفسي
في يديك ، فلا تكيلني إلى رأيي فأخار ، ولا تخيّرني فليستُ أحسنُ
أن أختار .

ومن أخرى : أنا في هذا الوقتِ يحكّم الزمان ، نِعَمَ مستودعُ
الموان ، أضحكُ لمن شتم ، وأعتذر إلى من ظلم ، وأغضي لمن همزَ
ولمز . وأتعامى على من أشارَ وغمز ، وأتلقى المكروهَ والأذى ، بطلاقةِ
التقبّلِ والرضى ، فمثلي إن ابتليّ صبر ، وإن أودي شكر ، أو أسخطتهُ
الأقدارُ تجمل ، أو حمّلَ ما لا يستطيع تحمّل ، فعل من يلبسُ للأحوالِ
لبوسها ، ولا يحفلُ بنعيم الأيتام وبوسها .

ووقفتُ على كتابك فلم أستغربُ تجنيك ، ولا أنكرتُ تعدّيك ،
وما عسى أن تكونَ في جملةٍ من يُعيّر ويكلم ^٤ ، ويسخطُ ويذمّ ، وأنت
إذا خلصتَ من هذا الباب لم تتخلّص ^٥ للحجى ، وكنتَ كجزءٍ لا يتجزأ .

١ ورد دون نسبة في فصل المقال : ٣٩٩ وفيه « أو يتوجّع » .

٢ ط د س : واشتمل كتابي على . . .

٣ ط د س : معربة بذاتها على البعد .

٤ ط د س : واغض .

٥ ط د س : وحمل . . . فحمل .

٦ ط س : تعير وتكلم ؛ د : تفيّر ؛ ب م : تمدد وتكلم ، ولعل الصواب : تعدى وتكلم .

٧ ب م : يتحصّل .

هاتِ يا سيدي عَتَبَكَ وعتابك . واشحذُ للملام شفاركَ وحرابَكَ ،
تجدني لاحتمالكَ عَوْدًا بجنبه جَلَبٌ ١ ، وعليه من قراعِ الدهرِ نُدَبٌ ؛
على أُنِي ما خلْتُ أن الخطوبَ تبلغُ بي رتبةً مَن° تَعْتَدُ ٢ أنت عليه ذنباً ،
ويسمعُ من مثلكَ ٣ عَتَبًا . ولكنها الأيامُ تأتي بغرائب . وتلدُ ما لا يُحْتَسَبُ
من العجائب ؛ وقد - وحياتِكَ - جاشتُ هنا خواطري بالدم ، وهمتُ
نفسي بأنْ تفارقَ عاداتها عن الكَظْم . لولا بقيةٌ بقيتُ من الحجل ؛
ذكرتني بالتمالك . وعرفتني مذهبي في التماسك . فأمسكت عليك
احتساباً ، ورجوتُ على حَمَلٍ جفاءٍ مثلكَ ثواباً . وأضربتُ عن أن
أُتكلَّفَ لك في شيءٍ مما ذكرته [جواباً] ، إكراماً لنفسي عن مجاوبتك .
وتنزيهاً لها عن مساواتك ° ومماثلتك .

وله فصل من أخرى : كيف أكتبُ أو أعبرُ ، وبأيّ ذهنٍ أُخبرُ
وأستخبر ، ومالي والله يدُ تجري بقلم . ولا خاطرٌ يهتدي إلى كَلِمٍ ،
وإنّ نفسي من التبلدِ ١ والكهامة والأين ، بحيثُ لا تُخَلِّصُ معنىً ولا تجمعُ
بين حرفين ، وما حالُ مَن° كلما همَّ بشيءٍ باعدَهُ الدهرُ منه ، وطردتهُ
الليالي عنه ٧ . وكلما قرع بابَ مطلبٍ ٤ عارضه من الحرمانِ ردٌّ ، أو ذهبَ

١ من قول الراجز : اصبر من عود بدفيه (أو بجنبه) جلب ، وله قصة في الامثال ، الميداني ١ :

٢٧٦ - ٢٧٧ وفصل المقال : ٩٨ ؛ والعود : الجمل المسن ؛ والجلب : آثار الدبر .

٢ ب م : تعدد ؛ د : يعتد . ٣ ط س د : وتسمع . . . مثله .

٤ د ط س : المعجل ؛ ب م : الفعل (اقرأ : الفصل) .

٥ ط د س : مساواتك . ٦ م : التهلك .

٧ ناظر الى قول المتنبي :

اهم بشيء ، والليالي كأنها تطاردني عن كونه واطارد

٨ ط د س : طلب .

به^١ مذهب سعي قطع به من النحوسِ سدّ، حتى لو عرض له عند الظما شرب، لغيض وحمته من الخطوبِ خطب، فالياسُ قاطعٌ أسبابِ الطلابِ، ومغلقٌ من التنجيحِ جميعِ الأبوابِ، ولكنها النفسُ ما بقيتُ لها حُشاشةٌ فهي تشفت إلى طمع، وتنهضُ على ظمّاع، وتجهدُ ألا تقصّر [٧٠ ب] إلى أن^٢ تموت فتعذر.

وفي فصل من أخرى: لبت شعري متى أفتتح بالرضى، وهل أكتب وقتاً من الدهر ولا أتشكى، فإني أحمدُ الله على حياةٍ أقطعها في شدائد لا تشني، وسكراتٍ غمّ لا تنجلي، ونكدٍ أخلاقٍ لا يشوبه ابتهاج، وضيقِ أحوالٍ لا يتمخللها انفراج، ولئن كان باقي العمر كماضيه، وعوائد العيش كبواديه، فالحمامُ أعذبُ مَورِداً، والوفاةُ أحسنُ مَشهداً، فليس [بعد] هذا العذاب ما هو أشدّ، فلكلّ شيءٍ مدى ينتهي إليه وحدّ، فسبحان من جعل الدنيا دارَ كربٍ ومحنة، لكلّ ذي لبّ وفطنة، ومقامٍ تنعمٍ وترّفٍ، لكلّ ذي خيسةٍ ونطفٍ^٣، وسبحان من ابتلى فيها ذوي الفضل والنهى بكلّ قعيطٍ، بنفسه ويستشرف من سماءِ المجد، ويلتفت في جعسِهِ ويستقدرُ عنبرَهُ الهند.

وفي فصل من أخرى: كتابي وقد لقيت من التعذّر في الدنيا ما صححَ منها اليأسَ، وأراحَ من وسواسِ التّرجي للنفس، وأغرانى برفضِ المطالب، بما أفادني من التجارب، وقد خلعتُ عني ذلّ الطمع، ولبستُ عزّ التوكّل،

١ به: سقطت من ط د س.

٢ ط د س: إلا أن.

٣ النطف: العيب أو الفساد؛ ط س د: لطف.

٤ د ط س: محط؛ ب م: قحط؛ والقعيط: الذليل.

٥ د ط س: عيب.

وسلّمتُ إلى مَنْ له الأمر ، وببيدهِ النفعُ والضُرُّ ، وإليه العطاءُ والمنعُ ،
وأنا في هذا الوقتِ منشرحُ الصدرِ ، خلوٌّ من الفكرِ ، وسببُ ذلك كلُّ^١
'خيرٍ من قبَلِ فلان ، فإنه لما علم كرتبي ، لم يزل يتلطفُ في صلتِي ،
فله هو إذا بهرج الرجالِ نقدٌ ، وقليلٌ تحصيلهم في الفضلِ عدٌّ ، ما
أميزه بالدنيا^٢ ، وأسراه في طُرُقِ العَلِيَا ! وما أعرفتهُ من أين يؤتى [المجد] .
وكيف يُقبِتني الثناءُ والحمد ! ومما أنفذتُ إليك^٣ من مخاطباتي تُقفِ على انفرادهِ
بالفضلِ ، وارتفاعهِ عن المثلِ .

ووردني كتابك فضعفَ سروري أضعافاً ، وردَّ شواردَ أنسي^٤
ألقاً ، وأمدَّ ابتهاجي بأمداد ، وأرادني من الجدلِ في أخصَبِ مراد ،
ووقفتُ على جملة ما يُحسِّمتهُ ، ولستُ أعارضُ بشكرٍ لإجمالك ، ولا
أطاولُ بثناء^٥ أفعالِكَ ، لأنَّ العجزَ لاحقٌ لي ، والتقصيرَ معصوبٌ بي .
غير أنَّ مبدأ^٦ ما أنت بسبيله يقتضي أن تقفَ على منتهاه ، وأول الأمرِ
[فيه] يخفركَ أن تنتهيَ إلى أخرهِ .

وله فصل في مثله : ما أظنُّ أن لدجى^٧ حالي انبلاجاً . ولا لكربة نفسي
انفراجاً ، ولا إخالُ غمّراتِ الهمِّ تنجلي ، ولا مُدَدَ النحوسِ تنقضي .
ومن كانت له من الدنيا حظوةٌ يصطفيها ، ومكانةٌ يستقرُّ فيها ، فليس

١ ط س د : وكل .

٢ ط د س : بدنيا .

٣ ب م : إياه .

٤ م : مخاطبتي .

٥ ب م : الألس .

٦ ب م : بدء .

٧ ط د س : الداجي .

لي منها إلا أن أرى كيف تنقسم رتبها وتتناوب ، وتتنازع^١ نعمها وتتجادب ، وتغنم^٢ فوائدها وتتناهب ، حتى كأني جئت على العدد [٧١ أ] زائداً ، ولم أكن عند القسمة شاهداً ، فنُبذتُ بالعراء ، ولم يُشَبَّتِ اسمي في جملة الأسماء ، وما أقولُ هذا قولَ ساخط ، ولا أيأسُ من رحمة الله بأس قانط ، ولكن ربما استراح العليلُ في أنة ، واستغاث المتوجع إلى زنة ، وخففَ عن المصدرِ نفث ، ونفَسَ من وجذِ المكروب^٣ بث .

ووصلَ كتابك مؤتسماً بإحاشِ النَّوْبِ ، ومسلماً عن حوادث الكرب ، على عادة ما يردُّ من تلقائك ، ويتجددُ لديَّ من أنبائك ، ووقفتُ على ما أزمعتُ عليه من لقاء الوزير الأجلِّ^٤ ، فهيجتُ لي بذكره^٥ ، صباية لقياه ، واستطرت^٦ من أشواقِي إليه وقعاً ، وأيقظت من آمالي فيه هُجوعاً ، وجعلتُ المني تذهب بي كلَّ مذهب ، وتجري من بروقها بين صادقٍ وخُلَّب ، وتخيلَ لي أن المثلَّ بحضرته قد دنا ، والفوزَ برؤيته قد أنسى ، وتناولتني المواجسُ بذلك حتى كأنَّ ناظري مستنيرٌ بمراه ، وسمعي مُصغِرٌ إلى نجواه ، فما لبثتُ أن أنشدت :

مني إن تكن حقاً تكن أحسنَ المني وإلا فقد عشنا بها زمناً رغداً^٨

١ د ط س : وتوزع .

٢ د ط س : وتغنم .

٣ م ب : المستريب . ٤ عن : سقطت من ط د س .

٥ ط د س : من لقاء فلان .

٦ ط د س : بتذكاره .

٧ ط د س : وأطرت .

٨ البيت أرجل من بني الحارث ، المرزوقي : ١٤١٣ وذيل الامالي : ١٠٢

وفي فصل منها^١ : ما عسى أن أكتبَ وقد أطلتُ في القول حتى أملتُ ،
وأكثرُ من التشكي حتى أضجرتُ ، ولو شئتُ أن أقولَ لما أسعدتُ
نفسُ قد هدمتها^٢ الهمومُ فما تقدر ، وأحسبُ [أن] لو أقبل عليَّ من الدنيا
مؤلتها ، وأمكنتني الآمالُ^٣ من نواصيها ، لما اهتزتُ لها اهتزازَ نشاط ،
ولا وليتها ولايةَ اغتباط ، فبؤسا للدهر ما أعنفه^٤ ؛ من مالك وأصوله ،
فانظر على أي نفسٍ قدر ، وفي أيِّ هممٍ أثر ، وأيِّ خطيرٍ أخمَل^٥ .
وأيِّ إباء استنزل^٥ ، وأيِّ حدٍّ كلَّ وقلل^٦ .

ومن أخرى : في حالي - أعزك الله - عجبٌ للمتعجب ، كلما رُمْتُ
وجهةً فأتيتها من أقصدٍ مذهب ، وتناولتها بألطف مرغب ، حتى تحيل
لي أن أبيتها قد أسمع ، وحميد السعي فيها قد أنجح ، رجعتُ عنها صفر
الوطاب ، وحصلت على رقرق السراب ، وكان المستعجلُ منها أبطأ
وأعصى ، والمستقرَّبُ أبعدَ وأناي ، ويا ليت شعري إلى متى ، وكم أتعذبُ
وأشقى ، وهل لهذا التحير^٧ أمد ، أم زمني كله نكد ؟ !

وفي فصل من أخرى : وأما حالي التي تطلعت إليها فحالٌ من لا يزالُ
يستنجزُ الأيامَ عداتٍ كواذب ، ويستسقيها فتمطرُ صواعقَ ومصايب .
وله من أخرى يخبر ما جرى عليه بدولة المقتدر : كتابي وأنا أسايرُ

١ ط د س : من أخرى .

٢ ب م : نفسي تد همرمتنا ؛ د ط س : همرمتها .

٣ د ط س : الأيام . ٤ ط س د : أعقبه .

٥ ط س : اناء استذل ؛ د : اناس .

٦ ط د س : وأي حد فل .

٧ ب م : البحر .

من هذه النكبة^١ غمرة يتناول مداها ويمتد ، وأصابر منها محنة تزيد مع الأيام وتشتد . وزادني قلقاً ما حكاها لي فلان من [٧١ ب] خبير المقتدر في السبب الذي له جُميت ، ومن أجله أقصيت ، وذكر ذنوباً كانت مني ، وأقوالاً بلغت^٢ عني ، منها تحصيل حركاته وأخباره ، وتحريف ما كنت أشاهده في مجلسه الكريم من آثاره ، وأراه يذهب في تعديد ذلك ذهاباً دل على حردي ، وأنبا عن سوء معتقدي ، فأزعجني الأمر إزعاجاً يقتضيه تغيير رأي مثله من الأملاك ، الذين هم كالليل في الإدراك^٣ ، وكالقضاء إذا شاعوا في الهلاك ، ولم أجد نفسي قسراً على تغييره ، ولا هدوءاً مع تنكّره ، وقد يجوز أن يكون للمبتغين في السعاية بلاغات محرّفة ، واختلاقات مزخرفة ، تثير بسمعيها حرّجاً ، وتهيج أنفأ ، فمالي حرّمت منه ما هو معلوم دون ملوك العصر ، من سعة الحلم وكثرة الصبر ؟ ولم عدت عنده ما هو موصوف به من كظم الغيظ إذا أحفظ ، وذكر الرضى إذا أغضب ؟ بل كيف حتى خصصت وحدي من بين العالم ، بأن يصغى في جهتي إلى النائم ؟ ! ولو رزقت من تأمله - أيده الله - ما أصغى إلى ذلك الناقل وما أنهاه ، إذ الإفك ما حكاها ، فلم يك من ذوي الأديان فيوثق في نقله ، ولا من ذوي النصائح فيقبل من مثله ، ثم من أعظم الخطوب ما أدرجه في أثنائه ، من تعديد أياديه وآلاته ؛ ونعم ، أولى - أيده الله - وشرف ووجه ، ونبه من خمولى ونوه ، ولست لكل ذلك بكاند ، ولا لجميع ما أولاه يجاهد ، ولو جحدت

١ م ب : النكدة .

٢ د ط س : بلغت .

٣ من قول النابغة : فانك كالليل الذي هو مدركي .

٤ ط د س : جرحا وتهيج قرحا .

لأقرت عليّ المواهب ، ولو سكت. لأنتت. بالائه الحقائق^١ ، وأحمدُ الله تعالى على ما اتفقَ لي عنده من هذا الاعتقاد فيّ ، والنظرِ بمثل هذه العينِ إليّ ، [هذا] مع فَرطِ تحرّزي وانقباضي ، وتناهي تدلّلي وانخفاضي ، وما جنبلتُ عليه من سكونِ الطائر ، وغضِّ الناظر^٢ . ونَحْرِنِ اللسان ، ومهابة السلطان ، في السرِّ والإعلان . وإذا فكرتُ في ذلك لم أستغْرِبهُ ، لما علمتُ من شقائي في جدّي^٣ ، وسوءِ أثرِ الزمانِ عندي ، ففي مولدي أن تقسو عليّ قلوبُ أستلينها وأستلطفُها ، وتُعْرِضَ عني جوانبُ أستميلها وأستعطفها . وما زلتُ مذ كنتُ أعتدُّ مظلوماً واسترضي متسخطاً ، وأداري متشططاً ، واضطرّاً إلى الاقرارِ بأجرام^٤ لا أجنيتها ، والاستعفاءِ عن ذنوب لا أدريها ، وكيفما دار الأمر ، وتصرفَ بي الدهر ، فلإني لا أفارقُ عِصْمَةَ ولائه ، ولا أنحرفُ^٥ عن تأميله ورجائه ، حتى يهبَ الله لي منه تأملاً يستوضح به^٥ براءةَ ساحتي مما نُسبي إليه ، وسلامةَ جهتي [٧٢ أ] مما زوّرَ لديه^٦ ، فيعودَ بي إلى المهودِ من رأيه الجميل ، ويوسعَ الكلَّ من طوّله الجزيل ، فلم يكنْ قدَرُ ما نميّ إليه لو قام عليه دليلٌ يُقنَعُ ، وظهر بصحّته أمرٌ لا يُدْفَعُ ، مما قدَحَ في رياسته ، وغضَّ من نفاسته ، فيؤيسَ من كريمِ عطفه ، أو يضيقَ عن تغمده وعظيمِ صفّحه . وأنا أرغبُ أنْ تلخّصَ معاني كتابي هذا بفضلك وتعرضها عليه ، وتأخذَ جُمْلَتَهُ

١ من قول نعيم بن رباح (ديوانه : ٥٩) .

فماجوا فائتوا بالذي انت امله ولو سكتوا ائتت عليك الحقائق

٢ س : شقي جدي .

٣ ب م : بالاجرام .

٤ س : أتخرف .

٥ د ط س : منه .

٦ ب م : اليه .

وتفصلها لديه ، وتحلّي ما خشنَ منها بلطفِ إشارتك ، وتُتِمّ^١ ما نقص منه بحسنِ عبارتك . وتتوخّى لذلك وقتَ نشاطه ، وساعةَ انبساطه ، فعسى أن تصادفَ به إصغاءً يتّني عن النّبوة ، ويُلينُ جانباً من القسوة ، ويُدْهِبُ بعضَ ما يجده ، ويصرفُهُ عن هذا الاعتقادِ الذي يعتقده .

وله من أخرى يشرح أيضاً ويذكر خبره مع المقتدر : تَطْلُعُ عليكم مع^٢ هذا الكتاب طوامٌ مُعْضِلَةٌ ، وعجائبٌ مُدْهِلَةٌ ، ينسبك بعضها بعضاً ، وتُفْنِي^٣ وأنت لا تدري أناملكَ عضماً ، وكأنتي بك كلما نشرت منه سطرًا ، وطالعتَ فيه أمراً ، تتصببُ عرقاً ، وتدوبُ فرقاً ، وتغشاك سكرةٌ على سكرة ، ولا تخرجُ من غمرةٍ إلاّ إلى غمرة ، وألها : أنه يخاطبك فيه مَنْ كان ميتاً ولم يكذبُ يبعثُ حياً ، وَمَنْ هلكَ هلكَ عادٍ ، وليس على ثقةٍ من معاد ، فيجبُ أن تقنعَ بما يتفق من وصفٍ ، وتعذرَ الخاطرَ إن لم يسمحُ لك بحرفٍ ، وخذ الآن إليك ، فافتح مسمعيك : فارقتنا عند نهوضِ المقتدر بالله بجيوشه وانفق أن كنتُ أحدَ القاعدين ، ولم أُلْفَ في عدادِ الغازين ، ولا في من لقي^٤ من لقيفِ الكتاب ، وأعيانِ الوزراء والأصحاب ، فاشتد حنقُهُ على الخوالمِ ، وعمَّ سخطه جميعَ الطوائفِ ، ونذر إذا قفلَ ، أن يصنعَ بهم ويفعل ، وقدّر الله أن غنم ، وفُتِحَ على يديه^٥ وسلم ، ولعلك تطلبُ شرحَ هذه النكته ، وتَسألُ كيف كانت القصة ، ولئن عجزتُ عن التفصيلِ فاسمع الجملة :

١ ط د س : يخلص . . . ويعرضها . . . ويأخذ جملة وتفصيله . . . ويحلي . . . ويتمم .

٢ ط د س : يطلع عليكم من .

٣ ط د س : وتعص .

٤ د ط س : بقي .

٥ ط د س : وفتح عليه .

جلس بعد أيام من صدّره في مجلس الذهب ، وعليه سيما الغضبِ
والرهَب ، والناسُ يستعيذون بالله من بوسه ، لما رأوا^١ من فرطِ عبوسه ،
ثم قال : أين فلان ؟ فكنْتُ للشقوةِ غائباً عن المكان ، فقيل ليس بحاضر ،
فاندفع من فوره وأقسم بالغمسوسِ أن أُعزَلَ عن خدمته ، ولا أبقى في
بَلَدْتِه . فاستحوذَ على الكلِّ البهتُ ، وملكَ جميعهم السكّتُ ،
وحضرتُ أحدَ الوزراءِ بديهةً تراجعَ بها شيءٌ من ذهنه ، فتجاسرَ بعضُ
التجاسرِ عليه وذكره بالكظم ، واسترجعه إلى سجيته من الحلم ، فضجر
أشنعَ من الأولى ، وشدَّ اليمين [٧٢ ب] بأخرى ، فانقطعت أسبابُ
الرجاء ، ولم تكن حيلةٌ في القضاء . وسبقَ إليّ ذلك النبأُ الفظيعِ . ثم
تلاه الأمرُ الشنيعُ . فتوهمُ - جعلني الله [فداك] - صورتني إن صحَّ لك
توهمٌ ، وتخيّلَ حالتي إن بقيَ لك تخيّلٌ ؛ وأذكرُ لك ما بقيَ في ذكري
وثبتَ في ذهني ، وسقطتُ مغشياً عليّ . وعابنتُ الموتَ جاداً إليّ ،
وشاهدتُ نفسي وهي تخرج . ورأيتُ روحي وهي تعرّجُ^٢ ، وبقيتُ
لا أقانقُلُ ولا أزعجُ ، كالمستضعفِ أحاطتْ به غلبةٌ . ولم تُسمعْ له
طلبيةٌ ، وبالك من مقتدرِ شمختُ العزةُ بأنفه ، ولم يثنِ الجبروتُ من عطفه ،
وقد فارقتُهُ الرأفةُ ، وتمكنتُ منه القسوةُ ، واللجاجُ يغريه بازعاجي ،
ولا يشفيه شيءٌ^٣ غيرُ إخراجي ، لعلمه أن ليس له عندي إنعام ، يمكنني
معه خروجٌ أو مُقام . ثم خرجتُ مع هذا كله على رغمي إلى شنتمريّة^٤ ،
وهي القبرُ إلاّ أنها من قبورِ النّقمةِ لا من قبورِ الرّحمةِ ، وأنا الآن فيه

١ د ط س : رأوه .

٢ د ط س : وهو يمرج .

٣ د ط س : يشفى بشيء .

أتعذبُ بغمته ، وأتقلبُ في ظلمته ، وتُعَرِّضُ عليَّ أعمالي ، ولا أدري إلى حيث يكونُ مالي .

هذا يا سيدي بعضُ ما تحصلَ في هذه الأحوال ، بما جرى عليَّ من الشدائدِ والأهوال ، فرقَ الآنَ لأخيك رِقَّةَ راحم ، وابكِ عليه بدمعِ هامٍ وساجم^١ . وتقطعْ إشفاقاً ، واستشعرِ انطباقاً ، والبسْ عليه أغبرَ إن لم تلبسِ حداداً ، وألقِ للعزائمِ عنه وساداً ، واعجبْ لطولِ تلاعبِ الأيامِ بي ، وتلوِّها [وتلوِّها] في تركي مطرَحاً بمنزلةِ ضياع ، ووضعِي غرضاً لتحكِّمِ جهالَ ورِعاع ، أجرعُ من الهونِ ما أجرعُهُ ، وأقابلُ مينَ الضيمِ ما لا أدفعُهُ ، وأساءُ دهري كلَّه وأكربُ ، وأجرُّ كلَّ حينِ بأيدي الاهتضامِ وأسحبُ ، ولا أعدَمُ في كلِّ مكانٍ منْ يتجنى ، ويعتدُّ ذنوباً لا تُدرى^٢ ، ولا ذنبَ لي إلاَّ كفُّ الأذى من لساني ، ومسألةُ الوري في سرِّي وإعلاني ، وإذا كانت هذه المحاسنُ التي تعجزُ عنها ذنوبي التي أجفى لها ، فكيف أستغفرُ منها . وقلْ لي كيف أعتدُّ عنها ؟ وما زلتُ أجهدُ - على علمك - أن يكونَ هذا الانفصالُ عنه اختياراً ، فأبى الله إلاَّ أن يكونَ اضطراراً ، وطمعتُ أن أستفيدَ في تلكِ الصحبةِ ما يُعينني على نيَّتي ، ويريشُ جناحي للنهوضِ إلى طيِّبتي ، فما حصلتُ منها إلاَّ على قبيحِ عزائمي .

قال ابن بسام : وهذا الفصلُ محلولٌ من قول^٣ البحري حيث يقول^٤ :

[٧٣ أ] .

١ ط د س : بدمعة ساجم ؛ ب م : بدمعة غام وساجم .

٢ س ط د : ويهد . . . تدرا (تدرا) .

٣ ط س د : نظم .

٤ ديوان البحري : ٩٥٤ .

إذا محاسنيّ السلائي أدلُّ بها كانت ذنوباً فقلُّ لي كيف اعتذرُ
 ومجلسُ الذهب الذي وصفَ أبو المطرف مجلساً في دار السرور ،
 أحد قصورِ المقتدر بن هود بسرقسطة ، وفيه يقولُ ذو الوزارتين ابن
 غندشلب^١ يهجو الوزيرَ ابنَ أحمد ، وكان ينبز بتحتون^٢ :
 ضجَّ من تحتونَ بيتُ الذهبِ ودعا مما بسه واحربي
 ربُّ طهرني ففسد دتسني عارُ تحتونَ المثوفِ الذنَّبِ

وله من أخرى يصف ضيقَ المكانِ الذي أخرج إليه : فرَّقُ ما بينَ
 المكانِ الذي وردتُ عليه ، وبين القبرِ الذي مآل الإنسان إليه ، [أن]
 المقيمَ به والساكنَ فيه يُدْفَنُ حياً ، ولا يعلمُ من نورِ الدنيا شيئاً ، وأنا
 منذ احتلاله أفرغُ من حجّامِ ساباط^٣ ، أركلُ وأضربُ الآباط ، وتارةً
 ألعبُ بشطرنجٍ وتردُّ ، وتارةً أطلعُ أخبارَ بشرٍ وهندٍ ، وأخرى
 أيضاً : أظلُّ ردائي فوقَ رأسي قاعداً ، أعدّ الحصى جاهداً ، وأرمي بها
 صادراً ووارداً ؛ وكانت راحتي في مخاطبة صديق أجاذبه^٤ الكلامَ ، وأقطعُ
 بمناجاتِهِ الأيامَ ، ولكنَّ من مِحْنِ الدنيا^٥ ألاَّ أجدَ من يتحمّلُ لي
 كتاباً ؛ ولقد ظفرتُ بمن توجهَ إلى تلك الناحية فكتبتُ مخففاً عن صدري ،

١ في الاصول : عبدشلب ، واقطر النفع ١ : ٥٣٤ .

٢ النفع : يتحتون ؛ ط د س : بحتون .

٣ كان يحجم الهند بنسيئة إذا مروا به ثم يقعد فارغاً بعد ذلك (الميداني ٢ : ٢٢) .

٤ ط د س : بالشطرنج والنرد .

٥ راجع هذه القصة في مقامات البديع ، المقامة البشرية : ٢٥ ؛ والمعنى انه اتبل على كتب الاسمار والاساطير يقطلع بها وقته .

٦ ط س د : أجاره .

٧ ط د س : الزمان . ٨ ط س : ولو .

وطالعتك أنت والإخوان ببعضٍ أمري ، وانتظرتُ صدرَ ذلك الإنسانِ ،
بأجوبةٍ تفيدهُ بعضَ السُّلوانِ . فلم يكن منهم إلاَّ كلُّ جافٍ جلفٍ ١ ،
لم يترَّ في دينه المراجعةَ بحرفٍ ، فساءَ بذلك ظنِّي ، وقرعتُ على ما فعلته
بالندم سنِّي ، وتصرَّفَ فكري في أنَّ ذلك الرجلَ كان من معارف الرُّجسِ ،
فاتهمتُ أن الداخلةَ دخلتُ عليَّ منه ، ولولا ذلك لفجأكَ من العتبِ ما
يُرهِقُ شمسك ، ويصلحُ من رَوْحِ الله بأسك ، فعجَّلَ مراجعتي بجمليَّة
ما عندك من وصولِ الكتبِ أو غيرِ ذلك ، ولا تزدُ على ما في جوابك ،
فلإني زاهدٌ في قراءةِ كتابك ، غيرُ نشيطٍ لما يردُ منك ومن سواك ٢ ،
ولو راجعتُ عما أكتبُ بالضعفِ ، عن كلِّ سطرٍ بألف .

وله من جوابٍ على كتابٍ ورد عليه من بعض إخوانه بالعفو عنه :
ورد جوابك الكريم فنفس من كُرْبتي ، وأنس من وَحْشيتي ، وروح
عن قلبي الأسي . ووصل [بين] طرفي والكري ، بما أطلعتَه عليَّ
من الفرحَةِ المستمطرة ، والبشرى المنتظرة ، في سكونٍ ضجر المقتدر
[بالله] وغَضْبَتِيهِ ، ونزولِهِ عن أكثر عَتْبِيهِ وَمَوْجَدَتِيهِ [٧٣ ب]
وامتنانه ٣ بالقبولِ لإنايتي ، والإصغاءِ إلى استلطائي واستلاتي ، وما كان
ليقطع عصمة من انقطع إلى علاه ، ولا يؤوب بحسرة الخائب من أمته
وزجاه ، ورأيتُ ما لَوَحَّتْ به من الأشياءِ الموجبة للجفاء ، على ذلك الإقصاء ،
وانها تواكدت ٤ على مرِّ الأيام بأقوالٍ مستبشعة ، وبلاغاتٍ مستشعة ،

١ ب م : جلف جاف .

٢ ب م : سؤالك .

٣ ط د س : واستنابه . . .

٤ د ط س : وإنما تأكدت .

وقد آلم وساء ، وبلغ الباغي في النكاية ما شاء ، ولكن أترى أن الحاكي لها ميمّن يتحلّى^١ بفضل ، أو يرجع إلى دين وعقل ؛ وهل يجوز أن يتسوقَ بمثلها^٢ إلاّ أوضاع الدنيا ، وسقّاط أتباع أولاد الزنا ؛ وقصاراهم أن يتعرضوا للطخ الأعراض الطاهرة ، ويتمرسوا بيطعن على الفضائل الباهرة ، بكذوب^٣ تُلَفَّقُ ، ومحالات تختلق وتنمقُ ، فما أبعده جوازها على العقول ، وأقلّ نفاقها عند ذوي التحصيل ، وأخلى بها من شبهة^٤ أن تنجلي ، ومن ضرْمِ إحنة أن تنظفي .

ومن أخرى يصف خبر نكبته^٥ : ورأيت ما تعلق بيالك من معرفة حالي ومجراها . في حدّها ومنتهاها ، وفي شرح ذلك خطب ثقيل ، وشغب طويل ، جملته : أن الذي كتب على لساني أوّسعه ثلباً في قول تقوّله عليّ ، واستخفافٍ نسبه إليّ ، وعلم الله تعالى براءة ساحتي من ذلك ، ونزاهة نفسي عنه ، لكن الطبائع الخبيثة تقبلُ سريعاً من أجناسها ، ولم تزلْ تزيّد وتكثر حتى فار الاناء بما فيه ، وأبرز ما كان ينطوي عليه ويخفيه ، وليس عندي في ذلك أكثر من أن الأقدار تعملُ أعمالها ، وتُظهرُ في البشر عِلَلها وأفعالها ، والذي يغمّي من ذلك ويهمّي جدّ لا ينفك من عثار ، وحال لا تزال في خمول وإخمال ، وقَطْعُ عمري في كدّ وذلّة ، وجهدٍ وقلّة ، وتصرفٍ لا ترضى به آلائي ، واتّضاعٍ ترفعني

١ ط س : مما يحل .

٢ د ط س : بامثالها .

٣ ط س د : كذوب .

٤ ب م : شبة (صوابها : شبه) .

٥ د ط س : وله من اخرى .

٦ ط س د : ويظهر بالبشر .

عنه أدواتي ، بحيثُ يتقدمُ الجهلُ على النبل ، ويستطيلُ ما شاءَ على الفضل ،
وتُنالُ الرُتَبُ بالمخارق ، وتُعطى الكِوَادُنُ حظوظَ السوابق ، ولم أزلُ
أصبرُ من ذلك كله على ما يُشيبُ رأسَ الوليد ، ويُنذِبُ الحديد ، ويهدُّ
الرواسيَ هدأً ، وَيُحَدِّثُ للجِماذِ غيظاً ووجداً ، لئلا يقالَ مضطربُ
يقلق ، وعجولٌ لا يتأتى ولا يرفق ، حتى آلت الحالُ إلى هذا المآل ،
وبلغ الكتابُ أَجَلَهُ في الانفصال ، فاعجبُ يا سيدي مما يُدْفَعُ الإنسانُ
إليه من شقاءٍ يقاسيه ، وعناءٍ يعانیه ، ومعنٍ يغشاها [٧٤ أ] ألواناً ،
ونوبٍ تفرقُ عليه أقراناً ، ومغايظَ تطرفُ الناظرَ بقذاها ، ويعرضُ في
مجري الأنفاسِ شجاها ، وتقطعُ النفسَ أنفاساً ، وتحيلُ العيشَ أبوساً ،
ويأبى الروحَ مع ذلك لشقاوته إلاً أن يكونَ حافظاً لحياته ، حتى يتعذبَ
بكلِّ ما عددته ، ويتألمَ من جميع ما سردته ؛ فليت شعري : لم هذا ؟
وعلامَ الرغبةُ في الازدياد ، وهذا الحرصُ على التماسِ ؟ ولو أنَّ الأيامَ
كلَّها في نعيمٍ مُحتَمِلٍ ، وسرورٍ متصلٍ ، لما كان ذلك إلاً بمنزلةِ ظلِّ
زائلٍ ، ولم يُحَلَّ منه بطائلٍ ، إن هذا لطموسٌ أضلَّ الأبوابَ فلا تدري
الرشادَ ، وأفسدَ الأفكارَ فلا تعلم ما المرادُ ٢ .

وله من أخرى إلى الوزير أبي الفتوح ٣ : ما زلتُ — فسح الله لك أيها
الوزيرُ الأجلُ غايةَ الأمل — منذ سمعتُ فضائلكَ تُدَكَّرُ ، ومناقبكَ
تُنشَرُ ، وسُورَ سرِّوكَ تُتلى ، ومحاسنَ فعالك تُجلى ، أحنُّ إليك
حينئذٍ ككيف ، وأنشوقُ نحوك تشوقَ شغيفٍ ، وأستمنحُ الأيامَ خلَّتكَ ،

١ د ط س : يملب .

٢ ط د س : وانسد الاكوان . . . السداد .

٣ سقطت هذه الرسالة من ط د س .

وأودُّ لو أفادني صلَّتكَ ، حتى فتحتَ لذلك غلَقًا ، ونهجتَ له طُرُقًا ،
ومكَّنتَ من المعارضِ بالودِّ ، وسببتَ التناجي على البعد ، فكان ما أتيتَه
من ذلك بحسبِ البُغْيَةِ ، وواقعاً موقعَ الأمانة ، وهكذا فعلُ من
حوي بالسعادة ، وأنشئَ على السيادة ، حتى فرَّعَ من المجد ذرَاهُ ،
واستولى من كلِّ فضلٍ على مداه ؛ هنأني الله ما منحني من صفائك ،
وبارك فيما وهبني من إخائك .

وإنَّ كتابك الكريمَ ورد ، وعلمتُ ما وراء افتتاحِكِ المكاتبةَ من
ودِّ صريح ، ومييلٍ صحيح ، وانجذابٍ جدَّتهُ لا محالةَ تجانسٍ في
الخلايق ، وتشابهٍ بين الطبائع ، ولله ما أفادني الأيامُ بك ، وأكسبتنيهِ
منك ، ورأيتُ ما أشرَّتْ إليه من إجرائك إلى الصلة بيني وبين الملك الأجلَّ
المنصور — أطال الله بقاءه ، ووصل اعتلاءه — ولا بدَّ أن تُسبِّبَ للمواصلةِ
أسباب ، وتفتحَ للمداخلةِ أبواب ، فيتسنى بذلك من تألف النفوسِ
كامنٍ ، ويكون الامتزاج ظاهراً كما هو باطن ، وأنا أرغبُ أن تتناولَ
ما بدأتَ من ذلك فتتمِّمه ، ولا تحلَّ من عقد الوصلة يدك أو تحكِّمه .
وقد لقيتُ فلاناً فرأيتُ لعمري فضلاً رائعاً ، ونبلاً بارعاً ، وحلاوةً
تستهوي ، ولطافةً من ذلك السُرورِ تستملي .

ومن رسائله الإخوانيات

فصل له من رقعة : إذا صحَّ الودُّ ارتفعَ التصنُّعُ^١ فيه ، ولم تُستخدَمِ
الأقلامُ في شيءٍ من معانيه ، ولهذا أُضربتُ [٧٤ ب] عن وصفِ الاعتقاد

١ ط س د : الصنع .

ولم أجرٍ فيه على المؤلف المعتاد .

ووصل فلان ، فلا والله ما رأيتُ أُنبي^١ منه لمجدٍ ، ولا أنطقَ منه بحمد ،
كلما اطمأنَّ به مجلسٌ لا يزال يُسني ، والأسماعُ إليه تُصغي ، حتى
يجعلَ المحبَّةَ فريضةَ دينٍ ، ويمكنَ للقولِ من الأنفسِ أيَّ تمكينٍ ؛
ثم تفرَّدَ في خلالِ ذلك من رُشدِ الطرائق ، وشرفِ الخلائق ، وعلوِّ الهمم ،
والتطبُّعِ بالكرم ، بما يقضي أن للسيادة فيه أسراراً^٢ ستظهرها الأقدار ،
وينطقُ بها الليلُ والنهار ، والربُّ تعالى يُتِّمُّ عليه موادَّ نعمه ، ويوفي به
على مطالعِ هِمَمِهِ .

وله من أخرى : وردني كتابُكَ على حين كانت الأشواقُ تتَوَكَّفُهُ ،
والأماني تتشَوَّفُهُ ، فأبهجني مطلعُهُ ، ولطَّفَ مني موقعه ، وأجلتُ فيه
ناظري فاجتليتُ لسانَ الودِّ يهوحُ بسريرةِ الصِّفاء ، ويُعربُ بحقيقةِ الوفاء ،
وعاينتُ نجيَّ المقة كيف يساقى كأسَ المحبَّةِ صرفاً ، ويهزُّ باللطافِ الصلوةِ
عِطْفاً ، لله هو من كتابٍ أحضَرَ وفدَ الأُنسِ عندي ، وجدَّدَ الجدلَ
كعهدِي ، ورفع للأطرابِ ألويتي ، وعطرَ بطيبِ^٣ الشمائلِ أنديتي ،
وبنفسِي مُهدِيه ، وخاطرٌ تَلَطَّفَ في معانيه ، وراعِ برائعةِ أغراضه
ومباديه ، وإذ لا تسعفُ الليالي بتلاقٍ يشفي ، فالتناجي بمثله يتعلَّلُ
ويكفي ؛ لا زالت أسبابُ مواصلتك لي مؤكَّدة ، ورسومُ ملاطفتك عندي
مجدِّدة .

ورأيتُ من ذلك الفاضل سيراً؛ تنتظرُ درَجُ العلا أن يرتقيها ،

١ س : أنبا .

٢ ط د : ان السيادة اسرار .

٣ ط د س : بتلك .

٤ ط د س : سرأ .

وتتشوفُ إليه رتبُ المجدِ أن يعتليها ، وكأني به قد أجنستهُ الأمانى ثمارها ،
وزقتُ إليه السيادةُ أبقارها ، وقاه الله العيونَ ، وحققَ فيه الظنونَ ،
فما أنبلَ قدرهُ ، وأكملَ سرورهُ !

وله من أخرى : إذا نجم الفضل — [أعزك الله] — من المعادنِ الشريفةِ ،
في المناصبِ المنيفةِ ، ثم تحلّى بجملةِ الآدابِ ، ولم يتكل في العلا على بنيةِ
الأحسابِ ، فلا غرورَ أن يكثرَ خطابهُ ، لأن تعلقَ أسبابهُ ، ويشتاقسَ
في عرفانه ، ليحصلَ من معارفه وخلاّنه ، وأنت — يبقيكَ الله —
ذلك الضاربُ في الشرفِ بأرسخِ عِرْقِ ، الفائقُ في الفضلِ كلَّ ذي
سبقِ ، تُعربُ عن ذلك الأخبارُ السائرةُ ، وتتمُّ عليك به الأنباءُ العاطرةُ ،
لا سيّما بأوصافِ فلان ، لعلمه بحرصي على ذلك الأفقِ لا يزالُ يهدي
إلي أخباره فيخصمك بينهم من الخلالِ والمناقبِ ، وحسنِ السبِّيرِ والمذاهبِ ،
ما قد شوقَ نفسي إليك ، وملاً جوانحي حِرْصاً عليك ، وتمنيتُ لو حُرْتُ
أسبابَ [٧٥ أ] القدرةِ ، بتنقلي إلى تلك الحضرةِ ، ولم أتمالك أن خاطبتك
خاطباً صلتك ، ولستُ من الأكفاءِ ، وراغباً في خلقتك ، وإن لم أكن من
النظراءِ ؛ لا زالتُ تستخْلِصُ الأنفُسَ شمائلُك ، وتقفُ عليك
المودّاتِ فضائلُك .

وفي فصل من أخرى : قد كنتُ — أعزك الله — متمنياً لهذه الأبتامِ ،
كما يَتَمَنَّى في المحلِ صوبُ الغمامِ ، ومنتظراً لظهورِكَ فيها ، كانتظارِ النفسِ
أعذبَ أمانيتها ، ولما أطلعتَ طلائعها السعدُ ، واستمرَّ بك الارتقاءُ

١ ط س د : وكان .

٢ ط د س : لتعلق .

والصُّعُودُ ، قلتُ لنفسي : بشراكِ ، أسفلكِ الدهرُ بمناكِ ، وسركِ في بعضِ أعزَّتكَ وأرضاكِ ، الآنَ آنَ للنحوسِ أنَ تُدبِرَ عنكِ إِدبارَ المنهزمِ ، وللنوابِ أنَ تحذَرَ منكِ سطوةَ المنتقمِ ؛ وأذني في الاصغاءِ ، إلى ما يطرأ من الأنباءِ ، فلا تنفكُ مُبهِجَةَ الأخبارِ تترى ، ومُشْلِجَةَ المسارِ تتناصرُ وتتوالى ، وكلِّما قيلَ قَرَعَ من الجاهِ ذِرْوَةٌ ، واستجدَّ من العزِّ كُسُوةٌ ، سرتِ العزَّةُ في خَلَدِي ، وطالتُ على النوبِ يدي ، وحينَ صحَّ تمكُّنُكَ عندي ، انبسطتُ إلى مخاطبتك نفسي ، مذكرةً^١ لك في تنويهي وغرسي ، إن صادفتَ من الزمانِ إسعاداً ، وملكْتَ^٢ من إحدى الممالكِ قياداً ؛ على أنكَ ممن لا تُنسيه المعارفُ حالاً^٣ ، ولا يلهيه عن الجميلِ إقبالٌ ، ولو استقلَّ بك السريرُ ، ودان لك الخورنقُ والسديرُ ؛ ليأمنُ مسألتي الدهرُ المحيلُ فقد حسبي أحاوله ، أم أيَّ حظٍّ أجزلُ من إقبالك عليّ أتناوله ؟ كلا والله ، ما أسألُ وقد نلتُ الرضى ، ولا أجري بعد أن بلغتُ المدى ، حسَبُ يدي وما علقَّتْ ، ولتفتنعُ نفسي بما رزقتُ ، فلكلِّ طلابٍ غاية ، وللظفرِ بالمنى راية .

ومن أخرى : أيُّ حمدٍ يفي بمنٍ لك تُسليفُها ابتداءً ، وتُتأبِعُها ولاءً ؛ بلا وجوبٍ يقتضيها ، ودون سببٍ يستدعيها ؟ بعيدٌ عليّ أن تقومَ لذلكِ قدرتي ، أو تبلغهُ استطاعتي ، وليس عندي إلاّ بذلُ المهجة فيما وصلَ بك ، وضمُّ إليك ، وإرخاصُ النفسِ فيما أدنى إليك ، وأحظني لديك . ووجدتُكَ قد أشرتَ إلى عُدُرٍ أعجلك في الكتاب ، عن التعمُّلِ والإسهابِ ،

١ ب م : مدركة .

٢ ط د س : أو تملكْتَ .

٣ ط د س : بحال . ٤ ط د س : التعمق .

ووصلت ذلك بأن حسنت مذهب الاسترسال ، واعتفيت من مؤنة الاحتفال ،
حسبما يوجبهُ تمكّنُ الاتصال .

وله فصل : ووصلت الأبياتُ الرائقة تعبقُ في أنفِ المنتسّم ، وتشيرُ
لعينِ الناظرِ المتوسّم ، وتأمّلتها فرأيتُ نورَ الحكمة منها يتألقُ ، وماءِ الطبعِ
عليها يتدفقُ ، وما أنا إلاّ غفلٌ وسَمْتُهُ وسماً باقياً ، وعاطلٌ طَوْقَتُهُ
[٧٥ ب] طوقاً باهياً ، وبودّي لو أغرَبْتُ في الشكر ، لإغرابك^١ في الشعر ،
واقترتُ على الجزاء ، اقتدارك على الإطراء ، حتى أصِلَ إلى سبّك ،
وأقضي بعضَ حَقِّك ، وإذا كنتُ أفصّرُ ، ولا أقدرُ ، فأنت بفضلك
تتجاوزُ وتعدُرُ .

وله من رقعة خاطب بها جماعةً من إخوانه^٢ : كتابي هذا من^٣ وادي
الزيتون ، ونحن فيه مُحْتَلِّون . ببقعة اكنست من السندسِ الأخضر ،
وتحلّت بأنواعِ الزهر ، وتخالبتُ بأنهارٍ تتخلّلها ، وأشجارٍ تظللّها ،
تجذبُ أدواحها الشمسَ لالتفافِها ، وتأذنُ للنسيمِ فيميلُ من أعطافها ،
وما شتم من محاسنِ تروقُ وتُعجِبُ ، وأطيّارٍ تتجاوبُ بألحانِ تلهي
وتطربُ ، في مثله يعزّد الزمانُ كلُّهُ صيباً ، وتجري الحياةُ على الأملِ
والمنى ، وأنا - أبقاكم الله - فيها بحالٍ من طاب غداؤه ، وحسنِ
استمراؤه ، وصحا من جنونِ العقار ، واستراح من مَضَضِ الخمار ،
وزابتته وساوسه ، وخلصت من الحباط هواجسه ، لا أبيتُ بلبلةِ

١ ط د : اعربت ... اعرابك .

٢ انظر نفع الطيب ١ : ٥٣٤ .

٣ ط د س : كتبت من .

٤ ط د س : فضول .

الشَّيْس^١ ، ولا أقوم^٢ كالذي يتخبطه^٣ الشيطان من المس^٤ ، بل أنا م^٥ جفوني نوم^٦ مسرور ، وأنتبه إذا انتبهت^٧ غير مذعور ، فلتبعد^٨ بعدها الخمر ، ما بقي الدهر ، فقد طلقتم^٩ ثلاثاً ، وتركت^{١٠} الأسباب بيني وبينها ريثاً ، والله الحمد^{١١} على أن خلص^{١٢} من حبالها ، ونجى^{١٣} من غوائلها ، وسلّى من حيث كان يتوقع الكرب^{١٤} ، ولقى^{١٥} المحبوب من حيث كان يُخشى^{١٦} المكروه والخطب . وأنتم سادتي أخلاء النبيل^{١٧} ، برئت^{١٨} منكم كما برى^{١٩} المسيح من اليهود ، فهنيئاً لكم تنفس^{٢٠} أنفاسها ، وتعاطي^{٢١} أكواسها ، فلست^{٢٢} أراحمكم عليها بمنكب ، ولا أوافقكم فيها على مذهب ، فاطلبوا^{٢٣} الحشمة^{٢٤} الألمان ، واخلموا^{٢٥} فيها العُدْر^{٢٦} والأرسان ، وتعرّوا^{٢٧} من ثياب الوقار ، واركبوا^{٢٨} رموسكم في هتلك^{٢٩} الأستار ، وموتوا^{٣٠} سُكراً ، ولا تعصوا^{٣١} لشاربها أمراً ، واتخذوا^{٣٢} الحسن^{٣٣} في دينها نبيّاً ، واعتقدوه^{٣٤} إماماً مرضيّاً ، وقولوا^{٣٥} عيش^{٣٦} الخلاعة^{٣٧} عيش^{٣٨} رقيق ، ولذة^{٣٩} النفوس^{٤٠} صَبوح^{٤١} وغبوق^{٤٢} ، فليس^{٤٣} لقولكم ردّ ، ولا في غير^{٤٤} رأيكم رُشد ، ولا أقصى^{٤٥} الله إلا^{٤٦} من تعسّف ، ولا أبعد^{٤٧} إلا^{٤٨} من لام^{٤٩} وعنّف .

وكأنّي بكم - [أبقاكم الله] - إذا قرأتم أحرفي هذه تستذكرون^{٥٠} عليها عهدي ، وتشربون منها كأساً في ودي ، وتقولون : سننفت^{٥١} في العُقْد^{٥٢} ، ونصرفه^{٥٣} عن ذلك المعتقد ، فلا تعتقدوا ذلك ولا تتوهموا أن تكيدوني بكيد ، ولو تأيّدتم^{٥٤} عليه^{٥٥} بأشد^{٥٦} أيّد ، فقد استندفت^{٥٧} بربّ الناس

١ الشَّيْس : القلق ؛ ب م : التبس ، وموضعها بياض في ط د س

٢ ب م : أهيت . ٣ ط س د : ما خلص .

٤ الحسن بن هاني ، أبو نواس .

٥ ط د س : النفس . ٦ ط د س : تتذكرون .

٧ ب م : سننفت ويصرف . ٨ ط د س : علي .

غامضَ شركم ، وتعوذتُ برَبِّ الفلق من [٧٦ أ] نَافِثِ عَقْدِكُمْ ^١ ،
والله وليُّ الكفاية بفضله .

شاركتم يا سادتي - [أعزكم الله] - نعمة ^٢ الله المتجددة قبلي ،
وأعلمتكم بمبلغ سروري وجدلي ، فإن كنتم قد خصصكم منه - جلَّ
وعزَّ - بمثلها عرفتموني [بها] لتساوي في الشكر ، وإن كنتم على الحال التي
تركتكم عليها من البطالة ، والتمادي في الضلالة ، فأعفوني من جواب
بصفتها ، فلست أتطلعُ إلى معرفتها ، [وأنتم أولياؤنا إن شاء الله] .

فراجعهُ أبو الفضل بن حسداي برقعة قال في صدرها ^٣ : يا سيدنا الذي
ألَمنا بامتثانه ^٤ الشكر ، وكبيرنا الذي علّمنا ببيانه السحر ، وعميدنا
الذي عقّدنا بجرمه والنحل ، ورومانا بدائه وانسل ^٥ ، أبقاك الله لتوبة
تصبح تمرُّها ، ويمين غموس تَبَرُّها ؛ وَرَدْنَا ^٦ - أبقاك الله - كتابك
الذي أنفذته من معرّسك بوادي الزيتون ، ووقفنا على ما لقيت في أوصافه
من حُجّة المفتون ، وإعجابك بالنفافِ شجره ودّوحاته ، واهتزازك
لطيب ^٧ بواكره وروحاته ، ومرورك به وهو حوِّ تلاعه ، موردة ^٨ صفاته

١ ط د س : سحرکم .

٢ ط د س : في نعمة .

٣ ط د س : قال فيها ، وانظر هذه الرسالة في نفع الطيب ١ : ٥٣٥ .

٤ ط د س : بالتزاه .

٥ من المثل : رميتي بدائها وانسلت ، انظر فصل المقال : ٩٢ والميداني ١ : ١٩٣ والعسكري

١ : ٣٠٩ .

٦ ب م : وردني .

٧ النفع : بلطيف .

٨ ط د س : مرورة ؛ النفع : مورودة هضابه واجراعه .

وأجزأعته^١ ، وكل^٢ المشارب ما خلاه ذميم^٣ ، وماؤه الدهر خَصِرٌ والمياه
 حميم ، وتلك عادة^٤ تلوثك^٥ ، وسجية^٦ تخضرميك^٧ ، وشاكلة^٨ ملالك^٩
 وسأميك^{١٠} ، وأشعر^{١١} الناس عندك من^{١٢} أنت في شعره^{١٣} ، وأحب^{١٤} البلاد
 اليك ما أنت في عقره^{١٥} ، فأين منك بساتين^{١٦} جلق^{١٧} وجنانه^{١٨} ، ورياضه^{١٩}
 المونقة^{٢٠} وخلجانته^{٢١} ، وقبابه^{٢٢} البيض^{٢٣} في حدائقه^{٢٤} الخضر ، وجوه^{٢٥} العطر^{٢٦}
 في جنبه^{٢٧} النضر ، وما تضمنته^{٢٨} حيطانه^{٢٩} ، وتمجته^{٣٠} نجاده^{٣١} وغيطانه^{٣٢} ، من أمهات^{٣٣}
 الراح التي هجرتها بزعمك^{٣٤} ، ومواد^{٣٥} الشمول^{٣٦} التي طلقنتها برغمك^{٣٧} .
 وهيئات^{٣٨} فوالله ما فارقتك^{٣٩} تلك الأجارع^{٤٠} والمحاني^{٤١} ، ولا شاقنتك^{٤٢} تلك
 المنازل^{٤٣} والمعاني^{٤٤} ، إلا^{٤٥} تذكراً^{٤٦} لما لدينا من طيب^{٤٧} المعاهد^{٤٨} ، وحينئذ^{٤٩} إلى ما عندنا
 من جميل^{٥٠} المشاهد^{٥١} ، وأين من المشتاق^{٥٢} عنقاء^{٥٣} مغرب^{٥٤} .

وأما ما وصفته^{٥٥} من صحة^{٥٦} استسرائك^{٥٧} ، ونفوذ^{٥٨} غذائك^{٥٩} ، وإفاقتك^{٦٠}
 من جنون^{٦١} العقار^{٦٢} ، واستراحتك^{٦٣} من سُقم^{٦٤} الخمار^{٦٥} ، وخلوص^{٦٦} تلك
 الهواجس^{٦٧} [من اختلاط^{٦٨} الراس^{٦٩} ، فاعلم^{٧٠} أن الغي^{٧١} ما أنت فيه منذ اليوم^{٧٢} ،
 والوسواس^{٧٣} ما سمعت^{٧٤} به^{٧٥} أسمع^{٧٦} القوم^{٧٧} ، وقد أدانا^{٧٨} صادق^{٧٩} القياس^{٨٠} ،
 إلى علم^{٨١} سبب^{٨٢} ذلك^{٨٣} الوسواس^{٨٤}] فإنك^{٨٥} تعرضت^{٨٦} للسموم^{٨٧} غير^{٨٨} ملثم^{٨٩} ، وبرزت^{٩٠}

١ من قول الشاعر :

أقرأ على الوشل السلام وقل له كل المشارب منذ هجرت ذميم

٢ من قوله أوردها ابن قتيبة في الشعر والشعراء : ٢٦ .

٣ ب م : عفره .

٤ ب م د ط س : وجناته .

٥ ط س د : وتحتوي عليه نجاده . ٦ ط د س : فارقت .

٧ من قول المتنبي :

أحن إلى أهلي وأهوى لقاءهم وأين من المشتاق عنقاء مغرب

٨ الراس : سقطت من س .

إلى المهجير غير معتم ، فأنت عملس^١ أسفار ، وخيريت^٢ مهامه وقفار ،
 فتخلل الحام^٣ اللجج ، وتقطع البلغم^٤ اللزج ، وتصاعدت أجرة^٥ البدن
 إلى أعلاه ، فقذف بذلك المحال الذي أملاه .
 وقد بلغنا أنك نفضت مكان الشغري الأعلى ، وسريت إلى بلاد العدو
 في من سري ، وشهدت الخيل يوم طرادها ، وباشرت الحرب غداة
 جلادها ، مختالاً بين الصفيين على شقراء ترددي بنسيج وحده ،
 ونجي^٦ [٧٦ ب] بك معتجراً في برده^٧ ، فقد كتبت عليك حكماً
 القتل والقتال ، وعلينا توسيع الجيوب وجر الأذيال^٨ ، فهذا هو الرأي الذي
 سؤل لك أن تدعي التوبة ولا تستدعي الكاس ، وتستدعي التوبة^٩ وتستدعي
 الناس^{١٠} ، وتري أنك تنسك^{١١} وتتقرأ^{١٢} ، وتنخلع من المجون وتبرأ ، فالسلام
 عليك يا أيها الناسك المتصوف ، والمتبتل المتكشف ، الذي أقصر لما أبصر ،
 وفضل نور الحقيقة ، على نور الحديقة ، فقطع العلائق ، وهجر الخلائق ؛
 فأنت ممن تقول ، ما لا تدركه الأبواب والعقول : أخذتني أنا ، فبقيت

١ العملس : القوي الشديد على السفر ؛ طس : عباس .

٢ الخريت : الدليل الحاذق بالدلالة .

٣ ب م : الحام ؛ والحام : نوع من البلغم (مفيد العلوم : ٤١) .

٤ من قول دكين الراجز :

جاءت به معتجراً ببرده سفواء ترددي بنسيج وحده

والسفواء : الخفيفة الناجية السريعة ؛ وفي الاصول « شقراء » وهي صفة للفرس ؛

والسفواء صفة للبقلة .

٥ من قول عمر بن أبي ربيعة :

كنب القتل والقتال علينا وعلى الغايات جر الذبول

٦ ب : التوبة .

٧ وتستدعي الناس : وردت في م وحدها .

٨ تقرأ : تنسك .

بلا أنا ، فبوجهيك يستسقى الغمام^١ ، وبركة دعائك تستشفى الآلام ،
فلإنك الرجلُ الزاهد ، والمرابطُ المجاهد ، وما تخفى عليك لطائفُ الزهدِ
ورقائقهُ ، ووجهُ التَّسكِ وطرائقه .

ولكن هاتِ حدثنا حين لم ترضَ بالراحِ لفاً ، وطلتَقتها ألفاً ، ما
سبَّبَكَ في سبِّكَ لها ، وهي صافيةٌ طاهرة ، وغضُّكَ منها وهي طيبة
عاطرة ، وكتلوحك في وجهها وهي طليقةٌ ناضرة^٢ ؟ وما لك جواب
غير قول أبي نواس^٣ :

لا تسمُّ المدامَ إنْ لمتَ فيها فتشينَ أسمها المليحَ بِبفيكا

وأما إشارتك في أن تشرِّبها على وُدِّكَ ، وتذكركَ عليها طيبَ عهدك ،
فلا ولا كرامةَ ولا نُعْمى عَيْنٍ ، فهي أجلُّ وأكرمُ من أن نبذلها في
ودِّ مَنْ جفاها وقلاها ، ونديرها على حَمْدٍ من ذمها وهجاها ، وأما قولك^٤ :
« لا يسري فيك غامضُ شرِّنا ، ولا يحلُّ عقْدُكَ لطيفُ سحرنا » فلإنك
ترققُ عن صبوح^٥ ، وتُشيعُ السرى وأنت مصبح^٥ ، وتسرى الحسو وأنت

١ من قول الشاعر :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

٢ ديوان أبي نواس : ٣٠٩ .

٣ ب م : وقولك .

٤ من المثل : أعز صبوح ترقق (فصل المقال : ٧٥ ، ٧٦ والميداني ١ : ٣١٥ والمسكري

١ : ١٦) أي يمرض بشيء وهو يريد غيره .

٥ من المثل : إذا سمعت بسرى القين فانه مصبح (فصل المقال : ٣٥ ، ١٠٧ والميداني ١ :

٢٧ والمسكري ١ : ١٢ والجمهرة ٣ : ١٦٨) والقين : الحداد ، ينزل في البادية فيمكث

أياماً فيكسده عليه عمله فيأخذ يروم الناس أنه سار راحل عنهم وأن لم يرد ذلك ، فاصبح

انتكرار الأمر لا يصدق ؛ ومصبح : مقيم حتى الصباح .

مُرْتَفِعٍ ، وترى الزَّهْدَ وأنت طالبٌ مُبْتَغٍ ، فاعلم^١ أنا سنجمعُ شَرِّنا^١
المبين ، وننظاهرُ عليكِ أجمعين ، ونجلبُ من الجنِّ كتائبَ وجرائد ،
ونصرفُ من المكرِ خُدَعاً ومكايد ، في بقائكِ على نُسُكِكَ مستمراً ،
ودوامكِ على توبتكِ مصرّاً ، فعسى أن تنعمِ بالألأ وتقرَّ عيناً بنضوجِ كبدك ،
والتياعِ حشاك ، وتشاهدَ مشارعِ الراحِ ولا ترد ، وتباشِرَ مناهلَ المدام
وتنشُد :

أرى بعد وِرْدِ الماءِ للقلبِ لوعةً^٢ إليكِ على أنِّي من الماءِ نافعُ
وإنا لنوقنُ أن هذا الأملَ بعيدٌ لا نبلغه ، ونعيمٌ^٣ لذيذٌ^٢ لو نُسوِّغه^٣ ، فما
تزالُ يُحَلُّ أَيْمانَكَ من نفسكِ حَتُّ^٤ ، لا يقاومه سِحْرٌ ولا نَقْطٌ ،
ونعم ، سنأدبُكِ إلى مآدبِ أنسنا ، [وندبكِ] إلى محاضرِ هوننا ، فما نتمُّ إلا
بك ، ولا نلذُّ إلاً باقترابكِ ، وأيِّ شيءٍ ألدُّ وأمتعُ من أن نَتعاطى [٧٧ أ]
الكرَّاتِ والنُّخبَ ، ونبعثَ من مكانه الارتياحَ والطربَ ، ونصدِّ الكاسَ
عنكِ وأنتِ في مجراها ، ونجلبُكِ بها عليكِ وأنتِ لا تراها^٥ ، ولا تُعَلِّلُ
منها بنسيم ، ولا تنفحُ لكِ من رياها بشميم ، حتى إذا دبَّتْ فينا حُمُماً
الخمِر ، وقهرتْنا سَوْرَةَ السُّكْرِ ، تمايلنا عليكِ مُعَرَّبدين ، وتمسحنا بأثوابكِ
راكعين وساجدين ،

* كما شَبَّرَقَ الولدانُ ثوبَ المقدَّسِ^٦ *

١ ط د س : سحرنا .

٢ ط د س : لدينا .

٣ ب م : تبلغه . . . تسوغه .

٤ ط د س : بقربك . ه ط د س : ولا تمكن من أن تراها .

٦ لامرئ القيس ، وصدرة : فادركنه يأخذن بالساق والنسا (الديوان : ١٠٤) شبرق

مزق ، المقدس : الراهب الذي يأتي بيت المقدس .

وأما [صفة] حالتنا^١ التي سألتَ عليها^٢ ، فسنزيدك جنوناً بالحديث عنها :
اعلم^٣ أننا قيئدُ التهاءِ وارتياح ، ورهنُ اغتباقي واصطباح ، تصرّعنا
القهوة^٤ ، فنتداوى منها بها ، ونتدرعُ النشوة ، فلا نعرى من إهابها ،
فنخرجُ من سكرةٍ إلى سكرة ، ونعبرُ من غمرةٍ في غمرة :

[سدى عده لا يعرف اليوم^٥ باسمه ونعملُ فيه الهوى مرأى ومسمعا]

وكتبنا إليك - [أصلحك الله] - بأناملَ يمتطيها القلمُ فترعش ،
وتحتويها الكاسُ فتستقلّ وتتعث ؛ أطلعنا عليك من حالنا غائظاً فتلقته
بالكظم ، وأوصلنا إليك من خفضِ عيشنا منكرأ فادفعه بالصبر والحلم ،
وستردُ فتعلم ، وتلقى خلافاً ما تظنُّ وتتوهم ، والله يُمْتِننا بمقدميك ،
ويؤنسنا بلقائيك . وينفعنا بصلاحك وبركةِ دعائك .

وذكرتُ ببعضِ فصولِ هذه الرسالة^٦ أبياتاً كتب بها ذو الوزارتين
أبو محمد بن هود^٧ إلى الوزير أبي محمد بن عبدون في ترك الشراب ، أولها :

* الخمرُ يا سادتي حرامٌ *

فراجعهُ الوزير أبو محمد بهذه الأبيات :

يا سيداً في حُباهُ رَضَوِي أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ بِلِ شَمَامُ

١ ط د س : حالنا .

٢ ط د س : عنها .

٣ ط د س : فاعلم .

٤ ط د س : نخرج .

٥ د س : اليوم ؛ ط : الناس .

٦ ط د س : الرقعة .

٧ ترجمه ابن بسام في القسم الثاني من اللخيرة .

في زمنِ الوردِ يسا أخاه تُجَنِّفِي ولم تُذَنِّبِ المدام
 إذا أَلَمَّتْ ذوباً وجمداً تنفُرُ عنها ولا النعام
 ودار دنيا الوري^٢ عروس^١ معشوقه^٣ ريقها المدام
 إني لأدري الوري بقوم^٤ أنت لهم سيدي إمام
 شامت^٥ يدُ النسكِ منك سيفاً لكنّه مثلها كهمام
 فعد^٦ إلى الضربِ يا حساماً عن مثله^٧ يعجزُ الحسام

وله من أخرى ٤ : وَصَلَتْ رَقْعَتُكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - تَسْتَدْعِي الْمُؤَانِسَةَ
 من توالي هذا المطر الموحشِ لِلْأَنْفُسِ اللَّبِيْبَةِ ، المضيِّقِ للصدورِ الرحيبة ،
 فاستغربتُ فَضْلَكَ في تذكّر من يُنْسَى ، وصلة من يُجَنِّفِي ، واستدناء
 من يُقْصَى ، ويحقُّ أن يُسْتَعْرَبَ وفاءُ الصديق ، في زمانِ الغدْرِ والمذْوَوقِ^٥ ،
 غير أنَّ رغبتك صادفتني ولي من الكتبِ جُلُساء تُوْنِسُ في الوحدة ،
 وتسلي من الكربة ، وتجلو صدأ الخواطر ، وتفتح عيونَ البصائر ،
 وتحلو للمجتنبي ثمارها ، وَيُصْتَبِحُ ناظرَ المتأمل^٦ نُورَها ، ثم إنَّ من أغرب
 فوائدها أنها تستدنيك إن نأيتَ ، وتستعطفك إن وليتَ ، وأغربُ من
 ذلك [٧٧ ب] أنك تحمد عقبها ، ولا تتوقع^٧ أذاها ، وقد رضيتُ

١ ط د س : منها .

٢ ط : ودار دار الدنيا .

٣ ط د س : فعله .

٤ ط د س : ولابي المطرف من رقعة قال فيها .

٥ المذوق : الكذب والنفاق .

٦ ط س : التأمل .

٧ ط د س : أنا نحمد ولا نتوقع .

اليومَ بها قَسَمًا^١ ، وإن أفاتتني من السرورِ برؤيتك غنماً ، ولك أنت ،
أحفلُ الشكر ، فيما تَلَطَّفْتَ به من البر ، فاخترْ إخواناً يجاروني في الدمِّ .
والمديح ، ويساعدوني على الحسنِ والقبیح . وحسبي أنا منها ما تتداكرون
من عهدي . وتتعاطون^٢ من الأكواسِ والنُّخَبِ في ودِّي .

وله من أخرى : من الأعاجيب - أعزك الله - مكاتبةٌ مجهول لا يُعرفُ
له اسم ، ومراسلةٌ غُفِّلَ لم يصبحَ له^٣ وسمٌ ، ولكنك أصبحتَ غريبَ
العليا . وزعيمَ بني الدنيا ، فحسنٌ لنا أن نذهبَ مذهبَ الإغراب ، في
ما نبغيه لديك من الطُّلاب ، ونبدأ بعرضِ الآمال ، من غير أن نتدرِّج
في مدارج الاتصال ، ذهاباً في ذلك عن العادة ، مع مَنْ خَرَقَهَا في
السيادة ، حتى جتَلَّ في المجد والعلاء ، عن الأشباه والقُرَّانِ ، فينشدُ
فيه وفيّ :

غَرَبْتُ خلائقَهُ وأغربَ آملٌ فيه فأبدعَ مُغْرِبٌ في مُغْرِبٍ^٤

وله من أخرى : لولا أن التعمَّلَ^٥ في بعضِ الأحوالِ ، ضَرَبُ من
الإزرامِ والإخلالِ . لاحتفلتُ وأطنبتُ . إلاَّ أنه قد يكونُ في بعضِ
السُرِّ إعلان ، وينبي عن ما في الصحيفة عُنْوان ، وبذلك أكتفي وأحيلك

١ من قول المتنبي :

طلبت لما حفلت ففاتت رفاتي وقد رضيتني أو رضيت بها قسما

٢ ط د س : يتداكرون يتعاطون .

٣ ط د س : يلج عليه .

٤ ط د س : عمل .

٥ البيت لابن تميم ، ديوانه : ١١٢ ، وفيه : فاحسن مغرب .

٦ ط د س : التمتع .

على نفسك النفيسة فهي تتصوره وتخيّله ، ثم تصوّرهُ ببالِكَ وتمثّله .
ووصل كتابك مشتملاً من لطيفِ صِلَتِكَ ، وصافي بركٍ وتكرمتك ،
على ما أشعرَ النفسَ اعتزازاً ، وكسا الأعطافَ اهتزازاً ، وتلا ذلك من
ودادِكَ واعتدادِكَ ، وجميلِ مذهبك واعتقادِكَ ، ما استغرقَ المنى ،
وزاد على الأملِ فأوفى .

ومن أخرى : لم أزلُ مذ سمعتُ سُورَ فضلك تتلى ، ومحاسنَ شمائلك
تُجلى ، وجميلَ فضلك^١ يُعادُ ويُبدا ، وغريبَ مجدك يكرّرُ ويُنشأ ،
أهمُّ بمكاتبتك ، وأتسوقُ إلى مخاطبتك ، وأتمنى أن لو فتح اللهُ للصلة^٢
باباً ، ومكّن من الخلة أسباباً ، وعوارضُ الاستحياء ، تحولُ بيني وبين
الابتداء ، حتى جدّدَ لي فلانٌ من أوصافك ما لسانُ الزمانِ به أنطق ،
وشواهد^٣ الفضلِ عليه أصدق ، فلم أتمالكُ أن حللتُ عرسي الانقباضِ
عني ، وتراميتُ إلى مفاتحك بنفسي ، وها أنا ذا قد أتيتُ إلى مودتِكَ
خاطباً ، وفي صلتِكَ راغباً ، على ثقةٍ بأنك - بما يجمعنا من التشاكلِ
والتناسب ، في جميعِ الأمورِ والمذاهب - تراني كفواً لما خطبتُ ، وأهلاً
لما رغبت . ولا غدرو أن أقرنَ بهذا استنهاضك إلى مشاركتي في الخطبِ
[٧٨ أ] الأخطر ، والمهمُّ الأكبر ، دون أن أصِلَ للاخاءِ حبالاً ،
وأترجّح في تهذيبِ الصفاءِ حالاً فحالاً ، حتى يتمكنَ الارتباط ، ويتمهد
الاغتراب ، ويحسنَ السؤالُ والانبساط ، ففضلُك يقتضي أن ابتدءَ

١ ط د س : ذكرك .

٢ ط د س : من الصلة .

٣ م : ومنتدى ؛ والكلمة غير واضحة في ب .

٤ ط س : خاطبت .

بالإدلال ، وأتخطى تلك الرتب إلى الاسترسال ، ليم ما بيننا في الابتداء ،
ما لم يتم لغيرنا في الانتهاء .

وقد علمت ما دخل الشرق من الاختلال ، واضطراب الأحوال ،
وأن الخزم داع إلى التحول عنه والانتقال ، وقد تأملت أي الجهات أبحى
وأعصد ، وعلى أي الملوك أعول وأعتمد ، فلم تطب إلا على تلك الحضرة
الرفيعة نفسي ، إذ كان يجمع الدولتين نظام ، ويضم الحالتين التمام ، وكان
المنتقل بينهما إنما يتقلب في ظلال ، ويتحول من يمين إلى شمال .

وله من أخرى بعد انتقاله : كتابي له من قرطبة ، وقد وردتها بحمد الله
على رحب وسعة ، وأخلدت منها إلى سكون ودعة ، وذهبت بحمد
الله تلك الحيرة ، وانجلت تلك الغمرة ، واستقال الجد من عثاره ،
ولاح قمر السعد بعد نيرارة ، وأعاد الله من تلك الأحوال العائدة
بمساة الأولياء ، الجالبة لشماتة^٢ الأعداء ، لجمعها بين القليلة والذلة ،
وخطبة الحسف والعطلة ، وأغنى جل جلاله عن تلك الدولة التي حمستنا
على حال حمول ، وصرفتنا على غير جميل^٣ ، وحصلت بالحضرة التي
لا ينفق فيها بالمخارق ، ولا تعطى الكوادر فيها حظوظ السوابق ،
وهذا هو المعهود منه تعالى في أن يدل من الضراء بالسراء ، وينقل
من الشدة إلى الرخاء ، ومن إعتقد الخير غير دائم ، ولم يحسب الشر ضربة
لازم . فقد أراح نفسه من تعب الساخط على القضاء ، والقانط من الفرج
عند الانتهاء .

١ ط د س : كتبت .

٢ ط د س : شماتة .

٣ ب م : حال حمول .

٤ م ب : يدل ؛ ط س د : بأن يدل .

وأنت يا سيدي ممن يُسرُّ بما ذكرتُهُ ، لأنك الوليُّ الذي لا مَرَضَ
 بودَّة ، ولا استحالةَ لعهدِه ، ولا يوحِشُكَ ما سلف من عَتَبٍ عليك ،
 ومنافرةٍ لك ، وانقباضٍ عنك ، فمن ضنَّ بالخلةِ نافَسَ في الصلَّة ، وقد
 عفا الله عما مضى ، إن حققتَ الآن ما ادَّعيتَ ، ووفيتَ بما منَّيتَ ،
 فإنك عاهدتَ أن تستدركَ من صلَّةِ المكاتبةِ على تنائي الأقطار ، ما ضيَّعتَ
 منها مع تجاور الديار ، وقد آن لك أن تزورَ كعبةَ الكرم ، وتهاجرَ إلى
 مطمح الآمال [والهمم] ، وأن تلقى ملكاً ليس كالمملوك التي لقيتَ ،
 ولا أحسبك ترى مثلهُ ما بقيتَ ، فبادرْ نغمٌ ، ولا تتأخَّرْ تندَمٌ .

[وله] من أخرى [في مثله] : كتبتُ وقد أدالَ الله من تلك الديارِ
 الموحشةِ بضدِّها ، وأراحَ من [٧٨ ب] مواطنِ الهونِ بفقدِها ، ونقل
 بفضله إلى حيثُ البرُّ باهر ، والآنعامُ غامر ، والفضلُ في النقصِ أمر ،
 والنبيلُ على الجهلِ ظاهر ، نعم : وحيثُ المجدُّ شامخُ البناء ، والشرفُ
 عاديُّ الانتماء ، والسلطانُ رائعُ الرِّواء ، والمملكُ متناهٍ في البهاء ، وحيثُ
 [بحور] الكرمِ زاخرة ، وسماءُ المجدِّ ماطرة ، إلى غيرِ ذلك مما يطول
 عدُّهُ ، ويُعجزُ البيانَ حدُّهُ .

وله من أخرى : أتراكَ ممن^٢ تغيَّر ، وفي جملةِ مَنْ تنكَّر ، فنحتاجُ
 إلى استئلافك ، ونأخذُ في استلطافك ؟ ! أنا أكفيك مؤنةَ الجوابِ ، في
 هذا الباب ، وأخصمُ نفسي عنك ، وأقيمَ الحجَّةَ عليها لك ، فأجعلُ
 عُدْرَكَ في الأشغال^٣ ، ولا أنسبك إلى التغافلِ والإهمال ، وأقول : بعيدٌ

- ١ ط د س : والسرو .
 ٢ ط د س : فيمن .
 ٣ ط د س : الاشتغال .

على الدهر أن يؤثر في ودك ، أو يحلّ رباطاً من عقْدِكَ ، ولكنني أقول مع هذا : واصلُ فقد أغببتَ ، واعتذرُ بما أذنبتَ ، وهاتِ يا سيدي أخبارَكَ التي هي أشهى إلى نفسي من عصْرِ الصَّبَا ، وأندي على كبدي من نسيم الصَّبَا ، وجددُ بك وبها عهدي فقد عفا منه رَسْمٌ ، ولاح عليه للقِدمِ وسم .

وفي فصل ١ : وعرفني بمَ تقطعُ دهرك ، وعلى أيّ شيءٍ تنفقُ عمرك ، ونصّ على ما تجدهُ عندك من العجائب ، واستفدته بعدي من الغرائب ، ولا تكتمني شيئاً وابسطه كَلته بسَطَ المُسهبِ ، وشرح جميعه شرح المستوعب ، تمحُ بذلك إساءةَ الإغباب ، وتزلُ عني دواعي الاكتئاب .

وله من أخرى : وقفتُ على كتابٍ من لدنك قد اشتمل على كلِّ برٍّ وحفاية^٢ ، وإشفاقٍ [ورثاية] ، وتسليّة تُذهلُ عن سوء الحال ، وتعدُّ على الأيام بضمانٍ إقبال ، فذهب مُستودعهُ بغمّة النفسِ ، وأدال من الوحشة بالأُنس ، وغلبَ الرجاءَ على اليأس ، وظلّت حشاشةُ الهمة تراجَع ، وخفضة^٣ الأملِ ترفع ، حتى كاد هذا يستقيلُ من عثار ، وتلك تُنشرُ بعد إقبار ، وليس هذا بأولِ انطباقٍ أعمَ فطلعت له من تأيسك مصابيح ، ولا بأولِ غلّتِ استبهم فتداركته من الطافيك مفاتيح ، بل هي لبيضِ أياديك شوافع ، ولسوالفِ مشاركتك توالٍ وتوابع .

وله من أخرى : ولو رايتَ فلاناً وادعاهُ ، وزَعَمه أن الله اتخذهُ

١ وفي فصل : سقطت من ط د س

٢ ط س د : وحماية

٣ ب م : وحفظة .

صفتياً ، وآناه الحكمَ صبيهاً ، فأفرده بجوامعِ الكَلِيمِ ، وجمعَ له ما افترقَ
 في الأسمِ ، أن حَصَلَ في مجلسِ مَلِكِ أعلاه . وَعَقَدَ بالجهلِ حباه ،
 ثم قال قولَ علي رضي الله عنه [٧٩ أ] وأرضاه : سلوني قبلَ أن تفقدوني ،
 ولنَ تعدمَ مع هذا مُطَرِّباً بالصواب . وقائلاً : هذه الحكمةُ وَقَصْلُ
 الخطابِ . فاعجبُ يا سيدي لأسمِ . ضحكت من جهلها الأسمِ ، وغلظتُ
 في ما لا تغلظُ فيه التعم ، إلى أن نفقت عندها المحاللاتُ والأهذار ، وبطلت
 بسببها القيسمُ والأقدار ، ولكن إن وقع الأملُ سقط التعجبُ لأنه للقومِ
 مِثْلُ ، وللحالِ وَقْفٌ وَشَكْلُ :

فلم تكُ تصلحَ إلاَّ له ولم يكُ يصلحُ إلاَّ لها

وفي فصل من أخرى ٢ : ورد كتابك فنور ما كان بالإغبابِ داجياً ،
 [وَحَسَنَ عَنْكَ مِشَافِهاً وَمِناجِياً] . واستردَّ إلى الخلة بهاها . وأجرى
 في صفحة الصلوة ماءها . وعند شدة الظماء ، يعدُّبُ الماء ، وبعد مشقة
 السهر^٣ يطيبُ الاغفاء ، ولا تعدُّ [بعداً] إلى هذا فيكفي ما يجنيه علينا حادثُ
 البين ، حتى يزيد به بقطع الأثر بعد العيّن^٤ . ورأيت ما وعدت به من الزيارة
 فسرتني سروراً بعث من أطرابي . وحسن لي دين التصابي . فلم أتمالك
 أن استرسلتُ إلى المزاح ، وتجلّيتُ في^٥ يد الارتياح . حتى كأنما أدار
 عليّ المدامَ مُدِيرُها . وجاوبَ المثاني والمثالثَ زِيرُها . ولعلَّ الأيامَ تفعلُ ،

١ البيت لأبي العزاهبة ، ديوانه : ٦١٢ .

٢ انظر القلائد : ١٠٩ والحريدة ٤ : ٣٥٥ .

٣ ب م : السفر .

٤ ب م : والعين .

٥ د ط س : ونحابت من .

ذلك فقد تُحسِّن في بعض الأوقات الصنيع ، وتَشعَبُ الشملَ الصديق ،
ولا تسأل عن حالٍ استطلعتها فهي شرٌّ ما عهدت : من صبح^١ لاج من
خلال ذؤابتي^٢ ، وتنفسَ في ليلِ لمتي ، فأراني^٣ مصارع [آمالي] ، وكشفَ
لي عن أسودادِ المطالب ، وأياسني من قضاء المآرب ، وعرفني من مبادي
العيش ما زهدت في العواقب .

وله من أخرى : آياتُ مجدك ظاهرة ، وأقمارُ سُوددِكَ باهرة ،
والعيونُ إليها ناظرة ، والهنيمُ منها غائرة^٤ ، وَحُطَّ الأيامُ عن نيلها قاصرة ،
وأقدامُ المساعي في مداها عائرة ، والله عصر^٥ سببَ فتَحَ بابِ مخاطبتك ،
وزمنٌ خلَّعَ عليَّ حلَّةَ مواصلتك ، ووهبي جميلَ العارفةِ بك .

وفي فصل [له] من أخرى : ورد كتابك فرفع مغضوضَ نواظري ،
وحرَّكَ سكونَ خواظري . وأقام عاثرَ همي ، وأعادَ عليَّ ذاهبَ منِّي ،
ولما فضضتُهُ وجدته قد تضمَّن من تفضلك وتكرمك ، وعرض من
اهتبالِكَ وتهمِّمِكَ . ما ينقطعُ جرِّي^٦ القلمِ في مدى شُكْرِهِ ، ويضيقُ
ذرعُ البيانِ عن توفية نَشْرِهِ^٧ . وما ذكرته من صفاء الودِّ ، والوفاءِ
بالعهد ، فكلُّ ذلك مصوَّرٌ في نفسي قبل أن تشيرَ إليه . ومحيطٌ به علمي

١ القلائد والحريدة : فهي كاسفة بالي ، كاشفة عن خبالي ، لصبح .

٢ ط د س : ذؤابتي .

٣ القلائد والحريدة : مطالع اعمالي ، واراني . . . الخ .

٤ ط س د : عامرة .

٥ ط د س : والله سبب فتح .

٦ ط د س : حد .

٧ د ط س : بشره .

من غير أن تنبه عليه ، لأننا كلٌّ تَبَعْتَصَّ في جزئين ، وجوهرٌ تظاهر في شخصين ، فَشَمَلْنَا جميعٌ وإن تصدَّعَ ، وَشَعَبْنَا واحدٌ وإن تنوع .

وفي فصل من أخرى : رأيتُ ما ذكرتهُ من استقرارك في ذلك المحلِّ الرفيع ، واغتنابيكَ بذلك الجنابِ [٧٩ ب] المريع ، عند صاحبِ المظالم ، ونظامِ^١ أشناتِ المكارم ، الذي أعاد آثارَ الفضلِ معالمَ مشهورة ، وأخبارَ الكرمِ مشاهدَ محضورة ، أعاد اللهَ مَسْجُدَهُ من أعينِ العلويةِ . لا من أعينِ البشريةِ ، وجعل له خاتمةَ إنعامه ، التراخيَ في مدَّةِ أيامه ، فحسبك إلى ما أجريت . ولا مزيدَ حيثُ انتهيت ، فاشددْ على التعلق به يداً . فلست تلقى بَعْدَهُ أحدًا .

حلٌّ تلك الفقرة المتقدمة من قول المعري حيث يقول^٢ :

أعاذ مَسْجُدَكَ عَبْدَ اللَّهِ خَالِقُهُ من أعينِ الشَّهْبِ لا من أعينِ البشرِ

وله من أخرى : إذا أسيت^٣ لفراقك فإنَّ في الباكين حولي تسليةً ، أو جزعتُ من رحلتك فإنَّ في المصابين معي تعزياً . فما ارتحلت إلاَّ عن من ودَّعَ بوداعيكَ دِينَهُ ودنياه ، وفارقَ بفراقك سرورهُ وَتَحْيَاهُ ، لإحاطةِ العلم أن قد استوتْ بِمدكِ الأقدام . وَطَمِيسَتْ من العلومِ الأعلام . ثم تقضي لي مَزِيَّةً^٤ الاصطفاءِ والتقريب . بوفورِ الحظ منك والتَّصِيب . فقد كان لي من أخلاقك الكريمةِ في الاختصاص . ومذاهبك الحميدةِ في

١ ط د : وناظم .

٢ شرح السقط : ١٥٠ .

٣ ط د س : ان ناسيت .

٤ د ط س : قضية .

الاستخلاص ، ما يحول الآن بيني وبين التماسك ، ويحملُ نفسي على
التهالكِ

ومن أخرى : وظننتُ أنّي أوّلُ مخصص بالكتابة^١ ، ومُعتمداً
بالمخاطبة ، فإذا أنا المنسيُّ ، وسواي المرعِيُّ ، وغيري يُعطاها ولا يسأل ،
وأنا أطلبها فأصرفُ بالجبية وأحجلُ ، وكلّما رأيتها تُفرّقُ عنةً ويسرةً ،
تقطعُ نفسي عليها حسرةً ، فلولا العنوانات لادّعتُ فيها ، واختطفتها
من أكفّ أخذها ، لحجلي بين من كان يتتوهمُ أنّي^٢ مختصّ بك وأثيرٌ
عندك .

وأراني فلانٌ كتابتكِ إليه ، فوقفْتُ عليه ، وفي صدره وصفٌ خبرك ،
ولعلته ما استهداه ، ولا سألتكِ إياه ، وفي عجزه حثُّك له ولأشباهه
على الرحيل ، فيا ليتني كنتُ في جملة ذلك الرعيل ، وقد تواتر النبأ من
بيرٍ من أئده الله لك بأشياء تُنكرُ إلاً من^٣ مثله ، وتستغربُ إلاً من
فعله ، والله يُبقيك جمالاً^٤ ، وللدينا . ونوراً في فلكِ العليا ، ولولاه ما
رجتِ الهممُ بشراً ، ولا عُرفَ الكرمُ إلاً خبراً .

وفي فصل من أخرى^٥ : يا ليت شعري كيف أتغير على بعضي ،
وأمنحه قطيعتي وبغضي . وما أظن إلاً أنك داخل في جملة من يحب فيمتجتي ،

١ ب م : بالكتابة .

٢ ط د س : يتهم أنه .

٣ ط د س : إلا على .

٤ ط م هـ : كالا .

٥ انظر الفلاد : ١٠٣ والخريدة : ٤ : ٣٥٧ .

ويعشق فيتجافى ، بدليل أني كلما بسطتك تنقبض ، أو أبرمت منك حبلاً
ينتقض .

وله من أخرى :

ترحلتُ عنكم^١ لي أماميَ نظرة^٢ وعشر^٣ وعشر^٤ نحوكم^٥ من وراثيا [٨٠] .
ولكنها نظرة^٦ من خلال عبّرة ، والتفاتة^٧ إثرَ زفرة^٨ ، والصباية^٩ تفعل
بالنفس أفعالها ، وتشرب^{١٠} من المدامع أو شالها ، والقلب^{١١} من جزع^{١٢} يضطرب
ويخفق ، ويطنفو في أشواقه^{١٣} ويغترق^{١٤} ، وكلما خطت^{١٥} المطي^{١٦} باعاً ، خفت^{١٧}
على كبدي انصداعاً ، وما كنت^{١٨} ممن يكلف^{١٩} ويشفق^{٢٠} ، ولكن من أبصر^{٢١}
ما أبصرت^{٢٢} بالضرورة^{٢٣} يعشق^{٢٤} ؛ ويا شوقاه^{٢٥} ! ويا حرّ قلباه^{٢٦} ! من لي بالشعب
أن يلتئم^{٢٧} ، وبذلك الشمل^{٢٨} أن ينتظم^{٢٩} ، كانتظامه^{٣٠} في مشاهد جمعت^{٣١}
أشبات^{٣٢} الأوس^{٣٣} ، واحتفلت^{٣٤} من منى النفس^{٣٥} . وتناولت^{٣٦} الراح^{٣٧} من يد القمر^{٣٨}
والشمس^{٣٩} ، بين بساتين^{٤٠} نشتت^{٤١} عليها^{٤٢} تستر^{٤٣} ألويتها^{٤٤} . وأهدت^{٤٥} إليها
صنعاء^{٤٦} أو شيتها^{٤٧} ، وذوب^{٤٨} اللجين^{٤٩} يطرد^{٥٠} من خلالها^{٥١} . وأدواح^{٥٢} الزبرجد^{٥٣}
تغشاه^{٥٤} بظلالها^{٥٥} ، وقيان^{٥٦} الطير^{٥٧} راقية^{٥٨} في أغصانها^{٥٩} ، متجاوبة^{٦٠} بضروب^{٦١} ألحانها^{٦٢} .
ونحن^{٦٣} نوفي^{٦٤} كل^{٦٥} مكان^{٦٦} منها^{٦٧} طيباً^{٦٨} ، ونشاهد^{٦٩} منظرأ^{٧٠} عجبياً^{٧١} ، ولا ندع^{٧٢} أن
نعرس^{٧٣} في كل^{٧٤} مغنى^{٧٥} ، وندير^{٧٦} الكاس^{٧٧} على كل^{٧٨} معنى^{٧٩} . ولا مثل^{٨٠} يوم^{٨١}

١ د ط س : يكلف ويمشق .

٢ ناظر الى قول المتنبي :

وما كنت ممن يدخل العشق قلبه ولكن من يبصر جفونك يمشق

٣ س : واختلفت . ٤ د ط س : ارديتها .

٥ ب م : رشيها .

٦ ط د س : بكل .

الديرِ وصَبوحٍ^١ وصلناه ، والنواقيسُ حولنا تَضْرَبُ ، ونحن نطوفُ بالصليبِ
ونلعبُ ، وذلك المزنَرُ يَسْقِي وَنَشْرَبُ^٢ ، ومغْنِينَا يَغْنِي وَنَطْرَبُ^٣ ،
وقد عقدوه بزَنَارِهِ فديتُ الغزالَ ومن زَنَرَهُ^٤

وعسى الأيامُ أن تجددَ بتلك المعاهدِ عهدي ، فأشفي بنسيمها وجدي ،
وأضع في بَرْدِ ثراها خدتي ، فقد تلبنُ في الأحيان منها معاطف ، ويكونُ
لها في الندرةِ عوارف .

وكان غَرَضِي أن أسكّنَ بالمكاتبِ من لوعي ، وأتعلّلَ باستهداءِ
الأخبارِ في وحشي ، لولا ما كنتُ بسبيله من سقم ، لم تتمكنُ يدي معه
من إمساكِ قلم ، وها هنا سرّ تصيخُ إليه ، وتطلّعُ عليه : وَعَيْشِكِ مَا
كان جلُّ ما بي إلاّ من أجلِّ العين والباء^٥ ، فبرّحُ إن شئت بالخفاء ، واسترّ
إن شئت^٦ على مثلي من الأولياء ؛ لكني لما آنستُ راحةً من شكّاتي ، تطلّعتُ
إلى تناولِ الحميّا على علاّتي ، وحضرتُ بين يدي سلافُ ذكرتني برشفِ
ذلك اللعس ، ونرجسُ عارضني بطيبِ^٧ ذلك النّفّس ، فنشطتُ للكتابِ
قليلاً ، وسامحَ الدهرُ وإن كان كليلاً ، فهاتِ - جُعِلتُ فداك - جَدِّدْ
مِيسَتَكَ عندي ، بوصفِ صُوَرِ الأحوالِ بعدي ، وأخبرني عن القمرين
إذا اعتمًا بذلك السَّبج ، ولحظا من ذلك الدّعج ، وعارضا في العوارض

١ ب م : والصبح .

٢ ط س : ويشرب ؛ د : ويطلب .

٣ د ط : ويطلب . ؛ س : لم يتسن لي .

٥ ب م : الباء والعين .

٦ ط د س : احببت .

٧ ط س : فطيب .

تلك الصوالج [المنمنمة] ، وأبديا من المباسم تلك اللآلي المنظمة^١ ، ومال
بعضيهما^٢ الدلال^٣ ، وألبسَهُما حُلاهما الجمال^٤ ، كيف يروعان النفوس
إذا طلعا ، وكيف يفعلان بالقلوب [٨٠ ب] إذا افترقا واجتمعا ، واذهب^٥
في الوصف مع الاسترسال ، ولا تجرِ إلى التعمل^٦ والاحتفال ، وزدني من
حديثك يا سعد ، وإن زدني جنونا بعد^٧ ، ولا تقل^٨ أنا مقسم البال مشغول ،
وفيما استفهمت عنه كلام^٩ طويل .

وله من أخرى خاطب بها الوزير أبا محمد بن عبدون من سرقسطة ،
ونقلتها من بخط يده^{١٠} : نعم قد حُسم ما توقعنا من بين^{١١} ، وصار أمرنا
أثرا بعد عَيْن ، وصرنا عنكم في الطرف الأقصى ، وشطت بنا غربة^{١٢}
النوى ، وتساوينا على عارضِ الفرقة والأسى ، « فمتى تقول الدارُ
تجمعنا »^{١٣} ؟ وقد نثرتنا الأيامُ فكيف تنظمننا ؟ هذا بعيد^{١٤} والذي بيده
كلُّ شيء يدنيه ، ومتعذّر وهو جلّ جلاله يُيسّره ويُيسّنيه ، وعلى
ذلك فأنا الآن بحالٍ من بلغ أملا^{١٥} ، واستساغ جدلا^{١٦} ، ورضي بعض^{١٧}
الرضى عن دهرٍ صار للشمل جامعا ، وقد كان اليأس منه واقعا ، والحمدُ
لله على نعمة^{١٨} جدّها ، ومنة^{١٩} أكدها . وهذه جملة^{٢٠} موصولة منك^{٢١} يفصلها

١ ب م : المنتظمة .

٢ د ط س : بعضيهما .

٣ ط د س : التعمق .

٤ من قول الشاعر :

وحديثي يا سعد عنهم فزدني جنونا فزدني من حديثك يا سعد

٥ د ط س : خاطب بها من سرقسطة بعض اخوانه بالغرب ، ونقلت هذه الرقعة من خط يده .

٦ عجز بيت لعمر بن أبي ربيعة (ديوانه : ٤٣٤) وصدره : اما الرحيل فدون بعد قد .

٧ م ب : منة .

٨ ط د س : إليك .

ويشرحها ، ويجلوها ويوضحها ، فإني كتبتُ على عجل^١ ، وعلى غير مهل ، وفي وقتٍ لم أتمكن من بسطِ المقال ، والبحري فيه على عادة الاسترسال ، فلا تجر بهذا ولا تُفارض عنه ، وتفرغ للجواب ، وأطيل في الخطاب ، وشرح كل ما جرى بعدي من خير ، وتجدد من أثر ، وحَدَّث من عجب ، ووَقع من نادرٍ ومُسْتغْرَبٍ .

وفي فصل من أخرى : وصلت التحفة المرغوبة ، والملاطفة المحبوبة ، فكانت أحلى موقعا ، وأسنى موضعا ، من التحف ذات القيم ، و [الملاطفات] للعدودة أحلى^٢ القيسم ، وارتاحت إليها النفس ، وحضر بها قبل وقته^٣ الأُنس ، وكادت تتمشي نحوها الكأس ، وسأجدد^٤ لك بها ذكرى ، وأشربُ بها على ودك^٥ ملأى ، وأديرُها على الصعب ، وأتساوى في قسمتها مع الشرب ، فهذا من حق فضلها ، وبعض ما لك في إهداء مثلها ، لا زلت الملاطفة المكرم ، والمواصل المتهمم .

وله من أخرى^٦ : أوصافك العطرة ، ومكارمك المنتشرة ، تنشطُ سامعها^٧ من غير توطئة ، في اقتضاء ما عرّض من أمنية ، وللراح - جعلت فداك - من قلبي محل لا تصل إليه سلوة^٨ ، ولا تعترض عليه

١ ب م : معجل .

٢ ط د س : في .

٣ د ط س : وقتها .

٤ هنا وقع خرم في س ضاعت بسببه أوراق .

٥ ب م : عليها بودك .

٦ انظر القلائد : ١٠٨ والخريدة ٢ : ٣٥٤ .

٧ د ط ب م : ينشط سماعها .

جَفْوَةٌ ، إلاَّ أن مَعِينَهَا قد جف [وقطينها قد خف] ، فلا توجَدُ للسِّبَاءِ ١ ،
ولو بِحِشَّاشَةِ الحَوْبَاءِ ، فَصَلِّتَنِي مِنْهَا بما يُوَازِي قَدْرِي ، وَيَقُومُ لَهُ
شُكْرِي ، فَإِنْ قَدْرَكَ أَرْفَعُ مِنْ أَنْ تَقْضِي حَقَّهُ زَاخِرَاتُ ٢ البَحَارِ ، ولو
[٨١ أ] سالتَ بِذَوْبِ النَّضَارِ ، لا بِصَافِيَةِ العُقَارِ .

وله من أخرى في الاستدعاء ٣ : يا سيدي وَمَنْ أبقاهُ اللهُ قَشِيْبَةً
أَثوابُ عِزِّهِ ، مَحْمِيَّةٌ سَاحاتُ حِرْزِهِ ٤ ، يَوْمُنَا يَوْمٌ تَجْهَمُ مَحِيَّاهُ ،
وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ ، وَبَرَقَتْ شَمْسُهُ الغِيَوْمُ ، وَنَثَرَتْ صَبَاهُ لؤلؤها المنظوم ،
وَمَلَأَ الخَافِقِينَ دِخانُ دَجَنِهِ ، وَطَبَّقَ بِساطَ الأَرْضِ هَمَلانُ جَفْنِهِ ،
فَأَعْرَضْنَا عَنْهُ إلى مَجْلِسِ وَجْهِهِ كَالصَباحِ المُسْفِرِ ، وَجَلْبَابُهُ كَالرِّداءِ
المَحْبَرِّ ، وَحَلِيئِهِ يُشْرِقُ فِي تِرائِبِهِ ، وَنَدَاهُ يَتَضَوِّعُ مِنْ ٦ جِوانِبِهِ ،
وَطَلائِعُ أنوارِهِ تَتَمَرَّمَرُ ٧ ، وَكِواكِبُ أَكْواسِهِ ٨ تَزْهَرُ ، وَأَبارِقُهُ تُرَكِّعُ
وَتَسْجُدُ ، وَأوتارُهُ تُنْشِدُ وَتَغْرَدُ ، وَبِدوره تَسْتَحِثُّ أَجْمَها مَحْمِيَّةٌ ،
وَتَقْبَلُ أَمَلِها مَفدِيَّةٌ ، وَسائِرُ نِعماتِها ، خُذْها وَهاثِها ، وَأَقْصِي أَمَلِنا ،
وَمَنْتَهَى جِذْلِنا ٩ ، أَنْ تَحُثَّ خَطاكُ ، حَتَّى يَلُوحَ سِناكُ ، وَنَشْفِي بِمِراكَ .

١ سبأ الخمر : شراؤها .

٢ د : زاخرة ؛ ط : زاجرة .

٣ القلائد : ١٠٨ والخريدة ٢ : ٣٥٤ .

٤ يا سيدي . . . حرزه : سقط من د ط وكذلك من القلائد والخريدة .

٥ د ط والقلائد والخريدة : أؤلؤه .

٦ القلائد والخريدة : يبعق في .

٧ القلائد والخريدة : تظهر .

٨ القلائد والخريدة : ايتاسه .

٩ ب م : املاها . . . جذلها .

وله من أخرى في مثله^١ : طلع علينا هذا اليوم فكاد يُمطرُ من الغضارةُ
صَحْوُهُ^٢ ، ويعشى من الإنارةِ جَوُّهُ ، ويحيي الرميمَ اعتداله ، ويصبي
الحليمَ حُسْنُهُ وجماله ، فلَقَّتْنا زهرتهُ ، ونظمتنا بهجته ، في روضةٍ
خلعتُ عليها السماءُ سبائبها ، ونثرتُ علينا كواكبها ، ووفدَ عليه
النعمان بشقيقه ، واحتلَّ فيه الهندُ بِخُلُوقِهِ ، وبكَّرَ إليه بابلُ برحيقه ،
فالجمالُ يُشْخِصُ لحسنه طَرْفَهُ ، والنسيمُ يهزُّ لأنفاسِهِ عِطْفَهُ ،
وتمنينا - أعزك الله - أن يتبلَّجَ صُبْحُكَ من خلالِ فروجه ، وتحلَّ
شمسك في منازلِ بُرُوجِهِ ، فإن رأيتَ أن تُطْلِعَ علينا الأُنسَ بطلوعِكَ ،
وتُهْدِيَ الفرحَ بوقوعِكَ ، فلن تعدَمَ نَوْرًا يحكي شمائلك طيباً وبهجةً ،
وراحاً تُخالِ نِخالَكَ صفاءً ورقَّةً ، وألحاناً تُثيرُ أشجانَ الصبِّ ،
وتبعثُ أطرابَ القلبِ ، وندامى^٣ ترتاحُ لهم الشمولُ ، وتتعطرُ بأرجهم
القبولُ ، ويحسدُ الضحى عليهم الأصيل ، وَيَقْصُرُ بمجالستهم الليل
الطويل .

وله من رقعة^٤ : ورد كتابك مشتملاً على أنفَسِ كلامِ راقٍ في
نظامه ، وأحسن زهر تطلَّع من كمامِهِ ، فأبهجَ النفسَ برائع البيان ،
وملك الطرفَ بباهرِ الحسنِ والإحسان ، لا عدمتك تهدي^٥ نوادر وفوائد ،
ومعجزاً في مصادرَ وموارد ، ويعلمُ الله استيحاشي من بَعْدِكَ ، وإشفاقي
من فقدك ، ولكنَّ هذه الأيامَ لا تسمحُ بمرغوب ، ولا تجري إلى إثباتِ

١ القلائد : ١٠٩ والخريدة ٢ : ٣٥٦ .

٢ من قول ابي تمام :

مطر يذوب الصحو منه وبمده صحو يكاد من الغضارة يطر

٣ ط د : وندماناً . ٤ ط د : ومن أخرى .

٥ د ط : مهدي .

محبوب ، وعسى أن تعطف بالترقي ، وتسبب الاجتماع والتداني . فتنظّم
ما يدوّت ، وتصلح ما أفسدت ، وما ذلك على الله بعزيز .

ومن كلامه في العتاب [٨١ ب] [وما يجانسه]

فصل^١ له من رقعة^١ : وردني لك كتاب^٢ لطيف الحجم خيلته للطفه
سحابة^٣ ، وتوهّمته من خيفته هباءة^٤ . وفضضته عن أسطري^٥ [فيها]
سواد ، لم يتحصّل لي منها مستفاد . فتعوذت بربّ القلق ، من شرّ ذلك
الغسق ، ثم رجعت إليه^٦ الملح^٦ ، وعدت عليه أتصفحه^٧ . فلم يتخلّص
لي منه^٨ محصول . ولا تأتي إليّ فيه معقول . حتى كأنه سقط مبني . أو على
غير شيء مطوي . فبعد [لأي] ما انفك لي في صدره : « قرأت كتابك »
لا غير ، وليت سيدنا تفضّل وأبان . عن أيّ الكتب كان . فنعلم بذلك
الوقت^٩ والأوان^{١٠} ، واستحييت^{١١} - وحياتك^{١٢} - منه لك . وخجلت عنك ،
وبهت في مغزأك . ولم يتّجه لي وجه منحاك . وقلت : ما الشأن
الذي أراد . وما هذه الألوان^{١٣} ؟ وأين تلك الفطنة الذكيّة . والعبارة الجليّة ؟
وما فعلت تلك البديهة الرائعة . والبلاغة البارعة^{١٤} ؟ وأي شيء غال ذلك
الطبع الذي كان يتسحر^{١٥} . وكيف غاض ذلك البحر الذي كان به يزخر ؟

١ القلائد : ١٠٨ والخريدة ٢ : ٣٥٣ .

٢ ط د : ورد كتاب .

٣ م ب : عليه .

٤ ط د : فلم يتحصّل منه .

٥ د ط : لملم به وبالوقت .

٦ ط د : الأوان .

٧ د ط : الرائقة .

وله من أخرى في مثله^١ : وكنت عهدتك^٢ لا تمتنع من مداعبة من يداعبك^٣ ، ولا ترتفع^٤ عن مراجعة من يخاطبك ، فمن أين حدث هذا التعالي ، وما سبب هذا التعالي^٥ ؟ عرفني - جعلت فداك - وكأني أراك تنوقد في قعدتك ، وتشاوس^٦ في نظرتك ، فما تكلم^٧ إلا إن ابست ، ولعلك رأيت الحضرة منذ زمان خالت من قاض فطمعت في خبطة القضاء ، لأنها أشرف خطط السناء ، وجعلت تأخذ نفسك بأهبته ، وترشح لرتبته ، وأنت الآن لا شك تتفقه في الأحكام ، وتطالع شريعة الإسلام ، وهيبك تحليت بهذا السميت ، وتهيات لهذا الدست ، ما تصنع في قصة السبت^٨ ؟ دغ^٩ عنك هذا التخلت وارجع إلى أخلاقك ، وعد في إطراقك ، واجر مع الزمان إن رشداً فرشداً وإن غيباً فغيباً ، وتجاهل ما قبلك جاهل ، وتحامق مع الحمقى فإنك عاقل ، ولا تمنع لذة الاسترسال ، من أجل القيل والقال ، ولا تتعبد^{١٠} للدنيا بخدمتها^{١١} في كل الأحوال ، فما أشبه إدارها بالإقبال ، وكثرت بها بالإقلال ، إذا فكرت في البدء منها والمآل .

ومن أخرى : لشد ما ألهتكَ الدنيا أبا عليّ بإقبالها ، وشغلتكَ بأحوالها ، فما تفكر في صلته^{١٢} ، ولا تبديء^{١٣} بمكاتبة ، أو تراجع عن

١ القلائد : ١٠٨ والخريدة ٢ : ٣٥٣ .

٢ ب م : أدريك .

٣ القلائد والخريدة : تنقبض .

٤ ط د : التعالي . . . التعالي .

٥ ط د : تبست ؛ وهو من قول الشاعر :

يفضي حياء ويفضي من مهابته فما يكلم الا حين يبتسم

٦ ذكر صاحب القلائد انه خاطب بهذه الرسالة ابن حسداي ، فقصة السبت تعني انه كان من

قبل يهوديا .

٧ ط د : بخدمتك .

مخاطبة ، ومن أين تجدُ سبيلاً إلى ذلك وزمانكُ كله مُقسَّمٌ^١ في أشغالٍ ،
 ومرتبٌ على أحوالٍ ، تنام بالضحى^٢ مُثَقلاً من السكر ، وتتململ على
 فراشك إلى الظهر ، حتى يتكرر رسولُ فلان [٨٢ أ] فيوقفك من المنام ،
 ويحركك إلى القيام^٣ ، ثم تركبُ وتجدُ المائدةَ موضوعةً ، والأيدي
 لإبطائك مرفوعة ، فتدنو من الطعام بكسلٍ ، وأنت شاكٍ من بقايا خُمارٍ
 أو ثملٍ ، وتخدشُ من الخبزِ بظفرك ، وتأكلُ شيئاً لطيفاً على قدرك ، ثم
 تستلقي وتتمدّد ، وتتأبّب وتتوسّد ، وتستحضرُ جنّاتك فتسألُهُ عن
 الجنةِ متى سقاها ، والروضةِ إن كان رَوَّأها ، والأزهارِ هل تحفظُ بها
 وجنّاتها ، وبينما أنت في ذلك يستأذنُ عليك وكيلك في ضياع الانزالِ ،
 فتأذنُ له في الدخولِ ، ثم تستفهمه متى أقبلَ ، وأي شيءٍ عملَ ، وكم
 جمَعَ ، وما زرعَ ، وتتعلّلُ بهذه العلل والأخبارِ ، حتى تنقضي بقيةُ
 النهارِ ، ثم تنتشطُ^٤ لتستدفعَ شربَ الماءِ ، في ودِّ أحدِ الرؤساءِ ، وتقيمُ
 من بعدُ دَسْتِ الأُنسِ ، حتى تعودَ في مثل ذلك الأَمسِ ، فمتى تتفرغُ
 مع هذا للصديقِ ، وكيف تتمكنُ من قضاءِ حقوقِ؟! وأيضاً فإن السياسةَ
 تقتضي أن تُعرِّضَ عن ذكرٍ مثلي ، وتلعنَ وقتاً وصلتَ به حبلي ، لاسيَّما
 وقد دُهِيتَ من جهتي ، وكادَ السلطانُ يخبوك من أجلِ خلطِي ، أنت
 لعمرِي في أوسَعِ العذرِ ، فاجرٍ مع الدهرِ .

وله من أخرى : ولئن كانتِ الأيامُ تُنسِيكَ ، فالأمانِي تدنيك ، ولئن

١ د ط : مقسوم .

٢ د ط : الضحى .

٣ د ط : للقيام .

٤ ط د : وتخدش الخبز .

٥ د ط : تنتشط .

كنتَ محجوباً عن الناظر ، فإنك مصوراً في الخواطر ، أناجيكَ بلسانِ
الضمير ، وأعاطيكَ سُلَافَ السرور ، وأداعبك مداعبةَ الحضور ، وأجاذبكُ
فضولَ اللعب ، وأبلغُ معك إلى حدِّ الطرب ، حتى أسكنَ شوقي إليك ،
وأقضيَ وطري منك ، وأنت في كلِّ حال لا تشعر ، وذاهلٌ لا تذكر ،
ولا تقطعُ زمانك إلاَّ بحظيرةٍ حولك تصنعها ، وخيمةٍ ترفعها ، فإذا تمَّ
لك هذا اللهو ، تداخلكَ الزهو ، وشمخَ بأنفكِ البأو ، وخلتَ أنك متوجُّ
على سرير ، أو ربُّ خورنقٍ وسدير ، فمتى نلتقي على حال ، وينفقُ
مذهبنا في وصالٍ ؟ ! هذا لعمرى بعيد ، اللهم ان كان من الدهرِ حِلْمٌ ،
واكتهال السنِّ نوم ، ونجومُ الشيبِ قد طلعت من الغدائر ، وعماياتُ
الصبأ قد انجلت عن البصائر ، فتذكرَ من الودِّ ما أذكر ، وتفكرَ في النأي
كما أفكر ، وتحنَّ إلى تلاق ، وتبردَ غليلَ اشتياق .

وله فصول من رسائل ، في العناية والوسائل

فصلٌ من رقعة : معرفتك بتقلِّبِ الأيام بذوي الفضل ، وحكمها
[فيهم] بغيرِ السويِّة والعدل ، تُغني عن عرضِ ذلك عليك ، وتقريه
لديك . وفلان ممن عرفتَ حاله في الثروة والمنعة ، ورتبتهُ في الجاهِ
والرفعة ، لكن أساءتَ إليه بعدَ الإحسان . وامتنعته [٨٢ ب] بأنواعٍ
من الامتحان ، حتى ذهبتُ بجميعِ وقْرهِ ، واضطرته إلى بني دهره ؛
وقصدكَ مستجيراً من عثرته ، ومثلُك بادر إلى مشاركته ، وحضَّ على
إسلافِ البرِّ إليه ، ورغبَ في وضعِ الصنائعِ لديه .

١ ط د : الخاطر .

٢ ب م : موضع .

وفي فصلٍ من أخرى : للصنائع - أعزك الله - عوائدٌ من الحمد ،
تُطيلُ بناءَ المجدِ ١ ، ومثلك انتهى في إسلافها منتهى الجاهد ، ونافسَ
فيها بالطارفِ والتالد ؛ والأديبُ أبو فلان ممن تزكو لديه ، ويتظاهرُ جمالُها
عليه ، بما له من المحاسن التي تُؤلفُ منشورَ المفاخر ، وتنظمُ أشناتَ المآثر ،
ثم بالأدب الذي يُسمِّعُ بالاجتماعِ ٢ زهرهٗ ، والفهم الذي يتطاير عند
الافتداحِ شَرره ، إلى ما يرجعُ إليه من عفة طُعْمته ، وعلوِّ همته ،
وتحلُّ بأجملِ المذاهب ، وتنزهه عن ذنبي المكاسب ، وأنت بسروك
تري صلةً مثليه ذماماً ، ووضعَ العارفةِ عنده اغتناماً .

وفي فصلٍ من أخرى في مثله : مكاتبتك - أعزك الله - في البرِّ بمن
يَرِدُ ٣ ، والمكارمة لمن يطرأ عليك ويفد ، كمن يستمطرُ السحابَ وقد
أخضلتَه ، ويستعجلُ الرياحَ وقد استقبَلتَه ، ولكنها سننٌ وعوائدٌ ،
تُفعلُ وإن لم تُستَجَلَبْ بها زوائد وفوائد ؛ وفلان ممن عَلِمَتْ فَضْلته
وأصالته ، ويقظته وجزالته ، ولطفه وحلاوته ، وما الظفرُ بقربه إلا
فرصةٌ تُعتم ، ولا المشاركةُ لأمثاله إلا فضيلةٌ تُلتزمُ ، لأنه بالشكر
رَحِبُ الذراع ، وفي بسَطِ الثناءِ طويلُ الباع ، وحسبي أن أشيرَ وأنت
تكتفي بالإيماء ، فتوفي في مكارمته على الأملِ والرجاء .

وفي فصلٍ من أخرى : حيث الكلاؤُ يُرتع ، وأمكنةُ الخصبِ تُنتجع ،

١ د ط : تطيل فيها الحمد .

٢ ب م : في الاجتماع .

٣ ب م : يرد إليك .

٤ د ط : فريضة .

والنفسُ إلى من أحسنَ إليها أنزع^١ ، والأملُ في من وصلَ أطمع ؛ وقليلٌ كان فلانَ قصداً تلكَ الحضرةَ - دامَ جمالها بك - فأوسعتَ مطالبتهُ قضاءً ، وكننتَ له قليلاً ورشاً ، حتى انصرفَ بفوائدِ وفَرها اهتبالُك ، وأثمرها جاهلُك ومالك . وكلما انتجعَ بعدها مرعىَ أذكرته السعدان^٢ ، أو وردَ مواردُ أصدرته غيرَ ريتان ، ولما أضلَّ الكرمَ رجَعَ إلى حيثُ يُهشَدُ ، وعاودَ من يُعْتَقَدُ ، والعودُ أحمدُ ، وأنا أرغبُ أن يكونَ له في فضلكَ معاد ، ومن طولِكَ ازدياد .

وفي فصل من أخرى : أعاذَ الله عمادي من المحنِ والنوائبِ ، ولا أعدمتهُ لسداءَ المننِ والمواهبِ ، فقد عقدَ اللهُ على الخيرِ^٣ سريرتك ، وصحَّحَ في ابتغاءِ الأجرِ بصيرتك ، فما تُدعى إلى حسنةٍ إلاَّ وأنت سابقٌ إليها ، وموفٍ [٨٣ أ] بِسَعْدِكَ عليها . ومُوصِلُ كتابي رجلٌ من الثغرِ ووجوهِ الأطرافِ ، امتحنتهُ الأيامُ في النعمِ ، أو أنَ الشَّيْخِ ، والهرمِ ، وابتلتهُ بادلِ الأسرِ ، وطولِ الشقاءِ في دارِ الكفرِ ، وبحسبِ حاله في الثروةِ ، ومكانه من النجدةِ ، اشتطَّ عليه ، وأخذَ منه في الفداءِ جميعُ ما في يديه ، وارتمنَ أولادهُ في بقايا بَقِيَّتْ عليه ، وأنت بفضلِكَ تحملها^٤ في مالك ، ولا يضيقُ عنها حالك ، حتى تفوزَ وَحَدَكَ بأجرها ، ولا يُسْهِمَ لغيرِكَ في ذُخْرها ، وتفردَ بجمالِ الذكرِ في خبره^٥ ، وتتلانِي ما اختلَّ من أمره ،

١ د ط : تنزع .

٢ إشارة الِ المثل : « مرعى ولا كالسعدان » .

٣ د ط : الحسن .

٤ د : الشيب .

٥ د : تتحملها ، ط : لتحملها .

٦ كذا في الأصول ولعل الصواب : « خبره » .

فهو ممن يقوم للمسلمين مقام الأعداء ، في مواطن الجهاد ، ومواقف الجهاد ، والله على ذلك مؤيدك ، وهو بمنته مسددك .

وله فصل من أخرى : توهم الشيخ - أبي ، شاكرك - أن الأدب شيء يشرف حامله ، ويكسب الجاه ناقله ، فأراد أن يستعين على ما رغب ، وليس عنده أنه مع الخطوب خطب ، ومع الزمان على منتحليه لئب ، ولا في علمه أن الأيام لا تمكّني من دفع مضرة عن ذراي ، فكيف عن جانب منفعة لسواي ، ولا في حسابه أن من كانت سعوده مولية ، ونحوه مستعلية ، فبعض خاذليه في النصر اليد ، وأول مسلميه عند الحاجة العصد ، وقد سمع - أعزك الله - أن لي نصيباً من ذلك ، فألح عليّ في قصدك ، لأرغب له وأسأل ، وقد عزمت أن أفعل ، لكن رأيت الرقعة بالسؤال أسمع ، والقلم في الرغبة أفصح وأنجح ، فلذلك جعلت الخطاب عوضاً ، وتركت من القصد مفتراضاً .

وله من أخرى : غير ذاهب عنك - أيدك الله - ما في جبلة الإنسان ، من الحنين إلى الأوطان ، وأنه لا يفارقها في أكثر الأحيان ، إلا باضطرار ، ولا يخرج عنها إلا غير مختار ، ومهما طال اغترابه ، وكثر في البلاد اضطرابه ، ولها عنه باسعاد من الزمان ، وتسلى بضروب من السلوان ، فلا بدّ للنفوس من اشتياق إليها وتولّع ، ونزوع نحوها وتطلّع ، وقد أشار إلى أعلّة في ذلك المتقدمون والمحدثون ، وأوضحها بعد المولدون^١ ، وعبروا عنها بغير ما عبارة حتى اتضح وضوح النهار معناها ، وانتهت منها الأقوال^٢

١ د ط : بعض المولدين .

٢ د ط : الاقوال منها .

منتهاها ، واستوي في معرفة سرّها وخبرها ، واستغنيَ باشتهارها عن ذكرها ؛ وإحاطةُ علمك بحالِ الوزير الكاتبِ أبي فلان^١ من بدئِها إلى انتهائِها ، يُغني لك عن ذكرها وإجرائها . ولما دخل إلى بيضتِه التي منها خرّج ، ووَكْنِه [٨٣ ب] الذي منه درّج ، تذكّرَ حالَ أولاده فجدبته إليه جواذبا ، وغلبته على رأيه غوالبها ، ولم يتماسكُ أن حنَّ إلى العودةِ لمغناه ، فحسنتُ له ما اعتزمه وراه ، ولم أرَ بأساً في تحوُّله من ناحيتك إلى ناحيتي ، فليس بمفارقٍ حَضْرَتِكَ من ينتقلُ إلى جهتي ، ولا ينفصلُ من جملتك مَنْ يحصلُ في جملي ، لأنه لا فَرْقَ بين الحالتين ، ولا تبايُنَ بين الجهتين .

وفي فصل من أخرى : لئن كان مولاي أعلى الملوكِ مكاناً ، وأعظمهمُ شأناً ، وأكثرهمُ إنعاماً وامتناناً ، وأعلمهمُ ببواطنِ السرائرِ ، وأفطنهم لهواجسِ الخواطرِ ، وأسبقهم إلى العطاءِ دون أن يُسألَ ، وأسمعهمُ بالمأمولِ قبل أن يُؤمَلَ ، فإن عادةَ العبيد من الموالي أن يستزيدوا وإن غمّرَ إحسانٌ ، وأن يُذكروا وإن لم يكنْ نسيانٌ ، ليقفَ موقفه المؤمَلُ ، ويزداد رغبةً في تطوُّله المتطولُ ؛ فإن كنتُ قد وصلتُ من عزته الرفيعةِ إلى داري ، وحصلتُ منها^٢ في موضع استقرارٍ ، ونلتُ من تقريبه فوقَ قدرٍ ومقداري ، فأنا الآن بمنزلة ضيفٍ وبودّي ألا أكونه ، بل كنتُ أشتهي أن أرى نفسي بمنزلة مَنْ ألقى العصا ، وأمينَ روعةِ النوى ، وخيِّمَ مستوطناً ، واتخذَ سَكْنِي وَسَكْنًا ، وصار من دنياه في أملٍ ، وقلبَ الطرفَ بين خيِّلٍ وحوالٍ ، ولا والله ما يختلجُ ببالي غيرُ ذلك كله ، ولا

١ ط د : بحالة فلان .

٢ ط د : وخلصت منه .

استبطأتُ من طَوَلِ مولاي وفضله ، ولكن ليس للمرء من عمل ، في قوله عز وجل ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ (الأنبياء: ٣٧) ولئن تَسَرَّعْتُ وَعَجِيتُ ، فعلى فضلِ آتاهُ مولاي عَجِيتُ ، وعليه عَوَّلْتُ واتكلتُ^١ ، ولولا ثقتي بالرأي الجميل ، والمعتقَدَ^٢ الكريم النبيل ، لوقفتُ عند قدري ، وما تعدَّيتُ طَوْرِي ، حتى يكونَ هو - أيده الله - السابقَ إلى ما يُعْنِي عن إنشاده :

وفي النفسِ حاجاتٌ وفيكَ فطانةٌ^٣ سكوتي بيانٌ عندها وخطابُ^٤
 ومِثْلُكَ مَنْ كان الوسيطَ فؤادهُ^٥ فكلامه عني ولم أنكسِمَ^٦

ومن رسائله في التعازي

فصل^١ له من رقعة^٢ : من أيّ الثنايا - أيديك الله - طَلَعَتْ عليّ^٣ النوائب ، وأيّ حمى^٤ رتعت^٥ فيه المصائب . فواهاً لحشاشة^٦ الفضل أرصدها الردى غوائله^٧ ، وبقية^٨ الكرم جرّ عليها الدهر^٩ كلاكيله^{١٠} ، وواحسرتنا للجنة^{١١} المواهب كيف سُجِّرت^{١٢} ، ولشمس^{١٣} المعالي كيف كَوَّرت^{١٤} ، ويا لُففا على هضبة^{١٥} الحلم^{١٦} كيف زلزلت ، وحادّة^{١٧} الذكاء^{١٨} والفهم كيف [٨٤ أ] فُلِّلت^{١٩} ، فإننا لله [وإنا إليه راجعون] أخذاً بوصاياه ، وتسليماً لأقداره^{٢٠} وقضاياه .

١ ط د : فعل فضله عوات وعليه توكلت واتكلت . ٢ ط د : والمشهد .
 ٣ البيهتان للمثنوي ، ديوانه : ٤٨١ ، ٤٦٠ ؛ ب م : كلام عنده .
 ٤ القلائد : ١٠٧ والحريدة ٢ : ٣٥٢ .
 ٥ م : الردى . ٦ د ط : العلم .

. رمدحه ابن خيرون^١ بشعر قال فيه :

لا تكثري^٢ لومَ المحبِّ وما به يكفيه من مضضِ الهوى وعذابه
يقول فيه :

بأبي المطرف روضة الأذب الذي
إن قلتُ قس^٣ فهو أفصحُ منطقاً
أو قلتُ صابىءُ دهره أو دَغْفَلُ
يا غُرَّةَ الزمنِ البهيمِ وماجــــداً
لو أنصفَ الزمنُ الخؤون ذوي العلا
لكنــــه يحبو اللثيمَ بأريــــه
يردُّ الوضيعُ من البريــــة ماءً هُ
خُدّه^٤ إليك أبا المطرف واغترفه
أضحى به فرداً بغير مُشابهه
أو قلتُ سحبان^٤ فقد أزرى به
أخطأتُ ، ما جاءا بمثل خطابه
ما إن يوازي في علوِّ نصابه
كنتَ الوحيدَ الفردَ من كتابه
ويجودُ للحرِّ الكريمِ بصابيه
صفواً ، ويخدعُ ذا النهي^٣ بسرابه
زللي فديتَ فلستُ من أترابه

فأجابه أبو المطرف بشعرٍ قال فيه :

يا معرّباً في كلِّ معنى سؤددٍ
نفسى فداؤك من خليلٍ واضلٍ
لله ذاك الطبعُ همَّ بمنطــــقٍ
صواغ أنواع البديع فما الرضي
علقتُ يميني منك علقَ مــــنّة
وسالتُ منك على الزمانِ مهتداً
نظمَ العلا فأجاد في إعرابه
أهدى إلينا الدرَّ من آدابه
فغدا الشroudُ مذلاً لخطابه
ومن الوليدُ ومن أبو خطابه
شدتُ أنا مائتها على أسبابه
يتفري فرى الخطمي حده^٤ ذبابه

١ ب م : جبرون .

٢ ط د : لا تكثروا .

٣ م ب : ويجرع ذا البها .

٤ ب : عر ، م : عن ، وسقط البيت من ط د .

وكسوتني من حرّ شعركَ ملتبساً قد كان غيرُ عواتقي أولَى به
فأجبتُ عنه على الرويِّ وربما كنتُ المقصّرَ في اعتراضِ جوابه
أسدِلْ عليَّ بسترَ فضلكَ واصلاً فالشعرُ مما لا أطوفُ بهاباً
وأبو المطرف القائل في غلامٍ وسيمٍ رأى بيده عصفوراً^١ :

يا حاملَ الطائرِ الغريدِ يعشق تهنا العصافيرُ انْ فازتْ بقرباكا
تُمسِّي وتُصبحُ مشغولاً بعجمتها^٢ في غفلةٍ عن دمِ أجرته^٣ عيناكا
إذا رأتكَ تغتتْ كلُّها طرباً حتى كأنَّ طيورَ الجوّ تهاكا
يا ليتني الطيرُ في كفيك مطعمهُ وشُرْبُهُ حينَ يظما من ثناياكا

وله من رقعةٍ خاطب بها الوزيرَ الكاتبَ أبا محمد بن عبد البر : لما
أصبحتَ - أعزك الله - في صناعةِ البلاغةِ إماماً ، ولأثنتِ الفضائلِ
نظاماً ، لم تتهمهم في ودادٍ تدعيه ، واعتلاقٍ تبتغيه ، من سمى به إليك
همم ، أو تقدّمت له فيها قدم ، لأنك المنتهى الذي إليه يسجّرى ،
وتبتغى لديه الزُلفى ، ويَتوصّلُ به إلى العليا ، وأنا ممن يتشيعُ فيك تشريعاً ،
ويحبّك طبعاً لا تطبعاً ، وأستنزلُ في الجمعِ بك الأقدار ، وأستخدمُ
في التعلّقِ بأسبابك الليلَ والنهار ، لتأحقه بالعناقِ السوابق ، وتلقي عليه
شعاعك فيشرقُ في المغاربِ والمشارك . ولما سنّى الأملُ باللقاء ، واتصلتِ
النفسُ بذلك الفضلِ والعلاء ، جاشتُ بالحمدِ الخواطر ، وهاجتُ بأسرارها
الضمائر ، لتستكشف من الثناء ، تحقّقَ النفسِ بالولاء ، وتكونَ على ثقةٍ

١ انظر المغرب ٢ : ٤٤٠ .

٢ المغرب : بصحبته .

٣ المغرب : تجريه ؛ ب م : جرتة .

٤ د ط : تشيعا .

بالمساحة والأغضاء ، فلستُ بالشعر آسأً : ولا بمعاناةِ النظم والنثر متلابساً ،
ولنأنا أنطقتي بما قلته الودّ ، وأملى عليّ ما كتبته المجد .

ثم ختم رقعته هذه بأبيات يقول فيها :

قد كنتُ ذا حنقٍ على الدهرِ الذي ما زال يسخطني صباحَ مسائي
حتى لقيتُ أبا محمدٍ الرضى فأدالَ ذلك السخطَ بالارضاءِ
طلقُ الجبين وفيه فضلُ مهابةٍ يُغضي لها ذو المقلة الشؤساءِ
حليمٌ لو أن الدهرَ حملَ بَعْضَهُ لشكتُ عواتقهُ من الإعياءِ
وإذا تناولتِ الرقاعَ بنائسُهُ أنستكَ طرزَ الوشي في صنعاءِ
وزرتُ على وردِ الحدودِ وفوقها لام العذارِ على انعطافِ الرءِ
تقضي بأن سنا البلاغةِ لم يلح من قبلهنَّ لأعينِ البلغاءِ
وله إذا شاء النظامَ غرائبُ لا تدعيها فطنةُ الشعراءِ
برئتُ من التعقيدِ في تأليفها فأتتكَ أملسَ من زلالِ الماءِ
أفرادُ حمدٍ حازها متفردٌ هي في الورى مقسومةُ الأجزاءِ
ما كنتُ بالمدّاحِ غيركَ واصلاً لو كانت الشعرى عليه جزائي [٨٥أ]
ولأنتُ أوصلُ مَنْ رعى أسبابها فبني لمهديها سماءَ عسلاءِ

فصل في ذكر الأديب أبي الربيع سليمان بن مهران السرقسطي^٢

من شعراء الثغر ، كان ، في ذلك العصر^٣ ، وله شعر كثير ، وإحسان^٤

١ د ط : مجد .

٢ ترجمته في المغرب ٢ : ٤٤٢ والجدوة : ٢٠٩ (وبغية الملتبس رقم : ٧٧٣) ، ومسالك

الابصار ١١ : ٤٤٧ .

٣ ط د : الاوان .

مشهور ، وعلى لفظه ديباجة رابثة ، غير أنه لم يمرّ بي من شعره عند نقلي هذا المجموع إلاّ أبياتٌ سمعتُ القوّالين يتداولونها لعذوبتها وسلاستها ، وتتعلقُ بذيلها حكايةٌ وجدتها في بعض تعاليقِ الفقيه أبي محمد علي بن خُرم الشافعي بخطه عن محمد بن الحسن المذحجي المعروف بابن الكتاني المتطبّب ؛ قال ابن الكتاني ١ : شهدتُ يوماً مجلسَ العليّة بنت شانجه ملك البشكنس ، زوجِ الطاغية شانجه بن غرسية بن فردلند - بدّدَ الله شيعتهم - لبعضِ ترددنا ٢ عن ثغرنا إليه في الفتنة ، وفي المجلسِ عدّةٌ قيّناتٍ مسلماتٍ من اللواتي وهبهنّ له سليمانُ بن الحكم - المتقدم ذكره صدرَ هذا الديوان - أيام إمارته بقرطبة ، فأومأت العليّة إلى جاريةٍ منهنّ فأخذتِ العود وغنّت بهذه الأبيات :

خليلي ما للريح تأتي كأنمسا يخالظها عند الهبوب ختلوق^١
 أم الريحُ جاءت من بلادٍ أحبتي فأحسبها ريح^٣ الحبيب تسوق
 سقى الله أرضاً حلّها الاغيدُ الذي لتذكاره بين الضلوع حريق^٤
 أصار فؤادي فرقتين فعنده فريق^٥ وعندي للسياقِ فريق

فأحسستُ وجوّدتُ ، وعلى رأس العليّة جارياتٍ من القوامات^٥ أسيرات كأنهنّ فلقاتُ قمر ، فما هو إلا أن سمعت إحداهنّ الشعرَ فأرسلت عينيها [كأنهما] مزاذنان ، فررقتُ لها وقلتُ : ما أبكاك ؟ قالت : هذا الشعر^٥ لأبي ، وسمعته فهبّجَ شجوي ، فقلتُ لها : يا أمّة الله ، ومن أبوك ؟ قالت :

- ١ ط د : الفقيه أبي محمد بن الحسن المعروف بابن الكتاني قال :
 ٢ ط د : ترددي .
 ٣ المغرب : عرف .
 ٤ المغرب : له بين احشاء الضلوع حريق .
 ٥ - ط د : من القيمات اسيرة كأنها فلقة . . . سمعت الشعر . . . م ب : هذه الأبيات .

سليمان بن مهران السرقسطي ، ولي في هذا الإِسار مُدَّة ، ولم أسمع لأهلي
بعْدُ خبراً .

قال ابن الكتاني : فما جزعتُ على شيءٍ جزعي عليها يومئذ .

قال أبو الحسن [ابن بسام] : هكذا وجدت خبر هذه الأبيات بخطّ الفقيه
أبي محمد المذكور ، ولم يخبر [ابن الكتاني] أنه امتعضَ لفكّ أسرّ تلك الجارية
هنالك ، ولا وفقه الله لشيءٍ من ذلك ، وكان [٨٥ ب] تركه لها في الأسر ،
مع ما أطلعتْ عليه من الأمر ، مما يوقدُ الضلوعَ ، ويُسكِبُ الدموعَ .

وأخبرني أيضاً بهذه الأبيات الفقيه أبو بكر بن العربي قال^١ : أخبرني
الحميادي عن الفقيه أبي محمد بن حزم ، قال : أنشدني محمد بن الحسن المذحجي
قال : أنشدني الأديب سليمان بن مهران في مجاسِ الوزير أبي الأصمغ عيسى
ابن سعيد وزيرِ المظفر بن المنصور بن أبي عامر ، وأنشد الأربعة الأبيات
المتقدمة .

وكان محمد بن الكتاني المتطّيب^٢ فردّ أوانه ، وباقةَ زمانه ، منفقاً
لسوق قيانه ، يعلمهن الكتابَ والإعراب ، وغيرَ ذلك من فنونِ الآداب^٣ ،

١ هذه هي الرواية التي ذكرها الحميادي نقلاً عن ابن حزم ، وهي مختلفة اختلافاً كبيراً عن
الأولى ؛ وسقطت هذه الرواية من د ط .

٢ قد وردت ترجمة محمد بن الحسن المذحجي الكتاني الطيب في طبقات صاعد : ٨٢ وابن أبي
أصيبعة ٢ : ٥٥ ؛ والصفدي ٢ : ٥٥ ؛ وجذوة المقتبس : ٤٥ ؛ وهو يرد باسم محمد بن الحسن
ومحمد بن الحسين ؛ راجع مقدمة كتاب التشبيهات ؛ واستبعد ان يكون هو نفسه صاحب
القيان ، الذي يتحدث عنه ابن بسام بقوله « كثير الترقيح والاستعمال لضروب من الكذب
وزور المقال » .

٣ ب م : العلم .

وكان متحيزاً كثيراً الترفيح والاستعمال ، لضروب من الكذوب [وزور
المقال] ، فرما أنشأ عدة رسائل فينحلها القيان ، ويبيعون بأغلى الأثمان .
وقد ذكرنا في أخبار ابن رزين أنه باع منه قينة بثلاثة آلاف دينار ، حسبما
حكاه أبو مروان [ابن حيان] .

ولابن الكتاني فصل^١ من رقعة يصف فيها تعليمه القيان ، يقول فيه :
فأنا منبته الحجاره ، فضلاً عن أهل القدامة والجهالة ، واعتبر ذلك بأن
في ملكي الآن أربع زوميات كن بالأمس جاهلات ، وهن الآن عالمات
حكيمات منطقيات فلسفيات هندسيات موسيقاويات أسطرلابيات
معدلات نجوميات نحويات عروضيات أدبيات خطاطيات^٢ ، تدل على
ذلك لمن جهلن الدواوين الكبار التي ظهرت بخطوطهن في معاني القرآن^٣
وغريبه وغير ذلك من فنونه ، وعلوم العرب من الأنواء والأعاريض
والأنحاء ، وكتب المنطق والهندسة وسائر أنواع الفلسفة ، وهن يتعاطين
إعراب كل ما ينسخه ويضبطه فهماً لمعانيه ولكثرة تكرارهن فيه ،
وفي هذا أعظم الشهود أني واحد عصري ونسيج وحدي ، وأني أفنيت
الزمان تجربة ، والدهر تبصرة ، فاعرف - أعزك الله - قدرتي ، ووفني
قسطي ، ولا تطمع أن تظفر بعالم مثلي ، أو متفرغ فضولي شبيهي ، ولو
ظفت الآفاق ، وساءلت الرفاق ، ومشيت العراق ، من زقاق إلى زقاق .

وأنشد لابن مهران من شعري كتب به إلى بعض كتّاب الثغر من
جملة أبيات :

١ م ب : على .

٢ ط د : خطاطات .

٣ ط د : علوم .

لا تَنْسَيْ من سَحْتِكَ المَكْسُوبُ^١ واجعلْ نصيبَكَ منه مثلَ نصيبي
وإذا اغترى بك في القيامة أهلهُ فبمثلِ ما أوليتني تُغْرِي بي [٨٦أ]
وهي الذنوبُ ، وبالغُ في لؤمه أقصى النهايةِ باخلٌ بذنوبِ

قال أبو الحسن [ابن بسام] : وحدثني من أئفه عن الفقيه أبي الحسين^٢
عبيد الله بن منبه الشنتمريّ قال : دخل بعضُ شعراءِ العصر^٣ على ابن سبت
الحيش ، وكان جدّ ابن منبه لأمه - وقد تقدم ذكره والخبر عن مقتله
في أخبار القاضي ابن عباد - فأنشده هذه الأبيات .

وإخبارُ ابن منبه بهذه الحكاية عن جده [مادحاً له] ، على ما فيها
من قبح الاحدوثة وشناعة الذكر ، ليثبت أن ذلك الخائن البائر ، المتعسف
الخائر ، كان جدّه ، ويُعْرَبُ^٥ عن شرفه ، ويدلّ على نباهة سلفه . وشبيهه
بهذا [الخبر] ما حكى^٦ عن أبي العباس المبرد أنه صنع هذه الأبيات ليثبت
نسبه في ثمالة ، [وهي]^٧ :

سألنا عن ثمالة كلّ حيّ فقال القائلون ومن ثمالة
فقلتُ محمدُ بن يزيدٍ منهم فقالوا زدتنا بهم جهالة
وقال لي المبردُ نخلٌ عني فقومي معشرٌ فيهم نذالة

١ ب م : المسكوب .

٢ د ط : واخبرني الفقيه أبو الحسين .

٣ د ط : بعض الشعراء .

٤ د ط : وتحدث .

٥ د ط : ليعرب .

٦ د ط : يحكى .

٧ انظر ابن خلكان ٤ : ٣١٦ ، ٣٢٠ وديوان المعاني ١ : ١٧٨ .

فصل في ذكر الأديب الأستاذ النحوي أبي عبد الله بن خلیصة الضریر^١

وكان أحد العلماء بالكلام ، وله حظ من النثر والنظام ، ولكنه بالأئمة العلماء ، أشبه منه بالكتاب والشعراء ، وقد مرت بي له أشعار يشير بها إلى البديع ، ويذهب فيها إلى التصنيع ، وقد أوردت منها جملة تليق بالديوان ، وتنبه على موضع قائلها من الاحسان .

فصول^٢ من كلامه في أوصاف شتى

فصل له من رقعة عن إقبال الدولة إلى المعتصم : كتبت - أدام الله إعزازك ، وصان ارتياحك للمحامد واهتزازك - بعد قفول من قفل عنك ، وحلول من صدّر بما شرح الصدور من لدنك ، والحال شاملة الصلاح ، فائزة القيداح . جارية على الاختيار والاقتراح ، ومما ضرح القداة من شيربي . واستنرح الأداة عن سيربي . وزوى روعة روعي ، وروى بماء الثقة^٣ عودي ، حتى رسخت في أرضها أصولي ورفقت فروعني ، ما حلاك به من عميم الفضائل ، وكريم السمائل ، فأقر صحة ما بلاه منك في فؤادي . وأشربه ذاتي . فوحياتك التي بها حياة الكرم : لقد أسمعوا

١ أبو عبد الله محمد بن خلیصة الشذوني الداني ؛ راجع ترجمته في الجذرة : ٥١ (وبغية الملتبس رقم : ١١١) ونكت الهميان : ٢٤٨ والتكملة : ٣٩٥ والمسالك : ١١ : ٤٥ ونفح الطيب : ١٠٠ ، ١٥٦ وأشار إليه ابن الأبار في تحفة القادح : ٢ ، وانظر الوافي ٣ : ٤٢ ، وقال ابن الأبار في التكملة : وقرأت ان في ديوان شعره قصيدة له على روي الراي يهني فيها المقتدر احمد بن سليمان بدخول دائية وتملكها سنة ٤٦٨ .

٢ ب م : فصل ؛ وسقط العنوان من د ط . ٣ ب : بما القه ؛ م : بما لقة .
٤ ط د : هي ؛ ب : الذي بها .

من لطائف البر^١ ، وأودعوا من غرائب الثناء [٨٦ ب] الحرّ ، ونشروا
من كرم الخلال . مع ركابة الوقار ومهابة الحال ، وإعظام الجليس ،
والتزام التواضع والتأنيس ، بعد توفية الرياسة حقها ، وتقضية السيادة
أجلّ واجباتها وأدقّها ، جعل الله الآمال طاعتها والأيام رقّها ، ثم
استوصفتهم^٢ التذاذاً بطيب أنبائك ، صورة مجلسك مع وزرائك وأجبانك ،
فأوردوا من ذلك ما هو أشهى من السعادة ، وأحلى من الحياة المعادة ،
وأسبى للنفوس من مراض الخلق ، وأجلى للشكوك من غرة الفائق ،
فطارت بي هزة الشوق^٣ كل مطير ، وأصارتني^٤ غرة الفرح بين روضة
غناء وواد مطير^٥ ، وقلت : الحمد لله ، قد وفقت أمري ، وقام عند
العواذل عذري ، وسطع شهاب حجتي بأن خلعت^٦ عليه نفسي ، وأودعت^٧
يديه مهجتي . .

وفي فصل منها^٧ :

ومثلك من كان الوسيط فؤاده فكلمه عني ولم أتكلم^٨

* * *

والحق أبلج قد هديت إلى الصراط المستقيم
ووثقت أني لم أبسوسى حرمتي إلاّ حرمتي

١ ط د : البشر .

٢ ب م : استوفتهم .

٣ ط : الشرح ؛ ب م : الترج .

٤ ب م : واصابتي .

٥ د ط : روضة وغدير .

٦ ط د : جملت .

٧ منها : سقطت من ط د .

٨ قد مر هذا البيت ص : ٣١٤ ، وهو المتنبي .

ما ضاع حقُّ بكريمةٍ هُدِيَتْ إلى كفوِّ كريمٍ
يا كاسبَ الحمدِ، الحديثِ، ووارثَ المجدِ القديمِ^٢
قاسمتك النفسَ [النفيسة] واختصصتك بالصميم

أيّ برّ - أعزك الله - يُعَارِضُ به بِرُّكَ ، وقد عَرَضَ في المكارمِ
بِرُّكَ وَبَحْرُكَ^٣ ، أم أيّ فِعَالٍ تَوَازِي فِعَالِكَ ، وقد وَدَّتِ النيراتُ
أنْ تَكُونَ نَعَالِكَ ، أم أيّ شُكْرِ يَكُونُ كَفَاءً ؛ أَيَادِيكَ ، وقد تَمَنَّتِ الأيَّامُ
أنَّ لها أَلْسِنًا تُطْرِكُكَ ، و [أنْ لها] أَنْفُسًا تَفَادِيكَ ، أم أيّ عَرَفٍ يَكُونُ
جِزَاءَ عَرَفِكَ ، وقد فَعِمَ الخَافِقِينَ رِيًّا عَرَفَكَ . لَهْنِكَ الخَيْرُ الَّذِي
لا يُضَاهِي ولا يَبَاهِي ، والحُرُّ الَّذِي لا يَبَارِي ، والجَوَادُ الَّذِي لا يَجَارِي ،
والمُصِيبُ الَّذِي لا يَنَاضِلُ ، والحَسِيبُ الَّذِي لا يَكَارِمُ ولا يَفَاضِلُ ، والمَلِكُ
الَّذِي لا تَجَانِسُ صِفَاتُهُ ، ولا تَجَاذِبُ أَوَاخِيَّ أَسْبَابِهِ ، ولا تَحَاذِي أَوَاذِيَّ
عِبَابِهِ :

مليكٌ إذا الهى الملوكَ على اللهى	خمارٌ وخمرٌ هاجرَ الدلَّه ^٥ والدنا
ولم تُنْسِه الأوتارَ أوتارُ قينة	إذا ما دعاه السيفُ لم يثنه المثني
وهوبٌ ولكن لا تعدُّ هباتُسه ^٦	بِمَوْحَدٍ إنْ عُدَّ الهباتُ ولا مثنى
أشمٌ إذا وازنتَ يوماً بحلمه	شاماً ورضوى لم تجدْ لهما وزنا
ولا للمنى إلا بساحته جنى ^٧	ولا للغنى إلا براحتته معنى
ولو جادَ بالدنيا وعادَ بمثلها	لظنَّ من استصغارها أنَّه ضنَّ ^٧ [٨٧ أ]

١ د ط : المجد .

٢ ب : الصميم .

٣ د ط : بحرك وبرك .

٤ د ط : كفو .

٥ ب م : الدل .

٦ النفع : وثى .

٧ هذا البيت والذي يليه وردا في النفع ٤ : : ١٥٦ .

ولا عيبَ في إنعامه غيرَ أنه إذا منَّ لم يُتَّبِعْ مواهبهُ منا
وأنتى تساميه الملوكُ وإنما وجدنا الورى لفظاً ومعناهم معنا
تقيّلَ من آباءه الغرّ سادةً قيولاً فبئذ البحرَ واحتقرَ المزنا

وفي فصل من أخرى : كتابي. عن ودّ لا يُكَدَّرُ صَفْوُ مواردِهِ ،
وعهدٍ لا يفنى بِحُكْمِ معاقِدِهِ ، ونفسٍ ترتاحُ لِذِكْرِكَ ١ ، وتمثّلُ
مع الساعاتِ مرآك ، وحقّ لمن أرعيتَهُ الحُصْبَ من روضِ إِيخائِكَ ،
وسقّيتَهُ العذبَ من مشرعِ وفائِكَ ، أن يَفْصَحَ في بثِّ محاسنِكَ لسائِهِ ،
وينفِصَحَ في نشرِ فضائلِكَ مِئدانه ، ويفوزَ في وَصْفِ فضائلِكَ بيانهُ ،
وينظّمَ لفخركَ ٢ على أجيادِ شكركِ عقوداً ، ويحوكَ لمجدِكَ وسنائِكَ
[من تقرّظك وثنائِكَ] بروداً ، يوشّيهَا بِذِكْرِكَ الخطيرَ ، ويطرّزُهَا
بالترفيعِ لك والتوقيرِ ، والله تعالى يحرسُ بحراستِكَ فواضِلَ الخلالِ ، ويُسبِقي
ببِقائِكَ محاسنَ الآثارِ والأفعالِ ، بعزّتِهِ .

وله من أخرى : كتابي كتابُ مبتدِي الحمد ، مستهدي الود ، ضابط على
ذؤابة الإخاء ، رابطٌ بافتتاحِ مكاتبتِكَ أسبابَ التكرمِ منك والوفاء ،
لا طالباً لفضلِ الابتداءِ عليك ، ولا مستزيداً على التوسّلِ بمباراتِكَ إليك ،
إلاّ هوادهَ طبيعةً ، وودادهَ ٣ شريعةً . يبعثها في ذاتِ الله مُراداً ، لها من
الفؤادِ مَراد ، وسرائر ، أحكمتْ عَقْدَ الإخلاصِ منها مرائر ، صان الله
بإدامةِ حياتِكَ ، وحسنِ الدفاعِ عن ذاتِكَ ، الفضلَ الذي إليك مَنزَعُهُ
ومُنزَعُهُ ، ولديكَ مستقرُّهُ ومستودَعُهُ .

١ ط : لذكرك .

٢ ط د : بفخرك .

٣ ب م : ووداد .

وإلى ذلك - أطال الله بقاءك - فموصله فلان ، وافاني^١ هذا العام
 راغباً في مذاكرتي بما أشاركهُ فيه ، ومحاضرتي في المجلس الذي التزمهُ
 وأنتديه ، وعلمتُ ان قد ثقلتُ في حركته مؤونته ، فلزمتني معونته ،
 وأن قد هاجر إليّ وطنه ، فأجررتهُ فيما شاء مني رسنهُ ، وأرحبتُ
 عطنهُ ، وهو مع ذلك لا ينسك ولا يتناسك ، ماء ودّه عذب ، ولسانه بالثناء
 عليك رطب ، وعلم الله أني ما أخبرتُ إلا بما اخترتُ ، ولا شهدتُ إلا
 بما عهدتُ^٢ ، ولو إلى سوى ذلك أشار ، لما أعطيتهُ مني القول والايثار ،
 فان أحبّ وإش أن يغيّر الحال ، فأقام مقامَ المستقيم المحال ، فالموثوقُ به
 منك الاخذُ بالفضل الذي نضفا عليك رداؤه ، ونجم عليك سناه وسناؤه ،
 وأنا الكفيلُ برده إلى المجلس الذي [٨٧ ب] أنشاهُ وأنماه ، وكشف
 غيايئةَ غمّاه ، وأخلّقُ بسببِ رجائي ألا يهن ، وبجفنِ أمني منك ألا
 يسن .

وهذه أيضاً جملة من شعره في أوصاف شتى

له^٣ من قصيدة أولها :

فيضُ لي بجودك فالغمامُ ضنينُ وفِ بالأمانة فالزمانُ خؤونُ^٤
 برّدتُ ظلالك والظلالُ سمامُ وصفتُ مياهُك والمياهُ أجونُ

١ ط د : وفلان وافاني .

٢ ط د : علمت .

٣ ط د : قال .

٤ انظر بمض أبياتها في النفع ٤ : ١٥٦ .

٥ ب م : ظنين .

شيمٌ إذا دعتِ المديحَ أجاهاً-----
ونقيبة تسرو النقابَ عن الهوى
نشر النجاحُ بها الجناحَ ونفرتِ الـ
وقف الرجاءُ بذى الرجاءِ عليكمُ
فعلامَ أهزلُ والكثيبُ مروّضُ
تُلَوَّى لباناتي وتُحَرِّمُ حرمتي
ويعزُّ أمرُ عصابسة منسيّة
يا مالكا حسدت عليه زمانه
ماريتُ صرْفَ الدهرِ وهو النددُ
مالي أرى الآمالَ بيضاً وضحاً-----
والعدلُ خبيمٌ منك إلا أنه
أنا آمنٌ فَرِقُ وراجٍ يـــــــئسُ
ومراقبٌ وعداً وجدتُ جداه أن
لا تتعدني أنواء يُمنِك لا عدا
وله [من أخرى أيضاً] :

أبي ، فأقصرُ عنانَ اللومِ أو أطيلُ
ألقى عذابَ الهوى عذباً فالقُسهُ
كلني لشوقي أصلتى حرّاً لوعتـــــــه
ياما ألحك من ذي منطقٍ خطلِ
فما أصيخُ إلى عدلٍ ولا عدلٍ
وإن بليت بما ألقى فلا تُبـــــــلِ

١ م : بفضلك جاهها .

٢ د ط : ليدك الجون .

٣ د ط : جراه لي ؛ ب م : اعدى بما يعدى .

٤ د ط : ايا .

ولّ الملاحه من أحببت أو أدل
واقن الحياء فقلبي أنفأ أنف
لم تدر من قبله عين ولا بصرت
لا ناقتي في هوى جمل ولا جملي
من أن يجاور حب فيه حب علي [٨٨ أ]
بالبدر والبحر والرئبال في رجل

[ومنها] :

خذمتكم ليكون الدهر من خدمي
إن لم تكن بكم حالي مبدلة
فما أحالته عن حالته حيلي
فما انتفاعي بعلم الحال والبدل
وله من قصيدة في الوزير الكاتب أبي محمد بن عبد البر ، أولها :

أطع أمر من تهواه من عز قد بزاً
تعبدني حباً وتيمني هوى
إلى كم أمني النفس وهي نفيسة
بأرض بها الالف الموازي بزعمه
يرى عين^٢ تبجيلي ووجه تحيتي
كما اجتلبت في البدء للوصل همزة
وفي النفس هم ما يزال يؤزني
فمن مبلغ الآجباب أن ركائي
وهاجرت الروض الانيق نباته
فصيح متى ينطق تدع كل لفظه
ولما لحائي الدهر لحو العصسا ولم
جعلتك لي حصناً ونبته مقولاً^٣
كفى بالهوى ذلاً وبالحسن معتزاً
فيما أذل^١ العاشقين وما أخزى
أمانى لا وجهاً تُريني ولا عجزاً
إذا غبت عن عينيه يلمزني لمزا
ملاحظتي غمزاً وتكليمتي^٣ رمزا
فإن وجدوا عنها غنى أسقطوا الهزما
إلى الكاتب الميمون طائره أزا
قطعن الفلا وخذاً وجبن الملا جمزا
لروض علاء يُنسبت المجد والعزاً
فؤادك متبولاً ولبك مسبتزاً
أجيد من بنيه غير من زادني وخزا
بجرأزاً حداداً لا كهاماً ولا كزاً

١ ب : ألد .

٢ ط د : لي .

٣ ط د : فلاحظني . . . وكلمني .

٤ ط د : حديداً جداداً ؛ ب م : جرازاً جداداً .

ولم تقتصد^١ منك القصيدة^٢ نائلاً
ليمتع^٣ بك الله الأمانى^٤ والمنى
وله من قصيدة في أبيه يرثيه :

يا ضريحاً حوى عظاماً عظاماً
أعياء^١ داويت^٢ داء^٣ عيب^٤ ساء^٥
إن عهدي وإن بليت^٦ جديس^٧
كدت^٨ أقضي عليك نحي^٩ نحي^{١٠}
وأحل^{١١} الثرى حلوك^{١٢} في^{١٣}
ومن أخرى في [أم] معز الدولة^{١٤} :

بم^١ ، والرزة^٢ بالجليل^٣ جليل^٤
جلل^٥ دق^٦ فيه كل^٧ جلي^٨ سل^٩
أي^{١٠} عرش^{١١} للمجد^{١٢} ثل^{١٣} ، وغرب^{١٤}
يا صناع^{١٥} الصنائع^{١٦} الغر^{١٧} بدع^{١٨} سل^{١٩}
أيها اللحد هل علمت^{٢٠} بما استو^{٢١}
ووريت^{٢٢} فيك^{٢٣} رحمة^{٢٤} وغيث^{٢٥}
أنس^{٢٦} الشيمة^{٢٧} الكريمة^{٢٨} إن الد^{٢٩}
إن تلقاك^{٣٠} رَوْح^{٣١} ربك^{٣٢} والرض^{٣٣}
فبما^{٣٤} طبت^{٣٥} والزمان^{٣٦} خبيث^{٣٧}
وتسلسل^{٣٨} والمي^{٣٩} ساه^{٤٠} أجون^{٤١}
يا أبا عامر^{٤٢} عزاء^{٤٣} جمي^{٤٤} سل^{٤٥}

٢ م : حفيل .

١ ط د : ومن مرثية له في أم معز الدولة .

٣ ط د : والزمان .

كلنسا صائرٌ إلى الله حتماً
 وقصارى بين القصور قبورٌ
 سنّة الله في العباد ومسا في
 حكمه الفصل ليس عنه انفصال
 عدمٌ ذا الورى وانتم وجودٌ
 وإذا كشف الحقائق فكرٌ
 واستراح العذول والمعسذول
 ويهب الصبا بها والقبـول
 سنة الله للورى تبـديـل
 وهو العدل ليس عنه عدول
 وهراء وأنتم المعقـول
 شهدت لي بما أقول العقول

وخاطبه الحصري بأبيات منها :

وقينا لهم وخانوا
 لحوثي على غرامي
 وما ضرّ أن يقولوا
 لحا الله كلّ خـلّ
 وأبقى الأديب فـرداً
 فدينناك من أديب
 أسيفٌ بفيك يقضي
 كذا تنتج المعسالي
 وفي كلّ حاجة لي
 كذا الناس والزمان
 وقالوا الهوى هوان
 صبّا في الهوى فلان
 لحا في هوى يصـان
 لملك بسه يـزان
 عايهم له امتنان [٨٩ أ]
 على الدهر أم لسان
 كذا يسحرّ البيان
 على جـسـاهـك الضمان

فأجابه ابن خلصة :

أفق فاهوى هوان
 إذا ما انطوى شباب
 لعمرى وإن عمري
 أيا صادقاً هـواه
 لعهد الصبا أو أن
 طوت ودك الحسان
 لما ليس يستهـان
 إذا المدعون مانوا

ا د ط : ينفى .

فلم يحوي ما حواه^١ زمان^٢ ولا مكان
ولم يفتقر ما قرأه^٣ حسام^٤ ولا سنان
إذا سل^٥ مرهفات^٦ من المنطق البيسان
تبينت أن أمضى^٧ من الصارم اللسان
فعرش^٨ للورى ملياً^٩ فني عيشك ازديان
ولا زال^{١٠} لليساني^{١١} بابقائسك^{١٢} امتنان

فصل في ذكر الأديب أبي مروان بن غصن الحجاري وإيراد طرف
من خبره ، وحميد أثره^١ .

وكان اقتبس من أنواع العلوم [والآداب] ما صار به في عالم عصره^٢
علماً ، وفي الكمال عالماً ، وكان كما قرأته^٣ في فصل^٤ وصفه به أبو محمد
ابن عبد البر في رقعة خاطب بها المعتضد ، قال فيها : أياديك — أيديك الله —
قد طبقت^٥ ، ومساعيك قد أنارت^٦ وأشرقت ، فكل^٧ أفق^٨ بها بهج ، وكل^٩
قطر^{١٠} منها متضوع^{١١} أرج . وكل^{١٢} همة^{١٣} بها موكلة^{١٤} ، وكل^{١٥} نفس^{١٦} إليها منجذبة^{١٧}
مسترسلة^{١٨} ، فإن أحس^{١٩} امرؤ^{٢٠} من نفسه قوة^{٢١} جنان^{٢٢} ، وفضل^{٢٣} بيان^{٢٤} ، وتصرّف^{٢٥}
لسان^{٢٦} ، فأقصى^{٢٧} غرضه^{٢٨} أن يحلّي^{٢٩} بيانه^{٣٠} بما ترك^{٣١} . ويفتق^{٣٢} لسانه^{٣٣} بمفاخر^{٣٤}
ويطرز^{٣٥} بملاءمة^{٣٦} نظمه ونثره^{٣٧} باسمك^{٣٨} الأعذب^{٣٩} ، ويشرف^{٤٠} مطرف^{٤١} قريضه^{٤٢}

١ انظر الجذوة : ٣٧٨ (وبنية الملتبس رقم : ١٥٤٦) والمغرب ٢ : ٣٣ والخريدة
٢ : ١٢ والمسالك ١١ : ٤٤٧ والنفع ٣ : ٣٦٣ ، ٤٢٣ والتكملة رقم ١٦٩٠ ؛ واسمه
عبد الملك بن غصن الحشني من اهل وادي الحجارة ، لقي ابا الوليد يونس بن عبد الله القاضي
وحدث عنه بمقالة حنش الصنعمانى في قرطبة ، وكان فقيهاً اديباً شاعراً صاحب منظوم ومنثور ؛
وكانت وفاته بقرنطة سنة ٤٥٤ .

٢ د ط : وقته .

بذكرك العطر الاطيب ، ويتشرف بالدخول إليك ، ويتمجد بالمولد بين يديك ، ليحظى منك بالتجويز ، ويصح له دعوى السبق والتبريز ؛ وإن ممن استولى على الامد الذي وصفته ، وحوى قصب السبق فيما ذكرته ، الأديب الكامل أبو مروان بن غصن الحجاري ، وهو كما علمت ممن لا يجارى في ميدان ، ولا يطاول بعنان ، إن نظم فبنيان مرصوص ، وإن نثر فلاكلء وفصوص ؛ انتهى كلام ابن عبد البر .

قال أبو الحسن [ابن بسام] : ونكبه المأمون بن ذي النون^١ وله فيه « رسالة السجن والمسجون ، والحزن والمحزون » أودعها قصائد مطولات ، ومقطوعات أبيات ، ورسالة أخرى سماها بـ « العشر كلمات » . وهو القائل في سجنه ، وكتب بها إلى أخيه^٢ : [٨٩ ب]

أَرَوَى وَبَيْنَ ضَاوَعِي حَرِيقُ وَأَشْجَى وَإِنْسَانُ عَيْنِي غَرِيقُ
وَفِي كُلِّ يَوْمٍ وَفِي كُلِّ حِينٍ يَحْمَلُنِي الدَّهْرُ مَسَا لَا أَطِيقُ
تَهِيمُ الخَطُوبُ بُوَصْلِي فَمَسَا لَهْنٌ إِلَى غَيْرِ قَلْبِي طَرِيقُ
أَيَا وَاحِدِي وَشَقِيقِي وَيَسَا فَرِيقًا يَبْكِيهِ مِنِّي فَرِيقُ
أَخُوكَ أَخُو نَكَبَاتٍ لَهَسَا يَرِقُّ العَدُوَّ فَكَيْفَ الصَّدِيقُ

١ ترجم ابن سعيد في المغرب ٢ : ٣٠ لمن اسمه عبد الملك بن حصن وقال انه كان من اعيان الوزراء واعلام الكتاب والشعراء ، وذكر انه هو الذي سجنه المأمون حتى تخلصه ابن هود من يديه ؛ ويعتقد الدكتور شوقي ضيف محقق المغرب ان هناك خلطاً بين عبد الملك بن غصن الحجاري ، وعبد الملك بن حصن ، وان هذا الخلط وقع فيه ابن بسام وابن الابار (التكملة رقم : ١٦٩٠) وصاحب النسخ ؛ وانا استبعد ذلك ، فان ابن الابار لم يقل انه كان وزيراً للمأمون وانما قال « وامتنح بالمأمون بن ذي النون صاحب طليطلة فحبسه بسجن وبذة مدة هو وجماعته معه . . . ثم اطلق من معتقله فسار الى بلذية » ؛ ولعل الخلط انما هو ما وقع فيه صاحب المغرب وحده ، اذ جعلهما شخصين وجعل احدهما وزيراً .
٢ منها أبيات في المسالك .

كسدتُ ونظميَ درُ نفيسُ^١ وَضَعْتُ وَتَشْرِي مِسْكَ^٢ فْتِيقُ
ورأيي شهابُ أَجَلِّي العَمَى^١ به وَحَدِيثِي رَوْضُ^٢ أُنَيْقُ
وما أَظْلَمَ الجَهْلُ^٢ في معشرٍ ولو جَانَلِيقُ^٣ تَخَوَّلْتُ^٣
ومنها :

وطيفِ صديقِ كَرِيمٍ له بنفسي وَإِنْ بَانَ عَنِّي لَصُوقُ^١
سرى واهتدى لي وَمِنْ دُونِهِ جِدَارَ مَعَلَى^١ وَبَابُ^٢ وَثِيقُ^٢
فَشِيْعَهُ^١ من دموعي انْكَابُ^١ وَودَّعَهُ^١ من فُؤادي خُفُوقُ^١
وفارقَ ذَا سَقَمٍ لا يُبِينُ لولا الزفيرُ وَلولا الشهيْقُ^١
ومن شعره فيه :

يحیی المليكُ الذي به حَيِّيتُ نفسي وفازتُ بكلِّ ما اشتهتِ^١
لو حُسِبَتْ في الوری مواهبُهُ لم يَخْلُ^١ حُسَابُهَا من الغلتِ^١
[ومنها] :

قد استردَّ الشَّبابُ خِلَعَتَهُ^١ وَتَبَّهَتْنِي الخُطُوبُ^١ من سِنَّةِ
لولا أَنِّي على فَرَاشي^١ لم يَبْدُ^١ خِيَالِي لِعَيْنِ مَلْتَفَتِ^١
ولو أَتَنِي المنونُ تَطْلِبُنِي ما علمتُ موضعي ولا رَأَتِ^١
وأودع رسالته تلك ألف بيت ، فقال فيها :

وألف بيتٍ من القريض إذا مات جميعُ الأنامِ لم تمتِ^١
لو أن شعرَ الوری ينظّمُ في عقدٍ لكانتُ بموضعِ السُّطَّةِ^١

١٦ د ط : الدجى . ٢ د ط : الجوى .

٣ الجانليق : (Catholicos) رئيس النصارى .

سائرةٌ حيث لم يسرْ قمرٌ ولا سرّتْ أنجمٌ ولا جرّتِ
وللمتنبي في هذا المعنى^١ :

ولي فيك ما لم يتقلُّ قائلٌ وما لم يسرْ قمرٌ حيثُ سارا [٩٠أ] |
وعندي لك الشرْدُ السائراتُ لا يختصنَ من الأَرْضِ دارا .
فإني إذا سرنَ من مقولي وثبن الجبالَ وتخصنَ البحارا
وهذا أحسنُ ما قيل في سيرورة الشعر ، وأبلغُ منه قول علي بن الجهم^٢ :
فسار مسير الشمسِ في كلِّ بلدةٍ وهبَّ هبوبَ الرياحِ في البرِّ والبحرِ
ولابن شمّاخ الغافقي من جملة قصيدة في المعتمد بن عباد :

ان لم تسرْ هذه الغرائمُ سائرةٌ منيرةٌ بين أنجادٍ وأغوارِ
فليستُ الرياحُ في الدنيا بسائرةٍ وليست الشمسُ فيها ذات أنوارِ
وقال ابن غصن الحجاري^٣ :

قد ألحفَ الغيمَ بانسكابهِ والتحفَ الجوّ في سحابه
وقام داعي السرورِ يدعو حيَّ على الدنِّ وانتهابه
وتاه فيه النديمُ ممّسا يزدحمُ الناسُ عند بابهِ
وقال أيضاً :

يا فتيةَ حرّةٍ فدَتَهُمْ من حادّاتِ الزمانِ نفسي
شربهمُ الخمرَ في سكونٍ ونطقهمُ عندها بهمس
أما ترونَ الشتاءَ يُلْقِيهِ في الأرضِ بسطاً من الدمقس

١ ديوان المتنبي : ٣٤٦ يعاتب سيف الدولة لتقصيره فيما كان عوده من الاقبال عليه .

٢ ديوانه : ١٤٧ .

٣ النصح ٣ : ٤٢٣ والمسالك .

مقطَّبٌ عابسٌ ينادي : يومُ سرورٍ ويوم أنس

وقال ١ :

يومٌ تبدَّى لنا بصحورٍ والجرُّ صافي الهوا جليُّ
طاب رحلي^٢ به إلى أنْ كدَّرَ مِن صفوه العشي
كأتما حالتـــــــــاه ودُّ جارك فيه طلَّيْطِي^٣

وقال :

يا صوبَ غاديةِ الربيعِ الممطرِ بادرُ بسبيك رسمَ دارٍ مُقفرِ
ميدانِ أفراسِ الصِّبا وملاعبِ الـ آرام والروضِ الأنيقِ الأزهرِ^٣
واقذفْ بسلكِ الغيثِ في ساحاته واسكبْ لآتيه عليه وانسثر
حتى ترى الغيطانَ زاهرةَ الربى تُنبئكَ عن عهدِ الزمانِ الأزهرِ
وترى الأقاحَ كأنه فمٌ شادنِ غنَّجٍ تبسَّمَ عن لقيطِ الجواهرِ
وشقائقَ النعمانِ مثلَ العيدِ والـ طلَّ النديَّ كدمعةٍ في محجرِ
لولا خفارتُها وحالكُ شعْرُها قلنا سبايا من بناتِ الأصفرِ

وقال :

وآلفتي فيك النجومُ لرعيها فدُرِّبَتْها خلتي وبدرُ الدجى لآلفتي
كأنَّ سماءَ الله نطعُ زبرجدِ وقد نُشِرَتْ فيه الدنانيرُ للصرفِ [٩٠ب]

وهو القائل [أيضاً] ٤ :

فديتك لا تخفُ منِّي سلوًّا إذا ما غيَّرتَ الشعرُ الصغارا

١ منها بيتان في المسالك .

٢ ط د : رحيمي .

٣ د ط : الممطر .

٤ ورد البيتان في المغرب والنفح والمسالك .

أهيم^١ بدن^٢ خمير صار خلا^٣ واهوى لحية^٤ كانت عذارا

فصل في ذكر الأديب أبي علي ادريس بن اليماني العبدري اليايسي^٥

ويابسة^٦ من الجزائر الشرقية على سمّت مدينة دانية من الأندلس .
وأخبرت^٧ أن أصله^٨ من قسطلية^٩ الغرب ، من عمل شنت مرية ابن
هارون ، وبدانية قرأ ، وبها نشأ ، ومنها انبعث انبعث السيل^{١٠} ، وأدرك إدراك
الليل ، حتى تضاءلت له الهضاب عن قدره^{١١} < وماجت الأرض^{١٢} ببحره >^{١٣}
وصار [شعره] سمّر^{١٤} النادي ، وتعلّة^{١٥} الحادي ، وتمثّل^{١٦} الحاضر^{١٧}
والبادي ؛ وطفق^{١٨} يتردد^{١٩} على ملوك الطوائف بالأندلس تردّد^{٢٠} الكاس
على الشرب ، ويجري في أهوائهم جري^{٢١} الماء في الغصن^{٢٢} الرطب ، وكان
كلما قال قصيدة لم يضرب^{٢٣} عليها حجاباً ، ولا ضمّنها كتاباً ، حتى يأخذ^{٢٤}
بها مائة دينار ، وقد سأله عباد في بعض رحلته^{٢٥} إليه ، على كثرة بوائقه ،
وشكاسة خلائقه ، [أن] يمدحه بقصيدة يعارض^{٢٦} بها قصيدته السينية التي
مدح بها آل حمود^{٢٧} فقال له : إشارتي مفهومة ، وبنات^{٢٨} صدري كريمة ،

١ د ط : ادين ، وسيرد البيت بهذه الرواية فيما يلي ص : ٣٣٩ .
٢ ترجمته في المغرب ١ : ٤٠٠ والجدوة : ١٦٠ (وبغية الملتبس رقم : ٥٦٠) والمسالك
١١ : ٢٠٤ وفوات الوفيات ١ : ١٦١ (ط . بيروت) والوافي للصفدي ٨ : ٣٢٧
والنسخ ٤ : ٧٥ ، ١٥٦ وعقود الجمان للزركشي : ٦٦ وكانت وفاته سنة ٤٧٠ .

٣ د ط : وقد قيل .

٤ ب م : قسطلية .

٥ ط د : تضاءلت الهضاب لقدره .

٦ زيادة من المسالك وهو ينقل عن الذخيرة .

٧ ب م : ومثل .

٨ ط د : السينية في ابن حمود .

فمن أراد أن ينكح بكرها ، فقد عرف مَهْرَهَا .
وقد أخرجتُ من أشعاره ، ما يشهدُ بسموِّ مقداره ، ويعربُ عن
غرائبِ أخباره .

جملة من شعره في أوصاف شتى مختلفة في النسيب وما يناسبه

[قال]^١ :

قبلةٌ كانت على دَهَشٍ أَذْهَبَتْ ما بي من العَطَشِ
ولها في القلبِ منزلةٌ لو عَدَّتْهَا النفسُ لم تعش
طرقني والدجى لبست^٢ خِلَعاً من جِلْدَةِ الحنش
وكانَ النجمَ حين بسدا درهمٌ في كَفِّ مرتعش

وحدث^٣ ميمون بن يوسف بن دري قال: اعتمدني أبو علي ادريس
ابن اليماني ، فجادبته في ذكر البديع من القول ، فأنشدني هذه القطعة في
صفة الثريا ، فعمدتُ بعدُ إلى سبعةِ مثاقيلٍ صحاحاً فطبعْتُ عليها ،
وكتبتُ معها :

وَجَنُّ الثَّرِيَّا إِن شِيتَ تَعْرِفُـسـه فاسلكُ من القولِ نحو موعبه [٩١أ]
نجمك في البعدِ ظلٌّ مشبهها وشبهها شبهُ ما بعثتُ بسـه

١ وردت الابيات في النفع ٤ : ٧٥ والمسالك .

٢ ب م ط د : لابس ، والتصويب عن النفع والمسالك .

٣ هنا ينتهي الحرم في س . ٤ ب م : فأطبقت ؛ ط د س : فأطبمت .

٥ م : الظل .

ونظر لإدريس إلى غلام [اوسيم] بالحمام عليه أسمال فقال :

توشح بالظلماء وهو صباحُ فأمرضتِ الألبابُ وهي صباحُ
وظلَّ فؤادي طائراً عن جوانحي وليس له إلاَّ الغرامَ جناحُ
فضيبُ صباحٍ في وشاحِ دُجْنَةٍ ألا ليتني تحت الوشاحِ وشاحُ
ولا عجبٌ أن أفسدتني جفونُسهُ فكل فسادٍ في هواه صلاحُ

وقال :

علقتُهُ شادنساً صغيراً^١ وكنت لا أعشقُ الصغارا
أعارني سقمَ ناظرَيْسهِ فاستشعرتُ نفسهُ حذارا
يسفرُ عن وجهٍ مستنيرٍ يردُّ جنحَ الدجى نهارا
لم أرَ من قبلِ ذلكَ مساءً أضرمَ فيه الحياءُ نساارا

وذكرت بقوله « لا أعشقُ الصغارا » شعراً لبعض أهل العصر استطرد فيه لهجو السميسر^٢ استطراداً ظريفاً فقال :

ان كنت تهوى مليحاً فلا تقُلْ بـمعدرٍ
واهو الصغارَ ففيهم على الحقيقة تُعدرُ
دع الكبارَ لقومٍ دانوا بدين السميسرِ

ونصيب الاكبر القائل^٣ :

ولولا أن يقالَ صبا نُصيبُ لقلتُ بنفسِي النشأُ الصغارُ

١ ط د : غريراً .

٢ ترجم له ابن بسام في القسم الاول من الذخيرة .

٣ ديوان نصيب : ٨٨ .

وما أعذب ما ذهب ابن غصن الحجاري بقوله^١ :

فديتك لا تخفُ مني سلسوياً إذا ما غيرَ الشعر الصغارا
أدينُ بدنٌ نخلٌ كان خمراً وأهوى لحيّةً كانت عذارا

وقال ادريس :

أقبَلتُ تهتزُّ كالغصنِ وتمشي كالحمامه
ظبية تحسدُ عينيها وخذلها المدامه

وقال :

علق الهوى قبلَ الهواءِ علاقتةً ما زال في نزعِ بهيسا ونزاعِ
فكأنما سكن الهوى في قلبيه من قبل سكنى القلبِ^٢ في الأضلاع

ومنها في صفة الخيل :

خيلٌ يميدُ الدهرُ عند هبوبهيسا ميدَ القضيبي بعاصف زعزاعِ
فكانَ حُطفاً^٣ من نتائجِ أعوجِ تنفضُ من فرسانها بسباع

وقال^٤ :

صفراءُ تُهديها بنانٌ صُورَتُ كهواك من غمٍ ومن عتابِ
وغزالُ سترِ بل غزالةُ كلةُ^٥ تثني عنانَ العتبِ بالاعتابِ [٩١ ب]
أجني مراشفتها العذابَ وفي الحشا حُرُقُ فأمزجُ رحمةً بعذاب

١ قد مر البيتان ص ٣٣٥ - ٣٣٦ .

٢ ط د س : الروح .

٣ ط د س : عقبان تحطف .

٤ انظر مسالك الابصار .

٥ ط د س : تبيديها .

٦ ط د س : أنس قفرة .

ودخل إدريس بن اليماني على الموفق أبي الجيش فأشده^١ :

ولربَّ ليلٍ قد طرقتُ وهمي أسري بها إذ ليس يسري كوكبُ
في معشرٍ شَمَّ الأُنوفِ كأنَّهم سيدانُ^٢ رملٍ أو أسودُ دُرِّبُ
لبسوا دياجيرَ الدجى إذ أسادوا وتقتعوا بسنا الضحى إذ أوبوا^٣
وسروا فمغربُ كلِّ أرضٍ مشرقٌ لهمُ ومشرقُ كلِّ أرضٍ مغربُ
والفجرُ ملويُّ النقابِ مبرقعٌ والليلُ مسدولُ الرواقِ مطنَّبُ
وكانَ باهرةَ الكواكبِ معشرُ قام الهلالُ بهم خطيباً يحطَّبُ
وكانَ نورَ الصبحِ رايةً فارسٍ حمراءُ يتبعها خميسٌ أشهبُ
وكانَ قرنَ الشمسِ وجهٌ مجاهدٍ لما أثار سناه كادتُ تغربُ

وهو في كل ذلك يعبث بيديه في قليل شعرٍ عارضته ، استثقلاً للعارفة ،
وبخلاً بالجائزة ، وجهلاً بالفائدة ، فلما أملكه الأمر ، وأعوزه الصبر ، غمز
حاجبه بشطر حاجبه ، فاختطف القرطاسَ من يده ، وقال وقد سدَّ خياشيمه :
إن رائحة الشبين^٤ على شعرك ، تعريضاً له بيباسة ، جزيرة في البحر كان
منها ، أكثرُ ثمرها الشبين ، فحجل لمقامه ، وتعثر في ذيلِ كلامه ، فلما
وثبت إليه نفسه ، وراجعه حسه قال : أيها الأمير إن كنتُ أسأتُ في
مدحك ، فأحسنين^٥ في منحك ، أو قصرتُ في وصفك ، فأطلن في عرفك .

١ حتى آخر الفقرة سقط من د ط س .

٢ سيدان : جمع سيد وهو الذئب .

٣ الاساد : سير الليل ، والتأويب : سير النهار .

٤ ورد هذا البيت والذي يليه في مسالك الابصار .

٥ الشبين فيما ذكره الحميدي في ترجمة ادريس هو شجر الصنوبر (بالفرنسية : **Sapin**)

وبالاسبانية : **Sabina**) ولذلك كان ادريس يسمى احياناً « الشبيني » .

قال ابن بسام : وما أقبحَ هذا المنحى ، وأبعدَ هذا المرمى ، ولكر
السجايا تجري على ما تيسرت له من المعتاد ، وأين هو - قُبَّحَ - من قول
ابن عباد ، وقد كتب إلي^١ :

لكفي أهدي في نداها من القطا إلى موردِ عَدَبٍ على [ظماً] برح
إذا أَبْطَتِ الأَملاكُ غيريَ للثنا فانيَ وضاحُ الجبينِ إلى المدح
وكل امرئٍ يجني عليَّ جريمَةً فاني أجازيه على الذنبِ بالصفح

ومن شعره في المديح وما يتشبه به من الأوصاف

له في المأمون بن ذي النون من قصيدة أولها :

تبيّنَ من سرِّهِ مَسَا اِكْتَمُ فلاح كَنارٍ بأعلى عَتَمِ
يقول فيها : [٩٢ أ]

أما والهوى وهو أحمى قَسَمُ وإن بنتُ عنه بنفسي قسم
وما يجتلى من أقاحٍ ضحوكٍ يُشَبُّ بماءِ الشبابِ الشبم
لقد شربتُ شربَ نومي فلو شربتُ سلافَ الهوى لم أنم
خدودٌ غلائلها من شقيقٍ وأيدي أناملها من عنم
ظلمن قلوبَ الهوى مُدَّ عَدَوْنَ يظفرنَ فوق شمسِ الظلم
ولما أقمن رمساحَ القدودِ فدانت لهنَّ رماحُ البهم
رفعنَ الهوى علماً خافقاً فكان فؤادي جناحَ العلم
يحمُّ أبو كلِّ شبلينِ بي ويلعبُ بي كلُّ طَرْفِ أحم
لقيتُ اللياليَ في شوكتها فبرح نحوي بصم^٢ الصمم

٢ ط د س : غربي بضمي .

١ لم ترد هذه الأبيات في ديوانه

ونبهتُ سوقَ الردى في العدا
فما راعني رائعٌ غيرُ لحظٍ
ظننتُ الشبابَ يفني حينَ وافي
تولّى وشيكاً ولم أجن منه
وما العيشُ إلاّ فواقٌ اغتنامٍ
وفي شيمِ الناسِ ما في العيونِ
وما زال يقفوا زمانٌ زماناً^٢
ولكنّ هذا الزمانَ استقام
فقد سكنتُ عينٌ دهماً^٣
رعايا الملوكِ قطا البيد لكنّ
ملوكٌ ولكنهم في المسلولك
وطيببَ حتى رضابَ الثغور

وهذا البيت كقول محمد بن هاني^٤ : [٩٢ ب]

قد طيببَ الأفواهَ طيبٌ ثنائيه
والبيت الذي قبله^٥ كقول ابن الرومي :

تلوحُ في دُولِ الأيامِ دولتكم
كأنها مِلَّةُ الإسلامِ في الملل

وفيها يقول ادريس^٦ :

- ١ ط د س ب : يهفو .
- ٢ ط ب س م : زمان .
- ٣ ديوان ابن هاني : ٢٠١ .
- ٤ ط د س : تجد .
- ٥ ب م : بعه .
- ٦ ط د س : وفيها أيضاً يقول .

أرى العالمَ اعتدلتُ حاله
وكان بحال انتقاصٍ فتمَّ
همامٌ له شيمة^١ كالشمول
أبا الحسن الحسن المسكني
تسمتُ نعمته بالثناء
يدٌ تقع الهامُ تحت الحسام
كأنَّ العيونَ ازدحاما عليه
وخذها تجرُّ^٢ إلى حسنها
لو اعترضت لزهير البديع
ولو خطرت بحبيب بن أوس
فيا كعبة الحسن وافاك عبدٌ
حججتُ وطفتُ أسابيع لكن
فلا ما يُعابُ ولا ما يُندمُ
ولكنه با بن ذي النون تم
تميتُ الهمومَ وتحيي^٣ الهمم
بما هو نعتٌ له لا جرم
ونشرُ الثناءِ نسيمُ النعم
بها والأقاليمُ تحت القلم
عطاشٌ إلى موردٍ تزدحم
«أتهجرُ غانيةً أم تُلمِّم»
سلا عن بدائعه في هرم
طوى كلَّ ما حاك في المعتصم
لطاعة سيده مستلزم
تمامُ طوافي أن أستلسم

وله من أخرى في إقبال الدولة بن مجاهد بدائية :

قد كنت لا أضحي إذا جئت الضحي
فانجاب عن أوضاحه ذاك الدجي
وصدرتُ عن حبِّ الشباب وطالما
صاح الصباحُ بجانبَي ليلى فليس
لكن أسفتُ على طلي وترائب
من كلِّ ناعمةٍ يجولُ وشاحها
حتى دُفعتُ إلى القنبر^٤ الضاحي
ووردتُ بعد الغمرِ في الضحضاح
غُمستُ جناحي في غدِيرِ جناح
أسفُ ليلى إذ محساه صباحي
صَفِرَتُ يدي من حلتها الصياح
هيمنَ بين مهفهفٍ ورداح [٩٣]

٢ ط د س : مميت ... وحيي .

٤ ب م : القمر ؛ س : العتد .

١ س : همة .

٣ ط د س : تمن .

ومنها^١ :

ثَقُلْتُ زجاجاتُ أتنا فرغساً
خفَّتْ فكادتُ [أن] تطير^٢ بماحوت

حتى إذا ملثتُ بصرفِ الراح
وكذا الجسومُ تطيرُ بالأرواح

ومنها :

بعلي^٣ بن مجاهد أوردتُـــــــــــــــــه
ثهلان^٤ في عَقْدِ الحُبِّا ولدى الوغى
فالبر^٥ بحرٌ من مدائحِ السَّتي
بسياسةٍ يقفُ الزمانُ إزاءَها
محفوفةٌ بمكسارمٍ وصوارمٍ
يا من يلحنُ كلُّ خَلْقٍ مدحَهُ
هشَّتْ لُتسمِعَها بفضلك^٥ فاستمع
غرراً كطالعةِ الكواكبِ مَوْهِنَا
فأتتكِ جانحةٌ إليك وإنمسا
فلكفلكِ القيدُحُ المَعلى في العلا
ولئن بكِ استغنيتُ عن كلِّ ففي
وله من أخرى في ابنِ واجب :

روضَ المديحِ وموسمَ المداح
غصنُ يَراحُ إلى نسيمِ رِيح
تُرِّي على الطيَّارِ والسَّبَّاح
خضلَ الحياءِ ملازمَ الإسجاج
تثني وتَصْرِفُ غربَ كلِّ جماح
حتى الحمامُ على ذرى الأُدواح
سِيَّاحةٌ بثنائِكَ السِّيَّاح
طمحتُ إلى لقياكِ كلِّ طماح
جَنَحَتِ إلى مغنِيطَسِ الاجتِاح
وعلاكِ تحكُمُ لي بفوزِ قداحي
ضوءِ الصبَّاحِ غنى عن المصباح^٦

وادي الأراكِ أَطَلَّتْ شكوى الشاكي
بشميمِ كلِّ بشامةٍ وأراكِ

١ ورد هذان البيتان في المغرب والمسالك والخذوة والبهية :

٢ ط د س : وكادت تستطير .

٣ ب م : فالبحر .

٤ د : هبت .

٥ ط د س : بمجدك .

٦ ب م : الاصبح .

يقول فيها في وصف الحمامة ، وأجاد ما أراد وزاد^١ :

ورقا مطوقةُ السوالفِ سندساً لم يحكِ صنعتَها حياكةُ حاك
تشدو على خُضْرِ الغصونِ بألسنٍ صبغتُ ملامحها بلا مسواك
وكان أرجلُها القواني ألبستُ نعلًا من المرجانِ دون شراك
وكانها كُحِلتُ بنارِ جوانحي فرى لأعينها لهيبَ حشاك

وهذا كقول ابن هانيء^٢ :

وما راغني إلاَّ ابنُ ورقاءَ هاتفٌ بعينه جمرٌ من ضلوعي مشوبٌ

قال ابن بسام : وسلك أبو الربيع القضاعي سبيلَ إدريس في صفة
الحمامة ، فضلَ عنها ، في قصيدة [٩٣ ب] مدح بها ابن واجب أيضاً ،
أولها :

زعم العبيرُ بأنه حاكك كذب^٣ العبيرُ وما حكى ريبك
هذا شميمك فليهبَ نسيمةً حتى تبينَ مقالةُ الآفك
وإن ادعى ريمُ الفلاة بأن في عينيه لمحةَ عينك السفك
فَلَيْسَ تَمِحُكَ بِمَقْلَتِهِ مُغَازِلًا حتى تفنّدَ قوله عينسك

ثم خرج إلى ذكر^٤ الحمامة بوصفٍ غير رائقٍ استُبرِدَ فيه ، ورأيتُ ألاَّ
أكون ممن يرويه . وقد افترض في صفة الحمامة في هذه العروض والقافية بأقننا^٥

١ منها بيتان في المسالك ؛ وفي ط د س بدل هذه العبارة : ومنها .

٢ ديوان ابن هانيء : ٢٢ .

٣ د ط س : أفك .

٤ ب م : وصف .

٥ د ط س : وقد افترض في صفتها على هذا الوزن والروي يوسف . . . الخ .

يوسف بن هارون الرمادي^١ مع يحيى بن هذيل^٢ ، وأنا أسوق الحكاية بنصّ ما حكاها الرماديُّ عن نفسه^٣ ، قال : بكّرتُ إلى أبي المطرف ابن مثنى فألّفتُ قد بكّر قبلي يحيى بن هذيل ، فقال لي : ما عندك ؟ فقلبتُ : ليس عندي كبيرٌ معني ، ولكن ما عندك أنت ؟ فأخرجَ من كمنه قصيدته التي يقولُ فيها في صفة الحمامة^٤ :

وَمُرْنَةٌ وَالِدَجْنُ يُنْسَجُ فَوْقَهَا بُرْدَيْنِ مِنْ طَلٍّ وَنَوْمٍ^٥ بَاكٍ
مَالَتْ عَلَى طَيِّ الْجَنَاحِ وَإِنَّمَا جَعَلَتْ أُرِيكَتَّهَا قَضِيبَ أَرَاكٍ
وَتَرَنَّمَتْ لِحَنِينٍ قَدْ حَلَّتْهُمَا بَغْنَاءٍ مُسْمِعَةٍ وَأَنَّةٍ شَاكٍ
فَفَقَدْتُ مِنْ نَفْسِي لِفِرْطٍ تَلْهِي نَفْسَ الْحَيَاةِ وَقَلْتُ مِنْ أَبْكَاكِ

فأنشدنيها ، وأنا أعدُّ محاسنه فيها ، فلما أكملها قال لي : انصرف إلى المكتب وتأدّب حتى تحكّمَ مثلَ هذا فكأنّه [حركني ؛ وانفق أنه] لم يخرج إلينا

١ له ترجمة في الجذوة : ٣٤٦ (البنية : ١٤٥١) والصلة : ٦٣٧ والمطرب : ٤ والمطوح : ٦٩ والمغرب : ١ : ٣٩٢ ومسالك الأبصار : ١١ : ١٧٥ وابن خلكان : ٧ : والبيهية : ٢ : ١٢ ، ١٠٠ والمقتبس : ٧٤ ، ٧٥ وأشماره في البديع الحميري والتشبيهات للكتاني ونفح الطيب وشرح المقامات للشريشي ، وقد كتبت عنه دراسة في كتابي «تاريخ الادب الاندلسي - عصر سيادة قرطبة» ص : ١٥٥ ط. أولى .

٢ يحيى بن هذيل : ترجمته في الجذوة : ٣٥٨ (البنية : ١٩٤٥) وابن الفرضي : ٢ : ١٩٣ ونكت الهميان : ٣٠٧ وشعره في البيهية : ٢ : ١٤ ومسالك الأبصار : ١١ : ١٧٣ وكتاب التشبيهات (انظر الفهرست) .

٣ د ط س : مع ابن هذيل في خبر حكاها عن نفسه .

٤ انظر هذه القصة والشعر في نثار الازهار : ٨٢ .

٥ ط د س . : نوه وطل . .

أبو المطرف ذلك اليوم ، فبكرتُ من الغدِ إليه وأنشدته قصيدتي التي أقول
فيها في وصف الحمامة :

أحمامةٌ فوق الأراكمة تنثني^١ بحياةٍ من أبكاك ما أبكاكِ
أما أنا فبكيتُ من حُرَّقِ الهوى وفراقٍ من أهوى ، أنت كذاك؟

قال : فلما سمعها^٢ ابنُ هذيل قال : عارضتني ! ! قلتُ : لا والله إلا^٣
ناقضتك ، فقال : اذهب فقد أخرجتُكَ من المكتب .

وأنا أقول : وإن كان كلامُ الرماديِّ من الحلو المطبوع ، فلا نسبةَ
بينه وبين كلامِ ابن هذيل ، وقد انفرد في صفتها انفرادَ سهَّيل .

وحكي أن أبا الطيب المتنبي على قلّة رضاه عن شعر أحد فإنه على
ذكرٍ عنه أنشيدَ بجملةٍ من شعراء الأندلس حتى أنشدَ قول ابن هذيل
[٨٤ أ] :

إذا حبستُ^٤ على قلبي يدي بيدي وصحتُ في الليلة الظلماءِ واكبدي
ضجبتُ كواكبُ ليلى في مطالعها وذابتِ الصخرةُ الصماءُ من كبدي

فقال أبو الطيب : هذا أشعرُ أهل المغرب .

وعارض أيضاً هذه العروضَ والقافيةَ في ذلك الأوانِ الأديبُ أبو
مروان المعروف بالبليني^٥ ، فقال من قصيدة أولها :

١ ط د س : بيبي .

٢ ط د س : سمعني .

٣ ط د س : بل .

٤ انظر مسالك الإبصار ١١ : ١٧٤ . ه المسالك : لما وضعت .

٥ هو سميد بن عثمان بن مروان ، وكنيته في المغرب « أبو عثمان » ؛ والبلينه Ballena

الحوت ؛ انظر الجذوة : ٢١٤ (البغية : ٨٠٧) والمغرب ١ : ١٩٢ واليتيمة ١ : ٥٤ .

يومَ العقيقِ غدوتُ من قبلاكِ ، لما رمتُ بسهاميها عينسالكِ
ثم خرج إلى صفة الحمامة فقال^١ :

أحمامةٌ بكنتِ الهديلَ وإنمسناسا طربتُ فغنتُ فوق غُصنِ أراكِ
معشوقةُ التفويفِ ذاتُ قلائسندِ غنيتُ جواهرها عن الأسلاكِ
ناحتُ على غصنِ وكلُّ شجٍ بكى يوماً بلا دمعٍ فليس بيباكِ
لو كنتِ صادقةً وكنتِ شجيصةً جادتُ دموعكِ حين جددُ بكاكِ

والرماديّ وابن هذيل وأبو مروان ليسوا من طبقة هذا الديوان ، إذ تقدم بهم^٢ الزمان ، ولا^٣ من شرطنا ، إذ لم يلحقهم أحدٌ من أهل عصرنا^٤ .

ومن خُرّ الكلام ، وسريّ النظام ، مما يتعلّقُ بوصفِ الحمام ، قول أبي العلامِ المعريّ ، وأنا أثبتُه هنا زيادةً بعد إجابةِ جلتةِ نثرِ ونظام ، في صفةِ الحمام ، أخذتُ فيه بثوبِ الحسنِ من طرفيه ، واشتمل على رداءِ البديعِ من حاشيتيه ، ولولا تأخرُ زمانه ، وتقدّمُ يحيى بن هذيل وطبقتهِ لقلتُ : إنَّ كلامَ المعريّ نقلوا^٥ ، وعليه عوّلوا ، وهو قوله^٦ : ما جاملةٌ طوقِ من الليل ، وبُردٍ من الربيعِ^٧ مكفوفِ الذئيل ، أوفتِ الأشاءَ ، فقالتُ للكئيبِ ما شاء ، تُسمِعُهُ غيرَ مفهوم ، لا بالرّمَلِ ولا باللمزُوم ، كأنَّ

١ د ط س : ثم قال في صفتها ايضاً .

٢ ب م : لهم .

٣ د ط س : وليسوا .

٤ د ط س : ولا لحقهم . . . دهرنا .

٥ د ط س : ولولا تقدمهم وتأخره نقلت ان كلامه نقلوا . . . الخ .

٦ انظار رسائل أبي العلام: ١٥ - ١٦ (مرغوليوث) ؛ ص : ٣٩ (ط . بيروت) .

٧ الرسائل : المرتجع .

سجعتها قريض رمراسلها ر: ، فقد مادَ بِشَجْوِهَا العود ،
 وفقيدُهَا لا يعود ، تَنَدُّبُ شَوْقاً^١ هديلاً فات ، وأُتِيحَ له بعضُ الآفات ،
 وابس الأشواقُ ، لذواتِ الآطواق ، ولا عند الساجعة ، عَبْرَةَ متراجعة ،
 إنما رأت الشرطَيْن قبل البُطَيْن ، والرشاء^٢ ، قبل العِشاء^٣ ، فحكّت
 صوتَ الماء في الخريز ، ورنتُ^٤ بزاءٍ دائمةٍ التكرير ، فقال جاهل :
 فقدت حميماً ، وثكلتُ ولدأ قديماً ، وهيهات يا باكية ، أصبحتِ فصدحتِ ،
 وأمسيتِ فتناسيتِ ، لا همّامٍ لا همام ، ما رأيتُ أعجبَ من هاتفِ الحمام ،
 سلم فجاح ، وصمتَ وهو مكسورُ الجناح .

ومن أخرى له^٥ : ما حمامةٌ ذاتُ طوق ، يُضْرَبُ بها المثلُ في الشوق ،
 كانت في وكر مَصُونٍ ، بين الشجر والغصون [٩٤ ب] ، تألفُ من
 أبناء جنسها رينداً^٦ ، يتراسلان تغريداً ، مسكّنها نعمانُ الأراك ، تأمنُ
 به غوائلَ الأشرار ، وتمرُّ في بكرتها بالبيتِ الحرام ، لا تفرقُ لمكانٍ
 صائدٍ ولا رام ، صادها وليدٌ في حِلٍّ ، ما حفظَ لها من إل^٧ ، فأودعها
 سجنًا للطير ، ومنعها من كلِّ مَيِّزٍ ، فاذا رأتُ بواكرَ الحمام ، < ظلت >
 تمارسُ جُرْعَ الحمام ، تسألُ بطرفها أنحاهَا ، ما فعل بعدها فرخاها ،

١ شوقاً : سقطت من الرسائل .

٢ الشرطان : نجمان معترضان من الشمال الى الجنوب ينزلها القمر ، والبطين من منازل القمر ،
 والرشاء : كواكب كثيرة صفار على صورة السمكة .

٣ الرسائل ، بعد .

٤ الرسائل : وأتت .

٥ انظر رسائل أبي العلاء : ٥٩ - ٩٣ ، وسقطت من ط د س .

٦ الريد : الترب .

٧ الإل : العهد .

فيقول : أصبحت ضائعين ، يسترهما الورقُ عن العين ، بأشوقٍ مني
إلى حضرة سيدي .

ومن شعره في صفتها قوله من قصيدة ١ :

وغنّت لنا في دار سابورَ قينسنةُ^١ من الورقِ مطرابَ الأصائلِ ميهالُ
رأتُ زهراً غضاً فهاجتُ بمزهرٍ مثنيه أحشاءُ لطفنَ وأوصالِ
فقلتُ تغنّي كيف شئتِ فانما غناؤكٍ عندي يا حمامةُ إحوالِ
وتحسدُكِ البيضُ الغواني قلادةً بجيدك فيها من شذا المسكِ تمثالِ
فأقسمتُ ما تدري الحمامُ بالضحي أطواقُ حُسنٍ هنَّ أمَّ هنَّ أغلالِ

وقال ٣ :

غيرُ مُجددٍ في ملتي واعتقادي نوحُ باكٍ ولا ترنمُ شادٍ
أبكتُ تلكمُ الحمامةُ أمَّ غنّتُ على فرعٍ غصنِها الميادِ
أبناتِ الهديلِ أسعدنَ أو عيدنَ قليلَ العزائمِ بالاسعدادِ
إيه لله دركنَّ فأتين اللواتي يحسنَّ حفظَ الودادِ
ما نسيتهنَّ هالكاً في الأوانِ الخالِ أودى من قبلِ هلكِ إيبادِ
بيدَ أني لا أرتضى مساً فعلتُنَّ وأطواقكُنَّ في الأجيادِ
وله من أخرى في أبيه يرثيه ٤ :

سأبكي إذا غنتي ابنُ ورقاءَ هاتفاً^٥ وإن كان ما يعنيه ضدَّ الذي أعني

١ شرح السقط : ١٢٣٩ .

٢ السقط : تلك أم هي .

٣ شرح السقط : ٩٧١ .

٤ شرح السقط : ٩٤٠ .

٥ السقط : بهجة .

وما نذبت^١ في مسمعي كل قينة
وله من أخرى في أمه^٢ :

وأمتني إلى الأجداد أم^٣
وأكبر أن يرثيها لساني
ومن لي أن أصوغ الشهب شعراً
مضت وقد اكتهلت فخلت أني
فيا ركب المنون أما رسول^٤
ذكياً يسحب الكافور منسه
ألا نبهنتي قينات بث^٥
وحماء العلاط^٣ يضيئ فوها
تداعى مصعداً في الجيد وجداً
أشاعت قبلها وبكت أخاها
شجنتك بظاهر كقريض ليلي
سألت متى اللقاء فليل حتى

يعز علي أن صارت أمامي
بلفظ سالك طرُق الطعام [٩٥ أ]
فألبس قبرها سمطي نظام
رضيع ما بلغت مدى الفظام
يبلغ روحها أرج السلام
بمثل المسك مفضوض الختام
بشمن غضاً فملن إلى بشام
بما في الصدر من صفة الغرام
فقال الطوق منها بانفصام
فأضححت وهي خنساء الحمام
وباطنه عويص أبي حزام^٤
يقوم الهامدون من الرجام

وقال بعض أهل عصري من قصيد^٦ خرج فيه إلى وصف الحمام :

وان هتف الحمام^٧ فلست أدري وإن بارتته^٨ أيهما انتكالا
تعلقت الحمام^٩ بساق^{١٠} حر^{١١} فسل هاتيك من أنكى الجمالا

١ السقط : ونادبة .

٢ ط د س : رثى بها أمه ؛ وانظر شرح السقط : ١٤٥٦ .

٣ العلاط : طوق الحمامة ؛ والحماء : السوداء ، وفي ب م : الحلي .

٤ ليل الاخيالية ؛ وابو حزام المكلي شعره عويص .

وقال محمد بن هانيء الأندلسي^١ :

وما راعني إلا ابنُ ورقاءَ هاتفٌ بعينيه جذرٌ من ضلوعي مشبوبٌ
وقد أنكر الدَّوْحَ الذي يستظلهُ وصحَّتْ له الأغصان وهي أهاضيبُ
وحثَّ جناحيه ليخطفَ قلبه عشاءً شذائِقُ الدجى وهو غريبُ
ألا أيتها الباكي على غير أيكسه كلانا فريدٌ بالسماوة مغلوبُ
فؤادك خفّاقٌ ووكنك^٣ نازحٌ وروضك مطلولٌ وبالك مهضوبُ
هلمَّ على أني أقيكَ بأضلي وأملكُ دمي عنك وهو شأيبُ
تُكَيِّتُكَ لي موشيةً عبقريةً كرىشك إلا أنهنَّ جلايبُ
فلا شدوْ إلا من رنينك شائسِقُ ولا دمعَ إلا [من] جفوني مسكوبُ
ولا مدحَ إلا للمعزِّ حقيقةً يفصلُ درأً والمديحُ أساليبُ [٩٥ ب]
نجارٌ على البيتِ الاماميِّ مُعتلٍ وعدلٌ إلى الحكمِ^٤ الربوبيِّ منسوبُ

رجع بنا الكلام إلى إدريس

وقال من قصيدة في ابن مقنة وزير يحيى بن حمود أولها^٥ :

دعاهُ الهوى من ذي الأراكِ فلباهُ وغنّاهُ أيكيُّ الحمامِ فأبكاهُ
وصدّقَ دعوى الشوق برهانَ جسمه وما كلُّ ذي دعوى تُصدّقُ دعواه
وظلَّ جناحُ القلبِ منه كأنّما قُدّامى جناحِ البرقِ منه قدّاماه
بذئى لنعسٍ لللاقحوانِ ثناياه وللوردِ خدّاهُ وللأسِ صدغاه

١ ديوان ابن هانيء : ٢٢ .

٢ الديوان : وسحت ؛ د ط : ومجت .

٣ الديوان : ووكرك .

٤ الديوان : العدل .

٥ ط د س : رجع وقال ادريس ؛ وورد منها بيتان في مسالك الابصار .

وللبدر مَجْلَاهُ^١ وللمسك رِيَاهُ
 يَزِينِي إِذَا رَدَّ السَّلَامَ مَخَالِسًا
 كَأَنَّ فَوَادِي كَلِمَا قَامَ^٢ قُرْطُهُ
 فَرِيدُ جَمَالٍ تَمَّ لِي تَوَامُّ الْهَوَى
 تَكَامَلَ فِيهِ السُّؤْلُ^٣ حَتَّى كَأَنَّهُ
 لَقَدْ كَانَ مَعْنَى الْجُودِ عُمِّيَّ فَانْبَرَى
 هَصْرَتْ بِهِ الدُّنْيَا فَمَالَتْ رَطِيبَةً
 فَمَنْ يَلِكُ عَنِّي سَائِلًا فَأَنَا السِّدِّي
 وَمَا ضَمَحَكَ النَّوَارُ مِنْ شَقِّ جَيْبِهِ
 وَمَا فَتَحَتْ أَيْدِي الْحَيَا زَهْرَةَ الرَّبَى
 تَأَمَّلْنَهُ^٤ وَانظُرْ بَيْنَ بُرْدَيْهِ وَاعْتَبِرْ
 حَوَى الْقَلَمِ الْبَارِي الْأَسْنَةَ سَنَاهُ
 وَقَالَ ادْرِيسُ مِنْ قَصِيدَةِ أُخْرَى أَوْلَاهَا^٥ :

لِبَيْكَ لِبَيْكَ دَاعِي الْلَهْوِ مِنْ كَثَبِ
 إِلَى السُّوَالِفِ كَالسُّوسَانِ فِي ضُعْدِ
 إِلَى مَعَاظِفَةِ الْأَغْصَانِ فِي الْكُثْبِ^٦
 إِلَى الْغَدَائِرِ كَالْحُلُجَانِ فِي صَبَبِ
 مِنْ حُجْبِهَا وَأَدَارَتْ أَعْيْنَ الْعَرَبِ
 إِلَى خُدُودِ بَنَاتِ الرُّومِ قَدْ بَرَزَتْ^٧

١ ط د س : محاسناً ؛ ب م : يرقاه ؛ د : ترقاه ؛ والبرنأ والبرنأه : الحناء .
 ٢ ط د س : فاه .
 ٣ ب م : الحول .
 ٤ ط د : يد .
 ٥ ب م : على سودا . . . اوراق ؛ المسالك : على متردى ؛ وسقط البيت ن ط د .
 ٦ ط د : وله من اخرى ؛ س : وقال من اخرى .
 ٧ ط د س : من كثب .

من كلِّ سافرة عن مشربٍ خجلاً
وأستضحكت عن لآلٍ أو حصى بردٍ

ومنها :

يحدو بها فنيةٌ صيغتُ وجوههمُ
قد قارعوا دونها كلَّ ابنِ قارعة
من كلِّ أشنبٍ قد أفنت شبيبتهُ

ومنها :

فيه طرازانٍ من ماءٍ ومن لب [٩٦ أ]
يكادُ يقطرُ من مائيةِ الشنب

من الرضى وعواليهم من الغضب
يهبُ منغمساً في الحرب والحرب
شبيبةً البان في ظل القنا السلب

أدبْتُها غصباً للظرفِ والأدب
من لا يُفرِّقُ بين الرأسِ والذنب
بل بالعوالي وبالهنديةِ القضب
حلبتُ أشطُرَ دهري أيتما حلب
أختالُ تحت الرداءِ العضبِ ذي الشطب
ما لم يجيبُ كفؤادِ العاشقِ الوجب
ولا أهشُّ لقرطٍ غيرِ مضطرب
ولا أهشُّ إلى كاسٍ بلا طرب
على أبي الحسنِ المغموسِ في الحسب
إن الرياضَ متى [ما] تُنتَشِقُ تطب
لو سافرتُ لمداها الشمس لم تؤب
حاز السناءَ تراثاً عن أب فآب
كأنه منهمُ في عسكرٍ بلب

ماذا أقولُ لدنيا لو ظفرتُ بهسا
تجلو الرياضة في تاج البهاءِ على
شجى من آقديةِ الأيام برح بي
لكنني علوائيُّ الهوى مرسُ
ألقي الأجابةً مخفوضَ الجناح وقد
لا يستثيرُ وشاحُ الخودِ لي شغفاً
ولا أهيمُ بجيدٍ غيرِ ذي جسدٍ
ولا أروحُ لروضٍ غيرِ ذي زهرٍ
وحسبُ وشي ثنائي أن أزررهُ^١
شمائلُ طيباتٍ كلما انتشقت
ذو همة في العلا دأباً مسافرة
أعراقُ طيبٍ أتت من أصبغ بفتى
إن قام أو قعد التفَّ العفاة^٢ به

١ ب م : أزوره ؛ ط د س : ارده .

٢ ب م : الزمان .

لم يمشِ قطاً إلى قربٍ ولا بُعْدٍ إلا على قدمٍ موطوءة^١ العقب
وله من أخرى في باديس^٢ :

سقياً لواديكِ الأغنَّ مريعُهُ إن الشبابَ به مريعٌ مُمْرِعُ
إن كان خدكٍ فيه وزدٌ يسانعُ فهواك في عيني وقلبي^٣ أبيع
ومنها :

القائدُ الجردَ العناقَ كسأناها لُجَجٌ زواخرُ أو عوارضُ لَمَعُ
متوقدٌ في الحادثاتِ إذا دجت فكأنه فيها شهابٌ يسطع [٩٦ ب]
علمٌ هو القمرُ المباهي طالعاً صنهاجةً وهمُ النجومُ الطلَعُ
متسرلين لكلِّ حربٍ مُرَّةٍ بأساً يقرعُ كلَّ مَنْ لا يقرعُ
فاو آتهم رفضوا الأسنَّةَ والقنسا قامتُ قلوبهمُ بها والأذرعُ
وهذا المعنى كثير ، ومنه قول الأول :

قومٌ إذا اشتجر القنا جعلوا الدروعَ لها مسالكُ
اللابسين قلوبهمُ فوق الدروع لدفع ذلك

وقال أبو محمد بن عبدون من جملة أبيات تقدم إنشادها :

وقد زرُوا الدروعَ على قلوبٍ لو انتُضِيبَتَ لَقَطَّ بها الرقابُ
وكرره في موضعٍ آخر فقال :

- ١ ب م : موضوءة ؛ وسقط البيت من ط د س .
٢ ورد منها بيتان في المسالك .
٣ ط د : قلبي وعيني .
٤ ط د : تلمع .
٥ د ط س : وهي .

أخلاقني وفي قربي الصدورِ طُوباً تَقْضِي على قَمَمِ الدهورِ
وللتهامي ١ :

لو أشرعوا أيمانهمُ من طولها طعنوا بها عوضَ القنا الخطارِ
وقال قيس بن الخطيم ٢ :

إذا قَصَّرتُ أسيفنا كان وصلها خطانا إلى أعدائنا فنضاربُ
وقال الآخر ٣ :

إذا الكماةُ تَنَحَّتْ أن يُصِيبَهُمْ حدُّ الظبابةِ وصلناها بأيدينا
وقال ادريس :

أكحيلةَ الأجنانِ بالسحر الذي لولاه ما زَوَتْ البلابِلَ بابلُ
قد كان قلبي غافلاً عمّا به أودى وقلبُ [أخي] السلامةِ غافلُ
جتي دهاني منك صدرُ رامجُ ذربُ سناناه وطرفُ نابلُ
ما عَقَدْتُكُ المُسَهَى بجيدك دُرَّةُ لكن فرندُ في حسامِ جانلُ
كملتُ سيوفُ الهدى فوق جفونها وطوالُ أهدابِ الجفونِ جمائلُ
ومنها :

سارُ وغادِ بالجِياذِ كَأَنَّهُمْ بلججُ وأكبادُ العداةِ سواحلُ
وكأَنَّمَا الأَجالُ فوقَ رماحه وورقُ على شجرِ الأراكِ هوادلُ
الحاظفاتِ أسافلاً وأعالياً فكأَنَّهُنَّ ضواغمُ وأجادلُ

١ ديوان التهامي : ٤٩ .

٢ ديوان قيس بن الخطيم : ٤١ ، وانظر التعليق على هذا البيت : ٢٠٣ في الديوان .

٣ البيت من الحماسية رقم : ١٤ ص : ١٠٨ في شرح المرزوقي ، وهي تنسب إلى بشامة بن حزن ، ونهشل بن حري ، وبعض بني قيس بن ثعلبة . ؛ ب م ط د : درت .

يلاوي القنا في نحر كل مُدَجَجٍ
 بأساً كما نزل القضاء ، يديره
 وإذا شرابُ القوم كان منيصةً
 تغمُّ السيوفِ ألدُّ ما هو سامعٌ
 هذا ابنُ خاضبِ ذي الفقارِ بجاني
 وبخيرِ والحربُ بارقٌ عارضٍ
 دفع الرسولُ إليه رايته وقد
 أربتْ على الغاياتِ غايةُ مجدهم
 تزدانُ أقلامٌ بهم ومجسائرٌ
 فكأنما المقدارُ من أشياعه
 وكأنما المريخُ من أنصهاره
 تصبو إليك مشارقٌ ومغاربٌ
 وتودُّ ساجدةً الكواكبِ أنها
 تجري بما منها تشاء كأنما
 لولا اضطرام البأس فيك لدى الوغى
 وهذا البيت من قول المعري^٢ :

ينهلون طلاقةً وكاومهم^١
 لا يعرفون سوى التقدّمِ آسيباً
 من كل من لولا تسعّرُ بأسه
 وله من أخرى :

١ الواغل : المتطفل على الشراب .

٢ شروح السقط : ١١١٣ .

يلقى الوغى بأديم وجه ضاحك
 بطل ترى الأبطال منه كالقطا
 في سرجه زحل وبهرام معاً
 بأساً يخلي الخيل حين يخوضها
 وذكاء فهم كلما استخبرته
 في كل كف منه خمس أصابع

ولادريس من قصيد فريد^١ : [٩٧ ب]

سرت في قميص الصبح^٢ وهو جسيد
 ولما استمد الأفق من نور وجهها
 بشمس يكاد الوهم يدمي أديمها
 فلو يتأتى وردها أو مرادها
 وأين من المرتاد أعفر مقمر
 غزال كيناس بل غزالة كلة
 كأن جفوني فوق عيني من أجلها
 أو حشية الإعراض عنا وما لها
 من الهيف تستجفي النسيم إذا جرى
 وتحتمل الياقوت يرسو ثقله
 أيعطى مناه من ترائب الحصى
 من الصيد حران أطلت عويله
 فإن لم أرد ذلك اللمى العذب لاني

فأبلت قميص الليل وهو جديد
 تقاصر باع الليل وهو مديد
 لها الليل تاج والنجوم عقود
 تسلسل مورود وطاب مرود
 نفور كنوم العاشقين شرد
 تزين الحلى منها سواف غيد
 ثياب دوام تحتهن شهيد
 من الوحش إلا مقلتان وجيد
 عليلاً على أعطافها فتميد
 فيجفو على صدر زهاب نهود
 ويحرم مشغوف الفؤاد عميد
 وثغرك سلسال الرضاب برود
 على مهج الأسد الورد ورود

١ ورد منها في المسالك ١١ بيتاً ، وسقطت من ط د س هي وما بعدها حتى نهاية الترجمة .

٢ ب م : الليل ، والتصويب عن المسالك .

فصدّ به من عارضيك صدود
فلولُ ظباهُ لي بذاك شهود
تألقَ فيها للصباح عمود
لها رعدةٌ عند المزاجِ عقود
فتنفي القدي عن نفسها وتذود
يُدِيرُ رحيقاً عتقتُهُ ثمود
لوجه الأمير الأريحيّ حسود
وأحلامهم فوق الجناةِ برود
كما أُشْرِبتْ ماءَ الحياةِ خدود
وليس بناجٍ من يديه طريد [٩٨ أ]

عليها السحابُ الحمرُ وهي بنود
لكلّ صيودٍ في العجاج صيود
ومن لبَدِ الأسدِ الوردِ لبود
يروقتكَ منها قائدٌ ومقود
عبابٌ ولكن ليس منه سدود
ويقتنصُ الأبطالَ وهي أسود
وليس لمريدٍ عليه مُسرود
إذا لم يطقَ حرَّ الجِلادِ جليد
وليس عن القرنِ الكريه يچيد
وأنت إذا لانَ الكماةُ شديد

وان صدّيتُ شوقاً إليك جوانحي
فحسبي من شهديهِ ماء صارمٍ
إذا سلّ في الهيجاءِ وهي دُجْنَةُ
وكأسٍ كرقراقِ السرابِ كأنما
هي العينُ عينُ الشمسِ تأبى عن القدى
فبتُ نديماً لابنِ عشرٍ وأربــــعِ
وما اصفرَّ وجهُ الشمسِ إلاّ لأنّه
أياديهم فوق العفاةِ عقودُ
مضوا ونحور النبل من صبغ طعنهم
بساحةِ فاسٍ منه مطرد الندى
ومنها :

بحيث البحارُ الخضراءُ وهي كتائبُ
خيولُ كعقبانِ الدُجُونِ وكلها
لها من ذؤاباتِ الحسانِ مقـــــــاودُ
تجرر عن [] المفر فما تني
جبابٌ ولكن ليس يثنيه ذائدُ
فتي يخرقُ الأغيالَ وهي أسنةُ
فليس لمختالٍ لديه مخيــــلــــةُ
بعيدُ المدى ماضٍ يريكَ جَلادةُ
يچيدُ عن القولِ الكريه سماعهُ
فأنت إذا اشتدت يدُ القهرِ ليينُ
وفي ابنه :

٢ ب م : لمرقد .

١ ب م : المراح .

إذا اعتدّ ذو مالٍ به لزمانه فمالك كثرٌ للعفاة عتيد
 لعمرى لقد أنجبتك لك مشبهاً فداناك منه مُتلفٌ ومفيد
 فغُرَّتْهُ تُعدي سنك على الدجى وراحتُهُ تُبدي الندى وتعيد
 قريبٌ تراه [منك] لا متباعدٌ وكم من قريبٍ منك وهو بعيد
 فنوهٌ به حتى يساميك في العـلا فقد يتساوى والدٌ ووليـهـد

فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي الأصمغ ابن أرقم^١

أحدُ كتّاب الجزيرة المَهَرّة ، والنقّدة الشّعرة ، ممن نهض في الصناعة
 بالباع الأَسَدّ ، وأخذ فيها بالساعِدِ الأشدّ ، وجدّ في معاناتها ، واقتصر على
 كسب آلاتها ، وجمّع أدواتها ، وارتاض في طرقها معيداً ومبدياً ، ورمى
 إلى أغراضها مصيباً ومخطياً ، حتى تدرّج في مدارجها ، وخرج على جميع
 مناهجها ، واطّلع من ثنائياها ، وأشرف على خباياها ، ، وجرت بينه وبين
 طائفة من أهل^٢ هذا الشأن ، في ذلك الزمان هنات ، في ما انتقدوا عليه
 من ألفاظٍ وكلمات ، وتقعيرٍ واستعارات بعيدة^٣ ، وكانت تلك الطائفة قد
 أسندت في ذلك إلى ابن سيده ، وقد أوردت من ذلك ما يليق بالديوان ،
 ويستوفي^٤ جملة الإحسان .

١ عبد العزيز بن محمد بن أرقم النعميري الوادياشي ، سكن المريّة ، وأقام بدائية مدة عند اقبال
 الدولة علي بن مجاهد ثم صار الى المعتصم محمد بن صمّاح ، وكان من وجوه رجاله ونهباء
 اصحابه ، وقد توجه عنه رسولا الى المعتمد بعد ٤٦٠ ، بصحبة ابي عبيد البكري والقاضي
 ابي بكر بن صاحب الاحباس ؛ وله « الانوار في ضروب الاشعار » ثم اختصره وسماه
 « الاحداق » ؛ توفي في امارّة المعتمد بن عباد ، (انظر التكملة رقم : ١٧٣٥ ونفح الطيب
 ٣ : ٤٩٨ والقلائد : ٨) .

٢ د ط س : ارباب .

٣ د ط س : بديعة .
 ٤ د ط س : وينسق في .

فصول من رسائله السلطانية [٩٨ ب]

فصل له من رقعة عن عليّ بن مجاهد إلى المعز بن باديس صاحب إفريقية^١ :
أطال الله بقاءَ الملكِ الأجلِّ ناظِرِ عينِ الزمانِ ، وروحِ جسمِ الأمانِ ،
وحسامِ عاتقِ الإسلامِ ، وحيِّ جيديّ الأنامِ^٢ ، ومهديّ طوالِ الآمالِ ،
ومأوى شارديّ الإنعامِ والإفضالِ^٣ ، مخلّدةً في الأنامِ دولتهِ ، مؤيِّدةً مع
الأيامِ مدتهِ .

أنا ؛ — أيده الله — أمتٌ إلى دولتهِ — خلّدها الله وأيّدها ، كما وطّدها
ومهدّها — بما أبأى به على الأقرانِ ، وأكافحُ كلَّ زمانٍ ، وأفأوحُ
كلَّ بستانٍ ، وأحرزُ كلَّ ميدانٍ ، [إلى] أن ارتقيت إلى سمائها ، وصعدت
في سوائها ، مستسهلاً وغيرَ المرتقى ، لسهلِ الملتقى ، ومستعدباً مسرَّ المجتلي ،
لحلويّ المُجتني ، فشافهتُ بدَرها ، وتبوأْتُ حِجْرَها ، وارتضعتُ دَرّها ،
على حينِ أجنانِ الفضلِ كليلية ، وأقدامِ المجدِ معقولة ، وأيديّ النصرِ مغلولة ،
وان قعدتُ عن مناسكِ فرضها ، فإني مُعيرُها ضميراً كما ابتلجُ النهارَ ،
وشكراً كما أرجّ النوارَ ، وهل أنا إلا أحدُ أبنائها ، وشهبِ سمائها ، وشيعةِ
علائها ، وحماةِ أرجائها ، وان جندَمَ نأيِّ الدارِ كفَّ الخيارَ ، ففي البعدِ

١ ورد بمض هذه الرسالة ص : ٢٤٥ منسوبةً إلى أبي عامر التاكرني ، وذلك فيما يبدو وهم
من ابن بسام ؛ وقد وقع اختلاف في القراءة في الموضوعين أشرت إلى بعضه ، وأبقيت
بعضاً منه كما هو .

٢ ط د س : الأيام .

٣ س : الأفضال والإنعام .

٤ ط د س : إني .

٥ ب م : افتتح ؛ ط : ابتلج .

٦ ب م : نائي .

اعتذار ، وفي الجهد إعدار ، وان مع التجاور ليعم^١ العيان ، ومع التحوار
ليطمئن^٢ البرهان ، ومع التزاور لترود^٣ الأحوال ، ومع التقارب ليقع
الإخلال ، والقوى المخلوقات قريبة^٤ الانحلال ، سريعة^٥ الانفعال ،
والنيترات على وفور ضيائها ، وظهور سناها وسنائها ، فيما لا يُقابل
كليلة^٥ ، وعندما لا يسامت^٦ عليلة ، وفيما لا ينال^٦ ظليلة^٧ .

وفي فصل منها : وقد علم مبتلي السرائر ، وحافظ البواطن والظواهر ،
أنها بصيرتي التي أستشعر^٨ ، وسريرتي التي أضمر ، وحميقتي التي أخفي
وأظهر ، وشرعتي^٨ [التي] بها أسير وأجهر ، وأن مقالي كفيل^٩ فعالي
في موالة سيدنا - خلّد الله ملكه - على طول المدى ، وشطّ المنتأى ، وبُعْدِ
المرمى ؛ ولما وقف الأمر على الحد الذي قدّمته^٩ ، والقصد الذي ذكرته ،
والرسم الذي أثبتته ، لم أستبد^٩ من إعلامه واستثماره ، ولم أقعد^٩ عن استئذانه
وإشعاره ، ولم أنفذ^٩ إلا بعد استخباره .

وفي فصل من أخرى : إذا كانت نعم^٩ الله عند الحضرة الإسلامية
مُشْرِقة المطالع ، رحيبة الأرجاء والمراتع ، وكان أنصارها وعبيدها ،

١ وردت قبل : ليعلم ؛ ب م : ليعمر .

٢ ب م ط : ليطمس .

٣ س : لتروح .

٤ ط د : الانفلال .

٥ ب م ط د س : جليلة .

٦ ب م : تقابل ... تسامت ... تنال .

٧ مرت قبلا : « ضئيلة » .

٨ ط د س : وشرعتي .

٩ ب م : استند .

وكتائبها المنصورة^١ ، وجنودها المرهوبة ، في اجتماع من كلمتهم على طاعتها ،
وانتفاق من أهوائهم في مناصحتها ، وتظافر من جميعهم على خدمتها ،
فقد عكست يد الإسلام ، واحتمى عزه أن يضام ، وجانبه أن يرام ،
وشملت نعمها الأقطار ، وأمدت أقاصي [٩٩ أ] الديار ، وأبرت^٢
على نأي^١ المزار ، فهي جماع الدين ، وردد^٣ المؤمنين ، ومحفل المسلمين .
وفي فصل منها : ومما وجب التعريف به ما عم أقطار ثغرنا ، وغشي
مجامع أفقنا ، من تمالؤ النصارى^٤ وتضافرهم من كل أوب^٥ إلينا ، بجمع
لا عهد بمثله ، ملأ الفضاء ، وطبق الأرجاء ، وشغلنا بالفتنة بيننا
عن تخفيف وطأتهم ، وتضعيف سوزتهم ، فطمسوا الآثار ، وجاسوا خلال
الديار ، موفورين لا مانع منهم ، ولا دافع لهم إلا التفاتة الله تعالى لأهل
دينه بأن أقل^٦ فائدتهم^٣ ، وخيب مرامهم ، وأطاش سهامهم ، والحمد
لله على منحته ومحنته .

وله عنه من أخرى إلى مقاتل العامري : ولما اعترفت السعادة بارتباط
وذلك ، والاعتباط بوثيق عقنك ، رأيت أن أسلك بابي السبيل المثلى ،
والمنهج الأهدى ، ويعلم أي نظرت له بأحسن ما نظرت والده لولده ،
وحبا به أحد للفة كبده ، حتى يكون إن أدركتني قبلك وفاة ، وكانت
له بعدي إناة ، قد ظفر بأمل ينعمه ، وأوى إلى جبل يعصمه ، أو تبادت
لي معك حياة ، وتناولت لي ليلات ، لم يضرره^٧ أن يعلق بيدين ،

١ ب م : نائي .

٢ ط د س : العدو .

٣ ط د س : أقل قائدهم ؛ ط وخ بهامش س : بل أقل .

٤ ط د س : يضره .

[ويعتمد على ركنين] ، وَيُسْنِدَ إلى أبوين ، فأنت الوالد وهو الولد ،
 والساعدُ وهو اليد ، بل قد اتصل بك اتصالَ الحِائِبِ بالكبد ، وحلَّ منك
 محلَّ البنانِ من الكفِّ والعَضُدِ ، وَمَنْ حَلَّ فِي ذَرَاكَ ، ولاحَ في
 يُمْنِكَ ، فهو الشهابُ الثاقبُ ، والحسامُ القاضبُ : كما أن مَنْ عُدَّ
 في ذوبك ، واعتدَّ في بنيك ، فلن يُقَصِّرَ إن شاء الله عن معادلة الكهول
 وإن صَغُرَتْ سِنُّهُ ، ولا يتأخَّرَ عن مقارعة النصول وان لان غُصْنُهُ ^١ ،
 فإنما يزاحمُ منك بَعُودُ ^٢ ، ويطاولُ بَطْوَدُ ، ويقاثلُ بجمع ، وينازلُ
 بنبع ، ويقضي على الأيامِ بظهير ، ويصولُ على الدهرِ بأمرٍ كبير .

ولما أذمَّ اليك هذه الحال ، ودبَّتْ به نشوةُ الإدلال ، تمنى أن تُوطِئَهُ ^٣
 الريحَ جناحاً ، وتعيَّرَهُ من البرقِ التياحاً ^٤ ، وترفعَ له نحو السماءِ طِمَاحاً ،
 بما يرجوه من حملك إياه على المهرِ المذهبِ ، والوردِ الأغرِّ المحبَّبِ ^٥ ،
 الذي استعيرت سُرعَتَهُ من إسراعك الى المكارم ، وأخذَ سَبَقَهُ من
 سَبَقِكَ إلى ندى ^٦ حاتم ، وعلمَ لِيَن قِيادَكَ للمصاحب ^٧ ، واسترقتْ جَوَدَتَهُ ^٨
 من سماعِ جودك على الطالب ، وان يكن لا تؤثر به غير جنابك ، ولا
 تختارهُ إلا لركابك ، فمن لم يُوقَ شَحَّ نفسه [فيه معذور] ، ومن ارتبطه
 بالضمانة ^٩ به جدير .

١ ب م : عضبه .

٢ من المثل : « زاحم بعود او دع » (الميداني ١ : ٢١٦) اي لا تستمن إلا بأهل السن والتجربة .

٣ ط د س : ولما رغب ان توطئه . . . الخ ؛ وفي ب م : تطويه .

٤ ط د س : التماحا . ه ط د س : المجذب .

٦ ب م : الندى .

٧ س : للمصاحب . ٨ ب م : جوده .

٩ ط : فالضياح ؛ س : فالضمانة .

وقاد المهر المستهدى لولده^١ ، فأجابه بوصوله برقعة يقول في فصل منها^٢ : وصل - أيتدك الله - البير المولي على الأرب ، وأتى الورد المحلى [٩٩ ب] بالذهب ، يتسبح في حكيه ، ويمرح في محاسن زيه^٣ ، فقامت أمسح بردائي على وجهه وأطرافه ، وأخذ ناظراً في نعوته وأوصافه ، فإذا بالقمر قد أعطاه غرته^٤ ، والصبح قد حباه بئجته^٥ ، والغلس قد كساه دلجته^٦ ، فجمع بين دهمته الليل وشقرة الشفق ، ووضع فلقه القمر على صهوة الغسق ، ومد جلال الزلفة إلى حجلة^٧ الفلق ، وأردت إنعاله فإذا^٨ الرياح قد أنعلته أجنحة^٩ ، وتفقدت جلالة فإذا الفراهة قد ألحفته أوشحة ، فلو عزى إلى الأعوج لأنيف ، أو نمي إلى العصا لتوجف ، ولو كان من خيل سليمان لما عدل بالصفان العتاق ، ولا طفق لها مسحاً بالسوق والأعناق ؛ ولما راق منظره ، وفاق مخبره ، جعلت وددي معرضه ، ونفسي مربطه ، وخاطري مرتعه ، وناظري مشرعه ، وقلت : لله دره ، فما أحكم الصنعة فيه ، وما أصح جود مهديه ! !

وله عنه [من أخرى] إلى ابن رزين : قد يكون - أعزك الله - الأجل

١ د ط س : لابنه .

٢ ط د س : برقعة قال فيها .

٣ ب م : ويسبح في محاسن ربه .

٤ ب م : وأخذ ناظري .

٥ ب م : حكاة .

٦ ط د س : وسدد .

٧ س : خلال ؛ ط د : خجلة .

٨ ب م : فكان .

في الأمل ، وربما صحّت الأجسام بالعلل^١ ، فكم من امرئٍ نُشِرَ من كفته . وآخر أوتي من مآمنه^٢ ، ومن نعم الله على العبد أن يقاتل عنه من ناواه بحسامه ، ويناضلَ دونه من عاداه بسهامه ، [حتى يكون قتيلَ سهمٍ رماه بيده ، ومصابَ أمرٍ أجراه على مُعتقده] ، والسعيدُ من نام والأقدارُ تحرسه ، وأقام الأيامُ تخدمه ، وانكل الله يكفله ، فحق له ألا يجزع إذا دهى خطبٌ ، فإن الفرجَ معه ، وإلاَّ يهلك إن عدا كربٌ ، فإن الله قد رآه وسمعه ، ولا سيّما إن قُصِدَ بظلمٍ واعتمِدَ ببغي ، ففي التنزيل : ﴿ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرْتَهُ اللَّهُ ﴾ (الحج : ٦٠) .

[وفي فصل منها] : ولما دعاه إلى السلم ، وناداه باسمِ الصُّلحِ الاثم ، غرّه بأيمانه ، واستدناه من مكانه ، فقبضَ عليه ، وخاسَ بما ألقاهُ من العهدِ إليه ، ثم أراد أن يتبجحَ الإساءةَ ضعفاً ، والإبالةَ ضيقاً ، باعتزاه الغدرَ بأخيه الأقرب ، ومحلَّ أبيه الخديبِ ، فصرفَ اللهُ كَيْدَهُ في تحريره ، وأذاقه وبالَ أمره ، ووضحَ ما كان من سيره وضح النهار ، وتطلعتْ بناتُ صدره تَعَلُّوا على الأستار ، وهو لا يشعرُ أنه شعيرَ به ، ولا بأنه قد أبه له^٣ ، بل خال عَمَائَتَهُ نهارَ الأديبِ فانكشف سرّه ، وظن غباوته غفلةً ؛ الرقيبُ فانتهك ستره^٤ ، وكان قد فكّرَ وقدرَ ، ﴿ فَكَيْتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾ (المدثر : ١٩ - ٢٠) وليته قبّلَ تدبيره لو نَقَّحَ ما دبّرَ ، وحين حَفَرِهِ لو وسَّعَ إذ حفرَ ، وسمعَ قولَ القائل :

- ١ عجز بيت المتنبّي ، وصدرة : لعل عثبك محمود عواقبه . ٢ ط : تعلق .
 ٣ ط د س : ولا بأذه قد ولج له ؛ ب م : ولا بأذه أبه قد وبه له .
 ٤ ط د س : وطار غباوة غفلته .
 ٥ د ط س : حفره .

يا حافرَ الحفرةِ وَسَعٌ فقد يَسْقُطُ في الحفرةِ حَفَّارُهَا
وقول الآخر :

مَنْ يَرَّ يوماً يَرَّ بِهِ^١ والدهرُ لا يُغْتَرَّ بِهِ^٢

وما كان إلا أن قبضَ اللهُ ظِلَّهُ ، وفضحَ غِلَّهُ ، وفازَ بحظِّ الحرمانِ ، وحلِّيَ
بظائلِ الحسرانِ^١ ، وفزعَ فزعَ اللهبانِ ، لا يجدُ أمَّاً ، وَخَبَطَ خَبَطَ الخيرانِ ،
لا يهتدي أمَّاً ، على [حين] ما كان مستحكماً الأملِ ، دانيَ الرجاءِ ، متمكِّناً
الطمعِ [١٠٠ أ] في ختَرِ أخيه والأخذِ بكظمه ، والاعتدالِ على ظُلْمِهِ ،
فإذا به قد نُشِرَ من قبره ، وشقي بضُرِّه ، حينَ راماهُ^٢ بِسَهْمِهِ ، وأخذَهُ
بحكمه ، وأتاه بعلمه ، ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ
ظَالِمَةٌ ﴾ (هود : ١٠٢) وجزاؤه إذا جازى القلوبَ وهي آثمةٌ ﴿ وَلَا
يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (الكهف : ٤٩) ﴿ فَإِنَّ يَسْأَلُكَ مِنْ بَيْنِ
يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾ (الجن : ٢٧) .

فالحمدُ لله الذي صيَّره نبياً ، وكفأكَ منه حرباً^٣ ، فقد كان فيما
بلغ ناهداً إليك ، وعلى ما اتصل وافداً عليك ، ولعلَّ الصنعَ له كان من
حيثُ لم يعلمَ ، والعنايةَ حُصِّتْ به من أينَ لم يفهمَ ، فربما كانت وفادته
برُجميةِ السائرِ ، وسعايته مَشْتُمِيَّةِ الطائرِ ، وبدايته مَتَدَمِيَّةِ الآخرِ .

وله فصولٌ من رقعةٍ طويلةٍ خاطبَ بها الفقيهَ أبا بكر بن صاحبِ الأحباسِ ،

١ د ط س : وحل بطائر ؛ ب م : الاحسان .

٢ د ط س : وسما بصره حتى راماه .

٣ د ط س : كريبا .

٤ إشارة إلى المثل : « ان الشقي وافد البراجم » (فصل المقال : ٤٥٤) .

٥ ب م : وندايته ؛ ط د س : وتدايته منه الآخر .

وشرح فيها الكلمات التي انتقد عليه ابنُ سيدةَ في رسالته [إلى مصر] ، واحتجَّ فيها لنفسه ، قال في صدرها : لما كنتَ - أعزَّكَ اللهُ - في أكفِّ الآدابِ علماً ، وعلى لسانِ العربِ وغيره حفيظاً وقيماً ، لاقتباسك العلمَ مِن كُتُب ، وورائتِكَ إِيَّاهُ عن كلالَةِ أب ، ولم تزلْ تتلقاهُ كإبراً عن كابر ، وتترقاهُ^١ باهراً عن باهر ، لستَ ابنَ سَمْعِك ، ولا عِبْدَ طبعك ، تقلدُ كاتباً ساذجاً ، وتعتمدُ قارئاً هازجاً ، وتقبلُ البصرَ بلا بصيرة ، وتقفو الأثرَ على غيرِ تيرة ، تراعي الحروف ، ولا تبالي عن التحريف ، وتتلو الصحف ، ولا عليك من التصحيف ، ولم تقصِرْ على حفظِ سطورٍ من كتابِ سيبويه ، و« شرح الفصيح » لابنِ درستويه ، واستظهارِ أوراقٍ من الغريب ، والتحفِظِ مع الشروقِ ما تنساهُ مع الغروب ، ولم تشدْ إلى المخرقةِ بفرفور يوس ، ولا الغطرسةِ بأرسطاطاليس^٢ ، والفرقةِ^٣ بقافاتِ أرثماطيقا وأنولوطيقا ، والصفيرِ^٤ بسيناتِ قاطاغورياس^٥ وباري أرمينياس^٦ ، وضيعتِ علومَ القرآنِ والتفننَ في حديثه عليه السلامِ وصحابتِه ، وتفهمَ أغرضه ولغاته ، واجتناءَ زهره وثمراته^٧ ، وأغفلتِ « الكامل » و « البيان » ، وتوارىخ الأزمان ، ونوادِرَ البلغاءِ أهلِ اللسنِ والبيان ، وأهملتِ أشعارَ العربِ والمحدثين ، إلا طلبك أثراً بعد عين ، وقد أربيت^٨ على الستين ، ولم تتمعددْ

١ ط د : وتنقله .

٢ ب م : بارسطاليس .

٣ ط د س : والقمعة .

٤ ب م : والسعر .

٥ ب م : قاطو اغورياس .

٦ ط س : وبار أرمينياس .

٧ د ط : ثمره وزهراته .

٨ ط د : ارميت .

أعجيباً ، ولم تتبغددُ بدوياً ، ولم تكن مرة شيبياً ، ومرة قطرياً ، وتارة طبيعياً ، وتارة فلكياً ، ولم تنزب حِصراً ، ولم تشحم ورماً ، ولم تُدعِدْ في الأمن ، ولم تُجعجِجْ بلا طحن ، ولم تُفَعِّقْ بلُجْمِك ، ولم تُجَلِّبْ بخيلك ، ولم تحمل بأستك ، ولم تُرهب بصوارمك ، ولم تكرر ببيادك ، ولم تستظهر بأجنادك ، ولم تحارب جالساً ، ولم تقاقل ناعساً ، ولم تُجر بالخلاء ، ولم تشجع على الأولياء ، وأنت الذي أدر لي غمائم الأدب ، وأطلع لي من كائمه كل معجب ، وما كاد الشباب يحل تماثمي ، ولا الزمان يُطلعي من كائمي .

وفي فصل منها : فاندب العلم وأهليه ، وارثه^١ وحامله ، وابك رسومته^٢ ، وحي طلوله^٣ ، [١٠٠ ب] وسلم عليه تسليم وداع ، واشفق لعلقه المضاع ، واعلم أن صدّعه كصدع الزجاجة أعي الصنّاع ، فيا له مغنماً^٤ هُجِرَ على برد موقعه ، ونفلاً^٥ زُهِدَ فيه على شرف موضعه ، ومورداً ترك على دُرور أخلافه ، ووطأة أكنافه ، وقد تولّى الفقهاء^٦ ولم يبق إلا من قدّمت نُعوته وحلّاه^٧ ، ووصفت حدّوه وحدّياه^٨ ، وأغنائي ما صدّرت به عن إعادة ذكره ، ﴿واقترَبَ الوعدُ الحقُّ﴾ ، (الأنبياء : ٩٧) وبرّ الله تعالى وصدق في قوله : ﴿أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها﴾ (الرعد : ٤١) وقال عليه السلام :

١ ب م : ووارثه .

٢ ب م : برسومه .

٣ ط د : مغنى ؛ س : مفنا .

٤ د : وبقلا ؛ س : وثلان .

٥ ب م : موضع شرفه .

٦ د ط : الفقهاء .

« إنَّ الله لا ينتزعُ العلمَ انتزاعاً^١ . . . الحديث^١ ، فأفْتَتُوا بغير علم ، فضلوا وأضلُّوا ؛ ومن الأمرِ المعجب ، والخطبِ المُغْرِبِ أَنَّهُمْ يدعون — على جهلهم ، وما بيَّنتُ من وصفهم — التُّرُسَ^٢ في الأدبِ من غير رياسة ، والمنافسةَ لِأَهْلِيهِ من غير نفاسة ، ومناهضةَ ذوي العلمِ باللسانِ بالهذيان ، حين آنسُوا عَدَمَ المنتقد ، وفقدانَ المفتقد :

وإِتي وإيَّاهُمْ كَمَنَ نَبَّهَ القَطَا ولو لم يُنَبِّهْ باتِّ الطيرُ لا تسري
وليس كل سوادٍ^٣ أسودَ البصر ، وما كلُّ فائحٍ ريحان ، ولا كلُّ ملتويٍ
خيزران ، ولو عقلوا لاعتقلوا ، ولو تبصَّروا لآبَصَرُوا .
وفي فصل منها : وتفسيرُ ما أَجْمَلْتُهُ ، وتفصيلُ ما أَهْمْتُهُ ، أُورِدُهُ
عليكَ محلولَ العقدة ، مَنضُوبُ البردة ، وذلك أنَّ إقبالَ الدولة — أيَّده
الله — أمرني بإنشاءِ رسالتين إلى مصر ، فلما علت شرفاتهما، وروَّضتُ
عرصاتهما، ورد عليهما منهما^٤ المقيمُ المقعد ، وكاد يُهلكهما الحسد ،
وبُهِتَ العدو وكُمِدَ ، وقال الولي : لا قبلَ لأحدٍ بمثلها ولا يد ، فَطُولَ
ما حضرتُ انطلقَ لسانُ^٦ الموالي ، وخفقَ جنانُ المُناوي ؛ وَعَرَضْتُ^٧

١ نص الحديث (البخاري ، باب العلم : ٣٤) ان الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رهوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا واضلوا ؛ وانظر ايضاً صحيح البخاري ، باب الاعتصام : ٧ .

٢ د ط س : تبينت . . . المراس .

٣ ط د س : اسود .

٤ ط د س : منضود .

٥ ب م : شرفاتها . . . عرصاتها . . . منها ؛ ط د س : علي منهم .

٦ ب م : يد لسان .

٧ ط س د : حتى عرضت .

وجهتي إلى المعتصم [بالله] فأشدد مشددهم^١ :
يا لك من قبرةٍ بمعنسرٍ خلا لك الجوُّ فيضي واصفري
ونقري ما شيت أن تنقـسري^١

وقالوا : هذا حين يرى الرئيس ، أن هذا العلق الذي نفس به ليس بنفس^٢ ،
وطاروا طيران الفراش حول النار ، وجالوا جولان الذباب بين الأزهار ،
مرة يستفتون الفقهاء^٣ ، ومرة يستشهدون السفهاء ، ومرة يقولون :
هذا يسألُ عنه إن كان يقال ، وربما كان له^٣ في مضمار اللغة مجال ،
ويتسورون ويتشورون ، حديث النساء بعد البعول ، وهريف الإماء
دون الكفيل :

وقلت لها عيبي جعاري وجرري بلحم امرئ لم يشهد اليوم ناصره^٤
فاتفق رأيهم^٥ ، واستمر هديهم^٥ ، إلى سؤال أبي الحسن بن سيده ،
فلم يفكر أبو الحسن في العواقب ، ولم ينظر نظراً أهل التجارب ، فسلم^٥
لهم واغترَّ بمثل وشي الحيات ، وانقاد في زمام الزخارف والترهات :
وكان بما يأتي به ويجيـزه مجرب سوء يشرب السم للخبير^٦
والأدب ينشدهم :

تنقُّ بلا شيءٍ شيوخ محاربٍ وما خلقتها كانت تريش ولا تبري^٦

١ لطفة بن العبد (او كليب) ؛ انظر فصل المقال : ٣٦٤ - ٣٦٥ .
٢ ط د س : غير نفيس .
٣ س : لنا
٤ انظر اللسان (جمر) ؛ وجمار : الضبع ، وفي رواية البيت : لم يشهد القوم ، وانظر الميداني
١ : ٣١٠ تحت المثل « عيبي جمار » ؛ ط د و خ في هامش س : حاضره .
٥ ط د س : سؤال ابن سيده أبي الحسن فلم يفكر في العواقب .
٦ البيتان للأخطل التغلبي ، ديوانه : ١٣٢ .

ضفادعُ في ظلماءِ ليلٍ تجاوبت فدلَّ عليها صوتُها حيَّةَ البحر
فردّ مواضع أنا واصفها وجوابها على سرد ، وذاكرها وما يجلو ارتيابها
على حرد .

قال ابن بسام : وطولُ أبو الأصبغ في جوابه المفسر ، وسماه بـ «عقاب
المتسور»^١ ، ولم يمكن إثباتُ الجميع في هذا المجموع ، فالطول مملول ،
وجئتُ منه بفصولٍ ، تخفيفاً للتثقيل ، وهرباً من التطويل .

قال أبو الأصبغ : كان أول التعميد : « الحمد لله تيمناً بحمده ،
وتحدياً لحدّه ، الهادي من ارتضاه سُبُل^٢ رضاه ، الحادي من انتقاه ،
إلى علم تَفَاهٍ » ، فأنكر « تحدياً » ووضع مكانه « تصدياً » ، ويكفي في
هذا [قول] بشار في سيبويه^٣ :

أَسِيْبُوِيَّةٌ^٤ يا ابن الفارسية ما الذي تحديت من شتمي وما كنت تنبذ
أطلت تغني سادراً بمساعتي وأملك بالمصرين تُعطي وتأخذ

وقال صاحب « العين » : حدا بمعنى تبع ، فإذا بنيت منه تفعلت قلت :
تَتَبَعْت . وذكر أبو علي الفسوي في كتاب « الحجة » أن الفعل تُحْمَلُ
أمثله على أمثلة نظيره وما كان في معناه ، وباب التفعّل سائغ شائع ، لم يمنعهُ
مانع ، ولا قَطَعَ به قاطع ، إما أن يأتي مركباً على ثلاثي ماضٍ ، وإما أن

١ ب م : العقاب المنشور ؛ وفي التكملة : عتاب المتسور .

٢ د ط س : سبيل .

٣ ديوان بشار (جمع العلوي) : ٩٨ ، وورد البيتان في الموشح : ٣٨٥ والأغاني ٣ : ٢٠٤ .

وفي كليهما « تحدثت عن » مع أن موضع الشاهد في ما يورده أبو الأصبغ .

٤ ط د و خ بهامش س : سألتك .

يأتي بذاته ليكونَ في معنى الثلاثي البسيط ، أو يكونَ للخروج من أمر إلى غيره ، فالمركب مثل : تَقْفِيَّتُهُ وتَأْبِيَّتُهُ ، ومن السالم تَتَبَعْتُهُ ؛ والذي يأتي بذاته غير مركب مثل تَحْفِيَّتُهُ^١ وتَوْفِيَّتُهُ ، وما يراد به الخروج من أمرٍ إلى غيره فمباحٌ غير محذور ، ومستباحٌ غير محجور مثل : تَكْوَفٌ وتمصّر ؛ وقال أبو تمام^٢ :

نَيْطَتُ قَلَانِدُ عَزَمِيهِ بِمَقِيدِ^٣ مَتَكْوَفٍ مُتَدَمَشِقٍ مُتَبَعْدٍ

على أنه لم يسمع : تدمشق ، ولكنه مقول ؛ وقال عمر رضي الله عنه :
تَمَعَّدُوا وَاخْشَوْشُوا .

وقال : « الحادي ليس من صفاتِ الله ، ولا يجوزُ أن يوصفَ إلا بما وَصَفَ به نفسه تعالى ، أو بما وصفه رسوله »^٤ وبدل « الحادي » بـ « المرشد » .

الجواب : انظر ما أعظمَ هذا السهو ، وما أضيقَ هذا الشأو ، وما أقيحَ هذا البهتَ ، وما أحسنَ هذا النحت ، وما إذا على من قال : الحمدُ لله منقذنا من الغمّراتِ ، ومبهرثنا من العليلِ الفادحاتِ ، ومرشدنا إلى سبيلِ الهدى ، وسائقنا لما يجبُ ويرضى ، والله مُسَدِّدنا وعصمتنا

١ ب م س : تحيفته .

٢ ديوانه ٢ : ٥٥ .

٣ الديوان : بمحبر .

٤ يبدو ان في هذا الرأي بعض استناد الى رأي ابن حزم الظاهري حيث يقول : ومما أحدثه اهل الإسلام في اسماء الله عز وجل « القديم » وهذا لا يجوز البتة ، لانه لم يصح به نص البتة ، ولا يجوز ان يسمى الله تعالى بما لم يسم به نفسه (الفصل ٢ : ١٥١ - ١٥٢) وابن حزم يرى ان اسماء الله مثل قدير وسميع وبصير ، غير مشتقة ، ولكنه لم يقل شيئاً من هذا في الصفات على وزن فاعل كما قال ابن سيده .

وملاذُنَا وملجأْنَا [وشبهه] ، وليس شيء من هذا في القرآنِ ، ولا في حديثه عليه السلام ؛ واسم الفاعل العامل في ما بعده كالفعل يجري مجراه ، وينحو منحاه ، وأفعالنا كلها لله تعالى ، هو الفاعل ، هذا مذهب [أهل] السنة وغيره مذهب البدع والمعتزلة. قال أبو بكر الباقلاني : يُوصَفُ اللهُ تعالى بما لا يقعُ إجماع المسلمين على مننعه ؛ وخطب عبد الله بن الزبير فقال : الحمد لله [١٠١ ب] الهادي الفاتن ؛ ولو شهد أبو الحسن الجمعة لسمع على المنبر من صفات الله تعالى ما ليس في القرآن وفي حديثه عليه السلام ، وقد أجازوا « السيد » من أسمائه [تعالى] وليس في القرآن ولا في الحديث ، واختلف فيه عن مالك ، وقال أبو عبد الله محمد بن عمر المرزبان أوّل كتابه في « الرياض » : الحمد لله الهادي إلى حمده برحمته ، والموجب من برّه برأفته ؛ و « الموجب » ليس من صفات الله في القرآن ، ولكنه أجراه مجرى الفعل كما فعلنا نحن . وللباقلاني وابن فورك من الاستفتاحات بمثلها ما لا يُحاطُ بكنهه ، ويطول الكتاب بجمعه ، وأين هذا من قول الراجز المرويّ المستشهد به :

لا همّ لا أدري وأنت الداري

وقول العجاج^١ :

فارتاحَ ربّي وأرادَ رحمتي

نعم ، وأسماءُ الله تعالى يشركه فيها المخلوقون إلاّ الله والرحمن ؛ قال أصحاب أهل اللغة : الحادي بمعنى السائق ، وحدا بمعنى ساق ، قال القطامي^٢ :

وإذا يَريبُكَ والحوادثُ جَمّةٌ حَدَثٌ حَدَاكَ إلى أخيك الأوثقِ

١ ديوان العجاج ١ : ٤٢١ ، قال الشارح : ولا يقال : الله ارتاح ، ولكنه اعرابي مجنون جلف جاف .

٢ ديوان القطامي : ١١١ .

وقال الآخر^١ :

إنَّ لها لسائِقاً خَدَلَجًا^٢ لا يدلجُ الليلةَ في مَنٍ أدلجا

ويروى : لحادياً خدلجاً ؛ وحدا بمعنى ساق أغزر من النمل ، وأكثر من الرمل ؛ فأما إبداله إياه بالمرشد أو الداعي فلهو المقيم وهو المدلج الساري ، وهم يتسببون إلى إنكار « الحادي » لأنه ليس من كتاب الله ويهدون بذلك ، والمرشد والداعي ليس في القرآن ، فأتوا بما أنكروه ، وأثبتوا ما ردّوه ، ولو اقتصرنا على بداهتهم لكانت فيه فضيحتهم وخزيهم ، وبداية وهنهم ووهيمهم ، وأين هذا الذي معناه في القرآن وفحواه ، وفي حديث الرسول عليه السلام وما يعضده البرهان ، وأجمع على قبوله الثقلان ، من قول أبي الحسن في خطبته التي توصلَ بها إلى شرح صدر من كتاب سيبويه ، وهو يصف الله تعالى : « مُزْمِعٌ لإحداثنا ، لانبعاثنا^٣ من أجداننا ، يوم لا حكومة إلاّ بيد الصفّاح العليم » والإزماح : العزم بعد التدبّر ، والاجتماع بعد التفكير ، والنشاط بعد الكسل ، هذه صفة بعيدة من القديم سبحانه ، والصفّاح أيضاً ليس في كتاب الله ولا في حديث رسوله . وأبو الحسن تخيلَ القداةَ في عين أخيه ولم يرَ الجذعَ في عينه ﴿ وَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ، وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ الآية (الأنعام : ١٢٥) .

ورد قولنا « فألفت عقيلةً نفسيه في ذرى الحضرة كفتاً من الرضى كفيلاً ، وظلاً من [١٠٢ أ] المنى ظليلاً » فأنكر « عقيلة نفسيه » وبدّله

١ اللسان والتاج (خدلج) وديوان المعاني ١ : ٢٢٥ .

٢ الخدلج : المعليم السابقين .

٣ ط د س : لا بتماننا .

« فالفى و اردُ نفسه » ولم يدر ما قدمت ، ولا على ما أعدت ، ورأى من علمه بالبلاغة وتحققه بالفصاحة أن « كفتاً » و « كفيلاً » بيوآردِ نفسه أليقُ منه بعقيلة نفسه ، وأنكر استعارة « العقيلة » للنفس ، ولا شك أنه ينفي المجاز ، وينكر ما فيه من الابداع والاعجاز ، قال عمارة بن عقيل^١ :

[تَبَحُّثُكُمْ سُخْطِي]^٢ فغَيْرَ بِحُكْمِمْ نَخِيلَةَ نَفْسٍ كَانَ نُصْحًا ضَمِيرُهَا
وَلَنْ يُلْبِثَ التَّخْشِينَ نَفْسًا كَرِيمَةً عَرِيكَتُهَا أَنْ يَسْتَمِرَّ مَرِيرُهَا
وَمَا النَّفْسُ إِلَّا نَطْفَةٌ فِي قَرَارَةٍ إِذَا لَمْ تَكْدَرْ كَانَ صَفْوًا غَدِيرُهَا

فاستعار للنفس : النخيلة والعريكة والغدير والنطفة ، وبديعُ كلامِ العرب الاستعارة حتى خرقَ بهم فيها الاتساع ، إلى غير ما شهَرَ وذاع ، وسوى ما غلب وشاع ؛ قال الراجز^٣ :

وَلَمْ تَدُقْ مِنْ الْبَقُولِ الْفَسْتَقَا

وَقَالَ الْآخَرُ :

إِلَى مَلِكٍ أَطْلَافُهُ لَمْ تَشَقَّتْ

ولولا الإطالةُ بلحبنا على ذلك دواوين ، واستظهرنا بعددِ الحصى براهين .

ورد قولنا : « فأنَّ مَوَلَى الحَضْرَةِ اعْتَمَدَ قَضَاءَ حَقِّهَا ، وَإِثْبَانَ

١ انظر معجم المرزباني : ٧٨ .

٢ سقط من ب م وزدناه من معجم المرزباني ، والأبيات لم ترد في د ط س .

٣ هو أبو نخيلة السعدي وقبيله : دستية لم تأكل المرققا (انظر اللسان والتاج مادة « فستق ») .

٤ د ط س : آخره ؛ والشاعر هو عقفان بن قيس بن عاصم اليربوعي ، شاعر جاهلي ، وصدر

البيت : سأمنعها أو سوف اجعل امرها ؛ انظر السمط : ٧٤٦ والجمهرة ٣ : ٤٩٠ وأما

القبالي ٢ : ١٢١ والصناعتين : ٣٠١ وأسرار البلاغة : ٣٧ واستوفى هنالك تخريجه فراجع .

وَفَقِيهَا ، وَأَدَاءَ فَرَضِهَا « فَأَنْكَرَ « أَدَاءَ فَرَضِهَا » وَبَدَّلَهُ « تَأْدِيَةً »
الجواب : عُدْرَةُ فِي ذَلِكَ لَائِحٌ ، وَأَمْرُهُ وَاضِحٌ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَقْرَأْ قَوْلَهُ
تَعَالَى ﴿ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ﴾ (البقرة : ١٧٨) وَلَا قَرَأَ شِعْرَ زَهِيرٍ^١ :

بِأَيِّ الْجَيْرَتَيْنِ أَجْرْتُمُوهُ فَلَمْ يَنْجِيكُمْ^٢ إِلَّا الْآدَاءُ

وَلَا قَرَأَ فِي كُلِّ كِتَابٍ « وَأَدَاءَ الْحَرَجِ » مَهْمُوزٌ ، اللَّهُمَّ إِلَّا إِنْ كَانَ أَرَادَ
وَزْنَ الْكَلَامِ ، وَتَعْدِيلَ الْأَقْسَامِ ، فَوَازَنَ « قَضَاءَ » الَّذِي هُوَ أَوَّلُ الْفَقْرَتَيْنِ
بِ « تَأْدِيَةٍ » الَّتِي جَعَلَهَا أَوَّلَ الْفَقْرَتَيْنِ الْأُخْرَيَيْنِ وَلَمْ يَرِ مَوَازِنَةَ « قَضَاءِ »
بِ « أَدَاءِ » ، فَلَهُ عُدْرٌ يَلِيْقُ بِهِ ، وَوَجْهُهُ هُوَ خَلِيقٌ لَهُ ؛ وَقَدْ قَالَ هُوَ فِي
خَطْبَتِهِ الْمَذْكُورَةِ « وَإِذْ لَا أَسْتَطِيعُ قَضَاءَ حَقِّهِ وَأَدَاءَهُ ، فَأَخَذَنِي اللَّهُ مِنْ كُلِّ
مَكْرُوهٍ بِدَلَّتِهِ وَفِيْدَاءِهِ » ، وَأَنَا أَقُولُ : « قَبْلَ اللَّهِ دَعَاءَهُ ، وَأَجَابَ نِدَاءَهُ » .
وَرَدَّ قَوْلُنَا : « فَتَنْسَمَ مَوْلَى الْحَضْرَةِ رِيَّاهَا عَطِيرًا » وَأَنْكَرَ الْجَوَازَ فِي
تَذْكَيرِ « رِيَّاهَا » وَبَدَّلَهُ « أَرْجَاهَا » .

الجواب : لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ الرِّيَّاءَ يُدْكَرُ إِذَا أُرِيدَ بِهِ النِّسِيمُ وَمِثْلُهُ ، وَانْه
تَأْنِيثٌ غَيْرُ حَقِيقِيٍّ ، وَأَنِّي عَدَلْتُ إِلَيْهَا لِعَدْوِبَتِهَا وَلِدَوْنَتِهَا ، وَهَمَّ قَدَمٌ قَالُوا
[١٠٢ ب] فِي التَّأْنِيثِ الْحَقِيقِيِّ : « حَضَرَ الْقَاضِي الْيَوْمَ امْرَأَةٌ » ، وَامْرَأَةٌ
الْيَوْمَ ، وَالْحَمْلُ عَلَى الْمَعْنَى فَصَاحَةٌ ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بِصَائِرٍ مِنْ
رَبِّكُمْ ﴾ (الأنعام : ١٠٤) ﴿ مِنْ بَعْدَمَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ (آل عمران :
١٠٥) وَكَثِيرٌ مِنْ هَذَا ، قَالَ الشَّاعِرُ :

١ شرح ديوان زهير : ٧٦ .

٢ الديوان : فلم يصلح لكم .

٣ في ب م ط د س : قد جاءكم موعظة من ربكم . وقد جاءكم البيِّنات ، وايست الآيتان كذلك
فالاولى قد جاءتكم موعظة ، وليس فيها الشاهد المراد ؛ والثانية ليست آية ، ولذلك اجبت
لنفسها تمييز هذا كله ، فابقاء ذلك في المتن لا يجوز ، وهذا نوع من الخطأ غريب .

وإن كلياً هذه عشرُ أبطنٍ وأنت بريٌّ من قبائليها العشريِّ
وقال عمر بن أبي ربيعة ٢ :

فكان مِجَنِّي دون من كنتُ أتقي ثلاثُ شخوصٍ كاعبانٍ ومُعَصِرُ
والعالمُ بالصناعة لا يظاهرُ بما ظاهرَ به أبو الحسن ، ولا يجاهرُ بما جاهرُ ؛
ومن مضحكاته وضعه « أرجها » مكان « ريتاها » والأرجُ طيبُ الرائحة
وعطرها ، قال كثيرٌ ٣ :

تأرجح الحِيُّ إذ مرّت بِظَعْنِهِمْ ليلي ونمّ عليه العنبرُ العَبِيقُ
[وما أنت بهادي العممي عن ضلالتهم] .

وردّ قولنا : « وقضى حقّ ما أولاه ، وتوشّح به [وارتهاه] » وقال :
التوشّحُ حلية النساء ٤ ، وبدله بـ « تأزّر »

الجواب : يالهنه المنازع الطريقة والمقاطع الفظيمة ٥ ، لو تركناه بغره ، وطوبناه
على عرّه ، لكفانا البيان عنه والفضيحة له ، فجمع ضرورياً من الجهل
باللفظ والمعنى ، وصنوفاً من العثار في سهل [ذلك] المدى ؛ [عنده] أن
الإزار ليس من لبس النساء ، والإزارُ هنّ أخلق ، وبهنّ أليق ، قال
عليه السلام لعائشة [رضي الله عنها] : « اشددي عليك إزارك » ٦ ، وقال

١ ورد غير منسوب عند سيهويه ٢ : ١٧٤ وانظر الخصائص ٢ : ٤١٧ والخزانة ٣ : ٣١٢

٢ ديوانه : ١٢٦ وانظر سيهويه ٢ ، ١٨١ والعيبي ٤ : ٤٨٣ والخزانة ٣ : ٣١٢ .

٣ ديوانه : ٤٦٧ (اعتماداً على اللخيرة دون أي مصدر آخر) .

٤ ب م : هي حلية الرجال والنساء .

٥ ب م : يالهنه الطريقة والمنازع الفظيمة .

٦ شدي على نفسك إزارك ، في مسند أحمد ٦ : ٦٥ ، ٩١ ، ١٨٥ .

للمستفتي : « اشددْ عليها إزارها ، وشأتكْ بأعلاها » .
وقال الشاعر :

فدى لك من أخي ثقةٍ إزاري^١

يريد أهله ، فكنى به عن المرأة ، حكاه أبو علي الفسوي في كتاب « الحججة »
والإزار أكثر ما يكنى به عن الفرج ، كما قال الفرزدق :
ما زال مذ عَقَدَتُ يدها إزاره^٢

وقال آخر :

والطيبونُ معاقدَ الأزر^٣

فتجنب « الأزار » إلى « الوشاح » آدب وأوجه ، والوشاح من استعمال
الرجال بعيد عن موضع الفرج وعن الكناية عنه ، وقد لبسة الجللة في سلمهم
وجعلوه نظير السلاح في حربهم ، قال جرير^٣ :

لبستُ سلاحي والفرزدقُ لعبسنة^٤ عليه وشاحا كسرجٍ وجلالته^٥

فعابه في الحرب بالوشاح لا في السلم ، لأنَّ الوشاح ليس من لبس الحرب ،
كما أن السلاح ليس من لبس السلم ؛ والعربُ تمدح وتمدح في السلم بالنعمة
والخفض واللباس الجميل ، والرياش النبيل ، قالت الخنساء^٥ :

١ صدر البيت : الا أبلغ أبا حفص رسولا ؛ والشعر لرجل من الانصار ، انظر العقد ٢ : ٤٦٣ .

٢ صدره : النازلون بكل معترك ؛ والشعر للخرنوق بنت هفان ترثي زوجها عمرو بن مرثد
وابنها علقمة وأخويه حسان وشرحبيل . انظر أمالي القتالي ٢ : ١٥٤ والسمة : ٥٤٨ ،
٧٨٠ والجزاظة ٢ : ٣٠٦ والعيبي ٣ : ٦٠٢ واللسان (نصر) .

٣ ديوانه : ٩٦٩ .

٤ ب م ؛ كرك ؛ د ط وخ بهامش س ؛ حرة ؛ د ط س ؛ وخلاخلة .

٥ ديوان الخنساء : ٣١ ، وصدر البيت « فذلك في الجد مكروهه » .

وفي السلمِ يلهو ويُرْنخي الإزارا [١٠٣ أ]

وقال عبد الملك بن مروان للأحنف : ما أحسنُ ما مُدِحْتَ به ، قال :

قول القائل من جملة أبيات :

جلامسك والحمام والبيض كالدمى وفرقُ المدارى رأسه فهو أنزعُ

وقال الآخر ١ :

إذا غدا المسكُ يجري في مفارقهم راحوا كأنهم مَرَضَى من الكرمِ

وقالت ليلي الأخيلية ٢ :

ومخرقٍ عنه القميصُ تخالهُ وسطَ الندى من الحياءِ سقيما
حتى إذا رفع اللواءَ رأيتـه تحتَ اللواءِ على الخميس زعيما

وقال بدرٌ أخو المرار ٣ :

نجدّمون ثقالٌ في مجـالسهم وفي الرحالِ إذا صاحبتهـم خدّمُ

ومثل هذا كثيرٌ لا يُحصَى ، ومثل " لا يُتَقَصَى .

وليس مرادنا أنه لبس وشاحاً بعينه ، ولا مرادٌ غيرنا لبس إزاراً بعينه ،
وانما المعنى الجليّ عند صبيان المكاتب أنه لبس الخطيئة كالوشاح ، في
التزين بها والتجمل بموضعها ، كما أراد بقوله الذي ألقى أبا الحسن في
هذا الجهل ، فحمله على غير وجه الحمل :

١ بهامش س أنه ما أنشده ابن دريد ، ولكن لم يعين قائله .

٢ انظر امالي القالي ١ : ٢٤٥ والعيني ٢ : ٤٧ والشعر والشعراء : ٣٦٢ والحامسة رقم :

٦٩٩ (المرزوقي) والتبريزي : ٤ ٧٧ .

٣ الاغاني ١٠ : ٣٣٠ .

إذا هو بالمجد ارتدى وتأزراً^١

إنما هو اتخذ المجد شعراً ولباساً كالإزار ، ولو أن القافية تسوغه لقال^٢ :
فلا أبَ وابناً مثل مروان وابنــــه إذا هو بالمجد ارتدى . وتوشحاً
كما قال أبو ذؤيب^٣ :

وكلاهما متوشحٌ ذا رونقٍ عضباً إذا مسَّ الكريهةً يقطعُ
وقال أقدم من أبي ذؤيب^٤ :

تركتُ النهابَ وأهلَ النهابِ وأكرهتُ نفسي ° على ابنِ الصَّعِقِ °
جعلتُ يديَّ وشاحاً له وبعضُ الفوارسِ لا تعشق

وقال أبو الحسن في خطبته المتقدمة الذكر : «لم يزل الأدبُ يوشحُ ذاتي
بِحكليه ، ويرشحُ نباتي بلخنيه^٥» فأتى بما صرفه ، واختار ما زيّفه . على
أن توشيح الذات بالخلي من الكلام النقي والمعنى القصي ، فتأمل هذه الغرائب ،
وتبين هذه العجائب :

على أنها الأيامُ قد صرنَ كلها عجائبَ حتى ليس فيها عجائبُ^٦

قد ذكر أيضاً أبو الحسن الإزار في خطبته فقال يصف جارية له [١٠٣ ب] :

١. عجز بيت للفرزدق ، يرد صدره فيما يلي ؛ انظر سيويه ١ : ٣٠٥ والميني ٢ : ٣٥٥ .

والخزاعة ٢ : ١٠٢ وشرح شواهد الكشاف : ١١٣ .

٢ ط د : تسوغ له «توشحاً» لقالها .

٣ شرح اشعار الهذليين ١ : ٣٨ .

٤ البيتان في الحيوان ٦ : ٤٢٥ والبيان ٣ : ٢٤٦ .

٥ الحيوان : تركت الركاب لأربابها واجودت نفسي .

٦ د ط س : بياني ؛ م ب : لحييه .

٧ البيت لابن تميم ، ديوانه ٤ : ٤٢ .

«أما ما تشدّد اليه إزارها فسقط ، وأما ما تعقد عليه زنارها فسقط »
ومن أضل الله فلا هادي له ١ .

ورد قولنا : «وسلفت السيّر ، واستمررت البرر ، بإطراف الموالي
سادتهم ، وإطاف الخدام قادتهم ، وإتحاف الأولياء ذادتهم » وقال :
الذادة مشترك يقال في الرفيع والوضيع .

الجواب : لقد كنت أبؤو به ٢ أن أقول : ما أقبح هذا المنزع ،
وأوقع هذا المقطع !! وهب أن ذلك مشترك - وليس بمشترك - فقد حُفّ
بالفصل من جنبه ، وكنته من حوالبه ما يرفع الإشكال ، ويجلو وجه
المقال ، وكثير من الكلام مشترك المعنى ، مشتبه المنحى ، إلا أن فرشه ٣
ومقدمته تبين مشكلته وتوضح مبهمة ، وتبيح ممتنعة ، وتحسن
موضعه ؛ وللبلاء [من] تقفية « السادة » بـ « الذادة » و « القادة » ما لا
يحصى ، والجاحظ أفصح أهل وقته في كتاب « البيان والتبين » قال :
« الذادة » و « القادة » الذين هم ملح الأرض ونور الدنيا ، وحكي عن
العرب مثله في هذا الكثير ، وقال زيد الخليل يصف رؤساء طيء : أما بنو
حية فملوكنا وملوك غيرنا ، هم القداميس ٥ القادة ، والحماة الذادة ،

١ اشار في ب م الى ان هذه العبارة آية قرآنية ، وليست كذلك .

٢ ب م : ابؤو به ؛ ط د : ابوا به ، فأما أبؤو فإنها لغة في أبأى ، أي ارفعه عن ذلك .

٣ فرشه : سقطت من ط د .

٤ جاء في مقدمة الجزء الثاني من البيان « الذين كانوا مصابيح الظلام وقادة هذه الايام وملح
الأرض وحلي الدنيا » ؛ ولم يقترن هنا بين لفظي « القادة » و « الذادة » نلعل ابن أرقم
يشير الى ورودهما في موضع آخر .

٥ القداميس : جمع قدموس وهو السيد ؛ ب م : القراميس ؛ ط د س : السراة .

والآنجادُ السادة ، أعظمتنا خميساً ، وأكرمنا رئيساً ، وأحلمنا مجالسَ ،
وأنجدنا فوارسَ . وهذا المتسورُ على نقدِ الكلامِ معذورٌ لأنه لم يقرأ قطّ هذا
المعنى ، ولا سمع بهذا المغزى .

وردّ قولنا : « وما النفوسُ وحاملوها ، ولا الدنيا وأهلوها ،
[ولا الأرضُ وعامروها ، بكفاءٍ لبعضٍ واجباتِ الحضرة] » [فضرب
على الفقرة التي هي « ولا الدنيا وأهلوها »] وقال : هو بمعنى قوله : « ولا
الأرض وعامروها » فلا يجوز تكراره .

الجواب : حوى في هذا التسورُ ضروباً من الغباوةِ ، واجتنى صنوفاً
من الخرازية ، منها أنه جعل الدنيا هي الأرضَ ، والأرضَ هي الدنيا ،
على تحليته بعلم المنطق الذي لو علمه لم تنفيسُ عليه علمه ، ولم نغبطه
حمّله ، ولم [يعلم] أنه يقال : الدنيا محيطةٌ بالأرض ، وليست الأرضُ
محيطةً بالدنيا ، والدنيا جنس ، والأرضُ تحتها نوع ؛ وفي الحديث الصحيح :
« سماء الدنيا » وفي الدنيا الخلقُ الروحاني ممن ليس في الأرض ؛ ومنها :
أنه لم يعلم أن مَن رَسَمَ العرب وفصاحتها تكريرَ المعنى إذا اختلفت
الألفاظ ، قال تعالى ﴿ وَغَرَّابِيبُ سُودٍ ﴾ (فاطر : ٢٧) وقال ﴿ فَسَجَدَ
الملائكةُ كُلَّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ (الحجر : ٣٠ ، ص : ٧٣) [ومشبهه في
كلام العرب كثير] ولا فرّقَ بين مَن لم يعلم هذا والعدم ﴿ فَإِنَّهَا لَا
تَعْمَى الأبصارُ ولكن تَعْمَى القلوبُ التي في الصدُورِ ﴾ (الحج : ٤٦) .

وردّ قولنا : « ولا أظلمَ أفقٌ كان شمسُهُ » ، أنكر « أظلم »
وردّه « دجا » .

١ ط د س : وحوى هذا التسور يا ابا الحسن . . . الخ .

الجواب : هذه الداهيةُ الشنعاءُ ، والقضيةُ الشوهاءُ ، يدعي علمَ الكلام ، من لا يعرفُ الإصباحَ والإظلامَ ، لقد كان ملفّحاً فانكشف ، ومنكوراً [١٠٤ أ] فاعترف :

وكان كعنزِ السوءِ قامتْ بظلفها إلى مُدْيَةٍ تحتَ الترابِ تثيرها^١
ثم ختم رقعته يقول^٢ :

أتيتُ بمنطقِ العربِ الأصيلِ وكان بقدر ما عاينتُ قبلي
فعارضه كلامٌ كان فيــــــــــــه بمنزلةِ النساءِ من البعول
وليس يصحُّ في الأوهامِ شيءٌ إذا احتاجَ النهارُ إلى دليل

قال أبو الأصبغ : وما أنكر عليّ إلاّ كلّ لفظةٍ جاءت مع أختها كما
اقرن الكوكبُ والسعد ، والتقى الجيدُ الأتغيدُ والعقد ، وشانوا ببعرهم
الدرر ، وبمهمم الغرر ، وكان كلامهم كالبرص في أديمه ، والكسوف
في نجومه ، وعلم الله أنّهم لو ردّوا مردّآ ، وتحدّوا متحدّي ، وذهبوا
صددا^٣ ، لما أنفتُ ولا قلقتُ ، ولا حرجت ولا ضجرت ، ولأنصتُ
وأنصتُ وانقدت ، فقد قال السلف الصالح : رحم الله من أهدى إلينا
عيوبنا ؛ وقالوا : الفاضلُ من عدّت سقّطاته ؛ وقال عليه السلام :
ما هلك امرؤ عرّف قدرَ نفسه . والمرءُ في سعة من عقله ما لم يقل شعراً
وينشئ كلاماً ، وما أبرئ نفسي ، ولا أعجبُ بأمرئ ولا أفخر ،
ولا أذبّ ذبّ المزدهي بما حبر ، فما أحدٌ أنشأ نثراً ، ولا قال ،^١ ،

١ البيت للفرزدق ، ديوانه : ٧١ وانظر فصل المقال : ٣٦٢ والمعاني الكبير : ٨٧٦ ،

١٢٠٩ وروايته : تحت الثرى تستثيرها .

٢ الأبيات للمثنبي ، ديوانه : ٣٣٤ .

٣ هذه العبارة مبهمة على الافراد في دطس : وشان ببعره ، . . . وبجمه . . . وكان كلامه . . . الخ

إِلَّا اسْتُدْرِكَ عَلَيْهِ ، وَفُوقَتْ سَهَامُ الْقَوْلِ إِلَيْهِ ، وَمَا أَكْثَرَ أَحَدٌ إِلَّا أَهْجَرَ ،
 وَلَا أَطَالَ جَوَادٌ الْمَدَى إِلَّا عَثَرَ ، وَلَا سُبَيْرٌ مَعِينٌ إِلَّا تَغَيَّرَ ، وَقَدْ لَحَنَ
 النَّحْوِيُّونَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ فِي قِرَاءَتِهِ ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السِّيءُ إِلَّا
 بِأَهْلِيهِ ﴾^١ (فاطر : ٤٣) وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ : مَا قَالَتِ الْعَرَبُ
 قَطُّ : بَرَقَ الْبَصْرُ ، بِفَتْحِ الرَّاءِ^٢ ؛ وَلَحَنُوا يَعْقُوبَ فِي قِرَاءَتِهِ ﴿ هُوَ لَاءُ بَنَاتِي
 هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾^٣ (هود : ٧٨) وَقَالَ بِلَالُ بْنُ أَبِي بَرْدَةَ ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ
 الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾ (الزمر : ٥٣) — بِكسْرِ
 النُّونِ — فَقَالَ أَبُو عَمْرٍو : لَحَنَ الْأَمِيرُ ، فَسَأَلَ عَيْسَى بْنُ عَمْرِوٍ فَقَالَ :
 اللَّغْتَانِ مَقُولَتَانِ^٤ ؛ وَرَوَى عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ : عَلَى مَنْ تَنَزَّلَ الشَّيَاطُونُ^٥ ،
 وَقَالَ عَثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنِّي أَرَى فِي الْمَصْحَفِ لِحْنًا سَتَصْلِحُهُ الْعَرَبُ
 بِأَلْسِنَتِهَا . وَقَالَ عَمْرَانُ بْنُ حِطَّانٍ^٦ : لَقَدْ خَطَبْتُ فَحَسِبْتُ أَنِّي بَدَرْتُ ،
 فَسَمِعْتُ فُتَيْهً مِنْ تَمِيمٍ يَقُولُ : أَيَّ خَطِيبٍ لَوْلَا أَنَّهُ عَطَّلَ خَطْبَتَهُ مِنَ الْقُرْآنِ ؛
 وَسَمِعُوا خُطْبَةَ زِيَادِ « الْبُرَاءِ » ، وَفَسَّرَ الْعَتَبِيُّ قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿ شَدِيدِ الْمِحَالِ ﴾
 (الرعد : ١٣) فَقَالَ : هُوَ الْحَوَلُ وَالْحَيْلَةُ ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ مَحَلُّ فُلَانٍ
 بِفُلَانٍ إِذَا كَادَهُ ؛ وَقَالَ الرَّمَّانِيُّ فِي كِتَابِهِ « فِي الْمَذْكَرِ وَالْمُؤَنَّثِ » : الْعَصْرُ

١ آيس في قراءة هذه الآية خلاف بين القراء ، ولم اجد فيها لابن عامر انفراداً وإنما جاء
 قبلها « ومكر السوء » وقراها حمزة ساكنة الهمزة ، (انظر كتاب السبعة : ٥٣٥)
 وقد دافع عنه ابو علي الفارسي كثيراً في ذلك .

٢ قراءة ابي عمرو « برق » بكسر الراء ، وقرأ ابان ونافع عن عاصم بفتحها (انظر كتاب
 السبعة : ٦٦١) .

٣ يعني قراءته « اطهر » بفتح الراء ، انظر المحتسب ١ : ٣٢٥ .

٤ ذكر في اللسان أن المضارع من قنط تكون عينه مكسورة ومضمومة ومفتوحة .

٥ سورة الشعراء : ٢٢١ .

٦ شبيه لما في البيان ٢ : ٦ .

يُجمع أعصر في القليل وَعَصُر في الكثير ، ويجمع الجمع فيقال أعاصير
كما قال الشاعر :

وبينما المرء في الأحياءِ مغتبطٌ إذ صار في الرمسِ تفوهُ الأعاصيرِ [١٠٤ب]
فالأعاصيرُ جمعُ أعصر ، والياء في الأعاصير زائدة ؛ ووهم الرماني ، وإنما
الأعاصيرُ جمعُ إعصار وهي الريحُ الشديدة ، قال تعالى ﴿ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ
فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ﴾ (البقرة : ٢٦٦) وقال الشاعر :

الناسُ بعدك قد خفّت حلومهمُ كأنما نفخت فيها الأعاصيرُ

وذكر أبو حاتم في « التذكير والتأنيث » عن عمارة بن عقيل ، وأنشد الصولي
في كتابه « في الشبان » لبعض قريش يوم فتح مكة :

خزرجي لو يستطيعُ من البغضِ رمانا بالتسّرِ والعسواءِ

وأخذ على جميع المؤلفين بحق وباطل ، ولولا الاشتهار في الأمر ومذهب
الاختصار لأوردتُ منه الجزيل الطويل ، والموصوف المعروف ، والكثير
الغزير ، والموجود المعداد ؛ ولكن هذا الرجل أبدى عواره ، ورفع
شئاره ، وكان مستورا موفورا ، يقلد فيه ، وينصت لدعاويه ، ويحتمل
على المعرفة سرائره ومبادهيه ، فأساء أدبه ، وهتك حجبته ، وفضح
مذهبه :

لم تكن عن جناية لزممتني لا يميني ولا شمالي رمتني
بل جناها أخ علي كريم وعلى أهلها براقش تجني

ويشهد الله لقد كنت أيام محاولته لاطفاء نوري ، ومبادرته تقبيح الحسن

١ البيتان لحمزة بن بيضر ، انظر الميداني ١ : ٣١١ والمثل « عل أهلها تجني براقش » .

من أموري ، أذكي أنواره ، وأطلع أقماره ، وأرفعُ لساري مناره ،
وهو يدبُ الضراء ، ويسرُ حسواً في ارتغاء ، ويمالءُ الحسدةَ والأعداء ،
ويحارب معهم الأولياء ، فجاهر بكتتم ذُكاء ، وخسَفِ نجوم السماء ،
ولم ينظرُ حتى يكونَ التقديم مع المشاهدة والحضور ، فيعذرَ في تقصير لو
كان أو تعذير ، على أن الخلة ، وشرط الأُخوةِ والمروة ، أن يناضلَ
بظهر الغيب ويُحامل ، ويناصبَ دونَ الباطل ويجادل ، بحكمِ الأدب ،
الذي هو أمسُ رحمٍ وأوكدُ نسَب ، فكيف بتزييفِ^٢ المنتقد ، وتضعيفِ
القوي ، وطمسِ الشمس ، وردِّ العيان ، والمجاهرةِ بالإفكِ والبهتان ،
وصدِّ ما تقوم به الحجة بما لا تقوم له حُجَّةٌ ولا برهان ، وما زلنا نشاهدُ
الشيوخ يُحسِنون التأويلَ ، ويسترون الخللَ الجليل ، فلم يجرِ أبو الحسن
على سننهم ، ولا تادَّبَ بأدبهم ، وكم أعرضتُ عن تصانيفه ، وربأت بتواليه ،
كردِّه على يعقوبَ في «إصلاح المنطق» بما هو المردودُ المحدود ، والمكروهُ
المنجوه^٣ ، وكخرافاتِهِ المضحكاتِ في «شرح الحماسة» وك«المحكم»
الذي ليس له معلّم ، و«المخصّص» [١٠٥ أ] الذي لو كتب بالسین
لكان أشبهَ بصفته ، وألتيقَ بحليته ، وأكثر هذا الكتاب «المخصّص»
مصحفاً محرفاً ، وكنت شرعتُ في استخراج ما ضمّه من الكلم المصحّفاتِ
والحروفِ المحالات ، ولما أحسَّ بالمكوى^٤ :

والعیّرُ يضربُ والمكواةُ في النصار^٥

١ د ط س : على رأي .

٢ د ط س : بتزيد . ٣ ط د س : والمحدود . . . والمنجوه .

٤ د ط س : في استخراج ذلك فأحس بالمكواة .

٥ فصل المقال : ٣٢ « قد يضرب العير . . . » والميداني ٢ : ٢٨ والعسكري ٢ : ١١٧

لأذا^١ بأنّيه كان إذ ألقته^٢ محجوراً^٣ ، فيا له عذراً يسمى تعديراً ، وقد أتت عليه الدهور ، وأخذ عنه الفرض^٤ المشهور ، والجزاء المذكور ، كما أعطي القصب غير السابق ، وخلقت غير الخليق ولا اللاحق ، وما أعظم منتشبهه ، وأشأم عليه نسبه !!

ولم آت أكثر مما لمحت له هذه^٥ الخطبة ، كما خطف البرق ، ورجع الطرف ، وكجلوة العروس ، وقعدة الخطيب ، فوقت عيني منها على منكر^٦ مستشنع ، ومكروه مستبشع ، ومقطع مستضعف ، ومنزع مستخلف ، كلتها زيوف^٧ فلا تنفد ، وهراة فلا تحدد ، رداءة أقسام ، ودناءة كلام ، وقعقة زحاريف ، وجعجة أراجيف ، وإجلاب^٨ بعساكر ، وركوب^٩ في مواكب وجماهير ، ومديح^{١٠} لنفسه ، وثناء^{١١} على ذاته ، وتعظيم^{١٢} لشانه ، وتكبير^{١٣} لسلطانه ، وطاعة لشيطانه ، وذكر^{١٤} لشرح جالينوس ، ووصف فرفور يوس ، وخطأ وضع^{١٥} ، وتحريف شعر ، ومردود لفظة ، وادعاء باطل وهجر ، وأسجاع كأنها قعقة القراع ، ووعوة المصاع ، مؤدبية^{١٦} المنزع ، قلقنة^{١٧} الموضع ، خشنة^{١٨} الموقع ، ملاءها خمسين ورقة بهديانات^{١٩} وترهات ، وتزويرات وسخافات ، [من عراب ارتبطها ، وسيوف اخترطها ، وجارية وصفها ، وريقة رشفها] وفرية قرطها وشنفها ، وعظيمة من

١ ط د س : فلاذ .

٢ ب م : محجوراً .

٣ ب م : القرص .

٤ ط د س : تلك .

٥ ط د س : وتكثير .

٦ يعني أنها تم عن أنها عمل مؤدب الصبيان .

٧ ب م : هديات ؟ وسقطت من ط د س .

المنكر. تسنمها واعتسفها ، وموباتٍ زيفَ بها حديثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته ، وصنّفها ، وآثر عليها آراء الفلاسفة وشرفها ، ولم يأت فيها بكلمة من كتاب الله تعالى ، ولا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته . ونعوذُ بالله من الخذلان. ونزغاتِ الشيطان.

فصول من خطبة ابن سيده مما نقد ابن أرقم عليه^١

ذكر الخضاب فعا به ، وذكر مَنْ خَضَبَ فسفّه وجانبه ، وقال : هذا خطيب^٢ اليونانية غليانث ، وهو الذي يُوثقُ بكلامه ويستانس ، قد قال : إن التسويدَ من الزينةِ الأثيثة ، فلا يستعمله من الأنامِ إلاّ أهلُ الطينةِ الخبيثة .

الورد : تأملوا واعتبروا يا أولي الأبصار ، قد علم الكبيرُ والصغيرُ ، والخطيرُ والحقيرُ ، أنّ الشيبَ معيبٌ ، وأنّ السوادَ مرغوبٌ ، وأنّ آدم عليه السلام لما رأى شيبهً بلحيته فزعَ منها ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم روي عنه الخضاب ، وأما صحابته الأكرمون ، وعترته الطيبون ، فكلهم خضب شيبه وغيره وسنّره ، ولما جيء [١٠٥ ب] بأبي قحافة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأسه كالثغامة قال عليه السلام : « هلا غيرتموه. » ؛ وكان معاويةٌ حيث كان من الجلالة والأصالة ، له خاضبةٌ تخضبه بالسواد ، ولما فرغت مرةً من خضابه أنشدته :

هل عندك اليومَ شكرٌ لّتي جعلتُ ما ابيضّ من قادات الرأس كالحمم

١ لم يرد هذا القسم كله في د ط س .

٢ ب م : خضيب خطيب .

وفي السوادِ إغلاظٌ على العدوِّ ، وتجميلٌ للأهل ، وتسكينٌ للروعة من الشيب ، وتأنيسٌ للنفس ، وتعليلٌ للقلب ، وهل هذه النكتة من أبي الحسن تخفّسى ، أو هذه الزرعة يكتّم منها فحوى ، أو يستترُّ لها مغزى ؟ !

وقال في فصل منها : « والحسادُ في كلِّ ذلك تكسيرٌ عليّ أرعاطها^١ ، ولا تفرُّ من النظرِ إليّ ألحاظها ، وأنا أنشدتهم ما أنشدته عن أبي العلاء صاعد بن الحسن الربعي عن أبي رجاء الضبيعي :

حسودٌ كئيبُ القلبِ يُخفي أنينهُ ويُضحى كئيبَ البالِ عندي حزينهُ
يلومُ عليّ أن ظلتُ للعلمِ طالباً أجمعُ من عند الرواةِ فنونه
وأكتبُ أبكارَ الكلامِ وَعَوْنَهُ وأحفظُ مما أستفيدُ عيونه
فيا حاسدي^٢ دعني أغالِ بقيمتي فقيمةُ كلِّ الناسِ ما يحسنونه

الردّ : في هذا البرسامِ غريبتان ، إحداهما مقالةُ الحاسدِ الذي يكسر عليه أرعاطه ، قوله « دعني أغالِ بقيمتي » ، هذا جوابُ الأولياءِ ، لا جوابُ الحسّدةِ والأعداءِ ، والأخرى تحريفه الشعرَ عن وجهه ، وصرفه عن كنهه ، ولو تبينَ وقرأ طرائقَ الشعراءِ ، ومذهبَ الفصحاءِ والخطباءِ ، لما استجازَه ، ولأجادَ نقّدةَ وإحرازه ، فهذا الشعرُ لأحمد بن المعذل مشهورٌ مأثور :

غزالٌ سقيمُ اللحظِ يخفي أنينهـــــــــــــــــه ويضحى كئيبَ القلبِ عندي حزينه
ونسي نفسه أبو الحسن في تأمل البيت الأول : وكيف يجتمع فيه « كئيب

١ الارعاط : السهام ؛ وكسر عليه ارعاط التنبيل : اشتد غضبه عليه ، وهذا مثل ، انظر الميداني ١ : ٢٤ .

٢ كان حق هذه اللفظة أن تصبح « فيا عاذلي » أو « فيا لائمي » ليطرد ما يهتبه ابن ارقم في ما يلي .

القلبِ « كَثِيبُ الْبَالِ » وكيف يكونُ حزينَ البالِ ، والشاعرُ مُنَزَّرَةٌ عن هذا السَّقَطِ ، مبرراً من مثل هذا الغلط ، ولم ينظر بالعين الجليَّة ، فيرى فسادَ القضية ، وأن الحسودَ ليس من رسمه ، ولا من رسم العرب في وصفه ، أن يلومَ على طَلَبِ العلمِ ، ولا يراجعَ بمثل هذا الرفق ، وإنما أراد أحمد ابن المعدل أن مَنْ هو إلفُهُ وأنسُهُ ، فتغرب عنه إلى طلبِ العلمِ نفسه ، يلوُمُهُ على تشاغله عنه ، وتباعده منه ، وأوماً إلى صبره وجدِّه في طلبِ العلمِ وبحثه ؛ وقول أحمد ينظر إلى قول كثير^١ : [١٠٦ أ]

إذا ما أراد الغزو لم تثنِ همَّه حَصَانٌ عليها نظمٌ درٌّ يزيناها
وقال الحسن^٢ :

تقولُ التي من بيتها خَفَّ مركبي عزيزٌ علينا أن نـ...راكَّ تسيرُ
أما دونَ مصرٍ للغنى مُتَطَلَّبٌ بلى إن أسبابَ الغنى لكثير
فقلت وعزَّتْها سوابقُ أدـ...عِجرتُ فجرى في جريهنَّ عبير
دعيني أكثُرُ حاسديك برحلةٍ إلى بلدةٍ فيها الخصيبُ أمير
وقال^٣ :

لحافي لحافُ الضيفِ والبيتُ بيتهُ ولم يُلْهني عنه غزالٌ مُفْتَعٌ
وقال أبو الحسن في فصل آخر منها : « يَرْهَبُ أَلَا تُرْجِحَ أَعْمَالُهُ
يوم القيامة قِسْطَاسَهُ ، وَأَلَا تَنْجِحَ أَمَالُهُ فَيُؤْتِي غَيْرَ ذَاتِ الْيَمِينِ قُرْطَاسَهُ »

١ ديوانه : ٢٤٢ .

٢ ديوانه : ٩٩ .

٣ البيت في البيان ١ : ١٠ وهو لمروة بن الورد ، ديوانه : ١٠١ وورد في الحماسة : ١٧١٩
لمتبه بن بجير ، وقيل انه لمسكين الدارمي وفي الأغاني ١٣ : ٦٧ انه للعجير السلولي .

الردّ : ضمّ قاف قرطاس كما ضم قاف قسطاس للمشاكلة ، على دناءة اللغة ، ووحاشة التقفية ، وفسادِ المقابلة ، وجورِ القسمة ، ولم يدرِ أن القِسْطاسَ - بكسر القاف - لغةٌ شائعةٌ قرأتها بها القراء ، ونطقتُ بها الفصحاء ، ولو علمها لما احتاج إلى هذا المرمى البعيد ، والمنحى الزهيد ، والوجهِ الشميم ، والغرَضِ النميم .

وفي فصل منها : « وكذلك أنضيتُ عِرابَ الخيل ، فرميتُ بها حمامةَ النهارِ وعرابَ الليلِ » .

قال ابن أرقم : وليس من شأنِ العرابِ أن يُرْمَى بها الحمامة ، والعرابُ هذه استعارةٌ غير متصلة ، وقلادةٌ غير منتظمة ، وفقرةٌ غير مرتبطة ، ومن يقولُ رميتُ الحمامةَ بالعرابِ ، يازمه أن يقولَ : جاريتُ الصِّبا بالسهام .

وقال في فصل آخر : « حين استقدحتُ سنايَ كُها سبائكَ العقيانِ » قال ابن أرقم : يقال له مع تكرر سيناتك أرنّا استقدحت ، وأرنا السبائكَ من نتائجِ الاستقداح ، فإن تلك استعارةٌ لا تحسن ولا تتصل ، وقضية لا تتمعنى ولا تتحصّل ؛ ومثل تكرر هذه السينات ما يحملُ عن بعض المؤدبين بشرقِ الأندلس ، وكان يصفُرُ في الصاد والسين صفيراً منكراً ، أنه قال : يا سادة ، يا جيرانَ المسجد ، سقط الطاووس من سقفِ موسى ابن أبي الغصن ، فكسرَ ساقَ صبيتنا ؛ انتهى ما اقتصصته من رده على ابن سيّدة .

جملة له من الانشاءات السلطانيات^١

فصل له من رقعة عن ابن مجاهد إلى صاحب مصر^٢ : وبعدما لزم الاستفتاح به وهي الإصباحُ شُهِبَ ، فإن مولى الحضرة الطاهرة - صلوات الله عليها - اعتمد قضاءَ حقِّها [١٠٦ ب] وإتيانَ وفقها . وعليه من حُلِّلِ النعمةَ أَضْفَيْتَها ، ومن حُلِّلِ السعادةَ أَبْهَأَها ، ومن جُنِّنِ السلامةَ أَوْقَأَها ، وَمَنْ قَبِلَهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ الحِضْرَةِ وحِذاها ، وعبيدِ دولتها ، وسهامِ كنانتها ، وشُهْبِ سمائها ، ورقيقِ ملكها ، وشيعِ مَلِكِها ، المستنجحين بطائرها السَّانِحِ ، المتبركين بفضلها اللائح ، في كنفِ الله وعصمته ، وخفارةِ سَعْدِ أمير المؤمنين وذمَّتِهِ . وما ولاهُ اللهُ من البلاد ، وخولهُ من العتاد ، وأولاه من تالِدٍ وَمُسْتَفَادٍ ، على ما يرضي أمير المؤمنين وفورِ عَدَدٍ ، وظهورِ يدٍ ، وانه سلف لمولى حضرته الطاهرة الاستثمارُ في تفيؤهِ لِبَرُودِ^٣ ظلالها ، والاستئذانُ في ادِّراعِهِ لِبَرُودِ أَفضالِها ، وارتضاعِهِ لحلماتِ قَبُولِها وإقبالها ، وَقَدَّمَ عَقِيلَةَ نَفْسِهِ ورائدَ قلبه . ووصفَ مباديَ نزاعِهِ وطلائعِ انجذابه ، ودواعيَ مهاجرته . وجواريَ مفاخِته ، وأَعْلَمَ أَنَّهُ ذَخَرَها لِيَوْمِهِ وغدِهِ ، واعتدَّها لِنَفْسِهِ وولده ، فإنها الشمسُ بَعْدَ جِرْمِها وكَثْرَ ضَوْءِها ، ونأى مَحَلَّتِها ودنا ظِلَّتِها ، فصدرت المراجعةُ الباهرةُ بما أضاءَ جوانحه . وَزَجَرَ سوانحه ،

١ د ط س : السلطانية .

٢ هي الرسالة التي تعقبه فيها ابن سيده ؛ ويقول ابن الأبار في التكملة إنها وجهت إلى صاحب

مصر سنة ٤٥٢ .

٣ د ط س : لبرد .

٤ د ط س : ادخرها .

وأمرعَ مواطنَهُ ومسارحه، وتبينَ السعدَ معانِقَهُ ومصافحه^١، وصادفَ رائدُ قلبه مراداً خصيباً، وريحاً جنوباً، وتقبلَ المولى منها مراحاً مروحاً ومقبلاً، وتتوجَّحَ رسمَ الخلافةِ المستنصريةِ إكليلاً؛ وإنْ بعدتْ أقطارُهُ، فعلى مقدارٍ بُعدِ الهجرةِ لإيثاره، وما تتأتى السبل، ومتون الرياحِ الخوامل والرسل، فإن لم تكنْ سليمانِيَّةَ النَّصْبَةِ، فإنها عَلَوِيَّةُ السَّيْبَةِ، فالآن استمرَّ المريزُ، واستقرَّ الضميرُ، واطردَ الأمرُ على بصير، فتنسم مولى الحضرة رياها عطراً، وراذ رَوْضَهَا زَهْرًا، وشامَ برقها مُسْطِراً، واستوضح هلالها مُبْدِراً، وارتشف ماءَها خَصِيراً، فما الشكرُ وإنْ جَزَلَ، يرقى ثانياً ذلك الإفضالِ والإِنعامِ، ولا اللسانُ وإنْ جعل يتعاطى ذلك الثناء^١ ولا الأقلامُ، ولا الجهدُ يقدرُ قَدَرَ ذلك الإكبارِ والإِعظامِ، ولا الوجدُ يفِي بتلك العوارفِ الجسامِ، ولا الطوقُ يقومُ بأعبائها حقَّ القيامِ، وأيَّ وسعٍ يباري البحرَ وهو طام، وأي طوقٍ يطيقُ ركني شَمَامٍ؟! ولو كانت للمولى بالقدر يدان، وساعدهُ إمكان، وساعفهُ زمان، لأمَّ شَخْصُهُ كعبَةَ الآمالِ، واستقبلَ بقصدِهِ قبلةَ السَّعْدِ والإِقْبَالِ، واستلم بيده ركنَ الإِنعامِ والإِسْبَالِ^٢، فإذا لم يَنَسُكْ مُحْرِمًا، ولم يقربُ مستلماً، ولم ينقلْ إليها قدماً، فَحَسْبُهُ النِّيَّةُ التي هي أسُّ^٣ البنيةِ والطويَّةِ، على نائي الطيَّةِ، وما تيسرَ من هَدْيٍ يُهْدِيهِ، وَعُمُرَةٍ عنه تُجْزِيهِ، وإن شَطَّ المحلَّ.

وسلقت السيرُ، واستمرتِ المررُ، بإطرافِ المولي [١٠٧ أ] سادتهم وإتحافِ الأولياءِ ذاتهم، وإطافِ الخدّامِ قادتهم، على سَمَحِ الأوانِ،

١ د ط س : الشار .

٢ د ط س : والافضال .

٣ د ط س : أم .

لا على الخطر والشان ، وعلى حُكْمِ التَّخْدِمِ والاهْتِبَالِ ، لا على حُكْمِ
الهممِ والآحوالِ ، فما النفوسُ : فكيفِ النَّفائِسُ وحاملوها ، ولا الدنيا
وأهلُها ، ولا الأرضُ وعامروها ، بكفاءٍ لبعضٍ واجباتِ الحضرةِ ،
ولا بجزءٍ من أجزاءِ فرضها ، ولا لنبذةٍ^١ من جُمَلِ^٢ قرضها ، ما عدا
أن الله سبحانه قَبِيلَ منّا اليسيرِ ، وصفحَ عن التقصيرِ ، وتجاوزَ عن الحقيرِ ،
فألّفَ المولى أشتاتاً ، ونظّمَ أفراداً ، وجمعَ أصنافاً ، وهيئاً أطافاً ، من
تُحَفِّفِ أفقه ، وخواصَّ أرضه ، وغرائبِ مغربه ، وطرائفِ ثَغْرِهِ ،
شَرَحَ أنواعها ، وأفرادَ جماعها ، ونثرَ نظامها ، وفصّلَ تُوَأمَتها ، في
ما لطفَ طيِّ مكاتبتِه هذه ، وأودَعَ ما نوَّعَ ، وضمَّنَ ما جمعه ، حرَّيباً
من أشدِّ نمطه^٣ حصانةً ، وأوفَرِه أمانةً ، وأكثره عدةً وعِدَّةً ، وأفضله
جِدَّةً وجِدَّةً ، وأبهجه حليةً وبُرْدَةً ، وتفاءلَ المولى في اسمه ووَاسْمِهِ ،
فخَرِقَ أديمَ البحرِ على اليُمنِ والطائرِ السعدِ ، والفألِ الصدقِ ، كأنه
هلالٌ سائرٌ ، أو عُقَابٌ كاسرٌ ، أو بازٌ مهايِدٌ^٤ ، أو شهابٌ ثاقبٌ ،
أو سهمٌ نافذٌ ، ولحضرتِه الطاهرة - صلوات الله عليها - تأكيدُ العارفةِ ،
وتأييدُ الصنيعَةِ ، وتشفيجُ الكرامةِ في حسنِ القبولِ ، والتجاوزِ عن خَلَلِ
المعقولِ والمقولِ ، وتأوّلِ أمرِ مولاها أحسنَ التأويلِ .

وله من أخرى مثل ذلك إلى الوزير هنالك : أطال الله البقاءَ ، وأدامَ
العزَّةَ والعلاءَ ، والسَّعادةَ والنماءَ ، ورجبَ الفناءَ ، ونصارةَ الأرجاءَ ،

١ ط س : لبيدة ؛ د : اييد .

٢ ط د س : حمل .

٣ ب م : نظمه .

٤ هبذ وهابذ : أسرع في الطيران .

لحضرة سيدنا الوزير الأجلّ صفي أمير المؤمنين، ولا برحت القلوب حوائم
على شيرعتيه، كما زين نحرها بقلائد الخلافة، وحلّيّ جيدها بنظام الأمامة،
والشمس محلّ السعدِ :

* وفي عنقِ الحسناء يُستحسنُ العقد *

فما أظلم ليلٌ كان سيدنا صُبْحَهُ ، ولا أبهم معنىً كان شَرَحَهُ ، ولا
أساءَ زمانٌ كان حسنته ، ولا بخلَ وقتٌ كان موهبته ، ولا أذنبَ عصرٍ كان
عُدْرَهُ ، ولا ذوى روضٍ كان زَهْرَهُ ، ولا أوحشَ أمرٌ كان أنسه ،
ولا أظلم أفقٌ كان شمسهُ ، ولا عطيلَ نحرٌ كان حليهِ ، ولا ضلّ مُلْكٌ
كان هديهِ .

وإني أطال الله بقاءَ حضرة سيدنا ، وإن لم أحلّ بمكاتبتة تقليداً ، ولم
أحظّ بمدخلته مستفيداً ، فبه أثمرَ غرسي ، وله انتظم غدي وأمسي ،
وعليه تهَدَّلَ جنى نفسي ، فمحاسنُهُ التي ملأتُ الملوين ، ثنتني فانثنتُ ،
وأنوارهُ التي طبقت الحافقين ، هدتني فاهتديتُ ، فسرتُ إليه مسيرَ السيل
إلى قراره ، وانجذبتُ نحوه انجذابَ النجم إلى مدارِهِ ، وجريتُ على نهج
أبي رحمه الله - في خدمة [١٠٧ ب] الحضرة والمكاتبة لها والمهاجرة
إليها ، وما نَدَيْتُ^٢ لي من ثراها ، وتمهَدتُ لي من رضاها ، وأحظاني من
سنيّ جوابها ، وبهيّ تحليتها ، والإقبال عليّ بقبولها ، فذلك الفخرُ تاجٌ عليّ
مفرقي ، وذلك الفضلُ طَوْقٌ في عنقي ، فحقّ أن تتأكد بصيرتي ،
وتستمرّ مريرتي ، وأطرِدَ عليّ^٣ وتيرتي ، فلا أزالُ مطالعاً وخادماً لها .

١ م : جنباً ؛ وهي غير واضحة في ب .

٢ م ب : لدن .

٣ د ط س : وتلرد علي .

وسبقت السيِّرُ ، واستمرت المررا بأن يُطرف المولى سيِّدهُ ،
ويُلطف الولي مُعتمدهُ ، وقلَّت الدنيا وصمتها^٢ ، والأرض ووفرها ،
لمستمسكٍ بحبلِ الحضرة ؛ ولا جَرَمَ أنها خدمةٌ تُخبرُ عن همة ، وسيرةٌ
تنبئُ عن سريرة ، وقربةٌ يُتقبَّلُ [فيها] الوتح الحقيق ، ويتجاوزُ عن
القصورِ والتقصير ، علماً بأنها على الاختفاء لا على الاحتفال ، وعن الإخبار
عن الضمير لا على الآخطار ، فهيّا شيعةً سيدنا وصفوته ، سمَّح الأوان ،
وعجالةً الإمكان ، على النوى القدوفِ ، والمنتأى^٣ الغروف ، أنداداً من
أطرافِ حوزته ، وأفراداً من خواصِّ عمله ، وأعداداً من تُحَفِّ جهته ،
يَشْرُفُ ؛ بعضها بحضرةِ الخلافة ، وبعضها بحضرةِ الوزارة ؛ وضمنها من
بياضِ خاصيته^٥ : [حريباً] حصينَ البنية^٦ ، أمينَ الطويّة ، رائقَ البردة ،
وافرَ العدة ، تقلِّدهُ الأستاذُ أبو الحسن كوثر نعمته ، وعهدة الحضرة ، فنلذ
في حفظ الله وصحبته ، وفي كفالة سعد أمير المؤمنين ؛ وسلك^٧ البحرَ
كأنه في أديمه شامة ، بل في سمائه غمامة ، وحضرةُ الوزير - أعزه الله -
تسدُّ في الجهتين الخلل ، فتحملُ وتُجْمَلُ ، وتقبلُ وتتقبلُ ، وتغفرُ خطلَ
ما نقول ونفعل ، وتتأولُّه إن شاء الله أحسنَ التأول ، وتكسوه المعروضَ
الأجمل ، فهي الهاديةُ لضوالِّ الآمال ، المحلّية لعواطل الأعمال .

١ ط د س : الأدهر .

٢ ط د س : وقلدت . . . وضمنها .

٣ ب م : والمتهى .

٤ د ط س : يتصرف .

٥ د ط : وضمن الحملة (د : الحملة) حديثاً ؛ س : وضمن الحملة حريباً ؛ وهو الصواب .

٦ د ط س : النية .

٧ م : وسط ؛ ب : وسك .

وله من أخرى : وقد علمت الحضرة - صلواتُ الله عليها - أني مستمدٌ^١ التعلّقَ بجبلها من كتب ، ووارثُ التحقّقَ بفضلها عن كلاله أدب ، على هذا المهاد نشأتُ ، وبهذا القرارِ ثوّيتُ ، ومن هذا الثمر اغتديتُ ، وبهذه البصيرة تتوّجتُ وارتديت ، وقد كان للموفقِ أبي^٢ ، مولى الحضرةِ ، منزعٌ علقَ بسببه ، وأربٌ وسيمٌ أجملَ وسَم به ، أن يثبتَ في ديوانِ مكاتبها اسمه ، ويُلحِقَ في رسومِ خدمتها رَسْمَهُ ، ويحرزَ الخِصْلَ في ميدانه ، ويبرزَ في أفقه وزمانه ، ويحلّي مغربنا بما لم يكنْ حالياً به ، ويفضّ عُدْرَةَ أمرٍ لم يُهتدَ بلخانبه ، فوافاهُ حمامه - أكرمَ الله نزلَهُ - وهو في ذمائه يمهّدُ أكنافَ نيته ، ويقيمُ شرفاتِ بنيته ، فقضى ولم يُسْعِدْهُ القضاء ، ومضى ولم يكنِ الأَمْضى ؛ ثم دُفِعَ مولى الحضرة - أنا - إلى فتنٍ جدّبتَهُ عن تلك الفرائض ؛ وقبضته من تلك المعارض . ثم إن الله تعالى أيدَ مولى الحضرة فمهّدَتْ له هنيئاً من الظفر ، ونتجت [١٠٨ أ] له سنياً^٣ من الوطر ، فلما فرغَ لنيته التي كانت أمامَ ذكره ، وملءَ صدره ، أزمع الإيرادَ لآمالِهِ الحائِماتِ^٤ ، والسفورَ عن هممه المتقنّعات ، والإنزال لعزائِمِهِ^٥ المرَقِرّفات ، فها نحن واردو تلك الحياض ، وخارقو ذلك الوِفاض ، ومنبضون^٦ إلى تلك الآغراض ، فلسنا في تلك القوافي إقواء^٧ ،

١ ط د س : وقد كان لأبي .

٢ ط د س : شرافات .

٣ ط د : وفتحت . . . سيبياً .

٤ ط د س : لايراد إهماله الحاجات .

٥ ط د س : لغرائبه .

٦ ط د س : ومنبضون .

ولا في ذلك المضمار بطاء ، ولا سَهْمُنَا غِلاء . ومولى الحضرة مملأً من كرميه مؤيدٌ بجنوده : من كتائب ا تملأُ الفضاءَ ، وتغشي الدماءَ ، فتصدعُها بجبال كالرياح ، ورياح كالجبال ، ثانية الأقدار ، وثالثة الليل والنهار ، تحملُ من قد قانت^٢ من آسادٍ هي خدورها ، وصوارم هي غمودها ، وسهام هي كنانها ، وأفئدة هي جوانحها ، فلو لقوا المنايا لصرعوها ، أو ضربوا الجبال لصدعوها ، أو رموا الأوهام لقرعوها ، أو راموا النجوم لفرعوها^٣ .

وفي فصل منها^٤ : ولم يكن ليقدّم إليها غير الإستثمار ، ولا ليقتصد نحوها غير الإشعار ، لتكون بضائعه خوالص الإضمار والإظهار ، وطلائعه سوابق الإسناد والاستظهار ، فهي أعزُّ جناباً ، وأعظمُ مهابةً ، من أن يقرع إليها باباً إلاّ بإباحتها^٥ ، ويصل منها حجاباً إلاّ بسماحتها ؛ ولما جرّد مولى الحضرة هذا المذهب من البأو بمكاتبها ، ونحص^٦ هذا الأرب من التشرف بمراسلتها ، رأى من توقيرها وتكبيرها ، تقليدها من من يكون كفيلاً بها أو طيقاً لتحملها ، فندب لها من أبناء الوزراء ، وصفوة الظهراء ، من له السابقة المذكورة ، والعين المشهورة ، والأحوال الخطيرة ، والخلال المشكورة ، ودماثة الجانب وسكون الطائر ، مضمناً^٧ مركباً

١ ط د س : كتابه .

٢ ط د س : مات .

٣ ط د س : رمقوا النجوم لصرعوها .

٤ بداية هذه الفقرة في د ط : ولم يكن يقرع باباً . . . الخ .

٥ ب : باناختها ؛ ط د س : باجابتها .

٦ د ط : وخص .

٧ د ط س : فندب . . . وصفوة الظهراء لئلاّ مضمناً . . . الخ .

من مراكبه ، يدلُّ به مدلٌ^١ الليل بالصباح ، وينمُّ عليه كما نمتُّ على
 الزهر الرياح ، خلا أنَّ مَنْ سكنَ المغربَ الأقصى ، وجاور الثغرَ الأعلى^٢ ،
 وجاذب اللسانَ الآجفي ، وارتضعَ الجمجمة^٣ الخشناء ، والعجرفة الصماء ،
 ثم حاول حُرْمَةَ الخلافة العظمى ، والحضرةِ العليا ، وغشي مِصرَ الإسلام ،
 وتُخِبَةُ^٤ الأنام ، ومخفلَ الجماهير العظام ، فمعدورٌ أن تُعْشِيَهُ أنوارها ،
 ويُغْشِيَهُ إكبارها^٥ ، وتُحْصِرُهُ مهابتها ، وتُخْرِسُهُ جلالتها ؛ ومن
 فواضلِ الحضرة وسرعانِ إنعامها ، وبواكرِ إكرامها ، إرقاؤه إلى البساطِ
 المعظم ليلثمه ، وإدناؤه [من] الحزمِ المكرَّم ليستلِمَهُ . ولو أن مولى
 الحضرة يستعيرُ الروضَ نَشْرَهُ ، والمسكَ عطره ، والبحرَ دُرَّهُ ، والسحابَ
 قَطْرَهُ ، والزمانَ عُمْرَهُ ، وعطارِدَ نظمه ونثره ، فيسدِّ بها الأفقين ،
 ويملأ ما بين الخافقين ، ليوصلَ معتقده ، ويؤدي تعظيمَهُ وَحَمْدَهُ ،
 وينهي كُنْهَهُ^٧ ما عنده ، لما استوفتْ عِدَّةَهُ ، ولا سبَّرتْ عِدَّةَهُ^٨ . [١٠٨ ب]

وله من أخرى إلى الوزير هنالك^٩ : فالحضرةُ العليَّةُ معنيٌّ هو شَرْحُهَا ،
 وشمسٌ وهو صبحها ، وأذنٌ وهو قُرْطُهَا ، وجيدٌ وهو عقدها ، ومِعْصَمٌ

١ د : ينزل به منزلة ؛ ط : منزل به منزل ؛ س : مدل .

٢ ط د س : الادنى .

٣ د ط س : العجمة .

٤ د ط س : وثقة .

٥ د ط س : وتغشيه أقمارها .

٦ د ط س : والزمن .

٧ د ط س : كتمية .

٨ ب : ولا سيرت غده ؛ د ط س : شربت .

٩ ط د س : الوزير بها .

وهو سيّارها ، وعينٌ وهو نورها ، ورأسٌ وهو عينها ، ومبسمٌ وهو
 ثغرها ، وكفٌ وهو بنانها ، ورمحٌ وهو سينانها ، وحسامٌ وهو غرارها ،
 وسماءٌ وهو بدرها ، وروضٌ وهو زهرها ، وساقٌ وهو قدمها ، ذلّلَ
 لها المستصعباتِ ، وفتح لها المهلماتِ ، وأوضح لها المشكلاتِ ، وأضاء لها
 الظلماتِ ^١ ، وأن انتظامها به ، وكمالَ بهجتها بخدمته ، وتمامَ سعادتها
 بولايته ، وأرجَ نشرها بمظاهرتة ، وبروزَ سبقيها بمؤازرتة .

وكان للموفق أبي نهجٌ بمدخلتها ، ومفتتحٌ لمراسلتها ، لم يفارقهُ —
 روضَ الله مثواه — إلى أن فارقَ دنياه ، فكانتُ أبا عُدْرَتها ، وفاتقَ أكتها ،
 وفتحَ مُرْتَجِيها ، وسالكَ منهجها ، فبرزتُ ^٢ بين أبناءِ مغربي في مداخلتها ^٣
 وعَرَضَ صاغيتي وخدمتي عليها ، وتوفيدُ مكاتبي ومراسلي إليها ،
 في ^٤ مركبي الذي أعلمته خالاً في صفحةِ البحرِ ، وسويداءَ في مُقْلَنةِ العصرِ ،
 ووصلتُ بمكاتبي مَنْ هو لها كفؤٌ ، ولي ظهرٌ ونشأ ، من أبناءِ أهلِ الخطرِ ،
 وذوي الشرفِ والقدرِ ، ومن له الشيمُ الهاديةُ ، والريحُ الساكنةُ ، والمناصحةُ
 البالغةُ ، فلان ، [أحد أبناءِ الحضرةِ ، وذوي السَّروِ والقدرةِ] ؛ إلاَّ
 أنَّ أهلَ مغربنا مرتضعون العجمةَ ، مدرِّعون الحشمةَ ^٥ ، بمصاقبةِ الثغورِ
 الحشنةِ ، ومجادبةِ ^٦ الألسنِ الثقيلةِ ، وممازجةِ الأمزجةِ الكليلةِ ، فَمَنَّ ^٧

١ ط د س : المظلمات .

٢ ط : فمررت .

٣ د ط س : بمدخلتها .

٤ ط د س : وتوفير .

٥ ب م : من .

٦ ط د س : الحشنة .

٧ ط د س : بمحادثة .

دُفِيعَ مِنْهُمْ بَعْدُ إِلَى خِدْمَةِ الْخِلَافَةِ الْعَلِيَّةِ، وَجَاوَرَ الْأَلْسِنَةَ الْعَضْبَةَ، وَشَافَهُ
 النَّفْرَسَ الرَّطْبَةَ، وَدَاخَلَ الْأَمْزِجَةَ الْعَذْبَةَ، وَارْتَقَى إِلَى سَمَاءِ تِلْكَ الْعِزَّةِ،
 فَعَدَّرَهُ مُقْبُولٌ، وَأَمْرُهُ عَلَى الْاجْتِهَادِ الْأَصِيلِ وَالْإِعْتِقَادِ النَّبِيلِ مَحْمُولٌ^١،
 وَمَا الْأَقْلَامُ وَإِنْ مَدَحَتْ، وَلَا الْأَقْوَالُ وَإِنْ جَمَحَتْ، وَلَا الْأَوْصَافُ
 وَإِنْ سَمَّحَتْ، بِمَعْبَرَاتٍ عَمَّا عِنْدَهُ مِنْ حُسْنِ الصَّاعِيَةِ^٢، وَخُلُوصِ النَّاحِيَةِ،
 وَالْمَمَالَةِ^٣ الصَّافِيَةِ، وَالْمَنَاصِحَةِ الزَّكَاكِيَةِ، وَالخِدْمَةِ الْوَافِيَةِ؛ وَإِنْ بَعُدَ
 مِثْوَاهُ فَلَمْ يَبْعُدْ مَنْ كَانَتْ الضَّمَائِرُ وَسَائِلَهُ، وَالرِّيَاحُ رَسَائِلَهُ، وَلَا تَكْتُمُ
 النَّيِّرَاتُ عَنْ حَدَقِهِ، وَلَا تَنْحَرِفُ أَفْلَاكُهَا^٤ عَنْ أَفْقِهِ، وَلَا تَتَجَافَى [فِي]
 مَسَالِكِهَا عَنْ طَرَقِهِ.

وله من أخرى في مثله : وَإِنْ مَوَّلَى الْخِصْرَةَ الْعَلِيَّةَ لَمَّا حَمَلَ مِنْ
 تَأْمِيلِهَا مَا أَضَاءَ جَوَانِحَهُ، وَارْتَسَمَ مِنْ خِدْمَتِهَا مَا أَرَاهُ سَوَانِحَهُ، فَتَعْرِفُ
 الْيُسْنَ بَاكِرَهُ وَرَائِحَهُ، وَتَبَيَّنَ السَّعْدَ مُعَانِقَهُ وَمَصَافِحَهُ، تَفِيئاً
 بِرُودِ ظِلَالِهَا، لِيَدْرِعَ بُرُودَ تَشْرِيفِهَا وَإِفْضَالِهَا، وَارْتَضِعَ حِلْمَاتِ
 جَنَابِهَا، لِيَسْتَدِرَّ أَخْلَافَ طَلَابِهَا، وَاسْتَأْمِرَ بِخَطَابِهَا، لِيَحْظِيَ
 بِسِنِّي جَوَابِهَا [١٠٩ أ]، وَوَجَّهَ مِنْ صَفْوَةِ نِظَائِهِ أَبَا مَرْوَانَ بْنَ
 نَجِيَّةٍ، مَعْلِماً بِاسْتِثْمَارِهِ، مُسْتَظْهِراً بِأَشْعَارِهِ، بَعْدَ أَنْ صَفَّتْ نُطْفُ
 سِرَائِرِهِ، وَتَبَلَّجَتْ أَزَاهِرَ ضَمَائِرِهِ، وَثَرِيَتْ أَرْضُ صَاعِيَتِهِ، وَتَدَيَّتْ^٥

١ ط د س : وأمره محمول على . . . الخ .

٢ ط د س : الطاعة .

٣ ط د س : والمعاملة .

٤ ط د س : الأفلاك .

٥ ط د س : بما .

٦ س : ورويت ، د ط : ووريت .

روضُ طاعته ، وكادتُ تورقُ صَمَآةُ طرفه ، وتُعشِبُ حَصَى أفقه ،
وتطلعُ من عزيمته الشمس ، وتثمر آماله قبل الغرس^١ ، وكاد الجسمُ يسبقُ
النفس ، والناظرُ يقدمُ الحسَّ ، بصريمة تخلج خلاج المنتوى ، وتحتزُّ وداجَ
النوى ، عودها نُضَارٌ لا عَرَار ، وسرها محضٌ لا سَمَار^٢ .

وفي فصل من أخرى : حضرةُ سيدنا - أيده الله - قلائدُ يَروُقُ
على نَحْرِ الخِلافةِ نظامها ، وتحفُّقُ على عاتق الثريا أعلامها ، تبرىءُ
الأسماعَ من صممها ، وتشفي الصدورَ من حرها ، وتصحُّ الجسومُ من وصبها ،
وتريحُ النفوسَ من نصبها ، كما تصكُّ أسمعَ العدا ، وتخلعُ قلوبَ من
ناوا ، وتقضُّ جِسمَ من عصى ، وتقطعُ وريدَ من اعتدى ،
فهي حياةٌ وردى ، وشهبٌ وقضبٌ ، ونجومٌ ورجومٌ ، لا برحتَ تمطر
الوليَّ ربيعاً ، والعدوَّ نجيعاً ، ولا زال سيدنا حسامَ عاتقِ الملك ، وواسطةَ
ذلك السِّلِك ، وخالصةَ ذلك السبك ، فإنه سرى إليّ من مآثرِ حضرته
ما أنجلت المسكَ رياه ، وكسف الشمسَ بحياه .
ولم يحضرني من شعرِ أبي الأصبغِ حين تحرير هذه النسخة إلا هذان
البيتان من مرثية في ابنته :

انكسفي ويحكِ يا شمسُ وازهَ بما ضُمَّتتَ يا رمسُ
في سرِّ أجفانك لي مقلةٌ وبين أضلاعك لي نفس

وابنه أبو عامر^٣ : بوادي آش من عمل المريّة ، ناظمٌ نائر ، ولم يقع

١ ط د س : وكادت تثمر . . . الشمس .

٢ السمار : اللبن المشوب .

٣ القلائد : ١٣٢ والنفح ٣ : ٤٩٩ والخريدة ٢ : ٣٩٨ ، وسقط هذا الفصل كله من د ط س ،
ولم يشر ابن بسام في فهرست كتابه الى انه سيترجم له ، وقد زاد ما هنا عما في القلائد ، =

إليّ من شعره ما أجعله سبباً إلى ذكره، إلاّ ننفث يسيرة تدلّ على انطباعه،
كدلالةِ الفجر على انصداعه ؛ له ١ :

سريتَ والليلُ من مسراكِ في وهلٍ
وسرتَ في جحفلٍ يهدي فوارسهُ
هوتَ أعاديكِ من سارٍ يؤرّقسهُ
إذ الملوكُ نيامٌ في مضاجعهم
لله صومُك من أيامٍ ٢ فطرهمُ
نحرتَ فيه الكمأةَ الصّيدَ محتسباً
إذا صريرُ المدارى هزهم طرباً
وإن ثنتهم عن الإقدامِ عاذلتهُ
كم ضمّ ذاك العيدُ من لاهٍ به غزلٍ
« في الخليل والخافقات البيض لي شغلٍ
ظلمتَ يومك لم تنقع به ظمناً
وكلما رامت الرومُ الفرارَ أتت
فصار مقبلهم نهياً ومدبيرهمُ
فكم فككت من الأغلال عن عنق
أنت الأميرُ الذي للمجدِ همتهُ
وللمواهبِ أو للخطِّ أنمله

= فإذا حكمتنا: أن هذه الترجمة دخيلة فمعنى ذلك أن الذي أدرجها هنا اعتمد على القلائد
ومصدر آخر؛ وفي ط د س : وابنه أبو عامر بجهة المرية ناظم ناثر ، ولم يقع إلي أيضاً ما
أجعله سبباً لذكره ؛ اه .

١ هذه القصيدة في مدح الامير المرابطي عبد الله بن مزدلي .

٢ القلائد والحريفة : برأ يوم .

لمزدليّ لواءٌ كان يرفعونه^١ مناسبٌ كالضحى والشمس في الحمل
 الجابرين صدوع المعنفي كرمًا^٢ والكاسرين الظبا في هامة البطل
 والعادلين عن الدنيا وتضرتها والسالكين على الأهدى من السبل
 خير التبايع والأذواء من يمتنٍ والغالين على الآفاق والملل
 يسودُ في آخر الأعصارٍ آخرهم وساد أولهمُ في الأعصر الأول
 يا أيها المالكُ المرهوبُ صوتكتهُ والمرتجى غوثهُ في الحادثِ الجلل
 من كابدَ العدمَ لم يكمل له أملٌ والعدمُ من أقطع الأشياء بالأمل
 فاصفحْ لعبدك يا مولاه مغنفرًا ما كان من خطأٍ أو منطقٍ خطل

وكتب شافعًا^٣ : سيدي الأعلى ، وعلقي الأعلى ، وسراجي ، الأجلي ،
 ومَن أبقاه الله والأمكنةُ بمساعيه فسيحة ، والألسنةُ بمعاليه فصيحة ،
 موصلتهُ^٤ - وصل الله جندك - حيوانٌ ، يصفُرُ كلَّ أوان ، ويسفر
 بين الإخوان ، رقيقُ الحاشية ، يعتمدُ على كرواء ، ويستمعُ بخدواء^٥ ،
 وينظرُ من عينٍ كأنها عينٌ ، ويلفظُ بمنقارٍ كأنه من قار ، يسلي المحزون ،
 بالقطع والموزون ، وينفَسُ عن المكظوم ، بالمشور والمنظوم ، مسكي الطيبان ، تولد
 بين الطائر والإنسان ، كما سمعتَ بِسمعِ الفلاة ، وعمرو بن السَّعلاة ،
 قَطَعَ من منابت الربيع ، إلى منازل الصقيع ، ومن مطالعِ الزيتون ، إلى

١ ب م : مردل ولي له كان تدفعه .

٢ ب م : لكما ؛ القلائد : طم ، والتصويب عن الحريرة .

٣ القلائد والحريرة : وكتب شافعًا لرجل يعرف بالزرير .

٤ القلائد : وشهابي .

٥ ب م : موصله .

٦ الكرواء : الساق الدقيقة ؛ الخدواء : الأذن المسترخية ؛ ب م : كوراء . . . لخدواد ؛

القلائد : كدواء . . . بجهدواء .

مواقع [١١٠ أ] السحابِ المتهون ، فصادف من الجليد ، ما يُذهب قُوَى الجليد ، ومن البردِ ، ما لا يدفعه الريش والبرد ، والحدائقُ قد غمّضتْ أحداقها ، وانحسرتْ أوراقها ، والبطاحُ قد قيّدتِ الفور ، بحبال الكافور ، وأوقعتِ الصرد ، في حبائلِ الصرد^١ ، فمنيّ البائسُ بما لم يعهده ، كما وُسِمَ بالزورِ مَنْ لم يشهده . ولما قال رأيه ، [وأخفق]^٢ أو كادَ سعيه ، التفت إلى عطفةِ أشمط ، وإلى أديمةِ أرقط ، فراح ، ثم سوّى الجناح ، وقد أنكر مزاجه ، ونسي ألحانهُ وأهزاجه ، ولا شك أنه واقعٌ بفنائك ، راشفٌ من لئائك ، أملٌ حُسنَ غنائك واعتنائك ، وأنت بارقٌ ذلك العارض ، ورائدٌ ذلك الأئنفِ البارض ، تهيءُ له حبباً ، يجزيكَ عليه ثناءً وحبباً ، وقد تحفظتْ يا سيدي رسائلَ ، جعلتْ له وسائلَ ، فسام بها أهلَ الآداب^٣ ، سوءَ العذاب ، ودعا البطيءَ منهم إلى الإهذاب^٤ :

* وابنُ اللبونِ إذا ما لُزَّ في قرَنٍ ° *

لا زلتَ منافساً في العلوم ، آسماً للأحوالِ والكلوم ، إن شاء الله عز وجل .

وله في أبي محمد الزبير بن عمر^٦ ، مكّنَ الله سَعْدَه ، وقد تقدّم

١ الفور : الطباء ، والكافور هنا كناية عن الثلج ؛ والصرد : طائر فوق العصفور ، والصرد : البرد .

٢ زيادة من القلائد .

٣ ب م : الأدب .

٤ الإهذاب : الإسراع .

٥ عجز البيت : لم يستطع صولة البزل القناعيس ؛ وهو حجرير كما في اللسان (قنعس) وانظر ديوانه : ٢٥٠ (ط . صادر) .

٦ الزبير بن عمر أحد ولاة المرابطين بالاندلس ، ولي قرطبة ، وفي سنة ٥٢٦ امر علي بن يوسف باضافة ولاية قرطبة الى تاشفين وتحويل الزبير الى غرناطة (المغرب ٤ : ٨٧) =

مَرَّضٌ وَأَرَادَ الْغَزْوَ :

صَحَّتْ بِصِحَّةِ جِسْمِكَ الْأَحْوَالُ^١ واسترجعت أرواحنا الآمال^٢
ووقى الإمارة مَنْ وَقَاكَ بِمَنَّهُ فسرى^١ إليها السَّعْدُ والإقبال
والتَّاحَ نَدْرٌ لِلْعَلَا مَتَأَلَّقُ^٣ واهتزَّ غُصْنٌ لِلنَّدَى مِيَال
واعْتَادَ [مِنْ] بَعْدَ الذَّبُولِ نَضَارَةٌ^٤ واعتاد بعد النقصِ ذاك^٢ كمال
لَمْ يَثْنِ عَزْمَتِكَ الضَّنْبِيَّ عَنِ وَجْهَةٍ^٥ فيها نكالٌ للعدا وقتال
فَأَخَذَتْ بِالْأَثَرِ الصَّحِيحِ وَإِنَّمَا بِيَدِ الْإِلَهِ الْبُرْءُ وَالْإِعْلَالُ
لِللَّهِ أَخْلَاقُ الزَّبِيرِ فَانْهَسَا للمعتفين الروضة المحسّال
وَمَحَاسِنٌ مِنْهُ تَرُوقُ ، بَعْضُهَا سادت على مرّ الزمانِ رجال
فَمُنَاسِبٌ وَمُفَاخِرٌ وَمَعْسَارُفٌ^٦ وديانةٌ وبسالةٌ ونسـوال
أَرْجُو مَسَاعِيهِ وَأَمَّا مَا لُتْسِه^٧ فعليه إن مالَ الزمانُ يُمَالُ
لِكِتَابَتِهَا مُسْتَعْجَلًا إِذْ مَا تَنِي^٨ لا يقتضى بنسيتها استعجال
سَيَكُونُ مِنْهُ وَإِنْ بَعْدَتْ تُحْدَمُ يُدْني المرادَ ، وإن سكتُ مقال
لَا زَلْتِمَا فِي عِزَّةٍ وَسَعَادَةٍ^٩ تغشاكما من أجلها الآمال [١١٠ ب]
وله في الأمير تاشفين^٤ :

= ومن ثمّ عدّه ابن سعيّد (المغرب ٢ : ١٢٧) صاحب قرطبة كما عدّه صاحب مفاخر البربر
(٨٢) من ولاية غرناطة ، لأنه ولي البلدين ، وهو صاحب منية الزبير (نفتح الطيب ١ :
٤٧١) والشاعر ابي بكر ابن الابيض اهاج فيه (النفتح ٣ : ٤٨٩ - ٤٩٠) وقال فيه
ابو بكر الصيرفي مؤرخ دولة المرابطين « ندرّة الزمان كرمًا وبسالة وحزمًا واصالة » (الاحاطة
١ : ٤٥٨) .

١ ب : فبدي . ٢ ب م : واعتاد العز الذبول واعتاد بعد ذلك النقص .
٣ ب م : ولغائني .

٤ تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين : احد رجالات المرابطين شجاعة وبلاء في الاندلس
وزهداً وصلاحاً ، ولاه ابوه على امارّة غرناطة والمرية سنة ٥٢٣ ثم اضاف اليهما قرطبة ، =

أيا أيها الملكُ الأعظمُ أضاءَ بكَ الزمنُ المظلمُ
وزينته منك تلك العلا كما ازدانَ بالغرَّةِ الأدهمُ
أدال الشقاءَ لنا بالنعيم فينعمُ مَنْ كان لا ينعم
وأقبلَ مستعباً مثلما تنصَّلَ من جرِّمِهِ المجرمُ
فنشكرُ نعي أانا. بهسا ولا بدَّ أن يُشكَّرَ المنعمُ
نهضتَ وحوالك لمتونة كما حفَّ بالقمرِ الأنجمُ
بكلِّ أغرِّ طويلِ النجاد له المجدُ والشرفُ الأقدمُ
يلوذُ به البائسُ المعنفي ويرهبُهُ الفارسُ المعلمُ
إذا سفروا فهمُ كالبدور وهمُ كالآهليَّةِ إن لُثموا
فيا حُسنهُم إن تجلَّوا ضحى وقد ركَّبوا الخيلَ واستلأموا
ومدَّهم اللهُ من عنده يجنِّدُ من النصرِ لا يُهزِّمُ
فحكَّمهم في الذي أمَّلوا وأظفرهم في الذي يعموا
وحلَّوا بارضِ العدا فانبرت على كلِّ ناحيةٍ صيلمُ
فكلَّ رجالهمُ قتلوا وكلَّ معاقلهمُ هدموا
كأنَّ الجماجمَ بذرُّ لهم وسَقَى الذي بذروه الدمُ
فقلْ لرئيسهمُ أين ما حكمتَ لقد ساء ما تحكمُ
تعاطى الثبوتَ على زعمه فلم يُغنِ عنه الذي يزعمُ
ورامَ الفرارَ فلا مَجْهَلُ يفرُّ إليه ولا مَعْلَمُ
وأضحى ومركوبُهُ أبلقُ فأمسى ومركوبُهُ أدْهَمُ
أنى والبنودُ على رأسِهِ مهاناً وتحسبُهُ يُكْرَمُ

= فكانت له معارك في الجهاد مشهورة ، ولما توفي أبوه سنة ٥٣٧ خلفه في امرة المسلمين ،
وقد خاض الحروب ضد الموحدين ، ولقي مصرعه سنة ٥٣٩ (انظر الاضافة ١ : ٤٥٦
والمغرب ٤ : ٧٩ وما بعدها) .

يصرصر عقبانها فوقه^١ ويصفر من بينها الأرقم
لتهناً هذي الفتوح التي تناسق كالدر إذ ينظم [١١١] أ
على الشرق والغرب من عزها حفيظ^٢ ومن حسنها ميسم
ولولاه كان السرور الذي أقرت العيون بها مآتم
رجوت الأمير لعلمي به وما جاهل^٣ مثل من يعلم
وقلت عسى المحل أن ينجلي ويعقبينا الوابل^٤ المثجم
فقد يقرب^٥ النازح المتأني وينفتح المغلق^٦ المبهم
بني تاشفين سلمت^٧ لنا فهما سلمت^٨ لنا نسلم
وأنت لدين الهدى عصمة^٩ بها يحتمى^{١٠} وبها يعصم
خلافتم غير^{١١} مجهولة^{١٢} وسر^{١٣} إمامتكم تعلم
فلو ينطق^{١٤} الله فينا الجماد^{١٥} لناجتك^{١٦} - أعظم^{١٧} بها - زمزم

فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي المطرف بن مثنى^١

وهو عبد الرحمن بن أحمد بن صبغون^٢ ، استوزره المأمون يحيى
ابن ذي النون عدة سنين ، ورمى إليه بيده^٣ ، في تدير بلده ، فاستقل بأعباء^٤
ما تقلد^٥ ، وغار ذكره^٦ وأنجد .

١ من اهل قرطبة وسكن بلنسية ، انضم الى المأمون صاحب طليطلة بعد انفصاله عن المنصور
عبد العزيز بن ابي عامر ، وقد انتفع به الناس في وزارته لدينه وسكون طائره وسلامة
باطنه وظاهره ، وكانت وفاته ببلنسية ليلة الاثنين الليلتين خلطنا من صفر سنة ٤٥٨ ودفن
يوم الثلاثاء بعده ، ذكره ابن حبان وأطال في الشناء عليه (انظر التكملة رقم : ١٥٥٥ و ذكره
صاحب النفع ٣ : ٥٥٩ ولكنه خلط بينه وبين ابي مروان عبد الملك بن مثنى ، وهذا
الثاني ترجم له في المطمح : ٣٠) .

٢ د ط س : محمد بن صبغون .

٣ د ط س : قلد .

قال أبو مروان بن حيان^١ : وكان أبوه أحمد^٢ من أبناء أكابر الفقهاء بحضرة قرطبة^٣ بعهد الجماعة ؛ وكان أبوالمطرف عفيفاً دمثاً طاهر الأثواب ، حُلُوَ الشمايل مُطَلَّقَ البشر ، متحققاً بصناعة الكتابة ، بذاً أهل وقته في البيان والبلاغة ، وكان مع ذلك يحملُ قطعةً وافرةً من علم الحديث وأنواع الفنون ، وتوفي رحمه الله سنة ثمان^٤ وخمسين وأربعمائة .

فصل من رقعة فيها طول لأبي الفضل محمد بن عبد الواحد البغدادي^٥ إليه منها : أطال الله بقاء سيدي ، وجعل درج^٦ المعالي مستقرةً تحت قدمه ، وسُرج المساعي مُسْفرةً عن بوارق هممه ، وظامئات الأمانى رويّةً من لُعب سنّ قلمه ، وعدّبات الإقبال منوّطةً بالوَيّة عزائمه وآرائه ، وسطوات الأقدار مربوطةً بأروية^٧ مآربه وأنحائه ، وصبّ نُوب^٨ الزمان على حسدته وأعدائه .

وفي فصل منها: وقد كانت - [أيدك الله]^٩ - رياض أخباره تزهرُ عندي بنوار خلايقه الزكية التي هي أشهرُ من فلقِ الصباح ، وتعقبُ بحاسنه^{١٠} الرضيّة التي هي أسيرُ في الآفاق من هبوب الرياح ، [١١١ ب] فتلطفُ بنوافير الأرواح ، حتى كأنها المصافاةُ بين الماء والراح ، فترتعُ الأسماعُ

١ قال . . . حيان : سقطت من ط د س .

٢ ط د س : محمد .

٣ ب م : بقرطبة .

٤ د ط س : ثلاث .

٥ ترجم له ابن بسام في القسم الرابع من الذخيرة (المطبوعة ٤ / ١ : ٦٧) .

٦ د ط س : درجة .

٧ الاروية : الحبال ، المفرد : رواء . ٨ د ط س : وصرف نوائب .

٩ لم ترد هذه الزيادة في س .

١٠ د ط س : محاسنه .

من تَضَارَتَهَا فِي مَرْتَعٍ خَصِيبٍ ، وَتَرَفُلٌ مِنْ غَضَارَتِهَا فِي ثَوْبٍ مِنَ الْأُنْسِ قَشِيبٍ ، فَلِلَّهِ هَذِهِ الْمُنَاقِبُ الَّتِي جَعَلَتِ الْعَيْنَ حَاسِدَةً لِلْأُذُنِ ، وَالْفَضَائِلُ الَّتِي حَاجَزَتْ^١ بَيْنَ الْقَلْبِ وَالْبَدَنِ ، فَكَلِمَا أزدادت بالأخبار بضائعها أرباحاً ، أزدادت النفوس إلى تَبْضُعِهَا طَرَباً وَارْتِياحاً ، وَكَلِمَا رَكُضَتْ دُهُمُهَا فِي مِيَادِينِ الْفَضَائِلِ مَرَاحاً^٢ ، اسْتَفَادَتْ بِالْإِحْمَادِ غُرَرًا وَأَوْضَاحًا .

ومنها : وَكُنْتُ مَرَرْتُ بِبِلَادِ شَمُوسِ الْفَضَائِلِ^٣ فِي آفَاقِهَا مَكْسُوفَةٌ ، وَعِيُونَ الْعِلْمِ وَالْآدَابِ^٤ فِي عَرَصَاتِهَا مَطْرُوفَةٌ ، وَسِتَائِرُ الْأَحْرَارِ بَيْنَ أَهْلِهَا مَهْتُوكَةٌ مَكْشُوفَةٌ ، وَجَنَبَاتُهَا بِأَنْوَاعِ الْبَلَاءِ مَحْفُوفَةٌ ، وَقَدْ نَضَبَتْ فِي رِبَاعِهَا مِيَاهُ الْأَمَانَةِ وَالْأَمَانِ ، وَتَبَعَتْ بَيْنَ أَهْلِهَا عِيُونَ الْخِيَانَةِ وَالْبَهْتَانِ ، وَضَعُفَ حَبْلُ الدِّيَانَةِ فِيهِمْ وَالْإِيمَانَ ، فَجَنَحُوا إِلَى جُحُودِ النِّعَمِ وَالْكَفْرَانِ ، وَتَوَسَّعُوا فِي مَطَاوِعِ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ ، فَأَبْدَلَهُمُ اللَّهُ مِنَ النُّورِ فِي أَحْوَالِهِمْ ظُلَامًا ، وَبِالْحِلَالِ فِي مَكَاسِبِهِمْ حَرَامًا ، وَخَصَّ أَسْعَارَهُمْ بِالْغَلَاءِ ، وَجَمَعَهُمْ بِالْفَسَاءِ ، وَلَفِيفَهُمْ بِالتَّشْتِيتِ^٥ وَالْجَلَاءِ ، وَلِلخِرَابِ مَا يَعْمُرُونَ ، وَلِلْقَتْلِ مَا يَلْدُونَ ، وَلِلنَّهْبِ مَا يَجْمَعُونَ ، وَلِغَيْرِهِمْ مَا يَكْسِبُونَ ، ﴿ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (الزمر : ٤٨) ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ (هود : ١٠٢) .

١ ب م : فأخرت .

٢ ب م : فراحا .

٣ د ط س : الفضل .

٤ د ط س : والآدب .

٥ ط د : الأمانة .

٦ د ط س : مطالمة .

٧ د ط س : بالتشتيت .

ركبتُ جواداً من العزم قلّما امتطاه راكبٌ إلاّ فاز بمبتغاه^١ ، وشكرَ
دأبَ سيّره^٢ وسُراه، وثلثُ درعاً سابغة من الخزم^٣ لم يندم^٤ على ادّراعها
لابس ، ولا استثقل^٤ حمّلتها من الرّجال أخو نَجْدَة ممارس ، فكّتْ
عني حلقَ الخُدعِ من الأعداءِ والمكايِدِ ، وحلّتْ دوني عُقدَ الحبالِ
منهم والمراصد ، فخلصتُ من دواعي احتفالهم خلوصَ الخمرِ من نسج
القدام^٥ ، والشمسِ من تحت الغمام ، ولم أزلْ أقطعُ المفاوِزَ مسجورةً ،
وأجزعُ الطرقَ مشحونةً باللصوص والدعّار ، أخفي نفسي إخفاءَ القنفذِ
رأسه ، واكتمُ حسيّ كتمانَ الغرابِ سفاده .

وفي فصل : وأكبرتُ أنْ أفارقَ بلد الأندلس وقد أظهر الله فيه^٦
إحدى آياته ، الدالّة على عظم^٧ معجزاته ، الناطقة بصحّة براهينه وبيّناته ،
بسيّدنا المأمونِ بن ذي النون - أطال الله بقاء سلطانه ، وقوّى دعائم ملكه
وأركانَه - الذي أيّده الله بعناية بسطت قدرته ، وأعلّت كلمته ، فأضرمتُ
شهابَ هيبتِه فمألت القلوبَ رعباً^٨ ، وأذكت^٩ بوارقَ سطوته فاختطفتِ
النفوسَ شرقاً وغرباً ، ومدّتْ بحارَ سحائبه [١١٢ أ] فاستملك الرقابَ

١ ط س : بمبتغاه .

٢ د ط س : سهره .

٣ ب م : العزم .

٤ د ط : استقل .

٥ من قول المتنبي :

وضاقت خطّة فخلصت، منها خلوص الخمر من نسج القدام

٦ ب م : فيها .

٧ د ط س : عظيم .

٨ ب م : رعباً .

٩ ط س : وأدجت .

عُجْمًا وعرباً ، لأَجَلَوْ قذى ناظري ببهيّ طلعتة ، وأزينَ أصغريّ^١ بتحبيرِ بدائعِ مدحتة ؛ وقد كاتبتُ الحضرةَ العالمةَ تلويحاً بما ذكرتهُ ، راغباً في ما اقترحتة ، من تحسينِ عَرَضِهِ بالموقفِ الأشرفِ زاده الله شرافةً ، وتجديدِ المأثرةِ^٢ في النياحةِ عنيّ به ، وسترِ عورةٍ إن مرّت ، وإقالةِ عثرةٍ إن خَطَرَتْ .

فأجابه ابنُ مثنىّ برقعةٍ أيضاً فيها طول يقول فيها^٣ : وافى كتابك ، فحين لحظتهُ تَلَقَّيْتُهُ بيدِ المقدم ، والتزمته التزامَ المحبِّ المكرم ، وقلتُ عندما استوعبتُ أنواعه وفنونه ، واستوضحتُ محاسنه وعيونه ، وقيّد نورَ الحظي عيانه ، وجلا صدأ فؤادي بيانه : هذا السحرُ الحلالُ ، والعذبُ الزلال ، والدرُّ راقٍ في نظامه ، والنورُ تفتح عن أكامه ، والقطرُ أنهل من غمامه ، وهكذا تكونُ جزالةُ الأفاضل ، وصفاءُ المواردِ والمناهل ، وصحةُ الالتئامِ^٤ والاتفاق ، والاطرادِ والاتساق :

فكائنٌ فيه من معنىٍ خطيرٍ وكائنٌ فيه من لفظٍ بهيٍّ

ففضوت^٥ عن منكبيّ رداءَ الوقار ، واهتززتُ اهتزاز [المهند بيد] البطلِ المغوار ، ولما استقرتُ ما حواه ، واستوعبتُ ما طواه^٦ ، قلتُ : هذه مكارمُ الأخلاق ، وبدائعُ أنفاسِ العراق ، وأنحاءُ ذوي الأفهام والألباب ،

١ د ط س : واقيم صمري .

٢ ب : المايابة .

٣ د ط س : برقعة منها .

٤ د ط س : الاقسام .

٥ البيت لابني تمام ، ديوانه : ٣٥٥ .

٦ ط س : فتصوب .

٧ د ط س : وعاء .

ومأخذُ أهلِ الفضلِ^١ والأحسابِ ، وقد كان أدهشني ما اخترعت ،
وعمر^٢ فكري ما شرعت ، فناديتُ نفسي وقد استشرفتُ أوتبها ، ونازعتها
وقد شرقت^٣ أودبها : حذارٍ من زلّةِ القدمِ ، ومأثورِ الكلمِ ، يا نفسُ قفي عند
مقداركِ ، وكفّي من غلوائِكِ ، وأعلمي مُنتهىَ خطوكِ^٤ ، ومدى شأوكِ ،
فقد رمتُ بغدادُ بأفلاذِ كبدها إلينا ، وأطلعتْ نسيجَ وحدهِ علينا ، فأتى لك
بمعارضتهِ وقد باهى به على أبنائهِ الزمنُ ، وخترستِ في أوصافهِ وخلاله^٥
الألسنُ ، فلا تتمرسي لهذا الألميِّ النَّقَابِ ، داهيةِ الغبر^٦ ، وعلمِ
البشّرِ ، فما أبعدَ ما بين العلوّ والخفضِ ، والسماءِ والأرضِ ، وأين النورُ
من الظلمةِ ، والإفصاحُ من العجْمَةِ ، ورقةُ الطبعِ من جفائه ، وكبدرُ
الجوِّ من صفائه ، وكيف مجارةُ الكودنِ للعتيقِ ، ومقارنةُ التشبيهِ بالتحقيقِ ؟ !
وكيف نُجارِيهم ، وإنما نُحكِيهم ، وهل نحن - أهلَ هذه الجزيرةِ النائيةِ
عن خيارِ الأممِ ، المجاورةِ لحماهيرِ العجمِ - إلاّ أجدُرُ البريةِ باللكنِ ،
وأولاها بعدمِ الفطنِ ، وأخلقُها بالخرسِ ، وأحقُّها بغلطِ الحسِّ ؟ !
فلم يتقرّعَ سمعَ ابنٍ من أبناءِ خاصتنا^٧ عند ميلاده ، ولا خامرَ طبعَ الرضيعِ
منهم في مهده^٨ ، إلاّ كلامُ أمةٍ وكعاءَ ، أعجميةٍ خرقاءَ ، ولا

١ د ط س : ومأخذ الفضائل .

٢ ط : وعمر .

٣ د ط س : بُزقت .

٤ ط د س : خطرك .

٥ د ط : وحلاه .

٦ من قول الحرمازي : داهية الدهر وصماء الغبر ؛ راجع المعاني الكبير : ٦٧١ واللسان
(غبر) وفصل المقال : ١٤١ ؛ والغبر : الماء الذي قد غبر زماناً غير مورود ولا يقربه
احد من أجل تلك الصماء وهي الحية .

٧ د ط س : سمع طفل منا .

٨ د ط س : ولا خامر رضيعنا في مهده ..

ارتضعَ إلاّ ثديها ، ولا اكتسبَ إلاّ عيّها ، ولا سكن [١١٢ ب] إلاّ
 في حِجْرها ، ولا مرّنَ إلاّ بتدبيرها ، حتى إذا صار في عديدِ الرجال ،
 وانتهى إلى حدودِ الكمال ، باشر طوائفَ النصرانيةِ فخطبهم بألستهم ،
 وجدّ في حفظ لغتهم ، وعانى طباقهم^١ ، وكابد أخلاقهم ، أفليس الذكاءُ مع
 هذا أبعَدَ من ذُكاءِ عنه^٢ ؟ وأما العامةُ منا^٣ فقد انقطع فيها المقالُ ، وصحّت
 المخيلةُ والحالُ^٤ ، فلما قرّعتها^٥ هذا التفريع ، وروعتها هذا الترويع ، عادت
 إلى الحمود ، بعد الوقود ، وآلت إلى الفتور والحمول ، وعادت بالنكوس^٦
 والنزول ، قد انفلّ حدّها ، وآل سكوناً تحريكها وجدّها ؛ ثم لم
 أستبدّ أن أجري في ميدانِ الرأي جوادَ نظري ، وأرسلَ في أرضِ الاختبار
 رائدَ فكري ، وأرفع عن النفسِ غطاءَ التّركِ ، وأخلص الصوابَ عن الإبريز
 من السّبك ، ورأيتُ ما في التوقّفِ عن مطالعتك ، من الإخلال بمكارمتك ،
 فرشح جيبني عرقاً ، وانزعج قلبي تحرقاً ، فراجعتُ مخاطبةَ النفسِ ، ممسكاً
 من وحشتها بطرفٍ من الأُنسِ : إن أبا الفضل الفاضل سيدي — دامت حياته — ،
 قد ناداني^٧ بلسانِ وداده ، وأوماً إليّ ببنانِ اعتقاده ، وأطار نحوي طائرَ
 الارتياح ، فلم يقعُ مني إلاّ على ثمرةِ الفؤاد ، وحنّ إليّ حنينَ الألوْفِ الأليفِ ،
 وواصلني مواصلةَ الحليمِ الحليفِ ، وأهدى إليّ نزاعه ، وألقى عليّ بَعاعه^٨ ،

١ د ط س : وعامل طبقاتهم .

٢ ط د س : فالذكاء مع هذا منه . . . الخ .

٣ د ط س : وأما عامتنا بعد .

٤ ب م د ط س : وصحت الحيلة والحال .

٥ ب م : أقرعتها ؛ د ط : فزعتنا هذا التفريع وروعتها ؛ س : أفرعتها . . . التفريع .

٦ ب م : بالنكوس .

٧ ب م : قد نادى .

فكيف لي أن أعدلَ عمن إليّ أقبلَ ، وأصدفَ عمن بي كلف ؟ فعارضتني أشدَّ المعارضة ، وناقضتني أبلغَ المناقضة ، هيهات ! لا يُبلِّغُ الحَضْمُ بالقَضْمِ ، ولا يَنْتَهِي منالُ الكفِّ إلىٰ مباراةِ النجمِ ، فاسلكِ النهجَ القويمَ ، فمَنْكَ مَنْ أَعْتَبَكَ ، وأخوكَ مَنْ صَدَقَكَ ، فوجدتني بين حالي اضطرارٍ، ليس فيهما حظ لمختار^٣، فإما أن أعتدَّ المخاطبةَ، وألتزمَ المكاتبةَ، على علائي ، ونبوَّ شَبَاتِي ، بطبعِ كليلٍ ، وذهنٍ غيرِ صقيلٍ ، وإما أن أرفضَ المراجعةَ رفضَ المليمِ ، فأكونَ عينَ الجاني^٤ ، الذميمِ ؛ فأنفذتُ كتابي مبتغياً وجهَ موافقتك وإرضائك ، ومتوخياً مضمونَ تعمدك وإغضائك ، وأنك إن ألفتَ حسنًا تناهيتَ في نشرِهِ ، أو عاينتَ قبيحاً طويته على عرِّه ، وبودِّي أن معتمدي لا يسلِّطُ عليه حقيقةَ نقده ، ولا يصرفُ إليه مُرْهَفَ حدِّه ، وأن يلمحه بأقلِّ ملح ، ويسمحَ فيه أفضلَ سمح .

وأما ما أرجعُ إليه وينطقُ لساني به من الإشادة بالشكرِ، الذي أبغيه سمةً في وجه الدهر ، والكنايةِ عن العهدِ الذي هو أثبتُّ من ثبير ، وأطيبُ من الماءِ النмир، فلو أمكنني أن أوصلَهُ إليك على متونِ الرياحِ لأَوْصَلْتُ، ولو أُتِيحَ لي أن أمثله لك حتى تراه لثلثُ ، وقد استوفيتُ ما جال به بيانك الذي عَدُّبَ منهله وَمَشْرَبَهُ ، وشفَّ جوهره ورفَّ ذَهَبَهُ ، [١١٣ أ] واصفًا وصفَ المستكمل ، ومَوْضِحًا إيضاحَ المحتفل ، وفهمتُ ما نصصتُهُ

١ ط د س : أشد .

٢ ط د س : مقال إلى .

٣ من قول الأعشى :

فقال ثكل وهدر أنت بينهما فاختر وما فيهما حظ لمختار

٤ ب م : الجاني ؛ ط د س : الجاني .

فيما سنتُّ لك عوائدُ الأيام ، من الانتبازِ^١ عن الطوائفِ الثام ، الذين
ألبستهم ملابسَ الملام^٢ ، وحليّتهم بحلي المدام^٣ ، حتى لشغفنتُ بوصفهم
الأفكارَ ، فأوجبتَ الاستعاذةَ والاعتبارَ ، وأتيتَ بأغربِ الشنَعِ ، في
ما أوردتَ من تلك اللمع ، وسردتَ القولَ الرفيعَ سرداً ، فكأنما نظمتَ به
في جيد الدهر^٣ عقداً .

وإنك - أعزك الله - لما نمي إليك ما تحملته الركائبُ ، وأثنتُ به الحقايبُ ،
وغمرَ المسامعَ ، وعمرَ المشاهد والمجامعَ ، وامتألتُ منه الآفاقُ ، ووقع
عليه الإصفاقُ ، من محاسنِ المأمونِ ذي المعجدين التي هي كالنجومِ اعتلاءً ،
والصباحِ انجلاءً ، والروضِ بهاءً ، وأنك شيمتَ من كرم شيمته برقَ
النجاحِ ، وأمّلتَ أن تضربَ في خدمته بمعلَى القيداحِ ، أحببتَ أن ترميَ
إليه بعزمتك ، وتقدفَ نحوه بهمتك ، فتجلوَ ناظرك ، وترهفَ خاطركَ ،
بمجاورةِ بحرِ المنى ، وفخرِ الزمنِ ، وزعيمِ الأنامِ ، وكريمِ الأحوالِ
والأعمامِ ، وبديعِ الأوصافِ ، وموطئِ الأكنافِ ، وأحلمَ من فرخِ الطائرِ ،
وأمنضَى من الحسامِ الباترِ ، ومَن سَجِيَّتُهُ الفضلُ ، وسيرته العدلُ ،
وقولُهُ الفصلُ ، وحبأؤه الجزلُ ، تلوحُ على وجهه تباشيره ، وتتملى
الإمامة أساريه ، ملاءه الله أطولَ الأعمارِ ، كما حاز له أعظمَ الفخارِ ،
فأرجو أن قد أصبتَ ثمرةَ الغرابِ^٤ ، وارتدتَ أزهرَ الجنابِ ، واجتنيتَ

١ تلخصت هذه الفقرة من أولها في د ط س فجاءت: وقد وقفت على ما وصفته من الانتباز. . .
الخ ؛ وصدرت بـ « وفي فصل » .

٢ ب م : الايام . ٣ د : الزمان .

٤ إذا أصاب الرجل عند صاحبه أفضل ما يريد من الخير والخصب قالوا : وجد ثمرة الغراب
وذلك ان الغراب إنما يبتغي من الثمر اجوده وأنضجه لقرب تناوله عليه في رموس
النخل (ثمار القلوب : ٤٦٣) .

خيار الجنى ، ومهدت في موطنِ العلا ، فما أغبطني باختيارك ، وأبهجني^١
بدنو مزارك ، فما كان سهمك ليمضي إلا بعيداً ، وليقع إلا سديداً ،
وما كان ميزك ليختل ، ولا سعيتك ليضل ، فالمرء مستدل عليه
بفعله ، واختياره قطعة من عقله ، وقد ناديتُهُ فأجاب ، واستمطرت سحاب
بره فصاب ، وتلقاك باليمين ، وأقرتك بالمكان المكين ، واستطال نحوك الزمان ،
بل استكثر الساعات والأحيان ، وانتظرك^٢ غدواً ورواحاً ، وترقبك
مساءً وصباحاً ، وأما الفؤاد فإليك منجذب ، وبودك مشرب ، ولو
استطعت خفضت طرفي فلم أبصر به حتى أراك^٣ ، شرهاً إلى الحاقك ،
وتهاكاً على نفيس أخلاقك .

قال ابن بسام : ولأبي المطرف ، غير ما فصل مستطرف ، وقلتما
يتعطل من حلتي البديع ، وانحرفت في تحرير هذه النسخة من هذا المجموع ،
وفاتت [دركي] ، ولم يعلق منه إلا ما كتبت [بشركي] .

[فصل] في ذكر الوزير الكاتب أبي عمر بن القلاس^٤

من علية كتاب الثغر الأعلى - كان^٥ - ، في ذلك الأوان ، [وهو على

١ د ط س : بما اغبطني . . . وأبهجني .

٢ ب م : وانتظرت .

٣ من قول المتنبي :

فلو أني استطعت خفضت طرفي فلم أبصر به حتى أراكا

٤ ذكر ابن القلاس (بالفاء) عرضاً في المغرب ١ : ٣٦٣ والنهج ١ : ١٨٦ وقال المقرئ :

وبنو القلاس من أعيان حضرة بطليوس ؛ ولا لبس في قراءة القاف بحسب الكتابة المغربية

والاندلسية ، والقلاس هو صانع القلائس ، ولعل هذا هو الصواب في الاسم .

٥ ب م : وكان من علية . . . أيضاً .

الجملة [نائرٌ مجيد ، ومحسنٌ معدود ، في كتابِ بني [١١٣ ب] هود ،
وله ترسيلٌ كثير ، مُعَرَّبٌ عن أدبِ غزير ، وإنشاءٌ ذهبَ فيه إلى التطويل
اقتضبتُ منه بعضَ الفصول^١ ، تخفيفاً للتثقيب ، تليقُ بالكتابِ ، وتشرهُ إلى
مطالعتها أنفسُ الكتابِ .

جملة من رسائله في أوصافِ شتى^٢

فصلٌ له من رقعة عن ابن هود إلى مجاهدٍ أبي الجيش الموقق : نحن
وإن قصرنا بالمخاطبة ، وأغيبنا بالمكاتبة ، محافظون على العهدِ القديم ،
معتزفون بالحقِّ الكريم ، معتقدون للفضلِ العميم ، شاكرون الله تعالى على
الهبة^٣ السنيةِ فيك ، والنعمةِ بك ، إلا أنه كدَّرَ نعمتنا وطفو المعيشة
عندنا ، وأقلقَ دعةَ النفوس ، وشرَّدَ وِسْنَ العيون ، ما تردُّ به الأنباء من
الوحشةِ الواقعة بينك وبين المنصور - أيدٌ كما الله - مما لو يستطيعُ الفداء
له بكلِّ علقٍ غَالٍ ، ومعالجةِ التياثيهِ بكلِّ نفيسٍ عالٍ ، لما تأخَّرَ عن
ذلك أحدٌ ، ولا قرأَ على غيره خَلَدٌ ، رغبةً في الألفةِ بينكما ، وحرصاً
على تمامِ النعمة للمسلمين فيكما ، فأنتما فئةُ الإسلام ، وعمدةُ الأنام ،
ومتى اضطربَ لكما حَبْلٌ ، وانصرمَ منكما وصل ، فَشَمَلُ الكُلِّ
شَتِيَّتٌ^٤ ، ووصلُ الجميعِ مبتوت ، فاللهَ الله في الدين أن يألمَ بكما ، والحرمةِ
أن تذهبَ بينكما ، فالعيون في الصلاحِ إنما كان سُمُوها إليكما ، فما ظنكما

١ د ط س : فصول .

٢ لم يرد هذا العنوان في د ط س .

٣ د ط س : المنة .

٤ د ط س : مشتوت .

بالمسلمين وقد أصيبوا في مستقرّ آماهم ، وَجَدَتِ الاستحالةُ حيثُ كان
الرجاءُ في صلاحِ أحوالهم ؟ ١٠

[وله] من أخرى [عنه إليه] : مَنْ استضاءَ بسراجِ رأيك المسدّدِ ،
واستنجحَ بيئُمنِ سَعَدِكَ المؤيّدِ ، واستظهرَ بنافدِ عَزَمِكَ ، وتكثّرَ ببالغِ
حَزَمِكَ ، واعتضدَ بخالصِ إِخَائِكَ ، وأسندَ إلى صدقِ وفائك ، كان
قَمِيناً ١ أن تنجابَ عنه ظُلْمُ المُشْكِلَاتِ ، وتنفرجَ له قُحْمُ المعضلاتِ ،
وتستقلَّ به مراكبُ النجاحِ ، وتتطلعَ إليه عواقبُ الصّلاحِ ، ويدلَّ له الصعَبُ
الجامحِ ، ويسهلَ عليه الخطبُ الفادحِ ، فإنك - واللهُ يُبْقِيكَ - الميمونُ
النقيبةَ ، الكريمُ الضّريبةَ ، السعيدُ الجدَّ ، المحمودُ العهدَ ، الذي إن اقتدح
زئلاً أَوْرَى ، وإن اعتمدَ حدّاً ٢ فرى ، وإن ودَّ صدقَ وحققَ .

. وفي فصل : واني منذ استنجحتُ فيما كنتُ أحاولُهُ من ذلك الأمرِ ،
ببركةِ ٣ سفارتك ، واستظهرتُ عليه بسعادةِ وساطتك ، وضربتُ مستصعبه
بجدِّ مؤازرتك ، واقتدتُ مُمتنِعَهُ بقوةِ مظاهرتك ، لم أزلُ أشيمُ تباشيرَ
النجحِ لائحةَ ، وأتبيّنُ مخايلَ الفلجِ واضحةَ ، وأجدُ شدةَ قيادةِ تليّنِ ،
وعزّاً لإبائةِ يهونِ ، إلى أن تأتي - بحولِ الله - الأملُ ، وأنجحَ العملَ ،
وأصحبَ ما كان أبيضاً ، وقَرَّبَ ما كان قصيباً ، وكان للوزيرِ الكاتبِ أبي
[١١٤ أ] فلانِ في ذلك المنابُ الحميدِ ، والسعيُّ الوكيدِ ، الذي سهّلَ به
الحزَنَ وقَرَّبَ البعيدَ ، وكذا يكونُ [مَنْ] ثَقَّفَهُ تَأديبُكَ ، وأقامَ

١ د ط س : قَمِيناً .

٢ ب م : زئله . . . حله .

٣ د ط س : استنجحت في الامر ببركة . . . الخ .

أودّه تَهْدِيكَ ، إذا سفر أصلح ، وإذا سعى أنجح ، وهذه الحال [لك]
أولها وآخرها ، وباطنها وظاهرها ، فبكّ اتضح منهاجها ، وأضاء سراجها ،
وبسعيك انفسحت سُبُلها ، وتأتى مؤمِّلُها ، وارتفعت أعلامها ، وتبيّأ
تمامها ، وأنت المُسَدِّي لها والمُلْحِم ، والعاقِدُ لأسبابها المبرم .

وله من أخرى : إنَّ أحقَّ الأخبار ، بالتحدّثِ عنها والإخبار ،
وأولّاهَا بأن تثيرها ألسنةُ التهادي والتناقلِ ، وتنشرها أيديُ التكاثِبِ
والتراسلِ ، خبرٌ أعربَ عن نعمةٍ تعمُّ المسلمين ، ومِنّةٍ ينظمُ نفعُها
الدنيا والدين ، وأبانَ عن مسرّةٍ وقعتْ والآمالُ دون نيلها واقعةً ، وبشرى
طلعتْ والآجوالُ عن مثلها دافعةً ، وكان له من ذاته^١ شاهدٌ يُصدِّقه ،
وبرهانٌ يحقِّقه ، ووضوحٌ يحميه عن أن تعترضَ عليه شُبُهَةٌ الظنون ،
وجمالٌ يُغنيه عن تكليفِ التحلية والتزيين ، وتلك صفةٌ ما أقصد محادثتك
بِنِعْمِ^٢ اللهِ علينا فيه ، وأعتمد إهداءهُ اليك مشروحةً جُمِلتْهُ موفّاةً^٣
معانيه .

وفي فصل^٣ : ان أوّلَى النعم بأن يُتحدّثَ عنها ؛ حديثَ اعتمادٍ
لشكرها ، وينبّهَ عليها تنبيهَ إشادةٍ بِقَدْرِهَا ، نعمةٌ خصّصَ الدينَ ،
وعمّتِ المسلمين ، وأعلتْ للإسلامِ يداً ، وفتتْ من الشركِ عَصْدُأ ،
وشدّتْ من الإيمانِ سنناً^٤ ، وأوهتْ من الكفارِ رُكناً^٥ ، فإنها موقعَ العمومِ

١ د ط س : رأيه .

٢ د ط س : بنعمة .

٣ د ط : وله من أخرى .

٤ ب م : يحدث ؛ ط د س : بها .

٥ د ط س : ميثاقاً .

٦ د ط س : وهدت من الكفر .

واقعة^١ ، والقريبَ والبعيدَ^١ في نفعها جامعة^٢ .

وله^٢ : انه لما كان من شرطٍ مَنْ ابتدأ أن يُتمِّمَ^٣ ، وسُنَّةٍ من سدَّئى أن يُلْحَمَ ، وحُكْمٍ من نهج عملاً أن يُفْضِيَ به إلى غايته ، وسبيل مَنْ أخذَ في سعيٍ أن لا يرجعَ دونَ نهايته ، وَجَبَ على فلان - أبقاه الله - أن يتلوِّمَ على الحال التي انفردَ بفخريِّ تأسيسها وتشبيدها ، وفاز بحسن^٣ منابه في تقريرها وتمهيدها ، حتى يستوفي^٤ فيها حقائقَ العمل ، ويبرىء^٤ منها [جميعَ] العلل ، ويسدُّ من جوانبها دقائقَ الخلل ، إذ كان هو الذي شرَّعَ مبادئها ، وبه انتظم متناهيُّها ، وبلغفه^٥ سكنَ متناهيُّها ، وما زال يسمى أفضلَ سعيٍ ، ويصدعُ بأجملِ رأيٍ ، حتى قرَّرَ الأمورَ على أثبتِ قواعدها ، وشدَّ رباطَ معاقدِها ، فلما صحَّحها تصحيحاً أمينَ التياثه ، وأبرمها لإبراماً لم يحذرِ انتكائه^٦ ، وجب عند ذلك أن يتقَعَ صدره^٥ ، ويحينَ مُنصَّرفه ، فصدر محتقياً اليك من حقيقةٍ ودِّي ، وطيبِ ثنائي وحمدي ، ما إذا جلاه^٦ في معرِضه راقك مُجْتَلَاهُ ، وإذا أجناه على حسبه عدُّبَ عندك جناه ، وبه اكتفيتُ عن مدِّ أطنابِ [١١٤ ب] القولِ^٧ في الإخبار عن هذا وسواه ، فهو بتفصيلِ جُمْلَتِهِ لَدَيْكَ جَدِيرٌ ، وبها خبير^٨ .

١ ب م : والقريب البعيد .

٢ ب م : وفي فصل منها .

٣ د ط س : وكان يحسن .

٤ ب م : تستوي .

٥ ط س : وبلغفه .

٦ ب م : أجلاه .

٧ د ط س : مد الأطناب .

٨ م : حذر وبها خبر ، ب : جدر . . خبر .

الخبر ببادرة أحمد بن سليمان بن هود فيما كان رامه من الفتك بأخيه^١

«قال» أبو مروان: وفي رمضان من سنة خمسين وأربعمائة سقط الخبر إلينا بذلك ، وكانا اتفقا على الالتقاء طلباً للسلم والكف عن الفتنة ، فلما خرجا للمكان المتفق عليه ، تكارما في اللقاء وتدانيا دون أحد من أصحابهما ، وكلاهما حاسر أعزل ، على ما تشارطاه ، تمكيناً لطمأنينتهما ، فتنازعا الكلام فيما جاء إليه ، فلم يسرع يوسف إلا لإطلال فارس عليه من ناحية موقف معسكر أخيه أحمد ، شاكي السلاح ، يبرق سنان رجه ، وإذا بطريق من مستأمنة النصارى الحربيين الخادمين معه قد واطأه أحمد على الفتك بأخيه ، فانقض على يوسف وهو يكلّم أخاه ، وأحمد يصبح ، حتى خالط يوسف وطعنه ثلاث طعنات ، وتحت ثوب يوسف درع حصينة كان قد استظهر بلباسها خلال أثوابه أبدأ بالحزم ، فردت سنان الرمح عنه ، وصاح يوسف نحو أصحابه : « غدرت ! ! فابتدروه وتجنوا به وقيداً بجراحه ، وقد ابتدر أحمد رجاله ، واختلط الفريقان اختلاطاً قبيحاً ، كادت تقع بينهم ملحمة ، أطفأها أحمد بالبرؤ من العلج لوقته والبدار إلى قتله ، ورفع رأسه والنداء عليه ، فسكن شغب الفريقين ، وانكفاً

١ هذا الفصل لم يرد في د ط س ؛ قلت : وكان لسليمان بن هود خمسة أبناء قسم عليهم بلاده في حياته فولى أحمد مدينة سرقسطة ويوسف لاردة ومحمداً قلعة أيوب ولها مدينة وشقة والمنذر مدينة تطيلة ؛ فلم يزل أحمد يحتال على اخوته حتى أخرج بعضهم من مواضعهم وسجنهم وكحل بعضهم بالنار ؛ وامتنع منه يوسف حسام الدولة صاحب لاردة ، فكره أهل الثغر أحمد وصيروا أمرهم إلى أخيه يوسف ولم يبق لأحمد إلا سرقسطة ، ثم دارت الأيام وعاد أحمد فيسقط سلطانه على عدة مدن وتضاهل شأن يوسف (البيان المغرب ٣ : ٢٢٢ وما بعدها).

كل إلى وطنه ، فعادت حالُ ابني هود كالذي كانت من التفرق .

ورد كتابُ يوسفَ على ابن جهور بقرطبة من إنشاء أبي عمر ، يقول فيه بعد الصدر : وبعداً ، باعدتكَ الأَسْواءُ ، فإن حوادث الدهر وصروفه آياتٌ للمبصرين ، وفي أحوالِ ذوي الشرِّ والفسوقِ عبرةٌ للمعتبرين ، وإذا تصفحتُ منها القريبَ والبعيد ، والمنقضيَ والجديد ، لم أجدُ في جميعها حالاً توازي حالَ الحَبِّ الخبيث ، والغَدورِ النكوثِ ، علِمَ دهرِه فجوراً وخترأ ، ونسيجِ وحدهِ نفاقاً وغدراً ، القاطعِ مني بلؤمِ أفعاليه وشيمه ، أسبابَ قُرْباه ورحمه ، والمتقدمِ بدميمِ بغيه وتعديه ، إلى صميمِ أسرته وأدانيه ، وهذه صفةٌ لا يخفى مكانُ الموصوفِ بها وأنه صاحبُ سَرَفُسْطَةَ - قارضه اللهُ بما هو أهلهُ ، وأبعدَ مثله وأينَ لأين مثلهُ ؟ ١ - . وقد كانت الأيامُ أبدتُ منه أفاعيلَ مستشعنةً شَرِّقَ ذِكْرُهَا وَغَرَّبَ ، كما [١١٥ أ] أبلدعَ وأغربَ ، وكادت تكونُ سمرأً للسامرين ، وقصصاً تُتلى في الغابرين ، وحاولُ أموراً مُسْتَفْظَعَةً مَقْتَهُ فيها الرشيدُ والغويُّ ، وتبرأ منه الداني والقصيُّ ، لم تُفِدهُ إلاَّ الخزي الذي لا يزال ناظراً من بقائه ، ولم تَكْسُه إلاَّ العارَ الذي لا يراه مبايناً باحتفائه ، وأبى على ذلك إلاَّ تمادياً فيها وإلخافاً ، وأبتِ الأقدارُ عليه إلاَّ إعراضاً وإخلاقاً ، فكلما مدَّ بالبغي يداً ، أو هنَّ الله بطشها وأيدَها ، وكلما نصَّبَ للمكرِ حباله هَوَّنَ اللهُ ختلها ٢ وكَسِدَها ، فضلاً من الله ونعمةً ، وكفايةً لمن توكلَ عليه وعصمةً ، وجزاءً للباغي بمكره ، وقرضاً للمتصدِّي

١ من هنا تمود د ط س الاشتراك مع ب م ، وصدر الفقرة : « وله من أخرى عنه إلى

ابن جهور في خبر أخيه ، قال فيها : وبعد . . . الخ » .

٢ ب م : خلتها .

بغدره ، والله لا يَهْدِي كيدَ الخائنين^١ ، ولا يصلحُ عملَ المفسدين .
 « وكنتُ قد أبرمت معه بعد تلك الهناتِ التي جرّتُ ، والشدائدِ التي انقضت
 عقدةَ السلم ، فاعتزمَ صاحبُ برشلونةَ على حربِهِ ، واستنهضني للدخولِ
 في حربِهِ ، ففلتُ بعد جُهْدٍ مني حدَّ غرْبِهِ ، واستمرّتِ الحال على
 عدلٍ مناهجها ، ولم يتعدّرْ مني قطُّ عليه بُغيةٌ ، ولا أبطأتُ مَعُونَةً ، ولم يزل
 يُقسِمُ لي بأيمانه التي تضحجُ إلى الله من فجوره فيها مشافهةً ومكاثبةً ، بعدما
 أقسمَ من قبل به وأشهدَ أعلامَ المسلمين عليها ، بأنه لا يُضمرُّ لي بقيةَ
 الأيامِ غائلةً ، ولا يُدخِلُ عليَّ داخلةً ، وطالتُ مصانعتَهُ لي بيزبرجٍ من
 نفاقِهِ وخداعِهِ ، يرفّ على بهرَجٍ من أخلاقِهِ وطباعِهِ ، وأنا على ذلك
 عالمٌ بدخائلِهِ وسرائره ، مستعيدٌ بالله من الانطواءِ على ضمائره ، فلما
 أراد الله أن يفضّحهُ الفضيحةَ العظمى ، ويُقنّعهُ بالخزية الكبرى ،
 تقدمتُ بيننا مقدماتٌ اقتضتُ لنا الاجتماعَ ، فحركني إلى طرفِ عمله .
 وقد كنتُ آنستُ منه شرّاً بنى عليه معَ بعضِ علوجِ البشاكنة^٢ في الفتكِ بي ،
 فأوصيتُ إليه ألاَّ يَحضُرنا أحدٌ منهم ، فقلق قلقاً صرّح به ، وأقام متردداً
 بالثغرِ يزعمُ تلكَ البَغِيّةَ^٣ ، إلى أن التقينا ، وكنت قد استشعرتُ من سوءِ الظنِّ^٤
 بيمَن هو كصرفِ الدهر لا أمانَ منه ولا اغترارَ به ، فأوصيتُ إلى أصحابي
 باحتضارِ سيوفهم ، واطّراح ما عدّاهم من سلاحهم ، ولبستُ أنا [أيضاً]
 تحت ثيابي درعاً حصينةً ، والتقينا ، ثم تجارينا في فنونِ القول ، فإذا

١ ناظر الى الآية : ٥٢ من سورة يوسف .

٢ ط د س : البشاكسة ؛ وهم جماعة البشكنس .

٣ ب م : يريغ . . . البهية .

٤ ط د س : باحتضان .

بفارسين من عبيده قد جمعا رُمَحِيَهُمَا فِيَّ ، وثالثٌ قد سبق إليَّ ، يمسك^١ عنان فرسي ، إلاَّ [أني] ركضته ، فخرج بِعِتْقِهِ ، واستلَّ أصحابي عند ذلك سيوفَهُمْ ، وأدرَكَتَهُمْ حَفَائِظُهُمْ ، فحملوا إليَّ وفرَّ أولئك عني ، واكتنفتي أصحابي ، فانصرفتُ وبني طعناتٌ قد واقعتني على الدراع . لم يعظمُ بحمدِ الله كلَّهما ، وانصرف الغادرُ قد أدحَضَ اللهُ سَعِيَتَهُ ، وأبطلَ بغيه ، يَعْصُ بنانه [١١٥ ب] أسفاً ، ويقرَعُ سنَّه ندماً ، ولا صفة كصفتته الخاسرة ، ولا سُوء كصفتته الفاجرة ، فلما وصل إلى بلده أراد سترَ الحال بزعمه ، وتوهيمَها على ما جرى في وهمه ، فأشاعَ أن النصارى الذين كانوا معه أرادوا غدري ووَغْدَرَهُ ، وخرقَ في ثيابه^٢ خرقاً زعم أنه أثرُ رمحٍ أشرعٍ إليه ، فكان اعتذارُهُ بهذا العذر^٣ زائداً في ذنبه^٤ ، وإتيانُهُ بهذا البهتِ الظاهرِ مادةً لجرمه ، وهيهات أن يخفي ما شُهر ، أو يجوز ما زُور ، وما يومٌ حلِيمَةٌ بسرِّه ، ولا على وجه النهار من سِتْر . فرأيتُ مساهمةَ الأولياءِ والخلفاءِ بصفة الحال ، وعرضها من المبدأ لى المال ، فقدمتُ منها نحوك ما اقتضاه تقدّمُ حالك في نفسي وختلدي ، لتعرضَ ما وصفته على حُسْنِ نظرك ، وتعتبره بصدقِ تدبرك ، فترنَّ مؤثرَ هذه الحال بوزنه ، وتقدرَ محتقِبَ شرها بقدره ، والله قبلُ وبعد أعدلُ مَنْ قضى وحكم ، وأحقُّ من أثابَ وانتقم ، وهو تبارك اسمه المستعدى على من اعتدى وظلم^٥ .

١ ط د س : في رُمَحِيَهُمَا . . . سبق إلى مسك .

٢ ط د س : ثوبه .

٣ ط د س : فكان عذره ذلك .

٤ ط د : لعمه .

٥ انظر فصل المقال : ١٢٧ ، ٤٨٦ ، والميداني ٢ : ١٥٠ والمسكري ٢ : ١٩٤ .

٦ في د ط س هنا زيادة تتصل ببعض ما قاله ابن حيان حول الخلاف بين الاخيرين ، وقد جاء فيها : « ووصف ابن حيان أيضاً ذلك ، وزاد في الحديث هناك انه اختلط الفريقان . . . كالتى كانت من قبل » . وقد تقدم هذا فلم أثبتته هنا .

فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي عبد الله محمد بن مسلم^١

آيةُ الزمن ، ونهايةُ الفطنةِ والمُسنِّ ، نفثَ بالسحر ، واغترَفَ من البحر ، ونظم الدرر بالألاءِ من الدرِّ . ولم أظفرُ عند وضعي هذا الديوان ، بشيءٍ مما له من الاحسان ، إلاّ بفصولٍ من رسائل ، سماها « طيِّ المراحل » سبق في ميدانها عفواً ، وتصرَّفَ بين حسنها وإحسانها تصرفاً حلواً ، وقد اقتضبتُ من فصولها ما يشهدُ بتفضيلها ، وحذفتُ سائرَها لطولها ، دلتُ بها على فضلِ مُنشئها ، دلالةَ الشمس على ما يليها .

فصول له من تلك الرسائل خاطب بها أغلب

صاحب ميورقة^٢

فصل منها : إن أغببتُ على بُعْدِ الديار مكاتبتك ، وأقللتُ مع شحطِ المزار مخاطبتك ، فإني أنخاطبك^٣ بلسانٍ ووداد ، وأناجيك فؤاداً

١ دائي ترجم له ابن سعيد ، انظر المغرب ٢ : ٤٠٥ والمسالك ٨ : ٣٤٢ ، والفصول التي اختارها ابن بسام من رسائله تدل على انه كان رسولا الى بعض ملوك الطوائف عن إقبال الدولة بن مجاهد حين نازعه المقتدر احد الحصون .

٢ د ط س : ابن اغلب صاحب (ط : حاجب) ميورقة ؛ ويذكر ابن خلدون ان مجاهداً وابنه علياً جعلاً اغلب على ميورقة ، وكان اغلب مولى مجاهد ، وكان صاحب غزو وجهاد في البحر ، ثم تخلى عن ولايته ايام علي إقبال الدولة فولي الجزيرة سليمان بن مشكيان ثم بشر ابن سليمان الملقب ناصر الدولة (ابن خلدون ٤ : ١٦٤ - ١٦٥) ؛ وقد نقل ابن سعيد بعض هذه الرسالة في المغرب .

٣ ط د س : أكاتبك .

لفؤاد، وإنما يتخاطبُ أهل بُعْدِ المكانِ ، ويتكاتبُ ذِووا النَّأي عن العيان ، وأنت في الضمير جائل ، فما تزيد الرسائل ؟ وبين الجفون مائل ، فما تفيدُ الوسائل ؟ لكنَّ العينَ لا تبرأ من الأرق ، حتى تطبقَ مستقرها على الحدق ، والنفسُ لا تهدأ من القلق ، حتى تجمعَ شطريها إلى أفق ، فلهذا يجبُ على الصديق تأكيدُ العهد ، ولو باهداءِ السلام ، إذا لم يستطعْ على الإلمام ، وتجديدُ الودِّ بالكتاب ، إذا لم يُطيقِ المفاوضةَ على الخطاب ، لكن قد يأتي من عوائقِ الزمان ، وعوارضِ الحدَثان ، ما يحولُ [١١٦ أ] بين المرءِ وقلبه ، حتى يسهوَ في مثوله للصلاةِ بين يدي ربه ، فلا يدري اثنتين صلَّى الضحى أم ثماني^٢ ، وأياماً شهد التشريقَ أم ليالي .

وفي فصل ٣ : ولتِ زماناً؛ فرَّغَ للقائك ، وأواناً بلِّغَ إلى تلقائك ، حتى أبرِّدَ نفسي بمحاضرتك ، وأجددَ أنسي بمذاكرتك ، ولكني بين حلٍّ وترحال ، ورجوعٍ وإقبال ، لا يجعلان إلى أمنيةٍ سبيلاً ، ولا يوجدان إلى مأربةٍ وصولاً ؛ ولعلَّكَ - أيها الفاضلُ - ممن يظن هذه الأسفارَ فُرْجَةً ، ويخالُ لها بهجةً ، وكيف والسفرُ قطعةٌ من العذاب ، والمسافرُ ومتاعهُ على فلتتِ ° الذهاب ، وان اتفقت مع ذلك فثرةٌ تستمدن ، وبدرة تستحسن ، فإنما هي كراحةِ المحتضر ، ودرّةِ المستبحر ، ولا بدّ مع الخواطي من سهمِ صائب^٦ ، وعند جفوفِ جانبٍ من خُضرةِ جانب ، ولي منذ أجولُ

١ ط د س : دون .

٢ من قول المجنون :

اصلي فما ادري اذا ما ذكرتها اثنتين صليت الضحى ام ثمانيا

٣ وفي فصل : لم ترد في ط د س .

٤ ب م : زمانني .

٥ ط د س : قلة .

٦ من المثل : مع الخواطي سهم صائب ، فصل المقال : ٤٣ والميداني ٢ : ١٥٥ والعسكري

٢ : ٢٢١ .

البلاد ، وأجوب الصخر بالواد ، ما يزيد على عشر حجج نصفها^١ ،
وعلى سبعة أعوام ضعفها^٢ ، لم ألق إلا يوماً يجعل الولدان شيباً^٣ ، والجبال
كثيباً مهيباً ، وإن شئت أن أقصص عليك من نبأ قصصاً ، وأضرب
لك من بعض أسفاري مثلاً ، ففرغ لي ذهنك ، وأصغ لي أذنك ،
حتى تسمع من أحوال صديقك ما يلفح ويلج ، ويغم ثم يهيج ، فقد
أودعت كتابي هذا نبذاً مما لقيته في سفري ، < و > كان من خبري :
لما صفا الحصن الفلاني إلى من أیده الله أجلب عليه المقندر بخيسته
ورجله ، وأحدق حوله بضبطه ومنعه ، حتى صار كالسما ملئت
حرساً شديداً وشهباً ﴿ فمن يستمع الآن يجيد له شهاباً رصداً ﴾
(الجن : ٩) فدعا إقبال الدولة إخوانه لإيجاده ، ونادى حلفاءه لإمداده ،
فاستغشوا بأردانهم ، وجعلوا أصابعهم في آذانهم^٤ ، وعوضوا من
عونه في إصلاح ذات البين ، والحصن في أثناء ذلك قد اشتد وثاقه ،
وضاق خناقه ، حتى أيقن أهله بالهلكة ، وكادوا يلقون
بأيديهم إلى التهلكة ، فلما رأى انه ربما أودى العليل قبل أن يؤتى الشفاء ،
ويهلك المريض قبل أن يركب الدواء ، وعلم أن الليث لا يقتبس
إلا زنده ، ولا يفترس إلا وحده ، وفي كفه أنصاره ، وفي شدقه
شفرته وناره ، أقام للزحف أعلامه ، وجعل الخزم أمامه ، فنصير
بالرعب ، وفر عدوه قبل الحرب .

١ نصفها : سقطت من ط د س .

٢ ط د : او ضعفها .

٣ انظر الآية : ١٧ من سورة المزمل .

٤ ط د س : واصح .

٥ ب م : يلهج .

٦ انظر الآية : ١٩ من سورة البقرة .

وفي فصل منها : وَحَسِبْنَا أَنْ يَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ الْمَشْئِمَةِ ، فتواصينا
 بالصَّبْرِ والمرحمة^١ ، وتذكّرنا قوله تعالى ﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ
 الْيَمِينِ ، فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ (الواقعة : ٩٠ ، ٩١) فأخذنا
 يمناً الطريق ، وتيمّمنا أوريولةً على الفجّ العميق ، فإذا بصماء^٢ منه قد
 انكدرت فأمطرت عاينا حجارةً من سجيل ، كادت تجعلنا [١١٦ ب]
 كعصفٍ مأكول^٣ ، فقومٌ شدّخت رؤوسهم ، وقومٌ ضمّت عليهم
 رؤوسهم^٤ ، كأنهم كانوا بقيةً من أصحابِ الفيل ، أو نفايةً من قوم لوط .

فجئنا فلانةً ، وقد سدّ بابها ، ونام بنو أبها ، والسيّلُ قد طمى ،
 يحملُ غناءً أحوى ، فلم تشكّ القلوبُ أن نفوسنا ذائقةُ الموت ، حتى
 إذا بلغت النفوس التراق ، والتفت الساقُ بالساق ، وقيل من راق^٥ ، وأشعير
 صاحبُ الحصنِ بمكاني ، وقصّ عليه شاني ، فأمر بفتح بابِ المدينة ،
 وآواني إلى دارِ حصينة ، وتقدّم بالضرام فأجج ، وبالطعام فروج ،
 وبالمدام فشبّ وأسرج ، وقلنا ﴿ الحمدُ لله الذي أذهبَ عنا الحزنَ ﴾
 (فاطر : ٣٤) وكفانا المحن .

وفي فصل منها : ثم نفذت ليطيبي ، وقترنتُ بالعملِ نيتي^٦ ، في
 هواءٍ سجسج ، وأفقٍ متبلج ، حتى جثتُ المريّة^٧ ، وكان عهدي بها

١ انظر الآية : ١٧ من سورة البلد .

٢ ب م : بصمار .

٣ انظر الآية ٤ ، ٥ من سورة الفيل .

٤ ط د س : فلم تشك في .

٥ انظر الآيات ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٩ من سورة القيامة .

٦ د ط س : العمل بنيتي .

٧ ب م : المدينة .

عهد طيف الكرى ، بما بين العقيق إلى الحمى ^١ ، إن سرى أصبح دونه
بمراحل ، أو هنا قطع ^٢ المدى المتطاوّل ^٣ ، فكأنني كنت ماءً ، وافق
نفوساً ظمأً ، فكل فرج لي عن قلبه ، وعانقني بكبده وخليبه ؛ ولما
لقيت المعتصم بالله — فتح الله له في البلاد ، كما شرح بودّه قلوب العباد —
قال : مرحباً بالوليّ الحميم ، والصديق الحديث القديم ، أعتت لك عندنا
أسباباً أوجبّت إقبالاً ، أو نحتت بك ، نحونا ركاب طلبت فصلاً؟ حلّ
عن ذاتك ؛ وأرحّ يعمّلاتك ، فقلت : أيّد الله مولاي . ما أجدني
حبّ الراحة ، ولا طلب الإراحة ، وإنما أنا في حكم شرع ،
وأداء فرض ، فهو كالحج لا يحلّ فيه الضيد لا بالنص ولا بالقياس ،
والصلاة لا يصلح فيها شيء من أعمال الناس ، وأنا أتمثل في ذلك قول الله :
﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ﴾ (المائدة : ٢) ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ
فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ (الجمعة : ١٠) ولا بدّ أن آخذ فيما فيه شخّصت ،
وله قصّدت ، وإنما هي كلمات مكدودة ، وألفاظ معدودة ، لا تورث
الناطق كلالاً ، ولا السامع ملالاً .

وفي فصل منها : حتى وصلنا إلى دار منفرجة الأقطار ، مستوفزة
الأنوار ، [متدفقة الأنهار] ، هواؤها جلاء للغم ، وزيادة في العمر ،
وضياؤها شفاء للكظم ، وانسراح للصدر ؛ وكأن مياهاً تنبعث من بنان

١ د ط س : الكدا . ٢ ب م : قطعه .

٣ من قول المعري (شروح السقط ، ٧٣٤) من رواية البطلوسي :

وسألت كم بين العقيق إلى الحمى فجزعت من بعد المدى المتطاوّل

وعذرت طيفك في الجفاء لأنه يسري فيصبح دوننا بمراحل

٤ ط د س : ولجت بك .

٥ ط س د : خل .

٦ د ط س : منفردة .

سيدها ، فصارت عيناً سلسيلاً ، وكان مزاجها زنجيلاً ، أو كأنما مسّت
 عيناً حيواناً ، فأثبتت من الزبرجد ريحاناً ، ومن الزمرد شجراً فيناناً ، وجعلت
 من النارنج عقياناً ، ومن زهر الآس لؤلؤاً ومرجاناً . وميل بنا إلى « التاج »
 وهو مصنّع على مفرق القصر ، من جانب البحر ، مُردّ من قوارير ،
 وألبيس الصبح المستنير ، وقلّد قلادة الطاووس ، ونقبطَ بقَطِ العروس ،
 فممن يقولُ هو قُبّةُ الفلك ، وممن يقولُ هو السماءُ ذات الحُبُك ،
 وانهم ﴿ لفي قولٍ مختلفٍ ، يؤفّكُ عنه مَنْ أفيكُ ﴾ (الذاريات : ٨ ، ٩)
 [١١٧ أ] ونظرنا في صدره من الملكِ الهمام ، كالشمسِ تجلّت من الغمام ،
 فقضينا فرَضَ السلام ، وأخذنا مراتبَ القعودِ إلى الطعام ، يُطافُ علينا
 بصحافٍ من فضةٍ وذهب ، وجفانٍ كالجوابِ أترعت من كلِّ أرب ،
 فلما أتينا على الريِّ قمنا إلى الوضوء ، فجيء بطيسّاسٍ من التبر ، وأباريقَ
 رُصّعت بالدرّ ، ووضئنا بماءٍ قوامه بلور ، ومزاجه كافور ، ثم قمنا إلى
 المصنع « الزاهر » ، وهو نظيرُ « التاج » من الجانب الآخر ، لما أُعيدَ فيه
 للشراب ، ما بهر الألباب ، فألفينا مورداً عذباً ، ومحلاً رحباً ، كأنَّ
 أطباقه مُقلُّ الجفونِ ، مُلثت من قُرّةِ العيون ، وأكواسه مراشفُ
 الخور ، تُعلُّ بينطَفِ الثغورِ ، طلعت منها شجرةٌ مباركةٌ النوى
 ﴿ أصلُها ثابتٌ وفرعُها في السماءِ ﴾ (ابراهيم : ٢٤) صيغَ عودُها
 من الحلي المنيل^٣ ، وقام عمودُها كأنبوبِ السقيّ المدلّل^٤ ، والتفت بأغصانها

١ ب م : او كان أمرها .

٢ د ط س : هيئة .

٣ ب م : الحيل المنيل ؛ والمنيل من اللاتينية nigellum اي المرصع او المزخرف (انظر
 ملحق دوزي) ؛ أما « الحيل » حسب قراءة ب م فيمكن ربطها بلفظة « محيل » التي اوردها
 القلي (الكالا) في معجمه بمعنى مصنوع او صناعي (انظر ملحق دوزي ١ : ٣٤٢) .

٤ من قول امرئ القيس (ديوانه : ١٧)

التفاف الذوايب الجعدة ، والتقت أفنانها التقاء الصَّعدَةِ بالصَّعدَةِ ،
 فبينما نحنُ نعجبُ من شأنها ، ونستغربُ مناظرَ زهرها وأفنانها ، إذ سطع من
 جُرثومتها دخانُ المجرم ، وارتفع من خلالِ لبسها^١ غبارُ العرفِ المعطر ،
 من دونِ أن يبلِّغوا إلى العيانِ نارها ، وَيُعَلِّمَ أين يوقدُ هندیها وغارها ،
 فقلنا : تبارك الله كيف تحرقُ نارٌ تخالفا هامةً ، وتورقُ^٢ أشجار تحسبها
 جامدة ، إن الذي أنطقَ الجِدْعَ والحصى^٣ ، وخلقَ الحيةَ من العصا ، والنارَ
 بعد أن كانت ضراماً ، وقال : كوني على إبراهيمَ برداً وسلاماً^٤ ، لقادرٌ على
 أن يورقَ الصلاد ، كما أنطقَ الجماد ، وعلى أن يُعملَ النارَ في الحمود ،
 كما أبطلها عند الوقود . وقام بالجريالِ ساقِ جعل المنديل ، مكانَ حمائلِ
 السيف الطويل ، وأدارَ نجوماً بروجها أيدينا ، وشموساً تطلعُ منه وتغربُ
 فينا ، ولما [كنت] لا أشرب إلاً^٥ مشتهب^٥ الشراب ، كالزُر والدَّوشاب^٦ ،
 قدَّمَ إليّ قَعْبٌ من نبيذِ الأَزاد ، ومصريِّ الداذ^٧ ، فرجع نديمي شهاباً ،
 وأبرزتُ أنا غراباً :

[لو تراني وفي يدي قدحُ الدوشاب أبصرتَ بازيار غراب]^٨

- = وكشح لطيف كالجديد مخصر وساق كأنبوب السقي المدلل
 والأنبوب هنا ساق البردي ، والسقي : البردي الناعم ، والمدلل : الذي جمعت اطرافه ليحني .
- ١ د ط : ملبسها .
 ٢ ب م : وتورق .
 ٣ د ط س : انطق الحصى .
 ٤ الأنبياء : ٦٩ قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم .
 ٥ المشتهب : الذي لم يصح تحريمه بوجه قاطع ، ولكن يمكن فيه التأول .
 ٦ المزر : نبيذ الذرة ؛ الدوشاب : نبيذ التمر أو الدبس ، وقال السمعاني انه الدبس بالعربية ؛
 (انظر شفاء الغليل : ٨٧) .
 ٧ الأزاد : نوع من التمر ، والداذ لعله الداذي أو الداذي وهو نبت يعمل منه شراب مسكر .
 ٨ البيت لابن الرومي ، ديوانه ١ : ٥٧٦ (١ : ٣٤٠ تحقيق نصار) ، وفي ط د س :
 بازيار و غرابا .

وفي فصل : وأوحى إلى المزمارة أن ينطق ، وإلى الأوتار أن تخفق ،
 وإلى الغناء أن يذيب القلوب ، ويشق الجيوب ، ويحث الشمول ، ويكفي
 الساقى أن يقول ، وقد أسبغت على بهو السماع وقبة الغناء قطعة من
 الخسروان^١ اللازوردية < الحرير >^٢ ، قد ألب بالذهب نحورها
 وحواشيها ، وقرنت^٣ بالعسجد أسافلها وأعاليتها ، وكحلت بأسلاك
 الجواهر خطوطها ورُسومها ، ووصلت بالياقوت الأحمر دوائرها
 ورقومها ، فجاءت كطرفة الصباح نُقطت [بالنجوم] ، ولبته الفجر
 رُصعت بغير كواكب الرجوم ، فاندفعت منها بلابل المداري تغرد ،
 وحمام^٤ الأوتار تصوب وتصد ، وأطيأ المعازف تنجأ ، وأصناف
 [١١٧ ب] الملاهي تتناوب ، وأقبلت نجوم الطاس تنكدر في الصدور ،
 وقلوب الناس تنتثر في الحجور ، وما بقي عقل لم يقع في شرك ، ولا جيب
 كان في شقه من درك .

وفي فصل : ثم خرّجت بعد إلى المظفر [الرئيس] أبي مناد ، فكان
 أيام طريقي إليه ، كانت كفارة لما أضرت في المربة عليه ، وتمحيصاً
 لذنب شرب^٥ المزر ، وتضييع حق^٦ الخمر ، ولم أر في التناقض عليّ عاراً ،

١ الخسروان : كذا هنا ، والمعروف الخسرواني وهو الحرير الرقيق الحسن الصنعة (المعرب
 . (١٣٥)

٢ د ط س : قطعة من الخسروان لازوردية الحرير ، أما لفظة الحرير فيبدو أنها مقحمة
 لشرح لفظة «خسرواني» ، والأصوب حذفها .

٣ ط د : وقرن ؛ ب م : وقب .

٤ ب م : وحمام .

٥ ط د : شربي .

٦ س : وتضييعي ؛ ب م : الخمس .

ولا فَنَعْتُ بِأَبْهَامِ السَّرِّ حَتَّى يَكُونَ^١ جَهَاراً ، فَعَوَّضَنِي مِنْ وَقُودِ الرِّيحِ بِبُرْدِ
الرِّيحِ . وَمِنْ دَيْبِ الْعُقَّارِ بِسُكُوبِ الْأَمْطَارِ ، وَمِنْ هَدِيرِ الْكِيْزَانِ^٢ بِنَعِيمِ
الْغُرْبَانِ ، وَمِنْ أَنْسِ الْخِيَمَاتِ بِوَحْشِ الْفَلَاةِ ، حَتَّى أَتَيْتُ حَضْرَةَ الرَّئِيسِ
الْأَجَلِّ فَأَلْفَيْتُهُ غَائِباً ، فَكَتَبْتُ إِلَى الْوَزِيرِ أَبِي عَثْمَانَ رَقْعَةً أَقُولُ فِيهَا :
إِذَا كَانَتْ بِأَسَاءِ إِثْرَ نِعْمَاءِ ، وَمَسَّتْ ضُرَّاءُ بَعْدَ سُرَّاءِ ، وَافْتَقَتْ كَاهِلًا^٣
لِدُنَا فَاثْقَلْتَهُ^٤ ، وَخَاطِرًا رَطْبًا فَأَوْحَلَّتَهُ^٥ ، وَإِنِّي فَصَلْتُ عَنْ تِلْكَ الْحَضْرَةِ
بَعْدَ أَيَّامِ كَأَيَّامِ الشَّبَابِ ، وَلِيَالِ كُنُوزِ الْكِعَابِ ، سَكَنَّا مِنْهَا فِي السَّوَادِ مِنْ
الْقُلُوبِ ، وَسَلَكْنَا بَيْنَ الْمَخَانِقِ^٦ وَالْحَيُوبِ ، أَنْقَلُّ مِنْ يَدٍ إِلَى يَدٍ ، وَأُحْمَلُ^٧
بَيْنَ جَفْنٍ وَخَلْدٍ ، إِنْ ظَمِئْتُ سَقَيْتُ بَرْدَ السَّرُورِ عَلَى الْأَكْبَادِ ، أَوْ
طَرَبْتُ أَطْعَمْتُ حَلَاوَةَ الْوَدَادِ فِي الْإِخْلَادِ ؛ وَلِلَّهِ يَوْمُ « التَّاجِ » وَ « الزَّاهِرِ » ،
عِنْدَ الْمَلِكِ الْمَاجِدِ الْبَاهِرِ ، فَيَأْتِيهِ مِنْ أَنْسٍ وَطَيْبٍ ، بَيْنَ الْخُورْنِقِ وَالْكَثِيبِ ،
فِي مَجْلِسٍ كَأَنَّمَا أُلْفَتِ قَوَارِيرُهُ مِنْ خُدُودِ وَثَغُورِ ، وَثَمَارُهُ مِنْ نَهْدِ
وَنُحُورِ ، صَعَدْنَا فِيهِ إِلَى الْعِلْيَاءِ ، وَصَرْنَا كَأَنَّنَا مِنْ أَهْلِ^٨ السَّمَاءِ ، نَشْرَبُ
النَّجْمَ بِالْأَفْدَاحِ ، وَنَحْيِي الْجَسُومَ بِالْأَرْوَاحِ ، فَبِتْنَا فَكَهَيْنَ فَرِحِينَ ،
نَزَمْرُ بِالْكَؤُوسِ ، وَنَرَقِصُ بِالرَّبُوسِ ، وَنَثَاقِفُ الْإِخْوَانَ ، وَنَوَاقِفُ النَّدْمَانَ ،
مَوَاقِفَةَ الْكِرَامِ ، بِشَرَبِ الْمَدَامِ ، لَا بَجْدَ الْحَسَامِ^٩ ، نَسْقِي وَدَّ الصَّدِيقِ لِلصَّدِيقِ ،
وَنَطَابُ الصَّبُوحِ بِثَارِ الْغُبُوقِ ، حَتَّى أَخْجَلْنَا الشَّمْسَ بِضِيَاءِ الزَّاحِ ، وَقَمْنَا نَقْدًا^{١٠}

١ ط د س : كان .

٢ ط د : مديد الكيدان ؛ ب م : غرير الكران .

٣ ب : فانقلبت .

٤ ط د : الترائب .

٥ ب م : كما .

٦ ب : اعلى .

٧ ب م : نشرب . . . لا تجرب بالحسام .

٨ ط د س : نعد .

السراج من ضوء الصباح، وقلنا^١: دينُ المسيح ، يعبدُه كلُّ مَليح ، فطفنا حول
الذنان ، بمصاييح الرهبان ، وما زلنا نسمعُ باقتراح ، ونشربُ على ارتياح ،
ونصلُّ اغتباقاً باصطباح ، حتى شُبِّتُ مصاييحنا لِقْفَال^٢ ، وحنَّ
أوانُ ظعنٍ وارتحال ، فخرجتُ كالمقلةٍ استلَّتْ من الأشفسار ،
والنفسِ انْتزَعَتْ من فلوذِ أعشار ، ثم ارتحلتُ^٣ من الغدِ عن مقامِ كريم ،
إلى عذابِ أليم ، لا أملكُ فيه أدمعي ، ولا أجيدُ نفسي معي ، وسرنا بين
جبالٍ وحشة ، ومياهٍ دهشة ، فصاردتْنَا^٤ من ربحِ عاد ، ذاتُ صرٍّ وأبراد ،
أضمرتُ نارَ البرحاء ، وكظمتُ أنفاسَ الصُّعداء ، ومن أخذَ بكظمه
كيف يرجو الحياة ، ومن أطبقَ بغمه أين يجدُ النجاة^٥ ؟ وما شكَّ غمامُ
الثلجِ^٦ المنثور ، أي من أصحاب [١١٨ أ] القبور ، فجعل يُهدي إليَّ
حَبُوطاً وَذَرُوراً ، ويندفُ عليَّ قُطُنًا وينثرُ كافوراً ، فلما تمتِ
الأكفانُ ، وصحَّ الاندفاع ، طلعتُ إليَّ غرَّةُ الحاجبِ سيفِ الدولة أبي
الفتوح ، فقامتُ وقد انجلتُ عني المحن ، وانتفضتُ فطارَ القبرُ والكفن^٧ ،
ومدَّ إليَّ يدَ الرضوان ، وغمسنِي في نهرِ الحيوان ، فجعلتُ أطرفُ كما
يطرفُ الفجر في سُدُفَةِ الليل ، وأنبتُ كما تنبتُ الحبة في حَمِيلِ السيل ،

١ ط د : وقلت .

٢ يشير الى قول امرئ القيس : (ديوانه : ٣١) :

نظرت اليها والنجوم كأنها مصاييح رهبان تشب لقفال

٣ ط د س : رحلت .

٤ ط د س : فصاردتْنَا .

٥ ط د س : المنجاة .

٦ ط د س : الثلوج .

٧ يستعير بعض قول المتنبي :

كم قد دفنت وكم قدمت عندكم ثم انتفضت فزال القبر والكفن

ورأيتُ ملكاً تقرأ النفاسة بين عينيه ، وتبصر الرياسة طَوْعَ يديه ، حُلِّيَ
 السيفُ باسمه فرقتُ مضاربه ، وَتَوَجَّ المُلْكُ منفرِقَهُ فعزَّتْ جوانبه ،
 جوادٌ يندى في كفه الحماد ، وتقذح بنبله الزناد ، ويقتبسُ من وجهه
 الكوكبُ الوقاد ، وعلى أعراقها تجري الجياد ؛ كيف يُعجَّبُ للسيف
 أن يقطع ، ومن حديد الهند طُبع ، وللبدن أن يُشْرِقَ ، ومن نور
 الشمسِ استرق ، وللبحر أن يَزْخَرَ ، وعن الريحِ المرسلَةِ أخْبَرَ .

وفي فصل : فلما كمل المرادُ ، ووقفتُ حيثُ وقف الاجتهادُ ، كتبتُ
 إلى ذي الوزارتين الكاتب أبي محمد بن عبد البرّ أستريحُ إليه بأنبائي ، وأصف
 ارتجاجَ الجوِّ من بُرحائي ، رقعةً أقولُ فيها : سيدي وسندي ، وسهُمة
 يدي ، ونعمة أبدي ، ومن أبقاه الله معافىً من النوب ، موقىً من وعثاء
 السفر وسوءِ المنقلب ، كم لله من مَنِّنٍ جزيلة ، وأيادٍ جميلة ، وعوارفٍ
 وكيدة ، وعواطفٍ حميدة ، وإن أولَى نعمة بالشكر ، وأحجى قسمة بالذكر ،
 نعمةٌ صرَفَتْ بأساءَ ، ومسرَّةٌ دَفَعَتْ غمَّاءَ ، وإني كتبتُ بعد حالٍ متى
 حوسبتُ بها فهي الموتةُ الأولى ، أو جوزيتُ عليها فليَ النجاةُ الطولَى ،
 لأن الله أكرمُ من أن يميتَ أكثرَ من ميتتين ، أو يعذبَ أحداً عذابي^١
 مرتين ، مع ما مُنيتُ به من تطاولِ الأسفار ، ومقاساةِ الضرار ، ولو^٢
 أن هذا يكون مع صدقٍ وأملٍ ، ونجحٍ وعملٍ ، لبردَ غليلاً ، وكان تعليلاً ،
 فكيف وما هو إلاَّ رجاءُ سرابٍ ، ووجدانُ حساب .

وإني فصَلْتُ من ألش^٣ والشمسُ مجلوةُ الناظر ، والجوُّ كقلمةِ الساهر ، فما

١ ط د س : عذاباً .

٢ ط د س : ولولا .

٣ ب م : الشيء ؛ ط د س : عن فلانة ؛ والش : (بتسكين اللام) بيئها بين أريولة
 خمسة عشر ميلاً ، ومنها إلى لغنت مثل ذلك (الروض المعطار : ٣١) .

كان إلاّ كـ « ما » حتى التقت عليه أجنافُ الغمام ، ثم هَلَّتْ إليه هلّ الدموعِ -
السّجّام ، وصرنا بين صعيد زَلْتَقٍ ، وسماءٍ طَبَيْقٍ ، يَنْشُرُ قطره نبالاً ،
ويمطرُ وبله وبالاً ، وما زال الرعدُ يقصفُ ، والمزنُ يَكَيْفُ ، حتى خلتُ
البحرَ صار سقفاً ، والسماءَ قد أسقَطَتْ عليّ^١ كِسْفاً ، واستنجز القضاء ،
والتقى الماءُ والماء ، فكلّما أويْنَا إلى جدارٍ كاد ينقضُ ، أو بلأنا إلى قرارٍ
خُسِفَتْ به الأرض ، وقلنا : سنأوي إلى جبلٍ يعصمنا من الماء^٢ ، ويقينا معرّة
هذه البأساء ، فما كان إلاّ أن لُدْنَا بجانبِ الطورِ الغربيّ ، وأسندنا إلى
هَضْبَةٍ [١١٨ ب] الفُسْطاطِ الشرقيّ^٣ ، وهناك [من] يشرح لك سرّه ،
ويوضحُ عندك أمره ، فكأنّ الله قد تجلّى للجبلِ فجعله دكا^٤ ، أو كاد موسى
ينتقمه علينا نقماً ، فأنحدره هضاباً ، وتقطعُ آراباً ، وأهوى إلى الوهدة التي كنّا
في طباقها ، والعقدة^٥ التي حصَلْنَا بين أطباقها ، فلم نشكّ في أننا من
أهلِ القبور ، قد صُبَّتْ علينا أرازبٌ منكرٌ ونكير ، ولولا أنّ الله لَقننا
الحجة ، وأوضح لنا المحجّة ، وأعاننا على الحصين ، وعلّمنا التخلّصَ
من النكيرين ، لضُغِطْنَا ضَغْطَةً^٦ القبرِ ، ونالتنا معرّةُ الفقر^٨ ؛ ثم
إننا أخذنا في الهرب ، وأخذت السيولُ والأمطارُ في الطلب ، فتارةً نقعُ من

١ ط د س : علينا .

٢ ناظر إلى الآية « قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء » (هود : ٤٣) .

٣ س : هدبة ؛ ط د س : السري .

٤ انظر الآية : ١٤٣ من سورة الأعراف .

٥ ب م : فأنخر .

٦ ب م : والعودة .

٧ ب م : لصعقتنا صعقة ؛ ط د س : لضغطنا القبر

٨ ط د س : ونالتنا الفقر .

الوعر في شرك ، وأخرى نهفو من الوحل^١ في درك ، حتى وصلنا أوربولة ،
ولا نراها من تراكم الظلم ، واختلاط العشايا بالعم ، إلى أن ضربت
في أسوارها جباهنا ، فامتألت من غبارها أفواهنا ، والدجى يكفنتنا بظلمائه ،
والثرى يدفننا في طينه ومائه .

وفي فصل : ومرت لنا الأيام لا نستطيع برأحاً ، ولا نلذ
غدوآً ولا رواحاً ، فلما انقضت ليال خمس ، التفتنا الشمس الثفات
البكر ، من خلال الستر ، وصمت الماء من حريره ، والهواء من صريه ،
فقلنا : قد يكون الرضى صماتاً ، والإذن الثفاتاً ، وأخذنا في التفويض ،
وأسرعنا بالنهوض ، وما زلنا في مسلكنا نموت ونحيا ، ونتقلب بين الآخرة
والأولى ، حتى اصططينا بنار الجباحب سيف الدولة أبي الفتوح ، فقابل بوجه
طلق وخالق سمح ، فلما صرنا في ذراه ، وكفنتنا نعماء ، أنشدنا :

فقل للسماء ارعدي وابريقي فاننا رجعنا إلى المنزل

وفي فصل : ثم لما حان إيابي ، وزمت ركابي ، إذا بكتاب المعتم
بالله إلى المظفر يذكر وفاة خاله المنصور بن أبي عامر ، فلزمني الكتاب إليه ،
فكثبت ورجلي في غرز الوائب ، وهناً قبل سقط^٢ الراكب ، فإن كانت
سقطه في كلامي ، أو عثرة من أفلامي ، فإنما أوجبته حقه حقة
السير ومسابقة السيل^٣ ؛ وكان كتابي :

يا مولاي وسيدي المنعم ، ومن لا زالت وجوه الكوارث عنه مصدودة ،
وأيدي الحوادث دونه مسدودة ، بقاء المرء — أيديك الله — لفناء أسلافه ،

١ ط د س : الذعر .

٢ د ط س : وما سقط .

٣ ط د س : الخيل .

ونماء أخلافه ، كرامة للأدب ، وسعادة للعقب ، فما للإنسان يكونُ هلوياً ، إذا مسّه الخيرُ منوعاً ، وإذا مسّه الشرُّ جزوعاً^١ وإن كان المنصورُ مات فقيداً ، فقد عاش حميداً ، أو أمسى ملحوداً ، فظالماً أصبح معموداً ، لبث في أهليه سنيناً^٢ ، وأقام في سلطانه مكيئنا ، بين شفاءِ نفس ، واستيفاءِ أنسٍ ، [١١٩ أ] وتوطيدِ دولة ، وإقامةِ سنّة ، وحمايةِ أمة ، حتى كمل جدهُ ، وأتاه بالموتِ وعدُّهُ ، فذوى دَوْحُهُ وقد أثمرَ غرسُك ، وأقلّ بدرهُ وقد بزغت شمسُك ، فقال المجدُ : هذا ربّي هذا أكبر^٣ ، وصاح المثلُك : هذا ردئي ، هذا أكثر ، فهل هذه - أيدك الله - نعمةٌ صغرى ، أم هي قسمةٌ ضيزى ، وهل طُفَىء سراجُ ناب عنه صباح ، أو خفيّ منهاجٌ دلّ عليه مصباح ، أو هلك هالك ، عقبه مالك .

وفي فصل : ثم توجهتُ لتلقاءِ مدِينِ الأَصْعَدِ ، وموطنِ السُّودد ، حضرةِ المعتضد بالله ، وكان طريقي إليها على قرطبة ، وكثيراً ما كنتُ اقترحُ^٤ بإتيانها ، وإن كانت على هَرَمٍ ، وأتمنى وقفه فيها ولو على قَدَمٍ ، وأرغبُ زيارتها ولو للميامسِ ، وأودُّ رؤيتها ولو مناماً ، لألمسحَ دارَ الخلافة ، وأرى بيتَ الرياسة^٥ ، فخرج إليّ أبو الحسن بن يحيى الوزير الجوهري^٦ ، فأراني بحسنِ سَمْتِهِ وكلامه ، ورجاحةِ عقله وتمامه ،

١ انظر الآية : ٢٠ - ٢٢ من سورة الماعز .

٢ ب م : هنيئاً .

٣ انظر الآية : ٧٨ من سورة الأنعام .

٤ ط د س : مدن .

٥ د : أفرح .

٦ ب م : بنت الرسالة .

٧ ب م : فخرج إليّ الأمير . . . والوزير ؛ ط س : فخرج إلي الوزير الجوهري .

مراتبَ الوزراء المتقدمين ، ومناصبَ الفضلاء السابقين ، فلما أُدِيَتْ الرسالة جعلتُ أسلك في منزلهِ المدينة ، وأنظرُ من تلك المشابه المبينة ، فاذا برسومها قائمة الأعلام ، ورموزها مفهومة الكلام ، وتُصْبِحُ ماثلة الشكل والقيام ، إلا أنها كرداح مسْتَهَا زَمَانَةٌ ، وَرَبِحَاتَةٌ أدركتها من السنِّ مهانة ، لم يبقَ فيها إلا رسومٌ من الحسنِ كإنتشاء الطَّرْفِ ، وإن مالتُ أجفان ، وخطوطٌ من الجمالِ كاعتدال الأتف ، وإن سَقَطَتْ أسنان ، لكنها لم تفارق عطرها ، وإن كانت بعدَ عروس^١ ، ولا تركت بزَّها^٢ وإن لم تطمع بمسيس^٣ ، ولا دنست ثيابها ، وإن كانت أسملاً ، ولا عقت^٤ شبابها ، وإن تجاوزت اكنهالاً ، فوقع بين قلبي ورونفها سفاح ، لم يصدقه نكاح ، وأمتع شمي بمعتقها لصوق . لم يلحقه رفث ولا فسوق ، ووقفتُ بالقصرِ المرواني ، وطفتُ على المصنعِ القحطاني ، وانتبذت إلى المنزه العبدي الرحماني^٥ ، فاذا الثلاثُ الأثافي والديارُ البلاقع ، فأخذتُ بالسنة^٦ في ديارِ ثمود ، أسكبُ الدموعَ وأجدُّ المعبودَ ، فقال قريبتنا^٧ : هنا كانت قصورهم ، وهناك هي قبورهم ، قد صارت مفاصلهم تراباً ، ومساكنهم يباباً ، وقد عادوا يسكنون القبور ، وكانوا يستهجنون^٨ القصور ، وظلوا يعتنقون الجلمود ، وكانوا يسترهفون النهود ، وصاروا يلزمون

١ إشارة إلى المثل « لا عطار بعد عروس » ، فصل المقال : ٢٧ ، والميداني ٢ : ١٠٨ .

٢ ب م : بريها ، ولعلها « برهما » أي بضاضتها وترارتها .

٣ المسيس : كناية عن النكاح .

٤ ط س : عفت .

٥ د ط س : المتنزه العبد الرحماني .

٦ ط د س : بالشبه .

٧ ط د س : فليل .

٨ ط د س : يسكنون .

الطين ، وكانوا يملّون حشايا اللبن ، فقلت : أين مَنْ كان هنا من القيولِ الأبية ، والملوكِ الأمويّة ، ذوي التيجانِ المنظومةِ بالمرجانِ ، والملابسِ المرقومةِ بالعقيانِ ، والفرُشِ المرفوعةِ إلى السّكّكِ ، والعُرُشِ الموضوعِ على السّمّاكِ ، وقد نُضدّتْ بالنمارقِ ، ومُهتدّتْ على الأرائكِ ، وحُفّتْ بالجنودِ [١١٩ ب] عند القعودِ للسلامِ والأحكامِ ، وأين أسرابُ تلكِ الجوّاريِ الكُتّسِ ، في مروطِ السّنْدسِ ، كأنها ما استعارت من الكُتبانِ أكفالا ، ولا من الأغصانِ اعتدالا ، ولا من الروضِ أرداناً ، ولا من الظباءِ أجفاناً ، ولا رنتُ إحداهنّ عن جفنِ همّ بالتهويمِ ، فنبتّه النديمِ ، ونظرتُ نظرةً في النجومِ فقال لني سقيم^١ ، والآن : قد كُحلتْ تلكِ العيونُ بالترابِ ، وكان كُحلُّها كَحَلًّا ، ولصقتْ تلكِ الحدودُ بالكُتبانِ ، وكان تقبيلها أملاً ، وانهالتْ تلكِ الأدعاصُ في الصعيدِ ، وكان التفاتُها جدلاً^٢ ؛ فوقفْتُ معتبراً ، وما أبقيتُ عبرةً إلاّ أرسلتها ، ولا دمعةً إلاّ أسبَلْتُها^٣ ، بكاءً على المآلِ ، لا على الأطلالِ ، وعلى المصارِ ، لا على تلكِ الديارِ ، وعلى فقْدِ الأَحبابِ ، لا على ذلكِ الحرابِ .

وفي فصلٍ منها : ثم جئنا إلى المسجدِ الجامعِ ، ونظرتُ من تلكِ المصانعِ ، فرأيتُ بنياناً بديعاً ، وإيواناً ربيعاً ، شاده ذو عزمٍ وتأيدٍ ، وبناه أولو قوةٍ وأولو بأسٍ شديدٍ ، فكأنما أرسّتهُ عادُ ، أو بنته ملائكةُ غلاظٍ شداد . ومشينا من رتبةٍ إلى رتبةٍ ، ومن قُبّةٍ إلى قُبّةٍ ، حتى انتهينا إلى المقصورةِ فألفينا

١ انظر الآية : ٨٨ من سورة الصافات .

٢ ط س : خدلا .

٣ ب م : أرسلتها .

٤ س : ومرقبة إلى مرقبة .

سُقُنْفًا من فضةٍ ومعارجٍ إلى الجنةِ قد قُرِّطَ سَمَكُهَا بِالذَّهَبِ الْأَحْمَرِ ،
والفلز ١ الْأَخْضَرُ ، وَبَلَّطَ سَطْحُهَا بِمَاءِ الْجَوْهَرِ ، وَكَافُورِ الْمُرْمَرِ ، فَكَأَنَّ
قُبَاهَا [قَدْ] عَقِدَتْ بِالْجَفُونَ الدُّعْجَ ، وَالْحَوَاجِبِ الْبُلُجَ ، وَكَأَنَّ دَرَجَاتِ
مَنْبَرِهَا تَكَاسِيرُ ٢ الشُّعُورِ ، مَالَتْ عَلَى مَتُونِ الْحُورِ ، أَوْ مَنَاطِقِ الْأَعْكَانِ ٣ ،
ضُمَّتْ عَلَى الْخُصُورِ اللَّدَانَ ، أَلْفَتْ مِنْ عَاجِ كَالْمَبَاسِمِ ، نُقِشَ نَقِشَ
الدَّرَاهِمِ ، وَأَبْنُوسٍ كَالْعَدَائِرِ ، طُبِعَ طَبِيعَ الدَّنَانِيرِ ، وَصَنَدَلٍ كَأَطْرَافِ الْبَنَانِ ،
كَتَبَتْ بِهَيْدُوبِ الْأَجْفَانِ ؛ ثُمَّ اعْتَمَدْنَا إِلَى الْمَحْرَابِ ، فَكَلَّ خَرًّا رَاكِعًا
وَأَنَابَ ، وَجِيءَ بِمَصْحَفِ عِثْمَانَ ذِي النُّورَيْنِ ، يُحْمَلُ عَلَى الْمَفْرِقِ وَالْيَدَيْنِ ،
فَلَمَّا خُلِعَتْ مَطَارِفُهُ ، وَفَتَحَتْ صَحَائِفُهُ ، إِذَا بِمُدْرَجٍ مِنْ فَرْدُوسِ
الْجَنَاتِ أَنْبَتَ نَبَاتًا أَخْضَرَ ، وَطَرَّرَ كَخُدُودِ الْوُلْدَانِ كَمَا أَطْلَعَتْ الشُّعْرَ ،
وَكَأَنَّهَا خَطَّتْ بِمَجَازِسِ ٥ النُّحْلِ ، وَنُضِدَّتْ مِنْ رِوَادِفِ النَّمْلِ ، فَاسْتَمَدَ
مَبَادِيهَا مِنْ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ، وَخُلِقَ خَلُوقَهَا مِنْ عِيُونِ الشُّهَدَاءِ وَالصِّدِّيقِينَ ٦ ،
فَلِذَلِكَ لَمْ يَحْتِجْ بَيَانُهُ إِلَى ضَبْطٍ وَتَقْطُطِ ، وَلَا افْتَقَرَ قِرْآنَهُ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ وَرْقٍ
وَخَطِّ ، جَرَى فِيهِ كَاتِبُهُ عَلَى سَجِيَّةٍ لِسَانَهُ فَأَمِينَ اللَّحْنِ ، وَأَخَذَ بِسُنَّةِ
أَهْلِ زَمَانِهِ فَتَرَكَ الْعَجْجَمَ وَالشُّكْلَ ، وَأَمَرَ بِقَوْلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ إِنَّا نَحْنُ
نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر : ٩) فَأَلْصَقْتُهُ بِكِبْدِي
لِيَبْرُدَ ذَلِكَ الْأُبُورَ ، وَأَمْرَغْتُ فِيهِ خُدْيَ عَسَى أَلَا تَمْسَهُ النَّارُ ، وَلَمَحْتُ

١ ب م : والمعقر ؛ د س : والفلق .

٢ ط د س : مكاسير .

٣ ط د : مناطق ؛ ب م للأعكان .

٤ ب م : اطلقت .

٥ ط د : بمحارم .

٦ ط د س : والصالحين .

أثر دم الشهيد ، فجئتُ [١٢٠ أ] من دمعي بأربعة شهود ، وقلت :
 ألا فُضَّ قَمُّ الحسام كيف قَصَفَ لحمه^١ ، وأرغِمَ أنفُ السَّنانِ كيف
 استرعَفَ دمه ، وتباً لعبيد الدار كيف أغمدوا سفارهم ، وعجباً من بقيَّةِ
 الأتصارِ كيف ضيَّعوا انتصارهم ، و﴿ لا أقسمُ بمواقعِ النجوم ، وإنه
 لقسمٌ لو تعلمونَ عظيمٌ ﴾ (الواقعة : ٧٥) لو شاهدتُ [يومَ] ذلك
 البرح ، لصار القلمُ في يدي كصدرِ الرمح ، وأضحى المقطُّ في يدي أبيضَ
 مثل السيف ، ولكانتُ سكينِي هنالك حساماً ، ويميني عمراً وصمَّصاماً ،
 وقلبي على لينة جماداً ، وسعيمي على ضعف حويله جهاداً ، حتى أرمي
 مَنْ رمى في المقتل ، وأقتلَ دونه قِتْلَةَ المكبِّ المقبل .

• ثم خرجنا وقد صدَّتْ نفوسنا ، ووَجِلتْ قلوبنا ، وخلتْ من الدمع
 عيوننا ، ولم يتسعَ يومُ الإقامة^٢ ، لأكثرَ من هذه المقامة . < ثم > باكرتُ
 الرحيل ، ويمتُّ في الغدِ الملك الجليل ، الذي ضارعَ به المشرقَ المغرب ، وسادتُ
 لحم سائر العرب . فلما فصلتُ عنها ورأيتُ من حسنِها وجمالِها ، واتصالِ
 مساكنِها وظلالِها ، ما حُبِسَ عليه ناظري ، وجُدِبَ إليه خاطري ، فقلتُ^٣ :

سقى جديداً من الأيامِ قرطبةً ماءُ الشبابِ وريقُ الباردِ الحصرِ
 وقفاً يمدُّ الندى في روضه شرقاً من الغمامِ مع الآصالِ والبُكرِ
 كأنه فيه والإمساءُ يَبَسُّطُهُ رداءُ إلفين قد صارا إلى وطر
 حتى إذا شيبَ كافورُ الصباحِ به أضحى تصعده نارٌ من الزهر
 وبين هذين من لينٍ ومن لطفِ روحٌ يقيمُ سجودَ النجمِ والشجرِ

١ د : قضم ، ولعل الصواب : « قضب » ؛ ب م : لحمه .

٢ ب م : القيامة .

٣ باكرت الرحيل . . . فقلت : سقط كله من د ط س ، وجاء في موضعه : ومن شعره .

للليل فيه سواد يستهام بسسه كأنه في سواد العين والشعر
 وللنهار سناً يحكي تبتجسه نور البصيرة مقروناً مع البصر
 كأنما شمسها تحت الغمام سنا وجه تنفس في مرآته نصير
 والطل في غداة القطر تحسبه حلياً سقى زهر اللبّات بالدرر
 وصفحة التهرّ الفضي مبسمة في روضها مثل خيط الفجر في السحر

ثم نفذت^٣ لطيتي ، وأخذت في وجهتي ، وكان لا عهد لي بقاء المعتضد
 بالله - تحوّل الله الدين والدنيا ببقاه ، وأدام به على الزمان بهاه - وله
 من بُعد الصبوت ورفع الشان ، وفخامة الذكر وعزة السلطان ، ما تهاب
 النفوس سماعه ، كما تألف الجفون اطلاعه ، وتجلّ القلوب [١٢٠ ب]
 مكانه ، كما تستلذّ العيون عيانه ، فأدركني من توهم لقياه ، وتخيل سناه ، ما يدرك
 راكب البحر قبل نشير الرياح ، وشارب الخمر قبل امتزاج^٤ الراح بالراح .

وفي فصل : ثم لقيته من الغد فقابلت من وجهه بدمراً تأخذ منه
 البدور ، وقبّلت من كفه بجرأ تغرف منه البحور ، ولا غرو أن تغرف
 من بحر ببحر ، وتستمد من نور أنوار ، فإن مادة البحور ، من البحر
 المسجور ، وعلّة الأنوار ، شمس النهار ، وشاهدت منه منظرأ استمال
 عيني حتى عقّد به^٥ أطرافها ، ونجراً استهوى نفسي حتى كره^٥ لبي
 انصرافها ، وظلّ ينفث من نبله سحراً أضبطه^٥ بذهني ، وينثر من
 لفظه درأ^٥ القطة بأذني ، حتى صارت لي الثريا قرطاً ، والمجرة ميرطاً ،

١ ط د س : باسمه .

٢ ط د س : خط .

٤ ب م : بامتزاج .

٥ ب م : عقده .

وأخذتُ في الرسالة ، فلما سامح الأدب ، وساعدَ المذهب ؛ قلت : أيدك الله ، إن مَنْ أرسل رسولاً في مهمّ تطلّع ، ومَنْ رجا صديقاً لدفعِ ملمّ توقع^١ ، لا سيما إن رجاهُ شفاءً من الخطب ، واستهداهُ هيناءً لموضعِ النقب ، فقد تعلمُ كيف نظرُ السقيمِ إلى العائد ، وناهيك إن كان طبيباً ، والتفاتُ المقيمِ إلى الوارد ، ويكفيك إن أوردَ محبوباً^٢ ، وإن رئيسي - معظمك - أرسلني إليك وانتظر ، وأوفدني عليك ثم استمطر ، وقد رأى أن إسعادك مُرادُه ، وإنجادك^٣ مرّاده ، فلوى عنك ما بطأ السبّاق ، وعاق دونك ما أخّر اللحاق ، حتى تطاولَ الزمانُ ، وحالتِ الأحيان ، وفي ذلك من تعذيبِ نفسه ، وإرجاءِ أنسيه ، ما يدعو إلى إشفائك من شغلِ باله ، وارتماضيك من تكّدِ حاله ، إذ لا يلدّ بحالٍ حتى يدري ما له عندك ، في حلّوهِ ومُره ، ولا ينعمُ ببالٍ حتى يجتلي ما تنهيه إليه من جدك ، في يسّرهِ وعُسّرهِ ، فلك الفضلُ في إيشاكِ إياي ، وإراحةِ مآبي ، حتى أسرعَ بسرّائه ، وأقطعَ بما يزيدُ في مضائه . فخاطبتُ بما اقتضيته من إيجائي ، وألفيته من سريعِ اطلابي ، وكتبتُ إلى الوزيرِ أبي الوليدِ بن زيدون ؛ برقة أقول فيها : لم أزل منذ فارقتُ الشّرقَ ، وتخلّفتُ ذلك الأُفقَ ، أتقلبُ بين ثلجِ يكفّن ، ووحلِ يدفّن ، وريحِ تبعثُ مَنْ في القبور ، ورعدِ ينفخُ في صورِ النشور ، وبرقِ يرمقُ أصحابَ الجحيم ، ويريهم صورةَ العذابِ الأليم ، إلى أن وصلتُ مجل^٤ العلياء ، ومنتهى سِدرةِ الدنيا ، حضرةَ

١ ط د : يتوقع .

٢ ط د س : حبيباً .

٣ د : وإنجادك ؛ ط س : وإيجازك .

٤ ب م : ريان .

٥ ط س : يومن . ٦ ط د س : بحلة .

المعتضد بالله وقلتُ : ﴿فَنعَم عُنُقِي الدَّارِ﴾ (الرعد : ٢٤) ما يُسَكَّرُ لأهل الجنة السلوكُ على متن النار ، وكنتُ أسمعُ أنباءَهُ فاستغربُ ، وأنزعُ تلقاءَهُ [١٢١ أ] فاستدني واستقرب ، حتى رأيتُ عياناً ، واستوضحتُ بياناً ، فاذا الحُبْرُ أزرى بالحَبْرِ ، [والعيان أربى على الأثر] ، وقلتُ : بحقِ سألَ الكلِّيمُ رؤيةَ الربِّ ، وقالَ إبراهيمُ ﴿بلى ولكن ليطمئنَّ قلبي﴾ (البقرة : ٢٦٠) وإني رأيتُ ملكاً لا يَصْعَدُ الطرفُ إليه إجلالاً ، ولا تطيقُ النفوسُ^١ عنه انفصالاً ، قد جمعَ مهابةَ العَدْلِ ، إلى ودادةٍ^٢ الفضلِ ، وجلالةَ المنصبِ ، إلى لطافةِ الأدبِ ، وركانةَ القُعودِ ، إلى بشاشةِ التودُدِ ، وبرقَ الحسامِ ، إلى ودقِ الأريادي الحسامِ ، إن رمقَ الأعداءَ فأجفانُ نصاله طارقة^٣ الشفار ، أو وصلَ الأوداءَ فأنداءُ بنانه ألفة الأوطار ، ضالتهُ الحكمةُ ، وشريعتهُ الحججةُ ، وإن رأى حقيقةً أنصف ، وإن رمى بحجةٍ أهدف ، يصيبُ بذهنه حدقَ الغيوبِ ، ويعلم بظنِّه خائنةَ الأعين والقلوب :

الألمعي الذي يظنُّ لك الظنَّ كأنَّ قد رأى وقد سمعاً^٤

وفي فصل [منها] : والمعتضدُ بالله لا يدعُ في ذلك تأنيسي بكلِّ تحفة يُهديها مع الأحيان ، وطُرْفَةٌ يوليها^٥ مع كلِّ دقيقةٍ من الزمان ، ولقد

١ ط د س : النفس .

٢ ط د س : جزالة .

٣ ط د س : طارقة .

٤ ط س : حدق ؛ ب م د : الغيوب .

٥ البيت لأوس بن حجر ، ديوانه : ٥٣ .

٦ ط د س : خلال ذلك .

٧ ط د س : يواليها .

تأخفني يوماً عندما طرأت الأشابيل^١ في النهر ، وانسربت من البحر ، بعدة أسماك منثنية^٢ الذوائب متمكنة الحياة ، لدنة النقل والحركات ، فظلت في مائها تطيرُ ساجحةً ، وتسبحُ طائرة ، وأقبلت تأخذُ مرةً جائيةً وأخرى سائرةً ، وقد تختمت بالعقيان في جفونها ، وتتوجت بالجمان في عرائنها ، وتطوقت بالمرجان في عثانيتها ، وعُدّرت بالريحان فوق متونها ، وشابت قبل الإنسان من بطونها ، وأرّبت على النشوان في اضطرابها ولينها ، فأعملت فكري في شدوذ هذه الصفات ، وغرابة^٣ هذه الآيات ، حتى عرفتُ تحليلها ، وفككتُ تأويلها ، فإذا بها قد شربت ماءَ نداء فلم يُعْدم^٤ حيوانها ، ورأتُ حياها فخصّصت^٥ بالخلية أجزائها ، وقبّلت بساطَ مشواه فطوّقت بالدرّ مراشفها .

[فصل] في ذكر الوزير الكاتب أبي جعفر بن جرج والإتيان بقطعة من محاسن نظمه ونثره^٦

قال ابن بسام : وكان أبو جعفر وقتته أحدَ الأعلام ، وفرسان الكلام ، وحلّ آخر أيام ملوك الطوائف بأفقنا من الدؤل ، محلّ الشمس من

١ الأشابيل : يبدو أن اللفظة بهذه الصورة تفيد أنواعاً من الشابل وهو السمك الذي يدعى بالفرنسية : alose وبالاسبانية : Sabalo ويقول ابن هشام إن صواب الكلمة « أشبول » (مجلة معهد المخطوطات ٣ : ٢٩٣) وعلى هذا تكون « أشابيل » صيغة مشتبه الجموع للمفرد « أشبول » .

٢ ط د : منثنية .

٣ ط د : وغرائب .

٤ ط س : تدم .

٥ ط د س : فجلت .

٦ يذكر ابن الأبار (التحفة : ٦١) أن بيت بني جرج من بيوتات قرطبة النبيهة ، وأن أصلهم من البيرة ؛ وقد ترجم لأبي جعفر عبد الله بن محمد منهم (- ٥٧٥) ؛ وهناك أبو جعفر =

الحَمَلِ ، فحملها على كاهله ، وصرفَ أَعْتَمَتَهَا بين أنامله ، حُسْنِ
شائرة ، وكرمِ إشارة ، وعلوِّ همة ، وظهورِ نعمة ، وله رسائلٌ مطبوعةٌ
ومنازعٌ إلى الأدب بعيدة^١ ، وقد كتبتُ في هذا الفصلِ من نظمه ونثره ،
ما يعربُ عن كُنْهِ قدره^٢ .

جملة من نثره [١٢١ ب]

لما حُلَّ ابنُ طاهرٍ أبو عبد الرحمن من وثاقِهِ ، وخرجَ خروجَ الزُّبْرَقَانِ
من محاقه ، خاطبه برقعةٌ قال فيها : ما أعجبَ الأيامَ—أعقبَتَ منها السلامة
والسلام^٣ — فيما تقضي ، وكيف تمضي ، تتعاقبُ بتلوين ، وتترأى
بين تقبيحٍ وتحسين ، وهي تَعْتَبُ^٤ وتُعْتَبُ^٤ ، وتعتذر كما تذنب ، وتصعدُ
وتشعب ، كما تجدد وتلعب ، وإن صنيعها عندنا فيك وإن كان ألام^٥ فقد
أحمد ، إذ أحمده ما^٦ أوقد ، فعاد غيث^٧ على ما أفسد ، وإن يكن^٨—حَمَى

== ثاب اسمه أحمد بن عتيق بن جرج الذهبي ؛ وهو متأخر الوفاة (- ٦٠١) ؛ وإبو جعفر
المرجم به هنا ، كان وزيراً لابن عمار لما ثار بمرسية ، انظر المغرب ٢ : ٣٠٥ والمسالك
١١ : ٤٤٩ (وكلاهما ينقل عن الذخيرة) .

١ ط د س : بديعة .

٢ ط د س : نثره ونظمه عن علمه .

٣ المغرب : اعقب الله منها السلامة والسلام .

٤ ب : تقيت ؛ م : تعبت ؛ د : تمننت .

٥ ط د : آلم .

٦ ط د س : وما .

٧ ط د س : عيث .

٨ ط د س : لم يكن .

اللهُ دارك^١ ، وأدنى أوطارك - كشفتُ إليك صفحة اعتراء^٢ ، وتخطتُ
 حماكَ بقدَمِ اعتداء ، فقد تراجعتُ تمشي على استحياء ، متنصّلةً مما
 اجترمتُ ، متأسّفةً على ما اخترمتُ^٣ ، وعند مثلك للقدَرِ التسليم ،
 فأنت الخبيرُ العليم ، أنه ما اختلفَ الليلُ والنهار ، إلاّ بينقُضِ وإمرار ،
 ولا دار الفلكُ المدار^٤ ، إلاّ بطوالعٍ ومُغاري^٥ ، وكنتَ في الأرضِ من
 أسنى مطالعها الباهرة الأنوار^٦ ، فلا غرو أن أدركك ما يدركها من الأُفولِ
 حيناً والسرار . فقد تُكسّفُ البدور ، ثم تعاودُها الاضاءةُ والنور ،
 والحمد لله الذي أخرجك من ظلمات تلك الغمائم ، خروجَ السيفِ من
 الجلاء ، والبدْرِ بعد الانجلاء ، نقيّ الثياب^٧ من تلك الطخياء ، وسترُ الله
 تعالى دونك ضافٍ مُسندل ، وقيدُ حُكّ في كلّ حالٍ من بلاء وإعفاءٍ
 فائزٌ معتدل ، ولا تأسّ على أعراضِ الدنيا^٨ فهي رهينةٌ بزوالٍ وذهابٍ ،
 « وكلُّ الذي فوق الترابِ تراب »^٩ ، هناك الله وهنأ أهلَ الفضلِ فيك
 طراً هذا الصنعَ الأجل ، وجزى الله الوزيرَ الأجل [الأكل] عمادَ الكلّ
 جزاءَ السادةِ الذادةِ الأحرار ، ذوي الأنفةِ والانتصار ، فيا لها منقبة
 [تنقب] في البلاد ، ومكرمةٌ غراء تردُّ بهيماً كلَّ أغرّ جواد ، سرى لها

١ ط د س : ذمارك ، وكذلك في المغرب ؛ ب م : ذراك وحرس علاك .

٢ ب م : اغترار .

٣ المغرب : متنصلاً مما اقترف ، متأسفاً على ما سلف ؛ ط س د : مبقية ؛ د : منقية على ما أجرمت .

٤ ط د : الدوار .

٥ المغرب : إلا لأمر واختيار .

٦ المغرب : مشرق الانوار .

٧ د ط س : الأثواب .

٨ د ط س : ولا يؤس ولا عرض من أعراض الدنيا .

٩ عجز بيت للمتنبّي ، وصدوره : إذا نلت منك الود فالمال هين .

وقد نامت عيون ، وتغاضت جفون ، فأحمدت به السرى ، حين نضاً ،
الصبحُ ثوبَ الدجى ، وانحسمت تلك الخطوبُ عن حياته دون حسامه ،
كما انصدع عن الصديق ممزقُ ظلامه ، ولقد رمى [فأصابت صوائبُ سهامه ،
« وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى »] (الانفال : ١٧) وهكذا
يكونُ الرأيُ الأصيلُ ، والسعيُ الجليلُ ، والرعيُّ الجميلُ ، والوفاءُ الذي
قصيرٌ عنه قصيرٌ ٢ ، أبقاه الله بقاء هذا الأثر ، الذي يبقى بعد فناء البشر .

ومن جواب أبي عبد الرحمن له على هذا الخطاب : وافى كتابك
الكريم رائداً في جناب التسلية ، ومنيراً من أفق المشاركة والتهنية ، وأي
أنسٍ لم أجتني منه ، وكلُّ فصلٍ فيه أنا الشاكرُ عنه ، وللأيام — كما
قلت — تلونٌ بين الإساءة والاحسان معلوم ، وتقلبٌ [١٢٢ أ] بالإنسان
قديم ، تنقضُ غبَّ ما تُبرمُ ، وتعترضُ على إثرٍ ما تُسلم ، فالتفويضُ
إلى الله في خطبها أهدى ، والرغبةُ في ثوابه جلٌّ وتعالى أحرى ، وكان
لها بحكمه ٣ [ليغال] في جانبي ، وإطلاقُ عليّ بنوائي ، عيس لها الزمانُ
إليّ وكان مبتسماً ، وتشعبَ وما زال منتظماً ، إلا أنه تعالى بلطفه الخفيّ ،
وصنعه الخفيّ ، ألهم إلى الصبر ، ودلّ على ما يعودُ بالأجر ، فسأيرتُ الغبرة
كما سائرني ، وتجلّت لها كما نالت مني ، وأتاحَ الله خلالها ذُخراً كريماً
انتضى لي حساماً من رأيه صقيلاً ، وبذل دوني مذهباً في سعيه جميلاً ،

١ د ط س : عن خطوبه عن .

٢ قصير بز سعد اللخمى الذي وفى بلديمة وجدع أذنه واحتال على الزبا ، حتى أخذ بثأر جديمة
مع عمرو بن عدي ؛ (انظر صفحات متفرقة من فصل المقال) .

٣ ب م : تحكما .

٤ ط د س : من الأجر .

٥ ط د س : كيف .

فابتزني من يدِ الدهر ، وخلطني بنفس الخلو والمر ، واحدي الوزير الأجل^١
أبا بكر بن عبد العزيز - أحسن الله ذكره ، وأدنى عني شكره - .
وبعد ، فحق مساهمتك جليل^٢ ، وثنائي على مبررتك موصول ،
ولا ارتياب عندي بانزعاجك أولاً^٣ وابتهاجك آخرأ ، وصحة مودتك^٤
باطناً وظاهراً .

ولأبي جعفر بن جرج من أخرى^١ : ورد كتابك [الكريم] حلوا المناسبة
جزل الضريم^٢ ، كما عصفت الريح وهب النسيم ، ومعلوم - أعزك الله ،
والعذر في ذلك قد قدمناه - أن الجذاع لها نشاط ، وأن القرح من الإعياء
على سقاط ، فكيف نذارعك^٣ هذا البساط ، وأنت تفتن من الكلام بين
المطبوع والمصنوع ، وتأخذ بطرفي الموصول والمقطوع ، فطوراً في سهول
الوهاد ، وطوراً على حزون النجاد ، فمن لي وكيف لي ، بمن سيئله^٤
يحط الجندل من علي :

هو السيل^١ إن واجهته^٢ انقدت طوعه^٣
وتقتاده من جانبيه^٤ فيتبع^٥

ومن شعره ، قال في النسيب^٤ :

ونخذ^١ تأنق صباغ^٢ه قد اختلفت فيه أصباغه^٣
فللدر^٤ والورد^٥ أبشاره^٦ وللمسك والآس^٧ أصدائه^٨
بديع^٩ المحاسن^{١٠} قد صباغه^{١١} فأبدع^{١٢} ما شاء صواغ^{١٣}ه

١ ب م : فجاوبه ابو جعفر بن جرج ؛ قلت : وذلك قول غير دقيق .

٢ الضريم : الحريق أو كل شيء أضرمت به النار ؛ د ط س : الغريم ؛ ب م : العريم ؛ والجزل :
الغليظ الشديد .

٣ ب م : يدار على . ؛ منها بيتان في المسالك .

نتيـجٌ من الشمس في قلبٍ حبيبٍ له مقلةٌ ، طرفها
من الصُّبحِ أحكـمٍ لإفراغهُ
عدوٌّ فؤادي لدأغـسه

وقال :

يا أملح الناس بل [يا] فتنة الناس
يا من أشبهها حسناً إذا طلعت
ما لي وما لك تجزيني قلى بهوى
يا غصن آسٍ لأدواءِ الهوى آسي
بدرأ على غصنٍ يهترئ مياس
كفى بهذا فدتك النفس من باس [١٢٢ب]

وقال ١ :

كم بالمواكب ٢ من زورٍ على رقبِ
أسمو إلى نيرٍ ، الأفلاك مرتقياً ٥
وأنجمُ الجوّ تبدو في حدائقها
ثم انثنتُ وقد رويت من غلـلٍ
خطرأ ٣ على الهول في غاب القنا الأشب
حتى خلوت بشمس الحدر في الحجب
كالتور أزهر في أحوى من العشب
هيمٍ ولم أنس ببقيا الدين والحسب

وقال :

هم صيرونى خيالاً غير منتعشٍ
ان الهوى كتب الآجال في مقل ال
بيض مناظرها سود غدائرها
كيف النجاة لقلب بات منتهشاً
لا أستبين من الأسقام في فرشٍ
آجال من أنسٍ عن وصلنا وحشٍ
كما تلاقى جيوش الروم والحشب
ما بين عقرب ذاك الصدغ والحنش

١ وردت هذه الأبيات في المسالك .

٢ ط د س : بالمراقب .

٣ المسالك : خطوا .

٤ س والمسالك : منزل .

٥ ط د س : مرتفعاً .

أَهْلَةٌ فِي لِيَالِي السَّعْدِ ١ مَطْلَعُهَا
جَنَابٌ ٢ رُوحٌ أَرَى وَرَدَّ النِّعِيمَ بِهِ
يَا عَيْشَةَ النَّفْسِ يَا رُوحَ الْحَيَاةِ لَهَا
وَقَالَ ٣ :

وَمُدَّ هَبَّ الْخَدِّ لَمْ يُدْهِبْ بِابْرِيزِ
قَدْ رَاقَ بِالنُّورِ حَتَّى مَا نَحْدَدُهُ
بِدَائِعُ بِكَمَالِ اللَّهِ شَاهِدَةٌ
وَقَالَ ٥ :

سَارُوا فَوَدَّعَهُمْ طَرْفِي وَأُودِعَهُمْ
هَمُّ الشَّمْسِ فِي عَيْنِي إِذَا طَلَعُوا
وَلَهُ يَنْدُبُ أَطْلَالَ الزُّهْرَاءِ :

سَقَى اللَّهُ زُهْرَاءَ الْقُصُورِ وَإِنْ بَدَتْ
فَلَا جَوْءَ كَالجَوْءِ الصَّقِيلِ بِأَفْقِنَا
عَلَى قَدَرٍ مَا أُعْطِيَ الْعَيُونَ مِنَ الْحَسَنِ
وَكَمْ قَدْ جَنَّتْ تِلْكَ الْمَنَى أَهْلَهَا الْمَنَى
لَعَيْنِيكَ غِبْرَاءَ الدُّثُورِ حَيَا الْمَزْنِ
وَذَاكَ الْهَوَاءُ الْغَضُّ كَالْمَلْمَسِ اللَّدَنِ
سَنَاهَا غَدَتِ تَعْطِي النَّفُوسَ مِنَ الْحَزَنِ
فَأُضْحِتْ وَمَا غَيْرَ الْأَسَى رَائِدَ اللَّحَنِ

١ ط د س : الشعر .

٢ ب م : حيات .

٣ منها بيتان في المسالك .

٤ ط د س : يرقع .

٥ وردا في المسالك والمغرب .

٦ المسالك : فما بعدوا عني ولا قربوا عني وقد قربوا المغرب : فما بعدوا . . . ولا قربوا ؛

ط د س : ولا قربوا .

عفا حسنهما إلاّ أزاهرَ دمنةً وعرفاً
تذكرنا تلك المباني بعرفها
كأنّ المسك فيها من الدمن [١٢٣ أ]
وبالزهر تلك الأوجه الزهر [في] الحسن
إذ الملك فيها والملوك أعزة
وفيهما الغنى لو كان ذاك الغنى يغني
ووقف أبو جعفر بن جرج على قبر أبي عامر بن شهيد فرأى شعره المنقوش
الذي يخاطبُ فيه صاحبه الزجالي^١ :

يا صاحبي قم فقد أطلنا
... الأبيات ؛ فقال أبو جعفر :

ماذا طوت ويَسبها اللحدُ
من كرمٍ فرَعه حصيدُ
هذا الشهيدي رهنُ قبري
وشعره ناطقُ شهيد
بادرني في الصفيح منه
محاور^٢ صحبته مشيد
وأفصحَ القبرُ باعتبار^٣
وامتنعَ القولُ والنشيد
كيف يحيرُ الجوابَ قومُ
كالتربِ في تربهم هجود
قد عفيت منهم جنوبُ
وعفرت منهم خلود
ونخرت بالبلى عظامُ
وانثرت في الثرى الجلود^٤
كم شتدوا في الدنا قصوراً
وقصرهم مآخذُ مشيد
كم نعموا لذةً وكم قد
غادتهم بالكؤوس غيسد
ما منهم ان دعا سئولُ
مبدىءُ قولٍ ولا معيد

[ومنها] :

- ١ انظر ديوان ابن شهيد : ٩٨ .
- ٢ ب م س : مجاور .
- ٣ ط د : في اعتبار .
- ٤ ط د : لحد .

أعززُ أبا عامرٍ علينا
لو كنت تُفدى فدتك نفسي
كم لك من منطقٍ صؤولٍ
أين غماماتك الغوادي
أين وزاراتك الهــــــــــــوادي
ولت كما أقشعتُ سحابٌ
أودى عميد الوري فكلُّ ال
ان تحمصك المنونُ حصداً
ولو تُنيلُ العلا خــــــــــــوداً
إليه أبا عامرٍ وأنت ال
إنا أزرنا الركابَ قصداً
كالبيتِ تهوي إليه شعثُ
جاد بذاك الثرى ربيعُ
ليزهرَ التورُ في ذراه
يقولُ من جاءه أوْشِي^١

وقال أيضاً يرثي أبا بكر بن عمار من قصيد أوله^٣ :

قد طال ما عمّر المرءُ ابن عمار
يُملى له وتملى كلُّ ما وطير
استدرجته لما قد أدرجتهُ به
مُسْتَدْرَجاً بأماني وأخطار
وللمقادير فيه أيّ أوطار [١٢٣ ب]
حتى أتى لمناياه بمقــــــــــــدار

١ ب م : تروي .

٢ ب م : المفيد .

٣ ورد بعضها في المغرب .

موارد^١ خَفِيَّتْ عنه مصادرُها
 وهل مُعَمَّرُ قومٍ خالدٌ أبداً
 وهل ممتعٌ حالٍ دائمٌ أبداً
 مستوزرٌ لم يئثل منها إلى وزرٍ
 والمرءُ محتقِبٌ شراً وتحسبُهُ
 تأتي الأمورُ إذا أقبلنَ مشكلتُهُ
 وليس مقتبلٌ أمراً^٣ كمدبرٍ
 ومن يتقدُّهُ الهوى أشفى به عمتهَا
 وإن مضى فلقد جدَّ الردى فمضى^٥
 والحَيْنُ ما بين إيراد وإصدار
 ولو غدا العمرُ موصولاً بأعمار
 والدهر رهنٌ باقبالٍ وإدبار
 كم قد تحمَّلَ من أعباءٍ أوزار
 خيراً [لاشكال] لإبطانٍ وإظهار^٢
 لكن تفاسيرُها تُغري بادبار
 ما خابطُ الليلِ كالساري^٤ بأنوار
 على شفا جُرْفٍ يهوي به هار
 للمبطلين ببطالٍ ونظار^٦

ومحاسنُ أبي جعفرٍ أشهرُ مما أثبت ، ولا يفني شرطُ الكتابِ بأكثر مما
 كتبت .

فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي الفضل بن حسداي الإسلامي وإيراد
 جملة من نثره ونظمه^٧

كان أبوه يوسف بن حسداي بالأندلس من بيت شرف اليهود ، فنجم

- ١ المغرب : مكاره .
 ٢ ب م : انظار واظفار .
 ٣ ب م : رأياً .
 ٤ ب م : للساري .
 ٥ ب م : حد . . . فصعى ؛ ط : جر .
 ٦ البطال : البين البطولة ؛ النظار : الشهم الطامح الطرف ، يوصف به الفرس ؛ ط د س : وبطار .
 ٧ حسداي بن يوسف بن حسداي : له ترجمة في المغرب ٢ : ٤٤١ والمطرب : ١٩٦ والقلائد :
 ١٨٣ والخريدة ٢ : ٤٨٠ (٣ : ٤٦٠) وطبقات صاعد : ٧٧ وابن أبي أصيبعة ٢ :
 ٥٥ ونفح الطيب ١ : ٥٣٥ ، ٦٤٠ (نقلا عن القلائد) ٣ : ٢٦٧ ، ٢٩٣ ، ٤٠١ وبدائع
 البدائه : ٣٦٧ .

بأفق سرقسطة في ذرا دولةِ ابن هود^١ ، وكان له في الأدب باع ، وبما حمل من أعباء تلك الدولة استقلال^٢ واضطلاع ، وقد رأيتُ له شعراً لم أرُوهُ فأجتلبه ، ولا استجدته فأبحث عنه وأطلبه . ونشأ أبو الفضل ابنه هذا صفةً احتملها ، وكنايةً^٣ اخترلها ، هضبةً علاء ، وجدوةً ذكاء . وذهبوا^٤ أن جاريةً ذهبتُ بلبه ، وغلبته على قلبه ، فجنَّ بها جنونه ، وخلع اليها دينه ، وعلم بذلك صاحبها^٥ فزفها إليه ، ووضع زمامها بين يديه ، فتجافى عن موضعه من وصلها ، أصبح ما كان بين دلالها ودلها ، أنفةً من أن يظنَّ الناسُ أن إسلامه كان من أجلها ، فحسنَ ذكره ، وخفي على كثيرٍ من الناس أمره .

وهو أحد من عني في هذا الاقليم ، بالنظر في أنواعِ التعاليم ، على مراتبها ، وتناولِ الفنون^٦ من طرقها ، وأحكامِ علمِ لسانِ العرب^٧ ، وبلغَ الرتبة العليا من البلاغة في الشعر والأدب ، فطارت الكتابةُ باسمه ، وخلت بينه وبين حكمه ، ولم يكن له بالشعر [١٢٤ أ] فضلٌ عناية ، فلم يجر منه إلى بعيد غاية ، وقد أثبت من كلامه ما تعلق^٨ بحفظي ، ووقع في شَرَطِ صدري ؛ وكان بالجملة كما وصفه أبو عبد الرحمن بن طاهر في فصلٍ من خطابِ مخاطب به المقتدر بن هود يقول فيه^٩ : « والوزير

١ ب م : ابن رزين .

٢ ب م : وكناية .

٣ س : صفة جملها وكناية حملها .

٤ انظر نفع الطيب ٣ : ٤٠١ .

٥ ب م : صاحبه .

٦ ب م : العيون .

٧ ط د س : علم اللسان العربي .

٨ ط د س : علق .

٩ ط س د : في رقعة مخاطب بها . . . قال فيها .

الكاتبُ أبو الفضل ، وحيدُ الفضلِ وينبوعُ النبلِ ، وما عداه قول القائل :
إن أبا الفضلِ له فضلُهُ وأين في الناسِ فتىً مثلهُ

جمع الخلال الزكية فاحتواها ، ورأى تلك الجلالة فاحتذاها ، وحق لمن
ربي في حجرها ، وارتضع بدرها ، أن يتبئين فيه رجحانها ، ويتمنم
عليه رجانها ، وأن يكون له الشفوف والتبريز ، ويتملئ به الجانب العزيز .

جملة ما انتخبته له من ترسيله

فصل له من رقعة إلى ابن رزين^١ : كنت أرتاح إذا ومضت من أفقه
البسام^٢ بارق ، أو ذر من سمته الوضاح شارق ، فأقتصر^٣ من تلقائه على
استنشاق نسيم ، وأنتى لي من عرار نجد بشميم ، حتى ورد ما أمتع بوابل
بعد ظل ، وسقى نهلاً ووالى بعسل ، واسترهب بمعجزتي سحر حرام
وحل ، قد قصر الله عليه الإبداع : [طوراً] في الندى ببراعة خطيب
وبلاغة كاتب ، وطوراً في الوغى ببديهة طاعن وروية ضارب ، والرب
يديم إمتاع أشياعه ببارع جلاله ، ويصون عيون الحوادث عن كماله ،
بمنه .

واستوضحت ما أوما إليه من نشد العبد الآبق ، على النهدي^٦ السابق ،

١ اورد بعضها صاحب المغرب .

٢ ب م : ابسام .

٣ ط س : فأختص .

٤ ط د : واستوهب ؛ المغرب ؛ وهر .

٥ ب م : وقصور .

٦ ط د س : المهر .

وقد أعملتُ في بقائه المكايد ، وبثتُ في اقتناصه الحبالَ والمراصد ،
فكانَ الرياحَ تخطَّفتُهُ ، والبحارَ غمرته ، والبلادَ أخفَّتته
وأضمَّرتُهُ ، وكيف يُظنُّفَرُ بعبدِ حوشِ الفؤاد ، شكسِ القياد ،
أرغب عن خضوعِ المماليك ، ولحقَ بدُّوبانِ الصعاليك^١ ، يعتسفُ شتَّى
المسالك ، ويعروري ظهورَ المهالك^٢ ، فاتحُ كاسمه سائح^٣ ، على أجردِ
سايح :

كأنَّ على أعطافه ثوب ماتح^٤

وعسى أن يعود هذا الذاهبُ وشيكاً إلى ملكه ، وينتظمَ المتبددُ
من سلكه ، وإن نددَ هذا الشاردُ ، فما يأسى له الفاقد ، فلا حظَّ
في ارتباط غادر ، ولو أربى في البأس على أسدٍ خادر . وما أولاه
— أيده الله — أن يرتادَ لصنيعه طريقَ المصنع ، ويودِعَها خيرَ
المستودع ، وأن يرتابَ بالثقات ، ويسبيءَ ظناً بالخدم^٥ تفرساً في السَّمات ،
وقد عري عن الخير مَنْ جمعَ تلك [١٢٤ ب] الصفات : من زُرُقَةٍ
مقلة ، وصُفْرَةٍ بشرة ، وحمُرةٍ شعرة ، لا جرمَ أنه نزع بدناءةَ الأروم^٦ ،
إلى أشباهه الروم ، فليبعدْ مثله ، فسيناله ما هو أهله ، ويوقفه^٧ غيِّه وجهه .

١ ب م : الممالك . . . الصمالك .

٢ من قول تأبط شرا :

يظل بمومة ويمسي بديرها جحيشاً ويعروري ظهور المهالك

٣ ط س : سايح .

٤ ط س د : مايح .

٥ م ب : بالحزم .

٦ ط س : الأرومة .

٧ ب م : ويوقفه ؛ ط : ويوقفه .

وله من أخرى إلى المستعين يعتذر من خروجه عنه : الدهر — أيد الله
 مولاي^١ — منتقل^٢ متقلب ، والدنيا دول^٣ وعقب^٤ ، ومقام القطان في
 الأوطان ، كمقام الأرواح في الأبدان ، تصبحها إلى آجال موفاة ،
 عند آما^٥ مستوفاة ، فمدد^٦ الأحوال مناسبة للأعمار :

ولنما الناس نفوس الديار

وقد عمّرت^١ ذلك الأفق ما امتد^٢ المهل^٣ ، فلما نبا أجد^٤ الظعن
 والتحول ، وليس للمملوك على مولاه حق^٥ يدعيه ، ولا مطلب^٦ يقتضيه ،
 وإنما هو إحسان^٧ يوثق^٨ ويقيد ، أو تسريح^٩ يُطلق^{١٠} فيشرد^{١١} ، قال تعالى
 ﴿ ولو كنت فتناً غليظة القلب لانفصوا من حولك ﴾ (آل عمران : ١٥٩)
 وقال الحكيم : « من^{١٢} لان تألف^{١٣} ، ومن شد^{١٤} نفر^{١٥} » ؛ ولكل^{١٦} مقام مقال ،
 ولكل^{١٧} زمان رجال ، وفي كل^{١٨} مضيق^{١٩} مجال ، وقلما اطردت^{٢٠} الخطوة^{٢١}
 في الدو^{٢٢}ل ، لمن اختص^{٢٣} بالأسلاف الأول ، ومن خد^{٢٤}م الآباء لم يخدم^{٢٥}
 الأولاد ، فضلاً عن من^{٢٦} خد^{٢٧}م الأجداد ، وأنا آية^{٢٨} تصرفت^{٢٩} ، وحيث^{٣٠}
 تقلبت^{٣١} ، العبد^{٣٢} القين^{٣٣} ، فليحسن^{٣٤} بي الظن^{٣٥} ، فإني^{٣٦} لا أليم^{٣٧} بنقض^{٣٨} ولا
 ثلم^{٣٩} ، ولا أهم^{٤٠} ببغض^{٤١} ولا وصم^{٤٢} . ومن أملي^{٤٣} أن ألقى^{٤٤} مولاي يوماً من الدهر ،
 بوجه^{٤٥} يُسفر^{٤٦} عن أساره^{٤٧} الزهر^{٤٨} ، صافي^{٤٩} الفير^{٥٠} ندي^{٥١} من صدأ^{٥٢} [يعيب] ،
 نقي^{٥٣} الأديم^{٥٤} من خجل^{٥٥} يريب^{٥٦} ، وله علي^{٥٧} من كرم^{٥٨} العهد^{٥٩} كالي^{٦٠} ورقيب^{٦١} ،

١ ط د س : أيدك الله .

٢ ط د س : فمدود .

٣ ط د س : أنى .

٤ ب م : في أي .

٥ ط د س : بعض ولا ثلم ؛ ب م : ببغض . . . بنقض .

وإن أضمرتني من جوانح البلاد^١ حُجُبٌ وَعُيُوبٌ :
فلو كنتُ بالعنقاء أرباً سومها لخلتُك إلا أن تصدّ تراني^٢

وقد خاطبتُ من وثقتُ بودّه ، وأنستُ إلى جدّه ، فإن جادَ مولاي بالصفح ،
وعاد بالخلقِ السّمح ، فهو الذي يتضطرّه إليه عالي منّصيه ، وسامي
رُتبّه ، وإن صرم الحبل ، وجذم الأّصل ، فهو حكمُ الزمانِ الفاسد ،
ولا نُعمى^٣ للشامتِ الحاسد ، فليس بالباقي ولا الخالد ، فكلُّ عرضٍ ذاهبٌ
مع جسمه الفاني ، و « ذكرُ الفتي عُمُرُهُ الثاني » ؛ وإن استحلّ حرامٌ ،
من دارٍ أورثها كرام ، فالعفاءُ على الجفنِ إذا سلم الحسام ، وقد صانتهُ
وأغمده ، من زانه إذا تفكّده ، وإن تعدّى إلى تغيير الرسوم ، فربما لُبِسَ
على الإقواء ثوبُ النعيم ، وقد قال سقراط^٥ : إذا انكسر الحبّ لم ينكسر
المكان ، ولا يتسعُ في تغييره الامكان ، ولك في ما تراه المثلُ الأعلى ، وفي
ما تتوخاه الشرفُ الأزكى^٦ .

قوله : « وإنما الناسُ نفوسُ الديار » لفظُ بيتِ علي بن محمد الإباضي ،
حيث [١٢٥ أ] يقول :

ماتوا فماتتُ أسفاً دارهُمُ وإنما الناسُ نفوسُ الديارُ

١ ط د س : البعد .

٢ العنقاء : أكمة فوق جبل مشرف ؛ وفي التسخ أو باسومها .

٣ ط س : معي .

٤ من قول المشبي :

ذكرُ الفتي عمره الثاني وحاجته ما قاته وفضول العيش أشغال

٥ ط د س : أبقراط .

٦ ب م : الأقصى .

وقوله : « فالعفاء على الجفن إذا سلم الحسام » من قول المعري في مرثيته
في أبيه ، ومن جملة شعرٍ يقول فيه ^١

ولإجلالٍ مغناكَ اجتهادُ مقصّرٍ إذا التّصلُّ أودى فالعفاء على الجفن
وقوله : « فربّما لبس مع الإقواء ثوبَ النعيم » من قول أبي نواس ^٢ :

لمن ديمّن " تزدادُ طيبَ نسيمٍ على طولٍ بما أقوتَ وحسن رسومٍ
تجافى البلى عنهنّ حتى كأنما لبسنَ على الإقواءِ ثوبَ نعيمٍ

ولئنما أخذهُ أبو نواس ^٣ من قول أحد الأعراب :

شطّنتُ بهم عنكَ نيّةٌ قدّفتُ غادرتِ الشّعْبَ ؛ غيرَ ملتئمٍ
واستودعتُ سرّها الرياضُ فما تزدادُ طيباً إلّاّ مع القدم

أو من قول الآخر :

ما غيرَ الدارَ بعدَ ساكنها ريحٌ ولا ديمةٌ ولا مطرٌ
كأنّها ترعةٌ ^٥ يمانيةٌ قد نُشِرتْ في عِراصِها الحِبرُ

وقال الأنخطل ^٦ :

لأسماءَ محتلٌ بناظرةِ البشريِّ قديمٌ ولما يعفُهُ سالفُ الدهرِ
يكادُ من العرفانِ يضحكُ رسمه وكم من ليالٍ للديارِ ومن شهر

١ شروح السقط : ٩٣٠ .

٢ ديوان أبي نواس : ٨٨ ، وروايته : حسن رسوم . . . وطيّب نسيم .

٣ س د ط : الحسن .

٤ ط د س : الشمل .

٥ ب م : جرعة .

٦ لم يردا في ديوانه ؛ والأول له في معجم البكري : ١٢٨٩ ؛ ط د : وقال الآخر .

وقال أبو صخر الهذلي^١ :

ليلي بذات الجيشِ دارٌ عرفتُها وأخرى بذاتِ البينِ آياتُها سَطُرُ
كأنهما مِ الآنِ لم يتغيّرا وقد مرَّ للدارين من بعدنا عصر

وقال مزاحم العقيلي :

تراها على طولِ القواءِ جديدةٌ وههْدُ المغاني بالحلولِ قديمٌ

وله من أخرى : إنَّ الله مولاي - أطوار ، وللبصائر ظلمٌ
وأنوار ، وأكثرهم ساعٍ لأمرٍ لا يدركه ، مراعي لرأيٍ^٢ لا يملكه ، والحقُّ
مستبهمٌ على من يتعسّفُ المجهلَ فيما يسلكه ، ومن أبصرَ رُشدَه ،
واستوضحَ قصده ، أمضى عزمَه مُجيداً في سعيه ، ولم يستشر غيرَ نفسه
[١٢٥ ب] في رأيه^٣ ، وقد سدّدَ اللهُ تعالى وأنجحَ المسعى ، وقدفتنا
عُرْبَةُ النوى ، حين هوتْ بي حيثُ الإلف والهُوى ، وله الطّولُ في الإذنِ
والقبول ، والتوطئة للحلول ، بتمهيدِ منزلٍ يتبوأ ، وبمديدٍ ظلٌّ يُتفَيّأ ،
لا زال فيناؤُهُ للقصدِ مألُفاً أهلاً ، وحرماً آمناً .

وله من أخرى عن المؤمن إلى ابن طاهر : محلكَ - أعزّكَ اللهُ - في
طيّ الجوانحِ دانٍ وإن شطّ المزار ، وعيانك في أحناء الضلوعِ بادٍ وإن
نزحت الديار ، فالنفسُ فائزةٌ منك بتمثيلِ الخاطرِ بأوفرِ الحظّ ، والعين

١ ديوان الهذليين : ٩٥٦ .

٢ ب م : لأمر .

٣ ب م : غير رأيه في نفسه ؛ وهذا مأخوذ من قول سعد بن ناشب (شرح المرزوقي : ٧٤) :

ولم يستشر في أمره غير نفسه ولم يرض إلا قائم السيف صاحبها

٤ ط : أحشاء .

نازعة إلى أن تُمتنع من لقائك بظفر اللحظ ، فلا عائدة أسبغُ برداً^٢ ،
 ولا موهبة أسوغُ ورداً^٣ ، من تفضلك بالخفوفِ واصلاً مسعداً ، إلى
 ما نيسٍ يتمُّ بمشاهدتك الثامه^٤ ، وشملٍ يتصلُّ بمحاضرتك انتظامه^٥ ،
 ولك فضلُ الإجمال ، في الأمتاع [من ذلك] بأعظم الآمال ، والإعدادِ
 على الأيام بقضاءِ دينٍ ممطول^٤ ، وإنجازِ موعودٍ لم أحلّ منه بغير تسويقٍ
 وتعليل ، وأنا على شرفِ سُودِ ديكِ حاكم ، وعلى مشرعِ سنائكِ حاتم ،
 وأنت - وصل الله سعدك - بسمح شيمك ، وسجاجةِ خلائقك وهممك ،
 تنشي للمؤانسة وعداً ، وتوري بالمكارمةِ زنداً ، وتقتضي^٥ بالمشاركةِ
 شكراً حافلاً وحمداً .

وله من أخرى عنه أيضاً ، وردني كتابك ، أحسن ما أملاه خاطر ،
 واجتلاه ناظر ، من ألفاظٍ ومعان ، اطرَدت في سلكِ إبداعٍ وبيان ،
 فحييت^٦ بالروضة الأئنف ، وعادت بعذابِ النطْفِ ، وهو المقالُ الصادرُ
 عن كرمِ الطبع ، الدالُّ على شرفِ الأصلِ والفرع ، الذي تفرَّ عن
 واضحِ الودِّ مباسمه^٦ ، وتنشقُّ عن ناضرِ العهدِ كائمه ، وتنهلُّ بواكفِ
 البرِّ غمائمه ، وقد وعيتُ منه ما توفّر به اللحظ^٧ ، وتسوغه^٧ السمعُ واللحظ ،

١ ب م : بلقائك .

٢ ب م : جدا .

٣ ب م : مورداً .

٤ د ط : مطال .

٥ م : وتقتضي .

٦ ط س د : فجئت (اقرأ : فجاءت) .

٧ ب م : ويوسعه .

وإن كانت لك مزيةُ السبقِ بفضلِ البيانِ [الذي] يبدؤُ الجاهدين عَفْوُهُ ،
ويفوتُ المجتهدين شأوه ، فالتكافؤُ واقعٌ بالتساوي ، والتوازي نازلٌ
بمحصنِ التجازي ، اكتفاءً بما تضمُرُهُ القلوبُ ، وتستشفهُ الغيوبُ ،
وهو اليقينُ الذي تجدُّ النفوسُ برَدَّهُ ، وتقفُ المعارفُ عنده .

وله عنه من أخرى : أنا على رسمي في الحظِّ الموفورِ منك منافسٌ ،
ولى عهدِكَ الكريمِ النصيرِ آنسُ ، ولما انتظم بيننا من موثيقِ
الوفاءِ كالى حارسٍ ، وان سُدَّتْ دونَ اللقاءِ المطالعُ ، فما صُدَّتْ
عن الصفاءِ المشارعُ ٢ ، وإني لأدخِرُكَ للجلسى ، وأجيلُ في الاعتدادِ بسنائكِ
القدحِ المعلّى ، [١٢٦ أ] والله يديمُ للعصرِ التحلي بمحاسنك ، ويوضحُ
سرَّوه ٣ بسماتِ فضائلك :

وله من أخرى : إذا انتظمتِ القلوبُ - أعزَّك الله - بالودادِ المكينِ ،
ووردتُ بصفائه في المشرعِ المعينِ ، تساوى البعادُ والاقترابُ ، ولم يوحشِ
التوقفُ والإغبابُ ، ولا مزيدَ على ما تحقَّقه من جنوحٍ إلى فضلك ،
وتصريحٍ بأحسنِ الثناءِ على جلالِ محلك ، واعلمُ أن عهدكِ الناضرَ
لا يذوى ، وبركِ المستجدِّ لا يبلى .

وله من أخرى : المقدماتُ توطئُ في الكلامِ لإيضاحِ النتائجِ ،
وامرارِ الكلامِ على اطرادِ المناهجِ ، وأما إذا كان المطلوبُ جلياً متبيناً ،
والودادُ المرتادُ في النفوسِ زكياً متمكناً ، فتكلِّفُ ما يُستغنى عنه عيياً ،

١ ط د س : وهذا .

٢ د ط : صدرت ؛ س : الموانع .

٣ د ط : عذره ؛ س : غوره .

٤ د ط س : توطأ لاتضاح ؛ ب : توطأ ؛ ط : التناهج .

لا سيّما إذا خوطبَ ذكيّ أُلعي ، ومثلك الحميمُ الكريمُ الذي يُتَمَيَّنُ
صفاؤه ، ويُدَخِرُ وفاؤه ؛ وكنتُ قد خاطبتك مشعراً نيتي في التحولِ ،
وعزمي في التجولِ ، حتى تُلْقَى العصا ، وتستقرَّ النوى ، حيثُ الصَّغْوُ
والهوى ، وأومئُ في ذلك إلى البيت الذي يعرف ويروى^١ :

تقولُ سليمي لو أقمتَ بأرضنا ولم تدرِ أني للمقامِ أطوفُ^٢

وقد تفسَّح^٣ المسالكُ بما يسرّه الله من تملك تلك القاعدة ، وأنا بحولِ الله
مزعمٌ للرحيلِ^٤ ، إذا انفرجتِ^٥ السبيلُ ، فطوّلتْ في إعلامي بحالِ المسالكِ
من مُرسِية إلى المغارب المتياسرة والتميامنة ، وكيف مكان التشيع^٦ حتى
يوصل إلى مأمنٍ بدمام لا يخفني وعرف لا ينكر ، فأمنجدي^٧ من
ذلك بياناً ، كأني قد شاهدته عياناً ، فالحازمُ الذي يسدُّ إلى الغرض قبل
إرسال سهمه :

وله [من أخرى] إلى ذي الوزارتين أبي بكر بن عمار عنايةً بابن
الحدّاد : المحاسنُ التي تُؤثّرُ عنك بالسروِ والسناء ، والمعاهدُ التي تتلاقى
عليك بها السنةُ الثناء ، تُميلُ إليك أحناءَ القلوب ، وتقفُ عليك نخائلُ

١ د ط : ويلوى ؛ س : يروى ويعرف .

٢ البيت في عيون الأخبار ١ : ٢٣٤ .

٣ ب م : يفصح .

٤ ط د س : الرحيل .

٥ د ط س : افرجت .

٦ د ط س : إمكان السعي .

٧ أمجده بياناً : أوسعه وأتى بما كفى وفضل ؛ ط د : فأمنجدي (حيث وقعت) .

الصدور ، وقد أصبحت بفضلِ الله^١ حلية الزمان ، ومفخر الأوان ،
 وَمَسْمَى عيونِ الأفاضلِ والأغيان ، بما نَزَعَتْ به من كَرَمٍ^٢ الخلاق ،
 وسموِّ الهممِ السَّوابق ؛ وما زلتَ - أدام الله عزك - تجلو على المتوسلين
 إليك صَفَحَاتِ البشر ، وتنزلهمُ في ذَرَاكِ عرصاتِ الإجمالِ والبرِّ ،
 فتجني ثمراتِ المجد^٣ ، وتتنشقُ نفحاتِ الشكرِ [والحمد] .

ومن أولئك الأعيانِ الأكابرِ، [بل] المُبِيرِ عليهم بخصائصِ المآثر، فلان،
 فاني ما أفأوضُكَ في وَصْفِ مناقبه ، وأعلمك بكريمِ ضرائبه ، واعتلائه
 [١٢٦ ب] في مراقي العلم^٤ وتسنمه ، وشفوفيه بالبراعةِ في الإبداعِ
 وتقدميه ، مفاوضةً مَنْ يَسِمُ لَدَيْكَ غُفْلًا ، وينبئه خاملًا ، ويذكرُ
 ناسيًا ، فإنك أعلى ملحظًا ، وأزكى تيقظًا ، من أن يغيبَ عليك مكانُ مثله ،
 ولا يتقررَ لَدَيْكَ سموُّ محلته ، في إحسانيه وفضله ، وَحَسْبُكَ به جملةٌ
 تُغْنِي عن التفصيلِ ، مع عاليِ نظركِ الجليلِ ، أني ما عاشرتُ أكبرَ منه
 في البرِّ والصلَّةِ ، ولا أقومَ بحقيقةِ الودِّ والخلةِ ، ولا ناسمتُ أطيبَ منه
 نفسًا ، ولا أمتع أنسًا ، نفاسةً خيِّمَ ، صادرةً عن شرفِ أرومِ ، وأنت
 خليقٌ بالاستكثارِ من جانبه ، والاجمالِ في معونةٍ مطالبه .

وكتب^٥ عن المقتدر إلى أخيه صاحب لاردة : وصلتِ الهديةُ التي

١ ط د س : فقد بفضلِ الله أصبحت .

٢ ب م : برمت . . . كريم .

٣ ب م : الحمد .

٤ ط د س : وتثنئي بنفحات ؛ ب : وتستنشق .

٥ د : يدل السير ؛ ط : يريل السر (دون إعجام) ؛ س : تدليل البر .

٦ د ط س : العل .

٧ ط د س : وله من أخرى .

أصْدَرَتْهَا سَاحَةُ الْفَضْلِ ، وَتَضَمَّتْهَا رَاحَةُ النَّبْلِ ، وَزَقَّهَا الْمَجْدُ زَفَافَ
الْهُدْيِ تَرْفُلًا فِي الْحَلِيِّ وَالْحَلَلِ ، وَتَقَدَّمَ سَفِيرُ الْآسِ ، فَأَذَاعَ مَا حَمَلَ مِنْ طَيِّبِ
الْأَنْفَاسِ ، وَتَلَقِيْتَهُ بِمَا يُتَلَقَى مِثْلُهُ مِنْ كِرَامِ الزَّوَارِ ، إِذْ كَانَ بِحَكْمِ
الْإِجْمَاعِ سَيِّدَ الزَّهْرِ وَالنَّوَارِ ، بِدَوَامِ عُهُدَّتِهِ^٢ ، وَبِقَاءِ جِدَّتِهِ ، وَتَمَادِي
نَضْرَتِهِ ، وَتَنَاوَلَتْ الظَّرْفَ الظَّرِيفَ الْوَاصِلَ مَعَهُ فَفَضَّضَتْ خَتَامَهُ ،
وَتَرَشَّفَتْ مُسْتَوْدَعَهُ ، وَتَسَوَّغَتْ مِنْهُ شَمُولًا مَعْتَقَةً^٣ ، لَذَّةً^٣ عَبَقَةً ،
قَدْ تَنَاهَتْ رِقَّةً وَصَفَاءً ، وَلَمْ تُبْتَقِ الْأَيَّامُ مِنْهَا إِلَّا هَبَاءً وَالْأَلَاءُ ، فَهِيَ تَمْنَعُ
الْكَفَّ ، مَا تَبِيحُ الطَّرْفِ ، وَأَدْرِيهَا بِالْقَدْحِ الَّذِي أَجَلَّتْ بِهِ مُعَلَّى الْقَدَاحِ ،
قَائِمًا عَلَى قَدَمِ الْإِعْظَامِ أَهْزُ عَطْفَ الْارْتِيَاكِ ، وَتَخَيَّلْتُ أَنِّي فِي ذَلِكَ الْمَأْلَفِ
الْعَزِيزِ حَاصِلٌ ، وَفِي ذَلِكَ الْمَأْنَسِ الْجَلِيلِ مَائِلٌ ، فَنَحْنُ مَتَلَقِيَانِ بَعِيَانِ
الْإِحْضَاصِ^٤ وَالْإِحْلَاصِ ، وَإِنْ تَنَاءَيْنَا بِالذَّوَاتِ وَالْأَشْخَاصِ ، وَوَصَلْنَا بِمَبْكَرِ
الْبَهَارِ الْجَنِيِّ ، مَمْتَعًا بِمَنْظَرِهِ الْبَهِيِّ^٥ ، وَعَرَفْنَاهُ الدَّكِيَّ ، قَدْ شَخَّصَتْ أَخْدَاقَهُ ،
وَرَاقَتْ أَوْرَاقَهُ ، يَمْدًا بِنَانَ لَهَبٍ^٦ ، وَيَرْنُو بِجِدْقِ حَمْرِ [تَلْتَهَبُ] ، كَأَنَّهُ^٧
إِكْلِيلُ تَبْرِ ، مُرْصَعٌ بِبِوَاقِيَتِ صُفْرِ ، وَهُوَ شَبِيهُ الرَّاحِ لَوْنًا وَمَشْمَأً^٨ ،
قَدْ تَكَافَأَ بَيْنَهُمَا الْإِنْتِسَابُ ، يَحْكِيهِ مِنْهَا الْجَامِدُ ، وَيَحْكِيهَا مِنْهُ الْمَدَابُ ،

١ م : ونظمتها .

٢ ط د س : صباه .

٣ د ط س : لذعة .

٤ ط د س : الأشخاص .

٥ م : الهني ؛ ب : النهي .

٦ د ط س : ذهب .

٧ د ط : كأنها .

٨ ب : ومنتما .

وأَسْفَرَ غُضَّ الإسْفَرَجِ^١ ، عما خُصَّ به ذلك الأفقُ من الترابِ^٢ الدَّمِثِ^٣ والهوامِ السجسج ، فسقاه الله صوبَ السَّحابِ ، ولا زال منحضرَّ الربى خضيلَ الجَنَابِ ، واقتضى حكمُ الأدبِ المتعارفِ في السلامِ والمباداة^٤ ، ردَّ التحيةَ على سبيلِ المناولةِ والمعاطاةِ ، لا على سبيلِ المعارضةِ^٥ والمباراةِ ، وقد أنفذتُ ريحاناً مشموماً ، وريحياً محتوماً ، ولك الفضلُ في تسوِّغِ ما سقيتُ ، وتنشِئِ ما أهديتُ [١٢٧ أ] .

وله من أخرى إلى المقتدر^٥ على لسان النرجس : أنا — وصل الله بهجةَ سلطانك ، ونضرةَ أوطانك — إذا لحظتني بعين الاعتبار ، قائدُ النورِ ، ووافدُ الأزهارِ ، وأنا لها جالبٌ وهي طاردة^٦ ، ومبشِّرٌ بورودها وهي مؤيسة متباعدة ، فاني^٧ غَلَبْتُ بما في طبعي من التيقُّظِ والذكاءِ ، خُلِدَ الترابِ^٨ وَصَرَدَ الهواءِ ، ففقتُ عن إساءةِ الفَصْلِ عُدْرًا ، ونَحَلْتُ الشتاء^٩ على الربيعِ فخراً ، وفضلتُ الوردَ سيِّدَ الأزهارِ طراً ، وتورِّدُهُ شاهدُ خجله ، وتسترُّهُ من الحياءِ في أكمته وكلله ، فلي عليه فضلُ العيونِ

١ الأسفراج (Esparrago) وهو الهليون ، ويقال له أيضاً بعجمية الأندلس : الاسفراج ، سفارج .

٢ ب م : التراب .

٣ د ط : والمباداة إلى .

٤ س : المقارضة .

٥ إلى المقتدر : سقطت من د ط س .

٦ ب م : طارية .

٧ د ط : فأبما .

٨ ط د س : جلد التراب (اقرأ : جلد بمعنى جرد) .

٩ ط د س : ومحلت السنأ .

على الحدود^١ ، وشرفُ السيّد على المسود ، فبينما أنا سقيمُ الجفونِ من غيرِ سقَم ، مائلُ الجيدِ من دونِ^٢ ألم ، حتى أتيحَ لي ظريفٌ من خواصِّك يقصدني ، ونبيلٌ من عبيدك يعتمدني ، فأوجستُ حدراً وتشوقاً ، حتى أنسني بالكلام تالِّفاً ، وقظفني بغير إيلامٍ تلطِّفاً ، وحاورني بلفظٍ يلقنه^٣ النوارُ عياناً ، وإن لم يحسنْ عنه بياناً ؛ : يا أيُّها الزهرُ القاردُ ، والنورُ الشارد ، الساحرُ بحدقه وأجفانه ، الناظرُ بورقه وأغصانه ، الباهرُ بورقه وعقيقانه ، ما لي أرى قُضْبِكَ غبراً ذابلاً ، ومنايتك شعناً ناحلة ، وعهدي بك تمجُّ الأنواء^٤ ريقتها في ثغورك فتصبحُ حافلة ، وترضع^٥ الأنداءُ أفنانك فتغدو حاملة ، فتنوء^٦ بجيدك منثنياً ، كأنك أصبحت مُنتشياً ، وقد ساءَ لي ما عاينتُ من ضناك ونحولك ، فبادرتُ جناتك إشفاقاً من ذبولك ، لأنقلك من جناتِ النباتِ الهشيم ، إلى جناتِ^٧ السُرورِ المقيم ، وتسعدُ بالفوز العظيم ، باستلامِ^٨ راحةِ الملكِ الكريم .
وفي فصل منها : فليت الرياضَ تعلمُ بمكاني فتذبل كمداً ، وتدوى^٩

- ١ ب م : العنوان على الحدود .
٢ ط د س : من غير .
٣ ط د س : بلغته .
٤ ط د س : تحسن . . . عنواناً .
٥ ط د س : والنوار .
٦ ط د : الأنوار .
٧ م : وترضع .
٨ ط د س : فتثني .
٩ ط د س : جنات . . . جنات .
١٠ د : في استلام ؛ ط س : في استلامه .
١١ ط د س : وتلدوي .

حَسَدًا، وتراني وقد أنرتُ في أفقك البهيج، وزهرتُ في روضيك الأرج،
فكم تَمَنَّى الأزهار أن تضام لديك مطالبي، وتكدّر في ذراك مشاربي،
فأزل عني حسدَهم بكتبهم^١، فقد شجاهم تقدّمي قبّل وقتهم،
وأكمل مسرّتي وتمم أنسي، بلقاء شقيقة نفسي، فإني قسيمها وحميمها،
ومني لونها وشميمها، وأنا أشبه بها إذا شجّت وأدارت عيون حبيب،
من حصباء در في أرض ذهب^٢، وطبعي نظير طبعها، وما تقرّ عيني
إلاّ بدمعها، فلا تحتقر أيها العزيز مناب مثلي واعظاً مفصلاً، وهنا شفيماً
منجماً، فانّ الأزهار على العموم، تجلو قذى العيون وتفض ختام الهموم،
فهي كالثغور أوضّحتها ابتسام، وكاللالّي زانها [١٢٧ ب] في الأجياد
انتظام. وما مثلت بين يديك إلاّ لأسم غفّل العلم، فالعصا قرّعت
لذي الحلم^٣، فلا تُضع أيها الملكُ سبق تقدّمي، وحقّ متقدّمي،
فقد أشخصت طرفي إليك أملاً، وبسطت نحوك كفتي سائلاً، وحسبي
أن تلاقيتي ببشرِك، وتناجيني بفكرِك، فتنبّه العزم من وسّته، وتنشر
الحزم من جنته، فلك من براعة العلا، وأصالة النهى، ذكاء يري
لأول اقتداح زنده، ومضاء يفري بأيسر هز حده، ولديك من مناهل
الكرم، وفواضيل النعم، ما يزري بالمزّن ويوفي على الدّيم :

١ من قول المتنبي :

أزل حسد الحساد عني بكتبهم فأنت الذي صيرتهم لي حسداً

٢ من قول أبي نواس :

كأن صغرى وكبرى من فواقعهما حصباء در على أرض من الذهب

٣ من قول الحارث بن وعلّة (الحماسية : ٤٥ شرح المرزوقي) :

وزعمتم أن لا حلوم لنا . إن العصا قرّعت لذي الحلم

والشطر الثاني مثل ، انظر الميداني ١ : ٢٥ والسمط : ٥٨٤ .

٤ ط د س : ويربّي .

فانفتح لنا من طيبِ خُلُقِكِ شِيمَةٌ إنْ كانتِ الأخلاقُ مما توهب
وروا^١ برح ظمائي ، وانقع صدائي^٢ ، ولا تكل^٣ إلى الأنواء سقياي .

وله عنه من أخرى إلى المظفر أخيه ، وقرن بالرقعة ظرفاً بلور^٤
[أحمر] مملوءاً خمراً مع باقة آس ، يسليه عن ابن توفى له ، واشتد^١
حزنه عليه : لما كانت نفائس^٢ المواهب ، وخطيرات^٣ الرغائب ، مرتادة^٤
لأجل النفس ، التي بها مادة الحياة والحس ، وهي نور^١ البدن المبصر^٢ ،
وسائسه^٣ المدبر ، وجب^٤ بحكم العقل الذي أفاض^١ عليها سناه ، وأفضى^٢
إليها بهداه ، أن تكون^٣ العناية^٤ بدوام^١ صحتها ، موازية^٢ لتقدمها^٣ بالفضيلة^٤
على البدن^١ ومزيتها^٢ ، إذ كان لها البقاء^٣ وله الفناء^٤ ، ولها الفوز^١ في المعاد ،
وله^٢ الانتفاض^٣ إلى الأضداد ؛ وخاصة^٤ النفس التي تنفرد^١ بها ولا تشارك^٢
فيها معنى السرور والجلد ، وغاية^٣ الرجاء والأمل ، وبه المتاع^٤ في الدنيا ،
والنعيم^١ في الأخرى ، ونقيضه^٢ الحزن^٣ ، وهو ألم^٤ من آلامها يطمس^١ نورها
ويكدر^٢ صفاءها ، وينقص^٣ نعمتها وهناءها ، فإذا انجذبت^٤ مجيبة^١ لدواعي
الهم^٢ منقادة^٣ في زمامه^٤ ، ولم تدافع^١ عنه عند اعتراضه^٢ وإلمامه^٣ ، اشتملت^٤
على المضض^١ والنكد^٢ ، وحصلت^٣ في غمرة^٤ الركود والتبلى . وبحكم ذلك
يحق^١ على الحازم اللبيب ، أن لا يتني^٢ عن الأخذ^٣ من أقسام^٤ المسرة^١ بأوفى^٢
النصيب ، فيستمتع^٣ بالمواهب أيام^٤ مصاحبتهما ، ولا يجزع^١ عند ارتحالها

-
١ ط د س : وروح .
٢ ط د : والبصر .
٣ ط د س : موازنة .
٤ ب م : وينقص .

ومفارقتها ، ويستشعر أنّها مُعاراة لتؤدّي ، مُودّعةً لتقضى ، فلا يأسفُ
عندَ اقتضائها وارتجاعها ، ولا يأسى عندَ بَيْنِها ووداعها ، ويجاهدُ الهمَّ
إذا اعتلجَ في صدره ، بمضامٍ عَزَمِه وقوّةٍ صبره .

وقد اُسْمِيَ الله من مراقي شفوفِكَ وتقدّمك ، وأوضَحَ من معالي
سجايك وشيمك ، بحيث يُقْتَدَى بِأثْرِك ، ويهتدى بعملك ، وحسبي
[١٢٨ أ] أن أومىءَ بما عرضته مذكراً ، فتلحظه بنظرك الجليّ معتبراً ،
وتعرضُ^٢ عن نوازع الخطوبِ مُقْصِراً ، وتستأنفُ مقتبلَ الزمانِ الأغرَّ
الجديد ، والدهر الميمون السعيد ، فتشرعُ لمطالعة الأُنسِ باباً ، وتمهدُ
لمواصلته جناباً ، وقد تعرّضَ لي لئفُ كنتُ أصيلُهُ وأدنيه ، فأنا الآنَ
أهجره وأقصيه ، فلقي منّي انزواءً عنه وانقباضاً ، وشكا مني جفاءً
وإعراضاً ، فتصدّى ضارِعاً مُلْحِفاً ، في أن أُرْسِلَهُ نحوك مُسْتَعْطِفاً ،
فأسعفتُهُ وأودّعتُهُ ، ما تحمّله وأزعجتُهُ ، وهو - أنسَ الله مشاهدك ،
وأنصَرَ معاهدك - زائرٌ مُلْطِفٌ يتقدُّ طَبْعُهُ ذكاءً ، ومؤنسٌ يُسْتَشْفَى
ظَرْفُهُ صفاءً ، عَطْرُ المذاكرة عَيْقُ المفاكهة ، يفضُّ ختامَ الهمومِ
بنفحِ المناسبةِ وطيبِ المفاوضة ، وقد زار متوصلاً برسالي ، متوسلاً
بشفاعتي ، وصار عن يدي وانتقل عن راحتي ، وهو المَجْفُؤُ المَهْجُورُ حتى
تأذنَ بتقريبه وإيثاره ، والعملُ المصروفُ حتى تمنَّ بتوليته وإقراره .

وكتب على لسان المنجم بلاردة ، الملقب بالعافية^٣ ، وقد أصيبتُ إحدى

١ افتتحت هذه الفقرة في د ط س بلفظي : وفي فصل .

٢ ط د س : وتعرض .

٣ ط : بالقائنة ؛ د : بالقائنة ؛ س : بالمائية .

عينيه ، إلى الطبيب بها الملقب^١ بالبرذوقون^٢ ، وقد أصيبت إحدى^٣ خصيئته :
أنا أدعو [لك] - يا سيدي ومولاي ومن أنا عبدهُ على العموم - بمجهود
الدعاء بدوام النعمة ، وأقبله^٤ بعدُ بما يخصه ، حسب ما عليّ ينصه :

فوقيت بقراط الطيور تطبياً إذا عالج البرسام أو أبرأ البرص
من المنسرى الأشغى ومن حزة المدى ومن بندق الرامي ومن قصّة المقص
فهذي دواهي الطير وقيت شرها إذا الدهر من أحداثه جرّع الغصص

وقد جرّعتني أحداث الدهر غصصاً ، وعدت مثالوماً منتقصاً^٦ ، مشوهاً
بعد اقتبال الجمال ، مؤنسُ اليمين موحش الشمال ، كأني شق^٧ في
تقّر ، أو حوت موسى في بحر ، وقد صنّتها برقعة^٨ خمار أسود ،
وأدعي أني أشكو^٩ الرمد ، وربما سقط فأتبعه باليد ، وأنشد قبل
أن^{١٠} أنشد^{١١} :

سقط النصف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد^{١١}

١ ط د س : إلى طبيب يلقب (ط : يلعب) .

٢ البرذوقون : لفظة تعني الفتى أو الشاب .

٣ ط د س : أصيب بإحدى .

٤ ط د س : وأقبل له .

٥ ب م : بعد ما . . . بحسب .

٦ ب م : متنتقصاً .

٧ ط د س : نسناس .

٨ ط د س : بخرقة .

٩ ب م : أشكو إلى .

١٠ ط د س : استنشد .

١١ البيت للناطقة الديباني ، ديوانه : ٣٤ .

ومالي سلو عندما دهنتي الأيامُ بالنقص في أكرم^١ أعضاءي وأشرفِ جوارحي
إلا بما أتسني به بعضُ إخواننا قائلًا : هاك حديثًا يسليك ويعزبك ،
بمزيد حظٍّ وصلَ إلى الحكيم أخيك ، فقلت : هات حديثي^٢ بالحق عن
البرذقون ، فاستُ مَمَّنْ يُؤمِنُ بالأغرِقون^٣ ، فقال : إني اختلستُ
منه في الحمَامَ نظرةً فرأيتُ إحدى خُصِييه في قَدْرِ الدلاءِ^٤ العظيمة ،
[١٢٨ ب] والأخرى على الهيئة القديمة ، فقلتُ له : أراك أبرزتَ^٥
قثاءة في عباءة^٦ ، قد رَكِبْتَ باذنجانةً وأردفتَ دباءة^٦ . فأطربني
طيبُ نادرته^٧ ، وأمتعني خبرُ إفادته ، وعدتُ إلى اللازم من مخاطبتك بالتهنئة
والإيناس ، وما علينا من كلامِ الناس ، وما تخطتني نعمةٌ وفدتُ عليك ،
ولا آلني نقصٌ مع مزيدٍ وصلَ إليك ، والعافلُ لا يتنكّد بما تراه^٨ العوامُ^٩
إحدى خصيتيك^٩ — أتماها^{١٠} الله — فضائلُ يعرفها العلماء ، ولا يجهلها الحكماء ،
فقد قال الفيلسوف : إن البيضتين كالمعلقتين ، تعدلانِ الجسم ، وتسوسان^{١١}

١ ب م : أكثر .

٢ ط د : حدثنا .

٣ لعل المقصود العقار الذي يسمى : غاريقون أو أغاريقون (من اليونانية ؛ وباللاتينية
Agaricum) وهو شيء أشهب يوجد في قلب شجرة الأرز (انظر تحفة الأحياب :
٤٥ ومفردات ابن البيطار : غاريقون) .

٤ الدلاءة : البطيخة .

٥ ط د : أخفيت لنا ؛ س : أبرزت لنا ، وبالهامش خ : أخفيت .

٦ الدباءة : القرعة .

٧ ب م : بادرته .

٨ ط د س : ي .

٩ ط د : خصيتك .

١٠ ب م : أتماها .

١١ ب م : ويسوفان .

البدن ، وهما كالمادة^١ للقوة الطبيعية ، والمعونة للحرارة الغريزية ، ويشبهان بالأثقال تعلق^٢ من السقاء^٣ فترم رخيته ، وتضم قصيته ، وإذا عظمت الواحدة ، بانت الخصلة الزائدة ، فان البناء إنما يزن^٤ برصاصة ، والمهندس يرصد بشاقول^٥ ، وربما هجس في نفسك ، أنك تصير إلى الفرك من عرسك^٦ ، فتشذك ، وإنما تقصدك :

قد حلفت بالله لا أحبه أن طال خصياه وقصر زُبُه

وهذا الشيد ، في مثلك بعيد ، فان متاعك يطول للصغرى ، وتطواه الكبرى ، فيتبين^٧ اعتداله ، ويبدو كماله ، وقد سلمتا من التشبيه بفرجين أو أترجتين ، ولا يسوغ فيهما ولا يجوز ، أن يكونا كثتي حنظل في ظرف عجوز^٨ ؛ أستغفر الله ، وكيف تفرسك غانية ، أو تعصم منك مخدرة ، وما على ظهرها خود^٩ إلا وهي إذا عبرت في مِرطها أعيدت^{١٠} باسمك ،

١ ب م : كالبدأ .

٢ ط د س : والأثقال تعلق .

٣ ب م : السدا .

٤ ط د س : يوزن .

٥ س د : بسافوره ؛ ط : بساموره .

٦ ط د و خ بهامش س : زوجك .

٧ ط د س : فيسبق .

٨ فيه إشارة إلى قول الراجزة (الحماسية رقم : ٨٣٦) :

كان خصييه من التدلل سحق جراب فيه ثنتا حنظل

٩ ب م : مخدرة .

١٠ ب م : أغرت .

ولا فناة عَرُوبٌ إِلَّا وهي تَسْتغشي من غيرِ نَعْسَةٍ رجاء في لقاء خيالك^١ ،
 ولا محجوبةٌ مَصُونَةٌ إِلَّا وهي ترقعُ الكُوى بالمحاجر لمرك^٢ ، وهل في
 تمامك ريبٌ فيعالج بحجة ، أو في فضلك ردٌ فيثبت بيينة^٣ ، وقد استويت
 الآن بأثقالك ، واعتدلت بأرطالك ، ولوددت أن الأيام أعطني ما مَسَحَتْكَ
 زيادةً على ما نقصتني فكانت تكملُ صناعتي ، وتنفقُ بضاعتي ، ولاستغيتُ
 عن اسطرابِ كُرِّي ، وكرة ذاتِ كرسي ، إذ كنتُ أعودُ من الأدرّة ،
 إلى أصحَّ كُرّة ، قد ماسها جرمُ أسطواني ، ومخروطُ عصباني^٤ ، يكون
 تارةً عضادةً اسطراب ، وتارةً مقياسَ باب^٥ . وما أنا وتمني ما لا أدركُ ،
 وحسد ما لا أبلغُ ! ! الآن عدت فائقاً في الجماع ، وليس العيان كالسمع ،
 فالخصية إذا عَظُمَ جِرمُها ، وكبرَ حجمها^٦ ، تضاعفتُ في التوليد
 قوتها ، وتزايدت مادتها ، ولك المزيّة ، فإنك إنسانٌ حجلي^٧ ، أو حجلي^٨
 إنسي^٩ ، [١٢٩ أ] فقد ذكر صاحبُ كتابِ الحيوان^٩ أن إناث القبيح

١ ناظر إلى قول المجنون (ديوانه : ٢٩٩) .

وإني لأستغشي وما بي نعسة لعل خيالا منك يلقي خياليا

٢ من قول عمر (ديوانه : ٢١١) :

وكن إذا أبصرني أو سمعني سعين فرقة من الكوى بالمحاجر

٣ ب م : فتعالج الحجة . . . فتثبت بيينة .

٤ ب م د ط س : عصياني .

٥ د ط : مكور .

٦ ب م : ظل .

٧ ط د : جسمها .

٨ ب م : إنسان .

٩ م : حياة الحيوان .

تستقبلُ الذكورة ، فتتنسمُ الريحَ تهبّ من تلقائها فتحبل^١ ، وتصيح للصوت يصل من تلقائها^٢ فتحمل ، فاسحبُ أذياتكَ فاخرأ ، فقد تقدمتَ أولاً وآخرأ ، فلك من جهةِ الإنسانية سببُك في الفضائل^٣ ، وحلاوة الشمائل ، وحرارة النادرة ، وطيب الفكاهة ، مع شفوفك في الصناعة ، فعلاجك في الاصابة والطف ، كأنه وحي أو أخذ بالكف ، إذ كنت تهزلُ بجالينوس ، وتلهو بلحية اسقليبيوس^٤ ، فإنك من فرقة أصحاب الحيل ، وهذا رأيُ أتاك من جهة مزاج الحجل ، فنصرت تاسلاس^٥ ، على جميع الناس ، وغنيت بجنس^٦ الاسترسال والاحتباس ، عن هذيان أصحاب القياس ؛ وأما فضلك من جهة القبح فهناك الملاحه والحلاوة ، والرشاقة والطلاوة ، فلك من جمال الشفة ، ما يعرفه أهل النصفه ، فقد قبّح كلُّ لُمى بالسُمرة ، وحسّن مالك بفضل الحمرة ، فالحسنُ أحمر^٧ ، وهذا حق لا ينكر ، ولك من جهة^٨ المشي ما جهدت الطير في امتثاله ، كلفاً بجماله ، وربما

١ قال الجاحظ (الحيوان ٧ : ٢٤٨) : والحمر والقبيح ربما ألقحا الاناث إذا كانا على

علاوة الريح .

٢ ط د س : قبلها .

٣ ط د س : بالفضائل .

٤ م ب : اسقليبيوس ؛ وانظر ابن اليميم : ٢٨٦ .

٥ كذا في ب م ؛ وفي ط د و خ بهامش س : فصرت به ملكاً ؛ ولا ريب أن « تاسلاس » اسم لأحد أصحاب الحيل (علم الميكانيك) وأقرب الصور إليه « تاسلوس » وهو والد بقراط الرابع

(الفهرست : ٢٩٣) ب م : فبصرت ؛ س : فنصر .

٦ ط د س : وغنيت بجمى .

٧ هذا مثل ؛ انظر فصل المقال : ٣٤٤ والميداني : ١٣٤ .

٨ ط د س : حسن .

تشبهت بمشي الحجل ، فينلن^١ الحُسنَ بالحيل :

وكم من غرابٍ رام مشية^٢ قبجةٍ فأنسي ممشاهُ ولم يمشِ كالحجل^٣

وما تفعلُ برقة ساقك مع عموم محاسنك وبراعة حلاك^٤ ، فلا تحفلُ
بقولِ الراجزِ الجلف ، فكلامه يخرجُ إلى الخلف^٥ :

وهل علمتِ يا قفي التتفله ومرسين العجلِ وساق الحجله^٦

وهذا الغزال ، وهو النهايةُ في الجمال ، له دقة الشوى ونشوزُ القرن وصدع
الظلف^٧ ؛ والطاوسُ - وهو الغايةُ في الحسن - له قبُحُ الرجلين وعُرِّيُّ
الساقين ، وإنما يوصفُ الشيءُ بالأغلبِ عليه ، فيذكرُ به ويُنسبُ إليه ،
فقد برعتَ وبهرت^٨ وقهرت^٩ ، فأنت كالشمسِ لا يتعلَّقُ بها دنسٌ ولا
ثَلْبٌ ، وما يضرُّ القمرَ أن ينجحه كلب^٩ .

١ س : فنلن .

٢ ب م د ط س : في مشي .

٣ البيت في ثمار القلوب : ٤٨٩ دون نسبة ، وروايته : وكم عقق قد رام .

٤ د ط س : جلاك .

٥ من أرجوزة أوردتها القالي في أماليه ٢ : ٢٨٥ ونسبها لأعرابي وقال النجيري : الرجز
للأصمعي (انظر السمط : ٩٣٠) ، وهي في الأصمعيات : لصخير بن عمير التميمي ،
وسماه في الجمهرة ٣ : ١٣٠ صخر بن عمير ، وفي اللسان (مرطل ، ثمل ، ضلل) صخر
ابن عميرة أو ابن عمير أو صخر الغي ؛ وزعم أبو حاتم أن الرجز ليس بقديم ، كأنه يقول
هو من كلام المولدين (التاج : قفا) .

٦ قفي : تصغير قفا ، وقد حذف منه التاء ؛ التتفلة : الأثني من ولد الثمالب ؛ والمرسن من
الأنف : موضع الرسن .

٧ ب م : وصدع الصلف .

٨ ط د و خ بهامش س : بهرت وبرعت .

٩ من الأقوال المشبهة لهذا : قد ينجح الكلب القمر فيلقم الحجر ؛ ومنه أيضاً : لا يضر السحاب
نباح الكلاب (انظر التمثيل والمحاضرة : ٣٥٣ ، ٣٥٤) .

جوابها من إنشائه أيضاً على لسان الحكيم البردقون المذكور:
يا سيدي الذي أعترفُ بخصائصه التي انفردَ بِجمالها ، وأقرُّ له بمحاسنه التي
استبدتْ^١ بِجمالها ، وإن كانتْ قد دبَّتْ عقاربُ حسادته ، وما يستطيعُ
أن ينسلخَ عن ذميم عاداته ، ووجدتهُ قد نعى بصره ، وشكا عورَه ،
وأثنى على شرحي ، ولم يحفل بعرجي^٢ :

إنَّ في الجسمِ دمايهِ لَ وقُرُحاتٍ مُليحةً
ليتها في عينٍ مَن يَز عمها مالاً وصحبه

وقبَّحَ اللهُ النَّهَمَ فعنه تكونُ العِلَلُ المتولدة ، وكل داءٍ أصله البردَّة^٣ ،
ومع ما رُكِّبَ في من الشرِّه [١٢٩ ب] إلى المأكَل ، فإني متطفِّلٌ على
استجازه أكلِ الحجل ، فأذهبَ اللهُ نفسي ، يومَ أرومُ أكلَ أبناءِ جنسي ،
إذنُ أكونُ كالزنج الأنجاس ، الذين يستعجزونُ أكلَ لحومِ الناس ،
بل اني أطلبها من مظانِّها وأرتادُها ، وأنصبُ لها الحبالَ واصطادها ،
ثم أرسلها أسراباً وأفواجاً ، وأسرحُها فرادى^٤ وأزواجاً ، وأنشد متمثلاً :
أيا شبهَ ليلى لا تراعي فينتي لكِ اليومَ من وحشيةٍ لصديق^٥
وإن تكن^٦ — جعلتُ فذاك — قد أصابك عور ، ونالك منه ضعف^٧ وخور ،

١ ط د س : استبد .

٢ ب م : شرحي . . . بعرجي .

٣ البردة : التخممة ؛ وهذا حديث ، انظر الفائق ١ : ٨٤ .

٤ ط د س : يستحلون .

٥ ط د س : افراداً .

٦ البيت للمجنون ، ديوانه : ٢٠٦ وروايته : من بين الوحوش .

٧ م ب : ونالك مستضعف .

وهو نقصٌ في الظاهر ومزبدٌ في الباطن ، فقد حبيتَ باجتماع نورِ البصر
وكان متفرقاً ، واتحاده وكان مبدداً ١ ، فقد كان النورُ مرسلًا إلى
الحدقتين في العصبتين الجوفائين ، فلما انسدتْ ثقبُ الواحدة عاد إلى
الأخرى موفوراً ، وشفع بنورها نوراً ، كالحالِ في القمر يطلعُ في لياليه
البيض ، ساطعَ السناءِ باهرَ الوميض ، يجلو الدياجي ، فيهدي الساري ،
فإذا غرقتْ أعقابُه ٢ ، وتكامل غيابه ٣ ، فقَدَتْهُ النجومُ ، فاعتراها
الوجومُ ، ولفتها الليلُ في ملاءةٍ دياجية ، وأردفَ أعجازَه ونأى بهواديَه ٤ ،
فلو جمعتِ الكواكبُ منتظمةً في القَدْرِ ، لكانت أضعافَ البدر ، وهي
على ما هي عليه من الانتثار ، لا تهدي الساري قَصْدَ الآثار ، فبصرُك
الآن بحمدِ الله أجمعُ نوراً ، وأضوا شعاعاً ، وأنفذُ نظراً وأبعدُ اطلاعاً ،
ولذلك قال القائل :

شمسُ الضحى يُعشي العيونَ ضياؤها إلاَّ إذا نُظيرتْ بعينٍ واحدةٍ
فلذلك تاهَ العورُ واحتقروا الوري فاعرفُ فضيلتهم وخذُها فائده
نقصانُ جارحةٍ أعانتْ أختها فكأنما قويتْ بعينٍ زائده
والعُقَابُ الكاسيرُ ، والنسرُ الطائرُ ، وابنُ الماءِ المحلِّقُ ، ، بالإضافةِ
إليك خفافيشُ ، وبالمقايسةِ بك أخلادُ ، وقد أزرَيْتَ بزرقاءِ اليمامةِ ،

١ ط د : ويجذّه وكان مبدداً ؛ س : وانحيازَه ، خ بهامش س : وبجره .

٢ ب م : عريت أعقاره ؛ ط س د : عرفت .

٣ ط د س : عيابه .

٤ د ط س : وأردفَ أعجازها بهواديَه ؛ وفيه نظرٌ إلى قول امرئ القيس : « وأردفَ
أعجازاً وناء بكلكل » .

وما يبعدُ أن تحسبَ في لحظة ألف حمامة ، وترى حَضَنًا من أقصى تهامة^١ ،
فحدثنا عن هقعة الجوزاء أو نثرة السرطان : هل هي كواكبٌ صغارٌ
منتظمة ، أو [لطحه] سحابية^٢ مظلمة ؟ فإن بصرك يُدركُ حقيقة ذلك
ولا يكلُّ عن نيل مداه ، وبلوغِ أقصاه ؛ وأما رؤيتك الثريا سبعة أنجم
فهو ما لا يفخر به مثلك ، وإنما يُقاسُ به الحديد البصر ، وأنت في ذلك
أقوى البشر . وحدثنا عن كلف القمر ما هو ؟ واشرح لنا الحال في قَطْرِ
السحاب كيف هو ؟ فإنك تبصره مجتمعاً قبل ان يصيرَ بددا ، وتلاحظه
ذائباً [١٣٠ أ] قبل ان يجمد برداً ، وهذا كله مما تراه عياناً ، فأوجدنا
فيه بياناً ، ولولا أنك عند الفقهاء غيرُ مقبولٍ لما تدعّيه من [علم] التأثير ،
إذ يرمون^٣ أهله بالتعثير ، لبشّرت بهلال العيد بعد الاجتماع بساعتين ،
وبُعدِهِ عن الشمس بدرجتين ، وقد كنت بالأمس ، عند رفع الأسطراب
إلى الشمس ، تُغمّضُ إحدى عينيك لتعتدل لك رؤية الشعاع ، وموضع
العضادة في أخذٍ ، الارتفاع ، وقد كُفّيت ذلك بالعوّار ، مع زيادة
النظر ؛ ولأمرٍ ما تلطّف أهلُ الثغر في عورك ، فليس عندك شيء من
خبرك ، إذ صرت لهم رابثة تذرهم بالخيل على بعد مراحل ومسافة أيام ،
فأنت عندهم من أكرم البرية ، وأجدى من منار الاسكندرية ، لكنهم
لم يشعروا أنك الدجال المنتظر ، وقد خرجت عليهم بخروج عينك ،
وبرزت إليهم ببروزها عنك . فان اعترض معترضٌ وقال : إن الدجال

١ يقال في المثل : « أنجد من رأى حضناً » ، وهذا يعني أن من في تهامة لا يستطيع رؤيته .

٢ س : قطعة . . . ؛ د ط : سحاب .

٣ د ط : يرمزون .

٤ د ط س : موضع .

يقدمهُ خروجُ الدابَّةِ ، فان يكن هذا هو الدجال فأين الدابة ؟ فالجواب :
 أنكَ كنتَ الدابة ثم صرتَ بالعمورِ دجالاً^١ . وقد جال الصدق^١ في ذلك
 مجالاً ؛ وأنتَ قيطوس^٢ دابة البحرِ تعومُ في حُبُكِ الماء ، وتسبحُ [منا] لها
 في فلكِ السماء ، فان صورةَ قيطوس^٢ التي أثبتها جالينوس جماعةُ كواكبِ
 تُعرَفُ بدابة البحر ، وبطنها غائص^٣ في كواكبِ النهر^٣ ، فذنبها مما
 يلي الدنوّ حيث ينصبُ ماؤه في فم الحوتِ الجنوبية ، وبأعلى عرفها^٤ المعروج ،
 كواكبُ الحوتِ من فلكِ البروج ، فهي مغمورة^٥ من كل ناحية بالمياه ، مأنوسة^٥
 بالأقاربِ والأشباه ، وقد فازتُ بالطَّبَعِ المعتدلِ ، بما حازت^٥ من مجاورةِ
 برج الحمل ، فهذا المجدُّ الباذخ ، والأصلُ الراسخ ، والفرعُ^٦ الشامخ ؛
 فأنتَ حقاً الدجالُ الأعور ، والقائمُ المنتظر ، الذي نبأنا^٧ به الأثر ، نسألُ
 الله أن يعزتنا بأعلامك ، وينصرنا في أيّامك ، ونبتهلُ إليه في أن يكفيننا
 أشراطك ، ويزويَ عنا تعدّيك وإفراطك^٨ ، حتى إذا ظلمت وجرت^٨ ،
 وغيرتَ وبدلت ، قذفَ بك في قرارِ اليمِّ العظيم ، والتقمك الحوتُ
 وأنتَ مُسلم ، إن الله بعباده لرءوفٌ رحيم .

١ د ط س : الفكر الصدوق .

٢ قيطوس وتكتب أحياناً قيطس (Cetus) ، لفظة يونانية تعني الحوت أو البلينه ؛ وصورة
 قيطوس تشمل ٢٢ كوكباً منها كف الثريا الجذماء والضفدع الثاني (انظر : العلوم البحرية
 عند العرب ج ١/٣ : ٢٠٩) .

٣ ب م س : الشهر .

٤ ب م : عربها .

٥ بما حازت : سقطت من ط'د ؛ وفي ب م : بما جاورت .

٦ د ط س : والجبل .

٧ د ط س : نبأ .

٨ د ط س : وتجهرت .

وله من رقعة عن المقتدر عنايةً بالحصري : ما أثل الله من مجدك
وعلائك ، وأكمل من سرورك وسنائك ، وأصدّر عنك من محاسن الشيم ،
وقصر عليك من معالي الهمم ، يقود إليك الأهواء تنتحيك بصفو وداها ،
وتعتفيك بصدق ارتيادها ، وما زال ذراك الرفيع سابقاً على ذوي الأخطار
ظله ، غامراً لذوي الآداب إفضاله باهراً فضله ، وأحقهم بأجزل
البر^١ الأوفى ، من هاجر إليه على بُعد المدى ، [١٣٠ ب] مهلاً
بمحامده ومدائحه ، مستشعراً ليامن قصده^٢ ومناججه ، وهو الشيخ^٣
الفاضل الكامل أبو الحسن بن عبد الغني ، ألم بجهتي - جهتك - فوفد
عليّ منه الوافد الأثير والزائر الكريم^٤ ، وأنس بكاء مناسمته ، وأمتع
بجمال محاضرتيه ، وهو البارع المتقدم في إحسانه ، وتصرفه في الإبداع
وافتنائه ، وربما تقول كاشح^٥ ، ونمق كادح ، وزور حاسد^٦ ، وأوهم
خبّ معانيد^٧ ، لأجل استقراره في ذلك الجانب ، واشتماليه بطل المجانب ،
أنه انحرف بصفو ودا ، أو حرف بقول واعتقاد ، والله تعالى قد
شرف ربتك ونزه منصبك عن الاصغاء إلى تنميق الوشاة ، والإجازة لكيد
العداة ، والارتياح بعهدّة المخلصين الثقات ، وعصم النبيل النبیه مثله ،
ممن زكى الله [دينه] وعقلته ، من العدول عما دان به ، واعتلق بسببه ،
من الاعتزاء إلى ولائك ، [والتشيع في عليائك] ، والتشرع بمدحك^٧
وثنائك .

١ د ط س : وأحقهم بالبر ؛ ب م : بأجر البر .

٢ س : مقاصده .

٣ د ط س : الأديب .

٤ د ط س : المعظم . . . المكرم .

٥ د ط س : المقدم .

٦ د ط س : بصعر .

٧ م : والتسوغ ؛ ط : والتسرع ؛ ط د : في تمدحك ؛ س : في مدحك .

ومن شعر أبي الفضل

من ذلك أبياتٌ اندرجتُ له في تلك الرسالة المتقدمة على لسان النرجس^١ :

تقضّى زمانٌ، طائرُ الأُنسِ عنده مذكودٌ وسيربُ اللهُو فيه مروعٌ
 وطال انتظاري دولةَ الوصلِ بعدما تصرّمَ بالهجرانِ مشقى ومربعٌ
 عرضتُ له حبيّ فأعرضَ جانباً ولكن رعى عهدي الذي لا يُضيعُ
 وأرسلني كيما أدلَّ بحُرْمَةٍ لديكَ بها حقٌ كريم مشفعٌ
 فأقبلتُ أستجدي رضاكَ وان تَعُدَّ يُسارعُ إلى وصلي المحبّونَ أجمعُ
 وها فاعتبرُ في منبتي وتقلّبي فكلَّ لأصلٍ واحدٍ يتفرعُ
 لأودي بجثمانِي البلي وأبادَه وأثبت روحاً^٢ نيراً يتطلعُ
 يرى الوهمُ منه جوهرأ متضمرأ يروق ونشراً ساطعأ يتضوعُ
 كذلك أجسامٌ تبيدُ وأنفسُ إلى الشرفِ الأعلى تعودُ وترجعُ
 وما العيشُ إلاّ فرصةٌ يستديمها اللأ ييبُ بأثمارِ السرور فيجتمعُ
 فبادرْ زمانَ الأُنسِ واعمرْ جنابَه فزاهره ريانُ بالحسنِ ينزعُ
 ولا تمطلِ اللذاتِ عمركَ مثلما يسوفُ بالدّينِ الغريمُ ويدفعُ

وكتب إليه ذو الوزارتين أبو عامر بن الفرج^٣ : [١٣١ أ] .

إن كان عندك شيءٌ من الدياخيلون^٤

١ د ط س : من جملة ... في رسالة ...

٢ د ط س : وأثبت دوحاً .

٣ د ط س : وكتب إليه بعض إخوانه بهذه الأبيات .

٤ الدياخيلون : مرهم ينفع من الجراحات ويحلل السلع والصلابات ، ويتكون من نسب معلومة من لعاب بزر الكتان وبزر مر وبزر الحطمي وحلبة ومرداسنج (منهاج الدكان : ٨٩) .

فابعثُ به تتعوضُ منه بشكرٍ ثمين
فان عندي خُرَاجاً من بابسةِ التليين
ولا يكنُ^١ مثلَ شعري من الطرازِ الدُّون
قد قلتُ بالمزح أُجري بطبيعِ دهرٍ خنون
فإن تزيدتَ زدنا من نوعِ هذا الجنون
عساه يجنح > للسه < لم بعد حربِ زَبُون
فالشبهُ يألفُ شبهاً والمثلُ مثلُ القرين

فأجابه أبو الفضل :

يا آخذاً باليمين في المجد شتىِ الفنونِ
سلمٌ لعلمي في الطَّبِّ والقراياذِين
لا ينبغي أن يُداوى الـ خُرَاجُ بالتسليين
[حتى يقومَ رَدْعُ الـ أخلاطِ بالتسكينِ]
وقد بعثتُ شراباً يُعزى إلى الزَّرَجُونِ
يُغني إذا ذقتَه عَن شرابِ الافسنتين^٢

ولأبي الفضل^٣ :

أيها الماءُ الذي لولاه ما بَرَحَ الإسلامُ يشكو الغصصاً

١ ب م : ولا يكون .

٢ الافسنتين (Absinthe) ويسمى أيضاً شبيبة العجوز والشيخ الرومي ، وقد أطنب ابن البيطار في الحديث عن الشراب الذي يصنع منه (انظر المفردات ١ : ٤١ - ٤٤ وتحفة الأحياب : ٤ وشرح أسماء العقار : ٤) .

٣ لم ترد هذه القطعة والتي تليها في د ط س .

جملة مني^١ ولا حاجة لي
أبدأ تقنص^٢ أطيّار العلا
وانثري الحب^٣ فإني طائر^٤
في حديثي أن أطيل القصصا
مستفيداً^٥ فاتخذني قنصا
غرد^٦ لا أتعدّي القنصا

وله :

يا صاحبي^٧ سلا هل سال نَعمان^٨
قالا نعم سال جرياً في مدائنيه
أتى ولم يسر طيف^٩ للسحاب به
بلى كفاه أبو^{١٠} عيسى وأحسبه
رأى الغمام في عُسْر فأقرضها
سجية^{١١} هو منها موسر^{١٢} كسرماً
حي الخيام في الحي^{١٣} آنسة^{١٤}
تسير^{١٥} نفسي اليهم^{١٦} والحدأة^{١٧} بها
أطوي المراحل لا ألوي على وطير^{١٨}
قد أنكر^{١٩} [. . .] من نفسي معالمها
أرض^{٢٠} بجلق^{٢١} والنهرين^{٢٢} موقنة^{٢٣}
أمست^{٢٤} ديارى خلاء^{٢٥} في معاهدها
إذا نبا^{٢٦} بلد^{٢٧} يوماً بساكنه^{٢٨}
وفي جناب أبي عيسى لنا بدل^{٢٩}
بعدي وأورق^{٣٠} فيه الطلح^{٣١} والبان^{٣٢}
وأمرعت^{٣٣} أظهر^{٣٤} منه وبطنان^{٣٥}
ولا تندت^{٣٦} بدمع^{٣٧} منه أجفان^{٣٨}
نداه فهو روي^{٣٩} الشرب^{٤٠} سيحان^{٤١}
إن الجزاء^{٤٢} على الإحسان^{٤٣} إحسان^{٤٤}
حاز^{٤٥} الكمال^{٤٦} فما يعرفه^{٤٧} نقصان^{٤٨}
واقرا^{٤٩} السلام^{٥٠} في بالجزع^{٥١} إخوان^{٥٢}
هوى^{٥٣} وشوق^{٥٤} وتأميل^{٥٥} وإذعان^{٥٦}
يُشجى^{٥٧} ولو ذكّرت^{٥٨} بالعهد^{٥٩} أوطان^{٦٠}
وفي المجاهل^{٦١} لي أنس^{٦٢} وعرفان^{٦٣}
أريضة^{٦٤} كلها قصر^{٦٥} وبستان^{٦٦} [١٣١ب]
وحلها^{٦٧} ديسم^{٦٨} بعدي^{٦٩} وسرحان^{٧٠}
ففي^{٧١} سواه^{٧٢} له أهل^{٧٣} وجيران^{٧٤}
إذ قُطعت^{٧٥} من جبال^{٧٦} الوصل^{٧٧} أقران^{٧٨}

١ ب م : لي .

٢ ب م : مستفيداً .

٣ ب م : كفى وأبو .

حتى يمهدي قطرُ قرارتهُ تيماءُ والهضبةُ العلياءُ عمران
هو المجيرُ من الأيامِ إن غَدَرَتُ وهي وبعضُ من الإخوانِ خَوَّانُ
وأخبرني أبو عامر ابن الفرج قال : كنتُ بحصن روضة ١ ضيفاً عند
ابن المرشاني ، واتصلت بمجالس أنسنا بها صبحاً وغبوقاً ، وأظننا العيدُ ،
وورد الوزيرُ أبو الفضل من سرقسطة ، فكتبَ إلى ابن المرشاني بشعر يقول فيه ٢ :

العيدُ أيتامُ أَكَلِـ وَمَشْرَبِ وَبِعَالِـ
وقد أَكلنا فهاتِ آسَ قمنا من الجريالِ
إذ لا نكاحَ لنا في محرمٍ أو حلالِ
إلا ما نرتجي من نكاحِ طيفِ الخيالِ

قال أبو عامر : فكلفني فجاوبته فقلت ، وبعث إليه بما رغب إليه ٣

زُفِّتَ إليكَ عروسٌ بكرٌ من الجريالِ
قميصها ذهبيٌ كالشمسِ في الآصالِ
وَحَلِيئُهَا فضيٌ منظمٌ كاللآلي
فدونك اشربْ هنيئاً لا زلتَ ناعمَ بالِ
واجمعُ من الطيفِ بين الِ شتُوفِ والخلخالِ

١ روضة : يطلق على غير موضع واحد بالأندلس ، والمقصود هنا روضة الواقعة في الثغر الأعلى (Rueda) وكانت من أعمال سرقسطة وهي تابعة اليوم لوشقة .
٢ د ط س : وكان أبو الفضل يوماً في ضيافة بعض إخوانه ثالث عيد الأضحى ، وارتفع الطعام ولم تحضر المدام ، فقال لرب المنزل . . .
٣ د ط س : فلما وصل أبو الفضل إلى منزله بعث إليه بما طلب وكتب معها .

ومعنى هذا البيت كقول الكاتب أبي الحسن^١ صالح الشتمري^٢ ،
وقد تقدم إنشاده :

أَسْتَوِي لِيَالِي الدَّهْرِ عِنْدِي لَيْلَةً^٣ لَمْ أُخْلِ فِيهَا الكَاسَ مِنْ إِعْمَالِ
فَرَّقْتُ فِيهَا بَيْنَ جَفْنِي وَالكُرَى وَجَمَعْتُ بَيْنَ القُرْطِ وَالحَلْخَالِ
وَأَنشَدْتُ لِأَبِي الفَضْلِ^٤ :

وَأَطْرَبْنَا غَيْمٌ يَمَازِحُ شَمْسَهُ^٥ فَيَسْتُرُ طَوْرًا بِالسَّحَابِ وَيَكْشِفُ
تَرَى قَزْحًا فِي الجَوِّ يَفْتَحُ قَوْسَهُ^٦ مَكْبَأً عَلَى قَطَنِ مِنَ التَّلْجِ يَنْدِفُ

وذكرتُ بما وصفه من قوسِ قزحٍ خبراً يُحْكِي عن أبي الطيّبِ
المتنبي ، وإن ذهبَ في الغلوِّ أبعدَ مذهب : نُدِفَ له قطنٌ في ثوبِ أمر
بعمله ، فوجّهَ لصانعه فيه درهماً فاستقلتهُ وصرفه عليه ، فمثل الصانع
بين يديه ، وطلب منه فيه ديناراً ، فقال له المتنبي : والله لو ندفتَهُ بقوسِ
[١٣٢ أ] قزح على أجنحةِ الملائكة ما أعطيتُك عليه ديناراً .

ومن أملح ما جاء في صفةِ قوسِ قزحِ قول القائل^٧ :

- ١ د ط س : وهذا كقول بعض أهل عصرنا وهو أبو الحسن . . . الخ .
٢ ترجم له ابن بسام في القسم الثاني من الذخيرة ؛ وانظر المغرب ١ : ٣٩٧ ومسالك الأبصار
٨ : ٣٣٤ .
٣ ورد البيتان في المغرب ٢ : ٤٤١ .
٤ زاد في س : وهو سيف الدولة ؛ قلت : نسبتها في اليتيمة ١ : ٨ لسيف الدولة بن حمدان ،
وانظر ابن خلكان ٣ ؛ ٤٠٢ حيث ذكر أنها تنسب لأبي الصقر القبيسي ؛ ووردت في
غرائب التشبيهات : ٤٧ منسوبة لابن الرومي ، قال : وهو الصحيح ؛ وهي في ديوان
ابن الرومي ٣ : ٤٧٣ (ط . كامل كيلاني) .

كأنَّ السحابَ الجونَ قمصٌ تراكبتُ على الأفقِ دكناً والحواشي على الأرضِ
يطرزُهُ قوسُ السماءِ بأخضرٍ على أصفرٍ في أخضرٍ فوق مبيضٍ
كأذيالِ خودٍ أقيلتُ في غلائلِ مصبغةٍ والبعضُ أقصرُ من بعضٍ^١

وأُنشدتُ لعز الدولة بن المعتصم بن صمادح في جارية :

صاغتِ الجوزاءُ قرطين على مسمعيها والثريا دُمْلُجاً
واستجادتُ من سماها حللاً فكساها قزحٌ مسا نسجاً

وقال الأسعد بن بليلة^٢ :

محيّرةَ العينين من غيرِ سكرةٍ متى شربتُ الحماطُ عينيكِ اسفنتا^٣
أزى صُفرةَ المسواكِ في حوّةِ اللمي وشاربكِ المخضّرَ بالمسكِ قد خطا
عسى قزح قبليته فإخاله على الشفة اللمياء قد جاء مختطاً

وأكثر الشعراءُ تشبيههم قوسَ السماءِ السحابيِّ بقزح ، وهو منهيٌّ
أن يسمى قزحاً .

وروى الاخباريون أن نوحاً عليه السلام عندما استقرتِ السفينةُ على
الجوديّ سأل الله تعالى أن يؤمنَ ولدهُ من الغرق . فأوحى الله إليه : قد
أتمنتُ ولدك آخرَ الدهر . وجعلتُ لهم علامةً يرونها في السماء : قوساً .

١ إلدهنا ينتهي ما ورد في د ط س من ترجمة ابن حسداي ومن التذييل عليها ببعض أخبار المتنبي .

٢ ترجم له ابن بسام في القسم الأول من الذخيرة (ط . معر ١ - ٢ : ٢٩٠) والأبيات

هناك ص : ٢٩٧ ؛ وانظر المطمح : ٨٣ - ٨٤ والنفح ٤ : ٥١١ .

٣ الاسفنت : ضرب من الأشربة ٧ وورد في شعر الأعشى :

وكان الحمر العتيق من الاسفنت ممزوجة بماء زلال

وقالوا : قُرْخٌ من أسماء الشيطانِ فلا ينبغي أن ينسبَ إليه هذا القوس .
وقال أبو بكر بن الملح :

عُرَّتْهُ الشَّمْسُ والحيا يَدُهُ بينهما للنجمِ قَوْسٌ قُرْخٌ

وقد تقدمت هذه الأبيات ، ولكني استجزت تكرارها لأنسق الأعجاز
بالصدور ، وأضم الأوّل إلى الأخير .

وسمع القطعة التي تُعزى للحكيم المصريّ ، وأولها : «توريد خدك
للأحداق لذات»^١ ، فقال أبو الفضل :

عهد للبنى تقاضتُهُ الأماناتُ بانَتْ وما قُضِيَتْ منه لَباناتُ
يُبدني التوهمُ للمشتاقِ ممتزجاً من الوصالِ وفي الأوهامِ راحاتُ
تُقْضِي عِداتُ إذا هبَّ الكرى وإذا هبَّ النسيمُ فقد تُهدَى تحياتُ
لعلَّ عَتَبَ الليالي أن يعودَ إلى عُنْبِي فَتُبَلِّغَ أوطارُ ولذات [١٣٢ب]
بشرى تحقّقُ ما زار الخيالُ به فربما صدّقتُ تلك المناماتُ

وله مراجعاً إلى الوزير أبي محمد بن سقبال^٢ :

قابلتُ بالعتبيّ عتابكَ جاهداً للعهدِ حفظَ العينِ للأجفانِ
وبسطتُ أوضحَ من زياد^٣ عُدْرَه لو لم تكن أقمى من النعمانِ

١ في القلائد : ١٨٤ وفي المصادر التي نقلت عنه (انظر الخريدة ٢ : ٤٨٠ والنفح ١ : ٦٤٠ ،
٣ : ٢٩٤) أن هذا المطلع لابن حسداي نفسه ، ويبدو أن صاحب القلائد قد خلط بين
القصيدتين .

٢ القلائد : بن سفيان .

٣ زياد : النابغة الذبياني .

أسقيكَ عذباً بارداً وسقيتني إذ جاشَ حَمِيمُكَ من حميمٍ آن
أغضبتَ جهلاً أم نُسِبتَ إلى الصبا فامرَحُ فإنك منه في ريعان
وركب^١ المستعينُ بالله يوماً بسر قسطة يريد طراداً لذته ، وارتباداً
نزته ، وافتقاداً أحدِ حصونه المنتظمة <بليته>^٢ واجتمع له من أصحابه ،
من اختصه لاستصحابه ، وفيهم أبو الفضل ، مشاهدلاً لانفراجهم ،
سالكاً لمنهاجهم ، والزوارقُ قد حَفَّتْ به ، والتفتت بجوانبه ، ونغماتُ
الأوتارِ تحبس^٣ السائرَ عن عدوهِ ، وتخرسُ الطائرَ المفصحَ بشدوه ،
والسملكُ تثيرها المكاييدُ ، وتغوصُ إليها المصايدُ ، فتبرزُ منها قضبانَ درٍ
أو سبائكَ لجين ، فقال^٤ :

لله يومٌ أنيقٌ واضح الغرر مفضضٌ مذهبُ الآصالِ والبُكرِ
كأنما الدهرُ لما ساءَ أعتبنا فيه بعثي وأبدى صفحَ معتذرِ
نسيرُ في زورقٍ حَفَّ السفينُ به من جانبيه لمنظومٍ ومنتثرِ
مدَّ الشراعُ به نشرأً على ملكٍ بذئ الأوائلِ في أيامهِ الأخرِ
هو الهمامُ الامامُ المستعين حوى علياءَ مؤتمنٍ عن هدي مقتدرِ
تحوي السفينةُ منه آيةً عجباً بحرٌ تجمع حتى صار في نهرِ
تثارُ من قعرهِ النينانُ مُصعِدةً صيداً كما ظفر الغواص بالدرر^٥

- ١ ب م ؛ وكتب ؛ والنص كما هو هنا ورد في القلائد ، مع بعض إيجاز في البخيرة .
٢ زيادة من القلائد .
٣ ب م ؛ تحسر .
٤ وردت الأبيات في القلائد والنفع ٣ : ٢٦٧ والخريدة وبدائع البدائنه : ٣٦٧ - ٣٦٨ .
٥ علق ابن ظافر على هذا البيت بقوله : قوله « نينان » غير معروف فإن نوناً لم يجمعها
على نينان ، وقد كان سيويوه خطأ بشار بن برد في قوله في وصف سفينة « تلاعب نينان
البحور . . . » فغيره بشار « تيار البحور » ؛ وفي بيت للمتنبي :
فهن مع السيدان في البهر عسل وهن مع الحيتان في البحر عوم
جاءت لفظة « نينان » بدل « حيتان » في عدد من النسخ .

وللندامي به عنب ومرتشف كالريق يعذب في ورد وفي صدر
والشرب في ود من لي خلقه زهر يذكو وغرته أبهى من القمر

جواب ابن هود إلى أبي الفضل عند فراره عنه : سيدي وأجل
عددي ، وأسنى الذخائر عندي ، وأزكى الفوائد بيدي ، ومَن أبقاهُ الله
في أتمّ نعمة ، وأعمّ حرمة ؛ وردني كتابك بما أودعته من صورة
وجهتك وممرّك ، وصفة مستوطنك ومستقرّك ، وعرفت [١٣٣ أ]
حقيقة منزلك ، في تعجلك وتسرعك ، وما علمتُك - على معلوم
ذكائك - يذهبُ عليك السدادُ في آرائك ، ولكن لا تملك عنانك في
اعتسافِ طرقك ، وخالقِ خلقك خالقِ خلقك ، وكان الأشبه بالحميل ، أن
تُشعرَ بلزاعِ الرحيل ، فتوصلَ وتشيع ، ولا تصدّ عن غرضك ولا تمنع ،
مهدت بك الحالُ هنالك فلم تبرح موضعك ، ولا فارقت مآلفك ومجموعك ،
بما يقتضيه انتظام الجانيين ، والتفافُ الأفقيين ، وكيفما تصرفت فأنت الوليُّ
الحميم ، لا يُنكرُ ودك ، ولا يُخفّرُ عهدك ، والله يُلقيك كلَّ خير ،
ويُجنّيك ثمرَ الغبطة في كلِّ مقامٍ وسير .

قال أبو الحسن بن بسام : ورأيت هنا أن ألمع بيسير من أخبار أبي الطيب ،
سوقاً لفائدة أدّى إليها الخبر ، وإشارة إلى بعض محاسنه التي عنه تؤثر ،
وإن كان خارجاً عن هذا الغرض الذي شرطته من حذفِ التطويل ،
والاجتزاءِ عن الكثير بالقليل . ولكنه سنع لي هنا فصل من أخباره وبديته ،
وتصرفه البديع بين إشارته وفكرته ، ورويته وبديته :

استنشه سيفُ الدولة قصيدته التي أولها ١ :

* على قدرِ أهلِ العزمِ تأتي العزائمُ *

وكان معجباً بها ، كثيرَ الاستعادة لها ، فاندفع أبو الطيب يُنشدُها ، فلما وصل إلى قوله :

وقفتَ وما في الموتِ شكُّ لواقفٍ كأنك في جفنِ الردى وهو نائمٌ
تمرُّ بكَ الأبطالُ ككلمى هزيمةً ووجهك وضاحٌ وثغركَ باسم

قال له : قد انتقدنا عليك هذا البيت كما انتقد على امرئ القيس بيتاه :

كأنّي لم أركبُ جواداً للذةٍ ولم أتبطنُ كاعباً ذاتَ خلخال
ولم أسبأ الرقَّ الرويَّ ولم أقلَّ لخليّ كُرّي كرهةً بعد إجمال

وبيتاك لا يلتئم شطراهما ، كما لا يلتئم شطرا بيتي امرئ القيس ؛ كان ينبغي لامرئ القيس أن يقول :

كأنّي لم أركبُ جواداً ولم أقلَّ لخليّ كُرّي كرهةً بعد إجمال
ولم أسبأ الرقَّ الرويَّ للذةٍ ولم أتبطنُ كاعباً ذاتَ خلخال

ولك أن تقول :

وقفتَ وما في الموتِ شكُّ لواقفٍ ووجهك وضاحٌ وثغركَ باسم
تمرُّ بكَ الأبطالُ ككلمى هزيمةً كأنك في جفنِ الردى وهو نائمٌ

فقال : أيّد الله مولانا ، إن صحَّ أن الذي استدرك على امرئ القيس هذا

١ انظر الواحدي : ٥٥٢ والمكبري ٣ : ٣٨٦ .

أعلمُ منه بالشعر فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأتُ أنا ، ومولاي يعلم أن
 البزاز لا يعرفُ الثوبَ معرفةَ الحائك ، لأن [١٣٣ ب] البزاز لا يعرف
 إلاّ جملته ، والحائكُ يعرفُ جملته وتفاريقه ، لأنه هو الذي أخرجه
 من الغزليّة إلى الثوبية ، وإنما قرّن امرؤ القيس لذة النساءِ بلذة الركوب
 للصيد ، وقرنَ السماحةَ في شراء الخمر للأضيافِ بالشجاعة في منازلته
 الأعداء ؛ وأنا لما ذكرتُ الموتَ في أوّل البيت أتبعتهُ بذكر الردى وهو
 الموتُ ليجانسه ، ولما كان وجهُ الجريحِ المهزوم لا يخلو أن يكون عبوساً
 وعينه من أن تكون باكيةً قلت : « وَوَجْهُكَ وضاحٌ وثغرك باسم »
 لأجمع بين الأضدادِ في المعنى ، وإن لم يتسع اللفظ لجمعهما ، فأعجب
 سيفُ الدولة بقوله وبالغ في صلته .

ولما أنشد أبو الطيب سيف الدولة قصيدته التي يقول فيها :

يا أيها المحسنُ المشكورُ من جهتي والشكرُ من قبيلِ الإحسانِ لا قبلي
 أقلّ أنيلُ أقطعِ أحملُ علّ سلّ أعدُ زدْ هسّ بشّ تفضلْ أدنِ سرّ صلّ

وقع سيف الدولة تحت « أقل » أقلناك ، وتحت « أنل » : يحمل إليه من
 الدراهم كذا ، وتحت « أقطع » : قد أقطعناك الضيعة الفلانية ، ضيعة بباب
 حلب ، وتحت « احمل » : يقاد إليه الفرس الفلاني ، وتحت « علّ » :
 قد فعلنا ، وتحت « ادن » : ادنيناك ، وتحت « سرّ » : قد سررناك .

قال أبو الفتح : فبلغني أنّ أبا الطيب قال : إنما أردت « سرّ » من
 السريّة ، فأمر له بجمارية ، وتحت « صل » : قد فعلنا . .

وكان المعقلي وهو شيخٌ بحضرته ظريفٌ قال له : وقد حسد أبا الطيب
على ما أمر له به : قد فعلت له من كلِّ ما سألك ، فهلا قلتَ لما قال هشَّ
بشَّ : هيء هيء ، يحكي الضحك ، فضحك سيف الدولة وقال له : ولك
أيضاً ما تحب ، وأمر له بصلة .

وسيف الدولة ، مع ما شهير به من الكرم والسخاء ، وعرف به من
انفجار ينابيع جوده على الشعراء ، قد قصر في توقيعه تحت « احمل » عن
غيره من الأمراء ، يحكى أن أبا القاسم الزعفراني لما أنشد الصاحب قصيدته
التي يقول فيها^١ :

وحاشيةُ الدارِ يمشون في صنوفٍ من الخزِّ إلا أنا

وقَعَ فيها الصاحب : قرأتُ في أخبارِ معن بن زائدة أن رجلاً قال له :
احملي أيها الأمير ، فأمر له بناقةٍ وفرسٍ وبغلةٍ وحمارٍ وجارية ، ثم قال
له : لو علمتُ أن الله خلقَ مركوباً غيرَ هذه لحملناك عليه ، وقد أمرنا
لك من الخزِّ بجبَّةٍ وقميصٍ ودُرّاعةٍ وسراويلٍ وعمامةٍ ومنديلٍ ومطرفٍ
ورداءٍ وكساءٍ وجوَّربٍ وكيس ، ولو علمنا لباساً آخر يُتخذُ من الخزِّ
لأعطيناكه .

ومما يؤثر عنه من نفاذ خاطره وحضور جوابه أنه دخل على سيف
الدولة وأنشده بعضَ قلائده فيه ، وطار به السرور كلِّ مظار ، فلما أراد
الانصرافَ إلى الدار [١٣٤ أ] ، قال له السيف مملغزاً على من حضر :

١ البيتمة ٣ : ١٩٤ - ١٩٥ وترجمة الزعفراني أبي القاسم عمر بن ابراهيم في البيتمة ٣ :

٣١١ - ٣١٨ ، وانظر رأي هذا الزعفراني في الصاحب ، في كتاب أخلاق الوزيرين :

١٠٥ ، ١٤١ ، ٢٩٥ .

تتبخر يا أبا الطيب ، فقال : نتيه أيها الأمير ، فضحك سيفُ الدولة وتعجبَ
من خهم أبي الطيب وقال للحاضرين : أردت بي « تتبخر » تصحيفه : « بتَّ
بيخير » فقال : « نتيه » وتصحيفه : « بتَّ به » .

ومن أظرف الجواب ، وأغرب مزاحِ الكتّاب ، ما اتفق لي مع
الوزير أبي محمد بن عبدون أوّل ما لقيته ، وسمع بعضَ الإخوان يدعوني
باسمي ، فقال لي : أنت عليّ بن بسام حقاً ؟ ! قلت : نعم ، [قال] :
وتهجو حتى الساعة أباك أبا جعفر وأخاك جعفرأ ، فقلتُ له : كلاك الله ،
وأنت عبد المجيد ؟ ! قال : نعم ، قلتُ : ويتغزّلُ فيك حتى الآن ابن
مناذر ؟ ! فضحك منْ حَضَرَ لهذا الجوابِ الحاضر ؛ وعليّ بن بسام
باقعة زمانه ، لم يسلم من هجائه في زمانه أمير ولا وزير ، ولا من أهل بيته
صغير ولا كبير ، وعبد المجيد كان أجملَ أهلِ زمانه ، وكان ابن مناذر
يعشقه ويتغزّلُ فيه ^٢ . هذا وما أشبهه من المزاح المباح ، البعيد عن الجناح .

١ هو علي بن محمد بن منصور بن نصر بن بسام ويمرّف بالبسامي (- ٣٠٢ أو ٣٠٣) ،
انظر ترجمته في ابن خلكان ٣ : ٣٦٣ وفي الحاشية ذكر لمصادر أخرى .
٢ محمد بن مناذر شاعر فصيح عالم باللغة ، كان في أول أمره يتأله ثم عدل عن ذلك فهجا الناس
وتهتك ، فنفي من البصرة إلى الحجاز وهناك توفي ؛ انظر في أخباره وأخبار عبد المجيد
الثقفي : الأغاني ١٨ : ١٠٣ وطبقات ابن المعتز : ١١٩ والشعر والشعراء : ٧٤٧
ومعجم الأدباء ١٩ : ٥٥ .

فصل في ذكر الأديب الكاتب أبي الربيع سليمان بن أحمد القضاعي^١

من قدماء الأدباء - كان - بذلك الثغر ، ومن كتّاب العصر ، المتصرفين في النظم والنثر ، وكلامه يجمعُ بين الحلاوة والجزالة ، ويتصرفُ في لطائفِ الصنعة، و[كان] يعمدُ إلى خسيسِ المعاني فيقيم لها^٢ أوداً، بسلاطةٍ لسانه، وقوةٍ مادته وحُسنِ بيانه ، فان كان في كلامه بعضُ الطول ، فهو غيرُ مملول ، لظريفِ ألفاظِهِ واستعاراته التي يفخم بها التافهَ الحقير ، ويقللُ المنزور الكثير . وفي ما أثبتُّ هاهنا من فصولٍ اقتضبتها من رسائله^٣ وإنشاءاته ، ما هو الشاهدُ العَدَلُ على ما أجرَيْته^٤ من صفاته .

فصل له^٥ من رقعةٍ خاطب بها يوسف الاسلامي وقد طلب منه آلةَ نَجَّارٍ، خَدَمَ عنده فوجّه بها حاشا المِشَار ، يقول^٦ فيها : مَنْ دَخَلَ فِي مِلَّةٍ التزمها . وليس من شريعةِ هذا الدين مَنَعُ المَاعُون ، ومن تَمَّامِ الإسلام ، حَفْظُ الجِوَارِ و [رعاية] الذمام ، ومن أَحْسَنِ الإحسان ، قِضَاءُ لُبَّانَاتِ الإِخْوَانِ ، وما تُعَلِّمُ العِوَانُ الحِمْرَةَ^٧ ، ولا تَجِدُ بَكَ^٨ من وَنِيَّةٍ ،

١ انظر المغرب ٢ : ٤٢٣ .

٢ ط د س : له .

٣ ط د س : كتبه .

٤ ط د : ما يصدق ما أجرَيْته ؛ س : ما يصدق على ما . . .

٥ ط د س : فصول له .

٦ ط د س : قال .

٧ من المثل : لا تعلم العوان الحمرة (اللسان : عون) .

٨ ب م : تجدي بك ؛ س : وما يجدي لك ؛ د : يجري لك .

فأنت المستولي على أمدِّ النهايات ، والمبرز في غلابِ المذكيات^١ ، والحاوي
قصبِ السبق إلى الغايات ، وان كان قد قال الجهابذة أولاً :

* وأيُّ الجياد لا يُقالُ [له] هلا^٢ *

وما تُعزَى إلى بخلٍ وأنتَ أَسْمَحُ [من] لافِظَةَ^٣ ، ولا تُبَصِّرُ من جهلٍ
وأنتَ قطبُ العلومِ الثاقبة^٤ ، وقد أنكرتُ أشدَّ الإنكارِ ، بُخْلِكَ بالمشارِ ،
وأعملتُ الفكرةَ [١٣٤ ب] في النظرِ إلى بُعدِ مراميكِ ، والبحثِ عن
غموضِ معانيك ، فلاحتُ لي دريئةُ مرَمَاكَ ، وأشرفتُ مُطْلَاقاً على
مغزَاكَ ، وحدثتُ بعدَ تسديدِ سهامِ التوهّمِ ، ورميتُ عن قسيِّ التفهيمِ ،
أن علةَ ضنانتك به من أجلٍ ما مرَّ ببالك ذكرُ الشجرةِ التي أُشْرِتْ وفيها
يحیی بن زكريا عليه السلام ، فتخرجتَ ان تُخْرِجَ من حريمك آلهُ كانت
فيما مضى سبباً إلى حدّثِ مشثومِ ، بِسَقْلِكَ دم [نبيّ] كريمٍ ، ولو لمحت
وجّهَ مطلبي بناظرٍ تأمّلكَ لعلمتَ ، وما أظنك جهلتَ ، أن الخشبةَ

١ يشير إلى المثل : جري المذكيات غلاب ، انظر فصل المقال : ١٢٧ والميداني ١ : ١٠٦٠
والعسكري ١ : ٢٠٣ .

٢ من قول ليل الأخيلية في الرد على النابغة الجعدي : وصدره (الشعر والشعراء : ٣٦٠
والخزاعة ٣ : ٣٣ والسمط : ٢٨٢) اعيرتني داء بأملك مثله ؛ ط : وأي جواد ؛ س :
وأي الجواد .

٣ هذا مثل ، انظر فصل المقال : ٤٩٤ والميداني ١ : ٢٣٨ والعسكري ٢ : ٥ واللافتة
هي الرحي ويقال أيضاً هي العنز أو الحمامة أو الديك .

٤ ط د : الثابتة .

٥ ط د س : بعض .

٦ ط د س : عليهما .

التي أحببتُ أن تُؤشَرَ عندي لم يكن فيها حيوانٌ غيرُ الأرضيةِ^١ التي أكلت
 مِنسأةَ سليمانَ عليه السلام ؛ وهلاّت إذ أسأتَ بي الظنَّ تيقنتَ على ما توجبه
 السنّةُ أنّ العارِبةَ مؤداةٌ ، وقد كان لك في ارتهاًنِ خطّ يدي لنجارك
 متقنّع ، فقد قبِلَ كِسْرَى ، وهو جاهليٌّ ، قوسَ حاجبِ بن زُرارةَ^٢ على
 نزارتيها ، رهناً عن جرائم^٣ العرب أن تعيثَ في السواد ، وإنما كانت فاقمة
 عودٍ ووتر [مصير] . وقد علمتَ أن الربانيّ ؛ أجدرُ بالوفاء والائتمان^٤
 من الجاهليّ ، وفي الاعتذار المتقدم عنك ما يقضي ببراءتِكَ ، هذا إلى
 ارتثاء^٥ المشيخة وإيثارهم الروية على البدئية ، وحكمهم أن الرأيَ الفطيرَ ،
 وإن أُصيبَ به التقدير ، من سوءِ التدبير ، والأناةُ عندهم محمودةٌ إلاّ في
 ثلاث : العمل الصالح ، ونكاح الكفو ، ودفن الميت . وما قدّحتَ في
 شرفِكَ هذه الوصمة وان كان ظاهرها بخلاً وطفاسةً ، إذ باطنها عقلٌ
 وسياسةٌ ، فإن احتجّ عليك بقولهم [ان] : أمقّتَ الأوم [وأقبحه] ،
 وأجلبه للشينِ وأفضحه [بُخِلُ مَنْ بَخِلَ بالتافه اليسير ، والنزير الحقير ، وهو
 مع ذلك ليس في ملك يديه^٦ ، ولا طماعية له في المشار أن يصير^٧ إليه ، فإن
 الأملَ لا يبعد ، أن يصيرَ إليه بعد ، فقد تنتقلُ دولاتُ التأوير ، فكيف

١ م : الأرض .

٢ انظر الخبر عن قوس حاجب في ثمار القلوب : ٦٢٥ .

٣ ط د : كرائم .

٤ ط د س : الرأي .

٥ ط د : والائتمان .

٦ س : ارتقاء .

٧ ب م : يده .

٨ ب م : ولا في طماعية المشار أن يصير . . . ؛ د ط : أن يصل ؛ س : ولا طماعته .

٩ ط د : ينتقل دولاب

بآلات المياشير^١ ، والأيام^٢ دول ، والدنيا جمّة التنقل ، تجمع وتبث ،
وتُسَمِّنُ وتُغَيِّثُ ، وربما تألفت الأضداد ، وتشئت الأنداد ، وأفادت
غير المطلوب ، وحالت دون المرغوب ، ألم تر إلى موسى عليه السلام كيف
اقتبس ناراً ، فأقبس أنواراً ، ووافد البراجم كيف شمّ القُتَارَ ، وأمّ^٣
قرماً^٤ إلى النار^٥ ، ألم تعين الكتابة التي أنت قُطِبُهَا ، وهي أجلُّ صناعة ،
ربّما عُدِلَ بها عن نبلاء المحسنين^٦ ، إلى الدخلاء^٧ الأميّين ، الذين لا
يعلمون الكتاب إلاّ أمانياً^٨ ، ولا يدركون بأفهامهم^٩ إلاّ المرثي^{١٠} ،
فحديثهم^{١١} الطعن على أهل العلم ، والتنقص لذوي الفهم^{١٢} ، ولأمر ما
ذمّ الصبح المريب ، وعاب المتحمل^{١٣} غير المعيب ، وقد بصرت بما عليه
هذا الصنف الواغلي من العجز والتشغيب ، والحيدة عن القياس المصيب ،
وأنهم إذا سمعوا بلاغة الصدر الأول ، من الجليل الأفضل ، قالوا : أمر
ليس عليه العمل ، وإذا أصغوا إلى تحبير صالح الخلف [١٣٥ أ] ، المقتدي
بمحمود السلف ، قالوا : هذا التعيب ، والتعير المعيب ، فقل لهم :

١ ب م : المناشير .

٢ د : قدماً ؛ ط : قوماً .

٣ في قصة وافد البراجم انظر فصل المقال : ٤٥٤ والمسكوي ١ : ٨١ وقد مرت الإشارة
إلى المثل « ان الشقي وافد البراجم » ص : ٣٦٧ من هذا الكتاب .

٤ ب م : النبلاء .

٥ الآية : ٧٨ من سورة البقرة « ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلاّ أمانياً » .

٦ ط د س : يجهد أفهامهم .

٧ ب م : المرابي ؛ ط : المرمي .

٨ ب م : الهمم .

٩ ب س : المتجمل .

فافتقروا^١ بحوركم^٢ الزاخرة بزعمكم ، وأدروا^٣ سحبكم الثرة بدعواكم ، واحشدوا^٤ مدود^٥ أذهانكم ، واسردوا غرائب^٦ بيانكم ، - وخلاكم ذم - ؛ إذا والله أيتها العصابة تهب^٧ ريح^٨ احتفالكم رخاء^٩ لا تثير^{١٠} سحاباً ، ولا تسفي هباءً ، إلا^{١١} [ما] ينوءه بعد الريث^{١٢} وإدمان^{١٣} الإبساس^{١٤} من قطارة المعاني المبتدلة^{١٥} السوقية ، وعصارة^{١٦} الألفاظ^{١٧} الرذلة^{١٨} العامية^{١٩} ، التي يعافها^{٢٠} الخاصي^{٢١} لسفالتها ، ويحتنبها^{٢٢} العامي^{٢٣} لخلاقتها ، ثم إذا رجعتكم^{٢٤} البكاء^{٢٥} ، إلى الاستعارة^{٢٦} من كلام^{٢٧} البلغاء^{٢٨} المتقدمين ، والاجلاء^{٢٩} المحدثين ، وذهبت^{٣٠} إلى أن تهتدوا^{٣١} بأنوارهم ، وتفتتدوا^{٣٢} بآثارهم ، اعتسفت^{٣٣} الكلام^{٣٤} وصحفت^{٣٥}موه ، وأحلت^{٣٦}م^{٣٧} النظام^{٣٨} فأكرهتموه ، ورقعت^{٣٩}م^{٤٠} خيش^{٤١} المروط^{٤٢} الصوفية^{٤٣} ، برقيق البرود^{٤٤} الموشية^{٤٥} ، وقرنت^{٤٦}م^{٤٧} دُر^{٤٨} غيركم^{٤٩} بأجر^{٥٠}كم ، فامتازت^{٥١} مع تعديكم^{٥٢} الآثار^{٥٣} بتمويهكم^{٥٤} محاسنهم^{٥٥} من قبائحكم^{٥٦} ، وإذا حصص^{٥٧}صت^{٥٨} حقيقة^{٥٩} فضائحكم^{٦٠} ، لم تعتصموا^{٦١} ببعث^{٦٢}كم ، سوى^{٦٣} الاضطغان^{٦٤} والحنق^{٦٥} :

غضب^{٦٦} التيوس^{٦٧} على شيفار^{٦٨} الجزائر^{٦٩} والمغرقين^{٧٠} على الأثي^{٧١} الزاخر^{٧٢} فقد اجتهد^{٧٣} لنصرك^{٧٤} ، من قام^{٧٥} بعذك^{٧٦} . وحملت^{٧٧}ني لك^{٧٨} العصبية^{٧٩} ، واستدعني^{٨٠}

١ ب م : فاتبعوا ؛ ولعلها « فائعوا » .

٢ ب م : وأمدوا ؛ لعل الصواب « وامروا » من المري .

٣ ط د س : وأحسروا ؛ ب م : واحسروا .

٤ ط د : رجعتكم البكارة ؛ ب م : البكاوة .

٥ س : خشن .

٦ م ب : وقويت^{٦٧} دار .

٧ ط د : مع نعتكم ؛ ب م : فأشارت مع تفويركم .

٨ ط د : صححت .

٩ ط د : تعتصموا بسوى .

فيك الحميَّةُ ، [إلى ما] ترى [من توبيخ] الكتبة^١ الذين ليس لهم
بَسَطَتُكَ في العلوم الدينيَّة^٢ ، ولا براعتُكَ في الفنون الأدبيَّة والرياضية ،
جلالاً بك أن ينتسب إلى حزبك ، مَنْ لا يُعدُّلُ بك ، وكما لا يضرُّ
بالجواد^٣ السابق أن يكون في آري^٤ مع بطاء الأعيار ، كذلك ليس عليك
في اختلاطك بهم من كآبة ولا عار .

ثم^٥ نعود إلى تنفيذ المعترض عليك باستئثار^٦ المشار : وكيف
يوسمُ بالحقارة ، أو يُرسمُ بالنزارة ، وهو من الحديد ، الذي فيه بأسٌ
شديد ، ومنافع للناس ، وهو من إرهافه ورقته غراره واضطراب ممتنه
مناسب لحسام الكميّ البطل ، وحامله غير أعزل ، وان شئت استمجدت^٧
منه زناداً ، وشفاراً حدّاداً ، ومن بدائع^٨ أعاجيبه أن المُدَى ما لم تكن
مفلولةً فهي أبرى ، والمشار لا يحسنُ قبضه ، حتى يُفكّلَ غربه ،
ومن آلاتِ المشارِ عصاه التي تُثَقِّفُهُ أن يتأدّ ، وتسدّده إذا حاد ، وان
شئت صنعت منها محاصرَ لأرباب المُلُكِ ، أو صلباناً [ومتكات] لطواغيتِ
الشرك ، مع ما فيها من المآرب الجسيمة ، وقد اقتصرتُ على تصنيفها بما

١ ب م : لدى الكتبة .

٢ ط د س : الدينية .

٣ ط د س : الجواد .

٤ ب م : كانه .

٥ ط د س : وفي فصل ، ونعود

٦ ط د س : في استئثار .

٧ س : استجدت ، وكتب خ في الهامش : استمجدت ؛ ط : استمجت .

٨ ط د س : بديع .

ذكره الجاحظ في العصا ، فكثيراً ما كنت أسمعك تلهج بكتاب « البيان »^١ وتدعي حفظه .

ومن عجائب المِشَار إذا سمعَ جمعته رُئي^٢ طِحْنُهُ^٣ ، ومن غرائبهِ شِكَاْلُهُ^٤ ، وأكثرُ ما يكونُ من الشعر والصوف والوبر ، وقد وصفها [١٣٥ ب] الله تعالى [في التنزيل] فقال ﴿ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأُوبَارُهَا وَأَشْعَارُهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ﴾ (النحل : ٨٠) فكيف لنا أن نستزِرَّ^٥ ، ما نُبَيِّهنا لنحمدَه^٦ ونَشْكُرَ^٧ ، فإن اعتريضَ عليك أن شِكَاْلَهُ^٨ قد يُصْنَعُ من ليفٍ ودوومٍ وشبهه ، فأقلُّ ما يوجبُه أن يُعْقَلَ^٩ به بعير ، وقد قال الصديقي^{١٠} : لو منعوني عقلاً بلجاهدتهم^{١١} عليه ، ذُكِرَ في التفسير أن معناه « ثمن عقال » إذ ذلك حزمٌ في المِلَّةِ ، وابتداعٌ مُحَدَّثٌ في زكاةِ الأُمَّةِ . ولولا خُوفُ الطولِ^{١٢} باقامةِ معاذيرك لأَمَعَتْنَا في التوجيه ، ولكنَّ الإشارةَ كافيةً لمن عَقَلَ^{١٣} ، كما أنَّ الإطالةَ غيرُ مقنعةٍ لمن ساءَ فهمه وجهل .

وله من رقعة^{١٤} خاطب بها الوزيرَ ابنَ محامسٍ عنايةً بالكاتبِ ابنِ أرقم :
مكاسبُ الشعراءِ - أعزَّكَ اللهُ - من مواهبِ^{١٥} الأمراءِ وعناياتِ الوزراءِ ؛
ومن شناً الأديباءِ فانما^{١٦} يُناقضُ أربابَ الرياسةِ ، ويُعارضُ أقطابَ الوزارة ؛

- ١ ط د س : تلهج بكتابه .
- ٢ ب م : عجمجة ربي .
- ٣ هو من قوطم : اسمع جمجمة ولا أرى طحناً ، انظر فصل المقال : ٤٤٨ والمسكري ١ : ١٠٧ .
- ٤ ط د : فكيف يستزِر ؟ س : يستزِر .
- ٥ انظر تاريخ الطبري ١ : ١٨٧٣ .
- ٦ ط د س : وابتداع لحدث .
- ٧ ط د س : الاطالة .
- ٨ ط د س : أخرى .
- ٩ ط د : مراتب ؛ م : واهب .
- ١٠ ط د س : كأنما .

وكانت عند الأديب ابن أرقم المحتفل في شكرك احتفالي ، والمطنب في حمدك إطنابي ، بضاعة مزجاة أنفق في جمعها مُصاصة أيام العمر ، وخلصة قواني الشعر ، وقطع في اكتسابها ظهري^١ البر والبحر ، وصلي بجمرتي القر والحرق ، حتى إذا وفّت بثمان خادِم من الوخش ، لم ينتظر نماء المال ، إلى أن يفني برأس غال ، لتوقعه أن ينقضي الزمان ، ولم يقص أرباً من القيان^٢ ، وبصير من كبرة السن^٣ ، إلى حيث لا يقدر على ذلك الفن^٤ ، فاقتنى بوشقة^٥ صبية فيها بلغة لمن كان ذا عربة ، وفصلت له خمسة وعشرون ديناراً ، عدد نصف سنه الماضية ، وفشا في قوم هجاء ظنوه من شعره رجماً بالغيب ، وحاشا لأدبيه من السفه ، واختلقوا أنه ابتاع بما بقي له مهراً هجيناً ، وثوراً مربباً ، وتبني بنتاً^٦ ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ زَيْنَ النَّاسِ حُبَّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ ويشير إلى قينته^٧ ، ﴿ والبين ﴾ ويشير إلى دعيته ﴿ والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ﴾ وينظر إلى كفه^٨ منهما إلى أقل من ربع أوقية ﴿ والحليل المسومة ﴾ (آل عمران: ١٤) ويلاحظ إلى مهره الذي لوبيع بحجر^٩ من حجارة القدح لربح البائع وخسر المشتري ، وكل هذا منهم

١ ب م : ظهر .

٢ م : العيال ؛ ب : العيان .

٣ س : بوسعه ؛ ط : برشقة .

٤ ط د س : ووصلت .

٥ ب م : مربياً ؛ ط د س : هزيلا .

٦ ط د س : وتبني (ط : وتبنا) بثينا ؛ وفي م ب بعدها : وزرع .

٧ ب م : غولة .

٨ ط د س : عفة .

٩ ط د س : بحجارة .

افتراءً عليه ، واغتراءً به ، وأخافوه فلاذ بك ، واستجارَ بظلك :

ومن يستجرُ بالكاتبِ ابنِ مُحاميس^١ فقد لاذ من ريبِ الزمانِ بحارسِ
وزيرِ التجيبيِّ ابنِ منذرٍ الذي تبوأ مجداً فات شأواً المقاميس [١٣٦ أ]
مليكٌ متى يجلسُ يطلُّ كلَّ قائمٍ وكم من ملكٍ قائمٍ مثل جالسٍ

وله من أخرى : بعثتُ ابني وغلامي^٢ عشيةَ العيدِ للسوق ، فأخطأ
أوجهَ النجاح ، وعاد مُثخناً [لي] بأجراح ، فبتَّ أتلَّبُ بين ألمِ العلة ،
ومَضضِ الذلَّة ، وبات من عندي طاوياً إلاَّ من الكَرْب ، وصادياً
إلاَّ من الدَّمع ، نتجاذبُ أطنابَ الكمد ، وسرورُ العيدِ يقومُ بالناسِ
ويقعد ؛ وسيئدنا الرئيسُ - أدام الله تأمينَ سِرِّيه ، وإعزازَ حزبه -
أجلُّ من أن يضامَ جاره ، أو يكدرَ جواره ، وحسي بهذه الشرعة سبياً
إلى وُدَّة ، فهي شرعتهُ ، وحاشا لشيمه الكريمة من المضارعة الكليَّة ،
والمشاكهة الجُمليَّة^٣ ، ولكنها - لسؤدده المثلُّ الأعلى - كما يفتنُّ
عُطارداً على خفائِه ، بالشمسِ على ضيائها .

١ ط د : محاسن .

٢ وغلامي : سقطت من ط د ، وجاء النص على التثنية في ب م ، ولا ضرورة لذلك لأن الغلام
والابن يشيران إلى واحد .

٣ ط د س : والمشافهة ؛ ب م : الجلية .

وهذه أيضاً قطعة من شعره

[له من قصيدة] :

بِعَيْشِكَ إِلَّا مَا قَصَرْتَ لَنَا الدجى فقد زيد جنح الليل في طولِهِ ضعفا
 كأنَّ النجومَ الزَّهْرَى في حَضْرَةِ الدجى أزاهيرُ نَوَّارٍ على رَوْضَةٍ خَيِّمًا
 كأنَّ جناحي نَسْرَهَا وهو واقعٌ مهيضان لما يستقلا به ضعفا
 كأن أخاه قد أتى من ثنيةٍ لديه فولّى حين لم يَرْضَهُ خلفا
 كأن السها مصباحٌ مشكاةٍ راهبٍ تشبَّ له طوراً وآونة تطفأ
 كأنَّ عراقي الدلو في كفِّ مائعٍ مياه جفانٍ تجذبُ الفَرَّخَ والغرفا
 كأن بني نعشٍ [طلائعُ نعسجةٍ] يرودون في ديمومةٍ عشباً جرفا
 كأن سهيلاً خلفه من أناتهٍ سَكَيْتُ على آثارِ حَلَبْتِهِ قَفَى
 كأنَّ ظلامَ الليلِ أسودُ مُطْرَقٍ من الزنج في لبسِ الحديدِ قد التفا
 كأن ثباتَ القطبِ فوقَ مَصَامِيهِ ثباتُ لبيبٍ كلما شهد الزحفا

ولنما احتذى أبو الربيع في هذه التشبيهات^٢ طريقة محمد بن هانيء الأندلسي
 وسلك سبيله فضل^٣ عنها ، وهي قصيدته التي أولها^٣ :

أَلَيْلَتَنَا إِذْ أُرْسَلَتْ وَارِدًا وَحَفَا وبتنا نرى الجوزاءَ في قُرْطِهَا شِنَا
 وبات لنا ساقٍ يقومُ على الدُّجَى بشمعةٍ صُبْحٍ لَا تُقَطُّ وَلَا تطفأ
 أَعْنُ غَضِيضٌ خَفَّفَ اللَّيْلُ قَدَّهُ وَأَثَقَتِ الصَّهْبَاءُ أَجْفَانَهُ الْوُطْفَا [١٣٦ ب]

١ س : نثير جبار؛ ط س د : والعرفا .

٢ ب م : التشهيدات .

٣ ديوان ابن هانيء : ٢٣٨ وانظر النفع ٤ : ٤١ والمطمح : ٧٥ ونثار الأزهار : ١٢٩ ،

وفي ترتيب أبيات القصيدة في الديوان بعض اختلاف، عما هنا .

نزيفٌ مضاهٍ السكرُ إلاَّ ارتجاجةٌ
يقولون حِقْفٌ فوقه خَيْرَانةٌ
وقد فكتِ الظلماءِ بعضَ قيودها
وولتْ نجومٌ للثريا كأنها
ومرَّ على آثارها دَبْرانها
وأقبلتِ الشعري العَبُورُ ملبئةٌ^٢
تخافُ زئيرَ الليثِ قَدَمٌ^٣ نثرةٌ
كأنَّ سهيلاً في مطالعِ أفقهِ
كأن السماكين الذين تظاهروا
فذا رامحٌ يهُوي إليه سنانهُ
كأن معلى قطبها فارسٌ له
كأن قَدَامِي النسرِ والنسرُ واقعٌ
كأن أخاه حين دَوَّمَ طائراً
كأن بني نعشٍ ونعشاً مطافلٌ
كأنَّ سهاها عاشقٌ بين عُوْدٍ
كأنَّ ظلامَ الليلِ إذ مال ميلةٌ
كأن عمودَ الصبحِ^٥ خاقانٌ معشرٍ
كأنَّ لواءَ الشمسِ غُرَّةٌ جعفرٍ

١ الديوان : وقد ولت الظلماء تقفو نجومها... الفجر ؛ هامش س : جيش الليل للفجر .

٢ الديوان : مكبة ؛ ب م : ميلة .

٣ الديوان : يقدم .

٤ ب م : كرها .

٥ الديوان : الفجر .

وقد تقدم قبل هذه الصفة الجامعة في النجوم علي بن محمد الكوفي ، في قصيدة^١
يقول فيها^٢ :

مى أرتجي يوماً شفاءً من الضنى
ولي عائداتٌ ضيفتهنَّ فجثنَّ في
نجومٌ أراعي طولَ ليلى بروجها
خوافقٌ في جنحِ الظلامِ كأنها
ترى حوتها في الشرقِ ذاتِ سباحةٍ
إذا ما هوى الأكليلُ منها حسبته
كأن التي حول المجرةِ أُوردتُ
كأن رسولَ الصبحِ يخلط في الدجى
كأن أخضرارَ الصبحِ صرحٌ ممرّدٌ
كأن سوادَ الليلِ في ضوءِ صبحه
كأن نديرَ الشمسِ يحكي ببشره
ولولا اتقائي عتبه قلتُ سيدي
نسيبٌ إخاءٍ وهو غيرُ مناسب
ونسبةُ أجسامِ الأقاربِ وحثّةُ
إذا كان جانيه عليّ طيبِي
لباسِ سوادٍ في الظلامِ قشيبِ
وهنَّ لبعده السيرِ ذاتِ لغوبِ
قلوبٌ معنّاةٌ بطولِ وجيبِ [١٣٧أ]
وعقرها في الغربِ ذاتِ ديبِ
تهدّلُ غصنٍ في الرياضِ رطيبِ^٣
لتكرعَ في ماءٍ هناك صبيبِ
شجاعةً مقدامٍ بحري هبوبِ
وفيه لآلٍ لم تُشَنَّ بثقوبِ
سوادُ شبابٍ في بياضِ مشيبِ
عليّ بن داودِ أخي ونسيبي
ولكن يراها من أجلِّ ذنوبِ
قريبٌ صفاءٍ وهو غيرُ قريبِ
إذا لم يؤنسها انتسابُ قلوبِ

١ ط د س : في قصيدته التي .

٢ وردت أبيات منها في نثار الأزهار : ١٢٨ .

٣ ما بعد هذا حتى « رجع » لم يرد في د ط س .

٤ نثار : الجو .

٥ نثار : علي بن هرون .

ولأبي الفضل البغدادي الدارمي^١ من قصيدة في ذلك :

وليل تجلّى الصبحُ في جنباته
أحاطت بآفاق السماء خيامه
نفى طولُهُ عني الرقادَ كأنما
تعالقَ كيوانٌ وبهرامٌ وسطه
غريبان خافا الضغنَ في دارٍ غريبةٍ
فبتَ أُجبلُ الطرفَ ارتادُ فجرةُ
كأنَّ النجومَ الزهرَ فيه خرائدُ
تودّعَ مَنْ تهوى بكسرٍ جفونها
وإلاّ كغزلانِ النصارى تدرّعوا
كأنَّ ثريّاهُ أناملُ فضّةٍ

ومن أخرى :

كأنَّ كواكبَ الجوزاءِ شَرَبُ
كأنَّ الفرقدين ذوا عتابٍ
كأنَّ المشتري لما تعلّى^٣
كأنَّ الأحمرَ المريخَ معد
كأنَّ سنا المجرةِ فيضُ نهرٍ
كأنَّ بقيّةَ القمرِ المولّي

تعاطيهم ولائدهم شرابا [١٣٧ ب]
أجالا طولَ ليلهما العتاب
طليعةُ معشرٍ خنَسُوا ارتقابا
على حنقٍ يشبُّ بها شهابا
جرى في الزهرِ وانسابَ انسيابا
كثيبٌ مدنّفٌ يشكو اجتنابا

١ ترجم له ابن بسام في القسم الرابع من اللخيرة (انظر ط . مصر ٤ / ١ : ٦٧) .

٢ ب م : صنمه .

٣ م : تعالا .

كأن الفجرَ مبهجٌ ببشرى تاللاً بعدما اربدَ اكتسابا
كأن الليلَ مذعوراً^١ بفجر مريبٌ راعه سيفٌ فهابا

وله في مدح المنتصر بالله حسين^٢ بن يحيى المعتلي^٣ :

كأن السماءَ اللازورديَّ وهنئةً ملاءً على جسم الزمانِ منمنمُ
كأن الثريا فيه كفٌ خريدةٍ أنيطَ له إذ أظلمَ الليلُ معصمُ
كأنني أراها إذ بدا دبرانها رقيبٌ لتعذيبِ المتيمِّمِ يلزمُ
كن السَّها صبُّ أضربَ به الهوى فلم يبقَ منه فيه لحمٌ ولا دمُ
كأنَّ به الجوزاءَ حين تطلعتُ أميرٌ يحييه الدجى ويعظمُ
كأنَّ شبيهه الفرقدنِ متيمٌ يقبلُ معشوقاً جفاه ويلثمُ
كأنَّ سنا المريخِ في غسقِ الدجى شهابٌ تذكّيه الرياحُ مضرمُ
كأن ظلامَ الليلِ قلبٌ وقد هوى بإيمانه نسرٌ من الشرك قشعمُ
كأن ابتسامَ الصبحِ في جنباته نواجذُ زنجيٍّ غدا يتبهمُ
وهذا يشبه قول ابن المعتز^٤ :

حتى تبدى تحت ليلٍ مظلم كأنه غرةٌ طرفٍ أدهم
أو ثغر زنجيٍّ لدى التبسم

ومن أخرى في مدح ابن جهور :

١ ب م : مذعور .

٢ في الجمهرة : ٥١ ان ابن المعتلي اسمه الحسن .

٣ ب م : بن المعتلي .

٤ جاء في ديوان ابن المعتز ٣ : ١١١

أعلمتها في شفق لم يتم تخاله طرة برد معلم
والنجم في أديم ليل مظلم كأنه غرة طرف أدهم

في ليلة ليلاء ألقّت كلكلا^١
 طالت عليّ وطال بثي تحتها
 والنجم في كبد السماء كأنه^١
 وغدا سهيل^٢ طاعناً بسماكه
 وبنات نعش تستدير كأنها
 والجدى قد أسرت يده قطبه^٣
 والنسر قد ضمّ الجناح كأنه
 وكان مطلعها رياض^٤ جاده^٥
 والبدر يحيي نوره^٥ وقد انطوى
 والصبح منهزم^٥ وقد رفع اللوا
 حتى تلقى الفجر في حلل الضحى
 فكانه لما استطال على الدجى

ولأبي عامر بن شهيد^٥ :

وارتكضنا وقد مضى الليل يسعى
 وكان النجوم عسكر خيل
 وكان الصباح قانص^٥ طير
 [...] :^٧

٤ ب م : ليحبسا ؛ وخبس : أخذ الشيء فغنمته .

١ ب م : كليه .
 ٢ ب : وتعله .
 ٣ ب م : ظلل الكنسا .
 ٥ ديوان ابن شهيد : ٨٥ .
 ٦ الديوان : دخلوا .
 ٧ بياض في ب م .

كأنتما الليلُ إذ تولّى لغرةِ الفجرِ إذ رآها
زنجيةٌ أسكّرتْ فأمنستْ تجرُّ من خلفها رداها

رجع :

ولما دخل هشام بن محمد الناصريّ المتلقب بالمعتد^١ قرطبة ، واستوثق له الأمر بها ، سافر عنه رسولا^٢ إلى مقاتل صاحب طرطوشة ، وزيره فائز بن المغيرة ، فاجتمع بها مع أبي الربيع القضاعي هذا فقال له [فائز] : لو لحقت بقرطبة إلى أمير المؤمنين المعتد بالله كنت تحصل بها على الوزارة معنا ، فأنشده أبو الربيع^٣ :

هَبْكَ كما تدّعي وزيراً وزيرٌ مَنْ أنت يا وزيرُ
والله ما للأمير معنى فكيف مَنْ وزرّ الأمير

وانما نظر أبو الربيع في معنى هذين البيتين إلى قول^٣ عمر بن إبراهيم في خبر أورده الصولي قال : لما رُدَّ^٤ المعتد إلى سرّ من رأى من طريقه إلى ابن طولون على يدي اسحاق بن كنداج وأحسن التدبير في ذلك ، وسمي ذا الوزارتين^٥ قال [١٣٨ ب] له عمر المذكور :

قل للمسمّى الوزيرَ ظلماً وزيرٌ مَنْ أنت يا وزيرُ
أنت أسرتَ الإمام قهراً وكيف يستوزرُ الأسير

١ د ط : بالمعتد .

٢ انظر المغرب ٢ : ٤٢٤ والبيان المغرب ٣ : ١٤٧ .

٣ د ط س : وإنما بدل أبو الربيع في هذين البيتين قول . . . الخ .

٤ د ط س : ورد .

٥ تتفق المصادر التاريخية على أن صاعده بن مخلد الكاتب هو الذي لقب ذا الوزارتين في تلك

الحادثة وإن ابن كنداج لقب ذا السنتين (انظر السوطي : ٣٩٤) .

جملة من أخبار هشام بن محمد الناصري أمير قرطبة
الملقب من الألقاب السلطانية بالعمد ، نُقِلَتْ من أبي مروان ابن حيان ١

قال أبو مروان [ابن حيان]: وهشام بن محمد هو أخو المرتضى ، أخذت له البيعة بقرطبة ٢ سنة عشرين وأربعمائة ، وهو يومئذ مقيم بحصن البونت قبيل أميره محمد بن قاسم الفهري ، ألقاه إليه المخافة عند ٣ مهلك أخيه المرتضى ، فقلد هذا الأمر في سنّ الشيوخة ، ولا نعلم أميراً من أهل بيته ولي في مثل سنّه ، وقد كان معروفاً بالشطارة في شبابه ، فأقلع مع شبيهه ، فرجى فلاحه ، لصدق توبته ، وخلوص طاعته ، وتهديّه لما قرط من بطالته ، فجاء سكيناً لحابته ، متخلفاً عن جميع ما قدّر فيه وظنّ عنده ، وكانت بيعته في سهولة أسرع الناس إليها ، افتتحت باجماع وختيمت بفرقة ، وعقيدت برضى وحلت بكراهية ٤ ، وكان الوزراء قد نظروا في هيئة أمره ٥ ، وكيفية وروده ، فلم يفجأهم إلاّ وقد أشرف على البلد ، فانقلبت قرطبة أعلاها وأسفلها طرباً إليه وسروراً به ، فركب جيشها لاستقباله ، فدخل في زيّ تقتحمه العين وهناً وقلّة ، عديم رواء وبهجة ، وعدد وعدة ، فوق فرس دون مراكب الملوك ، بجلية مختصرة ، سادلاً ممل غفارة ،

١ سقط هذا العنوان من ط د ، وراجع في أخبار هشام المعتد كتاب المعجب : ١٠٩ والبيان

المغرب ٣ : ١٤٥ (وفيه نقل عن ابن حيان) وأعمال الاعلام : ١٣٨ (وفيه تلخيص لما

أورده ابن حيان) .

٢ ط د س : بويغ بقرطبة .

٣ ط د س : لجا إليه عند .

٤ ط د : برضى . . . بكره ؛ البيان : بكره .

٥ ط د : نظروا في أمره .

ما على تحتها كسوة رثة ، قُدَّامَهُ سِيعُ جَنَائِبَ من خَيْلِ المَوَالِي [العامريين] سيِّروها معه للزينةِ دونِ عِلْمٍ ولا مِطْرَدٍ ، يَسِيرُ هَوْنًا والناس يهشون له ^٢ ، ويضجّون بالدعاءِ في وجهه ، لا يعلمون ما سيق ^٣ لهم من المكروه به ، فدخل القصرَ ، وجاء معه في جملةِ الموالِي العامريين حائكٌ من أبناء الزعانيفِ بقرطبةِ يسمّى حكَمَ بن سعيد ، الحائك المشهور ، حمل ابنه هذا السلاحَ ، وأطال السبالَ ، وخرَّجَتْهُ الفتنَةُ فصحبَ أمراءها ، وعَرَفَ هذا الخليفةَ عند ظهورهِ بالثغرِ بصحبةِ جمعتهما بقرطبةِ في حال الصبا ، فسما إلى الغلبةِ ، واشتمل عمّا قليلٍ على تدبيرِ سلطانه فنقضَهُ سريعاً .

قال أبو مروان : ثم بات الناسُ ليلتَهُمْ ، وغدا الملائُ عليه ، ووصلوا على مراتبهم إليه ، وهو بمجلسِ الخلافةِ ، فظهر منه لِيَوْمِهِ عِيٌّ في القول ، احتاج إلى عبارةِ بعضِ الأكابرِ عنه ^٤ ، وأنشده من حَضَرَ من أدباءِ الوقتِ ، فلم يهزَّهُ شيءٌ من ذلك لنبوّ طبعه . وحضره في ذلك اليوم [١٣٩ أ] محمدُ بن المظفر بن أبي عامر أميرُ بلنسيةِ [فرغ مرتبتهُ وسمّاه الحاجب وأثنى على سلفه ، يخادعُهُ وفؤهُ يتحلَّبُ لأكله ، ثم قرئت كتبٌ وردت معه من شرق الأندلس منها كتابُ عبد العزيز بن أبي عامر أمير بلنسيةِ] وكتابُ

١ ط د س : وكيفية وروده فبادر هو ووفد على البلد ، فسر الناس به وركب جيش قرطبة لاستقباله . . . وقلة رواء وبهجة . . . سادلا لأسمال غفارة إلى ما تحتها من كسوة . . . سيرها (س : سيرت) . . . مطرد .

٢ البيان : يهشونه .

٣ ب م : سبق .

٤ ط د : اللباس .

٥ ط د س : وبات ؛ والكلام متصل دون عبارة : « قال أبو مروان » .

٦ ب م : احتاج بمض الأكابر إلى عبارة عنه .

سليمان بن هود صاحب لاردة ، كلتها في إطراء الخليفة [المعتد] هشام
 المهدي للأمة رحمة ، ثم تواللت بَعْدُ كتبُ الرؤساء مسوقةً هذا المساقَ
 من غرور أهل قرطبة [فأصغوا من إفكهم إلى ما زادهم خبالاً ،
 وأوبقهم ورطقةً] ونكالا ، وكانت تلك الكتبُ المزورةً حظهم من
 هؤلاء الساخرين بهم ، أدوا إليهم هذا المغرورَ بامارتهم عديماً لآلاتها ،
 ثم تركوه في أيديهم وصرموا حَبْلَهُ ، ولم يتعهدوه فيما بعدُ بفارسٍ
 ولا درهم .

وحكى لي بعضُ أصحابِ هذا الخليفة هشام أنه اجتاز^١ على جزيرة
 شُقِرَ من عملِ الموالي العامريين بشاطبة^٢ وطمع^٣ أن يُدْخِلوه فلم يتفقَ
 له عندهم^٤ شيء ، وجعل يجوبُ الدوّ فالدوّ إلى قرطبة ، وأول ما أظهر من
 النوادر أن جلسَ بنفسه للمظالم ، وزاد في قراءِ الجامع حين بلغه أن ما به
 غير مكّي^٥ وضاحبه ، وزاد في رزقِ مشيخةِ الشورى من مالِ العينِ ،
 ففرض لكلِّ واحدٍ خمسةَ عشرَ ديناراً مشاهرةً ، فقبلوا ذلك على خُبثِ
 أصله ، وتساهلوا في ما كَلِمَ لم يستطبه فقيهٌ قبلهم ، على اختلافِ السلفِ
 في قبولِ جوائزِ الأمراءِ الذين سَبَّكوا خباثتَ^٦ الضرائبِ والمكوسِ القبيحةِ ،
 فاستندرتُ القومُ ميريّةً هذه الطّعمة الخبيثة ، وكنت أحسبُ فقهاءَ الشورى
 بعده^٧ أنهم يكتمون شأنَ ذلك الراتبِ^٨ ، حتى سمعتُ أبرهم يلحُ في طلبه

١ ط د س : وكان اجتاز .

٢ بشاطبة : سقطت من ط د س .

٣ ب م : وطمعوا .

٤ س ط د : مهمم .

٥ هو مكّي بن أبي طالب (غاية النهاية ٢ : ٣٠٩) وصاحبه هو أحمد بن مهدي .

٦ ط د : أخابث .

٧ ط د س : بهده .

٨ ط د س : المرتب .

ويتنظرُ بلوغَ وقته^١ ، فانكشف لي شأنه^٢ ، والقومُ أعلم بما يأتيونه ، وهو القدوة ، لا جعلهم الله لنا فئمة^٣ . وقد حدثتُ أن هشاماً أطلعهم من قمحِ ولد القاضي ابن ذكوان أيامَ فرّ عنه ، وأخذ ماله ، فقبلوه قبولَ مالِ الفبيء ؛ وهذه الأخبارُ تُكْتَبُ للغرائب^٤ ، والفئمةُ تنتجُ العجب ، والخلةُ تدعو إلى السلة^٥ .

قال : وقلد هشام وزيره^٦ حكمَ بن القزاز جملةً [تلك] الأعمال ، وأطلقَ يدهُ في المال ، وناطَ به الرجال ، فجري مجرى أعظمِ الوزراء المستمرين على فئمة^٧ الملوكِ في سالفِ الأزمنة ، فحجر حَجْرَهُم^٨ على هذا الخليفة هشام في سنّ الشيخوخه بطبقٍ ومائدة ، كانا طباق همتته الكاسدية ، عكف عليهما راضياً بأدنى المعيشة ، وقعد في حَجْرِهِ^٩ ينظرُ بعينه ويسمعُ بأذنه ، يُدْني من أدنائه ، ويبعدُ^{١٠} من أفضاه ، وخلاّه ومعظم^{١١} الأمور يدبّرها بجهله وخرقهِ واعتسافه وتهوره ، فلم يلبث أن انتقضت به ، فأردته وصاحبةً سريعاً . واحتاج حكم^{١٢} إلى رجالٍ يستعينُ بهم في تدبيره ، فلم يهتد منهم

١ ط د س : حتى سمعت بعضهم يلح فيه بالطلب .

٢ ط د س : وهم .

٣ س ن ط د : فئمة .

٤ ط د س : لتستغرب .

٥ ط د : السلب ؛ س : الغلة ؛ ب : الصلة ؛ والمعنى أن الخصاصة تؤدي بصاحبها إلى السرقة ، وانظر اللسان (سلل) .

٦ البيان : المستمرين على فتية ؛ ولعل صواب العبارة : المستبدين على فتية . . .

٧ ط د والبيان : فحجرهم ؛ ب م : فجمد بجمدهم .

٨ ب م : حجرة ؛ البيان : قمر .

٩ س : ويقصي .

١٠ ط د س والبيان : ومماظم .

إلا [إلى] نَغِيلٍ دَغِيلٍ ، وماجنٍ سفبه أو سوقيّ رذل ، سقطت به عليهم المشاكلة ، واتخذهم عَيْبَةً وبطانة ، [١٣٩ ب] فمدّوا له في الغواية ، وَجَرّوا في هواه طَلَقَ الجموح ، ما منهم حازمٌ ولا نصيح ، فهوى صريعاً ، وأصبح مثلاً وموعظة ، ووقع هشام على [خبر] ودائع ولد المظفر بن أبي عامر^١ ، وَبَعَثَ له عنها وزيره^٢ حكيم ، فوصل إليه منها بعض أسباب من ذخائر وثياب ، وَجَرّتْ بأسبابها على الناس^٣ خطوب ، وجعلها على أهل اليسار وأعيان التجار بقيمة سَعَرَتْ مع حِمْلٍ من رصاص وحديد كان جُمِعَ من خرابات^٤ القصور السلطانية^٥ ، عَجَّلَ عليهم في أثمانها ، فاستجحف^٦ الناس فيها واستعان عليهم بمن كان من الفقهاء رتب له فيها ، ولم يلبث أن ألهبها^٧ كلها شواظ النفقة ، وحال هشام في كل ذلك يزداد ضعفاً حتى^٨ انكشف ، واضطراً إلى طلب الأمتاء والأوصياء عن الأوقاف ومال الغيبة^٩ ، وشبه ذلك ، فَبُعِثَ عليها ، وانفتح بذلك على الأمة مكاره^{١٠} شديدة ، وكان القيم له بها مارد من المتفقيين يعرف بابن الجيتار ، ممن خدم^{١١} الدولة الحمودية في

١ ط د س : ولدان أبي عامر ابن المظفر ؛ س : ولد ابن أبي عامر بن المظفر .

٢ ط د س : وجرت على الناس بها .

٣ ط د س : خزانات .

٤ ط د س : السلطانيات .

٥ ط د س : فأجحف .

٦ ط د س : التهبها .

٧ ط د س : إلى أن .

٨ ب م : أو يصيب (اقرأ : نصيب) غائب .

٩ ط د س : مكاره جمّة هناك .

١٠ ب م : خرب .

مثل هذه الأخابث^١ ، فنكَبَ في ذلك ، فنعشه^٢ هشام^٣ من نكبته ،
 وَبَعَثَهُ على خِدْمَتِهِ ، فعمَّ أذاه ، وكثُرَ صرعاه ، وخُصَّ بوزيرِ الملك
 أبي العاصي الحائك ، لمشاكلته لإياه ، ففرى القرى ابتغاءَ رضاه ، فاعترت^٤
 الأمةَ شِدَّةً^٥ مرت^٦ ، لهم أيامَ عليّ بن حمود جنداعة ، فساءت أحوالهم^٧
 لهذه السياسة المذمومة ، والوزارةِ المسخوطة ، وبلغت هشاماً فانزعج^٨
 منها ، وأوعَدَ من أفشاها ، وأمر بإنشاء كتابٍ شديدٍ عنه إلى الكافة
 بما استكره من ذلك ، وأغلظ^٩ [فيه] وعيدهم بما دلَّ على قِصَرِ المدة في ما أتاه ،
 كتبه عنه أبو عامر بن شهيد وزيره ، وصاحبُ خالصتِهِ أبي العاصي الحائك ،
 مطولاً مستكره اللفظ ، عليل المعنى ، شديد القسوة ، خارجاً عن غرض
 الكتاب ، لم يصحبه^{١٠} فيه توفيق^{١١} ، فقام في جمادى الأخيرة سنة إحدى
 وعشرين أبو عامر على كرسي^{١٢} ، وقرأه على الكافة والأعيان ، ثم قرىء
 أيضاً بالمسجد الجامع على العامة فصلك^{١٣} الأسماع بأصلب من الجندل^{١٤} ،
 وغشي وجوههم بأحر^{١٥} من المرجل ، وانصرفوا يتدارسون نوادره .

قال أبو مروان : وكان أبو عامر بن شهيد قد اعتلق يومئذ بدولة هشام
 المعتد^{١٦} ، واختصَّ بوزيره حكم النذل ، المرتقي ذروة الوزارة من الحياكة ،

١ ط د س : في مثل ذلك .

٢ ب م : فأنشله .

٣ ط د س : فاعتورت .

٤ ط د س : فمرت .

٥ ب م : أقوالهم .

٦ ب م : فانزع .

٧ ط د س : لم يصحب أباه عامر .

٨ ط د : قد اعتلق به .

وانخرط في سِلْكٍ من [كان] يؤيد المعتدَّ على تلك الهنات الموبقات ،
ومن مأثور نظمه الشاهدِ بذلك ، قصيدته فيه ، وكانت من مکتوماته ،
أنشدها هذا الخليفة يومَ مهرجانِ العامِ المؤرَّخ ، إثرَ قتلِ عبد الرحمن^١ بن
محمد بن الحنَّاط الوزير ، يحسُنُ له سَطْوَتُهُ ، ويُنْغْرِبه بمن بقيَ من
أصحابه ، وهي قصيدةٌ ذميمة المعاني استهدفَ بها إلى سَفْكِ دماءِ المسلمين ،
[١٤٠ أ] وجسَّرَ هشاماً على الفتكِ بالعالمين ، يقول^٢ فيها^٣ :

أحللتني بمحلةِ الجوزاءِ ورويتُ عندك من دمِ الأعداءِ
وطعمتُ لحمَ المارقين فأخصبتُ حالي وبلغني الزمانُ شفائي
ورأيتني كالصقرِ فوقَ معاشرٍ تحي كأنهمُ بناتُ الماءِ
ولمحتُ إخواني لديك كأنهمُ مما رفعتهمُ نجومُ سماءِ

ومنها :

لا يرحمِ الرحمنُ مَصْرَعَ مارقٍ عشت بطاعته يدُ الأهواءِ
ألحِقْ به إخوانه فحياتهمُ نكدٌ وقد أودى أخو السفهاءِ
ساعد بذاكِ ودَعُ مقالَ معاشرٍ بخلوا فنالوا خُطَّةَ البخلاءِ
من لم يُفدك سوى الرماحِ ؛ فخلته للشمس يرقبها مسع الحرباءِ
ودعِ القلائسَ في السحابِ يشقها^٤ ومفاخرَ الآبَاءِ للأبناءِ

١ ط د س : قصيدة له من المکتومات قالها إثرَ قتله لعبد الرحمن .

٢ ط د س : دماء جماعة قال . . . الخ .

٣ ديوان ابن شهيد : ٨١ .

٤ س د : الرياح ؛ وفي متن الديوان : الزمان .

٥ س : الجوزاء .

٦ س : المصاب تشقها .

إنّ الرجالَ إذا تأخَّرَ نفعهم في كلِّ معنىٍ شُبِّهوا بنساءِ
أنا صلَّيْهُمُ عندَ الخصامِ فخلَّهمُ لسانِ هذي الحِيَّةِ الرقشاءِ
في أبياتٍ غيرِ هذه ، ما أحسنَ فيها ولا أغربَ ، بل أعربَ عن سُقْمِ
يَقِينِهِ ورقَّةِ دينِهِ .

قلت أنا صاحب الكتاب : أما الأبياتُ في أنفسها فدرُّ مكنون ، وسحرٌ
مبين ، وأبو عامرٍ كان أعجبَ وأنجبَ من أن يقالَ له ما أحسنَ وما
أغربَ ، ولو قال : حضٌّ^١ على أهلِ بلده ، وأبانَ عن فسادِ معتقده ،
بعد أن يبرأَ إليه من البيان ، ويسلِّمَ له غايةَ الإحسانِ ، لكان أولىَ بابنِ حِيَّانِ .

ذكر الخبر عن مقتل الوزير الخائف المذكور وخلع هشام المعتد هنالك ،
وما انتظم من خبر مستطوف في سلك ذلك

قال أبو مروان^٢ [ابن حيان] : وضعف أمرُ هشامٍ ، لسوءِ تدبيرِ وزيره حكمِ
القزاز ، وبلغ من الظلم والجور أن كَسَدَتْ أسواقُ قرطبةٍ ولم تُسَلِّكْ
سبلها ، وأسرىَّ الناسُ الوثوبَ على وزيره هذا ، فسقط إليه ذرٌّ^٣ من ذلك ،
فانزعجَ وخافَ على نفسه ، ورحل إلى قصرِ السلطانِ بأهله ورعيه^٤ ، وسكنه
مدةً مختلطاً به ، وأخذ في مداراةِ الناسِ ، وكفَّ عن الكلفِ ، وكتب إلى
الجماعة كتاباً طويلاً وضحَّ فيه العذرَ في شأنِ تلك الكُلُفِ ، وحمَلَ هشاماً

١ ط د : حرض .

٢ ورد هذا الفصل في ط د س كثير الحذف والايجاز ، فكأنه تلخيص لما هو معنا ، انظر البيان
المغرب ٣ : ١٤٨ ، فالنقل فيه أكثر مطابقة للنسخ ط د س .

٣ ط د س : ذرو خبر .

٤ ب م : ورعيه ، وسقطت من ط د س .

على [١٤٠ ب] الازورارِ عن بعض مشيخة الوزراء الأقدام ، وقصد منهم كبيرهم أبا الحزم بن جهـور، وطلبَ تعثيره فلم يستطعه ، وأملكه يطمح لازالته^١ ، ليتمكنَ بالناس بعده ، والله يستدرجه^٢ ، إلى أن أمكنَ الله من هذا الجائرِ حكم^٣ ، وذلك أنه لما خرق في تدبيرِ سلطانه ، واعتسفَ الأمور ، وأساءَ السيرة والتدبير ، واستفسد إلى الكافة ، وكان من مغرسٍ ذني ، ومهنة مرذولة ، فأثره الخليفة^٤ ، وسما به إلى المحلّ الذي لا يستحقّه ، وتبوا حـجره^٥ ، ورضيَ منه في حال الشيخوخة والحنكة ، بأهون ما رضىه أحداثُ الأمراء ، ففوضَ إليه ، وعودَ عليه ، ثم قعد ينظرُ بعينيه ، وينطقُ بلسانه ، وألزمَ جماعةَ الأمراءِ طاعةَ الفُسْكُلِ^٦ ، وهو رجلٌ من دخلاءِ الجند ما فيه شيءٌ من خصالِ الرجالِ إلاّ ثقافةً الرّكوبِ الساذج^٧ ، دون غنّاء ولا شجاعة ، منتقلاً من الحياكة إلى الذرّوة العليا من تقلد الوزارة ، فبدرَ لأوّلِ وقته بعداوةَ الأحرار ، وتنقّصَ الفضلاء ، والميل على أولي البيوتاتِ بالأذى والمطالبات^٨ ، وصيرَ صنائعه^٩ في أضدادهم من التوابع والحاكة ، فكانوا وزراءه وأنصاره ، فنالوا معه المنازلَ النبيلة ، وأكلوا الطعومَ الرقيقة^{١٠} ، أكثرهم صببيةً أغمار عيتارون من نمطه ، ممن دينه

- ١ ط د س : إلى ازالته .
٢ ط د س : إلى أن مكن منه .
٣ ط د س : جملة الوزراء طاعته .
٤ ب م : لباقة .
٥ ط د س : ركوب ساذج .
٦ ط د س والبيان : والمطالب .
٧ س : الرفيعة .

حثُّ الكاس ، وتنضيدُ الآس ، وطبخُ الترفاس^١ ، والنفكّه بأعراض
الناس . إن ضجَّ مظلومٌ سخروا به^٢ وحاكوه^٣ ، فالناسُ منهم ومين
صاحبهم في بلاءٍ عظيم ، وتجهد^٤ مقعدٍ مقيم . وعندما سولتَ لهذا الخائف
- حكّم - نفسه الخبيثةُ الاستيلاءَ على البلد ، واجتثا^٥ مشيخةَ الوزراء ،
بما زين له جاري القدر^٦ ، وسوءُ النظر ، مَقَتَ جُنْدَهُ البلديين لعلمه
أنهم صنائعُ الوزراء قبله ، ورأى أنهم لا يصلحون له ، فأخترَ أعطياتهم
فاضطربوا ، فلما لاح له حركةُ الهمس والقول فيه ، بنى القصبَةَ
المطلّة^٧ على ساحةِ المدينة ، استظهاراً على ما خافه من تحركِ العامةِ ،
فَهْتِكَ بها عندهم سِتْرَهُ ، ودبّروا القيامَ عليه ، وهو على ذلك مُصِيراً
في غيته ، عمٍ في لجأته ، آمنٌ مَكْرَ خالقه ، عَهْرُ^٨ الخلواتِ ، صريعُ
الشهواتِ^٩ ، لهجٌ بالفكاهات ، كلفٌ بالبطالات ، كثيرُ الكذبِ والأيمان ،
شنيعُ الفجورِ والعدوان ، وصاحبُهُ أميرُ المؤمنين القائم بأمرِ الأمةِ عالمٌ
بذلك راضٍ من وزيره هذا الخائفِ بإقامةِ وظائفه ليوميه وشهره ، من
نشيله وحنينه ، وشوائبه وشرابه ونبيذه ، وملأ قلبه وعينه^٩ بالمطعم

- ١ الترفاس (وعند ابن البيطار : الترفاش) : الكمأة ، بالبربرية ، وفي م ب : الرفاس .
٢ ط د س والبيان : منه .
٣ ط د : وتجهل ؛ البيان : وجهد ؛ س : ويجهد .
٤ ب م : واجتثاب .
٥ ط د س : بما زجر له (س : زجرته) زاجر القدر .
٦ ط د : قصبية منيفة ؛ س والبيان : قصبية منيفة .
٧ ط د س : سقيم .
٨ ط د س : النشوات .
٩ ط د س : وعينه .

الذي كان آثر الأشياء عنده ، فأكثر له من الأطعمة والشهوات ، وأعد له القينات والمهيات والمغنيات ، فوكسه^١ في الصبا بعد المشيب ، وعرف شغفه بالبطالة فقصدتها وأصاب الغرة [١٤١أ] فنال عنده نهاية الخطوة ، إلى أن خلط أهله بأهله ، وأباحه سكنى داره ، وقد وثق حكم^٢ منه بذلك ، ففرق عنه الأصحاب ، وسد^٣ دونه الحجاب ، وخلا^٤ وراء الستر بين بسم^٥ وزير ، يطير بأجنحة السرور ، وقد شغل بكأس يمينه ، وببحر يسراه ، وأعرض عما أحاط به ، حتى أتاه من أمر الله ما أتاه ، وقصده في وزيره هذا ما أشجاه ؛ وأرسل [الله] على وزيره ودولته طائفة من فتاك الجند عرقت مراد الوزراء ووجوه الجند^٣ في إزالة هذا الخائن الحائك ، فدبروا قتله تدبيراً محكماً ، خفي عن حكم مع كثرة عيونيه ، وكان الناظم لهذه الجماعة ابن عم الخليفة هشام^٤ ، [واسمه] أمية بن عبد العزيز العراقي ، من أبناء الناصر ، فتي شديد التهور والجهالة ، فانتظم في سلك هذه الجماعة ، وسولت له نفسه نيل الخلافة ، وأطمعه في ذلك ، سخرية به ، بعض من نظم التدبير من المشيخة ، علماً بأنه لا ينفذ في الوثوب على هشام إلا من ينازعه لبوسه^٥ ، ويساهمه قرياه ، فتهياً أمر القوم في ستر وخفية ، فرصدوا حكم الوزير في طريقه من القصر ، وقاموا عليه فقتلوه وصرعوه ركن الجامع الشرقي في شديد الوحل والقدر ، فكان من تمام محنته ، وطافوا بالرأس^٥ وقد محا الطين رسمه ، فغسلوه

١ س والبيان : فركسه .

٢ ط د : وضرب .

٣ ط د س والبيان : الناس .

٤ ط د س : ابن عم هشام .

٥ ط د س : برأسه .

بها قصرية سمّاك بسوق الحوت ، ونصبوه تحت العلية التي [كان]
أعدّها لدفاعه^١ ، فصار عبرة^٢ للمتأملين ، وأخذ القوم سلبته ، وغادروه
عرياناً مكبواً لوجهه ، مُضرجاً بدمائه ، وجرّوا جيفته إلى هَوَاهَا
القناة ، فألقوها^٣ وَسَطَ الحماة والأقدار ، ووافى قومٌ من أعدائه ففلّوه
بأسيا فيهم . ووقعت الهَيْعَةُ في الناس ، وانقلب البلدُ أعلاه أسفله ،
واجتمع العوامّ وطلابُ الفتنة إلى جُنْدِ البلد للوقت ، ووافى إليهم أمية بن
عبد العزيز العراقي ، قطبُ القضيّة ، فالتفّ الجناةُ به ، وتقدّمَ بهم إلى القصر
لحينه ، وقد وقع الخبرُ على المخلوع هشام وهو آخذ في بطالته [مع نسائه] ،
فبادروا الصعودَ إلى العلية الجديدة فوق سورِ القصر ، المعدة
لمثل هذه الحادثة^٤ ، فصار الاعتصامُ بها سببَ حياته ، إذ لم يطق
القومُ التعلّقَ بها ، وقد قصدوا نفسه ، وأشرفَ للحين على من اجتمع
تحتها داخلَ المدينة من الجند والعامة ، وكلمتهمُ بجميلٍ ، وولّى وزيره
الملامة ، فاستقبله قومٌ من الجناة من أسفل القصر برأسِ وزيره حكيم ،
قد هُشِمَ شجاجاً ، ينادونه : هذا رأسُ وزيرك الذي أبلتَ به الأمة ،
ويغلظون له القول وهو يستلطفهم ، وهم يَسبّونهُ ، فتوصلَ الناسُ
إلى حريمه فأباحوه ، ووضعوا أيديهم في نهب ما أصابوه من تشبیه ،
وقد كان اجتمع عنده [١٤١ ب] من الأسلابِ والغُصُوبِ التي استلبها
حكيم الحائك متاعاً فاخراً ورياشاً حسن ، من سائر من ظهر عليه من مالِ
المنكوبين ، وانطلقتِ الأيدي على آلاتِ القصرِ من السلاح وغيره ، ووجد

٢ ط د س والبيان : عظة .

١ ب م : التي أعدت لرفعها .

٤ ط د س : ووافى مع .

٣ ب م : فألقوها .

٦ ب م : الخابط .

٥ زاد في النسخ هنا : مع نسائه .

فيه أنواعٌ قيودٍ حديثةٌ كان حكمُ أحكمها لمن يقيّد بها من الأعيان ، والجاهلُ أميةَ العراقي في كلّ ذلك يحرّضُ العامةَ على النهب ، والارتقاء إلى البائسِ هشامٍ وطلبِ مهجته ، فلا يجدونَ مُطْلِعاً إليه لمنعةً مكانه ، وهشامٌ مُطْلِعٌ رأسه إلى مَنْ تحته بداخلِ المدينة ينشدهم ببيعته فلا يجيبه أحدٌ إلاّ بما يسوءه ، إلى أن تبينَ له خذلانهمُ إِيّاه ، فأنجحر في وكبره إلى أن نزلَ بأمان ، ولم يبقَ معه إلاّ أربعةٌ غلمان له ، أحدهم فحلُّ والثلاثةُ صَقَلَب ، يرقون مَنْ دنا منهم ، ويستعينون الناسَ لاستنقاذهم . وكان منظرأً عجيباً في سرعة استحالةِ حالِ الدنيا في نصفِ نهارٍ من العزِّ إلى الدلّة . واجتمع الوزراءُ إلى زعيمهم أبي الحزم بن جمهورٍ عظيمِ القريّةِ ، فهتف على الناس بكف الأيدي^١ ، وسمع هشامُ الهتفَ باسمِ الوزراء ، وقد ألغى^٢ اسمه ، فأيسسَ عند ذلك من نفسه ، وكعّ فلم يُطْلِعْ بعدُ وجهه ، ولا تكلم بلفظة ، ودفع الوزراءُ بابَ القصرِ النهائيّ والعامةَ ، فانتهوا ، وأمّيةُ العراقيّ في كلّ ذلك مقيمٌ بداخلِ القصرِ في جمهورِ النهايةِ ، قد تبوأ مجلسَ البائسِ هشامٍ ، واستوى على فراشه ، ورتبَ وجوهَ النهايةِ مراتبهمُ في الحفوفِ به ، والنفاذِ في أمورِ الإمارةِ ، لا يشكّ في حصولها له ، محرّضاً على هشامٍ ، مجتهداً في إتلافه . ثم اجتمع الوزراءُ^٣ واتفقوا على خلعِ هشامٍ^٤ ، وهتفوا بإبطالِ الخلافةِ جملةً لعدمِ الشاكلةِ ، ونفوا عن المروانيّةِ والناصريةِ السداد ، ورجعتُ قرطبةُ إلى تدبيرِ الوزراءِ ، وتركِ الدعاءِ

١ ط د س : بكف الأذى .

٢ ب م والبيان : ألغى .

٣ ط د س : المأ .

٤ ط د س : على خلعهم .

لأحد . ونزل هشام^١ إلى سابطِ الجامع المفضي إلى المقصورة في من تألّف إليه من ولده ونسائه ، فحصل في السابط طارحاً نفسه على الجماعة ، مستغيثاً بهم ، وينشدُهمُ الله في مُهْجَتِهِ ، فأعلِمَ بكره الناس له ، فقال : ليت أنِّي قرب البحر فترمون بي في بلته ، فتكون أخفى لشماتي^٢ ، وأروحَ لنفسي ، فافعلوا بي ما شئتم ، واحفظوني في ولدي وأهلي ، وبدا لهم من ضعفِ نفسه وغثائَةِ قَوْلِهِ وإلقائه بيده ما كان مكتوماً عن الناس . وبقي بقيةَ يومه وليلته من السابط أسيراً^٣ ذليلاً خائفاً ، ونسوتهُ حوله مولولاتُ شعثاتُ حاسرات لا يملكُ لنفسه ولا لهنَّ صرْفاً ولا نصراً ، شاخصَ البصر إلى حيث تهجمُ عليه المنية . ولقد حدثت^٤ بعضُ سدنةِ الجامع أن^٥ من أوّل ما سأل الشيوخ الداخلين إليه إحضارَ كيسرةٍ من خبزٍ يسدُّ بها [١٤٢ أ] جوع بنيّة^٦ له ، لا ولدَ سواها ، لطيفةِ المكان من نفسه ، قد احتضنها سائرأها بكمته من قرّ ليلته ، يقول إنها لبصباها تشكو من الجوع ذاهلةً عما أحاطَ بها فتزيدُ في همته . وسأل إلى ذلك سراجاً يأنس [هو ونساؤه] لضوته ، فأبكى من كَلَمته اعتباراً بعادية الدهر ، وأحضرَ ما طلبه . وباتَ الوزراءُ والناس بالجامع ليلتهم غبَّ الحادثة على هشام للفراغِ من شأنه ، فأجمعوا على تعجيلِ إخراجِه إلى صخرة محمود بن الشرف^٧ ، والثقة بحفظه ، فاقتصروا على ذلك ، دون

١ ط د س : فيكون أشفى لثاني ؛ البيان ؛ فيكون أخف لثاني .

٢ ط د س : وبقي بمكانه من السابط بقية . . . أسيراً .

٣ ط د س والبيان ؛ وحدث .

٤ ط د س : صببية ؛ البيان ؛ طفيلة ؛ أعمال الاعلام ؛ طفلة صغيرة .

٥ ط د : حصن محمود بن الشرب ؛ س ؛ حصن ابن الشرب .

أن يأخذوا حَظَّهُ بالخلع وَيُشهِدُوا^١ عليه بمعجزه عن تدبير الخلافة وتحلية الأمة مما له في أعناقهم من البيعة على السبيل المعهودة ، وأنساهم الله ذلك إما تهاوناً أو نسياناً ، فنفلد إلى حصن ابن الشرف وحبس فيه ، وأميه بن العراقي في كل ذلك لم يبرح من القصر ، قد سوَّكت له نفسهُ الخلافة ، واستدعى وجوهَ الجند للبيعة ، وفرغ له الوزراءُ بعدَ نفوذ هشام ، فوبَّخوا الجند على الدخول إلى أمية^٢ وحذروهم فتنته ، وألزموا وجوههم لإعاجه عن القصر والقبض عليه ، فأطلق^٣ لسانه على الوزراء بالسب ، فأخرج عن البلد .

[فصل في ذكر] الأديب أبي عامر البماري

نسب إلى بادية^٦ بمار ، شيخ ذلك الثغر أدباً وظرفاً - كان - في ذلك الزمان ، وكانت له رحلة إلى المشرق ، وسكن مصر ، وقرأ على أبي جعفر الديباجي كتابته في العروض والقوافي وسائر كتبه ، ولقي شيخ القيروان في العربية ، ابن القزاز ، وأبا إسحاق إبراهيم بن علي بن تميم الحصري . وأخبر عن نفسه أنه كان يؤدب بمصر بالقرآن ، وبين يديه تلميذ وسيم ، فمر به أبو جعفر البجائي الأندلسي ، فألفاه يتناوم ، والتلميذ قد قام عنه ، فأخذ البجائي سحابةً وكتب له فيها هذه الأبيات ، وخلاها بين يديه^٧ :

- ١ ط د س : ولا شهد .
 ٢ ط د : فوبَّخوا على الاجتماع إليه .
 ٣ ط د س : فانطلق .
 ٤ ط د س : أبي عمر .
 ٥ انظر نفع الطيب ٢ : ١١٠ وفيه : التباري ؛ والبماري كتبت بفتح على الباء في ب ، وبضمة في س .
 ٦ ب م : منسوب إلى باديته .
 ٧ وردت في النفع .

يا نائماً متعمداً إِبصارَ طيفِ حبيبهِ
هو جوهرٌ فائقه لِ إنَّ الطيبَ في مثقوبه
أو ركبتني ظهرةٌ إن لم تقلُّ بركوبه

فلما قرأها البماري علم أنها للبيجاني ، فكتب تحتها :

يا طالباً أضحى حجا بٌ دونَ ما مطلوبه
لو لم يكن في ذلك إذ مٌ لم أكن أسخوبه [١٤٢ ب]
إني أغارُ عليه من أثوابه^١ ورقيبه

قال : وأنشد يوماً في حلقة قول ابن الرومي^٢ :

ما أنسَ لا أنسَ خبازاً مررتُ به يدحو الرقاقَ كوشكِ اللحمِ بالبصرِ
ما بين رؤيتها في كفته كرةٌ وبين رؤيتها قوراء^٣ كالقمر
إلا بمقدارٍ ما تنداحُ دائرةٌ في صفحةِ الماءِ يُرمى فيه بالحجر

فقال بعضُ تلامذته : ما أظنُّ أنه يُقدَّر على الزيادة ، فقال البماري :

فكدتُ أضرطُ إعجاباً لرؤيتها ومن رأى مثلَ ما أبصرتُ منه خري

فضحك من حضر وقال : البيت لائقٌ بالقطعة لولا ما فيه من ذكر

الرجيع ، فقال :

إن كان بيتي هذا ليس يعجبكم فعبثوا مَحْوَةً أو فالعقوه طري

وأنا مقلٌّ من أخبارِ هذا الرجل ، وما وجدتُ له أكثر مما أثبتُّ وقتَ

الفراغِ من تحريرِ هذه النسخة .

١ د ط س : أثوابه . ٢ انظر ديوان المعاني ١ : ٢٩٢ ونفح الطيب .

٣ ب م : قوراء .

فهرس المحتويات

٥	مقدمة المحقق
٩	ذكر الجانب الشرقي من جزيرة الأندلس
١٣	جملة أخبار ونوادر ممن ثار بهذا القطر يومئذ من فتیان ابن أبي عامر
١٤	[مبارك ومظفر]
٢٢	[مجاهد صاحب دانية والجزائر]
	فصل في ذكر ذي الوزارتين الأجل الكاتب الماهر صاحب المظالم
٢٤	أبي عبد الرحمن بن طاهر
٢٨	نوادر رسائل ابن طاهر في أوصاف شتى
٢٨	فصول من رسائله السلطانيات
٤٠	طرف من أخبار الوزير الأجل أبي بكر بن عبد العزيز
٤٤	بقية رسائل ابن طاهر السلطانيات
٥١	ومن رسائل ابن طاهر الإخوانيات
٥٨	جملة من رسائله في الشفاعات والوسائل
٦٥	من رسائله في الدعابة والهزل
٧٥	من رسائله في التعازي وما يجانسها
٨٥	فصول من كلامه في وصف ثغور البلاد
٩٢	ذكر الخبر عن تغلب العدو على بنسية وعودة المسلمين إليها
١٠٣	فصل في ذكر ذي الوزارتين أبي عامر بن الفرج
١٠٤	فصل في ذكر ذي الوزارتين القائد أبي عيسى بن لبون
١٠٩	فصل في ذكر ذي الرياستين أبي مروان عبد الملك بن رزين

- ١١٣ [جملة من رسائله]
 ١١٤ [جملة من شعره]
 ١١٧ من شعر ذي الرياستين في النسيب وما يناسبه
 فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي محمد عبد الله ابن الفقيه أبي عمر بن
 ١٢٥ عبد البر النمري
 ١٢٧ جملة من رسائله السلطانيات
 ١٣٢ [أخبار ونوادير عن ابن الجصاص]
 ١٣٤ رجع [إلى ابن عبد البر ورسائله]
 ١٤٣ لإيجاز الخبر [عن قتل المعتضد لابنه اسماعيل]
 فصول من رقاع [لكتاب الأندلس يحاكون بها رسالة ابن
 ١٥٤ عبد البر في تلك الحادثة]
 ١٦٥ بقية رسائله السلطانيات
 ١٧٣ من رسائله في ذكر الجهاد واستنفار كواف البلاد
 ١٧٩ لإيجاز الحادثة بخبر بربرشتر
 ١٩١ من رسائله الإخوانيات
 ٢٠٨ فصول من كلامه في رسائل الشفاعات والوسائل
 ٢١٣ من كلامه في ذكر التهنئة وإقامة رسم الهدية
 ٢١٨ من رسائله في التعازي
 ٢٢٦ فصل في ذكر الوزير الكاتب الماهر أبي عامر بن التاكرني
 ٢٢٧ فصول من رسائله السلطانيات
 وإيجاز القول عن إمارة عبد العزيز بن أبي عامر وابنه ببلنسية
 ٢٤٩ وأعمالها
 فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي المطرف عبد الرحمن بن فاخر
 ٢٥١ المعروف بابن الدباغ

- ٢٥٤ جملة من رسائله في أوصاف شتى (فصول في ذم الزمان وبنيه)
- ٢٧٨ من رسائله الإخوانيات
- ٣٠٦ من كلامه في العتاب وما يجانسه
- ٣٠٩ وله فصول من رسائل في العناية والوسائل
- ٣١٤ من رسائله في التعازي
- ٣١٧ فصل في ذكر الأديب أبي الربيع سليمان بن مهران السرقسطي
- ٣١٩ [في ذكر محمد بن الكتاني المتطبب]
- ٣٢٢ فصل في ذكر الأديب الأستاذ النحوي أبي عبد الله بن خلیصة الضریر
- ٣٢٢ فصول من كلامه في أوصاف شتى
- ٣٢٦ جملة من شعره في أوصاف شتى
- ٣٣١ فصل في ذكر الأديب أبي مروان بن غصن الحجاري
- ٣٣٦ فصل في ذكر الأديب ادريس بن اليماني العبدري الياسي
- ٣٣٧ جملة من شعره في أوصاف شتى (في النسب)
- ٣٤١ (من شعره في المديح)
- ٣٤٥ [تباري الشعراء في وصف الحمامة]
- ٣٥٢ رجع إلى ادريس بن اليماني
- ٣٦٠ فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي الاصمغ بن أرقم
- ٣٦١ فصول من رسائله السلطانيات
- ٣٨٩ فصول من خطبة ابن سيده مما نقد ابن أرقم عليه
- ٣٩٣ جملة له من الإنشاءات السلطانيات
- ٤٠٣ ابنه أبو عامر [ابن أرقم]
- ٤٠٩ فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي المطرف بن مثنى
- ٤١٨ فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي عمرو بن القلاس

- ٤١٩ جملة من رسائله في أوصاف شتى
الخبر ببادرة أحمد بن سليمان بن هود فيما كان رامة من
- ٤٢٣ الفتك بأخيه
- ٤٢٤ [عود إلى رسائل ابن القلاس]
- ٤٢٧ فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي عبد الله محمد بن مسلم
- ٤٢٧ فصول له خاطب بها أغلب أصحاب ميورقة
- ٤٤٨ فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي جعفر بن جرج
- ٤٤٩ جملة من ثمره
- ٤٥٢ [من شعره]
- ٤٥٧ فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي الفضل بن حسداي الإسلامي
- ٤٥٩ جملة من ترسيله
- ٤٨٦ ومن شعر أبي الفضل
- ٤٩٠ [أبيات للشعراء في وصف قوس قزح]
- ٤٩٢ [رجع إلى شعر ابن حسداي]
- ٤٩٤ [لمعة] بيسير من أخبار أبي الطيب
- ٤٩٨ [نادرة للمؤلف مع ابن عبدون]
- ٤٩٩ فصل في ذكر الأديب الكاتب أبي الربيع سليمان بن أحمد القضاعي
- ٤٩٩ [جملة من ترسله]
- ٥٠٨ قطعة من شعره
- ٥٠٨ [أشعار مختارة في التشبيه بالنجوم]
- ٥١٤ رجع [إلى ذكر أبي الربيع]
- ٥١٥ جملة من أخبار هشام المعتد
- ٥٢٢ ذكر الخبر عن مقتل الوزير الحائك وخلع هشام
- ٥٢٩ فصل في ذكر الأديب أبي عامر البماري

تم طبع هذا الجزء على مطابع

دار الثقافة

ص.ب ٥٤٣

بيروت - لبنان

الذخيرة في محاسن أهل بحر زره

تأليف

أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (- ٥٤٢)

تحقيق

الدكتور إسماعيل عباس

القسم الثالث
المجلد الثاني

دار الثقافة

بيروت - لبنان

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة

٣

م ١٩٩٧ - ١٤١٧

في ذكر الأديب أبي إسحاق إبراهيم بن خفاجة^١

الناظمُ المطبوعُ ، الذي شهد^٢ بتقديمه الجميع ، المتصرفُ بين حكمه وتحكمه البديع . « تَصَرَّفَ في فنونِ الابداعِ كيف شاء ، وأتْبَعَ دَلَوَه الرِّشَاءَ ، فشعشَعَ القولَ وروَّقَه ، ومدَّ في مِيدَانِ الاعجازِ طَلَقَه ، فجاء نظامُه أرقَّ من النَّفْسِ العليلِ ، وآنقَ من الروضِ البليلِ ، يكادُ يمتزجُ بالروحِ ، وترتاحُ إليه النفسُ كالغُصْنِ المروحِ ، إن شئتَ فَغَمَزَاتِ الجفونِ الوُطفِ ، أو إشارةُ الأناملِ التي تُعقِّدُ من اللطفِ ، وإن وصفَ سُرَاهُ واللَّيْلُ بِهِمٌ ما له وُضُوحٌ ، وخَدُّ الثرى بالتدَى منضوحٌ ، فناهيكَ من غرضٍ انفرادٍ بمضماره ، ونجردٍ لحمي ذماره ، وإن مدح فلا الأعشى للمحلِّقِ ، ولا حسَّانُ لأهلِ جِلَّتِ ، وإن تصرَّفَ في فنونِ الأوصافِ ، فهو فيها كفارسٍ خصافٍ^٣ ؛ وكان في شبيبته مخلوعَ الرَّسَنِ في ميدانِ مجونه ، كثيرَ الوَسَنِ ما بين صفا الانتهاكِ وَحَجْجُونِهِ ، لا يبالي بمن

١ توفي سنة ٥٣٣ ؛ راجع في ترجمته فلائد العقبيان : ٢٣١ والمطمح : ٨٦ وبنية الملتمس : ٢٠٢ والمطرب : ١٠٩ والتكملة ومعجم أصحاب الصديقي : ٥٩ والمغرب ٢ : ٣٦٨ وابن خلكان ١ : ٥٦ والخريدة ٢ : ١٤٧ ، ٣ : ٥٤٨ (ط . تونس) والمسالك ١١ : ٢٥٥ وصفحات متفرقة من نفع الطيب ؛ وقد أثبت محقق ديوانه مصادر ترجمته (الديوان : ٣٧) ؛ وقد راجعت جميع ما أورده ابن بسام من قصائد ومقطعات على هذا الديوان ، ولكنني لم أثبت الصفحات لكثرة ما اختاره المؤلف من شعره .

٢ ط د س : يشهد .

٣ م ب : كمارض اخصاف ؛ وخصاف فرس مالك بن عمرو الفسائي ، فارس يوم حلجة ؛ وقيل غيره .

التبس ، ولا بأيّ نارٍ اقتبس ، إلاّ أنه قد نسكّ اليومَ نسكّ ابنِ أذينة^١ ،
وأغضى عن لإرسالِ نظره في أعقابِ الهوى عَيْنَه ؛ وقد أثبتُ له ما
يقفُ عليه اللواءُ ، وتُصرفُ إليه الأهواءُ^٢ .

نشأ ببلادِ الجانبِ الشرقيّ من الأندلس ، فلم يُذكرَ معهُ هناك
مُحسِنٌ ، ولا لغيره [١٤٣ أ] فيه وقتٌ حسن ، ولا أعرّفه^٣ تعرّضَ
للكوكِ الطوائفِ بوقتنا ، على أنه نشأ في أيامهم ، ونظرَ إلى تهافتهم في
الأدبِ وازدحامِهِمْ ، وهو اليومَ بمطلعهِ من ذلك الأفق ، يبلغني من
شعرهِ ما يُبطلُ السحرَ ، ويعطلُ الزهرَ ، وقد أثبتُ بعضَ ما وقع
إليّ من كلامه ، فتصفحه تعلمُ أنه بحرُ النظام ، وبقيّةُ الأعلام .

فصول من نثره في أوصافِ شتى

١ - فصل في استدعاء مغنّ :

إنّ لِطَرَبٍ ° - أعزّكَ اللهُ - جِسْمًا وَنَفْسًا ، يُسَمِّيَانِ سَمَاعًا
وَكَأْسًا . وقد حَصَرَ تَنَاخِمَرَةً ، كَأَنَّهَا جَمْرَةٌ ، قد تَنَاسَبَتْ سُورَتُهُمَا ،
كما تَضَارَعَتَ فِي الْخَطِّ صُورَتُهُمَا^٤ :

١ يريد عروة بن أذينة أحد نساك المدينة في القرن الأول .

٢ ما بين أقواس متفق مع القلائد ، ولم يرد في ط د س .

٣ ط د س : أعلمه .

٤ يختلف ترتيب هذه الرسائل في د ط س عما هي عليه في ب م ، فقد جاء في النسخ الثلاث

على النحو الآتي : ٢٠١ (٣) ٩ ، ٦ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٠ ، ١٢ ، ٢٤ ، ١١ ، ٥ ،

٤٠ ، ٧ ، ٨ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، وقد رقمتهما لضبط هذا

الاختلاف .

٥ د : للظرف . ٦ د ط ب : سورتها . . . صورتها .

لو ترى الشرب حوّلها^١ من بعيدٍ قُلْتَ قَوْمٌ مِن قِرَّةٍ يَصْطَلُونَا
 فإن رأيتَ أن تُؤنِسَ ، وتُطرزَ^٢ المَجْلِسَ ، فَتُجْرِي في ذلك
 الجِسْمِ الكَرِيمِ رُوحَهُ ، وتُحْضِرُهُ مِنْكَ مَسِيحَهُ ، وَصَلْتَ وَأَجْمَلْتَ .
 ٢ - فصل في ذكر ممتنّه :

ولمّا أكبَّ العَمَامُ إكْبَاباً ، لم أجدُ معه إغْبَاباً ، وَاتَّصَلَ المَطَرُ
 اتِّصَالاً ، لم أَلْفَ^٣ معه انفصَالاً ، أذن الله تعالى للصَّحو أن يُطْلَعَ
 صَفْحَتَهُ ، وَيَنْشُرَ صَحِيفَتَهُ ، فَفَشَعَتِ الرِّيحُ السَّحَابَ ، كما طوى
 السَّجِيلُ الكِتَابَ ، وَطَفِقَتِ السَّمَاءُ تُخَلِّعُ جَلْبَابَهَا ، وَالشَّمْسُ تُحْطُ
 نِقَابَهَا . وَتَطَلَّعَتِ الدُّنْيَا تَبْتَهِيحُ كَأَنَّهَا عُرُوسٌ تَجَلَّتْ ، وَقَدْ تَحَلَّتْ ،
 ذَهَبَتْ فِي لُئِمَّةٍ مِنَ الإِخْوَانِ ، نَسْتَبِيقُ إِلَى الرَّاحَةِ رِكْضاً ، وَنَطْوِي
 لِلتَّفَرُّجِ أَرْضاً وَنَنْشُرُ أَرْضاً ، فَلَا نُدْفَعُ إِلَّا إِلَى غَدِيرِ نَمِيرٍ ، قَدْ
 اسْتَدَارَ مِنْهُ فِي كُلِّ قَرَارَةٍ سَمَاءٌ ، سَحَابِيهِ عَمَاءٌ ، وَانْسَابُ
 فِي كُلِّ تَلْعَةٍ حُبَابٌ ، جَلَدَتْهُ حَبَابٌ ، فَتَرَدَّدْنَا بِتِلْكَ الأَبَاطِيحِ ،
 نَتَهَادِي تَهَادِيَّ أَغْصَانِيهَا ، وَنَتَضَاحِكُ تَضَاحِكُ أَفْحُونِيهَا ، وَللنَّسِيمِ
 أَثْنَاءَ ذَلِكَ المَنْظَرِ الوَسِيمِ ، تَرَأْسُلُ مَشِي ، عَلَي بِسَاطِ وَشِي ،
 فَإِذَا مَرَّ بِغَدِيرٍ نَسَجَهُ دِرْعاً ، وَأَحْكَمَهُ صُنْعاً ، وَإِنْ عَثَرَ بِجَدْوَلٍ

١ ط د و المسالك : حولنا .

٢ د : وتطرب .

٣ د ط س : لم نجد . . . لم نلف .

٤ د ط : لمة اخواني ؛ س : لبة اخواني .

٥ العماء : السحاب المرتفع .

٦ ط س : حبا .

شَطَبَ مِنْهُ نَصْلًا ، وَأَخْلَصَهُ صَقْلًا ، فَلَا تَرَى إِلَّا بِيْطَاحًا ، مَمْلُوءَةً
سِلَاحًا ، كَأَنَّمَا انْهَزَمَتْ ١ هُنَالِكَ كِتَابِي ، فَأَلْقَيْتُ بِمَا لَيْسَتْهُ مِنْ
دِرْعٍ مِصْقُولٍ ، وَسَيْفٍ مَسْلُولٍ .

٣ - وفي فصل منها ٢ :

فَاخْتَلَلْنَا قُبَةَ ٣ خِضْرَاءَ ، مَمْدُودَةَ أَشْطَانِ الْأَغْصَانِ ، سُنْدُوسِيَّةَ
رِوَاقِ الْأَوْرَاقِ . وَمَا زِلْنَا نَلْتَحِفُ [مِنْهَا] بِبَرْدِ ظِلِّ ظَلِيلٍ ، وَتَشْتَمِلُ
عَلَيْهِ بَرْدَاءَ نَسِيمِ عَلِيلٍ ، وَتُجِيلُ النَّظَرَ فِي نَهْرِ [فَسِيحِ] ، صَافِي
لُجَيْنِ الْمَاءِ ، كَأَنَّهُ مَجْرَةُ السَّمَاءِ ، مُؤْتَلِقِ جَوْهَرِ الْحَبَابِ ، كَأَنَّهُ
مِنْ نُغُورِ الْأَحْبَابِ ، وَقَدْ حَضَرْنَا مُسْمِعٍ يَجْرِي مَعَ النَّفُوسِ لَطَافَةً ،
فَهُوَ يَعْلَمُ غَرَضَهَا وَهَوَاهَا ، وَيُغْنِيهَا مُقْتَرِحَهَا وَمُنَاهَا ، فَصِيحُ
لِسَانِ النَّقْرِ ، يَشْفِي مِنَ الْوَقْرِ ، كَأَنَّهُ كَاتِبٌ حَاسِبٌ [١٤٣ ب]
تَمَشَّقُ يُمْنَاهُ ، وَتَعْقِدُ يُسْرَاهُ :

يُحَرِّكُ حِينَ يَشْدُو سَاكِنَاتٍ وَيَبْتَعِثُ ٤ الطَّبَائِعَ لِلسُّكُونِ

٤ - فصل في إهداء تفاعلة :

مِثْلُكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - مَمَّنْ كَرُمْتَ سَجِيَّتَهُ فَرَقَّتْ ، وَحَسَنْتِ
جُمْلَتَهُ فَرَاقَتْ ، فَكَانَتْ كَلِيَّةً ٥ الظَّرْفِ مِنْهُ شُعْبَةً ، وَجُمْلَةً

١ م : أنهرت ؛ س : اهتزمت .

٢ بهذا العنوان تكون هذه الرسالة جزءاً من السابقة ، ولكن عنوانها في ط د س : فصل في مثله

٣ ط د س : فيه .

٤ ب م : وتنبعث .

٥ ط د س : كليلة .

الذكاءِ شُعْلَةٌ ، عَلِمَ أَنَّ خَيْرَ الْهَدَايَا ، مَا جَرَى مَجْرَى التَّحَايَا ، وَأَنَّ
أَفْضَلَ سَفِيرِ سَفَرٍ بَيْنَ صَدِيقَيْنِ ، وَتَرَدَّدَ بَيْنَ عَشِيقَيْنِ ، سَفِيرٌ أُشْبِهَهُ
الْمُحِبُّ خِفَّةَ رُوحٍ ، وَالْمَحْبُوبَ عَبَقَ رِيحٍ . وَلَمَّا طَالَ ، يَا سَيِّدِي ،
الْعَهْدُ ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُجَدِّدَهُ ، وَذَهَبْتُ أَنْ أُوَكِّدَهُ ، وَتَوَقَّيْتُ مِنْ
رَقِيبٍ يَرْعَى فَيَسْعَى ، وَيُشِي فِيُنْشِي ، لَمْ أَرَ أَنْ أُجْعَلَ رَسُولِي ،
وَأُجْشَمَ فِي اقْتِضَاءِ سُؤْلِي ، مِثْلَ حَمْرَاءِ عَاطِرَةٍ ، كَأَنَّهَا دَمْعَةٌ صَبَّ
قَاطِرَةٌ ، أَوْ جَمْرَةٌ تُصْطَلَى وَاقِدَةٌ ، أَوْ خَمْرَةٌ تُجْتَلَى جَامِدَةٌ ،
مُشْتَقٌّ مِنَ الْأَرْجِ اسْمُهَا ، حَمِيدٌ فِي السَّفَارَةِ بَيْنَ مُحِبِّينَ رَسْمُهَا ،
لَمْ أَرَ مِثْلَهَا ذَهَبًا يَنْفَحُ ، وَلَهَبًا لَا يَنْفَحُ ، قَدَّ أَوْدَعَ حَشَاهَا الصَّبْحُ
فَلَقَّهَ ، وَخَنَاعَ عَلَيْهَا اللَّيْلُ شَفَقَهَ ، فَهِيَ تَقْدُّ كَأَنَّهَا نَشَأَتْ فِي
تُرْبَةٍ مِنْ نَارِ ضُلُوعِي ، أَوْ سُقِّيَتْ بِجَدْوَلٍ مِنْ حُمْرِ دُمُوعِي . وَلَمَّا
وَجَدْتُهَا فِي الْحُسْنِ حَيْثُ الْعِيُونُ تَرْمُقُهَا فَتَمِيقُهَا ، وَالنُّفُوسُ
تَنْشَقُّهَا فَتَعَشِّقُهَا ، بَعَثْتُ بِهَا بَيْنَ تَحِيَّةٍ لَكَ ، وَرَسُولٍ إِلَيْكَ ،
مُعْتَقِدًا أَنَّهَا سَتَقْبَلُ عِنْدَمَا تُقْبَلُ ، وَتُقَدِّمُ لِي حِينَ تَتَصَدَّقُ ، فَوَدِدْتُ
أَنْ أَكُونَهَا ، وَأَحْظَى بِتِلْكَ الْحَالِ دُونَهَا .

٥ - وَكُتِبَ يَسْتَهْدِي ٢ مَاءٌ وَرَدَ :

إِنَّ لِلْمَكَارِمِ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - شَرِيعَةً قَضَتْ أَنْ يَكُونَ الْبِرُّ عَلَيْكَ
فَرَضًا ، وَالشُّكْرُ عَلَيَّ قَرْضًا ، وَإِنِّي وَجَّهْتُ رُفْعَتِي هَذِهِ خَاطِبَةً
إِلَى صَفْوِ وُدِّكَ ، كَرِيمَةً مِنْ [بَنَاتِ] مَاءِ وَرْدِكَ . وَقَدْ سَقَّتُ

١ ط د س : وَلَا لَهَا .

٢ ط د س : فَصَلْ فِي اسْتِهْدَاءِ .

إليها الشكر مَهْرًا ، وأنفَذتُ الإِنَاءَ لِلزَّفَافِ حِيدْرًا . وَالطَّوْلُ لَكَ
فِي قَبُولِ نَقْدِ الثَّنَاءِ ، وَتَعْجِيلِ الْجَلَاءِ وَالْهُدَاءِ ، مُوَفَّقًا ، إِنْ
شَاءَ اللَّهُ .

٦ - فصل من أخرى :

إِنَّ التَّبِيدَ بَسَاطَ ، مَوْضُوعَهُ الرَّاحَةَ وَالْإِنْبَسَاطَ ، وَقَلَّمَا يَطْيِبُ
رِضَاعُ الْكَاسِ إِلَّا مَعَ الصَّدِيقِ الشَّفِيقِ ، الْمُشْتَبِهِ ١ بِالْأَخِ الشَّقِيقِ ،
فَهُوَ رِضَاعٌ ثَانٍ تُرْعَى حُرْمَتُهُ ، وَتُحْفَظُ ذِمَّتُهُ . وَهَذَا يَوْمٌ ضُرِبَتْ ٢
فِيهِ أَرْوَاقَةُ الْأَنْوَاءِ ، وَأَعْرَسَتْ ٣ الْأَرْضُ فِيهِ بِالسَّمَاءِ ؛ فَالْغُصْنُ
يَتَلَوَّى وَيَتَشَنَّى ، وَالْحَمَامَةُ تُرْجَعُ وَتَتَمَنَّي ، وَالْمَاءُ يُرْفُصُ مِنْ
طَرَبٍ وَيُصَفَّقُ ، وَالزَّهْرُ يَشُقُّ جَيْبَ كِمَامِهِ وَيُمَزَّقُ . فَإِنْ رَأَيْتَ
أَنْ تَكُونَ فِي مَنْ شَهِدَ هَذَا الْإِمْلَاكَ ، وَتَحْضُرَ فِي مَنْ حَضَرَ
هَنَّاكَ ، أَجَبْتَ مَنَعًا .

٧ - وَكَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ [بَعْضِ] إِخْوَانِهِ مَقَاطَعَةٌ ، فَاتَّفَقَ أَنْ وَلِيَ ذَلِكَ
الصَّدِيقَ حَصْنًا ، فَخَاطَبَهُ أَبُو إِسْحَاقَ بِرُقْعَةٍ مِنْهَا :

أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءَ سَيِّدِي [١٤٤ أ] ، النَّبِيَّهِةِ أَوْصَافُهُ النَّزِيهِةِ
عَنِ الْإِسْتِثْنَاءِ ، الْمَرْفُوعَةِ قِيَادَتُهُ الْكَرِيمَةِ بِالْإِبْتِدَاءِ ، مَا انْحَدَقَتْ
يَاءُ « يَرْمِي » لِلجَزْمِ ، وَاعْتَلَّتْ وَأَوْ « يَغْزُو » لِمَوْضِعِ الضَّمِّ ؛ كَتَبْتُ

١ ب م : المشبه .

٢ ط د س : يومنا قد ضربت .

٣ ب م : واعترضت .

٤ الديوان : امارته .

عَنْ وَدِّ قَدُمَ هُوَ الْحَالُ لَمْ يَلْحَقْهَا انْتِقَالٌ ، وَعَهْدٌ كَرُمَ هُوَ الْفِعْلُ
لَمْ يَدْخُلْهُ اِعْتِلَالٌ . وَاللَّهُ يَجْعَلُ هَاتِيكَ مِنْ الْأَحْوَالِ الثَّابِتَةِ
الَّتَالِزِمَةِ ، وَيَعْصِمُ هَذَا بَعْدُ مِنْ الْحُرُوفِ الْجَازِمَةِ ؛ وَأَنَا أَسْتَنْهِيضُ
طَوْلَكَ ، إِلَى تَجْدِيدِ عَهْدِكَ بِمُطَالَعَةِ أَلْفِ الْوَصْلِ ، وَتَعْدِيَةِ فِعْلِ
الْفَصْلِ ، وَإِلَى عُدُولِكَ عَنْ بَابِ أَلْفِ الْقَطْعِ ، إِلَى بَابِ [أَلْف]
الْوَصْلِ وَالْجَمْعِ ١ ، حَتَّى تَسْقُطَ لِدَرَجِ الْكَلَامِ بَيْنَنَا هَاءُ السَّكْتِ ،
وَيَدْخُلُ ٢ الْاِنْتِقَالَ حَالُ الصَّمْتِ . فَلَا تَتَخَيَّلُ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - أَنْ
رَسَمَ إِخَائِكَ عِنْدِي ذُو حَسِيٍّ قَدْ دَرَسَ عَفَاءً ، وَلَا أَنْ صَدْرِي دَارُ
مِيَّةٍ أَمْسَى مِنْ وَدِّكَ خَلَاءً ، وَإِنَّمَا أَنَا فِعْلٌ إِذَا تُنِّي ظَهَرَ مِنْ ضَمِيرِ
وُدِّهِ مَا بَطَّنَ ، وَبَدَأَ مِنْهُ مَا [كَانَ] كَمَنْ . وَهَسْنِيئًا - أَعَزَّكَ اللَّهُ - أَنْ
فِعْلٌ وَزَارَتِكَ حَاضِرٌ لَا يَلْحَقُ رَفْعَهُ تَغْيِيرٌ ، وَأَنْ فِعْلٌ سَيْفِكَ
مَاضٍ مَا بِهِ لِلْعَوَامِلِ تَأْثِيرٌ ؛ وَأَنْتَ بِمَجْدِكَ ٣ جَمَاعُ أَبْوَابِ الظَّرْفِ ،
تَأْخُذُ نَفْسَكَ الْعَلِيَّةَ بِمُطَالَعَةِ بَابِ الصَّرْفِ ، وَدَرَسَ حُرُوفِ
الْعَطْفِ ، وَتَدْخُلُ لَامَ التَّبَرُّثِ عَلَى مَا حَدَّثَ مِنْ عَتَبِكَ ، وَتُوجِبُ
بَعْدَ النَّفْيِ مَا سَلَفَ مِنْ عَتَابِكَ ٤ ، وَتَدْعُ أَلْفَ الْأَلْفَةِ أَنْ تَكُونَ
بَعْدُ مِنْ حُرُوفِ اللَّيْنِ ، وَتَرْفَعُ لِلْإِضَافَةِ ٥ بَيْنَنَا وَجُودَ التَّنْوِينِ ،
وَتَسُومُ سَاكِنَ الْوُدِّ أَنْ يَتَحَرَّكَ ، وَمُعْتَلَّ الْإِخَاءِ أَنْ يَصِيحَّ .

وكتابي [هذا] حَرْفُ صِلَةٍ فَلَا تَحْدِفْهُ [وَلَا تَدُلَّ فِي اسْمِ الْجَوَابِ

١ د ط س : أَلْفِ الْجَمْعِ .

٢ ب م : وَلَا يَدْخُلُ .

٣ بِمَجْدِكَ : سَقَطَتْ مِنْ ط د .

٤ م : عَتَابِكَ ، وَمَوْضِعُهَا بِيَاضٍ فِي ط .

٥ الدِّيْوَانُ : بِالْإِضَافَةِ .

عَلَى سَرْوِكَ فَاصْرِفْهُ ، فِيهِ الْأَنْسُ وَالْأَنْسُ ثُلَاثِيٌّ فَلَا تُرَخِّمَهُ ، وَفَعْلٌ
 مَاضٍ فَلَا تَجْزِمُهُ [حَتَّى تَعُودَ الْحَالُ الْأُولَى صِفَةً ، وَتَصِيرَ هَذِهِ
 التَّكْرَرُ مَعْرِفَةً ، فَأَنْتَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - مَصْدَرُ فِعْلِ السَّرْوِ وَالنَّبْلِ ،
 وَمِنْكَ اشْتِقَاقٌ [اسْمٌ] السُّودَدِ وَالْفَضْلِ . وَإِنَّكَ ، وَإِنْ تَأَخَّرَ الْعَصْرُ
 بِكَ ، كَالْفَاعِلِ وَقَعَ مُؤَخَّرًا ، وَعَدُوُّكَ ، وَإِنْ تَكَبَّرَ ، كَالكُمَيْتِ
 لَمْ يَتَّقِ إِلَّا مُصَعَّرًا . وَاللَّيَامِ عِلَلٌ تَبْسُطُ وَتَقْبِضُ ، وَعَوَامِلٌ
 تَرْفَعُ وَتَخْفِضُ ، فَلَا دَخَلَ عَرُوضُكَ قَبْضٌ ، وَلَا عَاقِبَ رَفْعُكَ
 خَفْضٌ ؛ وَلَا زِلْتَ مُرْتَبِطًا بِالْفَضْلِ شَرْطُكَ وَجَزَاؤُكَ ، جَارِيًا
 عَلَى الرَّفْعِ سَرْوُكَ الْكَرِيمُ وَسَنَاؤُكَ ، حَتَّى يُخَفِّضَ الْفِعْلُ ، وَتُسَبِّحُ
 عَلَى الْكَسْرِ قَبْلُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

٨ - وفي فصل من أخرى :

وَلَوْ أَنِّي شِئْتُ^٢ اسْتِدْرَارَ أَخْلَافِ الْعَيْشِ ، وَقَرَعْتُ أَبْوَابَ
 الرِّزْقِ ، لَكَدَدْتُ وَجَدَدْتُ ، وَحَثَّيْتُ الرِّكْضَ وَجَهَّدْتُ ، وَجَبَّيْتُ
 السَّبَاسِبَ أُرْدِيَةً ، وَخَضَّيْتُ النُّوَائِبَ أُوْدِيَةً ، وَرَعْتُ الْكَوَاكِبَ
 أُنْدِيَةً ، حَتَّى أُحْيِيَهُمْ حَيْثُ السَّمَاءُ دَارٌ ، وَالسَّمَاءُ جَارٌ [وَأَرْفُلُ
 حَيْثُ الْعِزَّةُ حِلَّةٌ ، وَالذُّرُوءُ حَلِيَّةٌ . وَلَكِنْ بَيْنَ جَنْبَيْ قَلْبِي
 هِمَّتُهُ مَا هِمَّتُهُ] فَهُوَ يَرَى الصَّبْرَ أَيْمَنَ رَفِيقٍ يَصْحَبُهُ ، وَالْقِنَاعَةَ
 أَكْرَمَ ذَيْلٍ يَسْحَبُهُ . وَعَلَامَ يَبْتَدِلُ الْوَجْهَ مَصُونٍ مَائِهِ ، وَيُلْقِي
 عَنْهُ قِنَاعَ حَيَاتِهِ ، وَإِنَّمَا [١٤٤ ب] الدُّنْيَا - وَبِئْسَ الطَّمَعُ - :

سَحَابَةٌ صَيَّفٌ عَنِ قَرِيبٍ تَنْقَشَعُ

١ ط د س : لبيت .

٩ - وكتب يستدعي^١ عود غيناء :

انْتَهَظَمَ مِنْ إِخْوَانِكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - عِقْدُ شَرْبٍ يَتَسَاقُونَ فِي
وُدِّكَ ، وَيَتَعَاطُونَ رِيحَانَةَ شُكْرِكَ وَحَمْدِكَ . وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا شَرُّهُ
الْمَسَامِيعِ إِلَى رَنَّةِ حَمَامَةٍ نَادٍ . لَا حَمَامَةَ بطنِ وادٍ . وَالطَّوْلُ لَكَ
فِي صَلَاتِنَا بِجَمَادٍ نَاطِقٍ ، قَدْ اسْتَعَارَ مِنْ بَنَانِ لِسَانًا ، وَصَارَ لَضَمِيرِ
صَاحِبِهِ^٢ تَرْجُمَانًا ، وَهُوَ عَلَى الْإِسَاءَةِ وَالْإِحْسَانِ لَا يَنْفَكُ مِنْ إِيقَاعِ
بِهِ ، فِي غَيْرِ إِجْمَاعٍ لَهُ ، فَإِنْ هَذَا عَرَكْتَ أذُنَهُ وَأَدَبَ ، وَإِنْ تَأْتَى
وَاسْتَوَى بُعِجَ بَطْنُهُ وَضُرِبَ ؛ لَا زِلْتَ مُسْتَنْظِمَ الْجَدَلِ ، مُلْتَمِسَ الْأَمَلِ .

١٠ - وفي فصل :

كُلُّ أَيَادِيكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - غَمَامٌ ، وَ [كُلُّ] النَّاسِ سَجْعًا
بِشُكْرِكَ وَطِيبِ ذِكْرِكَ حَمَامٌ ، قَدْ لَبَسُوا نِعَمَكَ أَطْوَقًا ، وَتَحَلَّوْا
بِهَا أَعْنَاقًا ، فَمَا يَتَقَرَّوْنَ فِيكَ إِلَّا سُورَةَ الْحَمْدِ ، وَلَا يَتَتَطَّلَعُونَ مِنْكَ
إِلَّا إِلَى سُورَةِ الْمَجْدِ ؛ وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا لِسَانُ شُكْرٍ غَيْرَ أَنَّهُ فَصِيحٌ ،
وَعَبْدٌ^٣ رِقٌّ إِلَّا أَنَّهُ نَصِيحٌ . وَكَفَى بِحُسْنِ السَّيْرِ ، اسْتِصْفَاءً لِلسَّرِيرَةِ .
فَلَا زِلْتَ لِنَهْجِ الْفَضْلِ سَالِكًا ، وَلِسَمَاءِ الْمَجْدِ سَامِكًا ..

١١ - وفي فصل :

هُوَ أَشْهَرُ غُرَّةِ مَجْدٍ وَعِلَاءٍ ، وَتَقَدَّمَ فَضْلٍ وَسَاءٍ ، مِنْ أَنْ

١ ط د س : فصل في استدعاء .

٢ الديوان : حامله .

٣ ب م : وصييد .

أوميّ إليه ، وأنبّه عليه ، وقد استظلّ من حرّ النوائب ببردٍ ظلّك ،
واستنارَ في ظلِّ المطالبِ^١ بسراجِ عدليك^٢ ؛ لا زلتَ كعُبةٍ فضلٍ ،
وقبلةٍ عدلٍ .

هو نثرة^٢ أيجاد أفراد ، وأعلامٍ كرامٍ ، ما منهم إلاّ مشرفٌ
العالمِ ، في الهمم ، متقدّم القدمِ ، في الكرمِ .

١٢ - وفي فصل [يشفع لرجل كحال] :

ومؤديه أبو فلان الكحال^١ ، وهو وإن كرمّت أحواله^٣ ، وأحميدت^٤
في الصنعة حاله^٥ ، لم تبلغ قوة كُحله إلى أن تجعلوا البصرَ ، حتّى
ترى الغيب وتُشاهد القدرَ . وقد وردك^٤ ، يخبط من نهاره في ليلة ظلماء ،
ويقتل مقلّةً صحيحة عمياء . ولا غرّوا ، فالعين هي العين^٥ ، ولعله^٥
وعساه^٥ ، أن يكون عيساه^٥ .

١٣ - [فصل في شفاعة : وما عرفته مذ كونه عندنا إلاّ على أقوم^١
طريقة ، وأحسن سجيّة وخليقة ، فاستدللت بما علن على ما بطن ، وبما
بدا على ما انطوى ، ولله غيب السموات والأرض ، فمن أمكنه أن يضع
عارفةً عنده يجني ثمرتها ، فععل^٢ ، مأجوراً مشكوراً] .

١ الديوان : المصائب .

٢ يبدو أن هذه بداية قطعة جديدة ، وقد انفردت بهام ب ، ولم ترد في الديوان .

٣ د ط س : والكمال أبو فلان وإن كرمت خلاله . . . الخ .

٤ د ط : ورد .

١٤ - وفي فصل :

للمتوسمين^١ - [أعزك الله] - منازل^٢ ، وفي الأيادي فروض^٣ ونوافل ،
 ونخير^٤ المعروف ، ما وُضِعَ عند الشريف لا المشروف . وإن^٥ أبا فلان^٦
 الهاشمي ، لفرع^٧ من أشرف^٨ نبتة^٩ ، نمت في أكرم^{١٠} بقتعة .
 ومن^{١١} حل^{١٢} من الشرف^{١٣} محلته^{١٤} ، وليس^{١٥} من الفضل^{١٦} حليته^{١٧} ،
 فقد غني^{١٨} عن الإطراء^{١٩} والثناء^{٢٠} ، غني^{٢١} الغزاة^{٢٢} عن الذبالة . وهو^{٢٣} مجتاز^{٢٤}
 على أفقك^{٢٥} ، ونازل^{٢٦} بك ضيفاً^{٢٧} ، كما تتغشاك^{٢٨} السحابة^{٢٩} صيفاً^{٣٠} ، وهو
 راحل^{٣١} بعد^{٣٢} ، تخيد^{٣٣} به^{٣٤} الركائب^{٣٥} ، وتثني^{٣٦} عليك^{٣٧} الحقائق^{٣٨} .
 وأنت^{٣٩} أجدر^{٤٠} من تلقاه^{٤١} بالبشر^{٤٢} ، وأقبله^{٤٣} وجه^{٤٤} البر^{٤٥} ، فعند^{٤٦} أهل^{٤٧}
 الفضل^{٤٨} يوضع^{٤٩} الفضل^{٥٠} ، وفي مغارسها^{٥١} تغرس^{٥٢} النخل^{٥٣} ؛ لا زلت^{٥٤}
 غمام^{٥٥} نعمى^{٥٦} ورحمى^{٥٧} ، ولا نزلت^{٥٨} إلا^{٥٩} بمنزل^{٦٠} رعيًا^{٦١} وسقيا^{٦٢} .

١٥ - فصل في العتاب :

أطال الله بقاء^١ الشيخ^٢ القاضي^٣ ، عاصم^٤ عصره^٥ ، وإنسان^٦ عيّن^٧
 مصره^٨ ، في رتبة^٩ شمتخت^{١٠} فكأنها^{١١} كوكب^{١٢} ، ورستخت^{١٣} فكأنها^{١٤}
 ككب^{١٥} ؛ الفضل^{١٦} ما قد^{١٧} علمه^{١٨} الشيخ^{١٩} القاضي^{٢٠} ، جبل^{٢١} وعمر^{٢٢} المرتقى^{٢٣} ،
 وجمل^{٢٤} صعب^{٢٥} الممتطي^{٢٦} ، لا يتسنم^{٢٧} كل^{٢٨} فارع^{٢٩} ذروته^{٣٠} ، ولا يمتطي^{٣١}

١ د ط س : للمتوسلين .

٢ ب م : وإن فلاناً من أشرف . . . الخ .

٣ ب م : تحدو به .

٤ من قول زهير :

وهل يثبت الخطي إلا وشيجه وتغرس إلا في منابها النخل

٥ د ط س : دهره

كُلُّ رَاكِبٍ صَهْوَتَهُ ، وَشَجَرَةٌ بِاسِقَةِ الْأَفْنَانِ مُمْتَدَّةُ الْأَفْيَاءِ ،
 أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَقَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ ، لَا يَطْمَئِنُّ كُلُّ جَنَبٍ فِي ظِلِّهَا ،
 وَلَا تَعَجَّتِي كُلُّ يَدٍ مِنْ أَكْلِهَا . وَإِنِّي مَسَحْتُ الْأَرْضَ غَرْبًا وَشَرْقًا ،
 وَلَقِيتُ الدَّهْرَ جَهْمًا وَطَلْفًا ، وَشَرِبْتُ الْعُمَرَ صَفْوًا ١ وَرَنَقًا ، وَحَلَلْتُ
 أُنْدِيَةَ الْقُبْضَةِ وَالْقَضَاءِ ، وَحَطَطْتُ بِأُودِيَةِ الْفَضْلِ وَالْفَضْلَاءِ ،
 فَمَا وَطِئْتُ لِأَحَدِهِمْ سَاحَةً إِلَّا رَاقَ نَشْرُهُ ٢ ، وَرَقَّ قِشْرُهُ ،
 فَمَا الْفَضْلُ كُلُّهُ فِي الصَّمْتِ وَالْجُمُودِ ، حَتَّى يَلْتَبِيسَ الْإِنْسَانُ
 بِالْجُلْمُودِ .

ومنها :

وَلَوْلَا أَنِّي نَزَّهْتُ سَمْعَهُ عَنِ الشُّعْرِ ، لَأَرَيْتُهُ كَيْفَ حَوَّكُ
 الطَّبْعِ الْمُهْدَبِ ، لِلِوَشْيِ الْمُنْدَهَبِ ، وَكَيْفَ لَفِظُ بَحْرِ الْفِكْرِ ،
 لِلْجَوْهَرِ الْبِكْرِ ، وَلَا طَلَعْتُ مِنْهُ فِي سَمَاءِ مَعَالِيهِ نُجُومًا تُنِيرُ ،
 وَرَجُومًا تُبِيرُ ٣ ، وَأَخِرُّ مَا أَقُولُهُ ، بَعْدَ دُعَاءِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَرْفَعُهُ
 فِي إِطَالَةِ بَقَائِهِ ، [وَتَمَكِّنِ بَهَجِي بِوَفَائِهِ] :

أنت الحبيب ولكنني أعوذُ به من أن أكون مُحِبًّا غيرَ محبوبٍ

١ ب م : صرفاً .

٢ الديوان : بشره .

٣ م : تثير ؛ ب : تثير .

٤ بيت شعر للمثنوي ، ديوانه : ٤٤٩ .

١٦ - فصل :

فما انبرت^١ النوائب إلا أرسل زمامها ، ولا برت^٢ الحوادث إلا أنصل سهامها ، ولا احتشدت الدواهي إلا كان من أعيانها ، ولا استنجدت الليالي إلا كان من أعوانها . وهيئات أن يظفر بالحر^٣ الشريف جوهره ، الكريم عنصره ، فالناس اخبر تقله ، وبالاحتبار يتبين الأوغاد من الأحرار ، وعلى النار يتميز الخبيث من النصار . وإن الدهر لماش بأهله القهقري في سماء الفضل والكرم ، ومتازل التبل ومرآي الهمم .

١٧ - فصل :

كتاب قد أظلم بياضه في عيني وسواده ، حتى تساوى طرسه ومداده . فيا له كتاباً ، مليء اكتئاباً [وقيرطاساً ، لبس بدل الحداد أنفاساً ، فلو أن الجماد أمكنه البكاء لبكى ، وأعلن بالعويل وشكا] .

١٨ - فصل :

[فيها أنا بين عيش قد ذهب حلوه ، ونضب صفوه ، وأمل]

١ م ب : ابدت .

٢ م ب : بدت .

٣ م ب : بالخلق .

٤ من حديث للرسول (ص) : وجدت الناس اخبر تقله (انظر التاج : قلا) والهاء في « تقله » للسكت ، ولفظه لفظ الأمر وانه الخبر أي من خبرهم أبغضهم وتركهم .

٥ م ب : يتبين .

أَخْلَقَتْ جِدَّتُهُ [وَذَبَلَتْ نَضْرَتُهُ ، مُتَلَدِّدٌ بَيْنَ عِبْرَةِ أَبَدِهَا ،
وَزَفْرَةِ أَرَدِّهَا ، وَحَسْرَةِ أَجَدِّهَا ، وَطَرْفِ أَقْلَبِهِ فِي الْكَوَاكِبِ ،
كَأَنِّي أَلْتَمِسُهُ فِيهَا وَأَطْلُبُهُ ، وَأَمْلُ طُلُوعَهُ مَعَهَا فَأَرْقُبُهُ .

١٩ - وفي فصل :

ولقد اختُضِرَ^١ على حين تَطَلَّعٍ إلى الدنيا وارْتِقَابٍ ، وَنَضْرَةِ
في عُوْدِهِ لِمَاءِ الشَّبَابِ ، فَكَأَنَّهُ - [رَحِمَهُ اللَّهُ] - وقد افترشَ
بَطْنَ الثَّرَى ، وَخَيَّمَ بِمَنْزِلَةِ الْبَيْلَى ، مَا اشْتَمَلَ بِظِلِّ مِنَ الْعَيْشِ
[مَدِيدٍ ، وَلَا رَقْلٍ فِي بُرْدٍ مِنَ الْأَمَلِ جَدِيدٍ ؛ وَمَا أَوْشَكَ لِحَاقِ
الْبَطَاءِ بِالْعِجَالِ] وَأَسْرَعَ طَيِّبَ اللَّيَالِي لِصُحُفِ الْأَجَالِ^٢ [١٤٥ ب]
فَأَفَّ لِدَهْرٍ لَا يَزَالُ يَسْتَرْجِعُ مُعَارَهُ ، وَيَشُنُّ مُعَارَهُ ، وَيُقَوِّضُ
مَا بَنَى ، وَيَنْقُضُ مَا سَنَى [وَمَا خَيْرُ دُنْيَا أَرَى كُلَّ يَوْمٍ تَوْبَهَا
يُطْوَى ، وَوَجْهَهَا يُزْوَى ، وَسِيَّامِ الْأَمَلِ فِيهَا تُشْوَى ، وَتُجُومُ
الْإِخْوَانِ^٣ بِهَا تَنْكَدِرُ فَتَهْوَى] وَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَمَسَّحَ عَنِ الْعَيْنِ
سِنَةَ الْكُرَى ، وَيَسْرِي بِنَا فَنَحْمَدَ عِنْدَ الصَّبَاحِ السَّرَى ، وَيَرْغَبَ
بِنَا عَمَّنْ تَنَاقَلَ فَأَلْقَى رَحْلَهُ وَحَطَّ ، وَنَامَ لَيْلَهُ فَعَطَّ .

٢٠ - وفي فصل :

وما تَدَكَّرْتُ عَطَلَّ نَحْرِ الزَّمَانِ ، مِنْ قَلَائِدِ الْإِخْوَانِ ، وَكَيْفَ
كَرَّ الدَّهْرُ فَمَحَا مَحَاسِنَ تِلْكَ الصَّحِيفَةِ ، وَطَوَى طَوَامِيرَ تِلْكَ

١ اختُضِرَ بالخاء المعجمة : مات فتياً غضاً ؛ وفي النسخ والديوان : احتضِر .

٢ م ب : الأعمال .

٣ د : الأحوال .

الشَّبِيَّةَ ، إِلَّا انْقَدَحَتْ بِصَدْرِي لَوْعَةً ، لو أَنَّهَا بِالْحَجَرِ لَانْفَطَرَ
فَانْفَجَرَ ، أو بالنَّجْمِ لَانْكَدَرَ فانتثرَ :

وما وَجَدُ أَعْرَابِيَّةً قَدَفَتْ بِهَا صُرُوفُ النَّوَى مِنْ حَيْثُ لَمْ تَكْ ظَنَّتِ
تَمَنَّتْ أَحَالِيْبَ الرَّعَاءِ وَخَيْمَةَ بِنَجْدٍ فَلَأَمْ يُقَدَّرُ لَهَا مَا تَمَنَّتْ
بِأَعْظَمَ وَجْدًا مِنْي لِذَلِكَ الْعَصْرُ ٢ ، وَقَدْ انْتَثَرَ عَقْدُ أَحْبَابِهِ
[وَأَقْفَرَ عَامِرُ جَنَابِهِ] ، وَأَنْسَلَخَ لَيْلُ شَبَابِهِ ، وَطَارَ ٣ وَأَقْبَعَ غُرَابِهِ ،
وَأَنْطَوَتْ لَهُ صَحَائِفُ أَيَّامٍ لَا تُنْشَرُ ، عَلَى سَطُورِ أَنَامٍ ٤ ، لَا تُبَشِّرُ ،
فَكَأَنَّمَا تَقَشَّعَ مِنْهُ سَحَابٌ ، وَأَضْمَحَلَ بِقَيْعَتِهِ سَرَابٌ ، فَصِرْنَا
لَا نَتَلَقَى إِلَّا بِالذِّكْرِ ، وَلَا نَتَرَاءَى إِلَّا بِالْفِكْرِ .

٢١ - فصل في التهنية بالقضاء وتثنية الوزارة :

بَدءُ كَوْنِ الثَّمَرِ - [أَعَزَّكَ اللَّهُ] - زَهْرٌ ، وَأَوَّلُ مَتَوَعِ الضُّحَى
فَجْرٌ ٥ ، وَإِنَّمَا تَنْمِي الْأَشْيَاءُ عَلَى تَدْرِيجٍ وَتَرْتِيبٍ ، كَمَا نَشَأُ الْإِنْسَانُ ٦
مِنْ نُطْفَةٍ وَالذَّوْحَةُ مِنْ قَضِيبٍ . وَمِثْلُكَ مَنْ شَهِدَتْ لَهُ مَخَائِلُ

١ البيتان في الحماسة البصرية ٢ : ١٤٣ لطارق بن نابي ، وقد ورد الأول مع أبيات أخرى
في الأغاني ٥ : ٣٢٧ - ٣٢٨ وفي مصادر أخرى ، وتنسب لأعرابي ، والشعر في ديوان
ابن الدميثة : ٢٠٢ - ٢٠٣ .

٢ د : القصر .

٣ م ب : وأطار .

٤ م ب : سكون أنام .

٥ ب م : قمر .

٦ د : ينشأ .

٧ م : الأنس .

الولاية باكتمال السيادة ، واكتمال السعادة^١ . وإن القضاء ،
وإن شرف مرتبة^٢ ، وكرم مأثرة [ومنقبة] ، ليصيق عن
نصل فضلك غمده ، ويغرق في بحر فخرِكَ مدده ، ويزدان
بينحِرِ مجدِكَ عقده ، ويبتهج بعطفِ سرِّوك برده . فليهنه
أن تسربلت طوقه ، وتحملت أوقه ، وليهنى الزارة أن
شدت بجيدِكَ عراها ، ونيطت بينحرك حلها ، وشفع لها فضلك
فأصار وترها شفعاً ، وجمع إلى بصرِها سمعاً . وإنهما في تقاضيهما^٣
لك وحسنهما بك لعقد^٤ ثني بعقد ، وعلمان رُقيما في برده .
وإن الدين لَمُشتد بك أزره ، فعيناه على الرأض صعب ،
وعوده على الغامزِ صلب . ولقد كنت على تقاربٍ من سنك ،
ولدونة في غصنك ، ثقلب طرف الجراح^٥ ، وتجرى في عين
القارح ، فضلا عنك ، وقد سامت الليالي ذاتك تجريباً وهديباً ،
وقومت قناتك أنبواباً فأنبواباً ، حتى خلصت خلوص الذهب على
اللهب ، والدينار على النار . وإن أفقاً أنت بدرُ تمامه لينطح
السماء منكبه ، ويترحف [١٤٦] تحت راية الفتح والفتح موكبه ،
فلا عري الفضل من ظلك ، ولا حط ركاب^٦ الشكر إلا في محلك ،
ولا زلت تتقلد الحمد عقداً ، وتلبس السعد برداً ، إن شاء الله .

١ د : باكتمال السيادة والسعادة ؛ م ب : باكمال السيادة واكتمال السعادة .

٢ م ب : تقاضيهما .

٣ م ب : الجامع .

٤ د : خلوص الذهب التضار والديثار . . . الخ

٥ م ب : مركب .

٦ جاء في د ب م ن مواضع إن شاء الله : بده .

٢٢ - فصل ١ : انَّ مَنْ شَهِدَهُ - أَدَامَ اللَّهُ رِفْعَتَهُ - يَشْهَدُ
 القَمَرَ مُسْتِيراً ، والسحابَ مَطِيراً ، والماءَ نَسْمِيراً ، والروضَ نَضِيراً ؛ ولاذ به
 فوجد الكهفَ منيعاً ، والشرفَ رَفِيعاً ، والمرادَ مَرِيعاً ، والزمانَ رِيبِعاً ،
 تعلقَ حَبْلَهُ قَاطِئاً دَانِياً ، وتشوَّقَ فَضْلَهُ ظَاعِناً نَائِياً . ولما انتزحتِ الدَّارُ ،
 وَبَعُدَ المزارُ ، اعتضتُ بِالكِتَابِ مِنَ الرِّكَابِ ، وإن لم يَنْسُبِ الطَّلُ عن
 الوَبْلِ ، وإني بَحِيثٌ أَقْسَمْتُ أَوْ خِيَّمْتُ لِحَادِ مُكَّ خَاتَمِكَ ، طوعاً لَدَيْكَ ،
 وَجَرِيّاً عَلَى رَسْمِكَ وَحَدِّكَ ، لازلْتَ نِظَامَ الحَمْدِ ، وَقَوَامَ الفِضْلِ والمَجْدِ .

٢٣ - فصل : وها هو رهينُ قَيْدِ القَبْرِ ، سَلِيبُ ثَوْبِ اليُسْرِ ،
 قَدْ زَحْزَحَهُ الدَّهْرُ عَنِ بَلَدِهِ وولده ، وَأَبَانَهُ مَرْتَفَقاً عَلَى يَدِهِ ، مَطْوِياً
 عَلَى كَتْفِهِ ، يَطُولُ عَلَيْهِ اللَّيْلُ وَهُوَ قَصِيرٌ ، وَيُظْلَمُ عَلَيْهِ الصَّبْحُ وَهُوَ
 بَصِيرٌ ، والأَجْرُ نَعْمَ مَا لَزَّهُ قَرَنٌ ، وخَيْرُ الاطْوَاقِ فِي الأَعْنَاقِ بَيْضُ الأَيَادِي
 والمِنْ .

٢٤ - وفي فصل من تعزية :

وعند الله يُحْتَسَبُ ذَلِكَ الفَقِيدُ الشَّهِيدُ . قَمَرٌ فَضْلٌ سَارٌ
 إِلَى سِرَارِهِ ، وَوُسْطَى عِقْدِ إِخْوَانٍ ٢ أَخَذَ فِي انْتِثَارِهِ ، وَمِصْبَاحٌ
 أَمَلٍ عَجَلٌ بَانِطْفَائِهِ ، وَصَبَاحٌ جَدَلٌ أَسْرَعُ فِي انْطِوَائِهِ . فَتَقْبُحاً
 لِدُنْيَا قَصَفَتَهُ أَنْضَرَ مَا كَانَ غُصْنًا ، وَكَسَفَتَهُ أَقْمَرَ مَا كَانَ حُسْنًا ؛
 وَمَا كَادَ أَنْ تَسْتَنْيرَ لِسَارِيهِ مَطَالِعُهُ ، وَتَمْتَدَّ لِرَاجِيهِ مَطَامِعُهُ ،
 حَتَّى مُدَّتْ إِلَيْهِ يَدُ البَدَارِ ، وَكَسَفَتَهُ عِنْدَ الإِبْدَارِ ٣ . فَإِذَا

١ هذا الفصل والذي يليه لم يردا في د ط س والديوان .

٢ م ب : إحسان . ٣ م ب : يد الأقدار .

تَصَوَّرْتُ مَا أَتَاهُ الدَّهْرُ مِنْ اجْتِرَامِهِ فِي اجْتِرَامِهِ ، وَأَذْهَبَهُ بِاعْتِبَابِهِ
 مِنْ اغْتِبَابِهِ ، وَتَأَمَّلْتُ كَيْفَ التَّقَمَّةِ الْحِمَامُ ، وَاخْتَطَّقْتَهُ
 الْأَيَّامُ ، وَصَارَ مَفْقُوداً ، كَانَ لَمْ يَكُنْ مَشْهُوداً ، وَمَنْشُوداً كَانَ
 لَمْ يَكُنْ مَوْجُوداً ، وَجَدْتُ لِلذَّكَ وَجْداً لَا يَسَعُهُ الصَّدْرُ^٢ ، وَلَا
 يُقَاوِمُهُ الصَّبْرُ ، وَأَوَارَأَ لَا تَطْوِيهِ أَحْنَاءُ الضُّلُوعِ ، وَلَا تُطْفِئُهُ أَحْسَاءُ
 الدَّمُوعِ . فَكَأَنَّا وَقَدْ صَارَ حَبِيلُ حَيَاتِهِ إِلَى بَتَاتٍ ، وَسَلِيلُ مُؤَاخَاتِهِ
 إِلَى شَتَاتٍ [لَمْ نَسْتَتَبِقْ يَوْمًا فِي مَيْدَانِ الصَّبَا ، وَلَمْ تَهَبْ بِنَا جَنُوبٌ
 وَصَبَا ، وَكَانَ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا انْقَضَى فَمَضَى ، خَيَالُ أَلَمٍ ثُمَّ تَوَلَّى ،
 وَغَمَامٌ أَظْلَمَ ثُمَّ تَجَلَّى] .

٢٥ - وفي فصل من أخرى^٣ :

مَحَارُ الْفَتَى شَيْخُوخَةٌ أَوْ مَنِيَّةٌ وَمَرْجُوعٌ وَهَاجٍ الْمَصَابِيحُ رِمْدِيدٌ ،
 أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارٌ كُونٍ وَفَسَادٍ ، وَسُوقٌ نَفَاقٍ وَكِسَادٍ ، وَالْعَمْرُ بِالْإِنْسَانِ
 مُضْطَرَّبٌ ، وَالْمَرْءُ مَوْجٌ مَعَ الْأَيَّامِ مَنقَلَبٌ ، وَإِنْ لِلشَّيْبَةِ صَبْوَةٌ ، وَلِلْحَدَاثَةِ
 هَفْوَةٌ ، وَقُصَارَى الطَّيْشِ رَكَائِنَةٌ وَوَقَارٌ ، وَأَوَّلُ قَرْحِ الْحَيْلِ الْمَعَارُ ، وَلَمْ أَرِ
 [١٤٦ ب] كَالشَّبَابِ مَسْطِيَّةً لِلْجَهْلِ ، وَلَا كَالْمَشَيْبِ فُطْنَةً لِلْعَقْلِ :

وَإِنْ نَهَارَ الْمَرْءِ أَهْدَى لِرُشْدِهِ وَلَكِنْ ظَلَّ اللَّيْلِ أُنْدَى وَأَبْرَدُ ،
 فَإِنْ يَكُنُ الصَّبَا حَلِيَّةً تَرَوْعُ ، فَإِنَّ الْكَبْرَةَ عَطَلَةٌ أَوْ إِمْرَةٌ تَرَوْقُ :
 صَبَا مَا صَبَا حَتَّى عَلَا الشَّيْبُ رَأْسَهُ فَلَمَّا عَلَاهُ قَسَالَ لِلْبَاطِلِ إِبْعَدُ

١ م ب : التهمة . ٢ م دب : الدهر .

٣ هذا الفصل وما بعده (٢٥ - ٣٢) لم ترد في ط د س والديوان .

٤ لابن الرومي ، ديوانه : ٥٨٧ ، ٥٨٦ .

٥ البيت لدرديد بن الصنة ، الأصمعيات : ١١٤ .

٢٦ - فصل : ها أنتم - أيديكم الله - قد أظلتكم الدولة الميمونة ،
ووافتكم الإمرة المأمونة ، ولطالما وردتنا تسيرُ بها الرفاق ، فتطلَّعتْ إليها
النفوس وامتدت الأعناق ، وهذه كتائبُ النصر قد طلعت عليكم بشائرُ
صباحها ، وأظلتكم قادمةُ جناحها ، وإنَّ من ناصبها فحاول أن يدفعَ في
صدرها ، ويقصرَ من تطاولِ عيناها عن شأنها :

كناطحِ صخرةً يوماً ليفلقها فلم يَنْصِرْها وأوهى قمرتهُ الوعلُ^١
هيهات ! توخى من الفلكِ ألاَّ يستدير ، وابتغى من الشمسِ ألا تستنير ،
واعترض في مطلع الليل يأمل ألاَّ يُظِلَّ ، ونصب راحته تلقاء الفجرِ يحاول
ألا يُطِيلَ .

٢٧ - وله من كتابِ جاوب به العدو : فتخيَّل حالك وقد أحاطت
بك تلك الأجنادُ المتكاثفة ، والأعدادُ المترادفة ، بحرٌ متلاطمٌ موجه ، بعيدٌ
ساحله ، يرتمي من رعاله ، وكراديس أبطاله ، بموج لُججِيٍّ ، قد نشِئت عليه
مضاعفة الأرزاد ، بدل الأزباد ، فيغشاك منه ما يعيد بحرك وشلا ، وعزملك
فشلاً ، ويعيدُ بأسك خوراً ، فلا تزال غريقَ تلك البحار ، وحريقَ تلك
النار ، ولو صدقت في حال طيرك لأنبأتك أن جدك ناب ، وحدك كاب ،
وأنتك عمًا قريب قد جدلت فقللت ، وأسلمت فاصطلمت ، وكأني بك
في القيد ، ووثاق القيد ، قد خُيرت بين اثنين : إما أن تُسلم فتسلم ، أو
تُشرك فتهلك ، ولم يكن الله عز وجل ليهديك سبيل من تاب وأتاب ،
فيجمع لك بين العيث في أمته ، والمنقلب إلى رحمته .

٢٨ - وفي فصل من أخرى : انه تأكد بإلحاح العدو على فلانة ما لم

١ البيت للأعشى ، ديوانه : ٤٦ .

تنفكّ معه من مُغارِه ، واصطلاءِ نارِه ، مع تداني دارِه ، واقترابِ جوارِه ،
فما من غُدوّ ، إلّاّ ومعه طلوعُ عدوّ ، وما من رواح ، إلّاّ ومعه وقوعُ
اجتياح ، ولما علم العين من أخلاقها ما علم ، دنا فتدلى ، وكان قابَ
قوسين أو أدنى .

٢٩ - وله من أخرى : إن كان التنازع - أعزّك الله - لم يمتدّ بيننا
فيه يدٌ للتصافح [١٤٧ أ] إلّاّ من الجوانح ، ولا قام خطيبٌ للقرب ،
إلّاّ في نأي القلب ، ولا نطقَ لسان الودّ ، إلّاّ دون سِتْرَ البعد ، ولا لمع
برقٍ للاستطلاع ، إلّاّ في حُجُبِ السماع ، فلا غرو أن يُعربَ ذلك النطق ،
ويستطيرَ ذلك البرق ، فقد تقوم البصيرة مقام البصر ، وتكون الأمنية أحلى
من الظفر ، وما أتسنّسّمُ دائباً من ثنائك العاطر ، وأرتعُ فيه سمعي من صفة
خلقك الظاهر الطاهر ، قمينٌ أن يكون للمداخلة سبباً ، وخليقٌ أن يكشف
عن وجه المراسلة حجياً .

٣٠ - ومن أخرى : مثل الأمير - ممّنِ المعجّدُ من أعداده ، والبأس
من أجناده ، والفهم من طلائعه ، والحلم من طبائعه ، والكرم من حلاه ،
والسؤدد من علاه ، والعزم من خدمه ، والحزم من شيمه ، والإقدام والإكرام
والإنعام من صفاته ، والرياسة والنفاسة والسياسة من سماته ، والفضل من
أخلاقه ، والشرف من أعراقه ، والمحامد من أرديته ، والنصرُ معقود بالويته -
جديرٌ أن تهزّ نحوه الآمال ذوائبها ، وتحقيق أن تُعمل إليه الآمال ركائبها .

ولما أقبلت - أيدك الله - كما ابتسم الصارم الذكر ، وحللت كما وافى
المحلّ المطر ، نشأت لي همّة بالكون في جنابك ، وتحت ممطر سحابك ،
وأنا أرغبُ من فضله أن يزيد أوضاحي امتداداً ، ويقدح من تنبيهي زناداً ،
بأن يخصّني بصكِّ كريمٍ أحبي به معالم شرفي ، وأباهي بمحاسنه فارطاً سلفي ،

وَأَلْتَحِيفُ مِنْهُ رِداءَ العروس ، وَأَشْتَمِلُ مِنْ تَنْوِيهِهِ حُلِيَّ الطاووس .

٣١ - ومن أخرى : ومن أبقاه الله كارعاً من القسم في حوض لا يخاللُ
الزمان نيمره ، ولا يغدر الصفاء غديره ، راتعاً من النعم في روض تساجل
النجوم أزهاره ، ويمج ندى السرور جشجائه وعرايه ؛ كتبهته ووددي صدق
الصفاء ، نبغي القناة ، لا يهزه مع تراخي العهد ريح انحراف ، ولا يرضه
من الغض عض ثقاف ؛ بعد أن وردني كتابك الأثير يذهل بنتائج طبعك
الباهر ، وينت بعرف نفسك العاطر ، ويعجز ببديع نظامه فيونس ، ويطمع
بمطبوع كلامه فينفس ، فما حديقه تفقاً فوقها القلع ، وشكلت عليها الرياح
الأربع ، ديمة يصلصل الرعد في أرجائها ، ويضحك البرق خلال بكائها ،
ألظت تندفها بأدمع مشوق ، حتى كستها لبسة معشوق . . .^١

٣٢ - فصل :

يقاسُ المرءُ بالمرءِ إذا ما المرءُ ماشاهُ
وفي الشيء من الشيء علاماتٌ وأشباه [١٤٧ ب]
ما أنت والعترة الفلانية ؟ إنما هم أجناس ، كلهم أنجاس ، إلا الشاذ فيهم ،
والنادر منهم ، وقليل ما هم ؛ وأما فلان منهم :
فهو الحبيثُ عَيْنَه فيرارهُ

أطلسُ يخفي شخصه غباره في شدقه شقرته وناره
ما شب حتى سب ، ولا نفت حتى رفث ، ولا زر له جيب إلا على عيب ،
ولا نيظت به تميمة إلا على نيممة ، فهو إذا حضر أذن وعي ، وعين رعي ،
ويظهر الغيب إنسان ظنة ، ولسان غيبة ، لا يشتمل ثوبه إلا على شخص

١ كذا ورد نير تام .

نقص ، وجسد حسد، لا يهدأ شره ، ولا يُطفأ شراره ، ولا يغرتك لينُ
أعطافه ، ولُذونةُ كلمته، فإن الحية لينة الملمس ، لَسْدُنةُ المجسِّ ، فإن
لحظته - عافاك الله - فلحظاً شزراً ، أو جاذبته الحديث فقليلاً نزرأ ،

* كما يمسّ بظهر الحية الفرق *

وانه ليحضر النديّ فيحفظ ما يلفظ ، ويلتقط ما يسقط ، فهو كاتب الشمال ،
غير أنه إن مرّت به في صحيفة ذكرك حسنةٌ سامها بشراً ، أو عثر بسينة
كتبها عَشراً ، لا يعنى إلاّ بعرض غرض ، فاستعد بالله من شيطانه ، وتوقّ
من موبقات أشطانه .

وهذه أيضاً جملة من شعره في اوصاف شتى

له من قصيدة يمدح بعض أهل الدولة لنهوضه بما يعنّ من أوطاره^١ :

وأركبُ من ظَهَرِ الدُّجْنَةِ أدهما	وأسري فأستصفي من السيِّفِ صاحباً
توأكبُ مِنْهُمْ أَنجُمُ اللَّيْلِ أَنجُمًا	وأصدعُ أَحْشَاءَ الظُّلَامِ بِفِتْيَةٍ
سَرَرْتُ ^٢ بِهِمْ لَيْلَ السَّرَى فتبسّما	أذعْتُ بِهِمْ سِرَّ الصَّبَاحِ وَإِنَّمَا
ولم يتكُ سِرُّ المجدِ إلاّ ليُكتما	وقد كَتَمْتَهُمْ أَضْلَعُ البِيدِ ضِنَّةً
نرى العيسَ غَرَقَى والكواكبَ عوَمَا	فبتنا وَبِحُرِّ اللَّيْلِ مُلْتَطِمٌ بنا
وَقَوِّقَ مِنَّا فَوْقَهَا المَجْدُ أسهما	وقد وَتَرْتُ مِنْهَا قسيّاً يَدُ السَّرَى

وهذا المعنى قد نبهنا عليه . [ومنها] :

وما هاجني إلاّ تَأَلَّقُ بَارِقٍ لَبِيسْتُ بِهِ بُرْدَ الدُّجْنَةِ مُعَلِّمًا

١ انفردت د فأوردت القصيدة كاملة كما هي في الديوان ، غير أن اتفاق ط س مع النسختين ب م

يدل على أن هذا من عمل الناسخ ، ولذلك لم أثبت القصيدة حسبما جاءت في د .

٢ س : سردت .

تَلَوَى هُدُوءًا يَسْتَطِيرُ كَأَنَّمَا
فِيَا رَبِّ وَضَّاحِ الْمَحَاسِنِ أَشْقَرِي
وَبَحْرِ حَدِيدٍ قَدْ تَلَاظَمَ أَخْضَرِي
أَبِي عَزُّ نَفْسٍ أَنْ يَجُولَ فَيَسْجَتَلِي
جَرَى الْحُسْنُ مَاءً فَوْقَهُ غَيْرَ أَنَّهُ
وَأَقْصَى مَسْنَى الْكَفِّ الْحَضِيْبِ لَوَاتِنِي

ومن المدح أيضاً :

فبينا ترى رَضْوَى وَقَارَ جَزَالَةٍ
[تَسِيَتْ تُرَى الشَّعْرَى جَلَالَةَ هِمَّةِ]
خِلَالٍ كَمَا مَرَّ الْغَمَامُ بِتَشْنَعَةٍ
وَقَلَّدَ نَحْرَ الرَّوْضِ عِقْدًا مَفْصَلًا

[ومنها] :

وقد أفصحت أعطافه عن سيادة
وطال رجال الحَيِّ طَوْلًا وَنَجْدَةً
فلو وصلوا يوماً كعُوبًا لِأَسْمَرِ

وله من أخرى :

أَوْ مِيْضُ بَرْقٍ مَا سَرَى لَمَاعُ
جَلَدَ الدُّجَى وَهِنًا بِأَبْيَضِ صَارِمِ

أرُوعٌ به في سُدُفَةِ اللَّيْلِ أَرْقَمَا
رَمِيَتْ بِهِ الْهَيْجَا وَقَدْ فُغِرَتْ فَمَا [١٤٨ أ]
إِذَا عَصَفَتْ رِيْحُ الْجِيَادِ بِهِ طَمِي
وإِشْرَافُ هَادٍ أَنْ يُنَالَ فَيَلْجَمَا
إِذَا مَا جَرَى نَارُ الْغَضَا مُتَضَرَّمَا
وَصَلَتْ بِهَا ذَاكَ الْمُهْتَدَ مِعْصَمَا

وَهَيْبَةُ إِشْرَافٍ وَعِزَّةٌ مُحْتَمِي
وَبَهْجَةُ أَوْضَاحٍ وَرَفْعَةٌ مُنْتَمِي []
فَطَرَّرَ أَثْوَابَ الرَّبِيعِ وَسَهْمَا
وَطَوَّقَ جَيْدَ الْغُصْنِ وَشَيْئًا مُنْمَمَا

فشاهدت منه صامتاً متكلماً
فَأَسْدَى يَدَ النَّعْمَى وَذَادَ عَنِ الْحَمَى
لكان على حُكْمِ السِّيَادَةِ ٢ لَهْدَمَا

أَمْ قَلْبُ صَبِّ قَدْ هَفَا مُرْتَاعُ
فَاتَتْ بِهِ كَفٌّ لَهُ وَذِرَاعُ

١ س : غدا .

٢ الديوان : السلامة .

سَابِرْتُهُ فِي حَيْثُ يَحْمِلُ لِأُمَّتِي
 فِي لَيْلَةٍ لِيَلْرَعْدَ فِيهَا صَرْخَةٌ
 خَلَعَتْ عَلَيَّ بِهَا رِدَاءَ غَمَامَةٍ
 وَالصُّبْحُ قَدْ صَدَعَ الظَّلَامَ كَأَنَّهُ
 فَرَقَلْتُ فِي سَمَلِ الدُّجَى وَكَأَنَّمَا
 وَدَفَعْتُ فِي صَدْرِ الرَّدَى عَنِ مَطْلَبِ
 وَقَبَضْتُ ذَيْلِي عَنِ رِعَايَةِ مَعَشَرِي
 يَرْمُونَ أَعْطَافِي بِنَظَرَةٍ إِحْسَنَةٍ
 أَفْرَغْتُ مِنْ كَلِمِي عَلَى أَكْبَادِهِمْ

أَسَدٌ وَيَلْدُوِي مَعْطَفِيهِ شُجَاعُ
 لَا تُسْتَطَابُ وَلِلْحَيَا لِبِقَاعُ
 رِيحٌ تُهْلَهُهُ هُنَاكَ صِنَاعُ
 وَجَهُ وَضِيءٌ شَفَّ عَنْهُ قِنَاعُ
 قَزَعٌ^٢ السَّحَابِ بِجَانِبِيهِ رِقَاعُ
 بَيْنِي وَبَيْنَ الدَّهْرِ فِيهِ قِرَاعُ^٣
 عُوجِ الطَّبَاعِ كَأَنَّهُمْ أَضْلَاعُ
 وَقَدَّتْ كَمَا تُذَكِّي الْعُيُونَ سِبَاعُ
 قِطْرًا لَهُ أَسْمَاعُهُمْ أَفْعَاعُ [١٤٨ب]

وله من أخرى :

ومفازة لا نجمَ في ظلِّمائها
 تلهبُ الشعري بها فكأنَّها
 ترمي بي° الغيطانُ فيها والرُّبَى
 والقُطْبُ مُلتزِمٌ لِمَرَكزِهِ بها
 قد لفتي فيها الظَّلَامُ وطاف بي^١
 طَرَّاقُ سَاحَاتِ الدِّيَارِ مُغَاوِرُ

يَسْرِي وَلَا فَلَكَ بِهَا دَوَّارُ
 فِي كَفِّ زَنْجِي الدُّجَى دِينَارُ
 دَوْلَاً كَمَا يَتَمَوَّجُ التِّيَّارُ
 فَكَأَنَّهُ فِي سَاحَةِ مِسْمَارُ
 ذَنْبٌ يُلِيمُ مَعَ الدُّجَى زَوَّارُ
 خَتَّالُ أَبْنَاءِ السَّرَى غَدَّارُ

١ ط د س والديوان : من .

٢ س : وقع .

٣ م ب : نزاع .

٤ س : كبدي .

٥ م ب ط د س : بها .

٦ س : وضافني .

يسري وقد نضح الندى وجه الصبا
 فعمشوت في ظلماء لم يقنح بها
 ورقلت في خلع علي من الدجى
 والليل يقتصر خطوه ولربما
 قد شاب من طوق المجرة مفرق
 فيها ومن خط الهلال عذار
 في فروة قد مسها اقشعرا
 إلا لمقلته وبأسي نار
 عقدت لها من أنجم أزارار
 طالت ليالي الركب وهي قصار

وكان له صديق قد نشأ معه ، فكانا يبحث لا يريان ينفصلان ، كأنهما
 الدهر فرقدان ، فاخترمه الأجل لئلا وفاة جملة من الإخوان ، فقال يتفجع
 ويتوجع :

شرب الأمانى لوعلمت سراب
 وهل منهجة الإنسان إلا طريدة
 تحب بها من كل يوم وليلة
 وكيف يغيض الدمع أو يبرد الحشا
 أقلب طرقي لا أرى غير لئيلة
 كاني وقد طار الصباح حمامة
 وعنتي الليالي لو فهمت عتاب
 تحوم عليها للحمام عقاب
 مطايا إلى دار البلى وركاب
 وقد باد أقران وفات شباب
 وقد حط عن وجه الصباح نقاب
 يمد جناحيه علي غراب

[ومنها] :

دعا بهم داعي الردى فكأنما
 فيها هم وسلم الدهر حرب كأنما
 تبارت بهم خيل هناك عراب
 جثا بهم طعن له وضيراب

١ س : يتوجع ويتفجع .

٢ ب : عرفت .

٣ ب م : بحث ؛ س : يجب .

٤ س : السحاب ، وخ هاشها : الصباح .

٥ ب م ط د س : جثا بهم .

هُجُودٌ وَلَا غَيْرَ التَّرَابِ حَشِيَّةٌ
فَلَسْتُ بِنَاسِي صَاحِبٍ مِنْ رِيْعَةٍ
وَمَا شَجَانِي أَنْ قَضَى حَتْفَ أَنْفِهِ
وَأَنَا تَجَارِيْنَا ثَلَاثِينَ حِقْبَةً^١
كَأَنْ لَمْ نَبْتَ فِي مَنْزِلِ الْقَصْفِ لَيْلَةً
إِذَا قَامَ مِنَّا قَائِمٌ هَجَزَ عَطْفَهُ
وَلَمَّا تَرَاءَتْ لِلْمَشِيْبِ بُرَيْقَةً
نَهَضْنَا بِأَعْبَاءِ اللَّيَالِيِ جَزَالَةً
فِيَا ظَاعِنًا قَدْ حُطَّ مِنْ سَاحَةِ الْبَلِيِ
كَفَى حَزَنًا أَنْ لَمْ يَرْدُنِيْ عَلَى النَّوِيِ
وَأَنِّي إِذَا يَمَمْتُ قَبْرَكَ زَائِرًا
وَلَوْ أَنَّ حَيًّا كَانَ حَاوِرًا^٧ مَيِّتًا
وَأَعْرَبَ عَمَّا عِنْدَهُ مِنْ جَلِيَّةٍ

لِحَبِّ وَلَا غَيْرَ الْقُبُورِ قَبَابٍ [١٤٩]

إِذَا نَسَيْتُ رَسْمَ الْوَفَاءِ صِيْحَابِ
وَمَا ائْدَقَ رُمُحٌ دُونَهُ وَذُبَابِ
فَمَاتَ^٢ سَبَاقًا وَالْحَمَامُ قِيْصَابِ^٣
نُجِيْبٌ بِهِ دَاعِي الصَّبَا وَنَجَابِ
شَبَابٌ أَرْفَنَاهُ بِهَا وَشَرَابِ
وَأَقْشَعٌ مِنْ ظِلِّ الشَّبَابِ سَحَابِ
وَأَرْسَتَ بِنَا^٤ فِي النَّائِبَاتِ هَضَابِ
بِمَنْزِلٍ بَيْنَ لَيْسَ عَنْهُ مَأْبِ
رَسُولٌ وَلَمْ يَتَفَنَّذْ لِيْلِكَ كِتَابِ
وَقَفْتُ وَدُونِي لِلتَّرَابِ حِجَابِ
لَطَالُ كَلَامٌ بَيْنَنَا وَخِطَابِ
فَأَقْلَعُ عَنْ شَمْسٍ هُنَاكَ ضِيَابِ

وله من أخرى في قاضي القضاة أبي أمية بن عصام^٨ :

١ الديوان : حجة .

٢ م ب ط د س : فمات .

٣ ط : نصاب ؛ م ب : تصاب .

٤ ب م ط د س : بها .

٥ س : يزرنِي ، و خ في الهامش : يردني .

٦ ط د : لِيْلِهِ .

٧ ب م ط د س : جاور .

٨ هو أبو أمية إبراهيم بن عصام (٥١٦) ، انظر ترجمته في القلائد : ٢٠٣ ومعجم أصحاب

الصدقي : ٥٦ والمغرب ١ : ٢٥٨ والخريدة ٣ : ٤٨٦ (ط . تونس) .

وَأخْضَرَ عَجَّاجٍ تُدرِّجُهُ الصَّبَا فَتَتَّهَمُ فِيهِ الْعَيْنُ طَوْرًا وَتَنْجِدُ
كَأَنَّ فُوَادًا بَيْنَ جَنَابِهِ رَاجِعًا يَتَقَوْمُ بِهِ نَائِي الدِّيَارِ وَيَقْعُدُ
سَارِكِبُ مِنْهُ ظَهَرَ أَدْهَمَ رَيْضٍ مَرْوَعٍ بِسُوطِ الرِّيحِ يَجْرِي فَيَزِيدُ
وَأَمْضِي فِيمَا بَيْتُ نَفْسٍ كَرِيمَةٍ يَهْدُ وَإِمَا بَيْتُ عَزَى يُشِيدُ
نبيه على هذا المعنى امرؤ القيس بقوله : [« نحاول ملكاً أو نموت فنعدرا » ؛
ومن مدح هذه القصيدة] :

فَلَا يَنْتَرِرُ بِالْحَلِيمِ قَوْمٌ فَرُبَّمَا تَصَدَّعَ عَنِ سَقَطٍ مِنَ النَّارِ جَلْمَدُ
وَلَا يَكْفُرُوا نَعْمَى الْغَمَامِ فَرُبَّمَا تَدَلَّتْ عَلَيْهِمْ صَعَقَتُهُ أَتَمَقَّدُ
فَقَصُرُ أَنَاةِ الْحَلِيمِ عَضَّةُ سَطْوَةٍ تُقِيمُ صَغَا تِلْكَ الْقَنَا وَتُسَدُّ
فَمَنْ دَهَشَ يَنْدِي خُطَاهُ كَأَنَّهُ وَقَدْ هَالَهُ وَطَاءُ الْبَسَاطِ مُقَيَّدُ
وَمِنْ لَأْمٍ أَرْضَ الْخُضْرِ كَأَنَّهُ سَجُودًا عَلَيْهَا لِمَهَابَةٍ أَهْدَهُدُ [١٤٩ب]

ومنها :

أَمَا وَصْرَاطٍ بَيْنَ عَيْنَيْهِ لِلْهُدَى لَقَدْ شَادَ أَرْكَانَ الْعَلَا مِنْهُ سَيْدُ
[وَأَلْفَ أَشْنَاتِ الْفَضَائِلِ أَرْوَعُ] وَقَامَ بِأَعْيَابِ الْمَكَارِمِ أَيْدُ
وَدَارَ بِهِ فِي مُقَلَّةِ الْمَجْدِ نَاطِرُ وَأَشْرَفَ فِي حَلِي الْمَسَاعِي مُقَلِدُ
وَسَارَ مَسِيرَ النَّجْمِ هَدِيًّا وَرِفْعَةً فَعَارَ بِهِ رَأْيٍ وَأَنْجَدَ سُودِدُ
تَدِيرُ الْمَعَالِي كُلَّمَا خَطَّ رَقْعَةً عَيُونًا لَهَا مِنْ حَالِكِ النَّقْسِ إِثْمِدُ
تَبْرَعُ لَمْ يَلْجَأْ إِلَى الْوَعْدِ ضِنَّةً وَعَاقِبَ لَمْ يُقْعِدْهُ ضَعْفُ فَيُوعِدُ
لَهُ شَيْعَةً تَنْدَى فَتَشْفِي مِنَ الصَّدَى وَتَنْقَعُ أَحْشَاءَ الْهَجِيرِ فَيَهْرُدُ

١ ب م : ساقه .

٢ د ط من والديوان : كلما هاب .

فمن حرّ نيلٍ قد أفاضتهُ همّةٌ
 وقول له في مقعد الحكيم حكمةٌ
 وتحلم له دون الديانةِ سورةٌ
 [وما السيف لولا الخوف إلاّ حديدة]
 فساح به في رأس نهلانٍ مؤردٍ
 يتحل بها في الله طوراً ويعقد
 تُقيم على جمر العقاب وتقع
 وما الرمح إلاّ خوطة تتأود [

وقال :

وَكَامَةِ حَدَرَ الصَّبَاحُ قِنَاعَهَا
 فِي أَبْطَحِ رَضِعَتْ ثُغُورُ أَقَاخِهِ
 نَثَرَتْ بِجَجْرِ الرَّوْضِ فِيهِ يَدُ الصَّبَا
 وَقَدَارَتْ دَى غُصْنِ النَّقَا وَتَقَلَّدَتْ
 فَحَلَمَتْ حَيْثُ الْمَاءُ صَفْحَةُ ضَاخِكِ
 وَالرِّيْحُ تَنْفُضُ بَكَرَةَ لِمِ الرُّبَى
 مُتَقَسِّمَ الْأَلْحَاطِ بَيْنَ مَحَاسِنِ
 وَأَرَاكَةِ سَجَعِ الْهَدَيْلِ بَفَرْعِهَا
 هَزَّتْ لَهُ أَعْطَافَهَا وَتَرَبَّمَا
 عَنْ صَفْحَةِ تَنْدَى مِنْ الْأَزْهَارِ
 أَخْلَافَ كَلِّ غَمَامَةٍ مَدْرَارِ
 دُرَرَ النَّدَى وَدِرَاهِمَ النَّوَّارِ
 حَلِيَّ الْحَبَابِ سَوَّالِفُ الْأَنْهَارِ
 جَدَلٌ وَحَيْثُ الشَّطُّ بَدَأُ عِنْدَارِ
 وَالطَّلُّ يَنْضَحُ أَوْجُهُ الْأَشْجَارِ
 مِنْ رَدْفِ رَابِيَةٍ وَخَصِرِ قَرَارِ
 وَالصَّبْحُ يُسْفِرُ عَنْ جَبِينِ نَهَارِ
 خَلَعَتْ عَلَيْهِ مَلَاءَةَ النَّوَّارِ

وقال في فتي نبيل حسن الصورة والصوت [يستعين به في أمر طواه

لعله] :

فَقَبَّلَتْ رَسْمَ الدَّارِ حُبًّا لِأَهْلِهَا
 وَحَنَّتْ قَلُوصِي وَالهوى يبعثُ الهوى
 فَهَا أَنَا وَالظُّلْمَاءُ وَالْعَيْسُ صُحْبَةٌ
 وَمَنْ لَمْ يَجِدْ مَاءً سَعَى فْتَيْمَمًا
 فَلَمْ أَرَ فِي تَيْمَمَاءَ إِلَّا مُتَيْمَمًا
 تَرَامَى بِنَا أَيْدِي النَّوَى كُلَّ مَرْتَمَى

١ ب م : سمع ؛ د : سجد .

٢ د ط والديوان : إلا صعيداً تيمما .

أُرَاعِي نَجُومَ اللَّيْلِ حُبًّا لِبَدْرِهَا^١ وَلَسْتُ كَمَا ظَنَّ الْخَلِيَّ مِنْجَمًا [١٥٠]

منها :

ترى يوسفًا في ثوبه حُسنَ صورةٍ وتسمعُ داوداً بسهٍ مترنماً
تقلدَ منه عاتقُ الملكِ مرهفًا إذا ما نبا العصبُ المهندُ صمما
ومنها في التعريض بأمر طواه^٢ :

وربَّ معمىٍ قد تعاطيتُ فكتهُ فأرقي حتى الصباح وهو ما
أقلبُ منه ناظري في غياية^٣ لو اعترضتُ دون الصباح لأظلما
ولو مثلتُ تحت العجاجة ثغرةً لأطردتُ؛ فيها السميريُّ المقومًا
هزرتُ لها عطفَ الوزير وإنما هزرتُ على هادٍ حساماً مصمما
وغيرَ بعيد أن أنال بك السها سمواً إذا كان اعتناؤك سلماً
وها أنا إن تمرض بأرضك حاجة فقد جئتُ ألقى منك عيسى بن مريما
وله من أخرى :

سقياً ليومٍ قد أنحتُ بسرحةٍ ريباً تُلَاعِبُهَا الرِّيحُ فتلعبُ
سكرى يُغْنِيهَا الحَمَامُ فَتَسْتَنِي طرباً وَيَسْقِيهَا الغمامُ فتشرب
تلهُوه فَتُرْفَعُ للشَّيْبَةِ رايةً فيه ويطلع للبهارة كوكب^٤

١ ب م : لبدرها .

٢ ب م : بأمر هواه .

٣ س : غياية .

٤ الديوان : لأطردت .

٥ ب م : تلهو .

٦ الديوان : ويسرج للتصابي مركب .

والرَوْضُ وَجْهٌ أَزْهَرُ وَالظَّلُّ فَرٌّ فِي حَيْثُ أَطْرَبْنَا الْحَمَامُ عَشِيَّةً ١
 وَاهْتَزَّ عَطْفُ الْغَصْنِ مِنْ طَرْبِ بِنَا فَكَأَنَّهُ ٢ وَالْحَسَنُ مَقْتَرَنُ بِهِ ٣
 فِي فِتْيَةٍ تَسْرِي فَيَنْصَدِعُ الدُّجَى كَرُمُوا فَلَاحِيَتْ السَّمَاحَةُ مَخْلَفٌ
 مِنْ كُلِّ أَزْهَرَ لِلنَّعِيمِ بَوَجْهِهِ

وله من أخرى يندب الشباب ، ويتوجع لوفاة الإخوان والأتراب :

أَلَا عَرَسَ الْإِخْوَانَ فِي سَاحَةِ الْبَلِي فَمَا رَفَعُوا غَيْرَ الْقُبُورِ قِيَابَا
 فَدَمَعٌ كَمَا سَحَّ الْغَمَامُ وَلَوْعَةٌ كَمَا ضَرَبَتْ رِيحُ الشَّمَالِ شَهَابَا [١٥٠ ب]
 إِذَا اسْتَوْقَفْتَنِي فِي الدِّيَارِ عَشِيَّةً تَلَدَدْتُ فِيهَا جِيثَةً وَذَهَابَا
 أَكْرُ بِطَرْفِي فِي مَعَاهِدِ فِتْيَةٍ تَكَلَّمْتُهُمْ بِيضِ الْوُجُوهِ شَبَابَا
 فَطَالَ وَقُوفِي بَيْنَ وَجَدٍ وَزَفْرَةٍ أَنْادِي رَسُومًا لَا تَحِيرُ جَوَابَا
 وَأَخُو جَمِيلَ الصَّبْرِ طُورًا بِعَبْرَةٍ أَخْطُ بِهَا فِي صَفْحَتِي كِتَابَا
 [وَقَدْ دَرَسْتُ أَجْسَامَهُمْ وَدِيَارَهُمْ فَلَاحِيَتْ أَرَى الدَّارَ بَلَقَعًا
 وَحَسْبِي شَجْوًا أَنْ أَرَى الدَّارَ بَلَقَعًا خَلَاءٌ وَأَشْلَاءُ الصَّدِيقِ تَرَابَا]

[ومن شعره في الغزل وما يتعلق به

وأغيد أهدى نرجساً من محاجرٍ وثنى فأتلى سوسناً من سوائفِ

١ الديوان : حيث التقى نفس الخزامى والصبيا .

٢ الديوان : فكأنه والغيم ثوب أدكن .

٣ ط د س : السحاب .

تطلع مثلَ الرمحِ بسطةَ قامةٍ وفتكةَ ألحاظِ ولينِ معاطفِ
وقد ماج من عطفيه ماءٌ شبيبةٌ تعبٌ ولا أمواجَ غيرُ الروادفِ
فقبَّلَ طرفي في محيائه مبسماً شنيباً ومن صدغيه لُعنسَ مراشفِ

وقال :

ما للعدارِ وكان وجهك قبيلةً قد خطَّ فيه من الدجى محرابا
فإذا الشبابُ وكان ليس بجاشعٍ قد خرَّ فيه راعماً وأنابا
فكأنَّ وجهك وهو يخبو نورهٌ لم تلمحُ منه العيونُ شهابا
ولقد علمتُ بكونِ ثغرك بارقاً أن سوف يُزجى للعدارِ سحابا
وأقاحةٌ غازلتها نفاحةٌ في فرعِ إسحلةٍ تميدُ شهابا
وضحتُ سوائفُ جيدها سوسانةً وتوردتُ أطرافها عنابا
بيضاءُ فاض الحسنُ ماءً فوقها وطفقا بها الدرُّ النفيسُ حبابا
غازلتها ليلاً وقد طلعتُ به شمساً وقد رقَّ الشرابُ شرابا
وترنمتُ حتى سمعتُ حمامةً حتى إذا حسرتُ زجرتُ غرابا
بين النجومِ قلادةً تحت الظللا م غمامةً خلفَ الصباحِ نقابا]

وله من أخرى يصف منزهاً :

يا رُبَّ وضحِ الجبينِ كأنما رسمُ العذارِ بصفحتيه كتابُ
تُغرى بطلعته العيونُ ملاحهً وتبيتُ تعشقُ عقله الألبابُ
خُلعتُ عليه من الصباحِ غلالةٌ تندی ومن شفقِ المساءِ نقابُ
فكرعتُ من ماء الصبأ في منهل قد شفَّ^١ عنه من القميصِ سرابُ
في حيث للريحِ الرُخاءِ تنفَسُ أريجُ وللماءِ الفُراتِ عبابُ

١ د ط س : رق .

[ومنها] :

وَلَرُبَّ غَضٍّ الْجِسْمِ مَرَّ يَخُوضُهُ ١
ولقد أنختُ بِشَاطِئِهِ يَهْزِي
وعبرتُ دِجَلَتَهُ يُضَاحِكُنِي بِهَا
تُجَلِي مِنَ الدُّنْيَا عَرُوسٌ بَيْنَنَا
ثمَّ ارْتَحَلْتُ وَالنَّهَارِ ذُوَابَةٌ ٢
تلوي معاطِفي الصَّبَابَةِ وَالصَّبَا

سَبَحًا كَمَا شَقَّ السَّمَاءَ شَهَابٌ
طَرَبًا شَبَابٌ رَاقِيٌّ وَشَرَابٌ
فَرَحًا حَبِيبٌ شَاقِيٌّ وَحَبَابٌ
حَسَنًا تُرْشَفُ وَالْمُدَامُ رُضَابٌ
شِيَاءٌ تُخْضَبُ وَالظَّلَامُ ٣ خِيَابٌ
وَاللَّيْلُ دُونَ الْكَاشِحِينَ حِجَابٌ

وقال :

مَرَّ بِنَا وَهُوَ بَدْرٌ تِمَّ
[قد سال في صفحته ماءً]
بِقَامَةٍ تَنْشِي قَضِيبًا
[كأنه موجة تهادي]
تَقْرَأُ وَاللَّيْلُ مُدْلِهِمَّ
وَرُبَّ لَيْلٍ سَهَرَتْ ٤ فِيهِ
حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ مَالُ سُكْرًا
وَحَامَ مِنْ سُدْفَةِ غُرَابٍ
أَزْدَدْتُ مِنْ لَوْعِي خَبَالًا

يَسْحَبُ مِنْ ذَيْلِهِ سَحَابًا
يَعُودُ مِنْ خَجَلَتِهِ شَرَابًا [١]
وَعَرَّةٌ تَلْتَطِي شَهَابًا
تَلْبَسُ مِنْ وَشِيهِ حَبَابًا [٢]
لِنُورِ أَخْلَاقِهِ ٣ كِتَابًا
أَزْجَرُ مِنْ جُنْحِهِ غُرَابًا
وَشَقَّ سِرْبَالَهُ وَجَابًا
طَالَتْ بِهِ سَنَةٌ فَشَابًا
فَجِثْتُ مِنْ غُلَّتِي سِرَابًا ٥ [١٥١ أ]

١ ب م : مد لحوضه .

٢ ب م : والنهار .

٣ م ب : اجلائه .

٤ م ب : شهدت .

٥ م : شراباً .

قد شب في وجهه شعاع
 [فلت من نعمة شقاء^١
 وما خطا قادمًا فوافي
 حتى انثى ناكصًا فأبا
 وبين جفني^٢ بحر شوق
 يعب في وجني عبابا
 وروضة طلقة جنيبًا^٣
 غناء مخضرة جنابا
 ينجاب عن نورها كمام^٤
 تنحط عن وجه نقابا
 بات بها مبسم الأقاحي
 يرشف من ظلها رضابا
 ومن خفوق البروق فيها
 ألوية حمرت خضابا
 كأنها أنمل وراذ^٥
 تحصره قطر الحيا حسابا

هذا أحسن من قول التميمي :

كأن تألقه في السما يدا حاسب أو يدا كاتب

وقوله : « يرشف من ظلها رضابا » كقول أبي محمد الصقلي^٦ :

من قبل أن ترشف شمس الضحى ريق الغواصي من ثغور الأقاح

وله من أخرى :

يا رب بدر زارني منه الهلال وقد تلتئم

١ لم يرد في س .

٢ د : جنبي .

٣ ب م : حياء .

٤ ب م : جفون .

٥ ب م : مخضر .

٦ انظر ديوان ابن حمديس : ٨٩ .

فرشفتُ فاهُ في اللثا
 وكأنه درّ تحللَ
 وشت الملاحهُ وجهه
 فقرأتُ سطرَ زمرُدِ
 وكانَ جوهرَ لفظه
 وكانَ لؤلؤَ ثغره
 مِ أظننهُ كأساً تقدم
 في شعاعٍ قد تجسم
 وجرى العذارُ به فأعلم
 فيه بمسكِ الحالِ مُعجم
 نَظُمُ بفيهِ إذا تبسم
 نثرُ بفيه إذا تكلم

بيناه الأولان منها أخذهما^١ من قول الرضي لفظاً بلفظ ومعنى بمعنى

ولما وقفنا بالسراة غدِيَّةً
 وتلم مرتاباً بفضلِ ردايه
 وقبلته فوق اللثامِ فقال لي
 وقال :
 وقوفاً لتوديع وردٍ سلامِ
 فقلتُ هلالٌ بسعد بدر تمام
 هيَ الخمرُ إلاّ أنها بفيديام

يا بانةً تهتزُّ فينانة^٢
 كم دمع عينِ بك قد أجريت
 لله أعطافك من خوطة
 علكتُ طرفاً فاتناً فاتراً^٣
 ونابلاً مستوطناً بابلاً
 كنى فسمى قوسه حاجباً
 إذا رنا يجرحي طرفه
 وروضةً تنفخُ معطارا
 وقلب صب فيك قد طارا
 وحبذا نورك نوّارا
 فيك وغيراً منك غرّارا
 نفاثَ لحظِ العينِ سحّارا
 رمزاً وسمى النيلَ أشفارا
 لحظتهُ أجرحهُ ثارا

١ م ب ط د س : أحدهما .
 ٢ م ط س : فنانة .
 ٣ ب م : فاطراً .
 ٤ ط د : فإن رمى .

فيصبغ الدرّ عقيقاً به وأصبغ النواراً أزهاراً
 [في خده^٢ من يدع الحسن ما يقيم للعشاق أعداراً]
 ينشر من صفحته رقعةً ويدمج الأصداع أسطارا
 من ياق من لاجع وجد به ربحاً فقد لاقيت إصصارا
 يُدير للأعين من وجهه كعبة حُسن حيثما دارا
 فلي به عين مجوسيةً تعبّد من وجته ناراً
 [قد طبع الحسن به درهماً تسبك^٣ منه العين ديناراً]
 كأنما قد خطت بالمسك في خديه للعدال أعداراً]
 وهذا كقول محمد بن هاني :

سفة^٤ تزيّدا بعضها في بعضها حتى غدا التوريد فيها^٥ ملهبا

وقال عبد الجليل المرسي : [١٥١ ب]

بقلب كحرباه الظهيرة [ترمي^٦] إلى^٧ الشمس من ذلك الشعاع تدورُ

وقال ابن خفاجة :

رحلتُ عنكم^٥ ولي فؤاد^٦ تنقّض^٧ أضلاعه^٨ حيننا

١ ط د س : الأنوار .

٢ الدوار : وجه به .

٣ ط : تسبك .

٤ ط د س : تزندق .

٥ ب م : فيه .

٦ د : دائماً .

٧ ب م : ترمي .

أجودُ فيكم° بعلقِ دَمْعٍ كنتُ به قَبْلَكُمُ ضنينَا
يثورُ في وَجْتِي جِيشًا^١ وكان في جَفْنِهِ كمينَا
كأنتي بَعْدَكُمُ شِمَالٌ^٢ قد فارقَت منكمُ يَمِينَا

وهذا البيت من قول ابن المعتز ، ولكنه محا بشره ، وأبطل سحره ، وأنشد
البيتين ليحسن حالهما ، ويروق اتصالهما :

أقيمُ وترحلُ ذالاً يكونُ لئن صحَّ هذا ستمسى عيونُ
ولإني وإياك مثلُ اليدين ولكن لك الفضلُ أنت اليمين

وقال :

وليلةٌ طَلَقَتْ قَضْبِي من مَوْعِدٍ بِاللِقَاءِ دَيْنَا
بتنا نَجْرُ الدُّيُولِ فِيهَا^٢ وَالْحَمْرُ تَمْشِي بنا الهَوَيْنَا
[يُدِيرُ أَجْفَانَ مُسْتَمِيتِ يُوسِعُ كُلَّ الْأَنَامِ حِينَا]
كَالسَيْفِ تَلْقَى الْغَرَارَ عَضْبًا يَمْضِي وتلقى المعجسَ لِينَا
أُرْسِلُ فِي رَوْضِ وَجْنْتِيهِ لَحْظَةً عَيْنٍ تَقْفِضُ عَيْنَا
كَأَنَّمَا اللَّحْظُ كِيمِيَاءٌ^٣ تَذْهَبُ^٣ من وَجْهِهِ لُجَيْنَا
وما توهمتُ أنَّ طَرْفًا يَقْلِبُ عَيْنَ اللَّجِينِ^٤ عَيْنَا

وقال يستقصر بعض إخوانه وقد كلفه حاجة فمطله بقضائها :

أدعو فلا تُلوي وأنت قريبُ وأشكو فلا تُشكي وأنت طيبُ

- ١ م ب : حسناً .
- ٢ ط د : تيهياً .
- ٣ م ب : تذيب .
- ٤ م ب : المحب .

وما كنت أخشى أن أراني ضاحياً
وهل يستجيزُ المجدُ أن أشكي الصدى
وكيف بمطالوبي إذا شطت النوى
فهل شيب من تلك المصافاة مشرع
سلامٌ على عهدِ الوفاءِ مؤدعاً
سلامٌ له فوقَ المحاجرِ بِلثة
وقد كان يسري والتنايف بيننا
وتفتت من بشرٍ هنالك زهرة
وأثلُّك مطلولُ الفروعِ رطيب
وأنت رشاءٌ مُحصدٌ وقلب
وقد صمَّ من قُربِ فليس يجيب
وهيلَ على ذلك الإخاءِ كئيب
سلام فراقٍ ما أقام عسيب
وطوراً بأحناءِ الضلوعِ لهيب
فتندى به ريحٌ وينفح طيب
ويهو له من معظي قضيبي [١٥٢]

وقال يتنزل في أمة صفراء^٢ تسمى عقراء :

أرقتُ لذكرى منزلٍ شطاً نازح
فقلتُ لبرقٍ يصعدُ الليلَ لائح^١
وبلغَ قطينَ الدارِ أني أحبهم
وأقرىءُ عفرَاءَ السلامِ وقُلْ لها
وهل يتشتى ذلك الغصنُ نصرَةً
ومن لي بذاك الخشفِ من متقنص
ودونَ الصبا إحدى وخمسونَ حجة^٣
فيا ليت طيرَ السعدِ يستنحُ بالمئى
ويا ليتني كنتُ ابنَ عشرٍ وأربع^٤

كلفت^٣ بأنفاسِ الشمالِ له شماً
ألا حي عني ذلك الربعُ والرَّسما
على النَّأيِ حبباً لو جزوني به جمماً
ألا هل أرى ذلك السها قمرأ تمماً
يجرعا وهل ألوي معاطفه ضمماً
فأكله عَضاً وأشربه لثماً
كأني وقد وكتُ أريتُ بها حلماً
فأحظى بها سهماً وأبأى بها قسماً
فلم أدعها بنتاً ولم تدعني عمماً

١ ب م : نشر .

٢ الديوان : سفيرة .

٣ ب م : الفت .

٤ الديوان : لامح .

وقال في لزوم ما لا يلزم :

ونَشَوَانٌ غَنَّتَهُ حَمَامَةٌ أَيْكَةٌ
فَهَبَّ وَرِيحُ الْفَجْرِ عَاطِرَةٌ الْجَنَى
وطاف بها والليلُ قد رثَّ بردهُ
وأصغى إلى لحنٍ فصيحٍ يهزهُ
تهشُّ إليه النفسُ حتى كأنهُ
على حين طرف النجم قد همَّ أن يكرى
لطيقة مسَّ البردِ طيبةُ المسرى
وللصبح في أخرى الدُّجى منكبٌ يعرى
كما هزَّ نَشْرُ الرِّيحِ رِيحَانَةٌ سَكْرَى
على كبدٍ نَعْمَى وفي أذنٍ بُشْرَى

ومن شعره في أوصاف شتى

يا مادِحَ البحرِ وهوَ يَجْهَلُهُ
مَهْلًا فَإِنِّي خَبَرْتُهُ عِلْمًا
فأيدُهُ مِثْلُ قَعْرِهِ بَعْدًا
وَرِزْقُهُ مِثْلُ مَا بِهِ طَعْمًا

وقال :

لَتَيْنِ كُنَّا رَكِبْنَاهَا ضَلَالًا
فَأَخْرَجْنَا عَلَى^٢ الْمَرْغُوبِ مِنْهَا
فيا لله إنا نائِبُونَ
فإنَّ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ

وقال :

كَمْ تُمَلَأُ الْعَيْنُ مِنْ فِذَاهَا
بَحْرٌ وَنَوْءٌ^٣ وَطُولٌ هَمٌّ
فلو يَدُ الْمَرْءِ وَهِيَ مِنْهُ
وتشتكي النفسُ من أذاها
ثلاثةُ أَطْبَقَتْ دُجَاهَا [١٥٢ ب]

وقال في وصف عارض برَد :

١ ب م : نسر .

٢ م ب : عن .

٣ ب م : وبعد .

ألا مسخ^١ الله القطارَ حجارةً
 وكانت سماءُ الله لا تمطرُ الحصى
 لياليَ كُنّا لا نطيشُ حُلُومًا
 فلما تحوّلنا عفاريتَ شيرةٍ
 تصوبُ علينا والغمامَ غُموماً^٢
 تحوّلَ شُبوبُ الغمامِ رجوماً

وقال من قصيدة :

هل أنتَ ذاكِـرُ عيشةٍ سَلَفَتْ نَلْدُ بها وننعمُ
 أيامَ عِقْدِ الشَّمْلِ مُنْتَظِمٍ^٣ وَحَبْلِ الوَصْلِ مُبْرَمٍ
 ما بينَ غُصْنِ نَضَارَةٍ أُنِقِ وَبَدْرِ مَسْلَاحَةٍ تم
 يغدو^٤ وكافورُ الجبينِ نَدِيٍّ وَمِسْكِ الشَّعْرِ أَسْحَمِ
 [إن لم يكنْ آسُ العِدَارِ بدا بِرَوْضَتِيهِ فَقَدْ هَمَّ]
 طُنْفَا بِكِعْبَةِ فِتْنَةٍ^٥ منه لنا من فِيهِ زَمَزَمُ
 وَإِلَيْكِهِمَا أَحْجِيَّةُ^٦ رَمَزَ القَرِيضِ^٧ بها فَجَمَجَمُ
 ما سافِحُ^٨ العَبْرَاتِ لم يَحْزَنُ ونضوُ لم يُتَمِّمِ
 يفري^٩ ولا يدري وبعه لم بالأُمُورِ وليس يَعْلَمِ
 تَلْفِي سِنَانٍ^{١٠} رَيْبَةٍ مِنْ صَدْرِهِ وَلِسانِ أَكْثَمِ
 إنْ طارَ بَارِقُهُ دجا وَجَنهُ الصَّبَاحِ بِهِ وَغَيْمِ
 يمشي وَلَا قَدَمٌ تُقِيلُ وما مشى إِلَّا تَكَلَّمَ

١ م : سيج .

٢ م ب : غُموماً .

٣ م ب : نغدو .

٤ م ب : فنية .

٥ م ب : سائح .

٦ م ب : يفري ؛ وهامش م : يفري .

٧ م ب : لسان .

وتراهُ سادِسَ خَمْسَةَ يُفصِحَنَ قولاً وهو أبكم
في حيثُ لا أذنُ تَعِي قولاً ولا هوَ فاغِرٌ فَم

ومن أجود ما قيل في صفة القلم قول أبي تمام^١ :

فصيحٌ إذا استنطقتهُ وهو راكبٌ وأعجمٌ إن خاطبته وهو نازلٌ^٢
إذا ما امتطى الخمسَ اللطافَ وأفرغتْ عليه شعابُ الفكر وهي حوافل
أطاعته أطرافُ القنا وتقوّضتْ^٣ لنجواهُ تقويضَ الخيامِ الجحافلِ
إذا استغزَرَ الذهنَ الذكيَّ وأقبلتْ أعاليه في القرطاس وهي أسافل
وقد رَفَدَتَهُ الخنصرانِ وسدَدَتْ ثلاثَ نواحيه الثلاثُ الأنامل
رأيتَ جليلاً شأنهُ وهو مرهفٌ ضنيٌّ وسميناً خطبُهُ وهو ناحل

وقال ابن المعتز [فيه] ^٤ :

ولطيفِ المعنى جليلٌ^٥ نحيفٌ وكبير الأفعال^٦ وهو صغيرٌ
كم منايا وكم عطايا وكم حة في وعيشٍ^٧ تضمّ تلك السطور

وقال ابن الرومي^٨ [١٥٣ أ] :

- ١ ديوان أبي تمام ٣ : ١٢٣٤ .
- ٢ الديوان : راجل .
- ٣ د ط : أطراف الرماح وقوضت .
- ٤ ديوان ابن المعتز ٤ : ٩٠ وزهر الآداب : ٤٣٠ .
- ٥ الديوان : وجيليل المعنى لطيف .
- ٦ الديوان : الفعال .
- ٧ الديوان : وكم عيش وحنف .
- ٨ ديوان ابن الرومي ١ : ١٦٦ (١ : ١٩٣ تحقيق د. نصار) وزهر الآداب : ٤٣٢ .

لعمرك ما السيفُ سيفُ الكرمِ بيّ بأخوفَ من قلمِ الكاتبِ
له شاهدٌ ان تسألمتهُ ظهرت على سرّه الغائبِ
أداةُ المنية في جانبيه فمن مثله رهبةُ الراهبِ
سنانُ المنية في جانب وحدٌ^١ المنية في جانب

وقال محمد بن أحمد الاصبهاني^٢ :

أخرسُ يتبنيك بإطراقه عن كلِّ ما شئت من الأمرِ
يُنذري على قرطاسه دمةً يُبدي بها السرَّ وما يدري
كعاشقٍ أخفى هواه وقد نمتّ عليه دمةً تجري
تبصره في كلِّ أحواله عُرِّيان يكسو الناسَ أو يُعري
يُسرّي أسيراً في دواةٍ وقد أطلقَ أقواماً من الأسرِ

وقال أحمد بن جدار^٣ :

أهيفُ ممشوقٌ بتحريكه يحلُّ عقد السرِّ إعلانُ
له لسانٌ مرهفٌ حدّه من ريقة الكُرسفِ عريان
ترى بعينِ الفكرِ في نظمه شخصاً له حدٌّ وجثمان
كأنما يسحبُ في إثره ذيلاً من الحكمة سحبان
لولاه ما قام منارُ الهدى ولا سما بالملك ديوان

حدث أبو عمر محمد بن عبد الواحد [الزاهد] قال : كنتُ جالساً

١ الديوان : وسيف .

٢ وردت الأبيات في زهر الآداب : ٢٣ ، والثلاثة الأولى في محاضرات الراغب ١ : ١١٣ .

٣ زهر الآداب : ٤٣٣ . ٤ ب م : يرى بسيط .

في مجلس ثعلب إذ وقف عليه غلام بدويّ فقال : أسألك أيها الشيخ ؟ قال :
قل ، فقال :

وعريانَ من حُلَّةٍ مكنسٍ يمسُّ من الوشي في يتلمَّقِ
فأطرق ثعلب ، فقال الغلام :

يغوصُّ في البحر مستأنساً فلم يرَ بؤساً ولم يغرق
فقال ثعلب : [هذا سرطان ، فقال الغلام :

يلوح للشمس وسَطَ المهجير فما لوحتَه ولم يتعرقِ
فقال ثعلب] : هذا شيطان ، فقال الغلام :

إذا أنت متشيتَه في الركوبِ أذاك عَجُولاً ولم يُعنعقِ
فقال ثعلب : هذا فرس ، فقال الغلام :

أقام بغربيّ غورِ العسراقِ يسنهَى ويأهَرُ بالمشرقِ
فأمسك ثعلب ، فقال الغلام :

يسوقُ إلى المطبقِ الناكثين ومثواهُ في خندَقِ المطبقِ

فقال ثعلب : هذا قلم ، وما سمعنا في صفته بأحسن من هذا [١٥٣ ب]

[وقال ابن خفاجة ملغزاً :

وخطيبِ قومٍ قام يخطبُ فيهمُ أبدأً مع الإصباح والإمساءِ
حملت عليه تنالُ متسه لثيمةٌ فأجابها عنه أخو الخنساءِ [

وقال أيضاً ملغزاً :

يا راکضاً في شَوَاطِئِ كُلِّ فَضِيلَةٍ^١ .
 مُشَيِّتَةً^٢ تَنْدَى حَوَاشِي لَفْظِيهِ
 ما حَامِلٌ خَطِطَةَ الْمَهَانَةِ نَحَامِلٌ^٣
 مُتَعَذِّبٌ ما زال يَتَضَرَّبُ يَوْمَهُ^٤
 ولربما نَحَلَ الْأَعْزَةَ نَحْوَةً^٥
 ما إن يَسِيرُ^٦ مَعَ الصَّبَاحِ لِشَأْنِهِ^٥
 وقال^٦ :

وَأَقْبَبَ وَرَدِيَّ الْقَمِيمِ بِمِثْلِهِ
 يَمْشِي الْعَرِضَةَ فِي الطَّرِيقِ كَأَنَّهُ^٧
 فَبدا وقد مَلَأَ النَّفْسَ مَسْرَةً^٧
 مُتَخَطِّفٌ ما شاءهُ مُتَعَطِّفٌ^٨
 ولرُبَّ يَوْمٍ كَرِيهَةٍ قَدْ خَاضَهُ
 وَمِنَ الْحَمِيمِ بِيذْفَرْتِيهِ فِضَّةٌ^٨
 وَالشَّهْبُ شُهْبٌ وَالْعِجَاجَةُ سُدْفَةٌ^٨
 وَالْحَرْبُ رَوْضٌ فِيهِ مِنْ خِرْصَانِيهَا
 خِيضَ الظَّلَامِ وَرَبِعَتِ الظَّلْمَانُ^٩
 أَوْمى لِجَذْبِ^٩ عَنَانِهِ نَشْوَانُ
 وَجَرى فَمَا مَلِسَتْ بِهِ الْأَجْفَانُ
 فَكَأْتَمَا هُوَ فِي الْعِيَانِ^٩ عِنَانُ
 سَبْحاً وَبَيْضُ سَيْوْفِهِ غُدْرَانُ
 وَمِنَ النَّجِيعِ بِصَدْرِهِ عِيقِيَانُ
 [وَالشَّقْرُ] جَمْرٌ وَالْقَتَامُ دُخَانُ
 زَهْرٌ وَمِنَ سُمْرِ الْقَنَا أَعْصَانُ

١ الدروان : سيادة .

٢ ب م : مستيقظاً .

٣ ب م : ويخفق . . . إحنافاً ؛ ط د س : ويخفق . . . إحنافاً .

٤ ط د س : يقوم .

٥ ب م : بشأنه .

٦ س : دجع وقال ابن خفاجة .

٧ ط د : يعذب .

٨ ب م : العشان .

ركبوا الجياد إلى الجلال وأوجفوا
فكأنهم^١ من فوقها أسدُ الشرى

حتى كأنَّ وجيفهم طيران
وكأنَّها من تحتهم عقبان

وقال :

كفى حزناً أن الديار قصيبة^١
ولا رسل^٢ إلا الرياح عشيبة^٢
فأستودعُ الرياحَ الشمالَ تحية^٣
وحسبي شجواً أن لي فيك أضلعاً
وطرفاً فريحاً صام فيك عن^٣ الكرى
وما الدهرُ إلا صَفحةٌ بك طلقة^٤
[فما أنسه لا أنسَ ليلاً على الحمى
وزار به نجمَ السرى^٤ قمرُ الدجى
إذا ما هداني فيه بارقُ مبسم^٥
ولي نظر^٦ يرتدُّ فيك صباية^٥
فجاد الحمى غادٍ من المزن راتح
وسارية^٦ دهماً جاد بها السرى^٧

فلا زورَ إلا أن يكونَ خيالا
تتكرُّ جنوباً بيننا وشمالا
وأستنشقُ الرياحُ الجنوبَ سؤالا
حراراً وأرداناً عليك خيضالا
ولا فيطرَ إلا أن تلوحَ هلالا
لثمتُ بهامن ليلٍ وصلك خالا [١٥٤أ]
وقد راق أوضاحاً ورقاً جمالا [١٥٤أ]
فباتا^٥ بحالِ الفرقدينِ وصالا
أجنَ دُجى فرعٍ فحرتُ ضلالا
وقد فاضَ ماءُ الشوقِ فيه وجالا
تهاداه^٥ أعناقَ الرياحِ كلالا
فشبَّ لها البرقُ المنيرُ ذُبالا

١ ب م : وكأنهم .

٢ م ب : بالرياح ؛ الديوان : ولا رسل إلا للرياح .

٣ م ب ط د س : من .

٤ الديوان : السهى .

٥ ط د : وباتا ؛ س : وفاتا .

٦ م ب : نفس .

٧ ط د س والديوان : الدجى .

[فله ما أشجى الحمامة غدوة^١ وقد جاذبت ریح الصبا غصن النقا
وأيقظ برود^٢ الصبح جفن عرارة^٣]
هناك وما أندی الأراك ظلالات
فماد على ردف الكئيب ومالا
ترقرق دمع الطل فيه فسالا

وقال أيضاً :

فيا لشجا صدر من الصبر فارغ^٤ ونفس إلى جو الكنيسة صبة^٥
تعوضت من واهأ باه ومن هوى^٥ وما كل بيضاء ترؤق بشحمة^٥
فيا ليت شعري هل لدهري عطفة^٥ ميادين أوطاري ومعهد^٥ للذاتي^٥
كان لم يصلني فيه ظبي يقوم لي فسقياً لوادهم وإن كنت إنما^٥
وكم يوم هو قد أدنا بأفقه^٥ وللنضب^٥ والأطيار ملهى^٥ بجزعه^٥
ويا لقلدي طرف من الدمع ملان^٥ وقلب إلى أفق الجزيرة حنان^٥
بهون ومن إخوان صدق بخوان^٥ ولا كل مرعى ترتعیه بسعدان^٥
فتجمع أوطاري علي أوطاني^٥ ومنشأ تيامي وملعب غزلاني^٥
لماه^٥ وصدغاه^٥ براح^٥ ورمان^٥ أبيت^٥ لذكراه^٥ بغلطة^٥ ظمان^٥
نجوم^٥ كؤوس^٥ بين أقمار^٥ ندمان^٥ فما شئت من رقص على رجع^٥ الحان^٥

ومنها :

وبالحضرة الغراء غير علقته^٥ فأحببت حباً فيه قضبان^٥ نعمان^٥

١ م ب : جفن .

٢ م ب : ولذة التي .

٣ م ب : براحي .

٤ ط د س : فكم .

٥ م ب : وللنضب .

رَفِيقُ الحِوَاثِي فِي محاسنِ وَجْهِهِ
 أَغَارُ الحَدِيدِ عَلَى الوَرْدِ كَلِّمَا
 وَهَبْنِي أَجْنِي وَرَدَّ خَدَّ بِنَاظِرِي ١
 يُعَلِّلَنِي مِنْهُ بِمَوْعِدِ رَشْفَةِ
 حَبِيبٍ عَلَيْهِ لُجَّةٌ مِنْ صَوَارِمِ
 تَرَاعَتَ لَنَا فِي مِثْلِ صَوْرَةِ يَوْسُفِ
 طَوَى بَرْدُهُ مِنْهُ صَحِيفَةَ فَتْنَةٍ
 مَحَبَّتُهُ دِينِي وَمِثْوَاهُ كَعْبَتِي

وله من أخرى في الاعتبار :

وَعَيْشُكَ مَا أَدْرِي ٣ أَهْوَجُ الجَنَائِبِ
 فَمَا لُحْتُ فِي أَوْلَى المِشَارِقِ كَرَكِبًا
 وَحِيدًا تَهَادَانِي الفِيَا فِي فَتَا جَتَلِي
 وَلَا جَارَ إِلَّا مِنْ حُسَامٍ مُصَحَّمِ
 وَلَا أَنْسَ إِلَّا أَنْ أَضَاحِكَ سَاعَةً
 بَلِيلٍ إِذَا مَا قَلْتُ قَدْ بَادَ فَا نَقَضِي
 سَحَبْتُ الدِّيَا جِي فِيهِ سَوْدَ ذَوَائِبِ
 فَمَزَقْتُ جَيْبَ اللَّيْلِ عَنِ شَخْصِ أَطْلَسِ
 رَأَيْتُ بِهِ قِطْعًا مِنَ الفَجْرِ أَغْبَشًا

١ س والديوان : يجي ورد خديه ناظري .

٢ ط د س والديوان : فمن لقمي .

٣ س والديوان : بعيشك هل تدري .

٤ ب م : فأشرق .

وأرعنَ طمّاحِ الذُّؤابَةِ باذِخِ
يَسدُّ مَهَبَ الرِّيحِ عن كلِّ وَجْهَةٍ
وَقورٍ على ظَهْرِ الفِلاةِ كأنَّهُ
يلوٲُ عليه الغيمُ^١ سودَ عَمائمٍ
أصخَّتْ إليه وهُوَ أخرسُ صامتٌ
وقال ألا كم كنتُ متلجأً فأنك
وكم مرَّ بي من مدلجٍ ومؤوبٍ
ولاطمَ من نكبِ الرِّياحِ معاطفي
وكم سفرت لي من شمسٍ وأقمر
فما كان^٢ إلا أن طوتهم يدُ الرّدى
فما خفقُ أبكي^٣ غير رجفة أضلع^٤
وما غيٲضُ السلوانُ دمعي وإنما
فحتى متى أبقي ويظعنُ صاحبُ
وحتى متى أرعى الكواكبَ ساهراً
فرحماك يا مرلاي دعوة ضارعٍ
فأسمعي من وعظه كلَّ عبّرةٍ
فسلّني بما أبكى وسرّى بما شجّأ
وقلتُ وقد نكبتُ عنه لطيةٍ

يُطاولُ أعنانَ السّماءِ بغاربٍ
ويزحمُ ليلاً شُهيبهً بالمناكبِ
طوالَ اللَّياليِ، سَطْرِقُ في العواقبِ
لها من وميضِ البرقِ حمراً ذوائبِ
فحدّثني ليلَ السّرى بالعجائبِ
وموطينَ أوّاهِ تبتلّ ثابتِ
وقالَ بظلّي من مطيِّ وراكبِ
وزاحمَ من نخضرِ البحارِ جوانبي
وباتت تراءى^٥ من عيونِ كواكبِ
وطارت بهم ريحُ النوى والنوابِ [١٥٥أ]
ولا نوحُ ورقي غير صرخةٍ نادبِ
نزفتُ دموعي في فراقِ الأصاحبِ
أودعُ منه راحلاً غير آيبِ
فمن طالعٍ أخرى اللَّياليِ وغاربِ
يمدُّ إلى نُعمالكَ راحةً راغبِ
يترجمها عنه لسانُ التّجارِبِ
وكان على ليلِ السّرى خير صاحبِ
سلامٍ فإنّا من مُقيمٍ وذاهبِ

١ ب م : الأول .

٢ ط : تراني .

٣ م ب : ما هو .

٤ ب م : فما كان طيري .

٥ م : أسلمي .

وقال في إهداء مُهر بهيم أدهم :

تَقْبَلِ المُهْرَ من أختي ثقةٍ
مُشْتَمِلاً بِالظَّلَامِ من شَيْتَةٍ
مُتَسَبِّباً لَوْنُهُ وَغَرَّتَهُ
تَحْسِبُهُ مِن عَمَلِكِ مُسْتَرْقِياً
حَنّاً إلى راحة تَفِيضُ نَدَى
تَرى به والنَّشَاطُ يُلْهَبُهُ
أَحْمى من النَّجْمِ يومَ معركةٍ
أَسْوَدٌ وَأَبْيَضٌ فِعْلُهُ كَرَمًا
كَأَنَّهُ وَالنَّفُوسُ تَعَشَّقُهُ
فَارْدَدَ سَنَا بَهْجَتِهِ بِدُهُمَّتِهِ
وَمِثْلُ شُكْرِي عَلَيَّ تَقْبَلِيهِ

وقال أيضاً من أخرى :

وليلٍ تَعَاظِينَا المُدَامَ وَبَيْنَنَا
نُعَاوِدُهُ وَالكَأْسُ تَعْبَقُ نَفْحَةَ ١
وَنَقْلِي أَقَاحُ الثَّغْرِ أَوْ سَوْسَنُ الطَّلِي
إلى أن سَرَّتْ في جِسْمِهِ الكَاسُ ٣ وَالكَرَى
فَأَقْبَلْتُ أَسْتَهْدِي لَمَّا بَيْنَ أَضْلَعِي
حديث كما هبَّ النسيمُ عن الوَرْدِ
وأطيبُ مِنْهَا ما نُعِيدُ وما نُبْدي ٢
ونرجسةُ الأَجْفَانِ أَوْ وَرْدَةُ الخَدِّ
ومالا بعظفِيهِ فَمَالَ عَلَيَّ عَضْدِي
من الحرِّ ما بَيْنَ الثَّنَايَا من البَرْدِ

١ الديوان : مسكة .

٢ ط د س : ما تعيد وما تبدي .

٣ الديوان : الراح .

وعانقته^١ قد سل^٢ من وشي برده^١
 لِيَانِ مَجْسِسٍ وَاسْتِقَامَةً قَامَةً
 أَغْزَلُ مِنْهُ الْغَصْنَ فِي مَغْرَسِ النِّقَا
 فَإِنْ لَمْ يَنْكُنْهَا أَوْ تَكُنْهُ فَإِنَّهُ
 تُسَافِرُ كَمَا رَاحِيَّ بِجِسْمِهِ
 فَتَهْبِطُ مِنْ كَشْحِيهِ كَفَّ^٣ تَهَامَةً
 وَإِنِّي وَقَدْ فَارَقْتَهُ لِمَقْبَلِ

وقال :

وَرِدَاءٍ لَيْلٍ بَاتَ فِيهِ مُعَانِقِي
 فَجَسَمْتُ بَيْنَ رُضَابِهِ وَشِرَابِهِ
 وَلَثَمْتُ فِي ظُلْمَاءِ لَيْلَةٍ وَفِرَةٍ
 [ثُمَّ اسْتَمَرَّ كَلِمَحَةٌ مِنْ بَارِقِ
 وَاللَّيْلِ مُشْمَطِ الذُّؤَابَةِ كَبِيرَةٍ
 ثُمَّ انْتَفَى وَالصُّبْحُ يَسْحَبُ فِرْعَةَ
 تَتَدَايَ فِيهِ أَقْحَوَانَةٌ أُجْرَعُ
 وَتَمِيسُ فِي أَثْوَابِهِ رِيحَانَةٌ

طيف^٤ أَلَمَ لِيَطْبِيئَةَ الْوَعْسَاءِ^٥
 وَشَرِبْتُ مِنْ رَيْقٍ وَمِنْ صِهْبَاءِ
 شَفَقًا هُنَاكَ لَوْجِنَةٍ حَمْرَاءِ^٦
 [أَوْ نَظْرَةً مِنْ مَقْلَةٍ حَوْرَاءِ]
 خَرَفُ يَدَيْهِ عَلَى عَصَا الْجُوزَاءِ
 وَيَجْرُ مِنْ طَرَبِ فَضُولِ رِدَاءِ
 قَدْ غَازَلَتْهَا الشَّمْسُ غَيْبَ سَمَاءِ
 كَرَعَتْ عَلَى ظَمًا بِجَدُولِ مَاءِ

١ م ب : وشي ملبس ؛ ط د : ثني برده .

٢ ط د : وألم منه .

٣ م ب : كفي .

٤ م ب : زند ؛ ط د س والديوان : زند .

٥ ط د س : طيف تأوييني مع الاسراء .

٦ ط د س : فلتمت في ظلماء ليل صغيرة شفقاً بها من وجنة حمراء

وئي د : زهراء .

نَفَّاحَةٌ الْأَنْفَاسِ إِلَّا أَتَّهَا حَذَرَ النَّوَى خَفَّاقَةَ الْأَفْيَاءِ
فَلَوَّيْتُ مِعْطِفَهَا اعْتِنَاقًا حَسْبُهَا فِيهِ بَقَطِرِ الدَّمْعِ مِنْ أُنْدَاءِ

وله جواب عن شعر تضمن صفة عنب ؛ قال :

أما وابتسامِ النَّقْعِ عن صفحةِ النَّصْلِ
لَقَدْ طَلَّتْ أَعْنَاقَ الْهَضَابِ جَلَالَةً
وَأَرْهَفَتْ مِنْ حَرِّ ٢ الْقَرِيضِ مُهْنَدًا
[وَأَبْدَعَتْ فِي تَقْرِيبِ أَيِّ قِلَادَةٍ
رَضَعْنَا لَهَا أُمَّ الْمُدَامِ عَشِيَّةً
وَأَسْوَدَ مَعْسُولِ الْمُجَاجِ ٣ لَوْ أَنَّهُ
حَكِي لَيْلَةَ الْهَجْرِ اسْوَدَادًا وَإِنَّهُ
فَلَلَهُ طَوْدٌ لِلْجِزَالَةِ رَاسِيخٌ
يُنَيْلُ عَلَى الْعَلَّاتِ بِيضَ مَكَارِمٍ
وَيَطْلَعُ مُنْهَلٌ النَّدَى مُتَهَلِّلاً
[وَيَمْضِي إِذَا كَعَّ الشُّجَاعُ ٥ مَهَابَةً]

وَرَجَعَ صَلِيلِ السَّيْفِ مِنْ مَنْطِقِ فَصْلِ
وَحَزُنَتْ بِمِيدَانِ الْعَلَا قَصَبِ الْخِصْلِ
يَسِيلُ عَلَى إِفْرِنْدِهِ رَوْنَقُ الصَّقْلِ
يَشْدُ بِهَا الْحُرُّ الْكَرِيمُ يَدَ الْبُخْلِ]
وَيَا عَجَبًا مَا لِلرِّضَاعَةِ وَالْكَهْلِ
لَمَى شَفَةَ لَمْ أَرَوْ يَوْمًا مِّنَ الْقَبْلِ
لَأَشْهَى وَأُنْدَى مِنْ جَنَى لَيْلَةِ الْوَصْلِ
عَلَى الْجِدِّ يَهْتَزُّ ارْتِيَا حَا إِلَى هَزْلِ
تُرِيكَ الْجِبَالِ الشُّمَّ فِي عَدَدِ الرَّمْلِ
[طُلُوعَ وَمِيضِ الْبَرْقِ فِي الْبَلَدِ الْمَحْلِ]
مُضِي لِسَانَ النَّارِ فِي الْخَطْبِ الْجَزْلِ [١٥٦]

وله من أخرى يشفع لأحد^٦ لإخوانه عند قاضي الجماعة ابن حمدين :

جَرَّرَ مَلَاءَةَ كَلِّ يَتَوْمٍ شَامِسٍ
وَاسْحَبَ ذُوَابَةَ كَلِّ لَيْلٍ دَامِسٍ

١ م ب : حسبنا .

٢ م ب : حد .

٣ ط : المزاج .

٤ م ب : على الهزل .

٥ د ط : السحاب .

٦ ط د س : لبعض .

واطلُع بِكُلِّ فِلاةٍ أَرْضٍ غُرَّةٌ
 وانزلُ بها ضَيْفًا لِيَلِيثُ خادِرٌ
 وإذا طَلَعَتِ فَمِنْ قَنِيصٍ فِلْدَةٌ
 والرَّيحُ تَلَوِي عِطْفَ كُلِّ أَرَاكِيَّةٍ
 وَسَلَّ الغَيْبِيُّ مِنْ ظَهْرِ طِرْفٍ أَشَقِرٍ
 وازحَمُ بِذاتِكَ شِدْقَ لَيْثٍ ضاغِمٍ
 وارغَبْ بِنَفْسِكَ عَن مَقامَةٍ فاضِلٍ
 فالخِرُّ مُفْتَقِرٌ إِلى عِزِّ الغَيْبِيِّ
 وإذا عَثُرَتْ ولا عَثُرَتْ بِجادِثٍ
 فافزَعُ إِلى قاضِي الجِماعَةِ رَهبةً
 واستسِقِ مِنْهُ إِذا ظَمِئَتْ غِمامَةٌ
 وإذا رَوَيْتَ بِماءِ ذاكِ المُجْتَلِي
 مِنْ آلِ حَمَدِينِ الأُولَى حَلِيَّتَ بِهِم
 مِنْ أَسرَةٍ نَشأوا غِمامِمْ أُرْمَةً
 مُسْتَطَلِّعِينَ إِلى الحُرُوبِ كَأَنَّمَا
 أَجروا بِمِيدانِ المِكارِمِ وَالعِلا
 وَجَنوا ثَمارَ النِّصْرِ مِنْ غَرَسِ القِنا
 فَهَمُّ لِبابِ المِجدِ نِجْدَةٌ أَنْفُسٍ
 وَهَمُّ رِياضِ الحِزَنِ نِصْرَةٌ أَوْجُهُ

[ومنها] :

سَلِيسُ الكِلامِ عَلى السَّماعِ كَأَنَّهُ سِينَةٌ تَرَفِّقُ بَينَ جَفني ناعِسي

١ ط د س : الزمان .

ما إن يُمازُ من الشَّهابِ طلاقَةً
 ترك الأعدايَ بين طرفٍ خاشعٍ
 وذكاء فهم لو تمثل صارماً
 وبَرّاعةٍ سكنت لسانَ يرّاعةٍ
 ومقامٍ أحكمٍ عادلٍ لا يزدرى
 ومجالٍ حربٍ جرّ فيه لأمةٍ
 يبطأ العدى ما بينَ نصلٍ ضاحكٍ
 في حيثُ يلعبُ بالقناةِ شهامةٍ
 فانهضُ أبا عبّدي الإلهِ بأميلٍ
 عاج الرجاءُ على علاكٍ بهِ فلم
 فاشفعْ لمُعترِبٍ^٢ رجاك على النوى
 وامتدّدْ إليه بكفٍّ جدٍّ قائمٍ
 فكلُّبٌ يومٍ قد زففت^٣ بهِ المنى

حتى تُمددَ إليه كفُّ القابسِ [١٥٦ ب]
 لا يستقبلُ وبين رأسٍ ناكسٍ
 لم يأتمنَ ظُبَيْتِيهِ عاتقُ فارسٍ
 حتكمَ البيانُ لها بحكمةٍ فارسٍ
 فيه المَعلى حُظوةً بالنّافسِ
 قد قام منها في غديرِ جاميسِ
 تحت العجاجِ ووجهِ طرفِ عابسِ
 لعبِ النُّعامي بالقَضيبِ المائسِ
 قد جاب دونك كلَّ خرقٍ طامسِ
 يُعججُ المطيِّ بِرسمِ رُبْعِ دارِسِ
 يمددُ إلى الخضرِ راحةً لامِسِ
 تجذبُ بهِ من ضبيعِ جدٍّ [جالسِ]
 وتحوّت فيه سوادَ ظنِّ البائسِ

وقال من أخرى يمدح الأمير أبا يحيى بن إبراهيم^٤ :

سمحَ الخيالُ على النوى بمزارِ والصُّبحُ يمسحُ عن جبينِ نهارِ

١ م ب : ومقال .

٢ ط د س : واشفع ؛ ب م : لمنصرف .

٣ م ب : رفعت .

٤ هو أبو بكر بن إبراهيم المعروف بابن تيفلويت ممدوح ابن باجة ، ولي غرناطة سنة ٤٩٩ فوصلها في ربيع الأول من العام التالي ، وفي رجب غادرها ، ثم ولي سرقسطة سنة ٥٠٩ وتوفي في السنة التالية (انظر ترجمته في الاحاطة ١ : ٤١٢ - ٤١٧ وصفحات متفرقة من البيان المغرب ج : ٤) .

فرفعتُ من ناري لضعيف^١ طارقٍ
 ركبَ الدُّجى أحشين^٢ بها من مركبٍ
 وأناخ حيث دموعٌ عيني منهلٌ
 وسقى فأرؤى غلّةً من ناهيلٍ
 يتلوي الضلوع من الولوعِ لخطرّةِ
 والأيئلُ قد نفضحَ الندى سيربالتِه
 مسترقبٌ رُسلَ الرياحِ عشيةً
 ومسجراً ذئبلِ غمامةٍ لبست به
 خفقتُ ظلّال^٣ الأيك فيه ذوائباً
 ولوى القضييبُ هناك جيداً أتلعاً
 باكزتهُ والغيمُ قطعةٌ عنبرٍ
 والريحُ تلطممُ فيه أرذافَ الرُبى
 ومنابرُ الأشجارِ قد قامت بها
 في فتية جنبوا العجاجةَ ليلةً
 نار القتامُ بهم دُخاناً وارتمى
 شاهدتُ من همتهم وهباتهم

يتعشو إليها من خيالٍ طار
 وطوى السرى أحسن به من سار
 يرؤى وحيث حشاي موقد نار
 أوزى بجاحتيه زئد أوار
 من شيم برق أو شميم عرار
 فأنهل دمع الطل فوق صيدار
 بمساقط الأنواء والأنوار
 وشي الحباب معاطف الأهار
 وارنج ردفا مائج التيار [١٥٧ أ]
 قد قبلته مباسم النوار
 مشبوبة والبرق لفحة نار
 لعباً وتلثم أوجه الأزهار
 خطباء مفضحة من الأطيّار
 ولربما سرفوا عن الأعمار
 زئد الحفيظة منهم بشرار
 إشراف أطواد^٧ وفيض بحار

١ م ب : لعيف .

٢ م ب : أحسن .

٣ م ب : دلال .

٤ م ب : سائل .

٥ ط د : لمحة .

٦ ط : غلبوا .

٧ ط د : أسداً وأطواداً .

مِنْ كَلِّ مُنْتَقِبٍ بوردة خجلة
 فِي عِمَّةٍ نَخَلَتْ عَلَيْهِ لِئِمَّةٍ
 ضَائِي رِءَاءِ الْمَجْدِ طَمَاحِ الْعَلَا
 جَرَّارِ أذْيَالِ الْمَعَالِي وَالْقَنَا
 طَرَدَ الْقَنِيصَ بِكُلِّ قَيْدِ طَرِيدَةٍ
 مُلْتَقِفَةٍ أَعْطَافُهُ بِحَبِيرَةٍ^٢
 يُرْمَى بِهِ الْأَمَلُ الْقَصِي فَيْنِشِي
 وَبِكُلِّ نَائِي الشَّأْوِ^٣ أَشْدَقَ أَحْزَرِ
 يَفْقَرُ عَنْ مِثْلِ النَّصَالِ وَإِنَّمَا
 مُسْتَقْرِباً أَثَرَ الْقَنِيصِ عَلَى الصَّفَا
 مِنْ كَلِّ مُسَوِّدٍ تَلَهَّبَ طَرْفُهُ
 وَمُورَسِ السَّرْبَالِ يُخْلَعُ قَيْدُهُ
 يَسْتَنُّ فِي سَطْرِ الطَّرِيقِ وَقَدْ عَفَا
 عَطَفَ الضُّمُورُ سِرَاتَهُ^٥ فَكَأَنَّهُ
 فَتَرَبَّ رَوَاحٍ هُنَالِكَ أَنْبَطَ
 يَجْرِي عَلَى حَذَرٍ فَيَجْمَعُ بِسُنْطَةٍ^٧

كَرَمًا وَمُسْتَمَلٍ بِثُوبٍ وَقَارِ
 وَذُوَابَةٍ قُفِرْتِ بِهَا لِعِدَارِ
 طَامِي عُبَابِ الْجُودِ رَحْبِ الدَّارِ
 حَامِي الْحَقِيقَةِ وَالْحِمَى وَالْجَارِ
 زَجَلِ الْجَنَاحِ مُورَدِ الْأَطْفَارِ
 مَكْحُولَةٍ أَجْفَانُهُ بِنُضَارِ
 مَخْضُوبٍ رَاعِ الظُّفْرِ وَالْمِنْقَارِ
 طَاوِي الْحَشَا حَالِي الْمُقْلَدِ ضَارِ
 يَمْشِي عَلَى مِثْلِ الْقَنَا الْخَطَارِ
 وَاللَّيْلِ مُسْتَمَلٍ بِشِمْلَةٍ قَارِ
 فَرْمَتِكَ^٤ فَحَمَمْتُهُ بِشِعْلَةٍ نَارِ
 عَنْ نَجْمِ رَجْمٍ فِي سَمَاءِ غُبَارِ
 قَدَمًا فَيَقْرَأُ أَحْرُفَ الْآثَارِ
 وَالنَّقْعُ يَحْجُبُهُ هَيْلَالُ سَرَارِ^٦
 ذَلِقَ الْمَسَامِعِ أَطْلَسَ الْأَطْمَارِ
 تَهْوِي^٧ فَيَنْعَطِفُ أَنْعَاطَ سَوَارِ [١٥٧ب]

١ ب م : بعدار .

٢ ط وهامش د : بوشيمة .

٣ م ب : الشوط .

٤ د ط س والديوان : ترميك .

٥ ط د س : شواته .

٦ ب م : هلال سار .

٧ الديوان : بسطه يهوي ؛ س : يهوي .

مُستدًّا حبل الشَّاورِ يَعْسِلُ رانغاً^١
مُتَرَدِّداً يَرْمِي بِهِ خَوْفُ الرَّدَى
وَلتُرْبٌ طَلِيئَةٌ خَفِيْفٌ قَدْ جَرَى
مِنْ كُلِّ قاصِرةٍ الخَطِيئِ مُخْتالَةٍ
مُتَخَفِضوْبَةٍ المِنْقارِ تَحْسَبُ أَنَّها
ولو اسْتَجارتَ مِنْها بِحَمِي أبي
خَدَمَ القِضاءِ مُرادَهُ فَكأنَّما
وعنا الزَّمانُ لِأَمْرِهِ فَكأنَّما
وجلا الإِمارةَ في رَفِيْفٍ نَضارَةٍ
في حَيْثُ وَشَحَّ لَبِئَةٌ بِقِلاَدَةٍ
جِذلانُ يَمْلأُ بِهَجَّةٍ^٢ وَبِشاشَةٍ
أرجَ النَدِيِّ بِذِكْرِهِ فَكأنَّه
بَطَلٌ جَرى الفِلكُ المُحيطُ بِسِرْجِهِ
بِيمِينِهِ يَوْمَ الوغَى وَشمالِهِ
والسُّمُرُ حُمُرٌ وَالجِيادُ عَوابِسُ
وَالخَيْلُ تُعْرَى في شِبا شوكِ القِنا
والبَيْضُ تُحَى في الطَّلِي فَكأنَّما
وَالنَّقْعُ يَكسُرُ مِنْ سِنا شَمْسِ الضُّحَى
صَحْبَ الحُسامِ النَّصْرَ صُحْبَةَ غِبْطَةٍ
لو أَنَّهُ أَوْحَى إِلَيْهِ بِنَظْرَةٍ

فيكاد يُفْلِتُ أَيْدِي الأَقْدارِ
كُرةً تهادها أَكْفُ قِفارِ
فشلا بِجارِ خَلْفَهُ طِيَّارِ
مَشِي الفِئْتاةِ تَجُرُّ فَضْلَ لِزارِ
كَرَعَتْ عَلى ظمأً بِكأسِ عِقارِ
يَحِي لِأَمْنِها أَعَزَّ جِوارِ
مَلَكَتْ يَدَها أَعِنَّةَ الأَقْدارِ
أَصغى الزَّمانُ بِهِ إلى أَمثارِ
جَلَّتِ الدُّجى في حِلَّةِ الأَنْوارِ
مِنْها وَحائِي مَعْصِماً بِسِوارِ
أَيْدِي العُفاةِ وَأَعينَ الرُّوارِ
مُتَنفَسٌ عَن رَوْضَةٍ مِعْطارِ
وَاسْتَلَّ صارِمَهُ يَدُ المِقْدارِ
ما شاء مِنْ نارٍ وَمِنْ إِعْصارِ
وَالجِوُّ كاسٍ وَالسُّيُوفُ عِوارِ
قَصِداً وَتَسْبِحُ في الدِّمِ المِوارِ
تُلوى عُرَى مِنْها عَلى أُرْزارِ
فَكَأَنَّهُ صِداً عَلى دِينارِ
في كَفِّ صِوَالٍ بِهِ سِوارِ
يَوماً لثارِ فِلمَ يَتَمُّ عَن ثارِ

١ د : رائغاً ، والحاشية : رابعا ؛ م : رايماً .

٢ الديوان : نفحة .

ومضى وقد ملكته هزة عزة
تحت العجاج وضحكة استبشار
وقال :

وأراكة ضربت سماءً فوقنا
نرى وأفلاك الكؤوس تدار
حفّت بدوحتها مجرة جدول
نثرت عليه نجومها الأزهار [١٥٨أ]
فكأنتها وكان جدول مائها
حسناً شداً بخصرها زنار
زف الزجاج بها عروس مدامة
تجلى ونوار الغصون نثار
في روضة جنح الدجى ظلاً^٢ بها
وتجسست نوراً بها الأنوار
غناء ينشر وشية البزأ لي
فيها ويفتق مسكه العطار
نام^٣ العبار بها وقد نضح البدى
وجه الثرى واستيقظ النوار
والماء في حلي الحباب مقلد^٤
زرّت عليه جيوبها الأشجار

وقال :

يا راكضاً، يمشي الهوينا عزة
جمعت ذؤابته ونور جبينه
هل كان عندك أن عندي لوعة
ينبو لها حدّ السنان الأزرق
طالت مراقبة الخيال ودونه
رعي الدجى فمتى أنام فنلتقي
ما بين نحر بالدموع مقلد^٥
فرحاً وجيداً بالعناق مطوق

١ م ب : وكأنها .

٢ ب م ط د : طلا .

٣ د ط : قام .

٤ الديوان : مترفاً .

٥ الديوان : طرف ؛ ب م : وخز .

وقال :

هجرتُ لبيضِ الشَّيبِ بيضَ العمائمِ
فلو كنتُ أستسقي الغمامَ لعلَّة^١
فما أرتدي إلاَّ بأحمرِّ قاني^٢
بِحيثُ يهزُّ الموتُ من أكعبِ القنا
ويُنظرُ عن طرفٍ من الرُّمَحِ أزرقِ
وقد فاضَ بحرٌ للرَّذَى^٣ من دمِ العدا

وقال :

يا نشرَ عَرَفِ الرُّوضَةِ الغنَّاءِ
هذا يهْبُ معَ الأصيلِ عن الرُّبَى
عرجا على قاضي القضاةِ غُدَيَّة^١
وتحمَّلا عني إليه أمانة^٢
وإذا رمى بكما الصَّبَّاحُ دياره^٣
في حيثُ جرَّ المجدُ فضلَ إزاره

[ومنها] :

ولثمتُ ظهرَ يَدِي تَدَى حَرَّةِ
وملأتُ بينَ جبينِهِ ويمينِهِ
فكأنني قبَّلتُ وجهَ سماءِ
جفنيَّ بالأنوارِ والأنواءِ^٢

١ الديوان : لثمة .

٢ ط د : للعدا .

٣ م ب ط د س : والأنداء .

قد راق بين فصاحة وصباحة^١ عبقُ الثناءِ ندي الجناحِ كأنهُ
أبدأ له في اللهِ وجهُ بشاشةِ
وكانهُ من عزمةٍ في رحمةِ
لو شاءَ نسخَ الليلِ صباحاً لانتحى
بين الطلاقةِ والمضاءِ كأنهُ
ثنى به ریحُ المكارمِ خوطة
وكانهُ وكانَ رجعَ نشيدهِ
سمع المصبيخ له وعين الرائي
ريحانةُ مطلولةُ الأفياءِ
ووراءَ سترِ الغيبِ عينُ ذكاءِ
متركبٌ من جدوةٍ في ماءِ
فمحا سوادَ اللبابةِ اللبلاءِ
وقادُ نصلِ الصعدةِ السمراءِ
في حيثُ تسجعُ ألسنُ الشعراءِ
فصلُ الربيعِ ورنةُ المكاءِ

وله من قصيدة في الوزير [المشرف] أبي محمد بن عامر ببلنسية^٢ :

حدَرَ القناعَ عن الصباحِ المسفرِ
وتملكتهُ هيزةُ في عيزةِ
مُتَنفَساً عن مِثْلِ نفحةِ مسكةِ
سلتُ عليَّ سيوفها أجفانهُ
متجلداً أبأى بِنفسي أن أرى
فحشا بطعنته حشا مُتَنفَسِ
يغشى رِماحَ اللَّحْظِ^٣ أوَّلَ مقبلِ
فتراهُ بين جِراحَتَيْنِ لِلْحِظَّةِ
نزرَ الكرى يرمي الظلامَ بمقلَّةِ
ولوى القضيبةِ على الكشيبةِ الأعفرِ
فارتجَّ في ورقِ الشَّبَابِ الأخضرِ
مُتَبَسِّماً عن مِثْلِ سمطيِ جوهرِ
فلتقيتهنَّ من المشيبِ بمغفرِ
هذا الهزبرَ قتيلَ ذاكَ الجؤذرِ
تحت الدُّجى عن مارجٍ مُتَسَعِّرِ
ويكرُّ يومَ الحربِ آخِرَ مُدْبِرِ
مكسورةِ ولعامِلِ مُتَكَسِّرِ
سَهَرَتْ لِأُخْرَى تَحْتَهُ لَمْ تَسْهَرِ

١ ط د س : سماحة وفصاحة .

٢ كان أبو محمد بن عامر صديقاً لابن خفاجة وكان مراعباً له فيما يختص بضميمته ببلنسية (الديوان : ٤٨) .

٣ ب م س : الخط .

من ليلة أرخى عليّ جناحه^١
لا يستقلُّ بها السرى فكأنّما^١
ولقد أقولُ لبرقِ ليلٍ هاجبي
اقرأ على الجزعِ السلامَ وقلْ له^٢
بيني وبينك ذمّةٌ مرعية^٣
وإذا غشيتَ ديارَ ليلي باللوى
والمخِ صحيفةَ صفحتي فاقرأ بها
كتبتهما^٣ تحت الظلامِ يدُ الضنى
ولئن جريتُ مع الصبّا جري الصبّا
ناجيتُ منه عطارداً ولربّما
تندى بفيه أقاحة^٤ نفّاحة^٤
شهدتُ له فتكاته^٥ في مهجتي
[لقد اعتنقتُ القرنَ دون عناقه
ولقد خلوتُ به أقسمُ ناظري^٦
يثني معاطفه وأذرفُ عبرتي
وأهابَ بي شرخُ الشبّابِ لريبتة^٦

[ومنها] :

- ١ م : وكأنها .
- ٢ الديوان : الأذمة .
- ٣ ب م : كتبتهما .
- ٤ زائدة من س وحدها .
- ٥ ب م ط : فلقد .
- ٦ ب م : منظري ؛ وبهامش د والديوان : نظري .

[وأخـ زأرتُ له ولولا أنـي
أنسأتُ^٢ ما أنشأتُ من عتبي له^٣
ولو التقينا حيثُ يُصغي ساعةً
تهمي بجماء الورد في أردانه
وعلاه لولا برقُ وعد شمتته^٤
لنسختُ أسطار الكتابِ كتاباً
ومقامِ بأسٍ في الكريمةِ قمته^٥
أضحكتُ ثغراً النصر فيه من العدا
ورميتُ هبوته بهبة^٦ أشهبِ

ومنها في الاستطراد :

ولقد خبطتُ الغابَ أسألُ ليله^١
وحططتُ عن بنتِ الزنادِ قناعها
ومسحتُ منها عن معاطفِ مهرة^٢
وجرى الحديثُ بطيب^٣ ذكرى طاهر
وظفقتُ أذكيها وأذكرُ ذهنه^٤
وكأنها والريح عابثة بها

عن صُبحِ سرِّ في حشاهُ مُضمِرِ
ليلاً لِسارِ تحته [متنور] [١٥٩ب]
شقراءَ تذعُرُ من شمالِ صرصرِ
فجعلتُ جزلَ وقودِها من عنبرِ
فإخالُ ذاكَ وهذه من عنصرِ
تزهي فترقص في قميصِ أحمرِ

١ ط : أنسيت .

٢ ب م : أنشأت .

٣ ط س والديوان : أنشأته من عتبه ؛ د : أنسته من عتبه .

٤ ب م : عجاوبة .

٥ ط : فلو .

٦ الديوان : هبته بلبية ؛ د ط س : هبوته بلبية .

٧ الديوان ، ط وهامش د : بهمض .

وقال من قصيدة :

ألا ليت أنفاسَ الرياحِ النَّواسِمِ
ويُرْمينَ أكفافَ العقيقِ بنظرةٍ
ويلثمنَ ما بين الكئيبِ إلى الحمى
فهل ساءها أنا كبرنا عن الصِّبا
صحونا وقد أصحتُ هناك سماؤنا
فما راعني إلاَّ وميضٌ لشيبةٍ
والهالي إلاَّ نديراً بريحلةٍ
تولّى الصِّبا إلاَّ ادِّكارَ معاهدٍ
أطلتُ له رجعَ الحنينِ ورُبِّما
فإن غاضتِ الأيتامُ ماءَ شبيبتي
أسيرُ فتغشى بي دُجى الليلِ همّةٌ
فربَّ ظليمٍ قد ذعرتُ على السرى
فلم أدرِ أمَّ الرّألِ من بنتِ أعوجٍ
وإن كنتُ شراً العنانِ على الطوى
فيا عجباً أن انعطى النَّبِيّ مغمودِي
وأدهمَّ من ليلِ السرارِ ركبتهُ
على حينِ أرخى الدَّجنُ ففضلَ لثامه
وقد كمننتُ^٣ بيضُ السيوفِ وأشرفتُ

يُحيينَ عني الواضِحَاتِ المَباسِمِ
تَرَدَّدُ في تلكَ الرُّبى والمَعالمِ
مَواطيءَ أخفافِ المطيِّ الرَّواسِمِ
ولثنا على الأحلامِ بيضَ العمامِ
وكنا نشاوى تحتَ ظِلِّ الغمامِ
توقَّد في قِطعٍ منَ اللَّيلِ فاحمِ
مَسَحَتْ له من رَوْعةٍ جفنَ نائمِ
له لذعةٌ بين الحشا والحيازِمِ
بَكيتُ على عهدٍ مضى مُتقادمِ
ومالت بغُصنٍ من قوامي ناعمِ^٢
تَهَمُّ فأعروري ظهورَ العزائمِ
بجزوى وظبي قد طردتُ بجاسِمِ
ولا ظبيةَ الوعساءِ من أمِّ سالمِ
فإنني على الأعداءِ صعبُ الشكائمِ
وأدراً عنه في نحورِ الضِّراغمِ
فأودعتُ أسرارَ السرى صدرَ كاتمِ
على كلِّ أقبى من أنهبِ المخارِمِ
طلائعُ آذانِ الجيادِ الصَّلادمِ | ١٦٠ |

١ الديوان : فهل ساء دعداً أن .

٢ بعد هذا البيت كتب في ب م « ومنها » .

٣ د ط س : حميت .

وكأثرت^١ أوضاع النجوم على السرى
إذا ما تداعوا للكريمة حطّموا
وكرّوا وحد^٢ السيف يدمى فثلّموا
فمن مبلغ الحسنة عنّي أنّي
وكنّت إذا ما أعضل الخطب لاجئاً
فها أنا لا يسرى تناجي^٥ على السرى
مُنِيخٌ بمثوى المتجد من ظلّ أروع
جدير بإحراز العلا غير راکض
تهزُّ به ریح المكارم^٦ خوطة
كأنّي وقد أسحبتُه الحمد^٧ ربطة
فيا راكباً يزجى المطي على الوجي^٨
كفالك بذلك الطول من وبل مزنة
فإن قذفت يوماً إليك به النوى
فعرّس من العلياء في رأس هضبة
من القوم سادوا في المهود نجابة
وقاموا لإقعاد الخطوب ودمّثوا

بغرّ كرام فوق غرّ كرائم
صدور العوالي في صدور الملاحم
رقاق الظبأ بين الطلّي والجماجم^٣
خلعت نجاد السيف خلع التمام
إلى وزر^٤ من مضرب السيف عاصم
عناناً ولا يُمنى تلوذ بقائم
جفا للمعالي دأرسات المعالم
مُعذّ وإدراك السها غير قائم
تفضُّ بها الآمال نور الدراهم
سنت على عطفه حلة راقم
ويخبط أنفاس الرياح النواسم
وحسبك ذاك البشر من برق شائم
وأدتك أيدي التاجيات الرواسم
تزاحم أشباح النجوم العوام
وطبوا صغاراً من كلوم العظام
جتاب الليالي للملوك الحضارم

١ م : وكأثرت .

٢ الديوان : ونصل .

٣ في ط د بعد هذا البيت : « ومنها » ، ولا حذف هنالك ، قارن بالديوان .

٤ الديوان : كالى .

٥ ط د س والديوان : توأخي .

٦ د ط س : السماحة .

٧ د ط س : المتجد .

٨ ب م : النوى .

فإن دقت الهيجاءُ أرمّاح حلبة
وإن هدّت الأيامُ أركان دولة
ترى بهم من هزة في طلاقة
وما شئت من آراء نُجج كوالى
تقلّم أظفاراً المكاره تارة
أبا حسن كتم منة لك حرّة
[يرف عليها الشكر في كل محفل
هزّت لها عطف القضيبي^٢ ورُبّما
فما روضة غناء في رأس ربوة
بأحسن مرأى من حلاك لناظير
[ردونكها تصبي الحليم فصاحة
تغنى بها حباً لها فكأنها
ولولا وقار الشيب خف به الهوى

فثمّ من الآراء أمضى لهاذيم
فثمّ من الأعلام أقوى دعائم
لبدان العوالي في بريق الصّوريم
تسدّد من أطراف سمير كوالم
وتمسح طوراً عن وجوه المكارم
كما سح صوب العارض المتراكم
رفيف اللآلي في نحور الكرائم]
سجعتُ أبتُ الشكر سجّع الحمام [ب ١٦٠
تعلّ بمنهل من المزن ساجم
وأعطر نثراً من نثاك لناسيم
فيرسل في أعطافها طرّف هائم
تفض عن النوار خضّر الكرائم
فمدت إلى تقبيلها فم لايم]

ومن مقطوعات قالها في زمن الصبا

قال بداعب :

[وفتاة حسن كلتها أعجازُ
لذت أغانيها ونخفت موقعاً
غنت غناء كله إعجازُ
فكأنما تطويلها [يجاز]

[وقال] :

لله نورية المحيا تحمّل نارية الحميا

١ ط د س : أنراف .

٢ ب م : الكؤوب .

دردنا بها تحت ظلّ دوحٍ قد راقَ زهراً^١ وطاب ريباً
تجسّم النورُ فيه نوراً فكلُّ غُصْنٍ به ثُريّاً

وكتب إليه بعض الفتيان شعراً يعرض فيه بسبه، فوقع الحفاجي على ظهر
رقعته وقال :

ومُعَرِّضٍ لي بالهَجاءِ وَهُسْجِرِهِ جاوبتهُ عَن شعرِهِ في ظهِرِهِ
فلئن نكن بالأمسِ قد لُطنا به فاليومَ أشعاري تَلُوطُ بشعرِهِ

وهذا كقول البديع للخوارزمي :

ومتى التقينا ناك شعري شعره^٢ ونزا على شيطانه^٣ شيطاني

وقال الحفاجي :

تَعَلَّقْتَهُ رِيَّانَ من خَمَرِ رِيْقَةٍ له رَشَفها دوني ولي دونهُ السُّكْرُ
تَرَقَّرَقُ ماءً مُقْلَتَايَ وَوَجْهَهُ وَيُنْدَكِي على قلبي ووجنته الجَمْرُ
فلي وله من حُسْنِهِ وَمَدَامَعِي على وَجْههِ رَوْضٌ وفي وجنتي نهر
ولا عَجَبٌ أن طاب نَشْرًا فَإِنَّمَا^٤ مَحَاسِنُهُ في غُصْنِ قَامَتِهِ زَهْرُ
أَرَقَّ نَسِيبي فيه رِقَّةٌ حُسْنِهِ^٣ فَلَئِمَ أَدْرِي أَيَّ قَبْلَتَا مِنْهُمَا السَّحَرُ
وطبنا معاً ثغراً وشعراً^٤ كأنما له مَنطِقِي ثَغْرٌ ولي ثَغْرُهُ شِعْرُ

وقال في ذم خط واستبراد لفظ :

١ الديوان : والدوح رطب المهز لدن ؛ قد رف ريبا .

٢ الديوان : فهذه .

٣ ب م : نفسه .

٤ د ط س : شعراً وثغراً .

لحى الله أبياتا بعشت ذميمة
معوّجة أسطارها، وحرّوفها
ولا عجب من سخبهنّ فإته
فلو كُنْ أعضاء لكنّ مخارجا
كانّ بها من بردٍ لفظيك فالجا
إذا ساء فيعل المرء ساء نتائجا

وقال :

ومَهْفَهْف طاوي الحشا
متلا العيون بصورة
فإذا رنا وإذا شدا
فضح المدامة والحما
خنت المعاطف والنظر
تليت محاسنها سور
وإذا سعى وإذا سفر
مّة والغمامة والقمر [١٦١]

وقال :

خذها وقد سفرت إليك يد الصبا
واقدح بهارتد السرور وقد طمى
وانجاب نفع الغيم من قمر الدجى
وتعشرت قدم الثريا سحرة
وافتر مبتسم الصباح كأنه
عن وجه أفق الغمام ملثم
بحر الدجى وطفنا حباب الأنجم
عن غرة وضحت بجمه أدهم
في برد ليل بالمتجرة معلم
وضح بقادمة الغراب الأعصم

وقال :

وحوراء^٢ بيضاء المحاسن طلقة
يزر عليها الصبح^٣ جيب قميصه
لبست بها الليل البهيم نهارا
وقد لبس الجوّ الظلام صدارا

١ ب م : ثابت .

٢ الديوان : وفوراء .

٣ ب م : الليل .

هَزَزْتُ لِأَغْصَانِ الْقُدُودِ مِعَاطِفًا بِهَا وَلِرُمَّانِ النَّهْودِ ثَمَارًا
 فَسَقِيًّا لِأَيَّامٍ هُنَاكَ سَحَبْتَهَا^٢ ذُيُولًا عَلَى حُكْمِ السَّرُورِ قِصَارًا
 إِذَا شَتُّ غَدَائِي وَشَاحٌ وَحَلِيَّةٌ لِحَسَنَاءَ غَصَّتْ دُمُجًا وَسَوَارًا
 هِيَ الظَّنِّيُّ^٤ طَرْفًا أَحُورًا وَمَلَا حِطًّا مِرَاضًا وَجِيْدًا أَتْلَعًا وَنْفَارًا

وله من مرثية في ابن أخته وقد ورد النعي من أغمات بموته :

أَرِقْتُ أَكُفُّ الدَّمْعِ طُورًا وَأَسْفَحُ وَأُنْضِحُ خَدَّي تَارَةً ثُمَّ أَمْسَحُ
 وَدُونِكَ طَمَّاحٌ مِنَ الْمَاءِ مَائِحٌ [يَعْبُ] وَمُغْبِرٌ مِنَ الْبَيْدِ أَفِيحٌ
 وَإِنِّي إِذَا مَا اللَّيْلُ جَاءَ بِفَحْمَةٍ لِأُورِي زِنَادَ الْهَمِّ فِيهَا . فَأَقْدَحُ
 وَأَتَبَسِّعُ طَيْبَ الذِّكْرِ أَنَّةً مَوْجَعٌ فَيَنْفَحُ هَذَا حَيْثُ هَاتِيكَ تَلْفَحُ
 وَأَلْقَى بِيَاضَ الصَّبْحِ يَسُودُ وَحَشَّةٌ فَأَحْسِبُنِي أَمْسِي عَلَى حِينِ أَصْبِحُ
 وَيُوحِشُنِي نَاعٍ مِنَ اللَّيْلِ نَاعِبٌ فَأَزْجُرُ مِنْهُ بَارِحًا لَيْسَ يَبْرَحُ
 غَرِيقًا بِبَحْرِ الدَّمْعِ وَالْهَمِّ ° وَالذُّجَى وَلَوْ كَانَ بَحْرًا وَاحِدًا كُنْتُ أَسْبِحُ
 وَفِي^٦ نَاطِرِي لِلَّيْلِ مَرْبِطُ أَدْهَمِ وَفِي وَجَنَّتِي لِلدَّمْعِ أَشْهَبُ يَجْمَحُ

ومنها :

أقول^٧ وقد وافى كتابُ نعيِّه^٨ يُجَمِّمُ فِي الْفَاطِهَةِ وَيُصْرِّحُ^٨

١ ب م : لأعطاف .

٢ الديوان : تقلصت .

٣ الديوان : الشباب .

٤ م : هو الطرف .

٥ م ب : الهم والدمع .

٦ د ط س والديوان : ففي .

٧ د ط س : وقلت .

٨ الديوان : فيصرح .

غلامٌ كما استخشنت جانب هضبة
أرامٍ بأغصانٍ يسندُ سَهْمَهُ
فيا لغريباً فاجأته منيةٌ
تري بي إذا أعزلت حزننا حماةً
وأبأسست قلباً كان يخشعُ ناراً
فما أتأقشى^٢ الركب أرجو تحيةً
وخادعتُ عنه النفسَ والنفسُ صبةً
ينمُّ بأسرار الصباية مسدماً
فلي نظرةً نحو الشمالِ ولوعةً
فيا عارضاً يستقبلُ الليلَ والفلا
تعملُ إلى قلبِ الغريبِ مسدماً
وأحفى سلامٍ يعبرُ البحرَ دونه
وعرجُ على مئوى الحبيبِ بنظرةٍ

ولان على طش [من] المزن أبطح
فيرمي وقلب بالجزيرة يجرح
أتمته على عهد الشباب تجلجح
ترن وطوراً أيككة تترنجح
وتنزو به الآمال طوراً فيطمح
توآفي له أو رقة تفتصح
وراوغت حسن الصبر والصبر أرجح
وكل إناء بالذي فيه يرشح
تلدد [بي] نحو الجنوب فأجنح
ويسري فيطوي الأطولين ويمسح
تكب فتروي أو تعب فتتفتح^٣
فيندى وأزهار البطاح فتفتح
تراه بها عني هناك وتلمح

وله من مرثية في صديق توفي باشيلية ، فقال :

ألا ليت لبح البارقي المتألق
ويتركب من ربح الصبا متن سابع
ففيهندي إلى قبرٍ بحمص تحيةً
فغندي لحمص أي نظرة لنوعة

يتلف ذبول العارض المتدفق
كريم ومن ليل السرى ظهر أبلق
مق تحتلها راحة الريح تعبق
وللتجم وهنا أي نظرة مطرق

١ م ب : للغريب .

٢ م ب : فها أنا ألقى .

٣ م ب : فتصح ، ط د س : مزادة من الدمع تندی حيث مرت وتفتصح .

٤ م ب : حملها .

وشلّو عثا فيه البلى مُتمزّق
 ودون التّلاقي كلّ بدياء سَمَلق
 عليه الحشا من لوعَة وتحرّق
 فأذكرتها نوح الحمام المطوّق
 حديث وعهد للشّيببة مُخلّق
 فأعدّم فيها طيب ذاك التّمشق
 ودارت به للشّمس نظرة مشفق [١٦٢أ]
 وألثم طورا تُربها من تشوق
 وقد بيت من وجد بليل المؤرق
 فهل من تلاق بعد هذا التّفرق
 فيا ليت شعري أين أو كيف نلتقي
 فلم يدّر ما ألقى ولم أدّر ما لقي
 متى أتدكره بها أتشوق
 بأفصح دمع تحت أحرّس منق
 فإن أخلق الصّبر الجميل فأخلق
 بكفّي ويوم الفخر تاجاً بمفريقي
 وللرّعد من جيب عليه مُشفق
 ولذّجّم من طرف عايه مؤرق

حناناً إلى قبر هنالك نازح
 وكيف يشكوى ساعة أشتفي بها
 فهل عند عبد الله ما بات ينطوي
 وقد أذكرتني العهد بالأنس أئكة
 وأكبت أبكي بين وجد أناخ بي ٢
 وأنشق أنفاس الرياح تَعَلُّلاً
 ولما علّت وجه النهار كآبة
 عطفت على الأجداث أجھش تارة
 وقلت امغف لا يهب من الكرى
 لقد صدعت أيدي الحوادث شملنا
 وإن تك للخلين ثمّ التّقاء
 فأعزز ٣ علينا أن تباعد بيننا
 فسقياً لترّب بين أضاع تربة
 وألوي ضلوعي أندب المجد والنّدى ٤
 ومثلي يبكي للمصاب بمثله
 فقد كان يوم الرّوع أبيض صارماً
 فكّم للحيا من أدمع فيه ثرة
 وللبرق من قلب به مُتملّم

١ ب م : بالأس .

٢ الديوان : أظلي .

٣ الديوان : وأعزز .

٤ ط د : والعلا .

[وفيها يقول] :

فما ابنُ شَمالٍ بات يهفو كأنما
سرى بين دَفَاعٍ من الودقِ مُغْدِقٍ
بأندى ذبولاً من جُفوني موهناً
به خلف أستارِ الدُجى [مسٌ أولق]
يسُحُّ ولَمَاعٍ من البرقِ مُحْرِقٍ
وأهفى^١ جناحاً من ضلوعي وأخفق

وكتب^٢ إلى بعض إخوانه :

أورى بأفكك بارقٌ يتألقُ
وتحملاً عنّي إليك تحيةٌ
وكان^٣ ماء الورد عنها ينهمي
ويهيجني نفسُ النسيمِ إذا سرى
فإذا تطأع من سمالك بارقٌ
نخفتُ لذكرك أضلعي فكان لي
وتملاكتني لوعةٌ مشبوبةٌ
فابعث بطيفك باغثاً أو واعداً
وصل التحية إن عهدك زهرةٌ
وسقى ديارك وإبلٌ يتدفقُ
تندى على نفسِ القبولِ وتعبق
عطراً ومسك الهند فيها يفتق
ويشوقني فيك الحمامُ الأورق
أو طاف زورٌ من خيالك يطرق
في كل جارحةٍ جناحاً يخفق
شوقاً إليك وعبرةٌ تفرق
إنني إليه كيف كان لشيئ
تندى وذكرك نفحةٌ تنشق [١٧٢ب]

وقال وهو مضطجع :

الليلُ إلاّ حيثُ كنتُ طويلُ
والصبرُ إلاّ منذُ بنتِ جميلُ

١ ط د س : وأحفى .
٢ من هنا حتى آخر الترجمة سقط من ط د س ، سوى عبارة : « ومحاسن الخفاجي كثيرة . . .
الغاية » .
٣ الديوان : فكان .
٤ الديوان : جانحة .
٥ ب م : راضياً .

والنفسُ ما لم تررتفبك كشيبة^١
فلقد خلعت على الزمان محاسناً
والليل طرف في ذراك كحيل
فالصبحُ تغر في جنابك ضاحك^٢

ومنها :

ووشى رداء الحمد^٢ باسمك خاطر^٣
فسجعت في قيد الشكاة مغرداً
ولوى العينان عن الإطالة أتني
ماد النحول به فلاعب شخصه^٣
فبعثته جثم المحاسن ناقها^٣
ولكم قصير من يراعك شاحب^٣
قد عاث فيه السقم فهو عليل^٣
طرباً وللطرف الربيط صهيل^٣
نضو [يسر] بي الفراش ضهيل^٣
ظيل تحيته السقام نحيل^٣
قد كثر الأمداح وهو قليل^٣
قد فات صدر الرمح وهو طويل^٣

وله من قصيد فريد :

حس المدامة فالنسيم عليل^٣
والنور طرف قد تنبه دامع^٣
وقد انتشى عطف الأراكة فانثى^٣
وتطلعت من برقة وغمامة^٣
حتى تهادى كل خوطة أيكة^٣
فالروض مهتز المعاطف نعمة^٣
ريان فضضة الندى ثم انجلي^٣
والظل خفاق الرواق ظليل^٣
والماء مبتسم يروق صقيل^٣
سكراً ورجع في العصون هديل^٣
في كل أفتى راية ورعيل^٣
ريباً وغصت تلعة ومسيل^٣
نشوان تعطفه الصبا فيميل^٣
عنه فدهب صفحته أصيل^٣

١ م : أعطافها .

٢ ب م : المجد .

٣ الديوان : كليل .

وارتدَّ ينظر من نِقَابِ غَمَامَةٍ
ساجٍ كما يَترنو إلى عَوَادِهِ
فالشَّمْسُ شاحِبَةٌ الجبينِ مَرِيضَةٌ
والزَّقُ مُنْجَدِلٌ يَكْبُ لَوَجْهِهِ
والكَاسُ طَرْفٌ أَشْقَرٌ قد جال في
يسمى بها قَمَرٌ له وَلِيكَاسِهِ
شاكِي السَّلَاحِ بِقَدِّهِ وبطَرْفِهِ
وأخٍ تَهزُّ له العَلا أعطَافَها
راضِعَتُهُ كَأَسِّ المَدَامِ وبيْنَا
مَيَّاسُ أعطَافِ السَّمَاحِ كَأَنَّهُ
تندى لهُيَّ وَرَدَى أَسْرَةً كَفَّهُ
طَلَقُ الجَبِينِ وَلِلْحُسَامِ تَبَسُّمٌ

طَرْفٌ بِمَرَضُهُ العَشِيُّ كَلِيلٌ
شَاكٍ وَيَلْتَمِصُ العَزِيزَ ذَلِيلٌ
والرِّيحُ خَافِقَةٌ الجَنَاحِ بَلِيلٌ
وَيَمِجُ رُوحَ الرِّيحِ مِنْهُ قَتِيلٌ [١٦٣ أ]
عَرَقَ عَلاهُ مِنْ الحَبَابِ يَسِيلُ
وَجْهَهُ أَغْرُ وَمِيسِمٌ مَعْسُولُ
رُوحٌ أَصَمٌ وَصَارِمٌ مَسْلُولُ
فَكَأَنَّهُ رِيحَانَةٌ وَشَمُولُ
لِجَنِي الحَدِيثِ حَدِيقَةٌ وَقَبُولُ
غُصْنٌ تَنفَسَ نَوْرُهُ مَطْلُولُ
أَبْدَأُ فَبَطْنُ يَمِينِهِ مَبْلُولُ
طَاوَى المَصِيرِ وَبِالقَنَاةِ ذَبُولُ

منها :

في حيثُ من حرِّ الطَّعَانِ هَجِيرَةٌ
والتَّقَعُّ أَدْهَمُ لِلرِّمَاحِ بِوَجْهِهِ
والحِيلُ سَطْرٌ بِالأَسِنَّةِ مُعْجَمٌ

تَحْمَى وَمِنْ ظِلِّ اللِّوَاءِ مَقِيلٌ
غُرَّرَ تَلُوحٌ وَلِلسُّيُوفِ حُجُولُ
وَبِحُمْرِ الأَسِنَّةِ الظُّبَا مَشْكُولُ

ومن أخرى :

في مَرَقٍ أَفْصَحَتْ بِيضَ السُّيُوفِ بِهِ
فَنَكَمَ أَنَايِبِ خَطِّبِي بِهِ كَيْسَرُ
وَكَمَ كُؤُوسٍ مِنَ البَأْسَاءِ دَائِرَةٌ

فَلا هَوَادَةَ بَيْنَ السَّيْفِ وَالعُنُقِ
تَدْمَى وَكَمْ سَلَخِ دَرَعٍ بَيْنَهَا مَزَقُ
عَلَى نَدِيمٍ مِنَ الأَبْطَالِ مُعْتَبِقُ

١ م ب : يندى لما وردأ أسرة وجهه .

منها :

مِنَ أَشْهَبِ شَقٍّ عَنهُ الرَّكْضُ هَبْوَتَهُ كَمَا تَفَرَّى أَدِيمُ اللَّيْلِ عَن فَلَاقِ
وَأَدْهَمِ فَضْضِ التَّحْجِيلِ أُكْرِعُهُ كَمَا تَعْلَقُ بَدَأُ الصُّبْحِ بِالْغَسَقِ
وَأَشْقَرِ سَائِلِ فِي وَجْهِهِ وَضَحٌ كَمَا تَصَوِّبُ نَجْمُ الرَّجْمِ فِي شَفَقِ

وقال يتفجعُ لفقد الشباب ، وَعَدَمِ العليّةِ الأصحابِ ، ويصف
فرساً أشهباً :

أَلَا سَرَّتِ الْقَبُولُ وَلَوْ نَسِيمَا وَجَاذَبَنِي الشَّبَابُ وَلَوْ قَسِيمَا
وَطَالَعَتِي الظَّلَامُ بِهِ خِيَالًا فَأَقْبَلَ نَاطِرِي وَجْهًا وَسِيمَا
تَقْضَى غَيْرَ لَيْلٍ مَا تَقْضَى كَأَنَّ بَمَضْجَعِي فِيهِ سَلِيمَا
كَأَنِّي مَا أَلِفْتُ بِهِ شَفِيعًا هُنَاكَ وَلَا طَرِبْتُ لَهُ نَدِيمَا [١٦٣ ب]
وَأَسْأَلُ هَلْ سَقَى طَلَلًا بِحَزْوِي عَنَّا قَدِمًا وَهَلْ جَادَ الْغَمِيمَا
وَأَنْشَقُ لَوَعَةً بِعَرَارِ نَجْدِي صَبَا نَجْدٍ أَسَائِلُهَا شَمِيمَا
وَكُنْتُ رَجَوْتُ أَنْ أَعْتَاضَ مِنْهُ زَعِيمًا أَوْ عَلِيمًا أَوْ حَلِيمَا
وَمَطْرُورًا أَجْرَدُهُ^٢ صَقِيلًا وَيَتَعَبُوبًا أُكْرُ بِهِ كَرِيمَا
يَشِيمُ بِهِ وَرَاءَ النَّقْعِ بَرَقًا نَأْتَقُ شُهْبَةً وَصَفَا أَدِيمَا
إِذَا أَوْطَأَ [تَهُ] أَعْقَابَ لَيْلٍ طَرَدْتُ مِنَ الظَّلَامِ بِهِ ظَلِيمَا

وقال يصف خيلاناً :

غَا [زَلْتُهُ] مِنْ حَبِيبِ وَجْهِهِ فَلَاقُ فَمَا عَدَا أَنْ بَدَا فِي وَجْهِهِ شَفَقُ

١ الديوان : لعرار .

٢ ب م : أفرده .

وارتج يعثر في أذيال خجَلتِه
تخالُ خيَلانَه في نُورِ صفحَتِه^٢
عَجبتُ والعينُ ماءً والحشا لهبٌ
غُصنٌ بعطفِيه^١ من إستبرق ورق
كواكباً في شعاعِ الشَّمسِ تحترق
كيف التقتُ بهما في حبه الطُّرق

وقال يصفُ شجرَ النَّارنجِ :

ألا أفصحَ الطَّيرُ جتّى^٣ نخطبُ
فمِلْ طرَباً بينَ ظيلٍ هفا
وجُلْ في الحديقةِ أختِ المني
وحاملَةٌ من بناتِ القنا
تنوبُ مورقةً عن عذارٍ
وتندى بها في مهَبِّ الصِّبا
تُفوحُ أنفاسها تارةً
فتبسمُ في حالةٍ عن رضى
ونخفَ له الغصنُ حتّى^٤ اضطربُ
رطيبٌ وماءٌ هناك انثعبُ
ودن بالمدامةِ أمَّ الطَّربِ
أماليدُه تحمِلُ خضَرَ العَدَبِ
وتضحكُ زَاهِرَةً عن شنبِ
زبرجدةً أثمرتُ بالدَّهَبِ
وطوراً تُغازِلُها من كَتبِ
وتنظرُ آونةً عن غَضَبِ

وقال يصفها :

ومَيَّاسَةٌ تزهى وقد خلع الحيا
يدوبُ لها ريقُ الغمامةِ فضةً
عليها حلٌّ حمرًا وأرديةً خضرا
ويحمدُ في أغصانها ذهباً نضرا [أ١٦٤]

١ ب م : بكفِيه .

٢ ب م : مهجته .

٣ ب م : حين .

٤ م : حين .

٥ ب م : أماله .

٦ الديوان : أعطافها .

وقال يصفها ، ويصف الشراب ملتزماً :

أنعيم فقد هبَّتِ النُّعَامِي وَتَبَهَّتْ رِيحُهَا الخَزَامِي
وَمَلَّ إِلَى أَيُّكَةِ بَلِيلٍ تَهْفُو اهْتِزَازاً بِهَا قُدَامِي
تَهْزُءُ أَعْطَافُهَا القَوَافِي لَهَا وَأَكْوَاسُهَا النَّدَامِي
كَأَنَّ أُمَّاً بِهَا رَوْوَمَا تَحْضُنُ مِنْ شَرِبِهَا يَسْتَامِي

وقال يصفها ويصف الثمر في أغصانها :

عاطِ أَحْلَاءَكَ المُدَامَا واستسِقِ للأَيْكَةِ الغَمَامَا
وَأَرْقِصِ الغُصْنَ وَهُوَ رَطْبٌ يَقْطُرُ أَوْ طَارِحِ الحَمَامَا
وقد تهادى بها نسيمٌ حَيَّتْ سُلَيْمِي بِهِ ٢ سَلَامَا
فتلك أفنانها نشاوى تَشْرَبُ أَكْوَاسَهَا قِيَامَا

وقال يصف ثمر النارج ملتمزاً :

ومحمولة فوق المناكبِ عِزَّةٌ لَهَا نَسَبٌ فِي رَوْضَةِ الحَزَنِ مُعْرِقٌ
رَأَيْتُ بِمَرَّأَهَا المُنَى وَهِيَ تَلْتَقِي وَشَمَلَ رِيَّاحِ الطَّيِّبِ وَهِيَ ٣ تَفَرِّقُ
يُضَاحِكُهَا ثَغْرٌ مِنَ الشَّمْسِ ضَاحِكٌ وَيُلْحِظُهَا طَرَفٌ مِنَ المَاءِ أَزْرَقُ
وَتُجَلِّي بِهَا لِلْمَاءِ وَالنَّارِ صُورَةً تَرُوقُ فِطْرِي حَيْثُ يَغْرُقُ بِحِرْقُ

وقال في ذلك ملتزماً :

١ الديوان : وراقص .

٢ م ب : حيسى . . . بها .

٣ الديوان : كيف . . . كيف .

٤ الديوان : واضح .

نَحْنُهَا إِلَيْكَ وَإِنَّهَا لَنَضِيرَةٌ
 حَمَلْتِ وَحَسْبُكَ نَفْحَةٌ فِي بَهْجَةٍ
 مِنْ كُلِّ وَارِسَةِ الْقَمِيصِ كَأَنَّهَا
 نَجْمَتٌ تَرُوقُ بِهَا نَجُومٌ حَسْبِهَا
 وَأَتَتْكَ تَسْفِرُ عَنْ وَجْهِهِ طَلْقَةً
 يَنْدَى بِهَا وَجْهُ النَّدَى وَرُبَّمَا
 فَاسْتَضْحَكَتْ وَجْهَ الدُّجَى مَقْطُوعَةٌ
 طَرَأَتْ عَلَيْكَ قَلِيلَةَ النَّظَرَاءِ
 عَبَقَ الْعَرُوسِ وَخَجَلَةَ الْعَدْرَاءِ
 نَشَأَتْ تُعَلُّ بِرِيقَةِ الصَّفْرَاءِ
 بِالْأَيْكَةِ الْخَضْرَاءِ مِنْ خَضْرَاءِ
 وَتَنُوبُ مِنْ لُطْفِ عَنِ السُّفْرَاءِ
 بَسَطَتْ هُنَاكَ أَسْرَةَ السَّرَاءِ
 حَمَلْتِ^٣ جَمَالَ الْغُرَّةِ الْغُرَاءِ [١٦٤ب]

وقال يصف أحدهم أسود يستقي :

رُبَّ ابْنٍ لَيْلٍ سَقَانَا
 فَظَلَّ يَسْوَدُ لَوْنًا
 وَلِلْمُسْدَامِ مُدِيرٌ
 تَضَاحَكَتْ عَنْ حِيَابِ
 فَظَلَّتْ آخِذٌ يَاقُو
 حَتَّى تَتَنَبَّأَ غُصْنًا
 وَارْتَدَّ لِلشَّمْسِ طَرْفٌ
 يَجُولُ لِلغَيْمِ كُحْلٌ
 وَالشَّمْسُ تَطْلُعُ غُرَّةً
 وَالكَأْسُ تَسْطَعُ حُمْرَةً
 يَتَشَبُّ جَمْرَةً خُمْرَهُ
 يُقْبَلُ الْمَسَاءُ ثَغْرَهُ
 تَهَّ وَأَصْرِفُ دُرَّهُ
 وَاصْفَرَّتِ الشَّمْسُ زَهْرَهُ
 بِهِ مِنَ السُّقْمِ فَتَرَهُ
 فِيهِ وَلِلْقَطْرِ عَبْرَهُ

وقال فيما يتعلق بصفة نار :

وَمَعِينِ مَاءِ الْبَيْشْرِ أَبْرَقَ هَشَّةً
 فَتَكَرَّعَتْ مِنْ صَفْحَاتِهِ فِي مَشْرَبِ

٢ ب م : نجومًا حسنًا .

١ الديوان : لفحة .

٣ الديوان : جملة .

٤ ب م : تمشيت .

مُتَهَلِّلٌ يَنْدَى حَيَاءً وَجْهَهُ
أَضْيَى الحُسَامَ حَسَادَةً ففَرِنْدُهُ
خَيَّيْمَتُ مِنْهُ بَيْنَ طَوْدٍ بِأَذِحِ
حَمْرَاءُ نَازَعَتِ الرِّيَّاحَ رِدَاءَهَا
وَتَنَفَّسَتْ عَنْ كُلِّ لَفْحَةٍ أَجْمَرَةٍ
قَدْ أَهْيَبَتْ فَتَمَدَّهَبَتْ فَكَأَنَّهَا
تَذَكُّو ۲ وَرَاءَهَا رَمَادَهَا فَكَأَنَّهَا
وَاللَّيْلُ قَدْ وَلَّى يُقْلِصُ بُرْدَهُ
وَكَأَنَّمَا نَجْمُ الثُّرَيَّا سُحْرَةٌ

ومن أخرى في صفتها :

لو جَاءَهُ ۳ مُنْتَقِدٌ لِمَا دَرَى
تَلْتَمُّ مِنْهُ الرِّيْحُ خَدًّا خَجَلًا
فِي مَوْقِدٍ قَدْ رَقَرَ الصَّبْحُ بِهِ
مُنْتَقِمْ بَيْنَ رَمَادِ أَرْزَقِ
كَأَنَّمَا خَرَّتْ ۴ سَمَاءٌ فَوْقَهُ

وقال يصف البرد [١٦٥ أ] :

يَا رَبِّ قَطْرِ عَاطِلٍ حَلَّى بِهِ
نَحْرَ الثُّرَى بَرْدٌ تَحْدَرُ صَائِبٌ

١ م ب : نفحة .

٢ م ب : يذكو أوار .

٣ م ب : جاءها .

٤ م ب : خر .

حَصَّبَ^١ الأباطيحَ منه ماءٌ جامدٌ غَشَى البلادَ به عذابٌ ذائبٌ
فالأرضُ تضحكُ عن قلائدِ أنجُمٍ نُشِرَتْ بها والجوُّ جهمٌ قاطبٌ
وكأنما زنتِ البسيطةُ تحتَهُ فأكَبَّ يَرْجُمُها الغمامُ الحاصِبُ

وقال يصف أسود ظلوماً حسوداً :

يا جامعاً بمساويهِ وطالعتَه
بين السَّوادينِ من ظلمٍ ومن ظلمٍ
أمثلهُ حسداً في مثلهِ جسداً^٢
لقد تألَّفَ بين النَّارِ والفحمِ

وقال :

ومعشوقةِ الحُسنِ^٣ ممشوقةٌ
لها نُضرةٌ سمتها نظرةٌ
فَمِنْ ماءٍ جَفَنِي لها مَكْرَعٌ
يَسِيحُ ومن راحتي مَغْرَسُ

وقال يراجع عن شعر ورده :

أطرسُكَ أم تُغَرُّ تَبَسِّمَ وأضحُ
كَلَامٌ يَرِفُ النُّورُ في جَنابِهِ
تُنصَلُ يَوْمَ الرُّوعِ سُمُرُ القنا به
ولأنِّي لظمآنٌ إليه عَلاقَةٌ
بَعثتَ به يندى كما طشَّ عارضُ
تلوحُ به في دُهْمَةِ الحَبْرِ غُرَّةٌ
ولفظُكَ أم رَوْضٌ تُنْفَسُ نَافِحُ
وتندى به تحت الهجيرِ الجوانحِ
وتُطَبِّعُ منه للجِلاذِ الصَّفائِحِ
وها أنا في بَحْرِ البَلاغَةِ سابِحُ
ويُطْرِبُنِي طوراً كما حَنَّ صادِحُ
ويسرُّكُضُ في شَوَاطِيفِ الفِصاحَةِ سابِحُ

١ م ب : غضب .

٢ م ب : جسداً . . . حسداً .

٣ م ب : العين .

وقال يصفُ مجلساً وإخواناً ، ونارنجاً وورداً خليطين :

وَتَدِيَّ أَنَسٍ هَزَنِي هَزَّ الشَّرَابِ مِـنَ الشَّبَابِ
وَاللَّيْلِ وَضَاحُ الْجَبِيهِ نَ قَصِيرُ أَذْيَالِ الثِّيَابِ
فَقَنَصْتُ^١ مِنْهُ حَمَامَةٌ بِبَيْضَاءِ تُنْسَخُ^٢ مِنْ غُرَابِ
وَالنَّورُ مُبْتَسِمٌ وَخَدٌّ الْوَرْدِ مَحْطُوطِ النَّقَابِ
وَكُلَاهُمَا نَثْرٌ^٣ كَمَا نَثَرُوا الْقَوَائِيَّ فِي الْخَطَابِ
وَكَأَنَّ^٤ كَأْسَ سُلَافَةٍ ضَحِكَتْ لِيهِمْ عَن حَبَابِ

وقال في ذلك المعنى :

وَصَدْرِي نَادِي نَظَمْنَا لَهُ الْقَوَائِيَّ عِقْدًا
فِي مَنْزِلٍ قَدْ سَحَبْنَا بِظِلِّهِ الْعِزَّ بَرْدًا [١٦٥ ب]
تَذُكُو بِهِ الشَّهْبُ جَمْرًا وَيَعْبِقُ اللَّيْلُ نَدًّا
وَقَدْ تَأَرَّجَ نَوْرٌ غَضٌّ يَخَالِطُ وَرْدًا
كَمَا تَنْفَسُ ثَغْرُ عَذْبٌ يَقْبَسِلُ خَدًا

وقال يصف خيريَّة :

وَخَيْرِيَّةَ بَيْنَ النَّسِيمِ وَبَيْنَهَا حَدِيثٌ إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ يُطِيبُ
لَهَا نَفْسٌ يَسْرِي مَعَ اللَّيْلِ عَاطِرٌ كَأَنَّ لَهُ سِرًّا هُنَاكَ يَرِيبُ
يَدْبُ مَعَ الْإِمْسَاءِ حَتَّى كَأَنَّمَا لَهُ خَلْفَ أُسْتَارِ الظَّلَامِ حَبِيبُ

١ م ب : فقبضت .

٢ م ب : تمسح .

٣ م : تبر .

٤ الديوان : فكأن .

ويخفى مع الإصباح حتى كأنما يظلُّ عليه للصباح رقيب

وله من أخرى يصف يوم أنس ويتمغزل :

وأغيدَ في صدرِ التديِّ لحُسْنِه
يرفَ بروضِ الحُسنِ من نورِ وجهِه
جلاها وقد غنَّى الحمامُ عَشِيَّةً
وجاء بها حمراءَ أمَّا زُجاجُها
على لُجَّةٍ تَرْتَجُّ أمَّا حبابُها
تجافَتُ بها عتَا الحوادثُ بُرْهَةً
وغازلنا جفنٌ هناك لنرجس
فله ذيلٌ للتصابي سحبتُه
حليُّ وفي صدرِ القصيدِ نسيبُ
وقامتِه نُورَةٌ وَقَضِيبُ
عَجُوزاً عليها للحبابِ مَشِيبُ
فماءٌ وأمَّا ملؤه فلهيبُ
فتورٌ وأمَّا مَرَجُها فكثيبُ
وقد ساعدتنا قهوةٌ وحبِيبُ
ومُبْتَسَمٌ ليلَافحوان شَنِيبُ
وعيشٌ بأكنافِ الشَّبابِ رطيبُ

وقال فيما يتعلق بصفة نار :

ومُقَنَّعٌ بُخْلًا بنضرةِ حُسْنِه
قبَلْتُ منه أبقوانةً مَسِيمِ
ولثمتُ جمرَةً^١ وجنَّةً تندی به
ويكُلُّ مَرَقَبَةً مُنَاخٌ غَسَامَةٌ
أوحَتُ هناك إلى الرُّبى أن بشري
وكفى بلمحِ البرقِ غَمَزَةٌ حاجِبُ
وأحمٌ مُسَوِّدٌ الأديمِ كأنما
ذاكي لِسَانِ النَّارِ تحسبُ أنه
أمسى هلالاً وهو بدرٌ تمامِ
رَفَّتْ وراءَ كمامةٍ لِلثامِ
فَنَكَرَعْتُ في بَرْدٍ بها^٢ وسلامِ
مِثْلَ الضَّرِيبِ بِهَا مُجَاجَ لُغَامِ
بالرِّيِّ فَرَعٌ أراكةٍ وبشامِ
وبصوتِ ذاكِ الرَّعدِ رَجَعِ كَلامِ [أ١٦٦]
خُلِعَتْ على عطفِيهِ جِلْدَةٌ حَامِ
بَرَقٌ تَمَزَّقَ عنه جَيْبُ غَمَامِ

١ ب م : حمرة .

٢ م ب : به .

وكان بدء النار في أطرافه شفق لوى [يده] بدليل ظلام
وقال من أخرى :

وما شاقني إلا وميض غمامة تطلع في نجد فحيما اللوى ربعا
فقل في أي قد تهادى كأنه إذا ما نبي أعطافه حية تسعى
وماء مسيل سائل لقراره فبينما ترى منه حساماً ترى درعا

وكتب إلى الأستاذ أبي محمد البطليوسي جواباً له عن شعر :

أبرك أم ماء يسبح ١ وبستان
وإلا فما بالي وفودي أشمط
وهل هي إلا جملة من محاسن
بأمثالها من حكمة في بلاغة
وتنظم في نحر المعالي قلادة
تدقق ماء الطبع فيه تدققاً
أثاني يرف النور فيه نضارة
وتأخذ عنه صنعة السحر بابل
وجدت به ريح الشباب لدونة
وشاق إلى تفاح لبنان نفحة

وذكرك أم راح تدار ٢ وريحان
تلويت في بردي ٣ كأنني نشوان
تغائر أبصار عليها وأذان
تحلل أضغان وترحل أظعان
وتسحب في نادي المفاخر أردان
فجاء كما يصفو على النار عقيان
ويكرع منه في الغمامة ظمان
وتلوي إليه عطفة ٥ الصب بغدان
ودون صبا ريح الشيبه أزمان
وهيهات من أرض الجزيرة لبنان

١ الديوان : يسح .

٢ ب م : يراح .

٣ ب م : برد .

٤ ب م : وبلاغة .

٥ الديوان : أخدع .

فهل تَرِدُ الأُسْتَاذَ عَنِّي تَحِيَّةٌ
تَهشُّ إليها روضةُ الحزنِ سُحْرَةٌ
تسيرُ كما عطى الزُّجاجةُ ندمان
وَبِشْيِ إليها من مَعاطِفِهِ البانِ

وقال :

نَبَّهٌ وَلَيْدَكَ من صِبَاهُ بَزَجْرَةٍ
وَأَنهَرَهُ حَتَّى تَسْتَهِيلَ دُمُوعَهُ
فَلَسَيْفٌ لا تَدْكُو بِكَفِّكَ نَارُهُ
فَلَدُرُّمًا أَغْفَى هُنَاكَ ذَكَوَهُ
فِي وَجَنَّتِيهِ وَتَلَمَّظِي أَحْشَاوَهُ
حَتَّى يَسِيلَ بِصَفْحَتِيهِ مَاؤُهُ [١٦٦ب]

وقال ابن الصائغ^١ يرثي الأمير الأجل أبا بكر بن إبراهيم^٢ :

يا صَدَيِّ بِالشَّخْرِ جَاوَرَهُ
صَبَّحَتِكَ الخَيْلُ غَادِيَةً
قَد طَوَى ذَا الدَّهْرِ غُرَّتَهُ
رِمَمٌ بُورِكَتْ من رِمَمِ
وَأثَارَتِكَ فَلَمْ تَرِمِ
عَنكَ فَالْبَسَ حُلَّةَ الكَرَمِ

بقال فيها معارضاً :

يا صَدَيِّ بِالشَّخْرِ مَرْتَهِنًا
لا أَرَى إِلاَّ أَخَا كَمَدِ
كَم بِصَدْرِي فَيَكُ من حُرْقِي
بِمَمَرِّ الرِّيحِ وَالِدِيَّ
بَاكِياً مِنْكَ^٣ أَخَا كَرَمِ
وَبِكْفِي لَكَ من نِعَمِ

وقال :

لا لَعَمْرُ المَجْدِ وَالكَرَمِ
وَمَزَارِئِ البَيْتِ وَالْحَرَمِ

١ هو ابن باجة الفيلسوف .

٢ الأبيات في القلائد : ٣٠٤ والمغرب : ٢ : ١١٩ .

٣ ب م : منه .

٤ ب م : ومدار .

لا سَلَوْتُ الدَّهْرَ عن مَلِكٍ طَلَقَ وَجْهَ العُرْفِ وَالكَرَمِ^١
هذه نُعماهُ مِلءُ يَدَي ونثا حُسْنَاهُ مِلءُ فَمِي

ومن قوله يصف خالاً :

أَلَمْ يُسَقِّي سُلَافَةَ ريقه وطوراً يُحَيِّني بِأسِ عِذاره^٢
فنلت مرادَ النَّفسِ مِن أُقْحوانةٍ شممتُ عليها نَفْحَةَ لِعِرارهِ
ووجهَ تخالِ الحالِ في صحنِ خَدِّه فُتاتَةَ مِسكِ فوقِ جَدْوَةِ نارهِ

ومما يتعلق بصفة حية :

نَهْرٌ كما ساعَ اللَّمَى سَلَسالٌ وَصَباً بَليلٌ ذَيْلُها مِكْسالٌ^١
وَمَهَبٌ نَفْحَةُ رَوْضَةٍ مَطالِوةٍ في جَلْهَتَيْها^٣ لِلنَّسيمِ مَجالٌ
غازِلتُهُ والأُقْحوانَةُ مَبسِمٌ والآسُ صُدْعٌ والبِنْفَسُجُ خالٌ
ووراءَ خَفاقِ النَّجادِ ضُبَّارِمٌ يَسري بِه خَلْفَ الظَّلامِ خَيالٌ
ألقى العِصا في حَيْثُ يِعْزُ بِالْحِصَى نَهْرٌ وَتَلْعَبُ بِالغُصونِ شَمالٌ
وكأَنما بينَ الغُصونِ تَنازُعٌ وكأَنما بينَ المِياهِ جَدالٌ
فكأَنما ألقى هِناكَ دِرْعَهُ بَطَلٌ وَجَرَدٌ وَشِيبَةٌ مُخْتالٌ
بِيدِ الهِجيرةِ مِنْهُ سَوطٌ خافِقٌ وَبِساقِ لَيْلَةٍ قِدرَةٌ خَلخالٌ
فتوعَدتني نَظرةٌ وَقِصادَةٌ يُذَكِّي بِها تَحْتَ الظَّلامِ ذُبالٌ [أ١٦٧]

١ الديوان : والشيم .

٢ القافية في الديوان : عذار ، لعرار ، نار .

٣ ب م : حليتها .

٤ الديوان : وتميث .

٥ الديوان : فكأنا .

وهوى كما أهوى أيّ مزبد
جمد الغدير بمثنه ولربما
وجمعت بين المشرفي وبينته
وتساورا يشكافحان كما التقى
رجمته به بعض اللال تلال
أعشاك إفرند له سيال
فتلاقت الأشباه والأشكال
يوماً أبو إسحاق والرهبان

وقال يتشوق إلى الوطن :

أجبت وقد نادى الغرام فأسمعا
فقلت ولي دمع ترقق فانهمي
ألا هل إلى أرض الجزيرة أوبّة
وأغدو بواديا وقد نتضح الندى
أغازل فيها للفرزاة سنة
وقد فض عقد القطر في كلّ تلة
وبات سقيط الطل بضرب سرحة
فقد تركتني بين جفن جفا الكرى
أقلب طرفي في السماء لعلني

وله :

إنّ ليلجئة بالأندلس
فسنا صبحتها من شنب
فإذا ما هبت الريح صبا
مجتلى حن ورينا نفس
ودجى ليلتها من لعس
صحت واشوقا^٢ إلى الأندلس

ومما يشتمل على أوصاف :

١ م ب : فبات بها ضيفاً وناهيك مر بها .
٢ الدوران : واشوقى .

أبى البرقُ إلاّ أن يجنّ فؤادُ
فبتّ ولي من قانىءِ الدمعِ قهوةُ
تنوحُ لي الورقاءُ وهي خليّةُ
وليلٍ كما مدّ الغرابُ جناحهُ
به من وميضِ البرقِ والليلُ فحمةُ
سريتُ به أحييه لا حيّةُ السرى
يقلبُ مني العزمُ إنسانَ مقلّةِ
بخرقِ لقلبِ البرقِ خفقةُ روعةِ
سحيقٍ فلا غيرِ الرياحِ ركائبُ
كأني وأحشاءُ البلادِ تُجنّني
أجوبُ جيوبَ البيدِ والصبحُ صارمُ
وفي مُصطلى الآفاقِ جمرُ كواكبِ
ولما تفرّرتُ من دجى الليلِ طحلبُ
حتنتُ وقد ناحَ الحمامُ صبايةُ

ومنها :

عشيّةً لا مثلَ الجوادِ ذخيرةُ
إذا رابَ خطبُ خفرتني ثلاثةُ
فبتُّ ونصلَ المشرفي مُضاجعُ
ولا مثلَ رقرّاقِ الحديدِ عتادُ
سنانُ وعَضْبُ صارمُ وجوادُ
ولا غيرَ ظهَرِ الأعوجي مهادُ

١ الديوان : والجو .

٢ ب م : مراد .

٣ الديوان : الظلماء .

٤ الديوان : ولا غير الحسام .

مُعَانِقَ خَيْلٍ لَا يُخِيلُ وَإِنَّمَا مَكَانَ ذِرَاعِيهِ عَلَيَّ نَجَاد

وله في وصف نار :

وَمَوْقِدِ نَارٍ طَابَ حَتَّى كَسَانَمَا
فَاطْلَعَ مِنْ دَاخِلِي دُخَانٌ بِنَفْسِي جَا
وَصَاحَكَ غُرّاً مِنْ وَجْهِهِ وَضِيئَةً
إِذَا بَسَطَتْ كَفَّ الْهِيَاجَ إِلَى الْعِيدَا
أَرَى خَيْرَ نَارٍ حَوْلَهَا خَيْرُ فِتْيَةٍ
إِذَا الرِّيحُ مَاسَتْ^١ مِنْ سَوَادِ دُخَانِهَا
وَنَارَتْ فَتَمَاماً يَمَلَأُ الْعَيْنَ أَكْهَبَا
رَأَيْتَ جُفُونِ الرِّيحِ وَاللَّيْلِ إِثْمِدَا
وَبِالْجَمْرِ فِي أَكْنَافِهَا مَسُّ رِعْدَةٍ
كَأَنَّ بَحَامِي الْجَمْرِ مِنْ شِدَّةِ بَرْدَا [١٦٨]

وقال يستهدي خمرأ في يوم برد :

كَتَبْتُ وَقَدْ خَصِرْتُ رَاحِي
وَقَدْ أَعْوَزْتُ نَارَهَا جُمْلَةً
فَهَلْ مِنْ حَرِيقِ لِكَأْسِ الرَّحِيقِ
فَلَوْلَاكَ شَبَّهْتُهَا بِالصَّدِيقِ

وله في صفة رمح :

وَأَسْمَرَ يَتَلَحَّظُ عَنْ أَزْرَقِ
بِضْحَكِكُ مِنْ بَيْضِ حَبَابِ طِفَا
حَيْثُ الْوَعْيُ بَحْرٌ وَبَيْضُ الظُّبَا
كَأَنَّهُ كَوَكَبُ رَجْمٍ وَقَدُ
فِيهِ وَمِنْ دِرْعِ غَدِيرِ جَمْدِ
مَوْجٍ وَخِرِصَانُ الْعَوَالِي زَقْدِ

وفي صفة سفينة :

١ الديوان : باس .

وجارية رَكِبْتُ بها ظلاماً يطيرُ من الصَّبَاحِ بها جناحُ
إذا الماءُ اطمأنَّ فرقاً خَصِراً علا من مَوْجِهٍ رَدْفُ رَدَّاحِ
وقد فَغَرَ الحِمَامُ هناكُ فاهُ وأتَلَعَ جِيدَهُ الأَجَلُ المُتَاحِ
فما أدري أَمْوَجُ أم قلوبُ وأنفاسُ تَصَعَّدُ أم رياحُ

وله :

نَدِيَّ النِّسِيمِ وما أَرَقَّ وأعطرا وهفا القَصِيبُ وما أَعْضَّ وأنضرا
فَزَقَفْتُهَا بِكِرًا إذا أَقْبَلْتُهَا أَلَقْتُ على وَجْهِ قَناعاً أَحْمرا
وَرَفَلْتُ بين قَمِيصٍ غِيَمٍ هَلْهَلٍ وِرْداءِ شَمْسٍ قد تَمَزَّقَ أَصْفرا
والرَّيْحُ تَنْخُلُ من رِذاذٍ لَوْلُؤًا رطباً وَتَفْتُقُ من غَمامٍ عَنبرا

وله في الغضِّ من معذَّر :

وَأَفَى بنا وله صَحِيفَةٌ صَفْحَةٌ جعلَ العِذارُ بها يَسِيلُ مِدادا
مُتَّجِهَةً ثَكِيلَ الشَّبَابِ وإِنَّمَا لبسَ العِذارَ على الشَّبَابِ حِدادا

وله في الشقيق :

يا حَبِذا وَالبرْدُ يَنْزَحِفُ بِكُرَّةٍ جسما رَحِيقٍ دونه وَحَرِيقٍ
حَتَّى إذا اسْتولى وَأَسْلَمَ عَنوَةٌ ما شَتَّ من سَهْلٍ وَذروَةٌ نِيقٍ
أَخَذَ الرَّبِيعُ عَلَيْهِ كَلَّ ثَنِيَّةٍ فَبِكَلِّ مَرَقَبَةٍ لَواءِ شَقِيقِ [١٦٨ ب]

وله في صفة كلب مطوق العنق بالبياض محجل الأربع ، وصفة أرنب :

وأَطْلَسَ مِلاءُ جَانِحَتَيْهِ خَوْفٌ لأَشْوَاسِ مِلاءُ شِدْقَيْهِ سِلاخُ

١ ب م : فرقتها .

نجا هرباً بطير حذار طاور له ركض يتغص به البراح
 فطوراً يرتقي حذب الروابي وآونة تسيل به البطاح
 جرى شداً وللصبح التيماع بحيث جرى وللبرق التيماع
 فحجلته^١ وسورة^٢ وميض^٣ جرى معه وطوقه صباح

وقال في صفة خاتم سماوي الفص :

ومرتقري الإفرند أبدى^١ بهجة^٢ وذكا فأطلع بالظلام ضياء
 وتختمت من قصه^٣ بيغامة^٤ كفت تكون على السماع سماء
 قد صيغ صيغة فتنة أصبي لها نفس الحليم وضاجع العذراء
 ما إن ترف لها بنفسجة^٤ به حتى ترق لها فتجري ماء
 فكانما نظرت به بنوم النوى عن مقلته بهيتت به كحلاء

رما تعلق بصفة جبل :

وصهوة عزم قد تنظيت^١ والدجى مكب كان الصبح في صدره سير
 وقد الحفني شملة^٢ الطل شمال^٣ يقليل أحشاء الأراك بها دعر
 وشق^٤ الدجى نجم من النفط^٤ مرسل^٤ ترامى من الليل^٤ البهيم^٤ به فجر
 وأشرف^٤ طماع^٤ الدؤابة^٤ شامخ^٤ تنطق بالجو^٤ ليل^٤ له خصر
 وقور^٤ على مر^٤ الليالي^٤ كأنما يصيخ^٤ إلى نجوى وفي أذنه^٤ وقر
 تمهد^٤ منه^٤ كل^٤ ركن^٤ ركانة^٤ فقطب إطراقاً وقد ضحك^٤ البدر

١ الديوان : نعلمه .

٢ الديوان : أبرق .

٣ ب م : دفة .

٤ الديوان : نقط من النجم .

ولاذ به نَسْرُ السَّمَاءِ كَأَنَّمَا يَحْنُ إِلَى وَكْرِ بِهِ ذَلِكَ النَّسْرُ
فَلَمْ أَدْرِ مِنْ صَمْتٍ لَهُ وَسَكِينَةٍ أَكْبَرَةُ سَنٍ وَقَرَّتْ مِنْهُ أُمُّ كَبْرٍ

وقال يداعب ويتغزل بنعجة سوداء :

وسوداء تَدْمَى بِهِ مَنَحَرًا كَمَا اعْتَرَضَ اللَّيْلُ تَحْتَ الشَّفَقِ [١٦٩أ]
وَأَقْسِمُ لَوْ مَثَلْتُ لَيْلَةً لَعَيْفْتُ الْكُرَى وَاسْتَطَبْتُ الْأَرَقَّ
فِيَا حُسْنَ خَصْرٍ هَا أَحْمَرٍ وَمَنْزَرَ شَحْمٍ عَلَيْهِ يَتَّقُ
وَمَا رَفَلْتُ فِي قَمِيصِ الدُّجَى وَلَا اشْتَمَلْتُ بِرْدَاءِ الْغَسَقِ
وَلَكِنْ تَسِيلُ عَلَيْهَا الْقُلُوبُ هَوَى وَتَذُوبُ عَلَيْهَا الْحَدَقُ

وقال فيها وفي كبش أملح :

أَلَا حَبْنًا عِيدٌ تَلَاقَتْ بِهِ الْمُنَى وَأَعْرَضَ فِي حُسْنِ الْمَلِيحَةِ أَمْلَحٌ
تَهَادَتْ تَفْنَى وَهُوَ يُذْعَرُ فَالْتَوَى وَسوداءَ أَمَا نِسْبَةٌ فَهِيَ نَعْجَةٌ
أَقَا [م بها] مَا بَيْنَ ظِلِّ^١ وَمَوْرِدٍ أَتَتْكَ وَأَفْيَاءَ الشَّيْبَابِ تُظَلِّهَا
فَطُفَّتْ بِهَا تَمْشِي الْهُوَيْنَا وَإِنَّمَا تَرُوقُ وَأَمَا نِصْبَةٌ فَتَنْجِيبُ
مَرَادٌ بِبَطْنِ الْوَادِيَيْنِ خَصِيبُ وَهَلْ زَارَ إِلَّا فِي الظَّلَامِ حَيْبُ
تَمْشَى إِلَيْهَا وَهِيَ تَجْهَلُ ذَيْبُ

وله ، قال :

وَأَعْرَضَ ضَا حَكَ وَجْهَهُ مُصْبَاحَهُ فَأَنَارَ ذَا قَمْرًا وَذَلِكَ فَتَرَفْدًا
مَا إِنَّ خَبَا تِلْقَاءَ نُورِ جَبِينِهِ حَتَّى ذَكَأَ بِذَكَائِهِ فَتَوَقَّدَا

١ م ب : صدر .

وقال يصف شجرة ، طرحت ظلها على نهر ، لم تكرر فيه ولا بعدت عنه :

وسرحةٍ خاض ألمي ظلّتها نهرٌ
كما تدانيت من فغري ليمرّ تشفٍ
كانّ أفياءها طيباً حمى ملكٍ
أوقت عليه فلم تنقُص ولم تزدِ
ثمّ اتقيت فلم تصدُر ولم تردِ
أغضى وأعطى فلم يُوعد ولم يعيدِ

وله في معذر :

أطلّ وقد خُطّ في خدّه
فقات أرى الشمس مكسوفةً
من الشعرِ سطرٌ دقيقٌ^١ الحروفِ
فقوموا فصلوا^٢ صلاة الكُسوفِ

وله :

يا أيتها الصبّ المعنّى به
سودّ ما وردّ من خدّه
ها هو لا نخلٌ ولا خمرٌ
قال فحماً ذلك الجمرُ [١٦٩ب]

وله :

هل ساءه أن عاد^٣ آساً ورده
وكان صفحته وبدء عذاره
وتعطلت من فيه كأسٌ تشربُ
ماء يثور بصفحتيه طحلب

وله في النحول :

بهرت جمالاً فرعت البصرُ
فصيرت إذا أمكنت لقيّة
وذبت سقاماً ففت النظرُ
أريك السها وتربني القمر

١ ب م : رقيق .

٢ الديوان : نعل .

٣ الديوان : آل .

وفي جنى التين :

أما واهتصارِ غُصونِ البَلَسِ
ومال يسيلُ جَنَى شَهِدِهِ
لقد شاق من رائقِ المُجْتَلَى
فَهِمْتُ له بِيَهِيَاضِ الثَّغُورِ
وقد قلَّصَ الصَّبِيحَ ذَيْلُ الغَلَسِ
كما سال رِيْقُ حَبِيبِ نَعَسِ
شهيّ الجنى مُسْتَطَابِ النَّفَسِ
وأحْبَبْتُ فيه سوادَ اللَعَسِ
في صفة أسود يسبح :

وأسودٍ عنِّ لنا سابحٍ
وإنما جال بها ناظرٌ
في لُجَّةٍ تطفحُ بيضاء
في مُقْلَةٍ تنظرُ زرقاء

وفي صفة سحابة :

وغمامةٍ لم يستَقِيلَ بها السُّرَى
حملت بها رِيحُ القَبُولِ سَحَابَةً
في ليلةٍ ليلاءٍ يَلْحَسُ حبرها
نسخَ الضَّرِيبُ بها الظَّلَامَ حِجَامَةً^٣
شابت وراءَ قناعِها لِمَمِ الرُّبَى
وقال يمدح ، ويسأل حاجة :

أَلَيْتَ إِلاَّ أن تَسِيرَ مع الفَضْلِ
فَنُبَّتَ مَنَابَ البَدْرِ في ليلةِ السُّرَى
وأزمنتَ إِلاَّ أن تَصمَ عن العَدْلِ
وَقُتِمَتَ مَقَامَ الوَبْلِ في البلدِ المحلِ

١ م ب : جيش .

٢ م ب : به .

٣ م ب : نسج . . . غمامة .

وأضرمت نارَ الطعنِ في ثَغْرِ العِدا
فحيّت أبا يحيى ذُرَاكَ غَمَامَةً
تُجَرُّ أذيالَ الرِّبابِ على الرُّبى
فطلَّ عُمُرُ الدُّنيا وطأ قَمَمَ العِدا
ومنَّ بها أُنْدَى نَسِيمًا من الصَّبَا
ولا تحتقِرُها من نوالِكَ بَرَّةٌ
وقال في صفة فرس أشقر :

ومُطَهَّمٍ شَرِيقِ الأديمِ كأنَّما
طربٍ إذا غَنَى الحُسامُ ممزقٍ
قداحت يَدُ الهيجاءِ منه بارِقًا
ورمى الحفاظُ به شياطينَ العِدا
بَسَامُ ثَغْرِ الحَلِيّ تحسبُ أنَّه
وله :

فحُسامٍ بِكفِّ أشوسٍ أجرى
عَطَفَ الضَّرْبِ منه عارِضَ شَيِّبٍ
فوق وَرْدٍ مُنحَجَلٍ مَزَجَ الحُسنُ
خَلَّصَتُهُ نارُ الطَّبِيعَةِ سَبْكَاً
قدحَ الرِّكْضِ زَنَدَهُ فاستطارتُ
يَضْحَكُ الحَلِيّ فوقَهُ عن أقاحٍ
في الطلَى ماءً وأضرمَ نارَهُ
فأنحى يَحْضِبُ النَّجِيعُ عِذارَهُ
بِمِراءِهُ مِساءَهُ وَعِشارَهُ
وَأَسالتُ لُجَيْنَتَهُ ونُصارَهُ
في دُحانِ العِجاجِ منه شرَّارَهُ
نَثَرَتِها الصَّبَا على جُلنارَهُ

١ ب م : الحمام .

٢ ب م : نشرتها .

وقال يصف شاباً حسن الصوت .:

ومُغَرَّدٍ هَزَجِ الْغِنَاءِ مُطْرَبٍ
سَفَرَ الشَّبَابُ لَنَا بِهِ ١ عَن غُرَّةٍ
غَاذَلْتَهُ حَيْثُ الْمُدَامَةُ وَالْحَبَابُ
وَالْمُزْنُ طَرْفٌ جَالٌ يَتَّصِلُ أَشْهَبُ
وَكَأَنَّهُ وَالسُّكَّرُ يَلَاوِي عِطْفَهُ
مَلَأَ الْمَسَامِعَ وَالْعُيُونَ مَحَاسِينًا

وله من قصيدة ٢ يقول فيها :

هَذَا غُرَابٌ دُجَاكَ يَنْعَبُ فَازْجِرِ
وَاشْتَفَّ مِنْ نُطْفِ النَّجْمِ عَلَى السُّرَى
وَالْبَسَّ رِدَاءَ السَّيْفِ وَهُوَ مُطْرَزٌ
وَارْمِ الْكَرْهَةَ بِالْكَرِيمَةِ وَارْتَشِفْ

وقال يتغزل في لابسَة ثوب معصفر :

وَبِيضَاءَ فِي صَفْرَاءَ تَحْمِيلُ نَفْحَةٍ
نَحَلْتَعْتُ رِدَاءَ الصَّبْرِ فِيهَا عِلَاقَةٌ
وَلَا غَرَوُ أَنْ تَرَوَى بِهَا عَيْنٌ نَاطِرِ

وقال يصف :

وَسَاقٍ لِحِيلٍ ٣ اللَّحْظِ فِي شَأْوِ حُسْنِهِ
جِمَاحٌ وَبِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ حِرَانُ

١ الديوان : به لنا .

٢ ب م : قصيدة .

٣ ب م : بحيل .

سَقَانَا^١ وَقَدْ لَاحَ الْهَلَالُ عَشِيَّةً
عُقَاراً نَمَاهَا الْكَرْمُ فِيهَا كَرِيمَةً^٢
وَقَدْ جَالَ مِنْ جَوْنِ الْغَمَامَةِ أَدْهَمُ^٣
وَضَمَّخَ رَدْعُ الشَّمْسِ نَحْرَ حَدِيقَةِ^٤
وَنَمَّتْ بِأَسْرَارِ الرِّيَاضِ خَمِيلَةً^٥
كَمَا اعْوَجَّ فِي نَحْرِ الْكَمِيِّ سِنَانُ^٦
وَلَمْ تَزَنْ بِابْنِ قَطِ^٧ فِيهَا حَصَانُ^٨
لَهُ الْبَرْقُ سَوَاطِئُ وَالشَّمَالُ عِيَانُ^٩
عَلَيْهِ مِنَ الطَّلِّ السَّقِيطِ جُمَانُ^{١٠}
لَهَا النَّوْرُ ثَعْرُ وَالنَّسِيمُ لِسَانُ^{١١}

وقال :

حَسَبُ الْفَتَى حَلِيَّةً أَنْ يَسْتَقِيلَ بِهِ
فَمَا احْتَمَى جَانِبُ لَمْ يَحْمِهِ مَلِكُ^{١٢}
مَلِكٌ عَزِيزٌ فَلَا يَقَعُدُ بِكَ الْعَطَلُ^{١٣}
وَلَا مَضَى صَارِمٌ لَمْ يُمِضِهِ بَطَلُ^{١٤}

وقال يصف سحابة :

وَحَمِيلَةٌ قَدْ أَحْمَلَتْ سِرْبَهَا
نَشْوَى تَهَادَى فِي وِشَاحٍ مُنْهَبِ^{١٥}
طَبَعَتْ مِنَ النَّوَارِ بَيْضَ دَرَاهِمِ^{١٦}
فَرَفَلَتْ حَيْثُ تَعَثَّرَتْ بِي نَشْوَةٍ^{١٧}
وَالْأَرْضُ تُتَسَفَّرُ عَنْ وُجُوهِ مَحَاسِنِ^{١٨}
كَفَّأَ صِنَاعٍ تَسْتَهْلُ هَتُونِ^{١٩}
قَلْبِي وَتَسْحَبُ مِنْ ذُبُولِ جُونِ^{٢٠}
مَدَّتْ إِلَيْكَ بِهَا بِنَانُ غُصُونِ [١٧١أ]^{٢١}
فِي ثَوْبِ وَشِيٍّ لِلرَّبِّيعِ مَصُونِ^{٢٢}
بَيْضٍ وَتَنْظُرُ عَنْ عَيْونِ عَيْونِ^{٢٣}

وله :

وِظْلَامِ لَيْلٍ لَا شِهَابٍ؛ بِأَفْقِهِ
إِلَّا لِنِصْلِ مُهَنْدٍ أَوْ لِهَنْدَمِ^{٢٤}

١ ب م : سقاها .

٢ الديوان : درع .

٣ الديوان : المزن .

٤ ب م : شباب .

لاطمت لُجَّتَهُ بِمَوْجَةِ أَشْهَبٍ
 قد سالَ في وجه الدُّجْنَةِ غُرَّةً
 أطلعتُ^٢ منه ومن سِنانِ أزرَقٍ
 جاذبتهُ فَضْلَ العنانِ وقد طغى
 في خَصْرِ غورٍ بالأراكِ مُوشِحٍ
 أو نَحْرِ نَهْرٍ بالحِبابِ مُقَلِّدٍ
 حتى تهادى الغُصْنُ يَأْطِرُ مَتْنَهُ
 وكانَ ضَبوءَ الصُّبْحِ رايةً ظافِرٍ
 يَرْمِي بها بَحَرَ الظَّلَامِ فترمي^١
 فاللَّيْلُ في شِيَةِ الأغرِ الأدهمِ
 ومُهَنَّدِ عَضْبٍ ثلاثةَ أنجُمِ
 فانساحَ ينسلُ^٣ انسيابَ الأرقمِ
 أو رأسِ طَوْدٍ بالغمامِ مُعَمَّمِ
 أو وَجهِ خَرَقٍ بالضَّرِبِ مُسَلِّمِ
 طَرَباً لِشِدْوِ الطَّائِرِ المُتَرْتَمِ
 نَفَضَتْ بها الهيجاءُ نَضْحاً من دمِ

وكانت بينه وبين القاضي أبي اسحاق بن ميمون مداعبة ، فاستطعمه
 يوماً فراخ حمام وعنبا ، فكتب إليه يستدعيه :

بما حُرِّتَهُ من شريفِ النِّظامِ
 تعالَ إلى الأُنسِ في مَجْلِسِ
 رَطِيبِ التَّسِيمِ كأنَّ الصِّبَا
 وعندِي لِمِثْلِكَ مِن خاطِبِ
 بناتٍ تَنافَسَ فيها المُلوكُ
 فَقَدَ كِدْنَ يَلْقُظْنَ حَبَّ القُلُوبِ
 وَعِشْ تَتَنَتَّنِي انثناءَ القَضيبِ
 وَتَحْمِلِ ثَوْبَكَ خَطِيَّةً
 وأرهقته من حواشي الكلامِ
 يَهْزُ به الشَّيْخُ عِطْفِي غلامِ
 تُجَرَّرُ فيه ذُيُولَ الغمامِ
 بناتُ الحَمَامِ وأُمُّ^٤ المِدامِ
 وتلهو العذارى بها في المنامِ
 وَيَشْرَبْنَ ماءَ عِيُونِ الكرامِ
 سُرُوراً وَتَسْجَعُ سَجَعِ الحمامِ
 وَيَسْطِقُ عنكَ لِسَانُ الحُسامِ

١ الديوان : فيرتمي .

٢ ب م : أطلقت .

٣ الديوان : فانصاع ينساب .

٤ ب م : وأدم .

وقال :

وَجَرَّ ذَيْلَ غِمَامَةٍ قَدْ نَمَنَمَتْ وَشَيْءَ الرَّبِيعِ بِهِ يَدُ الْأَنْوَاءِ
أَلْقَيْتُ أَرْحُلَنَا هُنَاكَ بِقُبْبَةٍ مَضْرُوبَةٍ مِنْ سَرْحَةِ غَيْبَاءِ [١٧١ ب]
وَقَسَمْتُ طَرْفَ الْعَيْنِ بَيْنَ رَبَاوَةٍ مُخْضَرَّةٍ وَقَرَارَةٍ زُرْقَاءِ
وَشَرِبْتُهَا عَذْرَاءَ تَحْسَبُ أَنَّهَا مَعْصُورَةٌ مِنْ وَجْنِي عَذْرَاءِ

وقال يصف صفرة الشراب وبياض الحباب :

خُذْهَا كَمَا اطَّلَعْتُ إِلَيْكَ عَرَاةً مُفْتَرَّةً عَنْ لَوْلُؤِ الْأَنْدَاءِ
صَفْرَاءَ فِي بَيْضَاءَ تَحْسَبُ أَنَّهَا شَمْسُ الْعَشِيَّةِ فِي قَرَارِ الْمَاءِ

وفي صفة سيف :

وَمُرْهَمَفَ كَلِيسَانَ النَّارِ مُنْصَلِتِ يَشْفِي مِنَ الثَّارِ أَوْ يَنْفِي مِنَ الْعَارِ
تَخَالُ شُعْلَةً بَرَقَ مِنْهُ طَائِرَةٌ فِي عَارِضٍ مِنْ عَجَاجِ الْخَيْلِ مَوَّارِ
يَمْضِي فِيهِوِي وَرَاءَ النَّقْعِ مَاتَهَبًا كَمَا تَصَوَّبُ يَجْرِي كَوْكَبٌ سَارِ

وذكر أن جارية للمعتمد - رحمه الله - تسمى جوهرة خاطبته وأثبتت اسمها تحت الختم ، فقال في ذلك :

قَالَتْ وَقَدْ حَطَّتِ الْعُنْوَانَ جَوْهَرَةً عَنْ مُرْتَقَى رُبَّةٍ قَدْ سَنَّهَا الْأَوَّلِ
لَا غُرُوَ أَنْ صِيرْتُ تَحْتَ الْخَتْمِ وَاقِعَةً لِأَنَّ الْجَوَاهِرَ تَحْتَ الْخَتْمِ تُحْتَمَلُ

وقال :

أَلَا مُبْلَغٌ عَنِّي تَحِيَّةَ وَامِقٍ لِأَحْوَرَ أَحْوَى الْمُقْلَتَيْنِ رَبِيبِ

١ ب م : النار .

أبيتُ به ما بينَ نهرٍ لِيَمَامَعِ
ومهما تَنَسَّمتُ الرِّياحَ عَشِيَّةً
وَحَضَّتُ حشا الظُّلَماءِ فيه صبايةً
وما ضرَّه لو كنتُ أنقعُ غُلَّتِي
سأحملُ وَاخزَ الشُّوكُ في الحبِّ للجنِّي

ومما يشتمل على أوصاف :

ويومٍ ترى^١ بَرَقَهُ أَشَقَرَأ
ترى الأرض منه^٢ وقد فُضِضت
وقد أطلعَ الرُّوضُ من أَيْكَةٍ
وَطرَّرَ أنوَابَ خُضِرِ الغُصُونِ
وقد قبَّلَ الماءُ كأسَ المُدَامِ
وشبَّ المِزاجُ بها جَمْرَةً
عروساً ترى خَدَّها أَحْمَرَأ

وله :

ألا أطرَبتني والكرِيمُ طَرُوبُ
ها دون أستارِ الظلامِ ما تمُّ
سَجَعَنَ وعهدي بالهوى متقدِّمُ
فيا رشأ للمسك في صَفْحَاتِهِ
ألا إنَّ ثَغَرَ الدَّمعِ فيك لباسمُ

١ الديوان : جرى .

٢ الديوان : فيه .

وَمَنْ لِي بِطَيْفٍ مِنْكَ يَطْرُقُ مُضْجِعِي
وَأَيُّ لِمَهْتَزٍ لِدَكَرَاكَ . لَوْعَةٍ
وَبَيْنَ الْكُرَى وَالْعَيْنِ فِيكَ حُرُوبُ
كَمَا اهْتَزَّ فِي مَسْرَى النَّسِيمِ قَضِيبُ

وله :

وَيَوْمٍ صَقِيلٍ لِلشَّبَابِ ظَلَمْتَهُ^١
تَوَضَّعَ فِي وَجْهِ الصَّبَا مِنْهُ مَبْسَمٌ
تَقَلَّبْتُ فِيهِ بَيْنَ أَعْطَافِ عَيْشَةٍ
وَقَدْ هَزَّ مِنْ عِطْفِي نَدِيمٍ وَخُوطَةَ
وَجِزَعٍ بِأَنْدَاءِ الْغَمَامِ مُفَضَّضٌ
وَقَدْ جَالَ مِنْ كَأْسِ الْمَدَامَةِ^٢ أَشْقَرُ
بِرُوضٍ كَأَنَّ الْغُصْنَ يَزْهِي فِيئِثِي
قَدْ ارْتَجَزَ الرَّعْدُ الْمُدْرِنُ بِأَفْقِهِ
كَأَنَّ لِسَانَ الْبَرْقِ فِيهِ عَشِيَّةٌ

وقال يصف أثر سيل :

أَمَّا وَمَسِيلٍ سَائِلِ الْغَيْثِ كَالسَّطْرِ
وَقَدْ غَمَرَ الْقَيْعَانَ مَاءٌ مُصْنَدَلٌ
وَهَا أَنَا مَبْلُولُ الْجَنَاحِ مِنَ الْحَيَا
بِدَارٍ سَقَتْهَا دِيمَةٌ إِثْرَ دِيمَةٍ
فَدِنْ عَارِضٍ يَسْقِي ، وَمِنْ سَقْفِ مَجْلِسِ
يَوْمٌ قَرَارًا دَائِرَ الْمَاءِ كَالْعَشْرِ
كَمَا أَنْزَعَ السَّاقِي الرَّجَاجَةَ بِالْحَمْرِ [١٧٢ب]
بِصُوبٍ وَمَذْعُورُ الْفَرَاحِ مِنَ الْوَكْرِ
فَمَالَتْ بِهَا الْجُدْرَانُ سَطْرًا عَلَى سَطْرِ
يَغْنِي ، وَمِنْ بَيْتٍ يَمِيلُ مِنَ السُّكْرِ

١ ب م : طليته .

٢ ب م : الصبح .

٣ الديوان : السلافة .

إذا ما وهى ركنٌ فأهوى فإني
فضيلني بدارٍ من ديسارك مُجميلاً
ولمن أخرى يتغزل :

وبدا هلالٌ في نِقَابِكِ طالعٌ
فجنتُ رَوْضاً في فَنَائِكِ زاهراً
ثمَّ انثيتُ وقد لبستُ معصراً
والصبحُ محطوطُ القناع قد احتبي

وقال يراجع ابن أبي الحِصَال ٢ :

أَمُّمَامٌ وَصَلِ أَمُّ مَقَامٌ فِرَاقِ
خَفَاقَةٌ مَا بَيْنَ نَوَّحِ حَمَامَةٍ
عَبَّثْتُ بِيَهِنٍ يَدُ النَّعَامِ سُحْرَةَ
أَنْسِنِي خَلْقَ الْوَقَارِ وَرُبَّمَا
ضَمًّا وَلِثْمًا وَاسْتِطَابَةَ نَفْحَةَ
فَلَوَّانٍ سَرْحَةَ بَطْنِ وَادٍ بِاللَّوَى
لَثَرْتُ بِالْجَرَاعِ عِقْدَ مَدَامِعِي
فَالِيكَ يَا نَفْسَ الصَّبَا فَلَطَلَا
هَا إِنَّ بِي لِمَا يُؤرِّقُ نَاطِرِي

فَالْقُضْبُ بَيْنَ تَصَافِحِ وَعِناقِ
هَتَفْتُ وَدَمَعِ غَمَامَةِ مَهْرَاقِ
فَوَضَعْنَ أَعْنَاقًا عَلَى أَعْنَاقِ
أَذْكَرْتَنِي بِمَوَاقِفِ ٣ العُشَاقِ
وَخَفُوقِ أَحْشَاءِ وَقَيْضِ مَاقِ
حَيَّتِيهَا تُصْنِي إِلَى مُشْتَاقِ
فَقَضَّضْتُ حَتَمَ الصَّبْرِ عَنَ أَغْلَاقِ
أَذْكَى نَدَاكَ حَرَارَةَ الْأَشْوَاقِ
أَسْفَا؛ فَهَلْ مِنْ نَافِثٍ أَوْ رَاقِ

١ الديوان : مصنفه .

٢ سيترجم له ابن بسام في ما يلي من هذا القسم .

٣ ب م : بمواقف .

٤ الديوان : المأ .

سِرٌّ وادِعاً لا تَسْتَطِرُّ قَلْباً هَفا
 وإذا طَرَقَتْ جَنابَ قُرْطُبةٍ فَصِف
 والتمَّ يَدَ ابنِ أبي الحِصَالِ عَنِ العِلا
 وافْتُقْ بِنادِيهِ التَّحِيَّةَ زَهْرَةَ
 كالشَّمْسِ يَوْمَ الدَّجَنِ تَندى مُجْتَنِي
 واهزُّزْ بها من معطفيه فَإِنَّمَا
 والنُّورُ يرقمُ من بساطِ بَسِيطَةٍ
 يُزهي بأعلاقِ المَعالي حَلِيَّةٌ
 طالتْ به رُمحَ السَّمَاكِ بِرَاعَةٍ
 ما حَطَّ في غُررِ الحِسانِ وضاءَةٌ
 مُغرَى بأغراضِ تَهُولُ بِرَاعَةٍ
 أفسَمْتُ لو أَحَدَ الهلالِ كمالَهُ
 بِجَنَاحِ شَوْقِ رِشْتَهُ خَفَّاق
 وكفَّاك^١ من ناسٍ ومن آفاقٍ
 مُتَشَكِّراً واضممه ضمَّ عِناقٍ [١٧٣]
 نَفَّاحَةٌ تُغني عن استنشاق
 ظِلٍّ وتُحسِّنُ مُجْتَنِي إشراقٍ
 شَعَشَعَتْها كأساً بيُمنى ساقٍ
 والغيمُ يَنْشُرُ من جَنَاحِ رِواقٍ
 إِنَّ المَعالي أنفَسُ الأَعلاقِ
 تَسْتَضَعِفُ الجَوَراءَ شَدَّ نِطاقِ
 حتَّى اسْتَمَدَّ لها من الأحداقِ
 ورَفِيْفِ أَلْفاظِ تَشوقِ رِفاقِ
 عنه لَتَمَّ تمامَ غيرِ محاقِ

ومن ثره :

ها هو - أدام الله عزَّ عمادي - قد تجافى له عن صدرِ مَيدانِهِ ،
 وتَشَرَّفَ بِلِئَمِ أَرْدانِهِ ، فاستَقْبَلَ فُسْطاطَهُ^٢ اسْتِقبالَ إهلالِ ، وَقَبَلَ
 بِسَاطَهُ تَقْبِيلَ إجلالِ ، وأقسِمُ لو تَحَمَّلَ حَجماً ، وتمثَّلَ نِجماً ،
 لم أَرْضَهُ ، حتَّى يَهَبِّطَ أَرْضَهُ ، وَيَقْضِي فَرَضَهُ ، جَوَاباً عَنِ نَسْرِ
 تَرَدَّدَتْ فِيهِ بين رَوْضَةِ وِغْدِيرِ ، وتَلَدَّدَتْ مِنْهُ بين أَرَاكَةِ وِغْدِيرِ^٣ ،
 لا أَعْدَمُ هَناكَ نَسْماً رَطباً ، ومَوْرِداً عَدْباً ، وحَدائِقَ غُلْباً ، وفاكِهِةً

١ الديوان : فكفاك .

٢ ب م : بساطه .

٣ ب م : وِغْدِيرِ .

وأبأ ، ونظمٍ قد أخذ بمجاميعِ الأهواءِ ، وامتزج لطافةً بالهواءِ ،
وحسبكَ من شعيرٍ يُضاهي الشعريينِ^١ إشرافاً ، والشَّمسَ إبراقاً ، ويُباهي
القمرَ اتسافاً ، والجوزاءَ انيسافاً ، يتغنّى به الشربُ ، ويترتمُ الركبُ ،
فطوراً يُنتشِقُ مع العرّارِ بملكِ الحمائلِ ، وثارةً يُعتمَنُ مع
الطيفِ^٢ اعتناقَ الحمائلِ .

وأقرأ عليه سلاماً تَندَى به الرّمضاءُ ، وتتنافسُ فيه الأعضاءُ ،
فتودُّ المعاطيسُ لو فُتِقَ مِسْكَاً فَيُتَنَشَّقُ ، وتتمنى السوّالفُ
لو نُسِقَ سِلْكَاً فَيُتَطَوَّقُ .

ومن أخرى :

أوجهكَ بسّامٌ وطرفيَ باكٍ وعدلُكَ موجودٌ ومثليَ شاكٍ
وتأبى اهتضامي في جنبك همةً تهزك هزّ الرّيح فرع أراك

وله في طريقة مهبّار :

ويا بانه الوادي بمنعرج اللوى أتصغي على شحط النوى فأقول
ويا نفحات الرّيح من بطنٍ لعلعٍ ألا جاداً من ذاك النسيمِ بخيل
ويا خيّم نَجْدٍ دُونَ نَجْدِ تَهَامَةَ ونجدٌ ووَخْدٌ للسرى وذميل
ويا ريمَ نجدٍ والعوادي كثيرةً بحكمِ اللبالي والوفاء قليل
ألا زَجَعَتْ تلكُ^٣ الشّمالُ تحيةً تمشّت بها عني إليك قبول
وجاذبي ريباً العرارة ناسمٌ يُجاذبني فيك النحول عليل

١ الديوان : الشعرى .

٢ ب م : الطيب .

٣ الديوان : عنك .

وهل بين هاتيك التلاع مُعرّسٌ
وهل باتتني عندي خيالك ليلتةٌ
وفي مُلتقى تلك الظلالِ متّيل
ورّيحٌ يبطنُ الواديينِ بكليل

وله :

وإني لأعشى موقيفِ البينِ والوغي
وإلاّ فهذا جيّيبٌ صبري ممزقاً
فتندى جفوني عبّرةً ويدي دما
بكفني وهذا صدرٌ رمحي محطما

وقال من قصيد مطول :

أما والشفات الرّوضِ عن زرقِ النّهرِ
وقد نسيتُ ربيعَ النّعامي فتبّهتُ
وحدّثُ فتناه قد طرقتُ وإنما
لقد جئتُ دونَ الحمي كلّ ثنيّةٍ
وخصتُ ظلامَ اللّيلِ بسودٍ فحمةً
وجئتُ ديارَ الحمي والليلُ مطروقٌ
أشيمٌ بها برقُ الحديدِ ورُبّما
فلم ألقَ إلاّ صعدّةً فوقَ لأمةٍ
ولا شمتُ إلاّ غرّةً فوقَ شفرةٍ
ودونَ طروقِ الحميّ خوضتُ فتكةً
نظمتُ في فرعٍ من النّقعِ أسودٍ
فسرتُ وقلبُ البرقِ يخفقُ غيرةً
وطار إليها بي جناحُ صبايةٍ
فقلتُ روّيداً لا تراعي فلاننا
وسكّنتُ من نفسِ نجيشٍ مرّوعةٍ

وإشرافِ جيدي العُصنِ في حليةِ الزّهرِ
عيونَ النّدامي تحتَ ريحانةِ الفجرِ
أبحتُ به وكثُرَ الحماةُ ليصقُر
يعومُ بها نسرُ السّماءِ على وكثُر
ودُستُ عرينَ اللّيبِ ينظرُ عن جمر
مُنمنمٌ ثوبِ الأفقِ بالأنجُمِ الزّهرِ
عترتُ بأطرافِ الرّدينيّةِ السّمرِ
فقلتُ قضيّبٌ قد أطلّ على نهر
فقلتُ حبابٌ يستديرُ على خمر
مورّسةِ السّربالِ داميةِ الظّفيرِ
وتسفيرُ عن خدٍ من السيّفِ محمّرِ
هناكُ وعينُ النّجمِ تنظرُ عن شزر
فطار بها عني جناحٌ من الذّعِرِ [١٧٤أ]
لتطوى ضلوعُ اللّيلِ منّا على سيرٍ
ومسّحتُ عن عطفِ تمايلٍ مزورٍ

وَمَزَّقَتْ جَيْبَ اللَّيْلِ عَنْهَا وَإِنَّمَا
 وَقَبِلَتْ مَا بَيْنَ الْمُحِيَا إِلَى الطَّلِي
 وَأَطْرَبَ سَجْعُ الحَلِي مِنْ خَيْرِ رَانَةِ
 غَزَالِيَّةُ الأَلْحَاطِ رَيْمِيَّةُ الطَّلِي
 تَرَنِّحُ فِي مَوْشِيَّةِ ذَهَبِيَّةِ
 تَلَاقِي نَسِيبي فِي هَوَاها وَأَدْمَعِي
 وَقَدْ خَلَعْتَ لَيْلًا عَلَيْنَا يَدُ الهَوَى
 وَلَمَّا انْجَلَى ضَوْءُ الصَّبَاحِ كَأَنَّهُ
 وَحَطَّ رِداءُ الغَيْمِ عَنِ مَنْكَبِ الصَّبَا
 صَدَدَتْ وَدُونَ النَّجْمِ سِتْرُ غَمَامَةٍ

ومنها :

عليه يمين أن تفيض يمينه
 ووجهه وضيء شفت عنه لثامه
 سرى بين نوار ليزرق أسنة
 فهزت إليه عطفها كل راية
 وحن إليه كل ورد محجل
 يجول فتجري في عنان به الصبا
 وأشهب وضاح تحمل رقة
 تحط سطور الضرب يوماً بها الظبا

وألا يغض الجفن جفناً على وتر
 كما شفت رقراق الغمام عن البدر
 حداد وأوراق لراياته خضري
 تهز عليه الغصن في الورق النضر
 كأن لجيناً سال منه على تبر
 ويزخر في لبد به البحر في البر
 من الحسن لم تعثر بها العين في بشر
 ويعجمها ونخر المثقفة السمر

١ الديوان : بين .

٢ ب م : رفعة .

٣ ب م : يسر .

وتدرجُ منهُ السَّلْمُ ما ينشرُ الوَعْيُ
وأدْهُمَ لولا أَنَّهُ راقِ صُورَةٌ
طويلُ سُهَيْبِ العَرَفِ والعُنُقِ والشَّوَى
لهُ غُرَّةٌ تَسْتَصْحِبُ النَّصْرَ طاقِمةٌ
أما وانتشارِ النَّعْمِ عنه صَحيفةٌ
ونال تَمِيمٌ سُودَدَ الكَهْلِ في الصِّبَا
وَحَلَّتْ بهِ الأَملاكُ وهى شَرِيفةٌ
تَقْسَمُهُ جودٌ يَفِيضُ وهِمَّةٌ
فلو مَسَحَتْ يُمْنَاهُ عن^٢ وَجْهٍ لَيْلَةٌ
رَمَيْتُ بِأَمالي إِلَيْهِ وإنَّما
ولا أَمَلٌ إلاَّ كِتابُ شِفاعَةِ
وبي [مس شكوى] لا أُطِيقُ لها السُّرى
أبا الطَّاهِرِ اقبَلْها إِلَيْكَ تحِيمةٌ
خَلَعْتُ قَوافِيها عَلَيْكَ وإنَّما
فَسُدْ وَطأَ التَّيْجانَ عِزاً وذُودٌ وَجُدْ
فصيح^٣ لسانِ السِّيفِ والضَّيْفِ والنَّدَى

ومما تصرَّفَ به القول فيه من غزل إلى رثاء من قصيد :

أفي ما تُؤدِّي الرِّيحُ عِرفُ سلامٍ وممَّا يَشْبُ البرقُ نارُ غِرامٍ
وإلاَّ فماذا أَرَجَ الرِّيحَ سُحرةً وأذكى على الأحشاءِ نارُ ضِرامٍ

٢ ب م : في .

١ الديوان : عشر .

٣ الديوان : طليق .

٤ الديوان : لفتح .

أما وجمان من حديث علاقة
لقد هزني في ربطة الشيب هزة
ورب ليال بالغميم أرقتها
يطول علي الليل يا أم مالك
ولم أدري ما أشجى وأدعى إلى الهوى
فقتضيتها ما بين رشفة لوعة
وأحسن ما التفت عليه دجنة
فليت نسيم الريح رقرق أدمعي
وعاج على أجزاع واد بأي الغضا
مسحت له عن ناظري صباية
فيا عرف ريح عاج عن بطن لعل
بما بيننا بالحقف من رمل عالج
تلدّد بدار القصف عني ساعة
وقل ليغمام الحف الأرض ذيله
أما لك من ظل يبرد متضجعي
وأني ندى أو برد ظل لمزنة
وقفت وقوف الشكل بين قبورهم
وأندب أشجى رنة من حمامة
مضوا^٢ بين واد للسماح ومشرع
ومنتصب كالرمح هزة عيزة

يهز إليه الشيخ عطف غلام
أرتني ورائي في الشباب أمامي
لمرضى جفون بالفرات نيام
وكل ليالي الصب ليل تمام
أخففة برق أم غناء حمام
وأنة شكوى واعتناق غرام
عناق حبيب عن عناق حسام [١٧٥] أ
خلال ديار باللوى وخيام
فصافح عني فرع كل بشام
وأقلل بدمعي من قضاء ذمام
يسجر على الأنداء فضل زمام
وفي ملتقى الأوطى بسفح شمام
وأبلغ نداماها أعز سلام
فلف فجاءاً تحته بإكام
أما فيك من ظل يبيل أوامي
على عقب أتراب رزئت كرام
أعظمها من أعظم ورجام
وأبكي فأقضي من ذمام رمام
وغارب عز في العلاء وسنام
وفتكة بأس واستواء قوام

١ ب م : بالخيف .

٢ الديوان : قضاوا .

ومُنْصَلِتِ كَالسَّيْفِ نُصْرَةَ صَاحِبٍ وَضِحْكَةَ بَشْرٍ وَاعْتِزَّازَ مَقَامٍ
 وَمُقْتَبِلِ مُسْتَقْبَلِ كَعَبَةِ الْعُلَا يُصَلِّي بِأَهْلِهَا صَلَاةَ إِمَامٍ
 تَهِيلٌ لَهُ مِنْ عِفَّةٍ فِي طَلَاقَةٍ كَأَنَّ بِيْرُدِيَه هَلَالَ صِيَامٍ
 وَمَا ضَارَهُ أَنْ يَسْتَسِيرَ لِعَالَمٍ إِذَا مَا بَدَأَ فِي عَالَمٍ لِيَتِمَّامِ
 وله يصف كلباً مطوق العنق بالبياض ، وصفة طائر :

وَأَخْطَلَ لَوْ تَعَاطَى سَبَقَ بَرَقٍ لَطَارَ مِنَ النِّجَاحِ بِهِ جَنَاحُ
 يَسُوفُ الْأَرْضَ يَسْأَلُ عَنْ بَنِيهَا فَتُخْبِرُ أَنْفَهُ عَنْهَا الرِّيحُ
 أَقْبَبُ إِذَا طَرَدَتْ بِهِ قَنِيصاً تَنَكَّبَ قَوْسَهُ الْأَجَلُ الْمُتَّاحُ
 أَضَلَّ بِرَأْسِهِ أَلِيلٌ بِبَهِيمٍ فَشَدَّ عَلَى مُخَنَّقِهِ صَبَاحُ
 وَلَمَّا عَلِمَتْ رَغْبَتَهُ - فِي التَّمَاسِ الطُّيُورِ اللَّبْلِيَّةِ وَاقْتِنَائِهَا ، وَتَحَقَّقَتْ
 هِمَّتَهُ فِي انْتِخَابِهَا [١٧٥ ب] وَانْتِقَائِهَا ، تَهَمَّتْ بِالْفَحْصِ عَنْ
 أَفْرَهِهَا ، وَأَشْرَفِيهَا صِفَةً وَأَشْرَهِيهَا ، فَسَنَحَ مِنْهَا طَائِرٌ يُسْتَدَلُّ
 بِظَاهِرِ صِفَاتِهِ ، عَلَى كَرَمِ ذَاتِهِ ، طَوْرًا يَنْظُرُ نَظَرَ الْخَيْلَاءِ فِي عِطْفِهِ ،
 كَأَنَّمَا يُزْهَى بِهِ مِنْهُ جَبَّارٌ ، وَطَوْرًا يَرْمِي نَحْوَ السَّمَاءِ بِطَرْفِهِ ، كَأَنَّمَا
 لَهُ هُنَالِكَ اعْتِبَارٌ . وَأَخْلَقَ بِهِ أَنْ يَنْقُضَ عَلَى قَنْصِهِ شَهَابًا ، وَيُلْوِي
 بِهِ ذَهَابًا ، وَيَحْرِقُهُ تَوَقُّدًا وَالتَّهَابًا . وَقَدْ بَعَثُ بِهِ سَابِغَ الذُّنَابِي وَالْجَنَاحِ ،
 كَفَيْلًا فِي مَطَالِبِهِ بِالنِّجَاحِ ، حَمِيدَ الْعَيْنِ وَالْأَثَرِ ، حَدِيدَ السَّمْعِ
 وَالْبَصْرِ ، يَكَادُ يُحَسُّ بِمَا يَسْجُرِي بِبَالٍ ، وَيَسْرِي مِنْ خَيْالٍ ، قَدْ
 جَمَعَ بَيْنَ عِزَّةِ مَلِكٍ ، وَطَاعَةِ مَمْلُوكٍ ، لَوْ سَبَكَ لَهُ النُّجْمُ قَنْصًا ، أَوْ
 جَرَى بِذِكْرِهِ الْبَرَقُ قَنْصًا ، لِاخْتِطْفَئِهِ أَسْرَعَ مِنْ لِحْظَةٍ ، وَأَطْوَعَ

١ ب م : به ابته .

٢ اللَّبْلِيَّةُ : الْمُنْسُوبَةُ إِلَى مَدِينَةِ لِبَاةِ (Niobla) وَفِي الدِّيْوَانِ وَالْمَسَالِكِ : اللَّبْلِيَّةُ .

من لَفْظَةِ ١ ، وَاِنْتَسَفَهُ أَمْضَى مِنْ سَهْمٍ ، وَأَجْرَى مِنْ وَهْمٍ ، قَدْ
 أَقْسَمَ بِشَرْفِ جَوْهَرِهِ ، وَكَرَمِ عُنْصُرِهِ ، لَا تَوَجَّهُ مُسْفِرًا ، إِلَّا
 غَادَرَ قَيْصَهُ مُعَفَّرًا ، وَآبَ إِلَى مُرْسَلِيهِ مُظْفَرًا ، مُورَدَ الْمِخْلَبِ
 وَالْمِنْقَارِ ، كَأَنَّمَا اخْتَضَبَ بِحَنَاءٍ وَكَرَعَ فِي عُقَارٍ .

وله في صفة محك :

ومخطوط السواد كأن دَمْعًا جرى ودماً هناك على حِدادِ
 إذا التبتت وجوه الحكم يوماً قضى فمضى على وجه السدادِ
 فأى بياض نعى ليس يعزى ليمشتمل بسرّبال السوادِ
 تلتون فالتمحت به ضميراً دَخِيلَ السَّرِّ مَمْدُوقِ الْوَدَادِ
 يُجيبُ وما سألتُ به سميماً^٣ فيا عجباً لإفصاح الجمادِ

وله في معذّر :

أقوى محلّ من شبابك أهيلُ فوقفتُ أندبُ منه رسماً عافيا
 مثلَ العذارُ هناك نُويّاً دائراً واسودّت الخيلانُ فيه أثافيا

وقال نظماً ونثراً ، يداعب غلاماً قد بقّل عذاره :

أيتها التائهُ مهلاً ساءني أن تهت جهلاً
 هل ترى فيما ترى إلاّ م شباباً قد تولّى

١ ب م : لفظة . . . لحظة .

٢ الديوان : نهج .

٣ الديوان : مجيباً .

٤ م ب : السائل .

وغراماً قد تسرّي وفؤاداً قد تسلّي
 أين دمعٌ فيك يجري أين جنبٌ يتقلّي
 أين نفْسٌ بك تهدي وضلوعٌ فيك تصلّي
 أيُّ ملكٍ كان لولا عارضٌ وافى فولّي
 وانطوى الحُسنُ فهلاًّ أجمل الحُسنُ وهلاًّ [١٧٦]

أمّا بعدُ ، أيها النّبيُّ النّبيُّ ، فإنّه لا يجتمع العذارُ والتّيهُ ؛
 كان ذلك وغُصنُ الشّيبيةِ رطبٌ ، ومنهلُ ذلك المُقبِلِ عدبٌ ،
 وأمّا والعذارُ قد بقلّ ، والزّمانُ قد انتقل^٢ ، والصّبُّ قد صحا فعقل ،
 فقد ركّدت رِيحُ الأشواقِ ، ورقدت عيونُ العُشاقِ ، فدع عنك
 من نظرةِ التّجنيّ ، ومشيّةِ التّثنيّ ، وغُصنٌ من عنانِكَ ، ونُحْدٌ في
 ترصّي إخوانِكَ ، وهشٌّ عند اللّقاء هشةِ أريحيّةِ ، واقنع بالإيماءِ
 رجّع تحيّةً ، فكأنّي بفنائِكَ مهجوراً ، وبزائريك مأجوراً .

وقال وقد طلع عليه القمر في بعض ليالي أسفاره ، فجعل يطرق في
 معنى كسوفه وإقماره ، وعلّة إهلاله تارة وسراره :

لقد أصحنتُ إلى نجوأك من قمرٍ وبيتٌ أدليجٌ بين الرّعي^٣ والنّظرِ
 لا أجتلي لمحا حتّى أعي مسلحاً عدلاً من الحُكمِ بين السّمع والبصرِ
 وقد ملأت سوادَ العينِ من وضحٍ فقرّطِ السّمعِ قرطاً الأُنسِ من سمرِ
 فلو جمعت إلى حُسنِ مُحاورةٍ حُزّت الجمالينِ من خُبرٍ ومن خبرِ
 وإن صمتَ ففي مرّآك لي عِظةٌ قد أفصحت لي عنها ألسُنُ العِبرِ

١ ب م : وولى .

٣ الديوان : الوعي .

٢ م ب : ابتهل .

تَمُرُّ من ناقصٍ حوراً ومُكْتَمِلٍ كوراً ومن مُرتقٍ طوراً ومنحدرٍ
فإن بكيتُ فقد يبكي الجليدُ فعَنُ شجورٍ يفجرُ عينَ الماءِ في الحجرِ
ومحاسن الخفاجي كثيرة، وفي ما مرَّ منها كفاية، إذ لا يتسع هذا المجموع
لاستقصاء الغاية^١.

أخبرني أنه لما أقلع من صبوته، وطلع ثنية سلوته، والكهولة قد حنكته، وأسلكنه من
الارعواء حيث أسلكته، رأى^٢ أنه مستيقظ، وجعل يفكر في ما مرَّ من شبابه، وفي من
ذهب من أحبائه، ويبكي على أيام لوه، وأوان غفلته وسهوه، ويتوجع لسالف ذلك
الزمان، ويتبع الذكر دمعاً كواهي الجمان، ثم جعل يقول^٣:

ألا ساجلُ دموعي يا غمامُ وطارحني بشجوك يا حمامُ

وأخبرني أنه لقي عبد الجليل^٤ الشاعر بين لورقة والمرية، والعدو بليط^٥ لا يريم،
يفرع تلك الربي، ويروع حتى مهب الصبا، فباتا ليلتهما بلورقة يتعاطيان أحاديث حلوة
المساق، ويواليان أناشيد بديعة الاتساق، إلى أن طلع لهما الصباح أو كاد، وخوَّفهم تلك
الأنكاد، فقام الناس إلى رحالهم فشدوها، وافتقدوا أسلحتهم وأعدوها، وساروا يطيطون

١ هذه جملة ختائية، ولا أدري كيف استمرت الترجمة بعد ذلك، ومما يبعث على الظن
بأن ماسيجي إنما هو من زيادات بعض المعلقين أو النساخ ذلك الاتفاق مع قلائد المعقمان نصاً.

٢ القلائد: نام فرأى.

٣ القلائد: ثم استيقظ وهو يقول.

٤ يعني عبد الجليل بن وهبون وقد ترجم له ابن بسام في القسم الثاني من الذخيرة.

٥ م ب: بليط؛ القلائد: يلبط؛ ولييط أو ألييط (Aledo) حصن يقع بين لورقة
ومرسية، وهو الذي أطال حصاره يوسف بن تاشفين في جوازه الثاني فأعجزه، وكان
ذلك من أسباب حنقه على ملوك الطوائف، انظر الحلل الموشية: ٤٩ وما بعدها.

وجلاً > وان رأوا غير شيء ظنوه رجلاً < ١ فمال إليه عبد الجليل وفؤاده يطير، وهو كالطائر في اليوم العاصف المطير ، فجعل يؤمّنه فلا يسكنُ فرَقَهُ ، ويؤنسه فيتنفس صعداء تثيرها حرّقه ، إلى أن مرّاً بمشهدين عليهما رأسان باديان ، وكأنهما بالتحذير لهما مناديان ، فقال أبو اسحاق :

ألا ربّ رأسٍ لا تراورَ بينه وبين أخيه والمرارُ . قريبُ
أنافَ به صلدُ الصّما فهو منبرٌ وقام على أعلاه فهو خطيبُ

فقال عبد الجليل :

يقول حداراً لا اغتراراً^٢ فطلما أناخَ قتيلٌ بي ومرّ سليبُ
فما أتمّ قوله حتى لاح لهما قتام فانقشع عن سرية خيل ، كقطع الليل ، فما انجلت إلاّ وعبد
الجليل قتيل وابن خفاجة سليب ، وهذا من أغرب تقول ، وأصدق تقول .

وله^٣ :

خذها يرنّ بها الجوادُ صهيلاً وتسيلُ ماءً في الحسام صقيلاً
بسامةً تُصبي الحليمَ وسامةً لولا المشيبُ لسُمْتُها تقيلاً
من كلّ بيتٍ لَوّ تدفقَ طبعهُ ماءً لتغصّ به الفصاءُ مسيلاً
إيهٍ وملد بين الجوانحِ: غلّةٌ لو كُنْتُ أنقعُ بالعتاب غليلاً
ما للصديقِ وقيتَ تاكلُ لحمهُ حيّاً وتجعلُ عيرضهُ مينديلاً
أقبلتهُ صدرَ الحسامِ وطلما أضيفتهُ درعاً عليه طويلاً

١ زيادة من القلائد .

٢ ب م : اغتراراً .

٣ . كتب بها الشاعر إلى الفتح بن خاقان يماثبه لأنه بلده أن الفتح ذكره في كتابه بقبيح ووصف

أيام فتوته بشيء من التنديد .

٤ الديوان : الأريب .

٥ الديوان : عليك .

ماذا ثنّاك عن الثناء ونشّره
بُرداً على الرّسم الجميل جميلاً

ومنها :

واصحب وذهنك من هجير لافح
ذِكراً كما سرت القبولُ بليلاً
فلقد حللت مع الشباب بمنزل
يرتدّ طرف النجم عنه كليلاً
وبدهت لا نزر المحاسن مجبلاً
ومضيت لا قصم الغرار فليلاً
متدفقاً أعياء العقول طريقةً
فكأنما ركب المجرّ سبيلاً
يستوقف العلياً جلالاً كلّما
سجد اليراع بكفه تقيلاً
وسواي ينشد في سواك ندامةً
« يا ليتني لم أتخذك خليلاً »

وله ٢ :

خليليّ عوجاً خبّراني فديتما
على الحلّ والترحال ما صنعتُ ريتاً
أجدّ كما هل بالعقيقين منزل
لمهزومة الكشحين عاطرة ريا
بعيشكما قولاً لنجدٍ وأهله
غدرتم وفيأ ردّ حبكم فيا
فيا صدّ همّ هل من معين على الجوى
ويا بعدّهم هل من سبيل إلى اللقيا

وله في وصف ورد نثر عليه نوار نارنج ٣ :

وندي أنس هزني ... (الآبيات)

وله فصل من كتاب ٤ :

وإن كتابك الكريم وافى ، فأهدى تحية^ه ، هزّني أريحية^ه ، هزّ المدامة

١ ب م : واصفح وذكرك ؛ القلائد : وذكرك .

٢ هذه الآبيات لم ترد في الديوان أو القلائد .

٣ قد مضت الآبيات ص : ٦١٨ وهذا التكرار متابع للقائد .

٤ القلائد : ٢٣٥ وهي موجهة إلى الفتح .

٥ القلائد : وفاني تحية .

تَتَمَشَّى^١ ، والحمامة تَتَغَنَّى ، فلولا أن يُقالَ صبا ، لالتزمت^٢ سَطُورَه ،
ولتَمتُ مسطوره ؛ وما أنطقتني صبوة^٣ استقرتني ، فهزنتني ، ولكن فضلة راح^٤
فضل في كأسِ العلاء تناولتها^٥ ، فكلمنا شربت طربت . فلولا توقع غمرات^٥
الشيب ، لابتدرت شقّ الجيتيب ، ثمّ صحت وأطرباه ، وناديت واحراً قلباه .

وبعد ، فإنني من جملته على ما وقع متوقع القطر ، وحسبك نالجا ، وطلع
طلوع هلالِ الفطر ، وكفالك مبهتجا . وما أغرب [فيما أعرب] عنه من تفسير
حالك ، وتفصيل حالك وترحالك . ولا غرو أن تجد بك^٦ الرواحيل^٧ ، وتهداك^٧
المراحيل^٧ ، فما للنجم أحيك من دار ، ولا في غير الشرف من مدار ، فقع أنتى شنت
وارتع ، وطر حيث أحببت أوقع ، فما انتضت يد المغرب ، إلا ماضي المضرب ، ولا
تعاطنت أقطار البلاد ، إلا طيب الميلاد ، وما ضار أن نعق ببينيك^٨ غراب ، ونحفق^٨
برحلك سراب ، إذ لم يفض من فضلك اغتراب ، ولم يخل بصلك ضراب ، لا زلت
مخيماً بمنزلة عزير^٩ ، تجمع من امتناع^{١١} في ارتفاع ، وامتناع في امتناع > بين إمرة
بغدان ومنعة غمدان < .

وله :

يا نُزْهَة^{١١} النَّفْسِ يا مُنْها يا قُرَّةَ العَيْنِ يا كِراها

١ القلائد : تسمى .

٢ القلائد : للزمت .

٣ ب م : راح فضل ؛ الديوان : سور .

٤ الديوان : الشباب تناولته .

٥ الديوان : تنامز .

٦ ب م والقلائد : تجذبك ، الديوان : تتجاذبك .

٧ ب م : وتنتهي تلك .

٨ ب م : ويحفق .

٩ القلائد : مجد .

١٠ القلائد والديوان : اتساع . ١١ ب م : منية .

أما ترى لي رِضاكَ أهلاً
فاستدركِ الفضلَ يا أباهُ
قَسَوْتَ قلباً وَلَيْسَتْ عِطفاً
وهذه حمالي تراها
في رَمَقِ النَّفْسِ يا أباها
وَعِفَتْ من تَمَرَةٍ نَوَها

وله :

وأهيفِ قامَ يَسْقِي والسُّكْرُ يَعْطِيفُ قَدَّةُ
وقد تَرْتَحَ غُصْنًا واحمَرَّتِ الكَأْسُ وَرَدَه
وأهَبَ السُّكْرُ خَدًا أَوْزَى به الوجودُ زَنده
فكاد يَشْرَبُ نَفْسِي وكَدْتُ أَشْرَبُ خَسَدَه

وله :

يا ليلَ وَجَدِي بِنَجْدِي أما لَطِيفُكَ مَسْرَى
وما لِدَمْعِي طَلِيقًا وَأَجْمُمُ الْجَبَّوْ أُسْرَى [١٧٧ب]
وقد طَمَى بِحَرِّ لَيْلٍ لَمْ يُعْقِبِ المَدَّ حَسْرًا
لا يعبُرُ الطَّرْفُ فِيهِ [غَيْرًا] المَجْرَةَ جَسْرًا

فصل في ذكر الأديب أبي حاتم الحجاري^٢

من وادي الحجارة ، فردٌ من أفرادِ العصر ، شاعرٌ متصرفٌ في النظم والنثر ، ولما انقرضت أيامُ ملوكِ الطوائفِ بالجزيرة ، وتسلطَّ الكساد على أعلاقِ الشعرِ الخطيرة ، خلع أبو حاتم بُردتته ، وسلخَ جلده ، وأصبح

١ ب م : كسرا .

٢ ترجمته في المغرب ٢ : ٣٦ وهو ينقل عن المسهر . جرب ذكر أن أبا حاتم كان شاعراً

شاعر الخطير والأديب وحمامي ، انظر المسالك ١١ : ٢٧٧ ونفع الطيور ٢ : ١١٠

بمخاضرة قرطبة صاحب [طَوَلْتِي] وَحَنْبِلٍ^١ ، وجلس بين هاونٍ وَمَنْحُلٍ ،
 يأخذُ للصَّحَّةِ مِنَ الْمَرَضِ ، وَيَتَكَلَّمُ عَلَى الْجَوْهَرِ وَالْعَرَضِ ، فَقَلَّ فِي حَنْبِلِ بْنِ
 تَكَلَّمَ^٢ بِلِسَانِ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ ، وَانظُرْ إِلَى الْبَدِيعِ ، فِي مَسْلَاخِ جَبْرِيلِ بْنِ
 بَنْتِشُوعِ ، كُلُّ ذَلِكَ حَرَصاً عَلَى الْحَيَاةِ ، وَاحْتِيالاً لِهَذِهِ الْمَلَابِسِ وَالْأَقْوَاتِ ،
 وَخَوْفِ الرَّدَى آوَى إِلَى الْكَهْفِ أَهْلَهُ^٣ وَكَتَفَ نُوحاً وَابْنَهُ عَمَلَ السَّفِينِ^٣
 وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ :

أَقَمْتُ بِأَرْضِ قَرْطَبَةَ كَأَنِّي أَمِيرُ جَبَايَةَ أَوْ قَهْرْمَانِي
 فَمَا لِي ضَيْعَةٌ إِلَّا ضَيْعِي وَتَصْرِيفِي لَهَاوُونِ الْهَوَانِ
 وَدَقِي شَحْمَ حَنْظَلَةَ وَعَصْرِي حَشِيشَةَ غَافٍ أَوْ أَنْجِدَانَ^٤

١ الطولقي : وضع في Vocabulisto : ١٧٣ مقابل « طولقة » اللفظتين اللاتينيتين (Invercundia) و (Vituperare) وقال في تفسير الثانية منهما (ص ٤٣٩) : وقبيح ، وقاح ، مطولقي ؛ والمعنى الأصلي للفظتين يوحى بعدم الاكتراث فيما يتصل بالسلوك العام ، وربما كان في ذلك إشارة إلى الشموذة والمناذاة على العقاقير ، أو تشهير النفس بالجلوس على دكة .
 والحنبيل : نوع من البسط أو الحصر تطرح على مقعد أو على دكة (انظر ملحق دوزي)
 وقال ابن هشام في لحن العامة : ويقولون (أي عامة المغرب) لبعض البسط حنبيل . . .
 ووردت اللفظة في الزجل رقم : ١٣٧ من ديوان ابن قزمان (انظر مجلة معهد المخطوطات
 ٣ : ١٥٥) وانظر Vocabulisto : ٩٠ حيث وضع مقابلها لفظة Tapet .
 ٢ ط د س : يتكلم .

٣ البيت للمعري ، شروح السقط : ٩٢٢ .
 ٤ غافث : نبات يخرج قصبياً واحداً أسود صلباً وعليه ورق متفرق مشرف ، وقال ابن البيطار :
 قد كثير الاختلاف في هذا النبات بين الأطباء شرقاً وغرباً . . . وأهل أطباء شرق الأندلس
 يسمونه الزويمنده بمجمية الأندلس ؛ أما الأنجيدان فهو ورق شجرة الحلتيت ، والحلتيت صمغ
 ومنه نوعان أبيض ويسمى السرخسي ، وأسود منتن يخلط مع بعض الأدوية .

وشمّي وهي تملأُ كلَّ أنفٍ ١ قواريرَ المياهِ من الصُّنَانِ
تجارةٌ ذلّةٌ قُرِنَتْ بنحسٍ ونجمُ الشُّومِ مُتَّصِلُ القِرَانِ
لقد أضللتُ يا بقراطُ قوماً على بُعْدِ الأوانِ من الأوانِ

وقوله : « قهرماني » [أراه] مما وهم فيه حين خاله منسوباً ٢ ، إنما هو قهرمان ، يقال للوكيل ؛ وهو يجري بوجوه الإعراب .

ولما ابتدأتُ بتحرير هذا الكتاب ٣ ، وأنا يومئذ بقرطبة [سنة ثلاث وتسعين] نظرت في مَبَيِّنَاتٍ كانت عندي لأهل هذا الاقليم ، فلم ٤ أجد لأبي حاتم فيها شيئاً من منثورٍ ولا منظوم ، فاستهديتُ قطعةً من أشعاره وما عسى أن يتعلّقَ ٥ بها من ملح أخباره ، وتكرّر عليه رسولي هنالك ، فمطلني في ذلك ، فكتبتُ إليه رقعةً أقولُ في فصل منها :

وقد تواترَ عليك النبأُ أني جمعتُ من الرسائل الأندلسيّة ، والأشعار العصريّة ، جملةً موفورة ، لطوائف كثيرة ، ممن تحقق عندي أن حليتهُ التي تحلّى بها من صوغ طبعه ، وحلله [التي] نشرها ٦ من نسج فكره ، وأضربتُ ، عن من ارتبتُ ، إذ باعةُ الشعراء ٧ أكثر من عدد الشعّر ؛ ولما كنتُ أبا حاتم خاتمةً أئمةٍ هذا [١٧٨ أ] الشأن ، أحببتُ أن أجعلَ

١ ط د س : بطن كفي .

٢ ط د س : إذ أجراه على الانتساب .

٣ ط د س : في تصنيف هذا التأليف .

٤ ط د س : ونظرت . . . لم .

٥ ط د س : يتشبهت .

٦ ب م : يتحلّى . . . ينشرها .

٧ ط د س : ابتدأه للشعر .

كلامك واسطة هذا الديوان ، إلاّ أني رأيتُ لك من الامتناع ، بتلك الرقاع ، ما حدّستُ عليك أنك قلت : هذا ابنُ بسّام كما أخرجتهُ الرومُ من بلاده ، وصفّرتُ يده من طارفيه وتلاده ، وقدم^١ قرطبةً بقدم الضرورة ، على تلك^٢ الصورة ، يريدُ أن يشهد^٣ المُدنيةَ ، في أبواب الكُدنيةِ ، فاتخذ تأليف^٤ هذه الشدور القلائد ، سبباً أن يسبيّ عذارى القصائد ، في حجرٍ أربابها ، ويسلبها عن أصحابها ، حتى إذا قيّد لفظها ومعناها ، وجلبتُ عنده اتاها ؛ وقد أبعدت مَرماكَ ، إن كنت ظننت بي ذلك ، وكلاًّ أبا حاتم ، فإنك لي لعينُ الظالم ، إن نسبتني لهذا العجز ، وأني أحقُّ أن أطيّل لسيف غيري الهزّ ، وقد شهدت الأَشهادُ ، بتلك البلاد ، أن لي بديهةً قوية ، تُوفي على الرويةِ ، إلاّ أني أبا حاتم لا أجري في ميدانك ، ولا أعتدّ من أقرانك ، فسقى الله بلاداً أنجبتك وإن كانت حجازيةً ، فإن معانيك عراقية ، وألفاظك حجازية ؛ والله مدينة الفرج ، فلقد تتحدثُ منك عن أنموذجٍ بيان ، مخلّى الطريقِ للجريان .

فلما وردتهُ الرقعةُ ، زَمَّ عن الجواب قلمه ، وكلّف الإيجاب قدّمه ، وورد من حينه عليّ^٥ ، ونثر مبيّضاته بين يديّ ، [يقيمه الحجل ويقعد ، وقد صبغته كما صبغ اللجين العسجد] ، فمما تخيرت منها قوله يستهدي نبيلاً^٦ :

-
- ١ ب م : وقدم من .
 - ٢ ط د س : على قدم . . . بتلك .
 - ٣ ط س : ربما شحد .
 - ٤ ط د س : تقييد .
 - ٥ ب م : علي من حينه .
 - ٦ الأبيات في المغرب ٢ : ٣٦ .

يا سيدي والنهار تبصره^١ منسجمَ الدمع مطبق^١ الأفقِ
وعندي البدرُ قد خلوتُ به وفوق خديّ به حمرةُ الشفقِ
جاذبته الجبلَ فاستقاد وكم جريتُ جريَ الجَموحِ في الطلقِ
والحمرُ نعم القيادُ ، طائفة^٢ لشاربيها مسكية العبقِ
وقد هزناك كمي توجهها^٣ في الشعرِ هزَّ القضيبي في الورقِ

وكان أبو الأصمغ البلنسي المتطبب ربما قام في مجالس الأُنسِ ويخطبُ
بكلام غثٌ يُضحكُ به مَنْ حضر^٤ ، فخاطبه أبو حاتم بهذه الأبيات :

قل للحكيمِ وقصد هزرتَ مهنداً وجذبتَ عطفاً للندی هزّازا
يا نفحة الزهر الأنيقة سُحرةً أحرزتَ كلَّ فضيلةٍ إحرّازا
هل تشينك رقةٌ شاكتهتها هتفارقَ الهمّازَ واللامّازا
أمّلي رضاك فهل سمعتَ بشاعر قطع الصراطِ إلى رضاك وجزا [١٧٨ ب]
[ياليت شعري والجوائحُ كاسمها هل ترجعنّ بياذني أفرّازا]
حتى أراك وأنت حاملُ قالسٍ^٥ وأرى يمينك حاملاً عكازا
وتقومُ في نادي النديم منادياً فعلَ الخطيبِ تعمّدَ الايجازا
عمري لقد أنسيتَ يومَ نثرتها ونظمتها الخطباءَ والرّجازا
وأنشدني لنفسه :

١ ب م : مطلق .

٢ ط د س : العتاد سائفة ؛ المغرب : جامعة .

٣ المغرب : تجود بها .

٤ ط د س : يضحك به ويضطرب .

٥ القالس : القلنسوة ، ويلبسها الفقيه في الأندلس إذا بلغ مرحلة الفتوى ، ويبدو أن أبا الأصمغ المتطبب كان يحاكي بعض الفقهاء متندراً فيضحك من حوله .

وزائرٍ زارني وقد هَجَعَتُ عينايَ حتى تبلَّجَ الفجرُ
 بكيتُ للقرب ثم قلتُ له من ثمرِ الوصلِ يُجَتِّى الهجر
 وهذا يناسب قول القائل ١ ، وتنشد الأبيات لحسنها ، ولكون هذا المعنى
 فرعاً عن ٢ غصنها ، وهي :

وما في الأرضِ أشقى من محبٍّ وإن وجد الهوى حلَّو المذاقِ
 تراه باكياً في كلِّ حالٍ مخافةً فُرقةٍ أو لاشتياقِ
 فتسخنُ عينُهُ عند التناهي وتسخنُ عينه عند التلاقي
 فيبكي ان نأوا حدراً عليهم ويبكي إن دنوا خوف الفراقِ

وقال سعيد بن حميد لفضل الشاعرة ٣ :

ما كنتُ أيامَ كنتِ راضيةً عني بذاك الرضى بمغتبطِ
 علماً بأن الرضى سيعقبه ٤ منك التجني وكثرة السخطِ
 فكلُّ ما ساعني فغنُّ خلقتِ منك وما سرّني فغن غلطِ

وقال العباس بن الأحنف ٥ :

قد كنتُ أبكي وأنتِ راضيةٌ حذارَ هذا الصدودِ والغضبِ
 ان تمَّ ذا الهجرُ يا ظلومٌ - ولا تمَّ ٦ - فمالي في العيشِ من أرب

١ ط د س : الآخر .

٢ ط د س : من .

٣ أخبار سعيد بن حميد وفضل الشاعرة في الأغاني ١٨ : ١٩ ، ١٩ : ٢٥٧ وطبقات ابن

المعز : ٤٢٦ .

٤ د ط : سيقته .

٥ ديوان العباس : ٣٣ .

٦ الديوان : إن دام . . . ولا دام .

وأشددني له من قصيدة أولها :

أرقتُ للامع^١ البرقِ اليماني
هلمّا نكتنفُ أكنافَ ليلٍ
ونركضُ في جوانبه فياني
خذا بي مأخذاً^٢ يُسلي وإن لم
وقولا في حديثكما لقلبي
رويدك إنها أنفاسُ نفسٍ
وقيتكما وهذا السهمُ يدمي^٣
سلاه لم أهلٌ بجمعٍ خيفٍ
لقد بلغ الزبى هذا التصابي
بعيني منه بدرٌ تحتَ ليلٍ
ووجهٌ ياسمينيٌّ وصُدغُ
عداني أن أُجبلَ إليه خطوي
وسمرُ أسنةٍ في نَقعِ ليلٍ
عليك به وفي يسرى يديه
يقلّبُ خيزرانتَه بكفّي

فيا أخويّ من عبد المدانِ
وساعِ الجيبِ فضفاضِ اللّبانِ
أراه باركاً مُلقى الجرانِ
تكن إلاّ أباطيلَ الأماي [١٧٩أ]
أما تنفكُ من حربِ عوانِ
تصعدُ بين أحنامِ حواني
برامٍ من بني تُعلِ رماني
بنبلِ جفونه حول الجمانِ
بقلبي والتقتُ حلقُ البطانِ
أت ستّ عليه إلى ثمانِ
خداويّ وثغرُ أقحواني
مجالُ للضّرابِ وللطعانِ
بدتُ كالنارِ في طررِ الدخانِ
كليثِ ثنيّةِ ثنيا عنانِ
غلامٍ قدّه من خيزرانِ

ومنها في المدح :

بناني والضّباعُ^٤ يهدُّ مني ويهدمُ مذ بسطتُ له بناني

١ ط د س : لبارق .

٢ ب م : ماجداً .

٣ د ط س : يرمى .

٤ ب م : والصباح .

إلى ذي صفحة كالماء رقتُ وراقتُ فهي كالسيفِ اليماني
إذا لم استبدتْ به فإني كمن حملَ القناةَ بلا سنان

وله من أخرى في القاضي أبي عبد الله بن حمد بن^١ وقد قتل من غزاة^٢ :

تراك غداة عاقدت الزمانا أخذت عليه بالبشرى ضمانا
بلى قد كان ذلك فاستقادتُ لياليه وعادت مهرجانا
حشدت محاسن الدنيا ليومِ وجدناه كوجهك^٣ أضحيانا
أردت إشادة العليا فكانت ورمت تجدد النعمى فكانا
وما حسنت سجايا الدهر حتى قرنت بها سجاياك الحسنانا
لبان الحليم أروضت اللبالي فكيف تضيق ذرعاً أو لبانا
أخذت على الكماة الكر حتى لكدت تعلم الكر الجبانا [١٧٩ب]
وأشرفت الأسننة وهي تحدو رعال سوابق حكمت الرعانا
تفحمها شداتك وهي بكر تُفحمها شذاتك وهي بكر
أتوا والجيش يقدمه فلان فلا والله ما حمدوا فلانا
فديتكم من أخي دنيا ودين أبنت أحنأوه إلا حنانا
تحمل وهو يلعب حد^٤ قلب كما حملت مثقفة سنانا
أخطبه فيمتعني بلحظ يرى سر القلوب به عيانا

١ أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد بن (٤٣٩ - ٥٠٨) ولي قضاء الجماعة بقرطبة سنة ٤٩٠
وكان من أهل الجزالة والصرامة ، ولم يزل على القضاء إلى أن توفي (انظر الصلة : ٥٣٩
وبنية الملتبس رقم : ٢٣٠ وقلاند المقيان : ١٩٢ وأزهار الرياض ٣ : ٩٥) .

٢ منها بيتان في المسالك .

٣ ط د س : كيومك .

٤ د ط س : حر .

وأجذبه إليّ ولستُ أدري أعطفاً عِطْفَه أو خيزرانا
وله فيه من أخرى [أولها] ١ :
أت تختالُ عاطرةَ الديولِ وشمسُ الأفقِ تجنحُ للأفولِ
يقول فيها :

أموقفنا بتوضح غبَّ يومٍ على أكناف حوملَ والدخول
وليلتنا وقد نشرت علينا ذوائبَ حالِكٍ مُرخي السدول
لبسنا سَمَلٍ شملته ٢ وبتنا نجومُ اللهو من عَرْضٍ وطول
وعهدي بالرقيب وقد غَسَمينا بغمز الحاجبين عن الرسول
مضتُ بشبابها الدنيا فمالي أُقيمُ على رسومٍ من طول
أقولُ لمهجتي وعليَّ منها سراييلُ المدلّةِ والحمول
ردي دارَ الخلافةِ تستدري مواهبَ مثلَ حملاتِ السيول
وسيري ما استطعتِ إلى سميعٍ مُطيعٍ للاله ولدرّسول
إلى مَنْ بين فكّيه لسانٌ وشقشقةُ كشقشقةِ الفحول
هجرتُ جنابَ قرطبةٍ ولكن جعلتُ إلى ابن حمدين قُفولي
فقيهُ ديانةٍ وسراجُ دنيا عليمٌ بالفروع وبالأصول
ألانَ المشكلاتِ وراضٍ منها فردٌ حَزُونُها مثلَ السهول
أبا عبدِ الإلهِ إليك منّي جوانحَ جانحاتٍ للوصول
بعثتُ إليك عن سحر حلالٍ وبعضُ السحر من ثمرِ العقول [أ١٨٠]

١ أورد منها في المسالك أربعة أبيات .

٢ ب م : شمل سملته ؛ د ط : شمل شملتنا ؛ س : شمل شملته .

٣ ب م والمسالك : جمات .

أُنْجَعَة رَائِدِ الْأَمَالِ هَبُّ لِي رِضَاكَ وَلَقْتَنِي وَجَهَ الْقَبُولِ
تَطَالَعَنِي الْحَوَادِثُ عَنْ تَحْدُودٍ مِصْعَرَةً وَعَنْ أَجْفَانِ غُولِ
وَهَا أَنَا وَالْمَحَلُّ جَدِيبُ أَرْضٍ وَعِنْدَكَ ثَرَّةٌ الدِّيمِ الْهَمُولِ
وَقَدْ سَفَرْتُ لِسَانُ الْحَالِ عَنْهَا كَمَا سَفَرَ الْخَضَابُ عَنِ النَّصُولِ

ومن شعره في الرثاء^١ : له [من قصيدة] في القاضي ابن أدهم ، أولها :

أَمَّا الْأَسَى فَعَلِيَّ مِنْهُ نَحَايِلُ نَفْسٌ أَصْعَمَهُ وَدَمْعٌ سَائِلُ
مَنْ نَاطِرِيَّ عَلِيَّ أَعْظَمُ شَاهِدٍ وَمَنْ الْعَيُونَ عَلَى الْقُلُوبِ دَلَائِلُ
فِي كُلِّ آوَنَةٍ إِلَى أَفْقِ الثَّرَى شَمْسٌ مَغْوَرَةٌ^٢ وَبَدْرٌ آفَلُ
خَفَضُ عَلَيْكَ فَلِلْحَيَاةِ تَقَلَّصُ هِيَ نَوْمَةٌ وَالْعَمْرُ طَيْفٌ رَاحِلُ^٣
مُزِجَتْنَا لَنَا الدُّنْيَا بِشَهْدٍ ظَاهِرٍ وَبِظَهْرِ ذَاكَ دَمُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلِ
أَقْسَمْتُ بِالْجِدْثِ الَّذِي أَنَا وَاقِفٌ أُرْنُو لِيهِ وَدَمْعٌ جَفْنِي هَامِلِ
لَوْ يَعْلَمُ الْبَشَرُ الْمَطِيفُ بِأَنَّهُ جَبَلٌ عَلَى كَبِدِ الْمَكَارِمِ نَازِلِ
لَثَمُوا جِوَانِبَهُ وَقَدْ أَرَجَ الْهَدَى وَتَضْوَعُ الْعَلِيَا وَفَاحَ النَّائِلِ
قَلَّبَ جَفُونِكَ فِي حَدَائِقِ زَهْرِهِ فَمَنْ الْغَمَامِ عَلَى الرِّيَاضِ شِمَائِلِ
كَالْبَحْرِ كَانَ فَنَهْنَهْتُهُ مَنِيَّةً فَتَغَطَّتْ^٤ بِهِ وَلِكُلِّ بَحْرِ سَاحِلِ
عَضَّدَ الْهَدَى وَسَعَى إِلَى تَأْيِيدِهِ وَالرَّغْفُ نَهْرٌ وَالسِّيُوفُ جَدَاوِلِ
وَهْدَى الْأَمِيرَ إِلَى مَنَاهِجِ قَصْدِهِ وَمَعَ الدَّلَاةِ عَلَى الْمَيْسَاهِ حَبَائِلِ

١ ومن شعره في الرثاء ، وقع هذا عنواناً كبيراً في ط د س ، وأدرجت تحته مرثية في ابن أدهم ومرثية في ابن عبد الصمد ، وبذلك تنتهي الترجمة ؛ ولهذا تقع قصيدته في مدح ابن أبي سابقة لباب الرثاء في تلك النسخ .

٢ ط د س : مقورة .

٣ ط د س : زائل . ٤ ط د س : قطعت .

لم تلهيه الدنيا فأعرضَ دونها وبيتَرَكَ عاجلها يُنالُ الآجل

ومن أخرى في الفقيه عبد الصمد :

الآن أدريجت الآمالُ في كنفنِ
لنا إلى الله جلَّ الخطبُ في رجلِ
أما وقد طُويبتُ تلك المحاسنُ لا
مالي كراعتُ من البلوى وبني ظمأ
أصبحتُ بعدك والأيامُ مُعرضةُ
يا مُخرسي وقديماً كان يُنطقني
أما السماءُ على أرضي فمطبقةُ
وقد تبلدتُ لا أدري وكانَ معي
هادنتُ فيك همومَ النفسِ أصحابها
هيهاتِ لا أنتَ إلاً واضعاً ليدي الـ
أنهبتَ مالك في تقوى ذخرت بها
ينأى الثناءُ فتستدنيه مرتخصاً
تُعطي وتمنعُ في حالٍ فيا عجباً

ومن مديحه من قصيدة في ذي الوزارتين أبي جعفر بن أبي :

كم بالظعائن من ذواتِ حجالِ
عهدي بهنَّ وهنَّ يطوينَ الملا
والليلُ كالزنجي تحسبُ أنه
أسقي لأيامي^٢ بمنزلةِ اللوى
هيئفِ الحصورِ رواجحِ الأكفالِ
طَيِّبينِ بين النصِّ والإرقالِ
كرةُ تثارُ بصولجانِ هلالِ
وزمانينا الخالي بذاتِ الخالِ

٢ ط د س : لأيام .

١ ط د س : حشابه الضير .

أيامٌ نمرحُ تحتَ ظلِّ شبيبةٍ
والدهرُ يمزجُ باتصالِ حديثنا
مالي سوى كَنَفِ الصبايةِ بعدهمُ
لا همَّ إلاّ أني عِفْتُ النوى
ظفرتُ يدايَ وقيدُ يثتُ بماجد
يا من نحاذرُهُ ونرجو عَفْوَهُ
هو كالغمامةِ أو كبحرٍ ساكن
والأرضُ تحملُ أهلها ولربما
قسِمَ الزمانُ بصوله وبقوله
حملت حمائلهُ فضاضةً بأسه

ومنها :

يا منجدي والدهر يغمرُ جانبي
كيف الإقامةُ بينَ حالتي ذلّةٍ
ماذا^٢ تراه وأنت مالكُ عزمي
أسلمتُ نحوك وجّهَ آمالي فهل
لني لأعلمُ أن شغلكَ بالعلا

ومنبهي من نومةِ الأغفال
عرتا من الإخلالِ والإذلال
أسيرُ أم أبكي على الأطلال
دُفِعَ الهِناءُ إلى يمين الطالي
يُنْسِيكَ ، فاجعني من الأشغالِ

وله من أخرى :

وأبائي من شادينِ جمِّ الدلالِ خرقِ
رمى بقوسيِّ حاجبِ قلبي وسهمِ مذقِ

١ ب م : دمع سال .

٢ ط د س : مالي .

من لي به كعهدنا يوم الحمى بالأبرق
 وركضنا في ليلة تفتق مسك الأفق
 وناشنا قد نُشِرتْ طي لسواء الأفق
 وابتسمت ضاحكة عن شفق في غسق
 يا ابن أبي الفتح وهل مفتاح باب الغلق
 الا يسداً تخبطها عن ورق من ورق

منها :

ردت جناحي ضافياً وطوقت من عنقي
 مثلك لا يلقي امرؤ مؤمل ولا لسقي
 غريبة في مغرب وآية في مشرق
 بيت قريش بيته وأي شيء يتقي

ومن أخرى :

وأبني من لحظ ذي غنة شخت الحشا أهيف أملود
 طرز فوق الورد من خده بالمسك من خيلانه السود
 مستملح علواً ومستحسن سفلاً بتصويب وتصعيد
 ردف كحقف الرمل يرتج في قد كغصن البان مقدود
 بي ظمأ برح إلى صرفة تمطرها ماء العناقيد

ومنها :

رضيع درّ المجدي في أسرة من معشر غر صناديد
 ما أحسن الدنيا وقد حليت منهم بحلي القادة الرود

وما ألدَّ العيشَ في ظلهم ما بين مخضودٍ ومنضود
وهاكبا والسحرُ حليُّ لها وليدةٌ في بُزْدٍ توليد [١٨١ب]
ذاتَ قوافٍ شُرِّد ما بَدَتْ إلَّا وصادتْ مُهَجَّ الصيد
حالي وان لآح [لها] روثقُ حالُ شريدِ الدارِ مطرود
وربما يبيضُ وجهُ امرئٍ والنارُ في أحشائه السود
ويكتسي من ورمٍ حمرةً ما كلُّ توريدٍ بتوريسد

نظر فيه إلى قول القائل :

وقد يكتسي المرءُ حرَّ الثيابِ ومن تحتها حسالةٌ مضنيه
كمن يكتسي خدَّهُ حمرةً وعلتهُ ورمٌ في الرية

وله من أخرى في القاضي ابن حمدين^١ :

هجموا وقد سترتِ القِلاصُ الوخدَ والليلُ كالزنجيِّ أسحمُ أسودُ
والخاطفاتُ من البروقِ كأنها بيضٌ مؤلِّلةٌ تُسَلُّ وتغمد

ومنها :

يا صاحبيَّ وشدَّ ما علَّئتما ووعدتما لو صحَّ ذلك الموعد
ما يصنعُ الصنُّو الشقيقُ بصنوهِ ما يصنعُ القاضي الأجلُّ محمد
هذا الذي لولاه أجذبَ مُخْصِبُ وتجللَ البطحاءَ ليلُ أربد
يبني العلا ويهدُّ ركنَ عدوه فهو الزمانَ مهدِّمٌ ومُشيد
إنَّ العيونَ وقد قرَّرنَ بعدلهِ لتنامُ وهو القائمُ المتهدِّد
ينأى ويُدنيه التواضعُ منزلاً فمقرَّبٌ في حالهِ ومبعد

١ أورد العمري منها ٤ أبيات في المسالك .

فَرَجَّتْ يَا قَاضِي الْقَضَاةِ جَهْمَةً أَدْنَى مَرَاتِبِهَا السَّهَا وَالْفِرْقَدُ
لَوْلَاكَ وَهِيَ مِنَ الدَّوَابِلِ هَزَةٌ كَانَتْ قَنَاةُ قِصَائِدِي تَتَقَصَّدُ
هِيَهَاتَ ، يَعْمَجُزُ عَنْ صِفَاتِكَ شَاعِرٌ وَلَوْ أَنَّهُ الْمَتَكُوفُ الْمَتَبَعْدُ
خَذَهَا إِلَيْكَ وَقَدْ قَعَدْتَ بِمِرْصِدِ وَالذُّ شَيْءٍ مَوْعَاً مَا يُرْصَدُ
رِشْتَ الْقَرِيضَ وَقَدْ أُخِلَّ بِأَهْلِهِ عَدَمُ السَّمَاخِ وَخَطْبُ دَهْرٍ أَنْكَدُ
دَامَتْ لَكَ النِّعْمَى الَّتِي أَلْبَسْتَهَا تُبْلِي وَتُخَلِّقُ بَرْدَهَا وَتَجَدِّدُ
وَجَمِيلَ ذِكْرِكَ يَا ابْنَ حَمْدِينَ عَلَى صُحُفِ الْمَحَامِدِ بِالشَّيْءِ مُحَمَّدٍ [١٨٢]

في ذكر الأديب أبي بكر محمد بن عيسى اللداني وسياقة جملة من متخير شعره

كان أبو بكر شاعراً يتصرف ، وقادراً لا يتكلف ، مرصوصاً المباني ،
ممتزجاً^٢ الألفاظ والمعاني ، وكان من امتدادِ الباع ، والانفرادِ بالانطباع ،
كسيفِ الصَّيْقَلِ الفرد ، توحدت بالابداع وانفرد ، لو كانت له مادة^٣ تنفي

١ ترجمته في بغية الملتبس رقم : ٢١٣ والقلائد ٢ : ٢٤٥ - ٢٥٢ والمغرب ٢ : ٤٠٩ - ٤١٦
والمعجب : ٢٠٨ - ٢٢٤ والتكملة : ٤١٠ والخريدة ٢ : ١٠٧ - ١٤٧ (ط .
تونس) والمطرب : ١٧٨ والوافي بالوفيات ٤ : ٢٩٧ والفوات ٤ : ٢٧ (ط . بيروت)
والزرکشي : ٣٠٦ والمسالك ١١ : ٢٧٠ وصفحات متفرقة من نفح العليوب و Hist.
Abbadid. جمع دوزي ، وله موشحات في دار التراز وجيش التوشيح : ٥٩ - ٧٢ ؛
وقد ذكر ابن الأبار في التكملة أنه توفي بميورقة سنة ٥٠٧ ودفن إلى جانب أبي العرب
الصقلي ، وعدت من مؤلفاته : مناقل الفتنة وكتاب نظم السلوك في وعظ الملوك وكتاب سقيط
الدرر ولقيط الزهر .

٢ المغرب : منمق . ٣ ط د س : مدة .

ببيانه ، لكان أشعر أهل زمانه ، وكانت أمه امرأة برززة فارسة دكان ، وصاحبة مكيال وميزان ، وعلى ذلك فقد كانت امرأة صدق ، وفي حرفتها - على ما بلغني - صاحبة حق ، مشغلة ببيع لبنها ، مقبلة على ما يعنيهها من حال زمنها ، حتى غلب اسم اللب عليها ، ونسب أولادها به إليها ، وكانت لأبي بكر وأخيه [عبد العزيز] همة تعرضهما للصدور ، وترامى بهما إلى معالي الأمور ، إلا أن أبا بكر كان أوسعهما في الأدب مجالاً ، وأكثرهما على صنعة الشعر إقبالاً ، ومال عبد العزيز إلى التجارة فحسنت طريقته ، وحمدت خليقته ، وكان له مع ذلك أدب دل على نبهه ، وشعر يستحسن من مثله ؛ إلا أنه لم يرضه مكسباً ، ولا اتخذه إلى أحد من الملوك سبباً ، فذهب عن أكثر الناس ذكره ، ومات قبل موته شعره .

وأما أبو بكر فتردد على ملوك الطوائف بجزيرة الأندلس^١ تردد القمر في المنازل ، وحل من ملوكها محل الخلي من صدور العقائل ، يسحب على دولهم ، ويقلب الطرف بين خيلهم ونحوهم ، ونخيم أخيراً^٢ في ذرى المعتمد بن عبّاد إذ كان أصدقهم نوءاً ، وأبههم في مطالع السؤدد ضوئاً « فلما نبت صعادته ، وأعوزته من دهره اسعاده ، وصار إلى المغرب ، وحل فيه محل < النازح > المغترب^٣ ، وغدرته الأيام غدر أهل خراسان لقتيبة ، وفقى له بالرحلة إليه وفاء الطعينة لعتيبة^٤ ؛ فلما

١ ط د س : الطوائف بأفقتنا .

٢ ط د س : آخرأ .

٣ ب م : المضطرب .

٤ قتيبة بن مسلم الذي فتح مناطق ما وراء النهر ثم قتلته تميم عندما تولى سليمان بن عبد الملك

زال مُلكُهُ ، وانتثر سِلْكُهُ ، وتقلَّصَتْ حواشي ظِلِّهِ ، وأنكره أكثرُ أهله ،
وقدَ عليه أبو بكر وفادةٌ دلَّتْ [١٨٢ ب] على أنَّ كَرَمَ العَهدِ كما
كان ، وأن الوفاءَ لم يدرس رَسْمُهُ حتى الآن ، فنازعه بُوسَها ، وعاطاه
كؤوسَها ، ومدحه للوفاءِ ، بأحسنَ مما مدحه للغنَاءِ ، حتى كأنَّ عبدَ
الجليل إنما نطق بلسانه ، وأعرب عن شأنه ، حيث يقول :

قضى الله أني في الثناءِ عليكمُ زيادُ وأني في الوفاءِ قصيرُ^١

وقد أشار إلى ذلك هو من مذهبه ، حيثُ يقولُ في شعرٍ مدحه به ، وقد
تقدم إنشاده في أخبار ابن عباد :

جذيمةُ أنتَ والزباءُ خانتُ وما أنا من يقصُرُ عن قصيرِ

وقد جمعتُ من أشعاره ، ومستظرفِ أخباره ، وأضفتُ إليها من
سائر ملححه^٢ ، وأوصافه ومِدَحِهِ ، ما يدلُّ على وفائه ، ويشهدُ ببراعة
ذكائه .

= الخلافة سنة ٩٧ ؛ أما عتيبة فلعله عتيبة بن الحارث بن شهاب فارس بني يربوع ؛ وما
بين أقواس هو نص القلائد .

١ زياد : النابغة الذبياني ، ووفاء قصير بلذيمة مشهور .

٢ د ط س : وقد أثبت من سائر ملححه .

جملة من شعره في أوصاف شتى

قال يتغزل^١ :

بدا على خدّه عذارٌ في مثله يُعذّرُ الكئيبُ
وليس ذلك العذارُ شعراً لكنما سرُّه غريب
لما أراق الدماءَ ظلماً بدتْ على خدّه الذنوب

وهذا كقول عبد الجليل المرسي من شعر تقدم إنشاده :

فَطَوَّقَهُ الزمانُ بما جناهُ وعلّق من عذاريهِ الذنوباً

وقال^٢ :

يا شادناً حلّ بالسوادِ مین لحظِ عيني ومن فؤادي
وكعبةً للجمال طافتُ من حولها أنفُسُ العباد
ما زدّني في الوصالِ حظاً إلاّ غدا الشوقُ في ازدياد
أعشى سنا ناظيريكَ طرفي فليس يلتدُّ بالرقاد

وقال^٣ :

بدا على خدّه خالٌ يزيّنُهُ فزادني شغفاً فيه إلى شغفِ
كأن حبةً قلبي حين رؤيته طارت فقال لها في الخدّ منه قفي

١ وردت الأبيات في المغرب والمسالك .

٢ انظر المغرب ٢ : ٤٠٩ - ٤١٠ .

٣ ورد البيتان في المغرب والمعجب .

وقال ١ :

يروقك في أهل الجمال ابن سيّد كترجمة راقته وليس لها معنى
حكى شجر الدفلاء حسناً ومنظراً فما أحسن المجلى وما أقبح المجنى

وقال ٢ من قصيدة في المتوكل عند قدومه من بلاد الجوف ، وقد
أوقع بقوم بها من الجناة ، أولها ٣ :

مضيت حساماً لا يُفلُّ له غرْبُ وأبنت غماماً لا يُحدُّ له سَكْبُ
وأصبحت من حاليك تقسم في الورى هبات وهبّات هي الأمن والرعب [١٨٣]
وقد كان جوف القُطر كالجوف يشتكي سقاماً فلما زرتهُ زاره الطّبُّ
رغا فوقهم سقُبُ العقاب فأصبحوا نشاوى من البلوى كأنهم شَرِبُ
ويا لسجّادٍ تحتهم مستقرة من الدُّهم لاجرد حكتتها ولاقُبُ
إذا أمسكوا منها الأعنة خلّتهم يُكبّون خوفاً أنها بهم تكبو
وصيّابة لما عصوك بينهم دماؤهم حيلٌ وأمواهم نهب
ملأت جذوع النخل منهم فأصبحت بهم كرحال شدّ من فوقها قتب
فلا مقلة إلاّ وأنت لها سنا ولا كبد إلاّ وأنت لها خلب
ولله يوم الأوب منك كأنه وحيد من الأيام ليس له صحب
ولما زأوك استقبلوك بأوجهٍ عليها سِمات من وداك لا تحبو

١ انظر المغرب .

٢ ط د س : وله .

٣ من هذه القصيدة ستة أبيات في المغرب وبيتان في النفع ٤ : ١٥٦ .

٤ ب م : جذب .

٥ ط د س : فيهم .

٦ ط د س : أنهم بهم ركب .

ومالوا^١ إلى التسليم فوق جيادهم
 ففضّوكَ ما قضوا وهم للعلا ردا
 كتائبُ نصيرٍ لو رميتَ ببعضها
 وما هي إلاّ دولةٌ مسلميّة^٢
 كزمتَ ولا بجرّ حكاك ولا حيا
 وأوليتني منك الجميلَ فواله
 وله من أخرى فيه يعاتبه :

نبا بيدي حسام^٣ من رضاكا
 فيا صرّفَ الزمان ويا دُجاه
 يقينُ رضاكَ لم ألبسه حتى
 وكيف يقيمُ عندك من رمتَهُ
 فلا ناديكَ يحضرهُ لأنس^٤
 وما قلقتُ ركابي عنك إلاّ
 وما ذنبُ الفراقِ على محبّ^٥
 تجاوزَ فيك ودّي كلّ حدّ^٦
 ولو جازيتني قدرُ اعتقادي
 ولو يؤتني مناه نُورُ طرّفي

فوافيتني النوائبُ عند ذاك^٤
 وقد صرّفتُ جفوني عن سناكا
 أفضتَ عليّ من شكّ شكّاكا
 خطوبُ الدهر في أعلى ذراكا
 ولا في وقتِ تأميلٍ يراكا
 وقد حلأتَ رائدها حِمّاكا^٥
 حويتَ وداده ووطى^٦ قلاكا [١٨٣ب]

ولكنّ التجاوزَ مسا اطّباكا
 لنلتُ بكَ المجرّةَ والسماكا
 لما أوّما إلى أحدٍ سواكا

- ١ ط د س : فمالوا .
- ٢ مسلمية : نسبة إلى جد نبي الألفس عبد الله بن مسلمة .
- ٣ ط د س : وفهت .
- ٤ بعد هذا البيت في ط د س : يقول فيها ، مع حذف البيت الثاني .
- ٥ ط د س : حباكا .
- ٦ ط د س : وحوى .

ثناك عن القبول عليّ واشي
وأعجبُ كيف حالتُ منك حالي
فكيف أثمتَ في تعذيب قلبي
أطعتَ عليّ من لا ميتٌ حتى
عما حسنات قصدي وانقطاعي
فجنّبَ ماءً بشرك عن جنابي
ووفّرَ راتي قبل ارتحالي
ولكنّ عن هيباتِكَ ما ثناكا
ولم تدرِ السامةَ من حلاكا
وما عُقِدَتِ على حُوبِ حُبّاكا
أرى مثواه مَثوى من عصاكا
ببيئنة أقام لها دراكا
ونفّرَ طيرَ حظّي من رباكا
كأنّ به استدلّ على غناكا

عرّضَ في هذه القصيدة بأبي الحسن بن الأستاذ ، وكان ولاء عمر بن محمد ببطلينوس ٢ خطة الاشراف ، فقطع جراية جملة من الأضياف ، وكان يلقّب بالمتنبي ، ويغضب إذا سمع هذا اللقب ، فقال فيه أبو بكر الداني :

معشر الأضياف ضجّوا قد أتى الدهرُ بآيه
قد أتاكم بنبيّ شرعه قطعُ الجرايه

فطار هذان البيتان فيه ، وكانا السبب في أن نكب .

وقال فيه أبو محمد بن عبدون :

يا أيها المتنبيّ من أرضِ وادي الحجارة
وعرضه من زجاجٍ ووجهه من حجاره

وفيه يقول أيضاً من أبيات :

أيا نبيّ الكفرِ خفّ سطوةً تأتيك من فِرْعَوْنِكَ المسلمِ

١ ب م : من .

٢ ط د س : ولاء المتوكل ببطلينوس .

ومن قصيدة أبي بكر المتقدمة الذكر :

وَهَبَهُ أَطَاقَ عَنْ مَثْوَاكَ صَرَفِي أَيَقْدِرُ صَرَفَ قَلْبِي عَنْ هَوَاكَ
وَأَنْ تَتَكُّ مَرَّةً عَثَرْتُ جِيَادِي فَمَا قَدِمْتُ مِنْ سَبَقِي كَفَسَاكَ
وَلَوْ كَلَّ السَّهَامُ أَصَابَ قَصْدِي لَمَا كَلْنَا إِلَى الْأَقْدَارِ ذَاكَ
وَقَالُوا لَيْسَ لِي أَدَبٌ سَنِيٌّ لَقَدْ زَعَمُوا مَعَ الْغَيْبِ اشْتَرَاكَ
وَهَلْ قَذَفَ الْجَوَاهِرَ غَيْرُ بَحْرِي فَحَتَّى كَمْ يُطِيقُونَ ابْتِشَاكَ [١٨٤]
سَتَعْلَمُ بَعْدَ سِيرِي أَيَّ عِلْتِي لِأَجْيَادِ الْعَلَا نَبَدَّتْ يَدَاكَ
وَأَيُّ شَدَاً أَبَيَّتَ لَهُ ابْتِشَاقًا وَكَانَ نَسِيمُهُ بِالْحَمْدِ صَاكَ

وكان أبو بكر هذا قد رحب ببطلْيوس مثواه ، وأجزل صاحبها قراه ،
إلى أن ملَّ وارتحل ؛ واجتمعتُ به بعدُ بقرطبة ، فأُنشدني لنفسه وقد ندم
على فراق بطلْيوس^١ :

رَضِيَ الْمَتَوَكِّلُ فَارَقْتَهُ فَلَمْ يُرْضِنِي بَعْدَهُ الْعَالَمُ
وَكَانَتْ بَطْلَيْيُوسُ لِي جَنَّةً فَجِئْتُ بِمَا جَاءَهُ آدَمُ
ثم وجدتُ أبا عامر بن الأصبلي قد أثبتَ هذين البيتين في شعره بخطه ،
وقد بدّل بعضَ اللفظ فقال في صاحب المرية^٢ :

جَنَابُ ابْنِ مَعْنٍ مُجَنَّبَتْهُ فَلَمْ يُرْضِنِي بَعْدَهُ الْعَالَمُ
وَكَانَتْ مَرِيَّتُهُ^٣ جَنَّتِي فَمَا جَاءَهُ آدَمُ

وهذا المعنى قد تقدم للقائل قبلهما من شعراء الدولة العامرية :

١ البيتان في الحريرة والبهية .

٢ انظر نفع الطيب ٤ : ٩ حيث ورد البيتان منسوبين للنحلي البطلْيوسي .

٣ ب م : بمرسية .

عُوِّضْتُ مِنْ قَرِطْبَةٍ يَابُورَةَ ۚ تِلْكَ لِعَمْرِي كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۚ
كَأَدَمٍ حِينَ عَصَى رَبَّهُ ۚ عُوِّضَ بِالْدُنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ
وَقَالَ الْفُكَيْيْكُ فِي مِثْلِهِ :

لَهْفِي عَلَى بَغْدَادَ مِنْ بَلَدَةٍ كَانَتْ مِنَ الْأَسْقَامِ لِي جُنَّةٌ ۚ
كَأَنِّي عِنْدَ فَرَاقِي لَهْمًا آدَمُ لَمَّا فَارَقَ الْجَنَّةَ

[رَجَع]

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ مِنْ قَصِيدَةٍ فِي آلِ عِبَادٍ :

وَقَفَ الْفَرَاقُ أَمَامَ عَيْنِي غَيْهَبًا فَفَعَدْتُ لَا أُدْرِي لِنَفْسِي مَسَدَهَا
يَا مُوقِدًا بِجَوَانِحِي نَارَ الْأَسَى رِفْقًا فَمَاءُ الدَّمِيعِ قَدْ بَلَغَ الزُّبَى
نَبَتَ الصَّبَا فِي صَحْنِ خَدِّكَ رَوْضَةً ۚ لَوْ لَمْ يَدْبِ الصَّدْعُ فِيهَا عَقْرِبَا
وَكِفَاكَ حَبْسُ الْحَسَنِ نَوْعِيهِ فَمَنْ بَرَدِ أذِيبًا وَمِنْ عَقِيقِ أَلْبَا

[وَمِنْهَا] :

أَعَدَدْتُ مِنْ تَجْنُحِ الدَّجَنَةِ جُنَّةً ۚ وَتَخَذْتُ مِنْ خَطْفِ الْبَوَارِقِ مَرْكَبَا
وَذَهَبْتُ أَطْلُبُ حَيْثُ يَنْبَعُ النَّدَى فَوَجَدْتُ فِي كَفِّ الرَّشِيدِ الْمَطْلَبَا [١٨٤ ب]
مَلِكٌ غَدَا مَعْنَى غَرِيبًا فِي الْعِلا وَغَدْتُ بِهِ الْأَيَّامَ لَفْظًا مُعْرَبَا
أَجْلَى مِنْ السِّيفِ الصَّقِيلِ الْمُنْتَضَى صَفْحًا ، وَأَمْضَى مِنْ ظُبَاهُ مَضْرِبَا
حَاوَرْتُهُ فَلَقَطْتُ مِنْهُ جَوْهَرًا وَنَظَرْتُهُ فَرَأَيْتُ مِنْهُ كَوْكَبَا
رَطَبُ اللِّسَانِ كَأَنَّ فِي أَلْفَاظِهِ رَاحًا مَعْتَقَةً وَشَدْوًا مَطْرَبَا

١ ط د س : من قصيدة أوطا .

يَلْقَى الكَمَاةَ فَتَثْنِي مَدْعُورَةً فَكَأَنَّهُ أُسْدٌ يَمُرُّ عَلَى هَبَا
رَاقَتْ عَلَى عَلِيَّاتِهِ آدَابُهُ فَكَأَنهَا زَهْرٌ تَفْتَحُ فِي رَبِي
تَلْقَى بِكُلِّ مَكَانَةٍ يَسْعَى بِهَا عَيْنًا مَفْجَرَةً وَمَرَعَى مَخْصَبَا
يَهْبُ الدِيَارَ الْمُسْتَقَرَّةَ ، وَالْهَضْبَا بَ الْمَسْتَقَلَّةَ ، وَالْبَسِيطَ الْمَعْشَبَا
وَالسَابِرِيَّ مَضَاعِفًا ، وَالسَمَهْرِيَّ مَثْقَفًا ، وَالْمَشْرِفِيَّ مَشْطَبَا
وَالْحَيْشَ فِي ظِلِّ اللِّوَاءِ مُؤَيَّسِدًا وَالْحَيْلَ فِي وَهَجِ الْكَرْيَةِ شُرْبَا

وهذا كقول أبي بكر بن عمار من شعر تقدم لإنشاده :

يَخْتَارُ إِذْ يَهْبُ الْخَرِيدَةَ كَاعْبَاً وَالطَّرْفَ أَجْرَدَ وَالْحَسَامَ مُجَوَّهَرَا
[وله من أخرى في المعتمد] :

يَارُبُّ رَبَّةَ خِدْرِ زَرْتٍ مُضْجِعَهَا مِنْ مَكْمِنِي وَالِدَجِي الْغَرِيبُ مَعْتَكُرُ
ضَمَمْتَهَا ضَمَّ مَشْتَاقٍ إِلَى كَبْدِي حَتَّى تَوَهَّمْتُ أَنَّ الْحَلِيَّ مِنْكَسِرُ
تَعَجَّبْتُ مِنْ ضَنِي جَسْمِي فَقَلْتُ لَهَا : عَلَى هَوَاكِ ، فَقَالَتْ : عِنْدِي الْخَبْرُ
ومنها :

لَا غَرُو أَنْ يَتَسَمَّى غَيْرَهُ بَعْلًا وَمَا لَهُ فِي الْعَلَا رَأْيٌ وَلَا نَظْرُ
وَقَدْ يُسَمَّى سَمَاءً كُلُّ مَرْتَفَعٍ وَإِنَّمَا الْفَضْلُ حَيْثُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
ومنها :

كَمْ جَاعِلٍ قَصْرِي عَيْبًا أُعَابُ بِهِ وَهَلْ يَضِيرُ طَوِيلَ السَّاعِدِ الْقَصْرُ
لَمَّا تَنَاهَيْتُ عِلْمًا ظَلَّ يَنْقِصُنِي عِنْدَ الْكَمَالِ يَصِيبُ النَّيِّرَ السَّرْرُ

١٠ . ورد بمض أبياتها في المغرب والمسالك والخريدة .

وفي الغراب إذا فكرت مُغْرِبَةً
ان ضَعْتُ والشعر بما قد علمت به
فالخودُ كالمزنِ قد يسقى بصيِّبه
أبتك البثَّ عن قلبٍ به حُرِّقُ
ان لم اكنَ أهلَ نَعْمَى أرتجيك لها
كلني إلى أَحَدِ الإبناءِ يُنْعِشني
قد طال بي أقطعُ البيداءِ متصلاً
كأنما الأرضُ مني غيرُ راضيةٍ
إن الهمومَ مع الأعمارِ ماشيةٍ
جُدُّ بالقليلِ وما نزرُ تجودُ به
من فرطِ إِبصاره يُعزِّي له العور
ونال جودكَ أقوامٍ وما شعروا
شوكُ القتادِ ولا يُسقى به الزهر
وليس عن غيرِ نارٍ يرتمي الشرر
فالسلكُ خيطٌ وفيه تنظم الدرر
ما لم يكنْ لي بحرًا فليكنْ نهر
وليس يُسْفِرُ عن وَجْهِ المني سَفِر
فليس لي وطنٌ فيها ولا وطر
لا ينقضي الهمُّ حتى ينقضي العمر
يا ماجداً يهبُ الدنيسا ويعتذر

قوله : « وفي الغراب إذا فكرت مغربة » . أذكرَ به بيتين لبشار أدقَّ
معناهما ، وألغز سيماهما ٢ ، وهما :

تُخَبِّرني طيرُ الفراقِ بسيرةٍ أباركِ يا طيرَ الفراقِ مبيرُ
تسميتِ عوراءٍ وأنتِ بصيرةٌ ألا ليتني أعمى وأنتِ بصير

قوله : « ولا يُسقى به الزهر » . . . البيت ، كقول الخليل بن أحمد ٣ :

١ المغرب : إن لم يكن منك بحر .

٢ ط : مسماها .

٣ ظنه من أبيات الخليل كتبها إل سلمان بن علي (أو سليمان بن حبيب) حين أرسل إليه يستدعيه لتأديب أولاده ، وهي تتردد في مصادر كثيرة ، انظر مثلاً أخبار النحويين البصريين : ٣١ وابن خلكان ٢ : ٢٤٦ وانها الرواة ١ : ٣٤٤ ؛ وفي اللسان (طبخ ، دندن) أن البيت لحسان بن ثابت ، وهو من قصيدة في ديوانه ١ : ٣١٤ وروايته « لا طباخ لهم » .

والمال يَغشى أناساً لا خلاقَ لهم كالسيلِ يغشى أصولَ الدندنِ البالي^١
وأخذه أبو تمام فقال^٢ :

لا تنكري عطّلَ الكريمِ من الغنى فالسَّيْلُ حَرَبٌ للمكانِ العالي
وكرّره في موضع آخر فقال^٣ :

نزلوا منزل^٤ الندى وذراه وعَدَتْنَا عن مثلِ ذاكِ العوادي
غيرَ أنَّ الرُّبى إلى سَبَلِ الأذِ واءِ أدنى والحظُّ حظُّ الوهاد
وقلب بعض أهل عصرنا هذا المعنى فقال :

حسبي من المال أغراهم وغيرهم علمٌ تتيهُ به الأقلامُ والصحفُ
والحزنُ إلاَّ يَكُنْ والأمرُ مشتههُ فيه الغديرُ فثمَّ الروضةُ الأُسفُ

وقوله : « فالسلك خيط وفيه تنظم الدرر » يشبه قول بعضهم :

وإن لم أكن أهلاً لما قد سألته فقد عطّلوا اليمنى وقد حسّنوا اليسرى

ويتعلق بديل هذا المعنى قول الجزيري^٥ :

ان البنانَ الخمسَ أكفاءُ معاً والحليُّ دونَ جميعها للخصرِ

١ الدندن : ما يلي واسود من النبات والشجر .

٢ ديوان أبي تمام ٣ : ٧٧ .

٣ ديوان أبي تمام ١ : ٣٦٤ .

٤ الديوان : مركز .

٥ يعني عبد الملك بن ادريس الجزيري ، وبينه هذا من قصيدة له في الآداب والسنة كتب بها إلى

بنيه وهو مسجون (انظر الجذوة : ٢٦٢) .

وقال أبو العلاء^١ :

ومن فضلِ ذي كُسيَّتْ خاتماً^٢ يروقُ^٣ وعُرِّيَّتِ البِنْصَرُ

وقوله « كم جاعل قصري » . . . البيت ، كقول الآخر :

لا يقتضي بي صغارا عندكم صِغري

وقال الداني من أخرى^٣ :

ألقاهم^٤ والظبا ما دونهم^٥ فأرى
جاروا على الريح فاستعلت رماحهم^٥
وضاعفوا حلتق الماذي فوقهم^٥
بدائع الحسن لم تؤتني حقيقتها^٥
ويح المحبين مما بالهوى ففتنوا
لا تؤت نصحك مفتونا بمذهبه
لم آت من جهة النعمى إلى أحد
ولا لمحت ابن عباد بناحية^٥
ملك^٥ يضيء ويبيدي منظرأ وندى^٥
عذب المناجاة ما في نطقه خطل^٥
يُعِدُّ للأمر قبل الأمر واجبه^٥

أني على صور في المساء أطلع^٥
دون المهب فما للريح متسع^٥
ألا ترى من سناهم بيننا لمع^٥
لغيرهم فلذا أفعالهم بدع^٥
ظنوا النصائح فيها أنها خدع^٥
فما لأعمى بضوء الصبح منتفع^٥
إلا تمكن لي في قلبه ولسع^٥
إلا حسبت عمود الصبح ينصدع^٥
والجو محلولك والغيث منقشع^٥
وطاهر الذات ما في طبعه طبع^٥
كأنه كاهن فيه لما يقع^٥

١ شروح السقط : ١٠٩٢ .

٢ السقط : يزين .

٣ وردت منها أبيات ستة في المسالك .

٤ ب م : أوت .

٥ قبل هذا البيت في د ط : ومنها .

ولنا يضيق له ذرعٌ بمعضلةٍ . فالبرّ والبحرَ في حوائثه يسع
من سرّ اللحم ولحمٌ حيث ما شهدت . تقدّمت وبنو العليا لها تبع
قومٌ يوالفُ سيماهم^٢ طهارتهم . كأنهم بطباع المزن قد طبعوا
يا وارثَ المجد عن شمّ غطارفةٍ . بهم أنوفُ الخطوب الشمّ تجندع
ان كان مجدك شعراً في نفاسته . فإنما أنت بيتٌ فيه مخترع
وهذا كقول أبي الطيب^٣ :

ذُكِرَ الأنامُ لنا فكانَ قصيدةٌ . كنتَ البديعَ الفردَ من أبياتها
وكذلك بيته المتقدم حيث قال « فما لأعمى بضوء الصبح^٤ منتفع » ،
من قوله^٥ :

وما انتفاعُ أخي الدنيا بناظره . إذا استوت عنده الأنوارُ والظلمُ
وكرر أبو بكر هذا المعنى وتصرف فيه ، وكثيراً ما يولع بتريد ألفاظه
ومعانيه ، كقوله :

ومن يسدّ عليه الضوءَ باصره^٦ . فليس ينفعه أنّ الضحى بادِ
وكان أبو بكر قد حضر في غزاة يوم الجمعة^٧ المتقدمة^٨ الذكر^٩ فلما

١ ب م : ولم .
٢ ط د س : نمامهم .
٣ ديوان المتنبي : ١٧٤ من قصيدته في مدح أبي أيوب أحمد بن عمران .
٤ ب م : الشمس .
٥ ديوان المتنبي : ٣٢٣ .
٦ ط د س : ناظره .
٧ يعني غزوة الزلاقة .
٨ ط د : المتقديم .
٩ ط : المذكور .

ورد حضرة اشبيلية وتعذر عليه رؤية^١ المعتمد كتب إليه شعراً قال فيه :

يا مَنْ عليه من المكارم والعلا بُرْدٌ بتطريزِ المحامدِ مُعَلِّمٌ^١
هل نظرةٌ تُوحِي إليَّ ، وعطفةٌ تَنْدِي عليَّ ، ورأفةٌ ترحم
وعسى أراكَ بحيثُ ينبعثُ^٢ الندى ولقد رأيتك حيثُ ينبعثُ الدم
قد كنتُ في أرضِ الوغى أجني الردى وأنا بروضِ^٣ الجودِ لا أُنسَم
ما كان بينَ يديكَ غيري والظبا متلفعاتٌ والقنا متحطّم
قد رِشْتَنِي سهماً فرِشْنِي طائراً وكما نفلتُ فإني أُنرَم

وكتب أيضاً إليه [في ذلك] بشعر قال فيه^٤ :

أُحدِثُ عن يومِ الوغى ملءَ منطقي وأسأل عن يومِ النّوالِ فأسكُتُ
وأراه ألمٌ في هذا المعنى ، وان لم يكن به ، بقول أبي العتاهية في عمر بن
العلاء^٥ :

يا ابنَ العلاءِ ويا ابنَ القرمِ مرداسِ إني امتدحتك في صبحي وجلاسي
أثني عليك ولي حالٌ تكذبُني في ما أقولُ فأستحيي من الناس
حتى إذا قيلَ ما أعطاك من صَفَدِ طأطأتُ من سوءِ حالِ^٦ عندها راسي

وقال الآخر :

١ ورد هذا البيت في المغرب .

٢ د : يبتعث .

٣ ط : بأرض .

٤ انظر البيت في المغرب ٢ : ٤١١ .

٥ ديوان أبي العتاهية : ٥٦٨ .

٦ د : حالي .

فاختر لنفسك ما أقولُ فإني لا بدّ أن أخبرهم وإن لم أسألِ

وقال ابن زيدون من شعر قد تقدم إنشاده^١ :

وأبيّ جوابٍ منك ترضى به العلا إذا سألتني عنك السنةُ الحفل [١٨٥ ب]

وقوله : « قد رشتني سهماً . . . » البيت ، معنى مشهوراً موضعه ،
باهرٌ مطلقه ، فأخذه أبو بكر فنقله نقلاً مليحاً ، وزاد فيه إحساناً صريحاً ،
والذي نبهه عليه قول المعري^٢ :

وحالاً كرىش النسرينا رأيتهم جناحاً لشهمٍ أضّ ريشاً على ستهم^٣

ومن شعر أبي بكر في صاحب ميورقة قصيدة أولها :

نخلعتُ عذارِي في عذارٍ على خدِّ حكي خُضرةَ الریحانِ في حمرةِ الوردِ
صقيلٌ كمثلِ السيفِ أخضرٌ مثله يبيتُ ولكن من فؤادي في غمدِ
ومما شجاني شكلُ شارِبِهِ الذي تمثّلَ قوساً مثل مَبْسِمِهِ البردِ
كفاني أنِّي بالزبرجدِ أَشتكي فقد صار لي قُفلاً على الدرِّ والشهدِ
يقرّ بعيني أن أزورَ كناسه ولو كان مخفوفاً بضارية الأسدِ
ويُفنعني سعدي^٥ لدى ناظرِ العلا وإن كان لي في كل وادٍ بنو سعدِ

ومنها في المدح :

١ ديوان ابن زيدون : ٢٧٣ وفيه « وأين جواب » .

٢ شروح السقط : ٩٤٩ .

٣ حالاً : منصوبة بفعل « شكوت » في بيت سابق ؛ والشهم : الطائر للشهم الفؤاد .

٤ ط د : من

٥ ب : شعدي ؛ م : شعري .

هو الدهرُ في تصريفه لصروفه
 خصيب نواحي^١ الفضل يضحك كله
 فقل في أياديه رياضية^٢ الذرى^٣
 إليه ، وإلاً قيّدوا قدم السرى
 يطالعُ عن صبح ، وينهلُ عن حياً
 وعنه أفيضوا إنه مشعرُ العلا
 وألغوا حديثَ البحر عند حديثه
 يؤثر في الأفلاك من بُعدِ غوره
 تخصصت أحياناً بلخمٍ ويعرب
 ولما حلت الناصرية أقبلت
 وثقتُ به ضيفاً على رغم حاسدي
 سكنتُ له حتى أرقته^٤ وإنما
 تقيسني الأعداءُ في مهجاتها
 وتحسبُ في عودي لياناً وإنسه
 عهدتُ مع الفتخ الكواسر طائراً
 ويا عجباً من جهل كل فراشة
 وأيقظت من صلّ خلقتُ وها أنا

فمن جهةٍ يحيمي ومن جهةٍ يردي
 عن المكرمات السببُ والحسبُ الجعد
 وقل في معاليه هضابية المجد
 وفيه ، وإلاً أحرسوا منطلق الحمد
 ويخطفُ عن برق ، ويقصفُ عن رعد
 وحوليه طوفوا إنه كعبةُ القصد
 فكم بين ذي جزرٍ وكم بين ذي مدّ
 كتأثير نورِ الشمس في العين الرمد
 وظهرت أحياناً بغسان^٥ والأزد^٦
 إليك وفودُ الشعرِ وفداً على وفد
 كأني وقفُ ضاق منه على زند [١٨٦أ]
 كمنتُ كمون النار في حاجر الزند
 كمن قاس في أوداجه ظُبة الهند
 لفي السرّ من نبعٍ وفي الجهر من رند
 وها أنا مشاء مع النعم الرُبد
 تُعارضُ مصباحي ليحرقها وقدي
 يسامرني^٦ من ظلّ أنوم من فهد

١ ط د س : نوال .

٢ د ط س : الندى .

٣ سقط هذا البيت في د ط س وجاء في موضعه : ومنها .

٤ ط د : ربت .

٥ ط د س : أريت .

٦ ط س : يسايرني .

شكرتك عن ودّ وليس مركباً
وفيك جرعتُ الدلّ ، والعزُّ عادتِي
من الشكر إلاّ من بسسيطٍ من الحمد
فلي شيمَةُ المولى ولي شيمَةُ العبد
وله فيه وقد طاف به ألم :

شكا لشكواك حتى الشمسُ والقمرُ
وراحتِ الرياحُ لا يذكرُ لها عبقُ
وقلّص الظلُّ في فصلِ الربيعِ لنا
والماءُ غاضٍ لنا غيضاً فما نبعثُ
والسحبُ صاحبَها ذُعرٌ فما نشأتُ
ومعدنُ الدرِّ والياقوتِ غيوضُ به
وحلٌّ بالطيبِ في دارينِ دائرةٌ
يومان غبتَ فغاب الأُنسُ أجمعهُ
يا ناصرَ الملكِ إن الملكَ وجّههُ علا
إبلالُ جسمِك أهدانا بليلَ صبا

وتسعي^٢ به إلى ناصر الدولة وبُغي ، وتُبيدَ حقُّ نباهته وألغي ، فلم يَرعَ انقطاعه ،
ولا جازى إحسانه وإبداعه ، وكانت عادته في غير ما طارىء ولا ضيف ، النفي أو
السيف ، فلم يُفتَح مع أبي بكر في إحداهما باب ، ولا أغبّه جزع وارتياب ، فكتب
إليه يستصرخه^٣ ، فقال^٤ :

عسى رافةً في سراحِ كريمٍ أبُلُّ ببردِ نداءهِ الغليلا [١٨٦ ب]

١ ط د : يدرى .

٢ من هنا يتفق النص مع القلائد : ٢٤٩ ، ولم يرد في د ط س .

٣ القلائد : يستصرخه .

٤ انظر القلائد والمغرب ٢ : ٤١٣ .

وعسّي أراحُ من الطالبين فأسكنَ للأمنِ ظلاً ظليلاً
ومن بله الغيثُ في بطنِ وادٍ وبات فلا يأمنُ السيولا
أفرُ بنفسِي وإن أصبحتُ ميورقةً مصرأً وجدواك نيلاً

وله يمدحه ١ :

عرجُ بمنعرجاتِ واديهم عسى تلقاهمُ نزلوا الكنيبَ الأوعسا
اطلبهمُ حيثُ الرياضُ تفتحتُ والريحُ فاحتُ والصبحُ تنفّسا
مثلُ وجوههمُ نجوماً ٢ طلّعا وتخيّل الحيلانَ شهياً كُنّسا
وإذا أردتَ تنعماً بقُدودهم فاهصرُ بنعمانَ الغصونِ الميسا
بأبي غزالٍ منهمُ لم يتخذُ إلاّ القنا من بعد قلبي مكنسا
ليس الحديدُ على لجين ٣ أديمه فعمجتُ من صبحٍ توشحَ حنديسا
وأتى يجرُ ذواثباً وذوابلاً فرأيتُ روضاً بالصلالِ تحمّسا
لا ترهبِ السيفَ الصقيلَ بكفته وارهبُ نعاذله العذارَ الأملسا
رام العدا عذلي عليه ففتهم والنجمُ ليس بممكن أن يُلمّسا
وفككتُ بغيهمُ ففزتُ وهكذا فكُ الصحيفةِ خلّص المتلمسا
وإذا وصلتَ إلى الأميرِ مبشراً فاجعلُ بساطك في ثراه السنديسا

وكان ٤ بينه وبين الوزير أبي القاسم زمام ائتلاف ، ومعاطاة سلاف ، فلما دخل ميورقة تجدد دارسه ، وعادت آجاماً مكانسه ، وكان أبو بكر يظن أن هذه الموات تنفقه وإن كسد ، وتخلصه ولو حصل في هوات الأسد ، ولم يعلم أن لا جديد لمن لم تخلقه الأيام ولم تبله ، ولم يسمع : « وجدت الناسَ اخبرُ تَقْلَبُهُ » ؛ فلما تغير له ناصر الدولة وتنكر ، ورأى من قعود أبي القاسم عنه ما أنكر ، هبّ من غفلته ، واحتال في تفلّته ، فلاذ بالفرار ،

١ القلائد والمغرب والحريفة : ١٣٤ .

٢ المغرب : بدوراً .

٣ ب م : الحديد ، والتصويب عن القلائد والمغرب .

٤ القلائد : ٢٤٩ - ٢٥٠ .

وعاذبني حماد بحكم الاضطرار ، وجعل يستنزله من هناك ويستعطفه ، ويداريه ويستلطفه ،
ليمنّ باعادته ، وصرفه إلى عادته. ، فمن ذلك :

نسيمك حتام لا ينبري وطيفك حتام لا يعترني [١٨٧أ]
أعيدك من عرض أن تكون وأنت الذي كنت من جوهر
أتذكر أيامنا بالحلمى وأيامنا بذوي^١ الأعصر
ألا رافة من وفيّ كريم ألا عطفة من سنيّ^٢ سري
رمى زحل فيّ أظفاره وحل فداعيني^٣ المشتري
عطاردهل لك من عودة فأرجع منك إلى عنصر
سيشتاقني الملك مهما أراد لباس نسيج من المنخر
ولو أن كلّ حصاة تزين ما جعل الفضل للجوهر

ولمّا نوى الانفصال ، خاف الانتهاب والاستئصال ، فأراد أن يكتم ذلك الفرار ،
ويطوي إعلانه في الاسرار ، وخشي أن يفتن لخروجه^٥ ، ويطلع عليه من خلال فوجهه ،
فعزم على مودعة بعض الإخوان ، ومطالعة < ما > في ذلك الخوان ، فكتب إليهم :

أقول تحية وهي الوداع خداعاً لي وما يغني الخداعُ
أعلل بالمنى قلباً شعاعاً وهل يتعلل القلب الشعاع
وأترك جيرة جاروا وأشدو « أضاعوني وأي فتى أضاعوا »^٦
إذا لم يرع لي أدب وبأس فلا طال الحسام ولا اليراع
لقد باعتنيّ الأيام^٧ بنحساً وعهدي بالذخائر لا تباع

١ كذا هي أيضاً في القلائد ولعل الصواب : بدوى .

٢ ب م : سري .

٣ ب : يداعيني .

٤ القلائد : ٢٥١ .

٥ ب : بخروجه .

٦ صدر بيت للرجي ، وعجزه « ليوم كريمة وسداد ثغر » .

٧ ب م : العلماء .

أجفتني^١ فلم يثبت ربيعٌ وحطنتي فلم يثبت يفاع
ومكّنت العدا مني فعائت ، بلحمي ضعف ماعاث السباع

وقال يخاطب ناصر الدولة مردعاً وعاتباً :

سلام على المجد يندى بليلا كنشر الربى بكرة وأصيلا
سلام وكنت أقول الوداع ولكن أدرج قلبي قليلا

وله عند خلع المعتمد^١ :

أستودع الله أرضاً عندما وضحت بشائر الصبح فيها بدلت حلكا
كان المؤيد بستاناً بساحتها يُسجني النعيمَ وفي حافاتها فلكا [١٨٧ب]
في أمره للملوك الأرض^٣ معتبر فليس يفتّر ذو ملك بما ملكا
نبيكه من جبل خرت قواعده فكلّ من كان في بطحائه هلكا
ما سُدَّ موضعه^٤ ، الرزقُ سُدَّ به طوبى لمن كان يدري أيةً سلكا

وله فيه من أخرى^٤ :

أخَدَتْ عَلَيْكَ مَسَالِكَ السَّلْوَانِ حَدَقُ الْمَهَا وَسِوَالْفُ الْغَزْلَانِ

يقول فيها :

زمنُ المشيبِ زمانة^٥ ولربّما زادتك فيه خيانةُ الإخوانِ

١ ب م : أخافتني .

٢ انظر القلائد : ٢٤ والنفح : ٤ : ٢٧٤ .

٣ القلائد والنفح : الدهر .

٤ هذه القصيدة في مدح مبشر صاحب ميورقة ، وهذا يدل على أن الاقتباس من القلائد قد فصل

بين نصين متصلين في الذخيرة ، راجع قصيدته السابقة « خلعت عذارى في عذار على شد »

أما هذه القصيدة النونية فقد وردت منها أبيات في المغرب والمسالك .

٥ ط : زيادة .

زادوا جفاءً فانقصت مودةً
أنا مثلُ مرآةٍ صقيلٍ صفحُها
كالماءِ ليس يُربك من لونٍ سوى
وهذا مثل قول الآخر^١ :

أنا كالمراةِ ألقى كلَّ وجهٍ بمثاليه^٢

ومن المدح :

ملك إذا عقد الغنائر^٢ للوغى
وإذا غدت راياته منشورةً
ضبطت الأمور ثقافةً فأعادها
عضت على الأملاك دولته به
ولقما يقري الحسامُ ضريبةً
والدرعُ ليست جنةً ما لم يكن
عن ناصر الأملاك حدثٌ واطرحُ
من قومهُ العربُ الأولى خيماتهُم
حننت إلى أرماعهم مهجُ العدا
يمينيةً حُجزاتهمُ فلذلكم
يخفي المكارم وهو يوقد نارها
ويجيءُ نوعُ بنائه بغريبةٍ
تروي الربى والشمس في السرطان [١٨٨أ]

١ البيت لابن الرومي كما في التمثيل والمحاضرة : ٣٠١ .

٢ ب م : العقائد ؛ ط د س : المغافر .

٣ ط : تبن .

فعلت بآمالي عوارفُ كفته
 أسدى إليّ من الصنائع مثلما
 يا منشيءَ العلياءِ بعد مماتها
 الأرضُ حاجتُها إليكَ بطبعها
 عالج بسيفك ما وراءَ بحورها
 لا تشغلنك خدعةٌ فلربما
 والخبرُ يجلو كلَّ شيءٍ مثلما
 ثرُّ ثورةِ السفاحِ^٢ تصفرُّ بالعدا
 عجباً لأعيادِ أتمك ثلاثة
 الفتحُ عيدٌ والعروبةُ مثله
 فكأنَّ نجمَ المشتري في سَعده
 ملاً البسيطةَ فيه جُنْدك كثرةً
 هالكت صبْحتهُ بنيةٍ مخلصٍ
 خذها إليك نسيجَ شكرٍ حاكه^٣
 كلمٌ هو السحرُ الحلالُ وما أرى
 يا حاقراً قدري وقدري فدوقه
 عبتُم رطوبةَ منطقي فكأنكم
 وجهتمُ أن القلادةَ لؤلؤ
 أنا شمسكم، إن لحتُ غبتم، أوأغب

ووردت على الأمير مبشر بن سليمان بميورقة قصيدة من نظم أبي المظفر

٢ ب م : الصفاح .

١ ط د س : أصعب .

٣ ط د : حاكها .

البغدادي ، أولها ١ :

هو طيفُها وطروقُهُ تعليلُ فمتى يفني لك والوفاءُ قليلُ
وكانَ زورَتَهُ تخيُّلُ بارقُ فتمتت به النكباءُ وهي بلييلُ
فألقدُ من مَرَحِ الصِّبَا متأوِّدُ واللحظُ من ترَفِ النعيمِ عليلُ [١٨٨ب]
والخصرُ مما خفَّ جالٍ وشاحُهُ قلقاً وما وارى الإزارُ ثقيلُ
أقصرُ من الإدلالِ فهو على النوى ما دام يجلبُهُ الدلالُ دليلُ
ودعِ الرِشاةَ فكلُّ ما يحكونه عند اللقاء يُزيِّلُهُ التأويلُ
ووراءَ وصلكمُ القصيرُ زمانُهُ هجرُ كما شاء الغيورُ طويلُ
لو دام قبلكمُ اجتماعُ لم يدقُ ألم < التفرُّق > مالكُ وعقيلُ ٢
ومنها :

فرحلتُ والنفسُ الأبيَّةُ حرَّةُ والعزمُ ماضٍ والحسامُ صقيلُ
بقصائدٍ قستِ الليالي واكتست منها فرقتُ بكرةً وأصيلُ
خضلتُ بدجلةَ والعراقِ ذيولها فاهتزَّ من طربٍ إليها النيلُ
فأقمتُ حيث العزُّ أبلغُ والندى جمُّ وظلُّ المكرماتِ ظليلُ
سمحٌ وان كثر العفاةُ بماله وبماء أوجهُ سائليهُ بنجيلُ
ومسدِّدِ العزَماتِ لا يغمناها خطبُ كما اعتكر الظلامُ جليلُ
ويصيبُ أعقابَ الأمور إذا ارتأى عفواً ، وآراءُ الرجالِ ثقيلُ
وإذا الوغى حدَرَ الكمأةُ لثامهُ ومشى بسرَّ المشرفي صليلُ ٣

١ د ط س : قصيدة من مصر ليمض أهل العصر أولها ؛ ولم ترد هذه القصيدة في د ط س .
٢ مالك وعقيل نديما جديمة الأبرش ، وكان يضرب بهما المثل في التلازم ، وقد ذكرتهما الشعرا
كثيراً ، فمن ذلك قول أبي خراش الهذلي :

ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا خليلاً صفاء مالك وعقيل

٣ لم يجي جواب « إذا » في ما يلي من أبيات .

ورماحه تُوجِّنَ من هام العدا
من معشرٍ لهم السماحةُ شيمةٌ
نَقَضَتْ إلى أكنافهم لمَ الرُّبى
شرقتْ بنغمةِ شاعرٍ أو زائرٍ
لكم المعلّى والرقيبُ من العلا
وسعيتَ للعلياء حتى أيقنتُ
واهاً لعصرِكَ وهو يقطرُ نَضْرَةً
فكأنه وردُ الخلودِ إذا اكتست
أين المدى ولقد بلغت من العلا

ولخيله بدمائهمُ تنعيل
والمجدُ تيربُ والنجومُ قبيل
أيدي الركائب سيرهنَّ ذميل
ودعا هديلُ فاسنجاب صهيل
وبكم أفاضَ قِداحهنَّ مُجِيل
أن الأوائِلَ سعيهمُ تضليل
ويميسُ تحت ظلاله التأميل
خجلاً وكاد يزيناها التقبيل
رُتباً تردُّ الطرفَ وهو كليل

فكلف أبا بكر الداني معارضتها فقال^١ : [١٨٩ أ]

في الطيف لو سمح الكرى تعليلُ
وينوبُ عن شخصِ الحبيب خيالُهُ
برقُ السماءِ على الغمامِ علامةُ
والروضُ إن بَعُدتْ عليك قطوفُهُ
حَسَبُ النسيمِ من اللطافةِ^٣ أنه
ومهجتي نجمٌ له في مهجتي
حوّلتُ عهدَ مُناخه بمناخه

يكنفي المحبَّ من الوفاءِ قليلُ
إن لم يكنهُ فإنه تمثيل
وسنا الصباح على النهار دليل
وَقَدَتِكَ^٢ عنه الريح وهي بليل
صَحَّتْ به الأجسامُ وهو عليل
مسرّى ولي في قربه^٤ تعديل^٥
فَقَضَى بتحويلي^٦ لي التحويل

١ وردت بعض أبيات منها في المغرب والمسالك .

٢ د : وافتك .

٣ ط د س : الطلاقة .

٤ ط د س : نوره .

٥ ب م : تعويل .

٦ ب م : بتحويل .

في مثل لَمَّتِهِ سریتُ وفي يدي
 شفقٌ وشارقةٌ لديه ورقةٌ
 وتنوفةٌ واصلتها بتنوفةٍ
 تقفُ الرياحُ بها مقيدةً الخطي
 لا يلتقي طرفٌ إلى طرفٍ بها
 وركبتُ ما ترك الوجيهُ ولا حقٌ
 ورميتُ عن قوسٍ تنيرُ لي الدجى
 وكأنه قَرَحٌ^١ على أفق الضحى
 ملكٌ كما اتقد الصباحُ وراءه
 جاورتُ منه البحرَ إلا أنه
 وصبوتُ حيث تغازلتُ همم^٢ العلا
 كنفٌ يرودُ الغيثُ خصبَ جنباهِ
 قمرٌ له فللكُ البروجُ محلةٌ
 وإذا رنا للرمح طرفٌ شاخص
 وشدا صهيلٌ مطربٌ فأجابه
 وقف الوغى منه على ذي هيبةٍ

ومنها :

وأنتك من بغدادَ بكرٌ ما لها غيري وان كثر الرجالُ كفيل

١ ب م : قلع .

٢ ب م : مع .

٣ ب م : والشمس .

غُدِّيَت^١ بماءِ الرافدين وربما قد بلَّ عطفِها بمصرَ النيل
جُمِعَتْ وشعري في بساطك مثلما جُمِعَتْ بشينة في الهوى وجميل
ان لم يفتها أو تفتته^٢ به فلا تفصيلَ بينهما ولا تفضيل
انا ذاك لو أني أكونُ لكندة ما فاني فيها الفتي الضليل
لا عيبَ لي إلاَّ النحولُ رضيتُهُ^٣ إن المهتدَ قاطعٌ ونحيل

وكان أبو بكر الداني مع جودة شعره يخلط أمره كله من أوله إلى آخره
عُجِبُ يَخِلُّ به وبأدبه ، فلا تزال عُقْدُهُ تنحلُّ عند من يحتلُّ به ،
حتى يرجع على عقبه ، إذ كان أعجبَ الناس تهاقناً ما بين قوله وفعله ،
وأحطهم في هوى نفسه ، وأهتكم لعرضه ، وأجرأهم على ربِّه ، له
في هذا الباب أخبارٌ مشهورة ، وأغراضٌ مذكورة ، وكان خروجه عن
صاحب ميورقة^٤ على هذه السبيل ، بعد أن ساء فيه القول والقييل ، فاعتذر
إليه بهذه القصيدة ، وهي آخر شعر قاله فيه ، أولها^٥ :

[سلامٌ على المجد يندى قليلاً كنشر الربي بكرةً وأصيلاً]
سلام وكنت أقول الوداعَ ولكن ادِّرج قلبي قليلاً
ومنها :

جُرِحْتُ لديك وكنتُ البريءَ كما يجرحُ اللحظُ خدّاً أسيلاً
[أخاف عليه انصداع الصفاة ألاَّ يكون زجاجاً عليلاً]

١ ب م : عذبت .

٢ ط د س : يعبها أو تبعه .

٣ زاد في ط س : المذكور .

٤ وردت أبيات منها في القطعة التي قدرت أنها دخيلة من القلائد ، ص : ٦٨٣ ، ٦٨٦ وهذا
مثال على مقدار الخلط الذي اعتمده في المزج بين الكتابين : القلائد والذخيرة .

ولو لم أكن ماضيَ الشفرتين لما فلتني الدهرُ سيفاً صقيلاً
[تسرُّ ضالتيَ الشامتين وهل خُلِقَ الصلُّ إلاَّ ضئيلًا]
أت ذلةً منك محبوبةً فلم أرض بالعزاً منها بديلاً
تكلفتُ فيها سوادَ الخطوب فأشبهه عندي طرفاً كحيلًا
ولولا مقاميَ بين العُداةِ لما كنتُ أوثرُ عنك الرحيلًا
ومن بله الغيثُ في بطن وادٍ وباتَ فلا يأمنُ السيولًا
عسى رافةً في سراحِ كريم أبُلُّ ببردِ نداءِ الغليلاً
لعاني أراحُ من الطالبين فأسكنَ للأمنِ ظلاً ظليلاً
لقد أوقسدوا لي نيرانهم فصيّرني الله فيها الخليلًا [١٩٠أ]
يميناً بكم وهو أزكى يمين لألتمسُ العذرَ منكم جميلاً
سَعَوْا ليَ عندك في عثرةٍ ولا علمَ لي فكرهتُ المقيلاً
أفرُّ بنفسِي وإن أصبحت ميورقةً مصرأً وجدواك نيلاً^٢
وله أيضاً من قصيد طويل^٣ :

هلا ثناك عليَّ قلبٌ يخفقُ فترى فراشاً في فراشٍ يُحرقُ
وغرقتُ في دمعي عليك وعقبي طريقي فهل سببٌ به أتعلقُ
هل خدعةً بتحيةٍ مخفيةٍ في جنبِ موعدك الذي لا يصدقُ
أنت المنية والمنى ، فيك استوى ظلُّ الغمامةِ والهجيرُ المحرقُ
لك قد ذابله الوشيج ولونها لكن سنائك أكحلُّ لا أزرقُ
يا من رشقتُ إلى السلو فردني سبقتُ جفونك كلَّ سهمٍ يرشقُ

١ س : حلة منك محبوكة . . . بالغير ؛ ط : محبوبة .
٢ هنا تنتهي ترجمة ابن اللبابة في د ط س .
٣ راجع القلائد : ٢٤٧ والمغرب والخريدة والفوات والوافي والمعجب : ٢١٤ والمسالك :
وواضح أنها ليست نقلا عن القلائد .

ويقال إنك أبكة حتى إذا
لو في يدي سحرٌ وعندني أخذة^١
جسدي من الأعداء فيك لأنه
لم يدر طيفك موضعي من مضجعي

- ومنها في المدح :

وكانَ أعلامَ الأميرِ مبشِّرِ
مَلَكٌ - بفتح اللام - جوهرٌ هديهِ
الخيزرانةُ تلتظي في كفه
فكانَ صَوَّبَ حياً وصعقةَ بارقِ
بأسٍ كما جمد الحديدُ ، وراءه
ضدَّانٍ فيه لمعتدٍ ولمعتفٍ
عبقتُ بنارِ الحربِ نَفْحَةُ عودِهِ
وانهلَّ من كفيسه نوؤٌ مغربٌ
تلقى العفاةُ يمينتهُ وكأنها
يا أولدَ الأعدادِ في أهلِ الندى
شهِرتُ علاكَ فما يُشارُ لغيرها
بشرى بيومِ المهرجانِ فإنه
وعلى الخليجِ كتيبةٌ جرّارةٌ
وبنو الحروبِ على الحرابيِّ التي
خاضتْ غدِيرَ المساءِ ساجحةً به

تُشِرتُ على قلبي فأصبحَ يخفق
من جوهرِ الشمسِ المنيرةِ أشرق
والتاجُ فوقَ جبينه يتألق
ما ضمَّ منه نديتهُ والمأزق
كرمٌ يسيلُ كما يسيلُ الزئبق
السيفُ يجمعُ والعطاءُ يفرق
ما كلُّ عودٍ في وقودٍ يعبق
سيانٍ فيه مغربٌ ومشرقٌ [١٩٠ب]
قلبٌ إلى لقيا الأجابةِ شيق
ولأنتِ في جَمِّ الكريمةِ فيلق
والخيلُ أشهرها الجوادُ الأبلق
يومٌ عليه من احتفالك رونق
مثلُ الخليجِ كلاهما متدفق
تجري كما تجري^٣ الجيادُ السبق
فكانها هيَ في سرابٍ أيق

١ المعجب والقلائد والحريدة : يمشق .

٢ المعجب والقلائد : لا يستبين .

٣ القلائد : تردي كما تردي .

هزّت مجاذيفاً إليك كأنها
وكأنها أقلامُ كاتبِ دولة
يا ناصرَ العلياءِ دونك من فمي
ويقلُّ فيك الشهبُ لو هي أحرفُ
شكراً لأنعمك التي ألبستني
فيأتني ظلّ الندى وأشدت لي
تباً لمحطوط يروحُ مكائبي
من كان يُنفِقُ من سوادِ كتابه
وله ٢ :

يا ذا الذي حجج في عهد الصبا فمضى
أما الجمارُ فمن قلبي رميت بها
صفِ المنازلَ لي كيف انتقلت بها
عن بئرٍ زمزمٍ حدثني فبي ظمأً
وشفع الحجة الأولى بثانيةٍ
وله :

وأبأي ذلك من حاسب
لما رأني في الهوى واحداً
يقراً بابَ الضربِ في مهجتي
ويلزم الطرحَ لوصلي فلا
خُطَّ استواءُ الحسنِ في خدّه
أسقطني للأُس من عدّه
ولا يسمي لي سوى بعده [١٩١أ]
أنفكُ طولَ السدهر من صدّه

١ الممجب : أهداب .

٢ انظرها في مسالك الأبيصار .

معاملات^١ ليبتها لم تكن أو ليت ما أبداه لم يُبدِه
وله^١ :

والدهر^٢ في صبغة الحرباء منغمس^٣ ألوان^٤ حالاته فيه استحالات^٥
ونحن من لُعَبِ الشطرنج في يده وربما قُمرت بالبيدقِ الشاة
وله^٢ :

نعمت^٣ به والليل^٤ مدة^٥ ناظر^٦ فصار من السراء غمزة^٧ حاجب^٨
كأني شربت^٩ الليل^{١٠} في كاس^{١١} ذكره فلم أبق^{١٢} فيسه^{١٣} فضلة^{١٤} للكواكب
وهذه كقول الآخر^{١٥} :

عهدي بها ورداء^{١٦} الوصل^{١٧} يجمعنا والليل^{١٨} أطوله كاللمح^{١٩} بالبصر^{٢٠}
فالآن ليلى^{٢١} مسد^{٢٢} غابوا فديتهم^{٢٣} ليل^{٢٤} الضرير^{٢٥} ، فصبحي^{٢٦} غير^{٢٧} منتظر^{٢٨}
وهذا الباب فيه طول ، وقد شرطت أن اجتزىء عن الكثير بالقليل .
ومن كلمة له :

نتيجة^{٢٩} عقل^{٣٠} الفتى^{٣١} فِعْلُهُ^{٣٢} بما عنده يقذف^{٣٣} المعدن^{٣٤}
وله من أخرى :

قدمت^{٣٥} ربيعاً^{٣٦} والربيع^{٣٧} كأنما^{٣٨} تأخر^{٣٩} وترأ^{٤٠} إذ تقدمته^{٤١} شفعا^{٤٢}

١ البيتان في المسالك ، وهما من قصيدة طويلة في القلائد : ٢٩ يتفجع فيها على زوال مجد
ابن عباد .

٢ البيتان في المسالك .

٣ ب م : سمعت . ٤ كتاب المعاني : ٣٤٨ .

على نَسَقٍ وافيتما ووفيتما
صباحُ الأمانِي أنتَ أطلعتَه ضحَى
أيا ضيفُ لم تنزلَ فِئاءَكَ وحده
لِليكِ ودادي ان تشهَيْتَهُ قِريَّ
ودونك خدي فانتعلهُ ومهجتي
وهبني شفاءَ النفسِ منك فطالما
ذكرتكَ والآمالُ نحوكَ عَطَشُ
وكم ذرَّ لي من أفقٍ بشركَ شارِقُ
صغرتُ مكاناً إذ كبرتُ درايةً
كتبتُ أهرُ المجدَ في حالِ حيرةٍ
ودونكها رقتُ وراقتُ محاسناً

وله :

وَعَلَّقْتُهُ فِي الْحَبِّ عِلْقَ مَضْمَنَةٍ
بَعْتُ الْحَيَاةَ بِنَظَرَةٍ مِنْ حَسَنَةٍ
وَلَقَدْ يَلُوحُ كَمَا تَكشَّفَ مِعصَمٌ
فَرَى الْوِشَاةَ كَمَا اسْتَدَارَ بُرِينٌ

وكتب إلى أبي الفضل بن شرف مشيراً عليه بمدح ابن مهلهل من وادي آش^٢ :

يا روضةً أضحى النسيمُ لسانها
ومن اغتدى وقد اهتدى لطريقةٍ
طافتُ بكعبتك المعالي إذ رأتُ
يصفُ الذي تخفيه من آراجها
ما ضلَّ مَنْ يسعى على منهاجها
أن النجومَ الزُّهرَ من حجَّاجها

١ ب م : واليك القطع ما (م : من) أونه .

٢ انظر القلائد : ٢٥٨ .

شَغَلَتْ قَضَيْتِكَ النُّفُوسَ فَأَصْبَحْتَ
هَلَاً كَتَبْتَ إِلَى الْوَزِيرِ بِقِطْعَةٍ^١
يَجِدُ السَّبِيلَ بِهَا وَلَا تُنْكَ عِنْدَهُ
أَنْتَ السَّمَاءُ فَبَانَتْهَا نَارُ رَفْعَةٍ
وَضَحَتْ مَفَارِقُ كُلِّ فَضْلٍ عِنْدَهُ
فَأَجَابَهُ فَقَالَ :

يَا مَنْجِدِي وَالدهرُ يَبْعَثُ حَرَبَهُ
لِلَّهِ دَرْكٌ إِذْ بَسَطْتَ إِلَى الرُّضِيِّ
وَأَرْقَتَ مَاءَ الْوَدِّ فِي نَارِ الْأَسَى
فِيئَاتِي تِلْكَ الْغَمَامَ فَبَرَدَتْ
فَأَوْبَيْتُ تَحْتَ ظِلَالِهَا وَوَجَدْتُ بَرَّ
هَيْهَاتَ أَنْ تُنْفِي النُّفُوسَ لُوجْهَةً
مَنْ ذَا يَرُدُّ الْعُصْمَ عَنْ غُلَّتَوَائِهَا
أَزِيدُ فِي أَمْرِي وَضُوحاً بَعْدَمَا
فَأَكُونُ أَنْ زِدْتُ الصَّبِيحَ أَدْلَةً
دَعْنِي أَبْرِدْ بِالْقِنَاعَةِ غُلَّةً
بِكُرٍّ بَحَلْتُ عَلَى الزَّمَانِ^٣ بِوَجْهِيهَا
وَضَرَبْتُهَا مَحْجُوبَةً بِصَوَانِهَا
فَالنَّفْسُ إِنْ ثَبَتَتْ عَلَى أَخْلَاقِهَا
وَلَهُ :

شَعْنَاءَ قَدْ لَبَسْتَ رِدَاءَ عَجَاجِهَا
نَفْساً تَمَادَى الدَّهْرُ فِي إِحْرَاجِهَا
كَالرَّاحِ يُكْسِرُ حَدَّهَا بِمَزَاجِهَا
مَنْ غُلَّةٌ كَالنَّارِ فِي إِنْضَاجِهَا
دَ نَسِيمِهَا وَكَرَعْتُ فِي ثُجَّاجِهَا
مَنْ بَعْدَ مَا رَجَعْتُ عَلَى أَدْرَاجِهَا
أَوْ مَنْ يَصِدُّ الْبُزْلَ عِنْدَ هِيَاجِهَا
قَامَتْ بِرَاهِنَهُ عَلَى مَنَاجِهَا
خَرَقَاءَ تَمَشِي فِي الضُّحَى بِسَرَاجِهَا^[١٩٢]
يَأْسُ النُّفُوسِ أَمٌّ فِي إِثْلَاجِهَا
وَمَنْعَتِهَا مَنْ لَيْسَ مِنْ أَزْوَاجِهَا
مِثْلَ السُّلُوكِ تُصَانُ فِي أَدْرَاجِهَا
أَعْيَا عَلَى النَّصَاحِ طَوْلُ لِحَاجِهَا

١ القلائد : برقة .

٢ القلائد : قريظك .

٣ القلائد : الأنام .

تذكرتُ عهداً للصبا لو سَقَيْتُهُُ حيا المزنِ ما أروته تلك المواطرُ
زمان لياليه تكتفها الصبا بسترٍ وهن الواضحاتُ الزواهر
ولي في التصابي والركونِ إلى الهوى عواذلُ إلاّ أنهن عسواذر
رأين هوىّ ملء العنان يهزه من العيش غصنُ قاطرُ الماءِ ناضر
فأقبلن ينهين الفؤادَ عن الهوى وهن بما مرّضنَ مني أوامر
وله :

في القيظ ما يدعو البياضَ للابس يكونُ به برّدٌ له وسلامُ
لبستُ سواداً والجميعُ مبيّضُ كأنني غرابٌ والأنامُ حمام
ألا يا ابنِ معنٍ ما لمجدك غايةٌ ولا لمكانٍ أنت فيه مرام
قد اتفقت فيك المذاهبُ كلها فلم يبقَ في شرعِ الكرامِ خصام
وله ١ :

غناءٌ يلدُّ ولا أكؤسٌ تسكّنُ من أنفسي طائشه
وأعجبُ كيف شدا طائرٌ بروضٍ منابته عاطشه

وله من قصيد مطوّل ٢ :

عاوده الشوقُ وكان استراحُ وانبرتِ الطير تغني فصاحُ
ذكرني عهدَ اللوى ساجعُ مدّ جناحاً والتوى في جناح

١ انظرهما في الخريدة والبهية .

٢ ورد بعض أبياتها في الخريدة والمسالك .

٣ الخريدة : فتاح .

٤ الخريدة : ذكره عهد الصبا .

بَلَّهٗ قَطْرُ النَّدى فاغتمدى
أورقٌ قد أوركَ من تحته
وإن سَقَّتَهُ الرِّيحُ^١ راحاً لها
أعطافُهُ تشبه أعطافَ من
سقانيَ الحمرةَ من ريقه^٢
يا طاعنَ الخيلِ غداةَ الوغى
والحدقُ السودُ إليك ارتمتُ
ما بَقِيَّتْ فيَّ سوى نظرة
الحمدُ لله فإني امرؤٌ

يَنْفُضُ ريشاً سُنْدسيَّ الوشاحُ
غصنُ رطيبٌ فوق حِقْفِ رَداح
مال وقام <وهو> نشوانٌ صاح
راح فؤادي مَعَهُ حيثُ راح
وقام لي من بَرَدِ الأقاح [١٩٢ب]
طاعنك النهديُّ فألقِ الرماح
فما عسى تُغْنِيكَ بيضُ الصفاح
فاسقة باطنها من صلاح
قد تُبَّتْ إلاَّ من وجوهِ الملاح

ومنها في المدح :

تُبْصِرُهُ إن هاجه صارخٌ
يُجَلِّي الوغى منه ومن طرفه
موطأً الأكنافَ رَحْبُ الدرى
ولم يضقْ دهرٌ على أُمَّةٍ
تحكي لياليه بأيامه
ينشرُ يومَ الفخر من نفسه
لو أنَّ لي قوةَ عهد الصبا
يومٌ رقيقٌ نائرٌ ناظم
تلعبُ فيه كلُّ مياسةٍ

كالخية انسابَ وكالماء ساح
عن قمرٍ لاح وبرقٍ ألاح
مقدمُ السَّبَقِ مُعَلَّى القداح
إلاَّ أصابوا بيدَراهُ انفساح
خيلاًنَ مسكٍ في خدودِ صباح
عِرْضاً مصوناً طيَّ مالٍ مباح
لم أتركَ النيروزَ دون اصطباح
كافورهُ فوق الربى والبطاح
ميسسَ غصونٍ تحت رَوْحِ الرواح^٣

١ ب م : البحر ، وأثبت ما في الخريدة .

٢ ب م : خمره ؛ والتصويب عن الخريدة .

٣ المسالك : الرياح .

إن قعدتُ قلتَ رُبِّيَ في ثرى
غَيْدَاءُ جَيْدَاءُ لها معطفُ
إنسيةٌ وحشيةٌ ركبتُ
ساكنةٌ في جوفها ناطقُ
يخدمها كلُّ كميٍّ لسه
يجرحُ رُوحَ الرَّوْعِ صمصامه
مرهفه نارٌ وفضفاضه
وإن مشتُ قلتَ مهاً في مزاح
يرفلُ من ديباجه في اتشاح
من صورةِ الجددِ وشكلِ المزاح
ينطقُ عنها بمعانِ فصاح
وَجَهٌ حَيٌّ وفؤادٌ وقاح
ووجهه يَجْرَحُهُ الإلتصاح
ماءٌ وبين الحالتين اصطلاح

وله :

تذكَّرَ الدارَ فحنَّ اشتياقُ
أرقه جُنْحَ الدجى أورك
مُفَسِّتِقُ الطوقِ أحمُّ القرا
بات بأعلى غصنه نائحاً
والقُصْبُ تثنيها الصبا مثلما
واحسرتنا ماذا ابتلينا به
مهفهفِ الكشحِ قريبِ الخطا
تروقُ لي في خده حمرة
ومن بديع قوله يتغزل^٢ :

تولَّى السُّرْبُ خيفةً ما يليه
على شرفِ الحميلة كان حتى
وأفلتَ من حبالِ قانصيه
توجَّسَ نبأةً من خاتليه

١ ب م : العرى .

٢ انظر الأبيات في مسالك الأبصار .

فهرَّ على مهبَّ الريح يعدو بأسرعَ من مدامع عاشقيه
 وصادف عنده مرعىً مريعاً فأصبح يستريث ويرتعيه
 توجهَ حيثُ لم تُعقلْ خطاه بمنسوبٍ إلى آل الوجيه
 بمياعِ الأديم يكادُ يُعشي بيُنْقِستَه^١ لواحظَ مبصريه

ودخل^٢ ميورقة في زمنِ ناصرها ، وسلامةٍ مقاصرها ، وهي باهيةُ الجمال ، عاطرةُ
 الصبَا والشمال ، تقيدُ النواظرَ بيهجتها ، وتتيه بندى ملكها على بلتها ، فنلقاه ناصر الدولة
 بمعهودٍ لإجلاله ، وصدقَ له طيرَ آماله ، فقال يمدح :

حُنِيَّتْ جَوَانِحُهُ عَلَى جَمَرِ الغَضَا لما رأى برقاً أضاء بذي الأضا
 واشتمَّ في رُوحِ الصَّبَا رُوحَ الصَّبَا ففضى حقوقَ الشوقِ فيه بأن قضى
 والتفَّ في حبراته فحسبتها من فوق عطفيه رداءً ففضفا
 أليفَ السرى فكان نجماً ناقباً صدعَ الدجى منه وبرقاً أومضا
 مهما بدت شمسٌ يكونُ مذهباً وإذا بدا بدرٌ يكونُ مفضفا
 ملكٌ سمتَ عليه حتى دوّحت وسقى ثرى نعماه حتى روضا
 ماء الغمامةِ جرعةً مما سقى وسنا الأهلّةِ خلعةً مما نضا [ب١٩٣]
 خفقت عليه رايةٌ وذوابةٌ فكانَ صِلاً نحو صِلٍ نَضْنَصَا

وقال يرثي أخت المرتضى :

أبنتَ الهدى جددتِ منعىً على منعى مضى المرتضى أصلاً وأتبعته فرعا
 جرى الموتُ جرّيَ الريحِ في منبتيكما فأذواكِ ريحاناً وقصّفه نبعاً

١ ب : بنفشته ؛ ب م : ينفثى لنفشته .

٢ هذه القطعة من القلائد ، وأعدّها دخيلة على نص الذخيرة ؛ وانظر المغرب والمسالك والحريدة .

فصل في ذكر الأديب

أبي جعفر أحمد بن الدودين البلنسي^١

هو أحدُ مَنْ لقيتهُ وشافهته ، وأملى عليَّ نظمه ونثره بالأشْبُونَةِ ،
سنة سبعٍ وسبعين ، ومما أنشدني [من شعره] في الغزل قوله^٢ :

علّمني في الهوى عليُّ كيف التصابي علي وقاري
أطلع لي من دجَاهُ بدرأ لم يدرِ ما ليلةُ السّرار
فحادي بي^٣ عن طريقِ نسكي وظلتُ مستأهلاً لنار^٤
وأنشدني أيضاً لنفسه :

يا علّمَ الحُسنِ يا عليُّ دلّهني حسنكَ العليُّ
لو قلّدتَ اللحظُ منكَ عمراً قصّرَ عن شأوهِ عليُّ
وأنشدني أيضاً له :

يا أيها القمر الذي يهدي الوري بضيائه
صيرت قلبي مطلعاً وأفانتَ في سودائه

١ انظر ترجمته في المغرب ٢ : ٣٢٢ والمسالك ١١ : ٤٤٩ .

٢ وردت هذه القطعة في المغرب .

٣ ط د : فحادي .

٤ ب م : وصلت مستهلاً بناري .

وأشدني أيضاً له^١ :

خطَّ العِذارُ بصفحتيه كتاباً مَشَقَّتْ به أيدي المشيب جواباً
فغدتْ غواني الحيِّ عنك غوانياً وأسلنَ الحاظَ الربابَ رباباً
من بعد ما بوأني وطنَ الجوى يرشفنَ من رشف الثغور رضاباً
فلأبكينَ على الشبابِ مَلَاوَةً^٢ ولأجعلنَ دمَ الفؤادِ خضاباً

وأخبرني برسالته التي ردَّ فيها على أبي عامر بن غرسية^٣ [وكان] هذا - لحاه الله وأبعده - قد استقرَّ بمدينة دانية^٤، في كَنَفِ مجاهد، فخطب الأديبَ أبا جعفر [ابن] الخراز^٥ معاتباً له لتركه مَدْحَ مجاهد، واقتصاره على مدائح ابن صمادح التجيبي، وهي رسالة ذميمة غرَّبَ في تسطيرها، فلم يسبق لكثرة غلظه^٥ [فيها] وزلله إلى نظيرها، وذمَّ فيها العرب، وفخر

١ ط د س : له أيضاً ، وانظر المغرب والمسالك .

٢ في النسخ : ملاءة ؛ المغرب : وطيبه .

٣ أبو عامر أحمد بن غرسية ، قال فيه صاحب المسهب : « من عجائب دهره ، وغرائب عصره ، وهو من أبناء نصارى البشكنس ، سبي صغيراً وأدب به مجاهد مولاه ملك الجزر ودانية (المغرب ٢ : ٤٠٦) .

٤ ب م : الجزائر ، وكذلك في المغرب (٢ : ٤٠٧) وترجم ابن الأبار لابنه في التكملة : ٤٢٣ وسماه محمد بن أحمد بن محمد الأنصاري الأوسي من أهل سرقسطة وسكن بلنسية يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن الخراز ، وكان أديباً شاعراً راوية مكثراً الخط . ثم قال : وكان أبوه أبو جعفر (أحمد بن محمد) أيضاً شاعراً وهو الذي خاطبه أبو عامر بن غرسية بالرسالة المشهورة . وفي نص الاسكوريال الذي اعتمده الأستاذ عهد السلام هارون في نشر رسالة ابن غرسية والردود عليها ورد اسمه « ابن الحداد » (انظر نواتر المخطوطات ١ : ٢٣٤ - ٢٣٥) هذا وقد جاءت الرسالة في ط د س مختلفة كثيراً عما هي في ب م بين حذف وتقديم وتأخير . وقد ترجم الأستاذ جيمس منرو هذه الرسالة والردود عليها في كتاب بعنوان The Shuubiyya in Andalus ، (كاليفورنيا ١٩٧٠) .

٥ ط د : خطله .

بقومه العجم ، وأراد أن يُعَرِّبَ فأعجم ، وإذ قد أفضى بنا القولُ إلى ذكرها ، فأنا أثبتنا هاهنا بأسرها ، وأجتلبُ [١٩٤] فصولاً من رسائل جلائلَ لبعض أهل العصر ردُّوا عليه وبكِّتوه ، حتى أسكتوه ، وإن كانت طويلةً ، فهي غير مملولة ، لما تشتملُ عليه من المآثرِ العربية ، والمفاخرِ الإسلامية .

[وهذه] نسخة رسالة ابن غرسية

يخاطب الشاعر ابن الخراز المذكور^١

سلامٌ عليك ذا الرويِّ المرويِّ ، الموقوفِ قريضهُ على [حَلَسَلَةٍ]
بِحَافَةِ أرشِ اليمنِ^٢ ، بزهدٍ [من] الثمن ، كأنَّ ما في الأرضِ إنسانٌ
إلاَّ من غسَّان ، أو من آلِ ذي حَسَّان ، وإن كان القومُ أَقْنَوَكَ ، وعن
العالمِ أَغْنَوَكَ ، على حَسَبِ المذكور ، فما هذا الإعمالُ للكور ، وتركُ
الوكور^٣ ؟ وقلما تأخذُ الشَّعْرَةَ^٤ في الرِّحِيلِ ، إلاَّ عن الرَّبْعِ المَحِيلِ ،
ولو أنَّ القومَ خلطوكِ بالآل ، لما أَلْجَأوكِ^٥ إلى الخَبَبِطِ في الآل . مَهْ مَهْ !

١ لقد تبين لي أن ابن بسام لم يورد الرسالة كاملة ، وبعض الردود عليها تشير إلى أمور قد حذفت منها ، ولهذا أبحث لنفسي تكملة ما ينقصها .

٢ أرش اليمن : إقليم في شرق الأندلس أنزل الأمويون فيه بني سراج القضاة وجمعوا إليهم حراسة ما يليهم من البحر وحفظ الساحل ، فكان ما ضمنوا حفظه يسمى أرش اليمن (أي عطيتهم ونحلتهم) وكانت بحافة أبرز قرى ذلك الاقليم (الروض المعطار : ٣٧) .

٣ ب م : الذكور .

٤ الشعرة : الشعراء .

٥ ط : أجاؤك .

مَنْ أَحْوَجَكَ إِلَى رُكُوبِ الْمَهْمَةِ ، وَثَقَفَ ، وَوَدَّكَ أَلَا تَقِفَ ، عَلَى مَنْ
اضطرك إلى الإيغال ، وباعك ببيع المُسامح بك لا المغال ، وبعثك على
مخالفة الحصان ، ومخالفة الحصان^٢ ، وعودتك من [قطع] ^٣ الأندية ،
بيجوب^٤ الأودية ، ومن المآلف بخوض^٥ المتالف ، ووكلك بمسح الأرض ،
ذات الطول والعرض ، فإذا يمت بطن تباله^٦ [تباله] ، وصرت ضعفاً
على إباله ، تتعلل باليمين ، ضنناً بالعليق الثمين ؛ أحسبك أن أزریت ، وبهذا
الجيل النجيب^٧ ازدریت^٨ ، وما دریت أنهم الصهب الشهب ، ليسوا
بعرّب ، ذوي أيتق جرب ، [بل هم] القياصرة الأكاسرة :
مجدد نجد : بهم لا رعاة شويها ولا بهم ، شغلوا بالمادي
والمران ، عن رعي البعران ، وبجلب العز ، عن حالب المعز ؛ جبابرة
قياصرة ، ذوو المغافر والدروع ، للتنفيس عن روع المروع ، حماة
السروح ، نمة الصروح ، صقورة ، غلبت عليهم شقورة ، وصقورة
الخرسان^٩ ، لكنهم خطبة بالخرسان^{١٠} :

١ ط د س : لا .

٢ ط د س : الحصان .

٣ زيادة من ط د لم ترد في س .

٤ ط د س : بجوف .

٥ ط د س : يقطع .

٦ تباله : في تهامة بينها وبين بيشة يوم واحد ، وفيها ضرب المثل « أهون من تباله على الحجاج »
لأنه حين ولي عليها ، ووجد الأكمة تحجبها ، احتقر ذلك وكر راجماً .

٧ هارون : البجيل .

٨ ط د : أحسبك أن دريت وما دريت . . . الخ ؛ س : بأرباب الملوك ازدریت وعل وعندي
الجيل أزریت وما دریت بهذا أحسبك أزدیت وما دریت .

٩ هارون : وشقورة الخرصان .

١٠ أي أن فيهم صقورة الخرسان ، وهم الصقالبة من حرس القصر وكانوا يلقبون الخرس ، وإنما
يظهرون فصاحتهم بالخرسان أي الرماح .

ما ضرَّهْمُ أَنْ شَهِدُوا مِجَادَا ١ أَلَا يَكُونُ لَوْنَهُمْ سَوَادَا
أرومة رومية ، وجرثومة أصقرية :

نمتهم ذوو الأحسابِ والمجدِ والعلا من الصُّهْبِ لراعو غضاً وأفانٍ ٢
من القدُّم ، المُلسِسِ الأدم ، لم يُعْرِقْ فيهم الأقباطُ ، ولا الأنباط ،
حَسَبِ حَرِيٍّ ، وَنَسَبِ سَرِيٍّ ،

➤ أَمْكُمْ لِأُمَّنَا كَانَتْ أُمَهُ إِن تَنكُرُوا ذَلِكَ تُلْفِتُوا ظَلَمَهُ

ولا تهايلَ ، في التكايل ٣ ، فما سُسُنَا قَطَّ قَرودَا ، ولا حِكِنَا برودَا ،
ولا لُكِنَا عروداً ٤ ، فلا تهاجرَ ، بني هاجر ، أنتم أرقاؤنا وَعَبَدْتَنَا ،
وَعَتَقَاؤُنَا وَحَفَدْتَنَا ، مِننًا عَلَيْكُمْ بِالْعِتْقِ ، وَأَخْرَجْنَاكُمْ مِنْ رِبْقِ الرِقِّ ،
وَأَلْحَقْنَاكُمْ بِالْأَحْرَارِ ، فغمظتم النعمة ، فصفعناكم صفعاً ، يشارك صفعاً ،
اضطرركم إلى سُكْنَى الحجاز ، وألجأكم إلى ذاتِ المِجَازِ .
رُزْنٌ رُصْنٌ :

جمالَ ذِي الأَرْضِ كَانُوا فِي الحَيَاةِ وَهُمْ بَعْدَ المَمَاتِ جَمَالَ الكُتُبِ وَالسِّيَرِ
إِذَا قَامَتِ الحَرْبُ عَلَى سَاقٍ ، وَأَخَذَتْ فِي اتِّسَاقٍ ، وَقُرِعَتِ الظَّنَابِيبُ ،

١ المِجَادُ : المِضَاهَاةُ بِالمِجَدِ .

٢ الأَفَانِي : نَبْتَةٌ غِبرَاءُ لَهَا زَهْرَةٌ حَمْرَاءُ مِجْتَمِعٌ وَرَقُهَا كَالكَبَةِ .

٣ أهيل : صَبُّ الطَّعَامِ دُونَ كَيْلٍ ، وَإِذَا كَانَ القَوْمُ يَهِيلُونَ فَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُمْ لَا يَلْجَأُونَ إِلَى الكَيْلِ ؛ وَالتَّكَايِلُ : التَّوَاظِي وَالتَّنَافُسُ فِي الكَيْلِ ، وَإِذَا تَمَّ لَمْ تَعُدْ حَاجَةٌ إِلَى التَّهَائِيلِ ، يَقُولُ :
إِذَا نَحَوْنَا نَحْوَ الدَّقَّةِ فَلَا مِجَالَ لِتَجَاوِزِهَا .

٤ العرود : جَمْعُ عَرْدٍ ، وَهُوَ الذِّكْرُ الصَّلْبُ .

٥ البَيْتُ لِأَبِي العَلَاءِ المَعْرِيِّ ، شَرُوحُ السَّقَطِ : ١٤١ .

وأُشرعت الأنايب ، وَقَلَّصَتِ الشفاه ، وفغر الهدان^١ فاه ، وولّى قفاه ،
ألفيتهم ذمّرة^٢ الناس ، عند احمرار الباسِ ؛ الطعنُ بالأسلِ ، أحلى
عندهم من العَسَلِ :

مستسلمين إلى الختوف كأنما بين الختوفِ وبينهم أرحام^٣
من أمنياتهم ، حلولُ مياتهم < لهم على القُدْمة^٤ اليدانِ ، على النَّأيِ
والتدانِ :

من الألى غيرَ زجرِ الخيلِ ما عرفوا إذ تعرّفُ العُربُ زجرَ الشاءِ والعكْرِ^٥
بُصْرٌ صُبْرٌ : تزدانُ بهم المحافلُ والجحافلُ ، كواكبُ المواكبِ ،
قبولُ على خيولِ ، كأنهم فيولِ ، نجومُ الرجومِ < من العجمِ ضراغمة الأجمِ >
بنو غاب ، منتفونَ من كلِّ عاب ، لم تلدهمُ صواحبُ الراياتِ^٦ ، بل
تَبَحَّحِيحَتْ عنهم سارةُ الجمالِ والكمالِ ربةُ الإيابة^٧ ؛ شُمُخُ بُدُخُ :
بَرَرَّةُ أقبالِ ، جَرَرَّةُ أذبالِ^٨ ؛ بَخِ بَخِ : أَحَلَّتْهُمْ [١٩٤ ب] سيوفُهُمْ
سِطَّةُ الأرضينِ ، فما قنعوا بذلك ولا رضينِ ، حتى دَوَّخُوا المشارِقَ

١ الهدان : الثقيل في الحرب .

٢ ذمرة : جمع ذامر ، وهو من يخضض الناس على القتال .

٣ البيت لأبي تمام ، ديوانه ٣ : ١٣٦ وروايته : مسترسلين .

٤ المقدمة : الإقدام .

٥ البيت لأبي العلاء المعري ، شروح السقط : ١٤٠ وروايته يا ابن الألى ؛ والعكر : القطعة
من الإبل .

٦ صواحب الرايات : البغايا في الجاهلية ، لأنهن كن يرفعن فوق بيوتهن رايات يميزنها بها .

٧ في النسخ : الآيات ؛ والايابة هنا بمعنى الحسن .

٨ ط دسر : من الأقبال جررة الأذبال .

والمغرب ، فاستوطنوا من المجد الذرّوة والغارب ، وألجأوكم^١ إلى سكنى
الحجاز ، ذاتِ المجاز :

بضربِ يزِيلُ الهامّ عن سكناته وطعنِ كتشهاقِ العفاهمّ بالنهق^٢
شدهوا برناتِ السيوفِ ، عن ربّاتِ الشنوفِ ، وبركوبِ السروجِ ،
عن الكوبِ^٣ والفُروجِ ، وبالنفيرِ عن النقييرِ^٤ ، وبالحنائبِ عن الحنائبِ ،
وبالخبِّ عن الحبِّ^٥ ، وبالشليلِ عن السليلِ^٦ ، وبالأمرِ والذمِّ عن
معاقرِ الخمرِ والزمرِ ، < وباللقيانِ عن العقيانِ وعن قنيانِ القيانِ > طبّاهم^٧
خطيأهم ، وعلاّتهم^٨ آلاتهم ، < وحصونهم حصنهم ، أقيالٌ ، أبأؤهم
من بين الأنامِ أقتال >^٩ :

أولئك قَومي إن بَوا أحسنوا البنا وإن حاربوا جدّوا وإن عقدوا شدوا^{١٠}
وضُح رُجُحٌ : لا حَفَرَةٌ عَكَرٌ ، ولا حَفَرَةٌ أَكْرٌ^{١١} > ملوكٌ جِلَّةٌ ،

١ ط د س : اضطروكم .

٢ السكنات : جمع سكنة وهي مقر الرأس من العنق ؛ العفا : الجحش ؛ والببيت لأبي الطمحن
القيبي حنظلة بن الشريقي (اللسان : سكن ، عفا) .

٣ هارون : الكلب ؛ والكوب : الكوز ، ولعل صوابه « الكحوب » أي الأدبار .

٤ النفير : الخفوف إلى الحرب ؛ النقيير : الوعاء الذي يتخذ فيه النبيذ ، يريد به هنا النبيذ
نفسه ، أو هو صيغة مناسبة للفظ « نفير » يعني بها النقر الموسيقي ؛ والمعنى أنهم يفضلون
إجابة الداعي إلى الحرب على اللذات .

٥ الحب : ضرب من السير ؛ وفي ب م : عن الحب ، وكذلك عند هارون ، ولا أراه صواباً .

٦ الشليل : الدرع ؛ السليل : لحم المتن أو السنم .

٧ طبّاهم : جمع طبة وهي الشقة الطويلة من الثوب ؛ وعند هارون : طبّاهم .

٨ هارون : وغلّاهم .

٩ أقتال : أشباه ، والمفرد : قتل ، وهو القرن في الحرب .

١٠ البيت للحطيفة ، ديوانه : ١٤٠ ، وروايته : أولئك قوم ، وإن عاهدوا أوفوا .

١١ الأكر : الحفر .

لا محرقو جِلَّةٍ ١ ، نُدُسٌ ٢ ، غنوا بالاستبرق والسندس ، عن البتِّ المقيظ
المشتِّ ، المجموع من النعيجات الست ٣ ؛ بُسُلٌ : لا حُرَّاسٌ مُسَلٌّ ٤ ،
ولا غُرَّاسٌ فُسْلٌ < مُلْكٌ لِقَاحٌ ٥ ، ليس منه ٦ في وِرْدٍ ولا صَدَرٍ
شرابٌ دَرَّ اللِّقَاحِ . [جُمُوحٌ طُمُوحٌ] ٧ طعامُهُم الحنيد ، وشرايهم النييد ،
لا زهيدٌ الهبيد ٨ ، في البيد ، ولا مُكُونٌ ٩ الوكون ، ولا أوطنوا بيوتَ
الشَعَرِ ، ولا غَنَسُوا ١٠ عن الحطبِ بِالْحِلَّةِ والبعر [ولا منهم من احتشى ،
مذ نشا ، بلمومٍ الكشي] ١١ ولا منهم وليدٌ ولا ناشٍ ، ممن اغتذى
بالأحناش ، فلا [يُقَعِّعُ لَهُم بالشَّان ١١ ، ولا يوعوعٌ ١٢ لهم باللِّسان ،
فكفَّ أيها الشان ١٣ ، فلهم عظيم الشان ، واليدُ الطُّولى إذ تَحَلَّصُوكُم
من أكفِّ الحُبَّشان ، صنيعٌ منيعٌ ، ومُنَّةٌ ، لا يشوبها منة] ١٤ ، > فيا

١ الجلة : البهر .

٢ ندس : جمع ندس وهو الفطن .

٣ البت : الطيلسان من خز ونحوه ، وهذا من قول الراجز :

من يك ذا بت فهذا بتي مقيظ مصيف مشي

تخذت من نعجات ست

٤ المسل : جمع مسيل ، وهو الحرير الرطب .

٥ لقاح : لا يديتون للملوك .

٦ هارون : منهم . ٧ زيادة من س وحدها .

٨ الهبيد : حب الحنظل . ٩ المكون : بيض الضب .

١٠ الكشي : جمع كشية ، وهي شحمة بطن الضب ؛ وهذه زيادة من س وحدها .

١١ الشنان : القرب الصغيرة الخلق ؛ ولا يقعقع له بالشنان : مثل ، أي هو لا يخدع ولا يروع ،
وأصله من تحريك الجلد اليابس للبعير ليفزع .

١٢ ط د س : يززعز ، ولعله يدعدع ، أي يقال دع دع وهو صوت التعميق بالغم أو
زجرها ؛ وعند هارون : ولا يوعوع لهم بالشنان .

١٣ الشان : الشانيء أي المبعض . ١٤ زيادة من س وحدها .

لها منحة ، لكنّها أعقبتُ محنة ، إذ صادفتُ كَفْرَةً لا شكْرَةَ . لِيَهَيَّا ،
 إذ تأبطتم تيهياً ، معشرَ البُدَاةِ العُدَاةِ ، اعتقدتم غِيلاً ، فاستثرتُم صِيلاً <
 أما علمتم أنّ المملكةَ النُوشِريّانيةَ والدولةَ الأزدَ شيريةَ بقرُوا أجوافكم ،
 وخلعوا أكتافكم ؟ ثم عطفوا ورأفوا ، وملّكوكُمُ الحيرةَ ، بعد عظيم
 الحيرة > قللاً ذللاً ، تتخيرون البناتِ عند البياتِ ، مبهوراتٍ لا ممهوراتِ ،
 فبرم من ذلك غسانكم و نعمانكم ، وكان برّمهُ سبباً لدرءِ أمانكم ، فأصبح
 بعد جرّ الديول ، مدوساً بأخفافِ الفيول < والكرامُ بنو الأصفرِ ، الأظهر
 الأظهر ، عطفتهم [عليكم] الرّحيمُ الإبراهيمية ، والعمومةُ الاسماعيلية ،
 وسمحوا لكم من الشام بأقصى مكان ، بعد أن كان من سيلِ العرِمِ ما كان .
 [سرج وهج] قروم الأعاجم ، يؤدّي إليهم نعمانكم وغسانكم الاتاوةَ
 على الجماجم :

* هذي المفاخرُ لا قعبانٍ من لبنٍ ١ *

> مهلاًّ بنِي الإمام ، عن الغمز والإيماء ، فنحن عُرُقٌ ، غرق ، في
 الأنسابِ الصحيحة ، والأحسابِ الجميمة ، فمن يهْوُلنا أو يروعنا ؟ ! قد
 رسخت في المجدِ أصولنا وفروعنا ، ومن يطولنا ، وكلّ الورى قد شمله
 فضلنا وطولنا ؟ !

شرف ينطح النجوم بروقيه وعزُّ يقلقلُ الأجبالا < ٢

حُلُمٌ عُلُمٌ : ذوو الآراء الفلسفية الأريضية ، والعلوم المنطقية الرياضية ،
 حَمَلَةٌ الاسرلوميقي [والجومطريقي ، والعلمة بالارتماطيقى وأنولوطيقا]

١ صدر بيت لأمية بن أبي الصلت (ديوانه : ٤٥٩) وعجزه : شيبا بماء فعادا بعد أبوالا .

٢ البيت للمشبي ، ديوانه : ٤٠٣ .

والقَوَمَةُ بالموسيقى [والفُوطيقا^١ ، والنَهْضَةُ بعلومِ الشرائع والطبائع ،
والمهرة في علوم الأديان والأبدان] ما شئت من تدقيقٍ وتحقيقٍ ، حبسوا
أنفسهم على العلوم الدينية والبدنية ، لا على وصفِ الناقةِ الفدنية^٢ :

همُ ملكوا شرقَ البلادِ وغربها وهمُ منحوكم بعدَ ذلك سؤددا
فِعْلُهُمْ ليسَ بالسَّفاسف ، كفعلِ نائلة وإساف^٣ ؛ أصغِرُ بشانكم ،
إذ بزق خمرٍ باع الكعبةَ أبو غبشانكم^٤ ، وإذ أبو رغالكم^٥ ، قاد فيلَ
الحبشة إلى حَرَمِ الله [لاستئصالكم] ؛ غَضُّوا الأبصارَ ، فهذا الذكر إلى
الفحش أصار . فلا فخر معشرَ العُربان الغربان ، بالقديمِ المفرى^٦ الأديم ،
لكن الفخرُ بابنِ عمنا ، الذي بالبركةِ عَمَّنا ، الاسماعيليُّ الحَسَبُ ،
الابراهيميُّ النسبُ ، الذي به إنما انتشلنا الله تعالى وإياكم من الغواية والعماية ،
ولا غرو أن كان منكم حِبْرُهُ وسِبْرُهُ ، ففي الرِّغامِ يلفى تبرُّهُ ، والمسكُ^٧
بعضُ دم الغزالِ^٨ ، والنَّطافُ العذابُ مستودعاتُ مَسْكَ العزالِ^٩ :

لله مما قد برا صفوة^٩ وصفوة الخلقِ بنو هاشم^٩

١ الاسترلوميقي : (Astronomy) علم الفلك ؛ الجومطريقي : (Geometry) الهندسة ؛
الارتماطيقى (Arithmetic) : الحساب ؛ أنولوطيقا : (Analytics) تحليل
القياس ؛ الفوطيقا أو البوطيقا (Poetics) : الشعر . وفي ط د س : الاسترلوقيقا ،
الجومطيقا ، الموطيقا .

٢ الفدنية : الضخمة ، شبهها بالقصر وهو الفدن .

٣ نائلة وإساف فجرا في الكعبة فمسخا حجريين ، انظر كتاب الاصنام والسيرة ومعجم البلدان .

٤ أبو غبشان : باع مفاتيح الكعبة من قصي بزق خمر .

٥ عمل أبو رغال دليلا لابرهة عندما أراد غزو مكة .

٦ ط د س : فعلي فري . ٧ ناظر إلى قول المتنبي :

فان تفق الأنام وأنت منهم فان المسك بعض دم الغزال

٨ المسك : الجلد ، والغزال أي الغزالي وهي القرب .

٩ وردا غير منسوبين في مروج الذهب ٤ : ١١٩ .

وصفوة الصفوة من بينهم^١ محمدُ النور أبو القاسم [١٩٥]

بهذا النبي الأُمِّيُّ أفاخر مَنْ يفخر ، وأكائر [جميع] من تقدّم وتأخر ،
المنيف الطرفين ، الشريف السلفين ، المتلقّي بالرسالة ، والمنتقى للأداء
والدلالة ، أصلي عليه عدد الرّمْلِ ، ومدد النملِ ، وكذلك أصلي
على واصلي جناحه ، سيوفه ورماحه ، صحابته الكرام ، عليهم من الله
أفضلُ السلام :

> يا ابن الأعراب ما علينا باس لم أحك إلا ما حكاه الناسُ

هذا :

ولم أشتم لكم عرضاً ولكن حدوثٌ بحيثُ يُستَمَعُ الخداءُ^٢

ثم أحنج بشاعرٍ غسانَ لا ساسان ، في هذا العيد ، بالوعيد ، وأحور
في هذا الفصلِ بعدم الوصل > لقد غم آخرك ، لكن بالرغم أنك < ،
إذا أضربتَ عن مديح هذا^٣ العليقِ الربيع ، سهمنا النفيس ، وشهيمنا
الرئيس ، معزّ الدولة ، [المولى الأعظم ، والموثل الأعصم] قَيْلِ الأُمَم ،
وسيل العرم ، مغنى المغاني ، ومعنى المعاني ، ذي النفاسة النفسانية ، والرياسة
الساسانية^٤ ؛ فاذهب يا غثّ المذهب ، وابتنغ في الأرض نفقاً أو في السماء
مرتقى ، أو حُكّ^٥ من المديد والبسيط ، في الملك ذي الخلق البسيط ، ما

١ المروج : من هاشم .

٢ البيت للحطيئة ، ديوانه : ٩٨ وفيه : لكم حسباً .

٣ ط د س : المديح لهذا .

٤ ط د س : ذي الرياسة . . . والنفاسة . . .

٥ ب : خذ .

تستجيرُ به من بطشنا^١ ، إذ نحن معشرَ الموالي لانوالي ، إلاّ من هو لعظيمنا
مُوآلي ، فاستأخِر أو تقدمُ ، وحذارِ أن تفرعَ سنّ الندم^٢ ، قبل أن تجمع
ذُنوبَكَ في ذُنوبك^٣ ، < وكُربك في كُربك >^٤ فمن أبصرَ أقصر :

فلا تتبشعُ ° ممضّ العتابِ يلقاك يوماً ببقياه لاقٍ
فإن الدواءَ حميدُ الفعالِ وإن كان مرّاً كربه المذاقِ

[يا مُعْتَقِلَ عِلْمِ الشعرِ ، والمستقلِّ بقلمِ النظمِ والنثرِ] :

قد استحيتُ منك فلا تكلني إلى شيءٍ سوى عُدْرِ جميلٍ^٦
وقد أنفدتُ ما حقّي عليه قبيحُ الهجوِّ أو شتمِ الرسولِ
وذلك على انفرادك قوتُ يومٍ إذا أنفقتَ إنفاقَ البخيلِ
وكيف وأنت علويُّ السجايا وليس إلى اقتصادك من سبيلِ
وقد يقوي الفصيحُ فلا تقابلُ ضعيفَ البرِّ إلاّ بالقَبولِ
وإن الوزنَ وهو أصحُّ^٧ وزنٍ يقامُ صغاهُ^٨ بالحرفِ العليلِ
فإن يكُ ما بعثتُ به قليلاً فلي حالٌ أقلُّ من القليلِ

فختم رفعتَه كما تراه بأبيات المعري .

١ هارون : من البسيط والمديد ما تستجير . . . الشديد .

٢ زاد بعدها عند هارون : ولات حين مندم .

٣ الذنوب : الدلو .

٤ الكرب : الحبل الذي يشد على عراقي الدلو .

٥ ط د س : تتبشع .

٦ الأبيات المعري ، شروح السقط : ١١٤٤ وما بعدها ، من قصيدة مطلعها :

تعلم يا صريع الهين بشري أنت من مستقل مستقل

وقد ذكر ابن خلكان (٣ : ٣٨٤) أنه خاطب بها صريع الدلاء علي بن عبد الواحد البغدادي ،

وكان طلب من المعري شراً فسير له قليل نفقة ، واعتذر بهذه الأبيات .

٧ شروح السقط : أتم . ٨ الصنا : الميل .

فمن رسالة أبي جعفر [بن] الدودين يردّ عليه

فصل^١ يقول فيه :

أخسأ أيها الجهول المارق ، والمرذول المنافق ، أين أمك^٢ [١٩٥ ب]
ثكلتك أمك . أو ما علمت أنك [إنما] سحبت^٣ من عقالك لعقالك^٣ ،
وقدمت أول قدمك لسفك دمك ، وبسطت مكفوف كفك لسطان حتفك ،
فبلمت شبا أقلامك لاصطلامك ، وحبست بحبرك لذهاب خبرك ، ومشقت
في قرطاسك لمشق راسك ، فما حقيقة جوابك على خطل خطابك ،
إلاّ سلبك عن إهابك ، وصلبك على بابك ، لو كان بالحضرة أقيال ،
وحضرك رجال ، لكنك بين همج هامج ورعاع مائج ، ﴿ مذبدبين بين
ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ﴾ (النساء : ١٤٣) . فأقسم بباريء النسّم ،
وناشر الأمم من رفات الرّمم ، لأصيرنّ عليك أيها السخيف المضعوف ،
— على نذالتك وفسالتك — عرض البساط ، أضيّق من سمّ الخياط ، ولأخلطن
قصبك بعصبك ، ولأجمعن بين سحرك ونحرك ، ولأخلدناك سمراً غابراً ،
ومثلاً سائراً [أو نشوه محيّاك ، ونحلق سبالك من قفاك ، وتحتزم بزنتارك ،
وتلحق بأديارك] مآلك ومقرّآلك ، أسرتك الأذلين ، وعيرتك الأندلين ،
الصهب السبال ، من ولغ الدم وشرب الأبال ، أسكلة الجيف ، وحللة
الكنف ، الوضح الرّجّح : رّجّح الأكفال ، وضّح كذوات الأحجال ، فله
أبولك لقد أجدت في قومك الوصف ، وبسطت لنا منهم النّصف^٤ ، وأنا

١ ط د س : فرد عليه أبو جعفر برقعة قال فيها .

٢ ط د س : سمحت .

٣ المقال : الحبل يمقل به البعير ؛ وفي س : لاعتقالك .

٤ ب م : الرصف .

الآن أنصِف ، وفقارك أقصِفُ .
 عُلِّمٌ حِلْمٌ : عُلِمَ بالتَّداوي من القَرَمِ ومَنافعِ العُلْمِ ، حُلِّمٌ عن
 كلِّ مجاوزِ الحُلْمِ ذي طعنٍ شديدٍ بعُردٍ شديدٍ .
 جُمُحٌ طُمُحٌ : الآنَ صدقتَ ، وغَلَطْتَكَ يا فطنَ استدركتَ : جُمُحٌ
 في الإحجامِ عن الإقدامِ ، طلبَ الفرارِ يومَ الانتصارِ وإدراكِ الثارِ ، طُمُحٌ
 لى كلِّ رَمُوحِ طَمُوحِ ، يَطُولُ الشُّبْرَ وَيُطِيلُ الشُّبْرَ ، مَعَلَّبٌ
 مَعَلَّبٌ^٢ ، ذي خَلْتِ^٣ مرصوصٍ وهامةٍ كالفضوصِ ، إِيَّاكَ ولُعَابِكَ
 أن يمحوَ كتابَكَ .

حِماةُ السُّرُوحِ . بناةُ الصُّرُوحِ : النَّصْفَةُ^٤ يا كُشاجِمُ لا الأنفةُ ،
 غُضٌّ قَلِيلًا من طرفِكَ ، وأمَسِكَ بعضَ عِنانِ طَرفِكَ ، ولتتَحَاكِمُ في
 ذلك إلى ظَرفِكَ ، هل يجوزُ في التحصيلِ ، أو يصحُّ في العقولِ ، أن يحمي
 قومُكَ سُرُوحَ شائِهِم ، وقد أباحوا فُرُوجَ نِساءِهِم ؟ أليسَ هذا عَيْنَ المَحَالِ
 ومغالطةَ الجُهَّالِ ؟ فهلاًَّ توهَّمتَ يا فتيَ الجِوابِ قبلَ الخطابِ ، وأبصرتَ
 الوَرطَةَ قبلَ السَّقطةِ ؟ ١

وأماً ما قعقت به ووعوت من صواحب الرّآيات ، فهنّ وأبيك

١ الشبر : الجماع .

٢ الملب : الصلب الغليظ ؛ الملب : الغليظ أيضاً ؛ وعند هارون : الملبف الملبف : بمعنى
 المسمن ذو النلفة ؛ ولو قرئت اللفظة الثانية « الملبف » لكان أصوب ، وهو الذي نزع
 قلبته .

٣ ط د س : خلوص .

٤ ط د س : نمة .

٥ ب م : القصعة .

بعضُ بناتِ ربةِ الإيالةِ^١ ، إماننا المسبباتِ المتهناتِ ، ملكتناهنَّ ظبا البيضِ الهنديةِ ، وشبَا السُّمُرِ الرُّدينيةِ ، فما عَجْنَا بهنَّ عما عودتموهنَّ من البِغَاءِ للاسترضاءِ ، فكثُرَ معشرُ العُرْبَانِ من ولدِ سارتكم الإموان^٢ والعبدانِ ، وفيك وأبيك من ذلك أصحُّ دليلٌ وأوضحُ برهان . فهلاًَّ يا فتي ثَقِفْتِ ، ودونَ هذا الفصلِ وقفتِ ؟ !

رجع^٣

بُصْرٌ صُبْرٌ : <بُصْرٌ> بتركيبِ عَصَبٍ [١٩٦ أ] أنابيبِ السُّررِ ، ومنافعها [بزعمهم] للجِسمِ والبصرِ ، صبر على إيغالِ الغراميلِ الطَّوَالِ .
سُرُجٌ وهُجٌ : سُرُجُ المَضَاجِعِ ، وهجٌ تحتِ المَضَاجِعِ ، لا يُطْفَأُ وَهَجَانٌ ذلكِ السُّعْرُ^٥ ، إلاَّ بدافقِ ماءِ الكَمَرِ .

مُسُوسُ الأَدْمِ ما حَاكُوا قَطُّ بَرُوداً ولا لَاقُوا عُرُوداً : هذا وأبيك من التَّعْرِيضِ الرَّقِيقِ في مقالِكَ وآلِكَ ، وذلكَ أنكَ وصفْتَهُم بامَّلاسِ الجلودِ ، وفقَّيتَ بنفِي لَوَكِ العُرُودِ ، فهذا لَعَمْرُكَ من بديعِ التَّحْقِيقِ ، فافخِرْ فهاتانِ صفتانِ سَلَّمتا لأجلِكَ لقومِكَ . وأما لَوَكُهُم^٦ العُرُودِ فأوضح من السُّرَاجِ الوهَّاجِ في اللَّيْلِ الدَّاجِ ، لكن ألعُ بذلكِ لمعةً تشهدُ بذاتها على ذواتها وذلكَ أن قد تحدَّثَ أن ولدانكم عَطَّلُوا في بعضِ أَعوامِكُمْ سُوْقَ نَسائِكُمْ ،

١ ط د س : ربات ؛ ب م ط د س : الآيات .

٢ الاموان : جمع أمة .

٣ ب م : رجع الحديث إلى ابن اسحاق .

٤ في النسخ : صبر بصر ، ورددته ليطفق مع ما ورد في رسالة ابن غرسية .

٥ ط د : السمير .

٦ ط د س : لوك .

فَنُصِي ذلك إلى المليك^١ العظيم ، فحكّم^٢ أكرّم^٣ به من حكّم^٤ أن يبيح النسوان^٥ من أنفسهن^٦ ما أباح الولدان ، فامتثلن ذلك ، فاتسقت الحالان ونفقت السوقان ، وما سُميع في الأزمان بأغرب من هذا الشأن ، فاشمخ^٧ بأنفك ، وافخر بينصفك^٨ .

وأما حوككم^٩ البرود ، فناهيك من الغفارة الإفرنجية إلى الديباجة الرومية ، والنسبتان بذلك تشهدان .

وأما فخرك برّبة الإيافة^{١٠} فيا ليتها حين ولدنكم ثكّلتكم ، فلقد سربلتموها عاراً مجدّداً ، وعصبتهم بها شناراً مخلّداً ، حين خيمتم عن الكفاح ، حذّر الصّوارم والرّماح ، فأسلمتم لعُدّاتها من بناتها ، كل طماعة رّدّاح ، جائلة الرّشاح ، ذات ثغر كالأقحاح ، وغرّة كالصباح ، أعجبلن عن لثوث أزرهن واعتجار خمرهن^{١١} ، فعوضن من الإدلال [بالإدلال] ومن الحيجال بالرجال :

خلف العَضارِيط لا يوقين فاحشة^{١٢} [مستمسكات بأقناب وأكوار]^{١٣}

وأما ما عيّرت به العرب من الاغتذاء بالحيات ، فكتفديكم^{١٤} بالدّماء

١ ط د س : مليككم .

٢ ط د س : محكم .

٣ ط د : ببضعك .

٤ ب م : حوكهم .

٥ في النسخ : الآيات .

٦ البيت للناطقة الذبياني ، ديوانه : ٨٢ وروايته :

خلف العَضارِيط من عوذى ومن عمم مردفات على أحناء اكوار

والعضاريط : الأجراء والتباج ، وعوذى وعمم من لحم ؛ والأكوار : الرجال .

٧ ط د س : وعيرت العرب بالاغتذاء . . . لتفديكم .

والميتات ، فيمتاز الضد ويقع الحد ، بين من تناهت جرأته وماتت همته . على أن لا افتخار في مشرب ولا مطعم ، لعرب ولا لعجم^١ . وكذلك ما عيّرتهم به من حرق الجيلة والبحر ، غرّوا بإضرار النيران ، وانضاج سدف الثنيان من البعران ، لإكرام الضيفان ، وإطعام المقرور الجوعان ، إلى أن عديموا الأوطى والغضا ، وموجود السمّ ، وسائر أنواع الشجر ، فلعجأوا إلى الجيلة والبحر ، فهل تقدم لأحد من الأمم مثل هذا القدم في الكرم ، يا قنار العجم ؟ !

وكذلك وصفك قومك بأن ليسوا حفرة أكر ، ولا حفرة عكر : الله أجلّ الأكر أن يحفروها ، والعكر أن يحفروها ، لكنهم حفرة جحشان ، وحفرة كهوف وغيران ، اتخذوها نجياً عن حبائل^٢ العربان ، وملجأ من وقع الصوارم والمُرّان ، فعيل الحيزان^٣ واليرابيع والجرذان ، وشبه ذلك من أنواع الحيوان . [١٩٦ ب]

وأما فخرك بعلمهم الشرائع ، فممن أبداع البدائع ، استنبت الفصائل حتى القرعى^٤ ، وجهلهم بذلك أوضح من أن يشرح ، وأبين من أن يبين ، لكن أنككت^٥ من ذلك نكته ، وأنبت منه نبذة تصفعهم صفعاً ، وتردّ صهباً آدمهم سفعاً ؛ وأتى يكون ذلك كذلك ، هبيلت لآلك ، ولم يأخذوه عن نبي ، ولا نقلوه عن حوارى ، ولم يزالوا يتعاورون أصلهم الإنجيل بالزيادة والنقصان ، إلى أن أصاروه في حيز الهديان . وحسبك بهم جهلاً

١ ط د . مطعم ولا مشرب لعجم ولا لعرب ؛ س : مطعم ولا مشرب لعرب ولا لعجم .

٢ هـ ، م : فبائل .

٣ الخيران . جمع خرز وهو ولد الأرنب .

٤ هذا . لم يشرب للرجل يدخل نفسه في قوم ليس منهم ، انظر فصل المقال : ٤٠٢ ، والجمهرة

٥ : ٣٨ ، ٣ ، ٨٢ والمسكري ١ : ٧١ .

أنهم يعتقدون إلهاً نبيهم ، فوسموه^١ بالرب المعبود ، وصيروه بعد مصابوب اليهود ، فاعجب لجهل يجمع بين هذين الطّرفين . وأعجب من ذلك أنهم مُجمعون أن عيسى ينزلُ إلى الأرض لحساب الخلائق يوم العرض ، فما ظنّك يفعل اليهوديّة على ما قدّموه على زعمهم من صلبه إذا ناقشهم الحساب ؟ فهل يصحُّ بهذه الآراء الضعيفة والعقول السخيفة دين أو يثبت [لهم معه] يقين ؟ ولولا أنّي أجلُّ قلبي وأنزّه كلمي عن سخافاتهم في دياناتهم ، وبرساميهم^٢ في أحكامهم ، لأوردت من ذلك ما لا يستحيزه إلاّ مثال قومك العجم ، عقول البوم والرّخم .

وأما علم الطبائع فسأتمُّ بعضها لهم ، لما تقدّم في أثناء الرسالة ، من علمهم بخواص تلك الآلة ، والصدقُ أزيّنُ ما به نُطق وإليه نسُبُ .

وما ذكرته من أبي رغال ، فذلك جيدٌ محتمل^٣ ، قاد أعداءه^٤ علماً منه باستئصالهم على اختيارهم إلى بوارهم ، فعجل الله بأرواحهم إلى نارهم .

والآن تذكرت مساق أبي غبشان ، وما أنسانيه إلاّ الشيطان ، ذلك الذي به ظننت ومَن قضيته عظمت^٥ ، وليس الأمر كما توهمت ، لأن الكعبة بيت الله وملكه لا شريك له وضعه الله تعالى للعباد ، وسوّى بين العاكف فيه والباد ، وأبو غبشان إنما باع خِدْمَتَه في البيت [وهبها وصمة سفيها العريبي^٦ ، أين تقع من قضية إمامكم يهوذا الحواري] إذ باع نبيّه روح

١ ط د س : فسموه .

٢ البرسام : علة تسبب الهذيان .

٣ ب م : مختار .

٤ ط د : باد وأعداه .

٥ ط د س : وقضية أبي غبشان التي عظمت .

٦ هارون : قضية . . . النوي .

القُدُس من اليهود أعدائه بالأفلس ، فكذَّب الله ظنَّه وأنجى نبيَّه ، فدونك
ضَعَّ قضية سفيها في كذِّة وفي أخرى قضية إمامك ، ورجَّح بينهما بفص
خيتامك^١ .

وأما وصفك قومك أنَّهم مُجْدُّ نُجْد ، شمخ بُدخ ، [عرق غرق] :
فهيات هيات ذلك منهم !! تلك صفات قومنا العرب ذوي الأنساب
والأحساب ، والعلوم والحلوم ، أولي اللسن والبيان واللحن ، والإسهاب
في الصواب ، والحكمة وفصل الخطاب ، فرسان العرب^٢ وأرباب القسباب ،
ومُعَمِّلي الصوارم والحِراب ، أنديتهم عراصُ المنية ، وأرديتهم بيض
المشرفية ، ولبوسهم مُضَاعَفَة الماذية^٣ :

سَهَكِين من صَدَلِ الحديد كأنَّهم تحت السَّنور جِنَّة البَقَّارِ^٤

مجالسهم السُّروج ، وريحانهم الوشيج [١٩٧ أ] وموسيقاهم^٥ رنَّات
الرُّدِينِيَّات ، وطُوبِيَقَاهُمْ^٦ نغمات السُّرِّيَّات ، لم تكن قادتُهم النِّساء ،
ولا إرادتُهم في آجالهم النِّساء^٧ ، مناهم تعجيل منايهم :

يَسْتَعْدِبُونَ منايهم كأنَّهم^٨ لا يأسون من الدنيا إذا قَتَلُوا^٨

١ س : بيمض ختامك ؛ ب م : بفص .

٢ المراب : الخيل المراب ؛ هارون : الأعراب .

٣ الماذية : الدرود اللينة ؛ المضاعفة : التي نسجت حلقتين حلقتين .

٤ البيت للنايفة ، ديوانه : ١٠٠ ، والسهكة : خبث الرائحة ؛ السنور : الدرود أو السلاح
كله ؛ البقار : موضع يرمل عالج ؛ يقول كأنهم في سلاحهم جن . جن ذلك المكان .

٥ ب م : وموسيقاتهم .

٦ ب م : وطريقاتهم ؛ وطويقا تعني المباراة .

٧ ب م : أرادهم ؛ هارون : رادتهم ؛ النساء : التأجيل ، والمعنى أن التأخير في الأجل
لم يكن من همهم ، وفسر ذلك بقوله : « مناهم تعجيل منايهم » .

٨ البيت لأبي تمام ، ديوانه ٣ : ١٧ .

عُنُوا بِمَدِّ أَطْنَابِ الْأَفْنِيَةِ ، عَزَّةً وَأَنْفَةً عَنِ تَشْيِيدِ الْأَبْنِيَةِ ، مُحَالَفِي
الصَّحَاصِحِّ وَالْبَيْدِ ، فَعِيلَ الْأَسَاوِدِ وَالْأَسْوَدِ ، قُصُورِهِمُ الْمَنَاهِلُ ، وَمَعَاقِلِهِمُ
الذَّوَابِلُ . صُبْرٌ وَقُرٌّ : إِذَا ثَارَ الْغُبَارُ ، وَأَسْوَدَّ النَّهَارُ ، وَحَسُنَ الْفِرَارُ ،
وَذُهِلَتِ الْأُذْهَانُ ، وَأَبْهَمَ الْعِيَانُ ، وَتَلَجَّلَجَ اللَّسَانُ ، وَتَلَاطَمَتِ السِّيُوفُ ،
وَحَمِيَتِ الْحَتُوفُ ، وَقَلَّتْ الشَّهَاهُ وَخَسَّتِ الْأَنْوْفُ ، وَعَصَبَ الرَّيْقُ
<بِالْأَفْوَاهِ> وَتَعَانَقَتِ الشُّجْعَانُ ، وَتَشَاجَرَ الْمُرَّانُ ، وَبَرِحَ الْحِمَامُ ، وَفُئِلَ
الْحِسَامُ ، وَحَمِيَ الْوُطَيْسُ ، وَتَفَتَّتِ الْأَقْدَامُ وَالرَّعُوسُ ، فَلَا تَرَى إِلَّا حَزَّ
الْغَلَاصِمِ ، وَشَيْمَ الصَّمَاصِمِ فِي الْجَمَاجِمِ ، فَهِنَاكَ تَلْقَاهُمْ ، لَا دَهْمَكَ
لِقَاهُمْ ، أَقْيَالَ الْأَقْيَالِ ، شَمْرَةَ الْأُذْيَالِ ، أَسْوَدَ الْأَغْيَالِ ، حُمَامَةَ الْأَشْبَالِ ،
لَا مَلْسَ أَدْمٍ وَلَا جَرْرَةَ الْأُذْيَالِ ، وَهَكَذَا فَلْيَكُنْ أَقْيَالُ الرِّجَالِ ، يَا مَسْلُوبَ
الْحِجَالِ .

كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الْغَانِيَاتِ جَزُّ الذُّيُولِ ٢

وَمَا كَانَ أَغْنَاكَ يَا كُشَاجِمَ ، عَنِ كَشْفِ عَوْرَاتِ آلِكَ الْأَعَاجِمِ ،
لَكِنْ ضَعُفَ نَظْرِكَ ، حَدَاكَ إِلَى هَتْدَرِكَ ، وَسُوءُ أَدَبِكَ ، وَافَى بِكَ عَلَى
عَطَبِكَ ، نَسَأَلُ اللَّهَ سِتْرًا يَمْتَدُّ ، وَوَجْهًا لَا يَسْوَدُّ .

قال أبو الحسن : وممن ردّ أيضاً على ابن غرسية^٣ وأجاد ما أراد أبو
الطيب عبد المنعم القروي^٤ ، برسالة أثبت أكثر فصولها ، على طولها ،

١ ط د : وأم ؛ س : وترنم .

٢ البيت لعمر بن أبي ربيعة ، ديوانه : ٣٣٨ .

٣ ط د س : أيضاً عليه .

٤ ط د س : عبد المنعم بن من الله القروي ؛ قلت : كنيته أبو الطيب دخل الأندلس وحدث
في شرقها عن ابن البر الصقلي ، وكان أديباً شاعراً ، توفي سنة ٩٣ هـ (الصلة : ٣٧١) =

لاشتمالها على المآثر العريضة ، والمفاخر الإسلامية ، قال في أولها مفتتحاً :

وذي خطل في القول يحسب أنه مُصِيبٌ فما يُلمِمُ به فهو قائلُه^١
نهدتُ له حتّى ثنيتُ عنانَه عن الجهل واستولتُ عليه معاقلُه
تعالَ فخبّرني علامَ تشدّدت قُوى العير حتّى أحرزتك مجاهله .

وفي فصل منها: أيُّها الفاجر بزعمه، بل الفاجر برُغمه، ما هذه البسالة في البسالة،
ما هذه الجسارة على الجسارة ، لقد تجرأت ومن المِلَّة تبرأت، وكيف جهلت -
حتى وهلت ، وكيف زللت حتى ضللت؟! أباالعرب تمرّست وفي مجدها
تفرّست ، وعلى شرفها [١٩٧ ب] تمطّيت ، وإلى سُوددها تخطّيت ،
أما تهدّيت لما تعدّيت ، أما وجمت مما هجمت ، أما اتقيت مما ارتقيت ؟ !

إنا إذا ما فئةٌ ناقاها^٢ نردُّ أولاها على أخراها
نردُّها داميةً كُلاها قد أنصف القارة من رامها

وفي فصل : فأخبرني عنك أما كانت للعرب يدٌ تشكرها ، ومِنَّةٌ
تذكرها ؟ أمّا جهرت نقيصتك ، أمّا رفعت خسيستك ؟ أمّا استنهضتكَ
من وهديك ، أمّا أيقظتكَ من [غفاتك و] رقدتك؟ ألم تُربِّك فينا وليدا ، ألم
تتخّذك لها تليداً ؟ ألم تُعِنّ بتخريجك وتدرّجك ؟ أمّا أنطقمتك بعد العجمة ،
أمّا أسلقتك^٣ عقب اللكنة ؟ حتى إذا اشتد كاهلك وعَلِمَ جاهلُك ، وقوي

= وقد ذكر البلوي رسالته ، وكذلك صاحب كشف الظنون بعنوان « حديقة البلاغة ودوحة
البراعة . . . الخ » .

١ البيت لزهير بن أبي سلمى ، ديوانه : ١٣٩ .

٢ انظر الميداني ٢ : ٣١ في المثل « قد أنصف القارة من رامها » .

٣ أسلقتك : جعلتك ذا سليقة ؛ وفي ب م : أما بلغتك عيب اللكنة .

ساعدك ورقّي ضاعدك ، كفرت نعمتها لديك ، ونثرت عصمتها من بين يديك ، وأخذت تطاولها^١ بأرسانها ، وتقاولها بلسانها ، وتناضلها بسهامها ، وتهاطلها برهامها^٢ ، أحين فكّت أسرك من أفدورة القلف ، وأخذت بضبعيك من أهوية التلف ، وشدت ظهرك للمتان^٣ ، واعتمدت طهرك بالختان ، ناهضتها بحسامها ، وجاهضتها بكلامها ، ورميتها [بسهامها] ، عن قوسٍ هي نبعثها ، ومن هضبةٍ هي قلعتهما ؟ !

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتدّ ساعده رماني^٤

وفي فصل : وهات أرنا مفاخرك ، نترك مسأخرك . أنت صاحب الشهب الصهب ، والسنة شهباء ، والجهام صهباء . كذلك أنتم لا خير ولا مير ، ولا عمرو ولا عمير ، ليس للسعاء بالرومية اسم ، ولا للوفاء في العجمية رسم . أين أنت عن السمر القدر ، البيض غرراً وصفاحاً ، السود طرراً وأوضاحاً ، الدعج عيوناً ورماحاً ، البلج جوهاً وسماحاً ، قيمم في العمائم ، وهمم في الغمام ، سعروا عليكم نار الحرب ، بتلك الأينق الجرب ، فكسروا أكاسرتكم ، وقصروا قياصرتكم ، فسفكوا دماءهم ، وأباحوا أحماهم ، وأحمدوا نار صولتكم ، ومحو آثار دولتهم ، وطهروا

١ ط د : تسايرها .

٢ الرهام : جمع رهمة وهي المطرة تكون أشد من الديمة .

٣ ط د : بالبيان ؛ س : بالإيمان ، خ بهامش س : بالمتان ؛ والمتان أو المماننة : المباراة في الجري إلى الغاية .

٤ البيت لمن بن أوس ، انظر اللسان (سدد) وفيه : فلما استد .

٥ ط د س : كياسرتكم .

٦ ط د س : صولتكم . . . دولتكم .

الأرض المقدسة من أنجاسكم ، والمسجد الأقصى من أرجاسكم ، الذين يَنجُونَ ولا يستنجون ، ويُجنبون ولا يتطهّرون ، رعاة الخنازير ، وأكثة السنّانير ، وطهاة التناير ؛ أمّا رجالكم فقلّف غُلف ، وأما نساؤكم فقنّدرُ بظُر ، لا يعرفون الخفاض ولا الختان ، ولا يألِفون السنّان ولا العنان . ويحك ما آثرت وبمن كاثرت ، أما استحييت مما انتحيت ؟ ! هل كانت العربُ إلاّ كَنز عَزٌّ وذُخر فَخْر ، وخبيثة ذخرها الله إلى الوقت المحتوم ، وأسكنها أرضاً يرغب عنها أولو البطنة ، ويرغب [١٩٨ أ] فيها ذوو الفطنة ، حفظ فيها أحسابها ، وطهّر بها أنسابها ، واختارها ليختار منها صفيّه ، وميّزها ليميز منها حفيّه ، ثم اختصّها بالأحلام الزكية ، والأفهام الدكيّة ، [إن جاورتهم نصرؤك ، وإن حاورتهم مضروك] وإن فاضلتهم فضلوك ، وإن ناضلتهم نضلوك ، وإن طاولتّهم طالوك ، وإن استنلتهم أنالوك ، بالكرم يلهجون ، وبحسن الشيم يبهجون ، يمشي أحدهم إلى الموت ثابتةً وطأته ، فسيحةً خطوته ، شديدة سطوته ، جرياً على الكُماة جتانه ، لبقاً^٢ بتصريف القناة بنائه^٣ ، بصيراً بمهج الدّارعين سنانه ، وأنتم كما وصفت^٤ مُلّس مُلّس ، لا تُغيرون ولا تغارون ، ولا تمنعون ولا تمنعون ، قلوبكم قواء ، وأفئدتكم هواء ، وعقولكم سواء ، قد لانت جلودكم ، ونهدت نهودكم ، واحمرت خلودكم ، تحلّقون اللّحي والشّوارب ، وتتهادون القُبل في المشارب ، وتعفون اللحم ، وتوفررون اللحم :

١ ط د س : بما .

٢ ط د : لقناً .

٣ من قول عبيد يغوث بن وقاص الحارثي :

وكنّت إذا ما الحيل شمصها القنا لبيقاً بتصريف القناة بنانيا

٤ ب م : وصفتهم .

والحربُ ١ لا يبقى لصا حبيها ٢ التخيلُ والمراحُ
الا القتي الصبّار في النَّـ جَدَاتِ والفرسُ الوَقاحُ ٣
يا بؤسَ للحربِ التي وضعتُ أراهم فاستراحوا

والعربُ تدمُّ بالدَّعةِ ، وتهجو بالسَّعةِ ، وتفخر بالجلادة ، وتبهجج
بالصلّادة ، فإن فاخرتها فبغير الطعام والشراب ، ولكن بالطَّعان والضراب ،
وما عليك من لوك العرود ، أخيفت إعجازها ، وخشيت إعوازها ؟ أليك
حاجة إليها ؟ ألك حرصٌ عليها ؟ لشدّ ما أدركتك الحميّة فيها ، وحرّكتك
العصبية لها ! هذه نادرة لم تحرد لها وبادرة لم تقصد قصدها ، وأنت إن شاء
الله بعيد منها . ومن الآيات ذكر صواحب الرايات ، والمباضعة عندكم
كالمراضعة ، مافي الشكر عندكم نُكر ، [تُبيحون] ولوج العلوج ، على
بدور الحدوج ؛ الزّنا عندكم سنّا ، والفجار بينكم فغار ، تقتادونهن
وتستأدونهن ، فكيف أنكرت ما ذكرت ، وسرفت ما عرفت ، وأنت على
سنن تلك السنن ، الحال قائمة والقصة دائمة :

* وأول راضٍ سنةً منّ يسيرها * .

ومتى كنتم تصبرون ولا تصبّرون ، وفي أي المواطن تظفرون ولا

١ الأبيات لسعد بن مالك من قصيدة حماسية رقم : ١٦٧ (المرزوقي : ٥٠٢) مع اختلاف
في ترتيبها .

٢ الحماسة : لحامها .

٣ النجدات : الشدائد ؛ الوقاح : الجريء الصلب .

٤ ط د س : الحدور .

٥ من قول خالد بن زهير ابن أخت أبي ذؤيب الهذلي ؛ و صدر البيت : فلا تجزعن من سنة
أنت سرتها (ديوان الهذليين ١ : ٢١٣) .

تُظَنَّفَرُونَ ؟ أليس شعاركم : الهرب الهرب ، هذه العرب ! ! أليس قد دفعوكم بكفاحكم وصفعوكم^١ بصفاحكم ؟ أليس الذين قوّموا ألسنتهم ، وأرسلوا أعتهم ، من أعالي نجد وأسافل تهامة ، وضواحي طيبة ونواحي اليمامة ، ومما بين مدين إلى عدن ، لا يردّهم رادة^٢ ، ولا تصدهم صادة ، حتى أهلكوا ساسان وكاسان ، وملكوا خراسان وماسان [١٩٨ ب] ، وسلكوا بالقهر ما وراء النهر ، فأدخلوكم الدروب وألزموكم الكروب ، بجريدة خيّل وطريدة ويل ، وأمضوا فيكم الغرائم ، وأرضوا منكم الهزائم ، حتى أججروكم روميّة الدفراء ، والقسطنطينيّة البحراء ، لا تاوون على تريك ، ولا تعوجون على ضريك^٣ ، ونازلوكم منها على ذراعين ، وصرعوكم بين المصراعين ؟ ! ألم تبلغك ضربة يزيد بعموده^٤ ، ونخبر^٥ خالد بن يزيد في أخدوده ؛ والرأية المعلمة والآية المحكمة ، مسجد مسلمة^٦ ؟ [ثم كم قائظة غائظة ، وصائفة عليكم طائفة^٧] ؛ ثم عطفوا مغربين ، وللأرض مجربين ، فما تركوا من الأعاجم عاجماً ولا ناجماً ، ولا أبقوا من البرابر عابراً ولا غابراً [وساروا قدماً يذبجون البرّ ذبحاً ، ويسبحون البحر سبحاً] حتى طرقتهم طارقهم في هذا الطّرف ، ورشقتكم راشقتهم في هذا الهدف ، واقتحموا عليكم هذه البلاد فأوطئوها ، وكأتمارموها بالحجارة فما أخطأوها ،

١ ب م : وصفوفكم .

٢ ط س د : فصاروا معرقين وعلوا مشرقين لا تردهم رادة .

٣ التريك : البيضة أو العنقود إذا أكل ما عليه ؛ الضريك : الفقير السيء الحال .

٤ ط د س : أما بلغك . . . بعموده .

٥ ط د س : وقبر .

٦ س : ثم مسجد مسلمة .

٧ ط د : ماقطة غابطة وطايمة عليكم طالعة .

فملكوا أرضكم بساحتَيْها ، وأحاطوا بها من ناحيتَيْها ، سلبوها بأقطارها ،
وحلبوها من أشطارها :

وضمموا جناحيكم إلى القلبِ ضمةً^١ تموت الخوافي تحتها والقوادم^٢

[فما تعرّضك لقومٍ سلخوا بلادكم ، وملكوا تلالكم ، واستعبدوا أولادكم .
ثم إنهم حين قدّروا غفروا ، ووضعوا الإتاوة على جماجم الأعاجم ، والوشوم^٣
في براجم العلاجم^٤ ، فلا يحضرون العَشَّار إلاً بالغيار^٥ ، ولا يشهدون الأسواق
إلاً بالأطواق ، فإن دخلتم في الدِّين قُطِيعت أسناهم ، وإن خرجتم منه
أخذت التي فيها شفاهم^٦ ، وكنت أنت من رذايا تلك السَّبايا ، ومن عبايا
تلك الخبايا ، ومن خطايا تلك العطايا ، فلا تحردُ حرْدُ المقهور ، ولا تضجِرُ
ضجِرُ المبهور ، ولا تحنق حنقُ الأسير على القيد^٧ ، ولا تغضب غضب
المستقي على العيد^٨] ولا بأس عليك فقبلك ما قصروا الأمم ، وهصروا القمم^٩ ،
وهم أبكار الزمان وأفكار الأوان^{١٠} ، لهم العرب العاربة ، ومنهم عادُ الغالبة ،
ذات^{١١} الأحلام السِّداد ، والأجسامِ الشِّداد ، ولممّ ذاتِ العماد التي لم يُخلق
مثلها في البلاد ، ومنهم لقمانُ صاحب النُور وباني القُصور ، ومنهم

١ البيت للمثنبي ، ديوانه : ٣٧٨ ، وغير في الرواية تعمداً .

٢ ط د : والوجوم ؛ وأثبت رواية س ، وعند هارون : والمرسوم .

٣ هارون : السلاجم ؛ والعلاجم : جماعات الناس ، والمعنى أنهم وشموهم على أيديهم ،
لكي يعرفوا إلى أي قرية ينتمون ، كما يزوي من فعل الحجاج .

٤ المشار : قابض العشر ؛ الغيار : علامة أهل الذمة ؛ ط د س : العيار .

٥ التي فيها شفاهم : كناية عن الرؤوس ؛ س : أخذ فيه شفاهم .

٦ ب م : وصهروا بالقسم ؛ ط : القسم .

٧ ط د س : الأمان .

٨ ط د : ذوات .

ثمودُ الذين جابوا الصَّخْرَ بالواد ، ونحتوا البيوتَ في الأطواد ، يتخذونَ
 السهولَ قصوراً آمنين ، ويعمرون الأرضَ ساكنين ، لهم القَصْبُ والحُضِيمُ ،
 والنخلُ التي طَلَعُهَا هَضِيمٌ ١ ، ومنهم العمالقةُ والجبَّارون ، والفراعنةُ
 القهَّارون ، أنتم لهم أكارون ، [وحرية عكَّارون] ٢ ، اتخذوكم أكساباً ،
 واتخذتموهم أرباباً ، ومنهم التَّبابعةُ الأكلون ، والمرابطةُ ٣ الأفضلون ،
 ومنهم ذو القرنين صاحبُ السدِّ ، وشِمْرٌ مخربٌ سمرقند ، قال تعالى
 ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ (الدخان : ٣٧) ، فضرهم مثلاً في الجلالة ،
 وغايةً في شرفِ الحالة . ولهم الملوكُ من حميرَ والمقاولُ من كهلان :

كانوا سماءَ الورى قبل النبيِّ وهم لما أتى الحقُّ فيهم أنجمٌ زهراً
 سموا بملكهم قبل الهدى وسموا مع الهدى فهم آووا وهم نصرُوا
 ولايةً علاةً ، وسماءُ حماةً ، لهم العلوُّ والعلاءُ ، وفيهم العباهلةُ والأذواء :

وما حمير في الناس إلا كباذخ يعيش الورى في ظله المتمددِ
 هم الأنفُ في وجه الزمان ومجدهم على صفحات الدهر ليس بجلمد
 هم ملكوا شرق البلاد وغربها وعدلوا جياذ الخيل في كل مورد [١٩٩أ]
 وسدوا على يأجوج لما تابعت على العين في قِطْرِ من العين مبعد
 ترى كلَّ معطوفٍ الوشاحين أحمص على كلِّ مخطوفٍ الجناحين أجرد
 فمن أمردٍ في السلم في حيلم أشيب ومن أشيب في الحرب في جهل أمرد
 بأيديهم البيضُ الرقاقُ كأنها جداولُ ماءٍ الموتِ قيل لها اجمدي

١ القصب : الرطبة ؛ الحضيمة : الحنطة ؛ هضم : لين مريء .

٢ الحرية : المحاربون ؛ العكار : الذي يولي في الحرب ثم يكر راجعاً ؛ طاد : خزنة .

٣ المرابطة : لعله يعني من يكونون على ربيعة قومهم أي الرؤساء .

[فأين حصّاتك من جبالهم ، أم أين سفّاتك من نبالهم] .
وفي فصل منها^١ : وعلامَ جثتَ أصلك من الأنباط ، وأزحت فصّلك^٢
عن الأقباط^٣ ، ما كان ذنبهم إليك وجنايتهم عليك ، حتى أخرجتهم عن
جملة الأعاجم [ونفيتهم] عن جنّبة أصحاب التراجم^٤ ، بسبب كرميتهم ،
ومن أجل شريفتهم ، لتسبّ^٥ العربَ بولادةٍ من تعلق بك ، وتشبّثَ
بنسبك . أما علمتَ أنّ أحقّ أفعالِك ، وأخرقَ أقوالك ، سبّك عدوك
بولادةِ امرأةٍ من أهلِك ؟ أمّا هذا من جهلِك ؟ !
ولما قال ابن فضالة في ابن الزبير^٦ :

ومالي حين أقطع ذات عيرٍ إلى ابن الكاهليّة من معادٍ^٧

قال عبد الله بن الزبير : لو علم لي أمّا هي شرٌّ من عمّته لسبّتي بها ونسبني
إليها ؛ أفلا ترى^٨ كيف غلب عليه حتى سقط شعرُهُ فيه ؟ ! وحاشا لمن

١ وفي فصل منها : سقطت من ط د س .

٢ ط د س : فضلك ؛ ب م : نصلك .

٣ ط : الأقباط .

٤ ب م : البراجم .

٥ ب : ينسب ؛ د : يسب .

٦ ابن فضالة : عبد الله بن فضالة بن شريك الأسدي ، وكان أبوه فضالة شاعراً فاتكاً صملاً
مخضرمّاً أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان له ابنان شاعران أحدهما عبد الله الوائد على ابن
الزبير والقائل له : إن ناقتي قد نقتبت ودبرت ، فقال له : ارقمها بجلد واخصفها هلب . الخ .
فهجاه بأبيات منها هذا البيت (انظر الأغاني ١٢ : ٦٥) وينسب البيت أيضاً لغيره ،
(انظر الخزائن ٢ : ١٠٠) .

٧ الكاهلية : أم خوويلد بن أسد بن عبد العزى .

٨ ب م : ترون .

كنّا في ذِكره، بل لها الشرف الأرفع، والسناء الأمتع^١. هذا على اتصال
نسبك برومان، [فإن كنت] من ولد كنعان فما أبعَدَ دارك، وأشحطَ
مزارك، وأطمس آثارك!! وأما الخيلُ فسامحِ العربَ بركوبها ووثوبها،
وخلِّ بينهم وبين عيوبها، فلا حظَّ لك ولا لأصحابكَ فيها. عليكم بالبراذين
المحدّقة، والكوادين الموكّفة^٢؛ الخيلُ حرثُ العربِ وحصادُها،
وعُدَّتْها وأرصادها، ليست أمة من سائر الأمم الأعجمية تنازعها ذلك ولا
تدافعها عنه، تسميها بأسمائها، وتنسبها إلى آبائها، وتعرفها بأصواتها،
وتؤثرها بأقواتها، وإنك لتعلم أن خيلهم أشهر من ملوككم^٣ أسماء
واللقاباً، وأطهر من نسوانكم^٤ أنساباً وأعقاباً. قالوا: بنات أعوج وآل
الوجيه ولاحق، وبنات العسجدي وآل ذي العُقّال، وداحس والغبراء،
والجرادة والحنّفاء، والنعامة والشّماء، وحافل والشقراء، والزّعفران
والحرون، ومكتوم^٥ والبطين، وقُرزلُ والصريح^٦، [والعصا] والربذ
والوحيف، وأسماؤها كثيرة، وألقابها شهيرة، ولعلك أن تذكر لنا من
خيل آبائك الأولين، وأفراس أسلافك الأقدمين، فرساً مشهوراً، وفارساً
مذكوراً، فإن أتيت بذلك شهدنا وآمنا. ولو كنت فاخرت العرب بنصب
الدّواليب [١٩٩ ب] وعطف^٧ الكلايب، وغرس الأشجار، في الأحجار،

١ في النسخ: الأمتع، والتصويب عن هارون.

٢ طد: والكواذن؛ المحدقة: التي قصرت أذناها؛ الموكّفة: التي وضع عليها الاكاف
أو الوكاف.

٣ طس د: من أسماء ملوككم.

٤ طد: نسولكم؛ س: أنسالكم.

٥ هارون: ومكزون.

٦ طد: والصريح وقُرزل.

٧ طد: ونصب.

وقطع ما عظم من العبيدان ، وعمّس العتلاة والسندان ، رضينا وسلّمنا .
فأما نحر الليل بأذان الخيل ، وطىّ الفلاة بأيدي اليعتملات ، وشنّ الغارات
وطلب الثارات ، فلا عليك أن تخلّي بينهم وبين شصائصهم^١ ، وألاً
تنازعهم في خصائصهم ، فإنّها لأبيهم أقرب ، وهم بها أدرب ، وهي بهم^٢
أليق وأعلق ، [وهم إليها أسبق] وهم بها أصب وأملق ، يركبون إلى
الحرب في ثياب الشرب ، ويعتنقون الزوارس كما تعتنقون الأوانس :

لو كان في الألف منهم واحد ودعوا من فارس^٣ خالهم إياه يعنوننا^٤

وفي فصل : وما عيبت من قوم ينزلون البرّاح ويشربون القراح ،
ويرفعون العِماد ويعظّمون الرماد :

الموقدون بنجد نارَ بادية لا يحضرون وفقد العزّ في الحضرة^٤
إذا همتى القطرُ شبّتها عبيدُهم^٥ تحت الغمامِ للسايرين بالقطر
وقائلهم الذي يقول لغيره :

أوقدْ فإنّ الليلَ ليلٌ قرّه والريحُ فيها برّدٌ وصرٌّ
عسى يرى نارَكَ من يمرّ إن جلبتُ ضيفاً فأنت حر

١ الشصائص : الشدائد .

٢ ب م : وهم بها .

٣ البيت من الحماسة : ١٤ (شرح المرزوقي : ١٠٧) لبعض بني قيس بن ثعلبة أو لبشامة بن
جزء (أو حزن) النهشلي أو لنهشل بن حري ؛ وروايته : منا واحد فدعوا .

٤ البيتان للمعري - شروح السقط : ١٤٢ .

٥ الرجز لحاتم الطائي ، وقيل إنه لأبي التيمار الراجز ، بحر بن خلف (الوافي : ١٠
الورقة ٣١ - أ) .

وفي فصل : وما أدري من أين كان فتقدُّ الأحطاب لو فقدوها مثلبةً
وليست راجعة إلى خلتك ولا خلتك ، ولا معدودةً في نسب ولا حسب ،
ولقد اهتديتَ إلى طريفة ، وانتهيتَ إلى لطيفة ، فسبحان الله ما أصدقَ
حِسِّك وأسبقَ حدِّسك!! تدفقت^١ وترققت ، حتى توثقت وتحققت ،
لا ، ولكنك تعمقتَ حتى تحممتَ ؛ فإن كان الأمرُ كما ذكرت ، فأين
غضاً نجد وقلامه ، وأين رنْدُهُ وبشامُهُ ، وأين غرْبَهُ وتبَعَهُ ، وأين
سكْمه وسكْمه ، وأين العنَم والعكجان ، وأين السابم والبان ، وأين الشيزي
والاثاب ، وأين الرنّف والشوحط^٢ ، وكيف عرفوا دوحَ الكنهيل^٣ ،
ومساويكَ الإسحل ؛ وكتابُ النّبات يشهد عليك . بما فيه من الأيك .
وقد عنفتَ على العرب وعسّفتَ . ارفقْ بهم رفقَ الله بك . اخفضْ
لها من جناحك ، عدْ عليها بعطفٍ من جماحك :

لا تملأ الدلو وعرّق فيها أما ترى حبار من يسقيها

وفي فصل : وكيف استجزت على فضلك الباهر . وشرفك -
[بزعمك] - الظاهر ، أن تستعينَ على فخرك بخلاف الحق ، وتاجراً في
تهورك^٤ إلى غير الصدق ؛ هل كان النعمانُ إلاّ ملكَ أملاك ، وشمسَ

١ ب م : تدفقت .

٢ الرنب . من شحذ الجبال يعضم ورقه إلى فضبه ليزلا وينفتح فيها ؛ الشوحط : ضرب
من النبع .

٣ الكنهيل : ما عظم من شجر العضاد .

٤ الرذ في اللسان (عرف) ؛ وعرق في الدلو : جعل فيها ماء قليلاً . وحبر : اسم ناقته ،
قبل هو الأبر أو الهيئة .

٥ ب م : فهرك ؛ س : هرك .

أفلاك ، أصله عريق ، وفرعُه ورِيْق ، اتخذتموه جباراً ودون العرب حجازاً ، نزل الحيرة ، وأنتم له جيرة ، ملكٌ شهيم من لدن مالك [٢٠٠ أ] بن فهم ، له سَقْفِيُ الفرات بقضيه وقضيضه ، يجبي خراجَه ، ويستعيد أعلاجَه ، قد كفاكم^١ العربَ جمعاء ، من جَلَّقَ إلى صنعاء ، يذبُّ عنكم بماله واحتماله ، بوضائعه وصنائعه ، بعد عَقْدٍ مؤكَّد ، وعهد منكم مؤبَّد ، وأجارتِ العربُ من أجار ، وأغارت على ما أغار ، وحسُنَّتْ حال الفُرسِ بمكانه ، وعزَّتْ بسُلطانِه ، فلمَّا شمخ على أعلاجكم ، وامتنع من زواجكم ، ولم تكن العربُ تزوِّجُ احفاها ، أو يكون من اكفاها ؛ فقال لباغي السّواد ، عليك ببقر السّواد ، استزرتموه فغدَرتموه وغررتموه ، فكيف رأيتم غضبَ العرب لثارها وطلبِها لأوتارها ؟ ألم تصدمكم بندي قار صدمة ذي احتقار ، فأدرکتَ فيكم رضی الرحمن وأخذت بثأر النعمان ، وطحطحت بني ساسان وآل كاسان^٢ ؟ ! ولم تَقم للفرس بعدها قائمة ، ولا رعَت لها سائمة ، ولم تزل في قواصف تتقاذف ، وعواصف تترادف ، حتى تمم الله آفتها ، واستأصل الإسلام شأفتها .

وأما آل غَسَّان فالشرفُ الأقدم ، والبناء الذي لا يُهدَمُ ، سالت من بلادها حينَ سال سيل العرم جائلة ، وساحت^٣ من أرضها حافلة ، هاجرةً لأعطائها ، نافرة عن أوطانها ، وجاوزت^٤ الحجاز وهبطت الشّام ، فوجدت بلاداً ريفاً خريفاً ، ورجالاً جوفاً عجوفاً^٥ ، لا يحمون ولا يحتمون ،

١ طدس : فكفاكم .

٢ ب : كلسان .

٣ ب م : وصارت .

٤ طدس : وجاورت .

٥ ب : عوفا .

فقلت : غنيمَةٌ باردة ، وبهيمةٌ فاردة ، فنزلت الزَّوراء والغُوطة الزَّهراء :
وجالت على الجولان ثم تصيَّدت مُناها بصيِّدَاءَ الذي عند حاربِ

فألقت عصاها واستقرت بها السَّوى كما قرَّ عيناً بالإيابِ مسافرٌ^٢
على رغم أنوفكم ، وقطع شُنوفكم ، وولجوا خدوركُم ، على غيظ صدوركم :
وما بُقيا عليّ تركتُماني ولكن خفتُما صردَ النَّبَالِ^٣

[فقلتم قضيةً كريمة ، ونعمة عميمة ، وسورٌ له باب ، باطنه فيه
الرحمة وظاهره من قبيله العذاب ، لا يُستكفُّ العرب ، إلاً بالعرب ،
ولا يُقطَّع الحديد إلاً بالحديد ، ودفع الشر بالشر أحزم] فمتى أدوا
إليكم الإتاوة ، وأملوا لكم الإداوة ؟ وهم يحمونكم حمي القُروم
أشواها ، ويمنعونكم منع الأسودِ أشبالها ، أم تُراكم تركم لهم الشامَ
رعياً لذمامهم ، وصلةً لأرحامهم ؟ !

وفي فصل : وفخرت بالرياضية والأرضية ، صدقت ونُبئت عني
في الجواب ، هي كالرياضِ سريعةُ الذبولِ كثيرةُ الجبولِ^٥ ، زهْرٌ مشرق
ونور مطرق ، لا ثمر ولا كثر^٦ .

١ ط د : واستقر .

٢ البيت لمعقر بن حمار البارقى (اللسان : عصا) ونسب أيضاً لغيره ، ونسبه الجاحظ في
البيان (٣ : ٤٠) إلى مفرس الأسدي ؛ ب : المسافر .

٣ البيت للعين المفقري يهجو جريراً والفرزدق (اللسان : صرد) ؛ والصرد : نفاذ النبل .

٤ ط : واملؤوا ؛ هارون : وحملوا .

٥ ط : الجبول ؛ د : الجمول ؛ س : الحمول .

٦ الكثر : طلع النخيل .

وهل في الرياض مستمتعٍ سيوى أن يرى حُسن أزهارها^١

وكالأرض الأريضة ، ذات العرصة العريضة ، لا بناء فيُحَلّ ،
ولا فناء فيُظِلّ ، [يُدفن فيها الأموات ، وتُخمد فيها الأصوات] .
وأما الاسترلوميقا وهو علم الهندسة فعلم عمليّ مهنيّ على التقاسيم
والتراسيم ، والنواظر والمناظر [٢٠٠ ب] وكله آلات للحالات ، وأدوات
للذّوات ، ومساحات للمساحات ، وأمداد للأعداد ، وفي أفانين القوانين ،
ليس فيها معنى من تحصيل دقائق الفصول . ولا تفصيل حقائق المحصول ،
فأهلها عمّال ممتنون ، وبأشكالها مرتتهنون ، والعرب بعيدة من المهنة ،
نافرة من الخدمة . ومن قولكم : إنّ قسم العلم أفضل من قسم العمل ،
فهي إذن أرذل القسمين . وأسقطُ العلمين .

والجومطريقا^٢ وهو علم الهيئات ودورها ، والطوالع وكورها ، [وجنسها
ذو] نوعين ، وبابه على مصراعين : القضايا ، وليست برضايا^٣ . أما الأول^٤
فبيئونها على أنّ الطوالع مدبرة مقبلة . وهي أصول فاسدة وسوق كاسدة .
وقال آخرون : هي كالعيافة والزّجر والقيافة . وهذا باب مسلّم للعرب
لا ينازعون فيه ولا يدافعون عنه ، لهم فيه اليدُ الطولى ، والمنزلة الأولى ، لهم
السّوانح والبوارح ، والقواعد والنّواطح ، وعندهم الأيمان والأشائم ،
والأواق والحواتم ، وغير ذلك من التّمائم والرتائم . وفيهم من لا يعتسده
ولا يرتصده كالقائل :

.....

١ ط د : آثارها .

٢ عكس هنا . فالجومطريقا هو علم الهندسة ، والاسترلوميقا هو علم الهيئة .

٣ ط د : وصايا .

٤ ط د س : الأولون .

لا يمنعك من بغاءِ الخيِّرِ تعقادُ الرتائمِ^١
 ولا التشاؤمُ بالعطاسِ ولا التيمُّنُ بالمقاسمِ
 فلقد غدوتُ وكنْتُ لا أغدو على واقٍ وحاتمِ^٢
 فإذا الأشائمُ كالآيا من الأيا من كالأشائمِ
 فكذلك لا خيرٌ ولا شرٌّ على أحدٍ بدائمِ

وفي فصل : وأما الكهانة فكانت فيهم فاشية ولهم غاشية ، وقد سمعتَ
 بيشقّ وسطيح ، وزرقاء اليمامة وطيحة الأسدي ، ومُسيلمَة الحنفي ،
 والأسود العنسي ، وزهير بن جناب الكلبي ، وأفعى نجران ، وحازي^٣
 غطفان ، فلما جاءت الديانة بطلت الكهانة ، ولما نزل القرآن زجر الشيطان .
 وكذلك الدرّجة الأخرى ، فالعربُ بها أحقُّ وأحرى ، وهي معرفةُ
 الشهور والآيام ، وحسابُ الدُّهورِ والأعوام ، والأفلاكُ وأدراكها ،
 والأبراج وأدراجها ، والنيرّات وتعاورها ، والدّراري [وتغاورها] ،
 والعربُ أدري بها ، عرفوا السّماءَ ومعايشها ، والأرض وحشائشها ،
 ووصفوا المذراع والغراب ، [ورثبوا الثوابت وأنواعها ، والنوائب
 وأدواعها] والأزمنةَ وأهواعها ، والأوديةَ وأنداعها ، فلا ينجم نجمٌ إلاّ سمّته ،
 ولا ينبتُ نبتٌ إلاّ وسّمته ، [ولا عيشَ في سائرِ الأقطار ، إلاّ بعبار

١ الأبيات للمرقش السدوسي في الحيوان ٣ : ٤٣٦ ، ٤٤٩ وعيون الاخبار ١ : ١٤٥ ، وهي
 منسوبة للمرقم الذهلي (خز بن لوزان) في حساسة البحري : ١٦٣ والمؤتلف للآدي :
 ١٤٣ ، وجاءت دون نسبة في أمالي القالي ٣ : ١٠٦ ؛ والرتائم : أن يعقد الرجل خيطاً في
 شجرة إذا أراد سفرأ فإذا وجد الحيط في مكانه عند عودته عرف أن صاحبه لم يتخذه .

٢ الواقي : الصرد ؛ الحاتم ؛ الغراب .

٣ الحازي : الكاهن .

٤ طد : الأعراب .

الأمطار ، كما لا ثبات للحيوان إلاً بالنبات ، فقد عرفوا إذن طريقي الحياة ، ووصفوا فريقي النجاة [، وما سوى ذلك فضلٌ ليس فيه فضل ، وتكلف لا يفيد فائدة ، ولا يعيد عائدة .

وأما أقسام الطب للأجسام فقد جمعته^١ العرب في كلمتين معلومتين ، ولفظتين محفوظتين ، على رأيها في الاختصار ، ومذهبها في الاختصار ، فقالت : « المعدة بيت الداء [٢٠١ أ] والحمية رأسُ الدواء » ، وقال عليه السلام : « أصل كلِّ داء البردة »^٢ ، وقالوا : « كلُّ وأنت تشتهي ، ودعْ وأنت تشتهي » . وكانوا يطعمون ليعيشوا ، وينعمون ليريشوا ، فقد جمعوا الطبَّ بأظافيره ، والصلاحَ بحدافيره ، [وإذا فتشت أصول سقراط ، ونبشت فصول بقراط ، لم تجد مُستزاداً مستجداً ، ولا مستراداً مستفاداً] . وليست هذه الأمور مما يخص به آحادهم ، أو ينفرد به أفرادهم ، بل ينطبق به صغارهم وكبارهم ، ويعرفه نساؤهم ، ويهتف به إماءهم ، ورعاتهم وعبادتهم ؛ أشعارهم بذلك ناطقة ، وأخبارهم عنه صادقة ، ما تلووا فيه مثلوا ، ولا قرؤوا^٣ به مقرؤوا ، ولكنها الطبَّاع الصافية ، والقرائح الكافية ، والغرائز السليمة ، والنحائز الكريمة ، تلتقط الحكمُ من مخاطباتهم ، وتسير الأمثال من مجاوباتهم ، على منهاج واحدٍ من الفصاحة في المشاورة ، وفي المحاوراة ، وعلى طريقةٍ واحدةٍ من البلاغة في المسألة والمراغمة ، [والمواجزة] مع المناجزة ، [ولا يتعلمون ولا يتأملون ، بل] يرسلون الحكمَ لإرسالاً ، ويبعثون الفِطنَ أرسالاً .

١ ط د س : وأما الطب فجمعته .

٢ البردة : التخمة .

٣ ط د س : قرءوا .

والموسيقى وهو علم فنون اللّحون ، بالعجم^١ إليه حاجة مُجحففة ،
 وخرورة مُعجّفة ، لعجز^٢ طباعهم عن الأوزان ، وقلة اتساعهم في
 الميدان ، لأن لغاتهم قليلة^٣ ، وقواهم كالية^٤ ، لا تستجيب إلاّ بوسائط ،
 ولا تستقل إلاّ ببساط ، ليس عندهم شعرٌ موزون ، ولا كلامٌ مرصون ،
 ولغةُ العربِ واسعةُ العباراتِ ، ناصعة^٥ الإشارات ، لها الشّعْرُ الموزون ،
 والنظمُ المكنون ، والكلامُ المنثور ، والسّجّعُ المأثور ، والرّجَزُ المشطور ،
 والمزدوّجُ المبتور ، والموشحُ والأطواق ، والقلائدُ في الأعناق ، والمخمسّات
 والمربعات ، والكواملُ والمقطوعات ، ولعبيدها في كلِّ ذلك اللّحونُ
 الشجّيات المطربات والمشوقات ، والتغاييل والتقايل^٦ ، [والأهزاج والأرمال ،
 وغير ذلك من الأعمال ، كالركباني والأعرابي ، والنصّبي^٧ والمدني ،
 والثقييل الثاني ، وعمود المدني^٨ ، والماخوري^٩ والسريجي ، وخفيف المدني ،
 وهي كثيرةٌ أثيرة ، نسي معها الأرغن والسلياق^{١٠} والصنّج^{١١} والكنكلة^{١٢}]
 والقندورة^{١٣} والقيثارة^{١٤} ، فلا يعرفن ولا يولفن .

وما أظن معبداً والغريص وأشعب وطويساً وابن سريج وابن محرز

١ ط د س : والموسيقا علم اللّحون فما للعجم .

٢ ط د : لنبو ؛ س : لغمر .

٣ ب م : ناطقة .

٤ ط : والتهايل والتعايل ؛ س : والتهايل والتعايل .

٥ س : المنصبي ؛ ط : والنصبيبي .

٦ ط د : المدى . ٧ د ط : والماجوري .

٨ سقطت من ط ؛ د : والسلمان ؛ ب م : والسليمان ؛ وأثبت رواية س .

٩ د ط : والصنّج ؛ س : والصليج .

١٠ د ط : والكنكلة .

١١ د ط : والفيديورة ؛ س : والقندورة (وبالفاء أيضاً) .

١٢ د ط : والفشاوة ؛ وتقرأ بالقاف والفاء في س .

والميلاء وبصبصاً قرأوا^١ قط موسيقى ، ولا سمعوا بيطيقا^٢ ، فاعرض إن شئت أحيانهم المطبوعة على أوزانكم المصنوعة، فأظهر غلطهم في التنغم ، وخطأهم في الترثم . على أنه من العلم المذموم [روي في الحديث : أن أول من غنى وناح إبليس حين أكل آدم من الشجرة ؛ قيل وهو أول من عميل الطنبور؛ فلا مرحباً بعلم الأستاذ فيه إبليس اللعين^٣ ؛] وقد كان منهم من إذا غنى ثننت الوحش أجياها وفارقت اعتيادها ، وعطفت خدودها وتركت شرودها ، مصغية إليه مقبلة عليه ، فإذا قطع عاودت نفاها وطلبت أوكارها ، هذا فعل الأوابد والوحوش الشوارد ، فما ظنك بالقلوب الرقيقة ، والفطن الرشيق؟ ألقد ألف الإسلاميون في الأغاني ، وما يتصل بها من المعاني ، ما إن نظرت بهيز وحكمت بعدل ، وقفت على الفضل في هذا الفصل ، ولم تحوجك العصبية والنفس الغضبية ، إلى شهادة الزور والجور المأزور .

وأما الأناطيقا والطوبيقا^٤ فهناك جاءت الاحموقى والأخروقى ، [٢٠١ ب] وظهر عجز القوم وتبدلت أفهامهم وركدت ريحهم ، وكثر تريحهم ، وبان أنهم أعمار ، ليس فيهم إلا حمار ، وضل سعيهم في الحياة الدنيا لما وصلوا إلى حيث تنفرد العقول بنظرها ، والبصائر بفكرها ، والأفهام باستنباطها ، هنالك تاه المحزون ، وخسر المبتلون ، وتفرقوا شذر مذر وعباديد أباديد ، فمنهم الدهرية القائلون ليس للعالم ابتداء ولا انتهاء ، لا تثبت إلا بما شهدناه ، ولا نعلم إلا ما عهدناه ، فأذكروا حجج العقول والعلم

١ ط د س : وما أظن معبداً والغريص وأصحابهما قرأوا .

٢ ط د : منطيقا ؛ ب : سطيما .

٣ ط د س : إبليس اللعين فيه الأستاذ .

٤ ط د : والطوميقا ؛ ب : والطونيقا .

المنقول ، والدليل والمدلول ، وهم يُبصرون تعاقب الأضداد وتعاور الكون والفساد . ومنهم الطبيعيون وهم أيادي سبا وفيرق شتى ، قوم يقولون العالم من أصلين : هوائي وأرضي ، فجمعوا بين الرأس والطافي ، والكدر والصافي ، وعلى هذا الرأي قال المتنبي ^١ :

تبخلُ أيدينا بأرواحنا على زمانٍ هي من كسبه
فهذه الأرواح من جوه وهذه الأجساد من تربه

ومنهم القائلون ^٢ : العناصر أربعة هي بسائط للمركبات ، ففوضوا بائتلاف المتضادات ، وتركيب المتحدات ، فجمعوا بين النار والماء ، والأرض والهواء .

فإن قيل : كيف صارت متظافرة وهي متنافرة ، وغدت متجاورة وهي متعاورة ، وإذا كانت تتهارج ، كيف تتمازج ، أم كيف يمتزج الصاعد بالراكد ويلتبس الحار بالبارد ؟ قالوا : جمعها جامع ، وقسمها قانع ، بطبعه لا باختياره ، وبفعله لا باقتداره ، وهذا غاية المحال ، ونهاية الاختلال ، لأنه لا بد أن يكون الخامس مثلها أو مثل بعضها ، أو مخالفاً لكلها . فإن كان مثلها أو مثل بعضها فلا حاجة بها إليه مع وجود مثله ، وإن كان مخالفاً لسائرهما فلا بد من سادس لتغايرها [ثم كذلك إلى غير غاية] ولم قالوا أربعاً ؟ فإن قيل أيها أقدم ولمركزه ألزم ؟ . . .

[قال صاحب الكتاب : وبين أبو الطيب بطلان قولهم في احتجاج طويل ، أضربنا عنه تركاً وتخفيفاً ^٣ للتثقيل] .

١ ط د س : ذهب بقوله أبو الطيب ؛ وانظر ديوانه : ٥٧٣ .

٢ ط د س : ومنهم من قال إن .

٣ س : حذفته تخفيفاً .

[ثم قال] : وأما أصحاب الطوالع ، وعُباد المطالع ، فقد اختلفوا في الهيئة [أيضاً] على جهات ، ووصفوها بصفات ، فقالوا كالدائرة تتساوى أبعادها ، ويتعدل اطّرادها ، وقالوا : كالبيضة وكالقلادة . والمنجمون^١ ، وهم فنون^٢ في الجنون ، يقولون فلنك^٣ الأفلاك ، ودرك الأدرak ، والفلك الأثير ، وهذيان كثير ، يعبدون الشمس ، ويسجدون^٢ للنّار ، ويعبدون زحل والمريخ والزهرة والشعري العبور وغير ذلك ، وهم يرون آثار النقص فيها ، ودلائل الحدث تعترتها ، من طلوع^٢ وأقول ، وقدم وقبول ، ويزعمون أنّها تتغاير [٢٠٢أ] وتتنازع^٣ ، وتتكاسف وتتخاسف ، وكيل^٢ بصاع هذا التخليط من هذه الأغاليط ، لا يعرفون رُشدًا ، ولا يهتدون قَصْدًا . هذا مقدارُ عقولِ حكمائك ، ونهايةُ آراءِ علمائك ، [وهذا قليل^٢ من كثير هديانهم ، وأوار^٢ من عوار^٢ غلبانهم] .

وفي فصل منها : وأما أنتم معشّر^٢ النصراني الخساري ، فقد اتخذتم المسيح وأمه لإهين من دون الله ، وقلتم بالمحال ، في قضايا العقول والاستدلال ، قلتم : إله واحد^٢ وأب^٢ وابن وروح^٢ قدس ، فهو إذن ابن نفسه وأبو نفسه وروح^٢ روحه ، وقلتم : امتزج^٢ اللاهوت^٢ بالناسوت^٢ في بطن أمه امتزاج^٢ الخمر بالماء ، وقلتم : تحوّلت^٢ الكلمة^٢ في الرحم^٢ لحمًا ودمًا ، وقلتم : لا كما يظهر^٢ الوجه^٢ في الجسم^٢ الصقيل ، والطابع^٢ في الشيء^٢ البليل ، وقال آخرون : بل كما يمتزج^٢ العقل^٢ بالنفس^٢ من غير^٢ مماسّة ، فكيف يمتزج^٢ ما لا يتماس ؟ وكلكم مطبقون على أن المسيح ابن^٢ الله ، تعالى الله عما تقولون ، وضللتم وخسرتم ، ثم أقررتم طائعين وأذعنتم خاضعين أن اليهود قتلتهم قتلاً وصلبته

١ ط د س : لا سيما المنجمين .

٢ ط د : وعبدوا . . . وسجدوا .

٣ ب : وتتنازع .

صليبا ، فأين ما ادعيتم مما نعيم ، وأين ما استرستم مما اقترفتهم ، لا ترعون ولا تستحيون ، ولا تبالون ما خرجت بكم الحالُ إليه ، ولا ما وقفكم الشقاءُ عليه ، أربُّ معبودٍ يُقتل ويُصلبُ ويقهر ؟ ١

* لقد ذلَّ من بالتَّ عليه الثعالبُ ١ *

فكيف لم يدفع عن نفسه ؟ وكيف لم يخسف بهم الأرض جميعاً أو يرسل السماء عليهم كسفاً ؟ ! بالأمسِ إله ترقبون جنته وناره ، واليوم قتل صليباً لا تُدركون ثاره ! !

وزعمت طائفةٌ منكم أن اللاهوتَ فارق الناسوتَ عند ذلك ، وخطى بينه وبين اليهود ، فهلاً حماهُ منهم أو نصره عليهم ؟ ! هذه إشارةٌ إلى تناقضكم ، ولمحةٌ دالةٌ على تعارضكم ، ولو أحصيناه وتقصيناه لاتسع مجاله ، وامتنع مقاله .

فإن قلت : إنَّ العرب [أيضاً] كانت تعبد الأصنام وتستقسم بالأزلام ، فنحن ما أحمدنا لك دينها ، ولا رضينا يقينها ، بل نعلم أنَّ من قال منها بالإشراك ، فقد قصر في الإدراك . وهي على كلِّ حال تذكُرُ الله تعالى ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَلئن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقولُنَّ اللهُ ﴾ (لقمان : ٢٥) ؛ وقال ﴿ ما نعبُدُهُم إلاَّ ليقربونا إلى الله زُلْفَى ﴾ (الزمر : ٣) . وكثيرٌ منهم يقرُّ بالبعث والجزاء ، ويعترف بالحشر واللقاء ، وكان منهم من رغب عن عبادة الأوثان ، وتفرَّقوا في الأديان ، فكانت حيميرُ على

١ عجزبيت ، وصدرة : أرب يبول الثعالبان برأسه ، وهو لغاوي بن ظالم السلمي وكان سادناً لصنم فرأى ثعلباناً يبول عليه ؛ انظر الإصابة ٢ : ١٨٥ وشرح العيون : ٣٣٧ والميداني ٢ : ٨٦ .

دين موسى ، وكان بنو الدِّيَّانِ وأهلُ نَجْرانٍ وتغلبٍ وغَسَّانٍ على دين عيسى ، وكانت فيهم الملة الحنيفية الإسلامية والشريعة الإبراهيمية ، ومن أهلها كان قسُّ بن ساعِدة الإيادي ، وورقة بن نوفل [٢٠٢ ب] الأسدي ، وزيد بن عمرو من بني عدي ، وقتلته الرومُ لذلك ، وقد قيل في خالد بن سنان ما قيل . وكان أسعد أبو كرب الحميري أحدُ التبابعة قد آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ، قبلَ مبعثه بسبعمئة عام وقال :

شهِدْتُ على أحمدٍ أَنَّهُ رسولٌ من الله باري النَّسَمِ
فلو مُدَّ عُمري إلى عمره لَكُنْتُ وزيراً لسه وابن عم

وذكر الله تعالى كثير في أخبارهم وأشعارهم. وقد ذكر بعضُ أصحاب المقالات أن عبد المطلب بن هاشم كان من المهتدين في الدين ، واستدلَّ بأنه أُجيب لما سأل ، وسُقِّي حين ابتهل ، وذكر النبي عليه السلام لعبد المطلب سيفُ بن ذي يزن ، وحزِنَ على فتوته أشدَّ الحزن ، وأكد له اليهود ، وحذَّره عليه اليهود . ولما دُعوا دخلوا في الدين أفواجاً ، وأتوه أزواجاً ، إلاَّ من أدركته النَّفَّاسة وحبُّ الرياسة ، وسبَّقت عليه الشُّقوة ، وورمَ أنفُسُهُ من النَّخوة ، كأبي جهل بن هشام وعامر بن الطُّفَيْلِ وأمِّيةَ بن أبي الصلت ومن كان من ضربائهم وقرنائهم .

وقال معاوية في كلام له مشهور : « فما كان إلاَّ كغِرار العين حتى جاء نبيُّ لم يسمع الأوَّلون بمثله ، ولم يسمع الآخرون به ٢ ، ولقد كنَّا نفخر بذكره على من نظراً عليه أو يطرأ علينا وإنا لنكذِّبه ، ونتهيج ٣ بذكره [وإنا لنحاربه] » .

١ التيجان : ٤٥٥ . ٢ س : بشكله .

٣ ط د : ونهيج ؛ س : ونهيج .

هذه لمع^١ من أمور الجاهلية ، وطُرِفَ من مفاخر الأوليّة ، إن أنصفتَ نفسك ، أو صدقت حسّك ، عرفتَ أين يقع منها مُفَاخِرُهَا ، وهل يشقُّ غبارها مسجَارُهَا .

وفي فصل منها : [وما تصنع إذا نُشِرَتِ الكمائن ، ونُشِرَتِ الكنائن ، وقَرَعَتِكَ القوارع ، وقَرَعَتِكَ الفوارع ، وماست راياتُ السّيادة ، وخفقت ألوية السّعادة ، وطلعتُ عليك طوالعُ النبوّة في أبهة الجلال والجمال ، وسماحة العزّ والكمال ، وقيل لك : هذا سيّدٌ ولَدِ آدمَ أوّلهم وآخرهم ، خاتم الأنبياء ، وقاتل الأغبياء] . وأشهدُ أن الله لم يجعل محمداً صلى الله عليه وسلم هاشمياً إلاّ وهاشمٌ خيرٌ قريش ، ولا قرشياً إلاّ وهم خيرٌ مضر ، ولا مضرباً إلاّ وهم خيرٌ العرب ، ولا عربياً إلاّ وهم خير الأمم . لهم كعبَةُ الله وولادةُ إسماعيل ودعوة إبراهيم ، وإليهم مُهاجرُ هودٍ وصالحٍ وشُعيبٍ وأتباعهم من المؤمنين ، وأشياعهم من المُوقنين [فيهم كان حمائمهم ، وعندهم دُفِينت رِمَامُهُمْ] لا كَسَنَائِكَ الذي أسررت فيه حسواً في ارتغاء ، ودفعاً في ابتغاء ، وكشفت فيه ضَبَابِكَ عن ضَبَابِكَ^٢ ، وهتكت أستارك من اهتارك^٣ ، وظننت أن مخالطتك تُخفي مغالطتك ، وأن مدحك يسترُ قَدْحُكَ [حين مدحت مدحاً بجلياً^٤ ، وأثنت ثناءً دَخَلِيّاً^٥ ، ولم يُمدَحَ مَنْ ذُمَّت قبائله ، ولم يثبتَ مَنْ جُدَّت حبائله]

١ ط د س : لمعة .

٢ الضباب : كناية عن الحقد والصفينة .

٣ س : اختبارك .

٤ ط د : جلياً ، وأثبت قراءة س ، وفيها إشارة إلى مدح الرجل وهجاه قبيلته ، كما قال عوف

القواني في مدح جرير بن عبد الله البجلي « لولا جرير هلكت بجيلة » .

٥ ط د س : وجلياً ؛ والدخلي : المدخول الفاسد .

أجعلتَ ويحك تبره في الرِّغَامِ ؟ بل الرِّغَامِ لأنفك ، والرِّعَامُ^١ لوجهك .
لقد أخللتَ بنفسك وزلتَ قدمُك ، وأحلتَ بعقدك وقد حلَّ دمُك .
ولو صحَّ اعتقادُك لصحَّ انتقادك ، ولو خلص باطنُك لأقصرَ باطلك ،
ولو اصطُلِمَت ما ظُلِمَت ، ولو اخترمت ما وفي بما اجترمت .
سمع عمر بن عبد العزيز رضي الله بعض كتابيه ، وقد عيِّر بنصرانية
أبيه ، فضرب لذلك^٢ مثلاً يجلُّ عنه ويرتفع عن قدره [٢٠٣ أ] فقال له
عمر : أو قد قانتها ؟ والله لا تشربُ الباردَ بعدها ؛ وأمر به فضربت عنقه .
فأمّا إذْ أغفل ولاةُ الأمرِ تأديبَك ، وتأديبَ الكافّةِ بك ، فأهماوا
تأنيبَك وتأنيبَ السفهاءِ مثلك ، فتسبُّ إلى الله توبةً تهديك وتُنَجِّيك .
وعلى أنك خلتَ من ذلك السلف ، رأيك فيه رأيُ أهلِكَ ، وفرعُك
جار على أصلك ، إلاّ أنَّ السيفَ قَهَرَكَ والدِّينَ قَسَرَكَ ، وأخذَكَ حُكْمُ
الدَّارِ وخوفُ البِدارِ ، فأنتَ تَشْرُقُ بريقك ، وتَغْصُ برحيقك ، ولا بدَّ
للمصدر أن ينفث ، وللمبهور أن يَغْرثَ :

ولا بدَّ للماءِ في مِرْجَلٍ على النَّارِ مُسْعِرَةً^٣ أن يفورا

ومن كتاب لابن عباس يردُّ فيه على ابنِ غرسية : عليك السَّلَامُ
لا السَّلَام ، تحيةَ آليكَ ، لا هديةَ آلك ، يا ذا الوَسَنِ لا اللَّسَنِ ، واللكنُ
لا الركن ، وابن المِراغة لا البلاغة ، المزري بولاءِ مواليه ، المغربي بهاجر

١ الرعام : المخاط .

٢ ط د : بنفسه ؛ س : لنفسه .

٣ هارون : موقدة .

٤ من هنا حتى آخر الترجمة لم يرد في ط د س ، والنصّ قلق في مواضع .

٥ ب م : ولاكن .

ونسي أرقاء مواليه ، الجاني لهم شرّ ما يجني :

* وعلى أهلها براقش^١ تجني^٢ *

المفاخر بالعبيد ، على أملاكها الصيد ، مالك لا أبالك ، تتهانف^٣ وتهالك ،
أما هالك ما أضناك ، وأمالك عن التهج^٤ بال^٥ ذي حسّان ، وحلّلت^٦
الماء من غسّان ، أو ما أجر^٧ منك اللسان ، ما في عنقك من المن^٨ والإحسان ؟
على أنك استغنيت بنعمك حين أبيت ، فاقطعتهم ملكة البلاد ، والحسب^٩
التلاد ، وموارد الشرف الأعداد ، السامين على الأنداد ، النامين بالآباء^{١٠}
والأجداد ، من عيدان^{١١} عاد ، وعاد شداد ، الضاربين الأرض^{١٢} بالأسداد ،
النازلين القصر^{١٣} ذا الشرفات من سنداد^{١٤} ، تداعوا^{١٥} من أعالي الحجاز ، وحيث
اضطرتهم - بزعمك - من أسفل^{١٦} ذي المجاز ، سامية^{١٧} الهوادي والأعجاز ،
عرباباً لا تني ادّراباً ، وغضاباً لا ترتدي الاعضاباً ، فأداروا الأمر^{١٨} مداره^{١٩} ،
وأقرّوه بعد الزلزال قراره ، وأوطنوا من حلال^{٢٠} الملوك^{٢١} داره^{٢٢} ، وعقّوا^{٢٣}
لك بأخيرة^{٢٤} عن أباداره^{٢٥} في عليك^{٢٦} داره^{٢٧} ، فوبحت^{٢٨} كما ولج^{٢٩} الثعلب^{٣٠} وجاره ،
ولياك^{٣١} أعني^{٣٢} واسمعي^{٣٣} يا جاره^{٣٤} ، سما لك^{٣٥} من قومهم^{٣٦} قبل^{٣٧} جدام^{٣٨} ، فقضى^{٣٩}
لدولتك^{٤٠} المقرفة^{٤١} بالجدام^{٤٢} ، وذلّت^{٤٣} ذلّ^{٤٤} الخليفة^{٤٥} للبعل^{٤٦} ، وزلّت^{٤٧} كما زلّت^{٤٨}

١ من المثل : على أهلها دلت (أو جنت ، أو تجني) براقش ، انظر فصل المقال : ٤٥٩
والميداني ١ : ٣١٠ والعسكري ٢ : ٧٥ والجمهرة ٣ : ٣٠٦ وأمثال الضبي : ٦٩ ؛
وهذا الذي أورده هنا عجز بيت لحمزة بن بيض ، وصدره : بل جناها أخ علي كريم .
وقد مر البيت مع آخر في ما تقدم ص : ٣٨٦ .

٢ من قول الأسود بن يعفر :

أهل الخورنق والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سنداد

٣ لعلها جمع بدرة ؛ وربما رجحت أن تقرأ « أنادره » أي « بيادره » .

٤ انظر المثل في فصل المقال : ٧٦ ، ٧٧ والميداني ١ : ٣٢ والعسكري ١ : ١٦ .

زليلةُ النَّعْلِ ، وأصبحتَ للساءِ بعد الإباءِ ، كعادةِ أعلّجك الأبناءِ
والآباءِ ، وعوليتَ وما عاليتَ صهوةَ الأفتابِ والعمدِ ، هذا وأبيك الحديثِ ،
وعن القديمِ فإليكِ يساقُ الحديثُ ١ : اتمدُ نُبِتَ في الجوابِ عنِّي ، وربَّ
كلمةٍ تقولُ دعني ٢ ، أجلٌ هي ٣ مثلها في الهونِ والدونِ ، لا الخصبِ
ولا الهدونِ ٤ ، حتى ثنى عنها الثَّقفيَّ إياله ٥ ، وأشرفَ فلم يبالِ بها باله ،
ولا رضي أن يكونَ له عليها إياله ٦ ، فمن الضَّغْثُ الآنَ ومن الإبالَةَ ؟
[٢٠٣ ب] .

وفي فصل : ولا غرو ، فالرودُ لكتفِها ٧ ، والأسودُ لأسكِّها ، والحجالُ
لربّاته ، والمجالُ لمن ثوّرَ على الخيلِ في سرواتِه ؛ خامرُ أبا عامرٍ ، كخليلتكِ
أمّ عامرٍ ٨ :

خلُّ الجراجِ ٩ لمن يبني المنارَ به واحللُ بؤهدك حيثُ احتلّك القدرُ
مه ١ أأ تُقصرُ عن عمّته ، انتبه لما أنتَ به ؛ إلى مَنْ ويملكُ أسلّتْ

١ إليك يساقُ الحديثُ : مثل ، انظر فصل المقال : ٥٠ والميداني ١ : ٣١ والعسكري ١ : ١٤ .
والضبي : ٨٠ .

٢ في المثل : رب كلمة تقول لصاحبها دعني ، الميداني ١ : ٢٠٦ .

٣ غير واضح إلى أي شيء يشير بالضمير « هي » ، وإن كان الحديث متصلاً بما قاله ابن
غرسية عن تباله التي هانت على الحجاج « الثَّقفي » فثنى عنها إياله ؛ راجع ما تقدم ص : ٧٠٦ .

٤ الهدون : الدعة والسكون .

٥ الإيالك : الولاية والسياسة .

٦ الإبالَةَ - مثل الإيالة - : الولاية . ٧ ب م : يكشفها ؛ والكثف : المشي الرويد .

٨ أم عامر : الضبي ، وفي المثل : « خامري أم عامر » ، انظر فصل المقال : ١٨٧ والميداني
١ : ١٦٠ والعسكري ١ : ٢٧٦ .

٩ الجراج : لعله من الجرجة : معظم الطريق أو الجرج : الأرض ذات الحجارة . وفي ب م :
الجراج ؛ وبهامش م لفظة « الطريق » ، كأنه شرح للكلمة .

سَيْلِكَ ، وشمّرتَ عن السير ذَيْلِكَ ؟ وأجلّبتَ رَجُلَ سَفَهِيكَ
 وخبيلِكَ^١ ، ما انتفخ سُحْرُكَ ، حتى نفخ بما نفخ وشلّكَ لا بحركِ ؛
 لقد دانيتَ ما ليس بالمتدان ، وعاليتَ ما ليس لك به يدان : المعاطس^٢
 السمر القُمر ، لا الزُّعر المعر^٣ ، الصُّبُر الخبر ، العُقُر الوقر ، إذا ركبوا :

* تخرقت الأرضُ واليومُ قرّهُ *
 * * *

طالوا أمما ، وأدركوا الطوائلَ أممًا ، وفَضّأوا أحساباً وإمماً ، وشرّفوا
 أنفسهم وهمماً :

* لهم شيمةٌ لم يُعطيها اللهُ غيرهمُ ° ° *
 * * *

ليسوا بناتحي عفاء ، ولا ناسجي مِسْج عِفَاء^٤ ، ولا من استنفرَ بقَرْدَة^٥ ،
 ولا استحلَّ خنازيرَ وقِرْدَة ، ولا من اغتدى الجريث^٦ ، ولا من اشتوى
 جُرْد اللغيث^٧ ، ولا من قارن بين ثيرة^٨ ، ولا من امتطى ظهرَ عيسرة^٩ .

١ ب : وحملك ؛ م : وجملك ، وفوقها « وخبيلك » بخط دقيق .

٢ ب م : المغاطس .

٣ المعر : جمع أمعر ، وهو الذي ذهب شعره كله .

٤ عجز بيت لامرئ القيس (ديوانه : ١٥٤) وصدرة : إذا ركبوا الخيل واستلأموا .

٥ صدر بيت للنايفة الذبياني (ديوانه : ٥٦) عجزه : من الناس والاحلام غير عواذب .

٦ العفاء : جمع عفر ، وهو الجحش ؛ العفاء : الوبر .

٧ استنفرت المرأة : شددت فرجها بخرقة إذا غلبها سيلان الدم ؛ القردة : نفاية الصوف أو الكنان
 وما شاههما . ب م : استنفر .

٨ ب م : اغتدى الجريث . والجريث : ضرب من السمك يقال له أيضاً الجري ، وقيل إن
 علياً نهى عنه .

٩ ب م : استوى حرد اللهيبي ، واللغيث : الطعام المخلوط بالشعير .

١٠ الثيرة : جمع ثور .

١١ العيرة : جمع عير ، وهو هنا الحمار الأهلي .

ولا من أثارَ عن النقع المثار، ولا من شدَّ الحلبة، ليشرب الحفنة والعلبة ،
 بل يشدُّونَ العمائم ، وَيَنْجَعُونَ الغمائمَ ، ويرتدونَ الرُدَيْنِيَّاتِ ، ويستجيدونَ
 اليَزَيْنِيَّاتِ ، ويفتلونَ الربذيَّاتِ^١ ، ويتعلِّدونَ الهنديَّاتِ ، ويُظَاهرونَ
 التَّبَعِيَّاتِ ، ويغزونَ الرَبْعِيَّاتِ ، ويتوشَّحونَ المُعلَمَاتِ ، والموشِيَّةَ المنمنماتِ ،
 يجرُّونَ أهدابها ، ويأُحْفونَ الأرضَ هُدَّابها ، ويابسونَ للحال لَبوسها ،
 إما نعيمها وإما بُوسها ،

* رفاق النعالِ طيبٌ [حُجْرَاتِهِمْ]^٢ *

ذوو الفطنِ والهممِ ، والآراءِ والمجدِ العممِ ، والعلمِ بالأفلاكِ ، والرَّصْدِ
 في الأحلاكِ ، وأخذِ الأهواءِ في الأنواءِ ، والاهتداءِ في الجدَاءِ^٣ ، بالساقطِ
 والطارحِ ، والمساقطِ والمطالعِ ، هم زهروا منها الزُّهْرُ ، وشافوا صَفْحَ
 الجوزهرِ ، حتَّى بَهَرَ زهره ، وأخذوا على البدرِ ثنايا سفره ، ونفضوا
 عن مكامينِ سرره ، وقدَّوا قلامتَهُ من ظُفْرِهِ ، وأدلوها الدُّكُلُ بالرشاءِ ،
 وخلَّوا للحوثِ سرَّه حيثُ شاء ، وقلَّدوا العقربَ لِبرَّتِهِ ، والاسدَ
 زُبْرَتِهِ ، وراشوا من الطائرِ قوادِمَهُ ، وقصَّوا من الواقعِ مقادِمَهُ ،
 واقتحموا على العذراءِ رواقها ، وفصموا عن الجوزاءِ نطاقها ، وطوقوا
 الزهرةَ في خِدْرِها ، بيدٍ من الفكرِ لم تدرها ، وأجرُّوا لِهِنَاتِ نعشٍ ذيلًا ،
 ونحَّأوا الغَزَلَ سهيلًا ، وتركوا الثرياَ وكفَّها لِنابه فريًا ، بعسد أن
 صَغَتْ [٢٠٤ أ] إليه بزعمهم مليًا ، ومدَّت كفَّها الخضيبَ وقالت إليًا ،

١ ب م : الرانديَّات ؛ والربذيَّات : نوع من السياط .

٢ صدر بيت للثابغة الذبياني (ديوانه : ٦٣) وعجزه : يميون بالريحان يوم السباب .

٣ الجداء : المغازة اليابسة .

وأعلوا لأتّي المجرّة ، طريقه ومجرّه ، وأذنوا للعبور^١ ، في الإجازة والعبور ،
وتخلفت أختها الغميصاء ، فلذلك لا تطرف إلاّ عن الغميصاء^٢ ، وأخفروا
الرواكدا فلم تسيّر مع السيّارة في خفارة ، وأضرموا للمريخ مرّخه^٣
وعقاره^٤ ، ولم يفتهم زحل^٥ ، وإن نأى ورّحل^٦ ، بل حصروه في
ساحته ، وقصروه عن مساحته ، وقبضوا بيد الفهم لا العمل ، على روقي^٧ ،
الثور وذتّب الحمل ، وشروا المشتري بالأوزان من غير موج ولا أوج ،
ولا أخذ ارتفاع ، ولا تقويم ساع ، ولا دقائق ولا درج ، ولا حساب
تلقوه^٨ عمّن درج ، بل بفهام أفهام^٩ ، وإهام أوهام^{١٠} ؛ مع معرفتهم
بالحشائش ، ولسانهم^{١١} بكلمها جائش^{١٢} ، وطبيهم الحارث بن كلسدة ،
فهل كان منكم له في عصره ليدّة ؛ ولهم اللحن باللحن ونسب النغم ،
والزير والبهم ، والمثلث والثاني ، والثقل^{١٣} الأوّل والثاني ، وما أحسبك
سمعت جرادتي عاد ، وكيف ألهمتنا فدها بصوتها المعاد ؛ وفيهم العيافة^{١٤}
والقيافة ، والكهانة والعرافة ، وحديث خرافة ، وابنا عيان^{١٥} ، لما استخبرتموه
من البيان ، والرق والتمائم ، والزجر بالأيامين والأشائم .

وفي فصل : حاثوا من الأرض سيّطتها ، ومن قلادة الدنيا واسطنها ،

.....

- ١ يريد الشعرى العبور وهي اليمانية .
- ٢ الغميصاء : هي الشعرى التي تخلفت بعد أختها العبور التي عبرت البحر لاحقة بسهيل أخيها .
وبقيت الغميصاء تكي حتى غمصت عينها ، والغمص في العين كالرمص .
- ٣ المرخ والغفار : نوعان من الشجر ، سريعا الايراء ، وفيهما يضرب المثل : « في كل
شجر نار واستمجد المرخ والغفار » .
- ٤ الروق : القرن .
- ٥ ب م : حائش .
- ٦ ابنا عيان : طائران يزجر بهما العرب ، وقيل هما خيطان يخطان في الأرض يزجر بهما
الطير ؛ ويقول الذي يخطهما : ابني عيان أسرعا البيان .

وبين سمع الأرض وبصرها ، وفي جفن كسراها وقيصرها ، ينزلون
الدهناء ، ويرتحلون الوجناء ، ويستبطنون الحسناء :

يتقيّلون ظلالَ كلِّ مطهّمٍ أجَلِ الظليمِ وربقةِ السرحانِ^١

لَتَقَاحٌ لا يدينون ، وبإلقاح الحروبِ يدينون ، يستأدونكم الإتاوة ، في
كلِّ وَهْدٍ وَرُبَاوَةٍ ، أفبهذا اخدمتم نعماننا وغساننا ، أم بعبطية جذعِ ازدرى
ثمَّ ابنِ عمك أماننا^٢ ؟ ! أمْ بيومِ ذي قارٍ ، وهو أشهر في بادٍ وقارٍ ، إذ
أسروا أساورتكَ ، وكسروا أكاسرتكَ ، وقصروا عن العامة قياصرتكَ ؟ !
أم العجبُ العاجبُ ، وقد رهنكم حاجبٌ من النبعِ فليقله^٣ ، ليكيفَّ عنكم
من غواثرنا فلقه ، فوفينا برهنه وما غلقنا ، وغدرتم على العهدِ بِنُشُيْمٍ
وساءَ خُلُقًا ، ثمَّ تحيرتُ^٤ منا بهيرةً ، وقد تبغّأها شيروانك مهيرةً ،
فقدح أنفه ببقر السواد ، وهو منك خيرُ مالٍ وأكرمُ سيّواد . وإذا سببت
فأصدقُ ولا فريّة ، فهذه زفراءٌ وسمية ، وعلى ذكر البغاء فأنتم له بُغاء ،
نساؤكم عليه حبائسُ ، وكوانسُ في الكنائسِ ، يترافعن في الشبْرِ والشكرِ^٥ ،
ولا تروُنَ ذلك من النُّكْرِ ، ونساؤنا للطرفِ قواصر ، وعلى بني العمِّ^٥
قواصر ، لم يحتضنَ بغيةً ، ولا حُصنَ قطُّ لـِغِيَّةٍ ، ولا إقراف ، بل عن

١ البيت للمثنبي ، ديوانه : ٤١٤ .

٢ هو جذع بن عمرو الغساني ، وكانت غسان تؤدي كل سنة إلى ملك سليج ديناوين من كل
رجل ، وكان الذي يلي ذلك سبطة بن المنذر السليحي ، فجاء إلى جذع يسأله الدينارين ،
فقتله جذع وقال : خذ من جذع ما أظطاك ، وامتنعت غسان عن أداء الإتاوة (الميداني : ١ : ١٥٦) .

٣ ب م : المنع ؛ والفلق : القوس ؛ وحاجب بن زرارة هو الذي رهن قوسه .

٤ تحيرت : سكنت الخيرة ؛ ب م : تحجرت .

٥ الشبر : النكاح ؛ الشكر : الفرج .

[٢٠٤.ب] اشراف فاشراف ، وعن كل أنوفٍ ، ترغنم بمجده الأنوف ،
وعن سابقٍ فسابقٍ يعبوب :

* كالرمح أنبوباً على أنبوب *

ما تستطيعُ بأن تُحاولَ عزناً حتى تُحاولَ ذا الهضاب يسوما

فخلٌ عن العَدَنِيَّة واليزنِيَّة لا الرَّسَبِيَّة ، فنفاستُهُمُ نَفَسَانِيَّةٌ ، وسياستُهُم
لإنسانيةٌ . أَقْلِيلٌ بَكْمُ وَأَقْلِيلٌ بَغْرِبَكْمُ ، إِذْ فَتَكَّتْ يَهُودُ بَكْمُ ، وَكَشَفْتُمْ
أَسْتَاهَكْمُ - بَزَعَمَكْمُ - ، إِذْ قَدْ صَلَبْتُمْ إِلاهِتَكْمُ ، وَإِذْ لَيْسَتْ لَكُمُ
أَصْرَةٌ ، تَجْمَعَكُمُ غَيْرُ نَاصِرَةٍ ، وَإِذْ قَدْ أَضْرَرْتُمْ بِقُدْسِكُمْ ، فَطَطُّهُرٌ مِنْ
رَجْسِكُمْ وَنَجْسِكُمْ ، وَلِئِنْ أَهْجَرْتُمْ بِهَاجِرٍ ، مَا جَدْنَا بِهَا هَاجِرٍ ، وَأَحْلَلْتُمْ
مِنَ الْخَلِيلِ ، حَرَمَةَ الْخَلِيلِ ، فَمَنْ قَبْلُ مَا قَلَمُ فِي سَارَةٍ ، مَا أَبْقَى أَكْمُ عَارَهُ
وَاسَارَهُ ، وَقَرَفْتُمْ ابْنَ الْخَالَةِ ، فَإِنَّمَا أَزْرَيْتُمْ بِالصَّدِيقِ يَوْسُفَ ابْنَ نَبِيِّ اللَّهِ
الذَّبِيحِ ، بَلْ اخْتَصَمَهَا بِالْوِلَادَةِ ، وَخَصَّهَا بِاسْمَاعِيلَ وَوِلَادَهُ ، وَبَوَّأَهَا حَرَمَهُ ،
وَأَحْظَاهَا بِسُقْيِ بَثْرٍ زَمَزَمَ وَالْمَقَامِ .

وفي فصل منها : فخفٌ لا أمٌّ لك على قبة المال ، فما علونا عن سفال ،
ولا وُسْمِنَا عَنْ أَغْفَالٍ ، بَلْ مِنْ عَالٍ إِلَى عَالٍ ، كَمَا الْمِزْنُ يَحْدُرُ مِنْ عَالٍ ،
أَوْ كَمَا تَوَسَّطَتِ الْأَقْمَارُ هَالَاتِهَا ، وَسَطَعَتِ الشَّمْسُ عَنْ إِيَّاتِهَا ، فَقَدْ أَعْدَرْنَا
وَمَا عَدَرْنَا ، وَلَا نَذَرْنَا وَمَا أَنْظَرْنَا ، فَالْعَصَا لِلْعَبْدِ إِنْ عَصَا ، وَمِثْلُكَ مِنْ نَبِيِّ
سَهْوَانَ لَا يُوَصَّى ؛ وَلَا يُقْبَلُ وَلَا كِرَامَةٌ ، مَا رَأَيْتَ بِهِ فِي سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ
مِنَ الْكِرَامَةِ :

البيت الليل الأخييلية (معجم البلدان : يسوم) وروايته: لن تستطيع بأن تحول عزهم حتى
تحول . . . ؛ ويسوم : جبل في بلاد هذيل وقيل قرب مكة .

من ° قبلها طابَ في الظلالِ وفي مستحصفٍ حيثُ تُخَصِّفُ الورقُ^١
ثم تخطى البلادَ لا بشرًا^٢ كان ولا مضغةً ولا علق
[و] يركبُ الموجَ والسفينَ^٣ وقد أُلجمَ نسرًا وآلهُ الغرق
يُنْقَلُ^٤ من صالبٍ إلى رحمٍ إذا مضى عالمٌ بدا طبق
حتى احتوى بيته المهيمنُ من خندفٍ علياءَ تحتها النطق
فنحن في ذلك الضياءِ وفي الذرِّ ور وسُبلِ الرشادِ نخرق
يا <أيها> المحتمي بلواءِ الغي ، والمشمئلُ برداءِ العيِّ ، لا دوايك ،
فقد نبذنا عن سؤاليك ، ونجوتَ منجىَ الذبابِ لا لكَ ولا عليك :

عذرتك يا أخا الدهنِ العليلِ فأنت أقلُّ عندي من قليلِ
وفتً على التهاجي والتلاحي بعرض الواهنِ النكسِ الدليلِ [٢٠٥أ]
وكيف أسلُّ عضباً ذا غرارٍ على من سُلِّ من غاوي سليل
وأنت كما علمت تدقُّ غياً [كما] عيِّ الدقيقُ عن الجليل
وقد أهديتَ من لؤمٍ هسدياً تحسدي للخليلةِ والخليل
فسوف أبثُّ نبلاً عائراتٍ تهدى للثيم بلا دليل
وكلُّ شريفةٍ حذاءَ تقضي وان راقت بويلك والأليل

١ الأبيات في أمالي الزجاجي : ٦٥ وتأويل مختلف الحديث : ١٠٦ وشروح السقط : ٣٥٣
وابن كثير ٢ : ٢٥٨ ، ٢٥٩ وديوان حسان ١ : ٤٩٨ والبيت الأول في اللسان (خصف)
والرابع في اللسان (حلب) وتنسب للعباس بن عبد المطلب كما تنسب إلى حسان بن ثابت؛
ورواية البيت الأول : طبعت ؛ مستودع .

٢ ب م : لا نطقة ، والتصويب عن المصادر ، وفيها : ثم سكنت ، ثم هبطت .

٣ في المصادر : مطهر يركب السفين ، بل نطقة تركب السفين .

٤ المصادر : تنقل .

وأضربُ رأسَ شكّتك غيرَ شكِّ بمرهفٍ ما وعيت من الصليل
وأنفقُ ما أنلتَ بلا اقتصادٍ بما يشفي ويُروي من غليل
ومن يفللُ بروقيه صفاةً أليس شباه ذا غرَبٍ فليسيل
فكيف يحيكُ في حصداءَ زَغَفٍ مضاربُ بَطْلِيكَ النَّائِي الكليل
وفعلك في تجاوزه ثوابٌ فقد يقضي الخليل من الخليل

هذه سلم الله غيرك، ولا جزاك إلا خيرك، مرداة ضنك، بل مرداة
صك، والسلامُ على من سلم من الهجر لسانه، وسلم من الكفر قلبه
وجنانه.

ومن فصل في ذكر الوزير أبي جعفر بن أحمد^١

> قال الفتح < : حللت حامة بجانة ليلاً وجفونها بالظلام مكنحلة ، فتشوفت
مستوحشاً ، ووقفت منكمشاً ، لا أجد أين أريح ، ولا أرى مع من أستريح ، إلى أن
لقيني من أنزلني في منية نائية عن الديار ، خالية من العمار ، فما حططت حتى وافاني
رسوله ، يتحمل رغبته في الانتقال إليه ، والتزول عليه ، فاعتذرت له ، وشكرت تفضله ،
> بما كان غير بعيد حتى وافاني مسلياً لي ومؤنساً ، وأعاد لي المكان مكنساً ، وبتنا بليلة
لم أجد للدهر غيرها ، ولم أحمد إلا طيرها ، ولما كان الغلس تركني مزعماً ، وانفصل
عني مودعاً ، فلما حل بموضعه كتب إلي < : أستكملُ الله تعالى > لثني الوزارة <
سعادة ، وأستوصله من سموها عادة ، كيف لا أراقب مراقي النجوم ، وأطالب مآقي العيون

١ هذا النص من القلائد : ١٦٥ ويبدو في موضعه دخيلاً على الذخيرة ؛ وقد أورد ابن سميذ
في المغرب ٢ : ٣٠٧ ترجمة الكاتب أبي جعفر أحمد بن أحمد ، وذكر نقلاً عن المسهب
أنه من أعيان كتاب بلنسية ، ثم ترجم (المغرب ٢ : ٤٠٤) للكاتب أبي جعفر أحمد بن
أحمد الداني الذي ستأتي ترجمته هنا ، وهو يعتمد في ما أورده على الذخيرة ؛ فهل هناك
كاتبان هذه الكنية والاسم واسم الأب ، وأحدهما من بلنسية والآخر من دانية ؟ أو
أنهما شخص واحد ؟

بالسجوم ، وقد أندر بالفراق منذر ، وحذر من لحاق البين محذر ، ويا ليت ليلنا غير محجوب ، وشمسنا لا تطلع < بعد وجوب > فلا نرّوع بانصداع ، ولا نفعج بوداع .

وكتب إليّ : ومن لاعدت من أمره إنصافاً ، ومن بره إسعافاً ، ودنا كالسراب ببعده أنس ، وقربه يأس ، وعهدنا كالشباب حظه مبخوس ، وفقده تتوجع منه النفوس ، فنحن نقنع بالسؤال ، ونتمتع بالخيال ، ونلتقي على النأي تمثلاً ، ولا نبتغي في الجهد تأملاً ، وما كذا ألفت الحميم ، ولا على هذا خلفت الرأي الكريم ، ولا أدري [٢٠٥ ب] لعل للأقطار خواص تغيره ، وللأحرار أخلاق تسيره ، وحبذا فعل الصديق كيف تقلب ، ومذهبه حيث ذهب ، وأكرم بقدره ما أنجب ، وبذكره ما أطيب وأعذب ، لا زلت أمتع ببقائه ، ولا أمتع من لقائه .

وكتب إلى الرئيس أبي عبد الرحمن > بن طاهر : لا أشتكي من الليل طولاً ، ولا أذم جنحه موصولاً ، وقد زادت بي حال صباحه ، وكافحني أشد من كفاحه ، ووصلت البارحة على حين هجع السمير ، وامتنع إلى حضرة المجدد المسير ، وفي يومنا للرجاء امتداد ، وللوفاء ميعاد ، ولدي شوق يطير بي إليه مطاراً ، ولا يوجد دونه استقراراً ، فسكنت من لاعجه قليلاً ، وبردت من برحائه غليلاً ، وعمرت في مبادرة الحق ومواصلة البر سبيلاً ، إن شاء الله ، والله تعالى يعيد إلى أفقنا حسن ضيائه ، ويعينني في المنعم على قضائه .

وكتب وقد أهدي ورداً : زارنا الورد بالفاسك ، وسقانا مدامة الأنس من كاسك ، وأعاد لنا معاهد الأنس جديدة ، وزفّ إلينا من بنات البر خريدة ، فاحمرّ حتى خلته شفقاً ، وابيض حتى أبصرته من النور فلقاً ، وأرج حتى كأن المسك من ذكائه ، وتضاعف حتى قلت الورد من حياته ، فليتصور شكري في مرآه ، وليتخيل ذكرني في بهجته ورياه ، إن شاء الله .

فصل في ذكر ثلاثة من رجال الأندلس جمعهم وقت
وزمان ، واشتمل عليهم شان وأوان ، ونسقهم شبه ،
وكلهم وان كان جاهر بالنفار غزاله ، وجذبت البطالة
والاستهتار أذياله ، واستفرص بلسانه ، أعيان أهل زمانه ،
حتى تحاماه الناس ، وانحرف عنه التقليد والقياس ، فله
من الإحسان مكان لا يجهل ، ومن التقدم في هذا الميدان
حكم لا يعدل ، ولأمر ما أطلعتهم في أفق ، ووضعتهم
على نسق ، والمرء لمشبهيه ، دون قرابته وذويه ، وسأثر ما
نظمت ، وأوضح ما أبهمت ، وأذكرهم رجلاً رجلاً ،
وأسرد من قصصهم تفاصيل وجملاً ، وأكتب من أشعارهم
ونوادر أخبارهم ، بما يقفك على إحسانهم ، ويعجبك
من اشتباههم واقترانهم ، فمنهم^١ :

الكاتب أبو جعفر بن أحمد^٢

من [مدينة] دانية [٢٠٦ أ] ؛ قدمته إذ كان أنبتهم^٣ موضعاً ،
وأوسعهم عند ملوك الطوائف بأفقنا مطاراً وموقعاً ، وإله إحسان^٤ كثير ،
منظوم^٥ ومنثور ، بين قلب ذكي ، ولسان غير بكي ، شهدا له بفضل براعة ،
وتقدم في هذه الصناعة ، وتفاوت هو وأخوه تفاوتاً عظيماً فيه الشان^٦ ،

١ هذه المقدمة لم ترد في د ط س ؛ وقد ميز ابن بسام أحد هؤلاء الثلاثة وهو أبو جعفر بن أحمد
الداني ، ولم يميز الاثنين الآخرين فهل نعد الاثنين التاليين وهما عمر بن عطيون التجيبي
 وابن أبي الخصال من ضمن الثلاثة الذين عناهم المؤلف ؟ وهل كان هذان ممن « جذبت
البطالة والاستهتار أذياله ، واستفرص بلسانه أعيان أهل زمانه » ؟ ليس في أخبارهما التي
أثبتها ابن بسام ما يشير إلى ذلك .

٢ ترجمته في المغرب ٢ : ٤٠٤ ، وانظر ما تقدم ص ٧٥٥ .

وأعرب به عن ذاتِ نفسه الزمان : كانا ابني رجلٍ من سُرَطِ ابنِ مجاهدٍ بدائية . مشهورٍ بلؤمِ المكسبِ ، وضعة المركبِ ، صاحبِ عصاً شوهاةً ، ودعوةٍ غيرِ ذاتِ سناءٍ ، و [نشأ] ابناه هذان ولهما همةٌ في الأدبِ ، وحرصٌ على الطلبِ فقُسِمَتُ بينهما العلياءُ . قسمةٌ مثلما يُشَقُّ^١ الرداءُ ، فتقدم أبو جعفر هذا بالإحسانِ في النظمِ والنثرِ ، وذهب عليه أخوه بالمكانِ من النهيِ والأمرِ . فحمل تلكَ الدولةَ على كاهله ، وصرف الملوكَ بين حقِّه وباطله ، ووقع معه أخوه أبو جعفر تحت المثل : « أوسعتُهُمْ سبباً وأودواً بالإبل »^٢ ، فله فيه من ذلك غرائب تجاوز فيها ملح العتاب ، إلى قذع السباب . فمما له فيه ، يشير إلى ضعة أبيه ، قوله^٣ :

وعصا أئينا إنها لأليّةٌ شوهاةٌ إنك شوهاةُ الوزراءِ

وقوله :

جار ذا الدهرُ علينا وكذا الدهرُ يجورُ
كان شرطياً أبونا وأخي اليوم وزير
أنا مأبونٌ صغسيرٌ وهو مأبونٌ كبير

إلى غير ذلك من مقطوعات ، فيها هنات ، صنتُ الكتابَ عنها . وفي ما أجريتُ من ذكره ، وأثبتُ في هذا الفصلِ من نظمه ونثره ، ما يدلُّك على عجيبِ أمره .

١ ط د س : انشق .

٢ انظر المثل في الميداني ٢ : ٢١٤ .

٣ ورد هذا البيت والأبيات الثلاثة التالية في المغرب .

فصول له من رقعة أنشأها على لسان القصر المبارك ، إذا انتقل عنه
المعتمد [بن عباد]^٢ إلى القصر المكرم من قصور اشبيلية ، قال في فصل منها :
نحن أيها المحلُّ السعيدُ ، والقصرُ القديمُ^٣ الحديد ، وإن نبضتُ فينا للنفاسة
عروقٌ ، نعلمُ أنه لبعضنا^٤ على بعضِ حقوقٌ ، فما أحقنا بحق المشايعة
والمتابعة ، لما نظمنا من سناء الدولة اللخمية ، وتشرّفنا^٥ به من ولاءِ المملكةِ
المعتمدية - عقدَ الله لنا أسبابها ، ومدّ علينا أطنابها - وحقاً أقولُ أيها
القصرُ المكرّمُ ، لا جرمَ أنه لك السبقُ والتقدم ، فإنك أس^٦ الخلافةِ ،
وقرارةُ الرياسةِ ، ومركزُ الدّولِ المتداولةِ ، شهدتُ الأشهادُ ، أنه بك
مُهدتِ البلادُ ، وعنك انبثت^٧ الجيادُ ، كأنها الجرادُ ، على حين اشتدت
شوكَةُ المارقين ، وحميتُ جمرةُ المعاندين ، فألظّوا بهم مجلّحين ، وشنّوا
[٢٠٦ ب] عليهم الغارةَ مُمسّين ومُصيّحين ، وأذلّوا كلَّ جبار
عنيد ، وقطعوا دابر كل ختارٍ مرّيد ، حتى خضدوا تلك الشوكَةَ ، واطفأوا
تلك النائرةَ ، فأنجلتُ الغمّاءُ ، وسكنتُ الدهماء ، بتدبير قاضي^٨ العدل ،
وحكم عبّادِ البأسِ^٩ والفضل ، فمرّتْ لك كذلك برهمةٌ ، وتراختُ
بك على تلك الحال مدّةً ، آمناً سيرُبك ، صافياً سيرُبك ، لا يُطارُ

١ س : حين .

٢ زيادة من س وحدها .

٣ ط د : الكريم .

٤ ط د : لليمض .

٥ ط د : وشرفنا .

٦ ط د س : أئر ؛ ب م : أسى .

٧ د : ابلت ؛ ب م : انثنت .

٨ ط د : بتدبير حكم قاضي .

٩ س : عتاد الناس .

غرابك ، ولا يُضار بسوءِ جَنَابِكَ ، فهنيئاً لك النعمى أُولى وهذه أُخرى .
ولما ثاب من سَعْدِي ثابٌ ، وأسعدَ جدِّي قَدْرٌ غالبٌ ، درج عنكَ
إليّ ، وطلع من تِلْقَائِكَ بطالع الإقبالِ عليّ ، المولى المعتمدُ الذي أحيَاكَ
رفاتاً قَدُمٌ ، وأشبَّ منك كبيراً قد هَرَمَ^١ ، كما أحيَا ذِكرِي ، ونوّهَ
من قدرِي ، إذ حَطَّ اسمي عن عَرَضِ الدور ، وأثبتته في ديوان سامياتِ
القصور ، فمن رأى من قبلي الوهادَ ، تُطاولُ الأطوادَ ؟ ! فأصبحتُ
— واللهُ وليُّ الإحْمَادِ — هضبةَ القَصَادِ ، ونُجْعَةَ الرَوَادِ ، وكعبة بني
الأملِ ، وعصمة كلِّ خائفٍ وجِيلِ :

في كلِّ شارقِ الزوَّارُ تكنفني وبعد حولِ يزَارُ الركنُ والحجرُ
لو أن إيوان كسرى كان عاصرني لكان لي دونسه عزٌ ومفتخرُ
بساحتي تُعَقِّدُ الراياتُ يتبعها جيشٌ يسايره أو يقدمُ الظفرُ
بسعدٍ محتسبٍ في الله معتمداً عليه أفعاله في دهره غررُ
وكم له في الورى من فتكةٍ قُدرتُ فينا كما تُقرأ الآياتُ والسورُ

وفي فصل منها : ومعلوم أيها القصرُ ، الذي يَزْدانُ^٢ به العصرُ ، أن
لكلِّ أجلٍ كتابٌ ، وللنفوسِ علائقٌ وأسبابٌ ، وأغراضٌ وآرابٌ ،
فاللييبُ من قدرِ الأشياءِ بمقدارها ، واعتبر الأمور حقَّ اعتبارها ، فعلم
أنَّ لها [عوارض من سأم يلحقها ، وكسل يطرقها ، فتستريح بالانتقال من
حال إلى حال ، ليعود ذلك الانقباضُ] انبساطاً ، ويؤول ذلك الكسل نشاطاً ؛
ولا عجب من غضارة بساتيبي ، ونَضَارَةِ رياحيني ، فإنَّما كان ذلك في

١ ب م : انهرم .

٢ ط س د : المزدان .

مُدَدٍ مَتْرَاحِيَةٍ ، وَأَيَّامٍ وَلَيَالٍ [عَلِيٍّ] ^١ مَتَعَاقِبَةٍ ، وَإِنَّمَا الْعَجَبُ
 الْأَعْجَبُ مَا نُسِمِيَ لِإِيٍّ عِنكَ ، مِمَّا تَكَامَلَ فِيكَ وَاجْتَمَعَ لَكَ ، مِنْ حَدَائِقَ
 بِوِاسِقَ ، فِي أَيْسَرَ مِنْ رَجْعَةِ الطَّرْفِ ، وَأَسْرَعَ مِنْ قَبْضَةِ الْكَفِّ ^٢ ، إِلَى
 أَنْوَارِ أَيْنَعَتِ ^٣ ، وَأَزْهَارِ تَنْوَعَتِ : فَمِنْ وَرْدٍ كَتَوْرِيدِ الْخُدُودِ ، وَنَرَجِسٍ
 كَمُقْتَلِ الْغَيْدِ ، وَسَوْسَنِ كَأَنَّهُ رَاحَةُ ثُنْتِ الْبِنَانِ ، عَلَى قَرَاظَةِ مِنَ الْعَقِيَّانِ ،
 وَأَذْرِيُونَ كَمَدَاهِنِ عَسْجِدِيَّةٍ ، عَلَى قَنْضِبِ زَبْرَجْدِيَّةٍ ، وَخَيْرِيٍّ كَأَنَّمَا
 اسْتَعَارَ شَكْلَةَ الْعَيْونِ ، أَوْ اخْتَارَ بَدْلَةَ الْمُحْزُونِ ، وَبِنَفْسِ حِكْمِي زُرُقَ
 الْيَوَاقِيْتِ ، وَبَقِيَّةِ النَّارِ فِي أَطْرَافِ كَبْرِيَّتِ ^٥ ، وَيَاسْمِينِ يَذْكَرُ بِالْخُدُودِ
 الْبَيْضِ [٢٠٧ أ] وَيَعْطَلُ كُلَّ نَسْرِينَ وَإِغْرِيضِ .

وفي فصل: وإن الحجل منك ليكسوني أثواباً ، والمعرفة بحقك تقتضي ^٦
 اعترافاً لك واستعتاباً ، على ما ضيَّعْتُهُ قَبْلُ مِنْ مَدَاخِلَتِكَ ، وَفَرَّطْتُ قَدِيمًا
 فِيهِ مِنْ مَوَاصِلَتِكَ ، فَإِنِّي كُنْتُ آتِفًا فِي نَحْوِ مَا أَنْتَ فِيهِ الْيَوْمَ زَاهِيًا ، هُنَاكَ
 اللَّهُ الْمُنْحَةَ ^٧ مِنْهُ ، وَسَوْغَكَ النِّعْمَةَ الْجَسِيمَةَ بِهِ ، مِنْ الشُّغْلِ الْمَطَّرِدِ ،
 بِخُدْمَةِ الْمَوْلَى الْمَعْتَمَدِ ؛ وَلَمَّا انْتَقَلَ إِلَيْكَ وَجِبَ أَنْ أَخَاطِبَكَ مَعْتَذِرًا مُسْتَغْفِرًا ،
 وَأُكَاتِبَكَ مَهْنَأً لَكَ مُسْتَكْرَأً مِنْكَ ، وَمَا اتَّفَقَ لِي مِنْ يَنْوَبٍ فِي ذَلِكَ مَنَابِي ^٨ ،

١ لم ترد في س أيضاً .

٢ ب م : وأيسر . . . بالكف .

٣ ب م : أنبمشت .

٤ ط د س : لبسة .

٥ من بيت ينسب لابن المعتز أو لغيره (انظر تخريجهم همامش أسرار البلاغة : ١١٧) :

كانها فوق قامات ضعفن بها أوائل النار في أطراف كبريت

٦ ب م : تقتضي .

٧ ط د : المحبة .

٨ ط د : ينوب عني في ذلك ؛ س : ينوب في ذلك عني .

وما زلت أطلبُ مَنْ يجيدُ ما يكتبُ، حتى قُبِضَ منْشئُ هذه الرقعة، وحلي
لديّ بالبلاغة، فخطابك عني بما تراه^١، وتستوضح مغزاه، وقد استوجب
باتصاله بي واعتلاقيه بسببي حقوقاً عندي، وحظاً وافرأ من اعتنائي وودّي،
وأسألك فضلَ العناية به دوني، وصدقَ الشفاعة له عنّي عند المولى المنعم،
ولا أقلّ من أن يبيلوه ويخبّروه^٢، فإن استحقّ بالإحسان إحساناً، أو سعة
وأوسعي عنه إنعاماً وامتناً، وإن كانت الدولة السعيدة غنية عنه فما
أخلق مكارمه بأن يلحفه ظلّها، ويبوّئه فضلها، فيكون في خباياها،
ويقيم في ذراها، ليعلم من علم بقصده لها، أنه قد حليّ بطائلٍ منها،
وعسى أن يظهر بعد حين رأيي في تشريفه بتصريفه.

الجواب عن ذلك من إنشائه [أيضاً]^٢ : أحسنت أيها القصر المبارك
أحسنت، شدّ ما بيّنت^٣، وسرعة ما لقيت، وأصبحت - والله يتم
سناك، ويُنمي بهاءك - بهذه الطبايع، محبّ المقاطع والمنازع :

ومن يك عبداً للمؤيد لا يزَلْ [حميداً] مساعيه سديداً سهامه
ملك إذا ما همّ أمراً فإنما ذريعتُه خطيئه وحسامه

لقد هيأت لك الهيئة العلوية، مراتب سنية، وأطلعت لك النصبية
الفلكية مطالع من السعود، سمّت بك صعداً من الصعيد، ومنحتك من
عزة السلطان، ما أناف بك على الأقران إلى العنان، فأين منك الجوزاء،
وقليل لك أن أقول الأبلق الفرد وتيماء؟ أنت فلانك نجوم الملوك،
وسماء رجوم الشرك.

١ ط د ب م : على ما تراه .

٢ ط د س : وفي فصل من الجواب على ذلك من إنشائه أيضاً .

٣ ب م : بثت .

وفي فصل منها : والله يا سيّد القصور ، وبهجة الدهور ، [١٠ تقرّر
لك لديّ] ، وقصّ عنك إليّ ، من محاسنٍ أحرزتها صفتك ، وفسترتها
[جمّلتك ، من تحليك] بوجهين على منصبين ، مفضيين إلى مجلس
بين حيرين^١ ، كلاهما محاسنه فائقة ، وبساتينه راقية ، ذوات أفنان
متعاقبة ، تعانق الخلائ ، تلهيك عن قدود العذارى ، وتُنسِيك معطف
[٢٠٧ ب] النواعم السكرى ، قد أقامت من الأوراق ، شكّل الرّواق ،
فيمرّ النسيمُ بها عليلًا ، وتلاحظ^٢ طرفَ الشمس أثناءها كليلاً ، فأنت
منها في ظلّ ممدودٍ ، وطلحٍ نخضودٍ ، وطلعٍ منضودٍ^٣ ، لتساقط ؛
ذلك الثمر ، وإن كان لا يُهتصر ، إلى آسٍ عبقِ الأنفاسِ ، حكي
سلاسل الدوائب من أصداع الكواكب ، وأنوارِ أشتاتٍ ، وأزهارِ ملوناتٍ ،
فمن أبيضٍ ناصع ، وأصفرٍ فاقع ، [وقانيء حمرة ، وباقل خضرته]^٤
ومن أقحوان كثغور الحسان ، وشقائق كالشقيق ، أو مذاب^٥ العقيق ،
كلّ ذلك بهج متبرّج ، بين يدي ذلك المجلس الرفيع البديع ، صدقة الدرّة
اللخمية ، ومقرّ^٦ الدولة المعتمدية ، [تروق النظار ، وتستوقف الأبصار ،
بمصانع شاكته الوشائع ، ومحاسن عطلت البساتين ، لم تعرف تلك أرضُ صنعاء ،
ولا حاكت هذه أيدي السماء ، قد مازجها النضار سائلاً ، وترقرق بها ماء

١ الخبير أو الحائر : المكان المظنن من الأرض يجتمع فيه الماء ، ويطلق على البستان .

٢ س : وتلاحظك (صوابه : ويلاحظك) .

٣ انظر الآية : ٣٠ من سورة الواقعة .

٤ ب م : تساقط ؛ س : يتساقط .

٥ هذه الزيادة من س وحدها ؛ وفي د ط في موضعها : وأحمر قان .

٦ ب م : ثمرات .

٧ س : وهمم .

الحسن مقيماً وجائلاً ، فلتماثيله^١ صور يسحر منها النظر : من ناطق لبق
الحرركات ، وصامت مألوفِ النزعات] :

قد فات حُسْنُكَ كلَّ قصرٍ مثلما فات المؤيدُ كلَّ مَلِكٍ في الوري
ملكٌ إذا وقفَ الملوكُ ببابه عاد المعظمُ منهمُ متصغراً
طلب المعالي بالعوالي واللها فاختارَها والطالِبوها بالعرا
إيقادُهُ نارَ الحروبِ فخارُهُ وفخارُ قومٍ يوقدون العنبرا
في حين تلمحُ السيوفُ بوارقاً والزَّغفُ ليلاً والحيادُ كنهورا
وبودِي أيها القصرُ المألوفُ جَنابُهُ ، المنيفُ نِصابُهُ ، لو أمكننا اللقاءُ ،
حتى يقعَ الشفاءُ ، ويتمكنَ الإخاءُ :

ولو كان يمكنُ سَعْيِ الجمادِ سعى بيَ نحوكَ فرطُ الودادِ
وشخصكُ إلاَّ أطالِعُهُ لحظاً فأني أطالِعُهُ بالفؤادِ
ولله مَلِكٌ ظللنا بسه مليكي قصورِ جميعِ البلادِ
لقد جمعَ اللهُ فيهِ خلالاً جلائلَ ما اجتمعت في العبادِ
[إذا ما انتمى فابن ماء السماء وإما اعتزى فابن حر الجلالِ]
حمى عندها النومَ أجفانه فيكحلهنَّ بميلِ السهادِ

جمل لا يفصلها^٢ إلاَّ العيان ، ومحاسنُ يَصْدُقُ فيها اللسانُ والبرهان ،
ومكارم لا تحتويها^٣ الغمائم ، وأدبٌ كما تفتتحت الكمامتُ ، تُسْمِعُ
الصمَّ ، وتَسْتَنْزِلُ العُصْمَ ، وتُرْهِفُ طباعَ الغبيِّ ، وتُحِثُّ قريحةَ البكيِّ ،

١ س : تقابله .

٢ د ط : يفصلهن .

٣ س ط : تحتذيها .

بأدنى لحظة ، وأيسر نكتة ، في أقرب مدّة ، فناهيك بمن أسعدته قريحة ،
وعضدته لودعيّة صريحة ، إياك أعني أيها النشأة المباركية ، والجملة
المستجادة المرّضية .

وفي فصل [منها] : ولقد أثقلَ ظهري ، وأعيأ [٢٠٨ أ] ناهضَ
حمدي وشكري ، [إذ أخذتَ بطرفي الفضلِ ، وسِمْتِي خُطِّي العجز
في القولِ والفعلِ] ، ما ٢ تبرعت به - ولك أتمُّ الطولِ فيه - من مبادهةِ
المخاطبةِ ، ومفاتحةِ بابِ المكاتبةِ ، بعاطريّ ثناءٍ ، كأرجِ الكباءِ ، [وبارعِ
إحمادِ ، كأزهارِ الربى غبَّ العهادِ] ؛ فلولا ما اتّصلَ بي عنك ، وتقرّرَ
لديّ من لدنك ، من صحّةِ طويّتك ، وسلامةِ دخلتِك ، لقلتُ : هذا
الجفاءُ مجلّوٌّ في صورةِ الثناءِ ، والازدراءُ مخبوٌّ تحتَ لسانِ الإطراءِ ،
وإنك أمعنتَ في كتابك في التصريحِ ، وجريتَ فيه طائِقَ الجَموحِ ، وما
اجتليتُ له فصلاً ، إلاّ استربتُ فيه فضلاً ، ولا مررتُ منه بفقرة ، إلاّ
صرتحتُ لي عن ندرة ، وكلما أعدتَ طرفي فيه ، راعني حُسْنُ ما تُعيده
وتُبديه ، فطفقتُ تارة [به] أعجَبُ ، وأخذتُ طوراً منه أعجَبُ ،
وقلتُ : لله كاتبه ، لقد أوجزَ فأعجز ، واقتضبَ فكأنما ٣ أسهب ، ثم
عدتُ أقولُ : لا عجبَ ، استملى من محاسنِ [القصرِ المباركِ] فكتبَ ،
وهل هو إلاّ البحرُ يقذفُ بالدرِّ ، والروضُ يُيسمُ عن يانعِ الزهرِ .
وفي فصل منها : وقد تعقبتُ على الكاتبِ نكتةً ، إلاّ تكنُ هناةً ،
لم تبعده ٤ أن تكونَ غفلةً ، من أن يرى العجبَ الأعجبَ ، والغريبَ الأغربَ ،

١ ط د س : أثقلت . . . أعييت (س : وأعيى فأنهض) .

٢ ط د س : بما .

٣ ط د : وكأنه .

٤ س : لم تعد .

ما اتفق لي مما تكاملَ فيّ ، ونمي إليك غني ، في قيصرٍ من الزمان^١ ،
 كاهام الحُبَارَى^٢ في العيان ، فما رثت^٣ أن تحليتُ ؛ حالياً زاهياً ، مفوّفاً
 مُزخرفاً . مُقَرَّطاً مُشَنَّفاً ، لا ترى إلاّ روضةً غناء ، وحديقةً خضراء^٥ ،
 وبهجةً زهراء ، محاسن تأخذُ بمجامع القلوب ، وتحير صفاتُها البعيدَ
 < فضلاً > عن القريب . أشجارٌ نُجِمتُ حينها ، وتفتقت أثنائها رياحينها ،
 نُقِيسَتُ عن ربي إلى ربي . فتمجّلتُ في أحسن^٧ زي ، قيد القدود ، وأشباه
 الهَيْبِ الغنيد ، [ربيًا ناضرات ، أترابُ ايدآت ، ليست بالثُّمامِ الضعافِ ،
 ولا الأدواح القفاف^٨] ، فللرياحين أريجٌ ، ولحرير الماء ضجيجٌ ، كلما
 تجلت عن خرطومِ أقودِ أغلب^٩ ، صحرائي النسبة ، آدمي الصنعة ، إنسي
 الحضرة . شبح ممثّل ، وجماد لا يهرول .

[قال ابن بسام] : وفي صفة [هذا] الفيلِ يقولُ عبد الجليل . من
 قصيدٍ طويل ، هو ثابت في موضع أخبارِه من هذا المجموع :

ويُفرغُ فيه مثلَ النَّصلِ بدعٍ من الأفيال لا يشكو ملالا
 رعى رطبَ اللجينِ فجاء صلدًا وقاحًا قلما يخشى هنالا
 كأنَّ به على الحيوانِ عتبا فلم يرفع لرؤيتها قذالا

١ ط د : وفي فصل مر الزمان .

٢ ب : ريت ؛ م : رأيت .

٣ ب م : تحليه .

٤ ب م : غضراء .

٥ ب م : وبسقت .

٦ د ط س : عن أحسن .

٧ القفاف : اليابسة ؛ وهي زيادة من س وحدها .

٨ أقود : سلس ؛ أغلب ؛ ضخم ؛ ط س د : أغلب .

ومنها في وصف ثمار هذا الغصن^١ :

وأوصى بالرياحين اغتراساً همامٌ طالما اغترسَ الرجالا [٢٠٨ب]
وكان الغرسُ والإثمارُ وقفاً لمن جعل الأندى والوعدَ حلالاً
وقامت يوم قمنا منشدات فغضت من رويّتنا ارتجالاً .

ولابن أحمدَ فصلٌ من رقعة : إذا تُدبّرتْ - أعزك الله - معاليك -
حقيقة التدبير ، ومُنِحَتِ فَضْلَ النظر ، تجلّت من الكمالِ في أحسن
الصور ، وراقت العيونَ ، وفانت الظنون ، فانك اتخذت إلى العلا طريقاً
مختصراً ، خفّيتي عن غيرك فلا يَرَى له أثراً ، فكلُّ يرى أساس المجد
سعيه لنفسه ، واستنفاد وسعيه لذاته ، فيكون كما جرى به المثل :
« سَمْنِكُمْ هُرَيْقٌ فِي أَدِيمِكُمْ »^٢ أو كما قيل : « لِنَفْسِهِ بَغْيٌ تُعَالَةُ » ؛
وأنت - أعزك الله - إنما تشيّدُ مجدك ، بأن تبدلَ لغيرك [جهديك] ،
وتنفقَ في ذلك ما عندك ، وهذا طريقٌ لا يهتدي إليه إلاّ عيونُ آرائك ،
وغرضٌ بعيدٌ لا تُصمّيه إلاّ سهامُ إنحائك ، والله يُبقيك للأفاضلِ إماماً .
وللفضائلِ نظاماً ، بعزته .

وله من أخرى مما كتب به عن بعض أمراء الثغور^٣ إلى قوم من النصارى :
أيتها الشرذمة الطاغية ، إنكم لنا لغائظون ، وإنكم لتُفسِدُونَ في الأرضِ
ولا تصلحون ، ناشدتمونا الله في عقدي السلم أن تكفوا عن المسلمين عادية
الأذى والاستطالة ، فحملتموهم ضِعْفاً على إبالة ، وانتسقم النعم ، وهتكتم
الحرم ، وبيّتم سكون الدهماء ، واستبيتم الحرائر في رِبْقِ الإمام ، وتوغلتم

١ ط د س : في صفة هذه الرياحين .

٢ انظر فصل المقال : ٤٣٦ والميداني ١ : ٢٢٧ والمسكري ١ : ٣٣٣ ؛ وجاء المثل في

ط د : سمنهم هريق في أديمهم . ٣ ط س د : الثغر .

البيطات ، وتستم القلاع الممتنعات ، ولم ترفبوا فينا إلاً ولا ذمةً ،
ولا رعيتم لنا سائناً ولا حرمةً ، وليس إلاً حكمُ الله بيننا وبينكم ، وهو
بعزته يُحقيقُ دائرةَ السوءِ بكم ، ويستأصلُ شأفتكم ، [ويصرفُ معرَّتكم] .
وانا لارجو أنها علةٌ قد نضجت ، وكأنُ بالكُرْبَةِ عناً قد تفرجت ؛ فلتستشعروا
حلولَ النقمةِ بكم ، وإناختها عليكم ، وتخطفَ المنايا لكم ، وقطعها
لدابركم ، وان الذي بينكم وبين الهلكةِ لأقصرُ من إبهامِ الجباري^١ ، في
يومٍ تُروْنَ فيه سكارى ، وما أنتم بسكارى ، ولكنْ عذابُ الله الواقعُ ،
وسخطُهُ الذي ما لكم عنه دافع ، ولسنا نحاكمكم إلى غير المهند ، ولا
نماتلكم ذلك وكانُ قد^٢ ، فإن الله لكم بالمرصادِ ، ولن يتولّى كبيركم^٣
إلاً أقلُّ الأعدادِ ، من أنجادِ الأجنادِ^٤ ، فتصبحوا كأن لم تكونوا شيئاً
مذكوراً ، وتصيروا إلى جهنمَ وساءت مصيراً . [والسلام على من اتبعَ
الهدى ، وخشيَ عواقبَ الردى] .

[وهذه أيضاً] جملة من شعره

من ذلك ما أنشدني لنفسه مما خاطب به^٤ الوزيرَ الأجلَّ أبا بكر بن
زيدون :

لا تمنعنكمُ الدنيا وزخرفها بيّري فقد كنتُ منها في زخاريفِ

١ انظر الميداني ٢ : ٥٠ ويقال أيضاً : أقصر من إبهام قطة ومن إبهام الضب .

٢ س : إلى الغد .

٣ ب م ط : الأنجاد .

٤ ب م : قال يخاطب . . . الخ .

أسماء أعلامٍ أنتم ظلت بينكم [٢٠٩] حرفاً وما أبتغيكم غيرَ تصريف

وهذا المعنى ينظر إلى قول اللجام^١ ، مما أنشده الثعالبي^٢ :

أنا من وجوه النحرِ فيكم أفعُلُ^٣ ومن اللغاتِ إذا تُعدُّ^٣ المهملُ

وقال اللجام أيضاً^٤ :

ونُعِتِنَا^٥ بشاعِرٍ نَعْتُهُ^٥ ليس ينصرفُ

وحدثني أبو حاتم الحجاري قال : كتب إليّ ابن أحمد بهذه الأبيات^٦ :

قالوا الحجاري وطني أنه حجرٌ والدُّرُّ ليس بمنحوتٍ من الحجرِ
عني إليك من أشعارٍ لها غُرَرٌ غيري يباحثُ بالتحجيل والغرر
بيتٌ ببيتٍ ومصراعٌ بمشبهه حتى يصدّق خُبيري ذائع الخبرِ

قال أبو حاتم : فأجبتُه^٧ :

قف يا ابنَ أحمدَ لا تجمعْ على غررِ كوقفه العبيرِ بين الوردِ والصدّرِ
ولا تعرّضْ فعندي كلُّ شاردة كالنارِ تلقي إلى الأشرارِ بالشررِ
إن شئتَ سلماً فسلماً أو محاربةً عندي أناةٌ وعندي بطشةٌ القدرِ

١ اليتيمة ٤ : ١٠٢ وفيها « اللحم » وهو علي بن الحسن الخزازي .

٢ اليتيمة ٤ : ١٠٣ .

٣ ب م : تعدى .

٤ اليتيمة ٤ : ١٠٣ .

٥ اليتيمة : وصرّفنا .

٦ ب م : وكتب إلى أبي حاتم الحجاري .

٧ ب م : فأجابه أبو حاتم .

أنا سواد^١ وآياتي مبيّنة فما يخصّك من خبري ومن خبري
قال أبو حاتم : فكتب إليّ ثانيةً بقوله^٢ :

أمرت مني جفاءً غير مؤتمر كالذئب نهنه عدوً والضيغم الهصير
والعيرُ مستوقفُ الأفراسِ سابقاً كوقفه العيرِ بين الوردِ والصدر
إن كنت مستأخراً يوماً فلا عجبٌ فوائدُ الكتبِ قد أثبتن في الطرر
وبين فكري ونفسي كلُّ صائبةٍ كالسهم ينفذ بين القوس والوتر

قال أبو حاتم : فراجعته بهذه الأبيات^٣ :

أنا الحجاريُّ والياقوتُ من حجرٍ والماءُ ينبعُ سلسالاً من الحجرِ
وركنُ مكةَ فيه ما سمعتَ به تراك تجحدُ أو تعمى عن النظر
لا تحسبِ الشعرَ إلاّ دوحَ باسقةٍ أصبحتُ المحاسنُ وانظرُ قلّما خفيتُ
ليّ المحاسنُ وانظرُ قلّما خفيتُ ليّ المحاسنُ وانظرُ قلّما خفيتُ
أخفى عليك ولكن سوف تعرف بي^٤ وقد أتتني وبعدَ البطاءِ ما وردت
وثقفُ كعوبَ فناةٍ أنت تحملها واضربُ بمتنِ كمتنِ الصارمِ الذكر
ماذا تريدُ بنسجِ هلهلتهُ يدُ أخشى عليك هجومَ القرّ في صفر
وقد نصحتكَ والأيامُ واعظةٌ وأنت تجنحُ^٥ أحياناً إلى السفر

قال أبو حاتم : فلم يراجعني بعدُ ، فكتبتُ إليه آخرأ بقولي^٦ :

١ ط د س : سواك .

٢ ب م : فأجابه أبو حاتم .

٣ ب م : فكتب إليّ أبو حاتم .

٤ ط د س : تعرفني .

٥ ب م : فكتبت إليّ أخرى .

٥ ط د س : تلهب .

ما لابن أحمد لم تُبصِرْ بصيرتهُ هيهات تضعفُ أحياناً عن النظرِ
يظنُّ بي قِصراً والطولُ يعجبني إني لأعجبُ من طولٍ ومن قصر
إذا استراب بمثلي في بديته وقال ما يملأُ الأسماعَ من هذر
فخله يخبطُ العشواءَ في رجل يسري فيمرحُ بين الشمس والقمر

ولابن أحمد مما خاطب به أبا بكر الداني المعروف بابن اللبابة^١ :

هبِ السحرَ يُمَيِّ والمعالِي تَدَفَّقُ هل الكلُّ إلا من صفاتك يُشْرِقُ
وهبنا شدونا كالبلابل إنّه جميعُ الملاهي من قريضك ينطق
جمعتَ معاني الحسن في طيِّ مُهْرَقٍ ولم أحسبُ أن يجمعَ الحسنَ مهرق
ولا فضل لي إلاّ النظامُ وإنها إماؤك تجلوها كواكبُ تعشق
وماذا عسى تُهدي إليك وإننا جداولُ في أدنى بحارك تغرق
وما زلت تهدي كلَّ حينٍ جواهرأ فتخزنُ منها ما تشاءُ وتنفق
أرى شعراءَ الوقتِ دونك قصرتُ إلى عفوك الأذنى تحبُّ وتُعنقُ
وجدتك شمسَ الفهمِ أشرقَ نورها فلستُ أراعي كوكباً يتألق

فأجابه^٢ أبو بكر الداني [بقوله] :

سبقتَ إلى العليا وما زلتَ تسبقُ فأرسلتَ ما يندى عليّ ويعيقُ
كتابُ كما يُتلى الكتابُ وراءه حديثُ كما يُروى الحديثُ المصدقُ
أضياءُ الهوى في صَفْحِ ما قد خططته كما ضاءَ في وجهِ الحقيقةِ رونقُ
أعدتَ لي الدنيا فتاةً وربما غلاماً، كالأوجهين في الحسن ريتُ [٢١٠أ]

١ د ط س : وكتب ابن أحمد إلى أبي بكر . . . هذه الأبيات .

٢ ب م : وانها .

٣ ط د س : فراجع .

وَأَنْتَسَمْتَنِي مِنْ وَحْشَةٍ فَكَأَنَّمَا مَدَدْتَ عَلَيَّ الظِّلَّ وَالشَّمْسُ تُحْرَقُ
أَخَذْتَ بِأَطْرَافِ الكَلَامِ فَحَزَنَتَهُ فَحِظْتُ الْوَرَى مِنْهُ الَّذِي تَتَصَدَّقُ

ومن شعر أبي جعفر بن أحمد يستنجز^١ بعض الوزراء :

عِدَاتٌ مِثْلُ مَا ابْتَسَمَ الحِسانُ وَتَسْوِيفٌ كَمَا عَبَسَ الزَّمَانُ
وَقَدْ خَبَّرْتُ نَفْسِي عَنْكَ خَيْرًا وَأَحْرَبُ بِأَنْ يَصْدَقَنِي العِيَانُ
وَهَا مِدْحِي سَوَابِقُ مَلْجَمَاتٍ لِأَرْسَلَهَا وَفِي يَدِكَ العِنَانُ

ومما قاله في الغزل وسمي هذه القطعة بالصفقة :

سُمِّتَ الحَيِيبَ وَصَالًا قَالَ لِي نَعَمُ وَلَا أبيعَكَ إِلَّا يَدَا بِيَدِ
فَقُلْتُ هَاكَ فُوَادِي قَالَ تَبْخُسْنِي حَقِي فَرَدَنِي عَلَيْهِ فَلذَّةَ الكَبِدِ
فَقُلْتُ هَاكِهِمَا فَافْتَرَّ مِنْ عَجَبٍ وَقَالَ لِي إِنْ هَذَا غَايَةُ الجِلْدِ
فَقُلْتُ لَا تَعْجِبْ فَالوَجْدُ يَقْتُلُنِي^٢ فَقَالَ مَا لِقَتِيلِ الحَبِّ مِنْ قَوْدِ

وهو القائل من أبيات الندرجت له في أثناء رسالة^٣ :

وَلَمْ يُرَ مِثْلُ الجُودِ لِلْمَرْءِ حُلَّةً وَهَلْ يَسْتَوِي قَدْرًا جَوَادٌ وَبَاخِلٌ
يَذُمَّمُ بِالْبِخْلِ الشَّرِيفُ انْتِسَابُهُ وَتَحْمَدُ بِالْجُودِ الحِساسُ الأَرَاذِلُ
وَمَا لَكَ فِي الدُّنْيَا سِوَى مَلْبَسٍ يُرَى عَلَيْكَ وَمَا تَعْطِي وَمَا أَنْتَ آكِلُ
يَطِيلُ حَيَاةَ المَرْءِ طَيِّبُ ثَنَائِهِ وَالْأَيَّامُ الحَيَاةِ قَلَائِلُ

وفي فصل منها : فاعجب لهذه المنقبة النبيلة ، والحلّة الوسيمة الجميلة ،

١ ب م : يستحث .

٢ ب م : فقال لي يدك لي قال تقتلني ؛ س : فقال لي نوبة إلى قلت تقتلني .

٣ ب م : في اثبات جوده .

تُكْسِبُ المرءَ خُلْدًا مع الزمنِ ، وان كان الخلدُ غيرَ ممكن ، وبالكرم
استدلَّ على كثير ممن كان في سالف الأسم ، لاسيما إن أَلَّف شعراً ،
أو صنَّف نثراً ، وبه عرف هَرَمُ بن سنانِ المرِّي وحاتم الطائي ، ومَن
سواهما من الأجوادِ والأصفاد .
وله ^١ :

قم فاسقني ^٢ والرياضُ لابسَةٌ وشياً من النور حاكه القَطْرُ
والشمسُ قد عَصَفَرَتْ غلائلها والأرضُ تندى ثيابها الخضر
في مجلسٍ كالسما لآح به من وجه من قد هويته ^٣ بدر [٢١٠ب]
والنهرُ مثل المجرِّ حَفَّ به من الندامى ^٤ كواكبُ زهر

فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي الخطاب

عمر بن أحمد بن عبد الله بن عطيون التنجيبي الطليطلي ^٥

أحدُ بحورِ البراعة ، ورؤوسِ الصناعة ، نفثَ هاروتُ على لسانه
بسحرٍ ، إلاَّ أنه حلو حلال ، وتفجرت البلاغةُ من جَنَانِهِ ببَحْرِ ، إلاَّ أنه

١ هذه القطعة لم ترد في د ط س ؛ وهي في المغرب ٢ : ٣٨ في ترجمة الوزير الكاتب أبي جعفر
ابن أحمد ؛ وقد مر القول بأن ابن سعيد ترجم لاثنتين بهذا الاسم ، فهل يمكن أن نستنتج
من هذه القطعة أنهما شخص واحد ؟ كان ذلك ممكناً لو أن النسخ جميعاً اشتركت في إيرادها .
والأبيات في وصف منية المنصور بن أبي عامر بهلنسية ، حسب قول الجباري .
٢ المغرب : سقني .

٣ ب م : من قد هو المني ، وآثرت ما في المغرب . ٤ المغرب : النواحي .
٥ ترجم له ابن سعيد في المغرب ٢ : ١٦ وفيه « عيطون » بتقديم الياء على العاء ، وانظر
المسالك ١١ : ٤٥٠ .

عذبٌ زلال ، فأتى ثانياً من عَيْنَانِهِ ، وسبق على تأخُّرِ زمانه ، على أنه لم يشرح قطُّ بحبِّ الشعرِ صدرًا ، ولا أبلى في طلبه عذراً ، وإنما قاله متحجباً لا متكسباً ، وألمَّ به متمرناً لا متزیناً ، وقد أثبت من كلامه ما يُزري بالدرِّ في السلك ، ويخلُّ بالكافورِ والمسك .

جملة من شعره في أوصاف شتى

له من قصيدة في المتوكل بن المظفر صاحب بطليوس المعروف بابن الأفتس :

عاكف ^١ جفني على ستهره ^٢	سيفُ جفني سُلِّ من حوره ^٣
نفتتُ بالسحر هبته ^٤	فانثني والصبيرُ من جزره
قدَرُ ما قد أتيج له	لا يفرُّ المرء من قدره
إنَّ ليلَ الصبِّ أولسه	في تمادي الشوق من سحره
روعت أسماءُ أنْ طلعتُ	رائعاتُ الشيب من شعره
لا تراعي يا أُسيمَ لها	إنَّ حُسْنَ الروضِ في زهره
واخضرارُ الليلِ أحسنه ^٥	ما تلوحُ الشهب في نُخدره
ليس شيئاً ما لمحت به	جمرُ قلبي طارَ من شره
إنَّ ترِّي رأسي به قزع ^٦	لستُ بالباكي لمنحسره
قد حلبتُ الدهرَ أشطره	ومريتُ السحبَ من دره
ربِّ وادٍ قد هبطتُ به	فبهرتُ الوحشَ في نفره ^٣

١ ب م : عاط .

٢ د : مقلته .

٣ ط د س : بهره .

بمصر* عَقْدُهُ أَشْرِي ضاعفَ التضميرُ من أشره
سبقتُ منه مسامعُهُ رجعةً بالطرفِ من حذره
بارقُ جالتُ حوافره معَ جَوْلِ الملحِ من بصره^١ [٢١١أ]
لو تعاطى البرقُ غايتهُ لآتى يكبو على أثره
مثله أدنى إلى مسلكِ نامَ طرفُ الملكِ عن سهره
جاعلُ سُمُرِ القنا شجراً يجتني التأيدَ من ثمره
ما قضى من لذةٍ وطراً منذ لاحَ الملكُ من وطره
[وفيها يقول] :

قد بنى مُلْكاً مُظْفَرُهُ باسمه المشتق^٢ من ظفره
ثم سماه له عمراً كي يكونَ الدهرُ من عمره
يا مليكاً كلُّ شاردةٍ سَقَتْهُا في الشعرِ من فقره
ليس لي فضلٌ بمدحتهِ سَلَكُهُ أدرجتُ في درره
إني في ما أجيءُ به جالبُ تمرأ إلى هجره
وله من أخرى أولها :

غدوُّ لنا في حبكمُ ورَواحُ وليس على حُكْمِ الغرامِ^٣ برَاحُ
تنكرتِ لما خالطَ الشيبُ نلتي وأسفرَ في ليلِ الشبابِ صباح

ومنها^٤ :

١ ب م : نظره .

٢ ب م : المبيض .

٣ ط د س : الزمان .

٤ ورد البيتان في المسالك .

إلى كم نوى تتلو نوىً وتغرّب^١ كأني بأيدي الياسرين قيداح^٢
تعاورنا أيدي الفيافي كأننا^٣ هشيم^٤ ذرّته^٥ بالفضاء رياح
وفيهما يقول في مدح المتوكل على الله :

إذا كنتُ قد أمسكتُ من عمر الرضى^٦ بجبلٍ فعلاّتي به ستّراح^٧
هو الصارمُ الهنديّ أمضاه عزمه ولألاءِ متّسّيه^٨ عليّ وشاح^٩
من القوم تسخو بالبلاد نفوسهم وأما على أعراضهم فشاح^{١٠}

وله فيه من قصيدة أنشدها لإياه^٢ في محرم سنة أربع وسبعين^٣، صدّره
من التطوّفِ ببلاد الثغر ، يدعو أهلها إلى الدخولِ في طاعته ، فأجابته^٤
حاشا أهلَ وادي الحجارةِ فإنهم رجّموه بها ، وحاربوه على بابها ، وكان
زعيمها يومئذٍ والقائم بأمرها من أهلها ، حامدُ بن مسرّة^٥ الفقيه ، أولها :

بمثلِكَ من مولى ومثلي من عبدٍ يرى الناس كيف المجد أو صفة المجد^{١١}
رميت قصي الثغر بالخيل شزباً هبطن على غورٍ فأصعدن^٦ في نجد
فما شتته من لاحقٍ بطنه طوى وأقرباهُ نيطتْ إلى كفلٍ نهد
وأقبلتها مجريط شعناً كأنها كواسرُ عقبانٍ تقضين من فند
تدوسُ الإكامَ الجُرْدَ منها فترتمي سجوداً إلى أيدي سوابقك الجرد

١ ط د : تماورني . . . الغلاة كأنما .

٢ ط د س : أنشده إياها .

٣ ب م : وتسعين ؛ وهو خطأ لأن المتوكل قتل سنة ٤٨٧ .

٤ ب م : فأجابه .

٥ بمد هذا البيت في س : ومنها .

٦ ط د س : وأصعدن .

فلما رأته مجرِطاً وجَهَّكَ أَقْبَلْتُ لَغَزَّتْكَ الْقَعَسَاءُ فِي ذَلَّةِ الْعَبْدِ
وَمَدُّوا يَدَ السَّلْمِ الَّذِي أَنْتَ رَبُّهُ إِلَيْكَ وَلَاذُوا بِالْمَوَائِقِ وَالْعَهْدِ
فَأَوْسَعَتْهُمْ مَنًّا بِأَمْنِهِمْ وَقَدْ تَطَلَّعَ سَيْفُ الْإِنْتِقَامِ مِنَ الْغَمْدِ
وَمَا حَامِدٌ مِنْ ذَا الْوَرَى فَعَلَ حَامِدٌ وَقَدْ أَبْرَزَ الْبَهْمُ الضَّعَافَ إِلَى الْأَسَدِ
كَأَنِّي أَرَى وَادِي الْحِجَارَةِ قَدْ جَرَى دَمًا بِهِمْ جُحَى يُعَافَ عَنِ الْوَرْدِ

واعتلَّ المتوكلُ وأرجفَ به ثم اضمحلَّ سقماهُ ، واستهلَّ بالبرءِ
غَمامه ، فجلس بمجلسه للسلام ، ورُفِعَتْ إليه من بطائق النُظَامِ ١ ، نيِّفٌ
على عشرين قصيدة ٢ ، فمن شعر أبي الخطاب فيه يومئذٍ من قصيدة أولها :

نَهَيْتِكُمْ بَلْ نَحْنُ فِيكُمْ نَهْنًا فَبِاسْمِكَ يِرْعَانَا الْإِلَهُ وَيَكْلَأُ
وَأَنْتَ الَّذِي أَحْلَلْتَنَا جَنَّةَ الْمَنَى فَنَحْنُ كَمَا شَنْنَا بِهَا نَتْبِؤُا

وفي خلال مرضه خرجت صِلَاتٌ لأولئك الأدباءِ الشعراءِ فقال فيها ٣ :

وَمَا اعْتَلَّ عَنَّا جُودُهُ بِاعْتِلَالِهِ وَلَكِنْ وَجَدْنَا غَيْبَهُ لَيْسَ يِهْنًا
يَنْغُصُ شَكْوَاهُ لِحُدُوَاهُ عِنْدَنَا كَأَنَّا عَطَّاشٌ فِي الْبَحْرِ فِي الْمَاءِ نِظْمًا

وله من أخرى :

أَمِينٌ كَيَّوَانٌ أَطْلَبُ أَنْ أَقَادَا لَقَدْ أَعْظَمْتُ شَأْوِي ذَا بَعَادَا
وَفِي الْأَرْضِينَ أَعْجَزُ عَنْ مَدَاهِ فَكَيْفَ أَرُومُهَا سِبْعًا شَدَادَا

١ د : الشعراء .

٢ ط د : بطاقة .

٣ ورد البيهتان في المغرب والمسالك .

٤ ب م ط : يَنْغُصُ ؛ د : تَنْغُصُ .

٥ س : شَأْنِي .

ومقصودٍ على الآفاقِ أمسى
ألوفٍ للفياني لا يبالي
سهامٌ في قسيِّ العيسِ ترمي
وريشٌ في جناحِ البينِ يهفو
كأن عليه للأيامِ عهداً
لعل نُدورها حلت بحمصٍ^٣
ونكرعَ في نميرٍ طالما قد
وكم مستعرضٍ أعرضتُ عنه
أرانا خَيْرَه وعداً جهاماً
كلاماً^٥ أحرقتُ منه القوافي
ولو عمروٌ يجاذبه ذهاءُ
يراعُ الدهرُ من عزَماتِ شهيمٍ
وتُضمضي حُكْمَه الأيامُ قسراً
عزوفُ النفسِ يكلفُ بالمعالي

ومنها :

عليّ أليّةٌ ما دمت حياً
فلم نلقِ^٦ الكرامَ سواك إلاّ
أخصّ بمدحتي إلا جوادا
كما^٧ ألفتَ من عيوزِ سدادا

١ ط د : بالندى ؛ س : بالندى .

٢ ب م ط د : يقادا .

٣ ب م : لعل تزورها حلباً وحمصاً .

٤ د : فبلغ ؛ ب م : فتبلغ .

٥ س : فلما .

٦ ب م : يلق .

٧ ط د : وما .

ألوذُ بعطفِ مجدك من خطوطِ تخوّنتِ الطوارفَ والتلادا
 وأنفذتِ التجمّلَ وهو زَغْفٌ يفلّ قتيّرُها الأسَلُ الحدادا
 فأبقاك الذي أعطاك مجداً أبى لك حُكْمُهُ إلاّ انفرادا
 فصيرَ ذكركَ السّمّارُ أنساً وأحقبَ مدحَكَ الركبَانُ زادا

وله من أخرى في أبي عبد الله بن أبي حمامة :

أعَنُ بريقِ تلاًلاً في غمامتهُ بكت عينك أن شمتَ ابتسامتهُ
 أضواءَ لعينك الأثلاثِ وهنا برامةَ لا تعدّى السقي رامه
 ذكرتُ به زماناً قد تفضّى وولّى أنسه رتكَ^١ النعامه
 وأخضرتُ جُبتُ فحمتهُ مُطِلاً على الأخطار^٢ لم أُرهب ظلامه
 بأهدى في سُرَاهُ من قِطَاةٍ وأقدمَ في دجَاهُ من أسامه [٢١٢ب]
 كأن نجومتهُ في الأفقِ ظلتْ حيارى لا تَهْدَى لاستقامه
 كأن الليثَ لما همَّ يعدو على الجبّار شدّ له حزامه
 وسدّد قوسَ هتعتيه^٣ إليه فأثبتَ في لحيّاهُ سهامه
 وقد أكل المحاقُ البدرَ حتى تحيّفَ نورَهُ إلاّ قلامه

وهذا التشبيه كثير ، ومنه قول ابن المعتز^٤ :

* مثل القلامه قد قُدت من الظنْفِرِ *

١ الرتك : الاهتزاز في المشي ومقاربه الخطو .

٢ ب م : الأقطار .

٣ الهنمة : قوس الجوزاء يرمي بها ذراع الأسد .

٤ ديوان ابن المعتز ٣ : ٥٠ ، صدره : ولاح ضوءه هلال كاد يفضحه .

وفيها يقول ١ :

يُجاذِبني العنانَ به سَبوحٌ طموحٌ هَمَّةٌ أبدأُ أمامتهُ
قليلُ الصَّحبِ لا ألقى أنيساً على طولِ السُّرى إلاَّ لِجامه ٢
كأنَّ صاليلَ حَمَلَتِهِ فُريخٌ صدىً قد أعرَضتْ عنه الحمامه

وهذا أيضاً كقول ذي الرمة ٣ :

كأنَّ أصواتَ من إيغاهنَّ بنا أواخرَ الميسِ - أصواتُ الفراريجِ ٤

ومنها :

وقد ولتْ نجومُ الليلِ ذُعرأً لَدُنْ سلَّ الصِّباحُ لها حسامتهُ
فلم تطلعْ وقد غربتْ بنجدٍ لنا إلاَّ وقد جزنا تهامه
ولا نشأُ الهلالُ عليَّ إلاَّ وقد شارفتُ أوديةَ اليمامة
وأعملتُ الركائبَ خاضعاتٍ تمدُّ لسيرها عُنُقاً وهامه ٥
إلى طَوْدِ المفاخِرِ والمعالي وبجروحِ السيادةِ والزعامه
إلى ضخمِ الدَّسيعةِ لا يبالي مَن الطائيُّ أو كعبُ بن مامه
أنافَ به أبو بكرٍ أبوه فسدَّ وساد ما أعيأ حمامه

وله من أخرى ٦ :

١ منها بيتان في المسالك .

٢ ط د : امامه .

٣ ديوانه : ١٠٥ وروايته : إنقاص الفراريج .

٤ الميس : شجر تعمل منه الرماح : وقد فصل في التمهيد بين المصاف والمصاف إليه ، الفريزة الشعر ، ويريد كأن أصوات أواخر الميس - من إيغاهن بنا - أصوات الفراريج .

٥ قبل هذا البيت في س د ط : ومنها .

٦ ط د : ولا أوزان : س : وله من أرجوزة .

لمع من البرقِ سرى : يلتاحُ والنسرُ قد مال به جَنَاحُ
لم يَمِ الليلَ له لِمَاحُ كالشعلةِ استطارها اقتداح
أنحى على الرِّندِ به شَحَاحُ فشاقني نحو الحمى التماح [٢١٣ أ]
وذكرتني عهدَها الأُدواحُ سقى ثراها الوابلُ السحَّاحُ
ولاعبتُ أغصانَها الأرواحُ بسجسجٍ هبوبها لِفَاحُ
فكم لنا في ظلِّها رَواحُ وهو علينا وارفُ نِفَاحُ
وأعجمُ الطيرِ لسه إِفصاحُ للغصنِ من تغريده ارتياحُ
مثل النزيفِ عَطَفَتَهُ الرَواحُ

ومنها :

والصعبُ يأبى وله إسماحُ ودارتِ الكؤوسُ والأقداحُ
نجومُ راحٍ أطلعتْها الرَواحُ عاطينها الخردُ المسلَّاحُ
والغادةُ البهكئةُ الرِواحُ غصتْ بُراها وجرى الوشاحُ
واستهدفتُ في صدرها^٢ التفاحُ قد شُرِّعتْ . كأنها رَمَاحُ
للدِّمِ في أطرافها انتضاحُ تقتلُ باللمسِ ولا جراحُ
وربَّ جدُّ أصله^٣ مزاحُ وفتية^٤ كأنهم رَمَاحُ
بضميرٍ كأنها القيداحُ خُضِرَ من الليل لها أشباحُ
وانشقَّ من جباهها الإصباحُ يعدو^٥ بهنَّ مَعْقِبُ وِقَاحُ

١ ط : البهكئة ؛ ب : البهباهة ؛ س : النهيلة .

٢ ط د : واشتهرت في نهدها ؛ س : واستهددت .

٣ بعد هذا الشطر ، في ط د س : وفيها يقول .

٤ ب م : دجى .

٥ ط د س : يقدو .

صلدٌ على صلدِ الصفا رضاح^١ يتحارُّ فيه الناظرُ الملتاح^٢
 أحافرٌ في الحُضْرِ أم جناح إذا اعتلى اعطافها ازتجاح
 وابتلتِ الحجولُ والأوضاع ليجَّ بها النشاطُ والمراح
 وشره لم يُؤدِه جنساح أتى تنالُ شأوهُ الرياح
 وسبقَ البرقَ به اطلاقُ يا ليت شعري هل غدوا أوراخوا
 فالدهرُ قفرٌ بعدهم براح

وله من مرثيةٍ في الوزير أبي حفص الهوزني^٣ ، وكان استشهد - رحمه
 الله - في قتال الروم على وادي طليبرة^٤ ، قصيدة أولها :

نبأ به وافى البريدُ فظيعُ صدعَ القلوبَ حديثهُ المسموعُ
 وافى فكلُّ تجلِّدٍ متعذرُ أسفاً وكلُّ تصبيرٍ مسموع
 طلعتْ بمطلعه عليٌّ غياهبُ لم يبدُ فيها للسرور طلوع [٢١٣ب]
 فبكيَتْ من جزعٍ عليه بمقلةٍ إنسانها بجفونها ماسوع
 ولو أن لي عددَ النجوم مدامعاً تجري ومن فيض البحور دموع
 لم أقضِ حقك يا محمدُ إنه حزنٌ تعظم قدره وولوع
 ماذا نعى الناعون صمَّ صداهمُ من طودِ عزٍّ خرَّ وهو منبع
 ماذا نعوا من جود كفتٍ أخصبت فرمانها للمعتفين ربيع
 يا سالكاً بين الأسنّة والظبا في موضعٍ فيه السلوكُ فظيع
 يغشى الحمامُ به النفوسَ مراقباً للهندوانيسات وهو مروع

١ ب م س : وضاح .
 ٢ ب م : المتاح .
 ٣ ذكره في المغرب ١ : ٢٥٤ وأورد رثاء فيه لأبي القاسم بن المطار ؛ وانظر القلائد : ٢٨٧
 ٤ وادي طليبرة هو نهر تاجه نفسه ، وعليه تقع المدينة إلى الغرب من طليطة .
 ٥ ب م : الدموع .

لو حلَّ ساحته السماكُ برحمة
ما زال قدرُك سامياً حتى غدا
ما ذقتَ موتاً إذ صُرعْتَ وإنما
يا طالعاً في الجيش من طلبيرة
أم قد أطال بها الثواءَ ولم يحنْ
فغدا نظامُ مؤمليه مبدداً
سخى بنفسي عنك أي لاحقاً
فالموتُ يحترمُ الأنامَ قد استوى
سيانِ مدّرعٍ لديه وحاسيرُ
نغترُّ بالدنيا ويخدعُ بعضنا
فسرورها همٌّ ، وصفوُ نعيمها
ماذا أجنَّ التربُّ في طلبيرة
هابتُك حاشدةُ المنايا فانبرتُ
حتى سلبتَ النفسَ وهي عزيزةٌ
جفتُ ينابيعُ بتاجو^٢ إنما
أنتى غمرتَ البحرَ وهو غطاميطُ

عند الطعانِ لظلَّ وهو صريع
في زُمرةِ الشهداءِ وهو رفيع
نلتَ الحياةَ وصبريَ المصروع
هل آن لابن الهوزنيّ طلوع
منه إلى يومِ النشورِ رجوع
والشملُ شتى وهو أمسِ جميع
[بكمُ] وأنتَ سابقٌ متبوع
منهم جبانٌ عنده وشجيع
طعنُ المنيّةِ لا تقيه دروع
بعضاً بها وجميعنا مخدوع
كدرٌ ، وحبَلُ وصالها مقطوع
من سؤددٍ لكَ ذكره مرفوع
زحُفناً إلى لقياك وهي جموع
لم يبدُ منها للعدوِّ خضوع
سَمٌّ لأرواح الكرامِ نقيع
وطمستَ نورَ البدرِ وهو سَطوع [٢١٤أ]

١ ط د ب م : هاتيك .

٢ س : جفت ينابيع نهر تاجو .

ذو الوزارتين الكاتب أبو عبد الله ابن أبي الخصال أعزه الله^١

حامل لواء النباهة، < الباهر > بالروية والبداهة، مع منظر ووقار، وشيم كصفو العقار، ومقول أمضى من ذي الفقار، وله أدب بحره يزخر، ومذهب يباهي به ويفخر، وهو وإن كان خامل المنشأ نازله، لم ينزله < المجد > منازل، ولا فرع للعلاء هضاباً، ولا ارتشف للسناء رضاباً، فقد تميز بنفسه، وتحيّز^٢ من جنسه، والذي ألحقه بالمجد، وأوقفه بالمكان النجد، ذكاء طبيع عليه طبعه، ونجم في تربة النباهة غريبه^٣ وتبعه^٤، وتعلق بأبي يحيى بن محمد بن الحاج، وهو خامل الذكر، عاطل الفكر، فملك قياد مأموله، وهب من مرقد خموله، وقدم استعماله زناد^٥ ذكائه، وأبدى شعاع ذكائه، ولم يزل عائرأ معه ومستقلاً، ومثرياً حيناً وحيناً مقللاً، إلى أن تررطوا [في] تلك الفتنة التي ألقوا حائلها، وما لمحوها محائلها، وطمعوا أن يفتالوا ملكاً معصوماً، وأبرموا من كيدهم ما غدا بيد القدر مفصوماً، وفي أثناء بغيهم، وخلال جريهم^٦ الويل وسعيهم، كانت ترد عليهم من قبله كتب تحمل ما ربطوه، وتروعه مما تأبطوه: ورد عليهم كتاب في أحد الأحيان راعهم، وأنساهم جلادهم وقراعهم، وهو^٧ بمجلس أنس، فاستدعي للمراجعة عن فصوله، والمعارضة لفروعه وأصوله، فأبان عن الغرض، وخلص جوهره من كل عرض، وأبدع في إحكامه، وبرع في قضاياه وأحكامه، فحمل أبا يحيى بن محمد استحسان^٨

١ هذه الترجمة من القلائد: ١٧٥ ومن الغريب أن لا يتنبه من أدخلها في هذا الموضوع إلى أن

ترجمة ابن أبي الخصال ستجيء تحت عنوان آخر بعد قليل، ولم ترد هذه الترجمة في د ط س .

٢ ب م : وتخيير .

٣ ب م : نار .

٤ م : اسجوا .

٥ القلائد : حريهم .

٦ القلائد : وهم .

ما كتبه ، أن خططه للحين ولقبه ، والمدام لرأيه الفائل^١ مالكة ، ولعقله في طُرُق الخيال^٢ سالكة ، فلم يعمل فيها فكراً ، ولم يتأمل أعرفاً أتى أو نكراً ، فمجرت^٣ عليه لقباً ، وأعلته من الاشتهار مرقباً ، وصار مرتسماً في العلية ، متمسماً بتلك الخلية ، وما تزال الدول تستدنيه نائياً ، وتنشيه دانياً ، فلا أجعله^٤ مجنياً عليه ولا جانياً ، فما بيده رَفَعُ شومه ، ولا محو رسومه . وقد أثبت له ما تجتليه فتستحليه ، وتلمحه فتستملحه ، فمن ذلك قوله في مغنّ زار ، بعدهما شحط المزار^٥ [٢١٤ ب] :

وافى وقد عظمت عليّ ذنوبه في غيبة قبحت بها آثاره^٦
فمحا إساءته بها إحسانه واستغفرت لذنوبه أوتاره
وله^٧ :

يا حبذا ليلة لنا سلفت اغرت بنفسي الهوى وقد عرفت
زارت بظلمائها المدام فكم نرجسةٍ من بنفسجٍ قطفت
وله يعتذر من استبطاء المكاتب^٨ :

ألم تعلموا والقلب رهن لديكم يُخبركم غني بمضمرة بعدي
ولو قبلتني^٩ الحادثات مكانكم لأنهبها فكري وأوطأتها خدي
ألم تعلموا أني وأهلي وواحدي فداء ولا أرضى بتفادية وحدي

١ ب م : العالي ؛ القلائد : البائل .

٢ ب م : ولفعله . . . الخيال .

٣ ب م : فمرت . ؛ القلائد : ولا تجعله .

٥ القلائد : بعدما أغب وشط منه المزار .

٦ سيرد البيتان في نص الذخيرة الأصلي : ٧٩٦ .

٧ لم يرد هذان البيتان في القلائد ، ولملهما سقطا من النسخة المطبوعة ، وسيردان في نص ابن

بسام : ٧٩٣ .

٨ سترد ص : ٧٩٧ . ٩ القلائد : قبلتني .

كتب الكاتب أبو نصر^١ إلى أبي يحيى بن محمد بن الحاج، سقى الله مصرعه، وأورده
منهل العفو ومشرعه :

أكعبة علياء وهضبة سؤدد وروضة مجد بالمفاخر تقطرُ
هنيئاً للملك زانَ نورك أفقتهُ وفي صفحته من مضائك أسطر
وإني لخفّاقُ الجناحين كلما سرى لك ذكرٌ أو نسيم معطر
وقد كان واشٍ هاجنا لتهاجر فبتُ وأحشائي جوى تنفطر
فهل لك في ودٍ ذوى لك ظاهراً وباطنه يندى صفاءً ويقطر
ولستُ بعلقٍ بيعٍ بخساً وانبي لأرفعُ أعلقِ الزمان وأخطر

فراجعه :

ثبتَ أبا نصر عنائي وربما ننتُ عزيمةَ الشهم المصمم أسطرُ
ونالت هوى ما لم تكن لتناله سيوفٌ وواضٍ أوقناً متأطر
وما أنا إلاّ ذو عرّفتَ وإنما بطّيرتَ ودادي والمودة تبطر
نظرتَ بعين لو نظرتَ غيرها أصبتَ وجفنُ الرأي وسنان > أشتر <
وقدماً بذلتَ الود والحبّ فطرة وما الحبّ إلاّ ما يخص ويفطر

في ذكر الكاتب

أبي عبد الله محمد بن أبي الخصال^٢ [٢١٥ / أ]

أحدُ أعيانِ كتّابِ الزمان ، وحاملُ جملةِ الإحسان ، بَحْرُ معرفةٍ
لا تتعبُرُهُ السّسنُ ، ولو جرّتْ بشهوتها الرياح ، وطودُ علمٍ لا ترقى

١ أبو نصر : الفتح بن خاقان ، وهذا يدل على أن الذي دس هذا الفصل هنا يلخص عن القلائد .
٢ محمد بن مسعود بن طيب بن خلصة (٤٦٥ - ٥٤٠) من فرغليط من عمل شقورة ، درس
على شيوخ عصره ، حتى أصبح متقناً في العلوم مستبحراً في الآداب واللغات عالماً بالأخبار =

إليه الفِظنُ ، ولو سما بها الإساءةُ والإصباح ، وأدبٌ لا تعبّر عنه الألسن ،
ولو أمدتها الأوتارُ الفصاح ، إلى طولٍ باع ، ورقة طباع .
نجم بأفقيه من بلدٍ شقورةٍ فأسكتَ القائلين ، واستوفى غايةَ المحسنين ،
وهو اليومَ بحيثُ لا تشيرُ الأصابعُ إلاً إليه ، ولا تنطوي الأضالعُ إلاً عليه ،
وله بيان لا يتعاطاه ناظمٌ ولا نائرٌ ، وإحسانٌ لا يبلغ مداه أولٌ ولا آخر ؛
وقد أثبتت من كلامه مما نقلت من خطه الذي خاطبني به ، ما يدلُّ على
نبيله وأدبه .

فصول من نثره

كنت قد انفردتُ لتحرير هذه النسخة من هذا المجموع في شهر
سنة ثلاثٍ وخمسمائة ، فلما انتهيتُ إلى نقلِ ما كان وقع إليّ من ترسيل

== شاعراً مترسلاً، قعد به قيام صاحبه ابن الحاج أمير قرطبة بالثورة على ابن تاشفين، ولما استقل
ابن الحاج وولي بعض أعمال المغرب اتصل به ابن أبي الحصل ثم انتقل معه إلى سرقسطة ،
ثم استشهد ابن الحاج فلزم ابن أبي الحصل داره خائفاً ، وامتد خموله أيام ابن تاشفين ،
فلما كانت فتنة ابن حمدين ودخلت المصامدة قرطبة عنوة ، كان ابن أبي الحصل واقفاً
على باب داره ينهى جند المصامدة عن العيث والنهب ، لما له من دالة عليهم ، فتصدى له
أحدهم واسمه تيفوت وقتله . وقد كان له إلى جانب رسائله وأشعاره مؤلفات منها « ظل
الغمامة وطوق الحمامة » و « سراج الأدب » وقصيدة في نسب الرسول تسمى « معراج المناقب »
ويقع نظمه ونثره في خمس مجلدات (انظر ترجمته في المعجب : ٢٣٧ والقائد : ١٧٥
والصلة : ٥٥٧ وبنية الملتمس رقم : ٢٨٢ والمغرب ٢ : ٦٦ والمطرب : ١٨٧ ومعجم
السدني : ١٤٤ وفهرست ابن خيبر : ٣٨٦ ، ٤٢٠ - ٤٢٢ ، ورايات المهريين : ٧٤
والنفع ٣ : ٢٦٨ ، ٤٦٦ ، ٥١٩ ، ٦٠٢ ، والجريدة ٢ : ٤٤٩ (ط . تونس) وبنية
الوعاء : ١٠٤ ومسالك الأبصار ١١ : ٢٤٣) .

١ ب م : طويل .

كتاب هذا الجانب الشرقي من الأندلس ، لم أقع لهذا الرجل على كلام في نثارٍ ولا نظام ، فكاتبه^١ بعض الإخوان في ذلك ، ونشطني أيضاً على مخاطبته هنالك ، فوردت عليه الرقعتان وهو مجتازٌ على حضرة اشبيلية في جملة أهل العسكر ، فراجعته في كتابٍ طويل ، قال فيه في بعض الفصول^٢ :

الحذرُ - أعزك الله - يؤتى من الثقة ، والحبيب يؤذى من المقة ، وقد كنت أَرْضِي من ودك ، وهو الصبح^٣ ، بلمحة ، وأقنع من ثنائك ، وهو المسك ، بنفحة ، فما زلت تعرضني للامتحان ، وتطالبني بالبيان ، وتأخذني بالبرهان ، وأنا بنفسي أعلم ، ولمقداري^٤ أحوطٌ وأحزم ، والمعيدي يُسمع به ولا يُرى ، وإن وردت أخباره تُتَرَى ، فشخصه مُقْتَسَمٌ مُزْدَرَى ، لاسيما ممن لا يُجَلِّي عن نفسه ناطقاً ، ولا يبرزُ سابقاً ، فتركه والظنونَ ترجمه ، والقالَ والقبيلَ يقسمه ، والأوهامَ تحلّه وتحرمه ، وتحببه وتحترمه^٥ ، أولى به من كَشَفِ القِناع ، والتخلفِ عن منزلة الامتاع^٦ ؛ وفي الوقت من فرسان هذا الشأن ، وأذمارِ هذا المضمار ،

١ ب م : فكاتبني .

٢ هذا ابن بسام يقرر أن صديقاً له كتب إلى ابن أبي الخصال ، ليقنعه بارسال نماذج من إنشائه لتدرج في الذخيرة فرد ابن أبي الخصال بالرسالة التالية ، ثم نجد الفتح بن خاقان (القلائد : ١٧٦) يذكر أنه هو الذي استدعى من ابن أبي الخصال بعض كلامه فأجابه بهذه الرسالة ؛ ونحن إزاء فرضين : أن يكون الوسيط الذي حفزه ابن بسام هو ابن خاقان نفسه ، أو يكون ابن أبي الخصال كرر هذه الرسالة مرة لأحد إخوان ابن بسام ومرة لابن خاقان لأنها تليق بالمناسبتين المشابهتين .

٣ القلائد : الصحيح .

٤ د ط س والقلائد : وعلى مقداري .

٥ القلائد : وتحفبه وتحترمه ؛ س : وتحليه وتحترمه .

٦ القلائد : الامتاع .

وقطا هذه المناهل ، وهداة تلك المجاهل ، [من] تحسدُ فقِرَه الكواكبُ ،
ويترجلُ إليه منها الراكبُ ١ ، فأما الأزاهيرُ فمِلَاقَةٌ في رُبَها ، ولو
حلتْ عن المسك حُبَها ، أو صيغتْ من الشمس ٢ حلاها ، فهي تنظر من
الوجد ٣ بكل عينٍ شكْرَى ٤ لا تَكْرَى ، وإذا كانتْ أنفاسُ هؤلاء الأفرادِ
مبثوثةً ، وبدائعهم [٢١٥ ب] منثوثةً ، وخواطرهم على محاسن الكلام
مبعوثةً ، فما غادرتْ متردِّمًا ، واستبقتْ ٥ لتأخِرٍ متقدِّمًا ، فعندها يقف
الاختيار ، وبها يقنع ٦ المختار . وأنا أنزّه ديوانهُ النزيهَ ، وتوجيههُ الوجيهَ ،
عن سَقَطٍ من المتاع ، قليلِ الإمتاع ، ثقيلِ رُوحِ السردِ ، مهلكِ صرِّ
البرد . وهبتهُ قد استسهلَ استلحاقه ، وطامنَ له أخلاقهُ ، أتراني أعطي
الكاشحين في إثباته يداً ، وأترك عقلي لهم ٧ سدّى ٨ ؟ ما إخالك ترضاها
لي من ٨ الودّ خطّةً خَسَفَ ، ومهواةً حَتَفَ ، لا يَسْتَقِيلُ عاثرها ،
ولا يستجدُّ دائرها ، ولا يستقيلُ غبينها ، ولا يُبلُّ طعينها ؛ وقد كنتُ
حرضتُ حين عُرِضَ عليَّ صدْرُ هذا التأليفِ الأليفِ - حيث عُرِضَ - على
التماحه ٩ ، واجتلاء غرره وأوضاحه ، وما غرّني إلاّ وعدك ، ولا استجرتني ١٠

١ ب س : وترجل إليه منها المراكب ؛ ط د : ويترجل إليها .

٢ ط د : السلك .

٣ ط د والقلائد : فهي من الوجد تنظر .

٤ ط د : سكرى .

٥ ط د س : ولا استبقت .

٦ ط د س والقلائد : يقع .

٧ ب م س : له .

٨ ط د س والقلائد : مع .

٩ ط د : اعتراضه ؛ س : حين عرض عليّ التماحه .

١٠ ط س د : استجرتني .

إلّا عَهْدُكَ ، وغرضي في تصفحه أن أجدَ قدوة ، وأصادفَ أسوة ،
فأنزلَ عن حذري ، وأرجّحَ بين مغربي ومحضري ، وأقعَ على أَلاتي ،
وأجورَ في التخلّفِ أحلاني ، فلم يتممَ لي وعدك إنجازاً ، ولا وجدتُ
لفرصتك انتهازاً ، بل انقلبتِ الحقيقةُ مجازاً ، والموادي أعجازاً ، ولم نحلّ
بطائل ، وصرنا تحت قول القائل :

تركَ الزيارةَ وهي ممكنةٌ وأتاك من مصرٍ على جملٍ

وفي فصل: وأنت المفتتح^١ للصلاة، المولي للمنةِ المشتعلة، وان رسولك^٢
لوافي بكتابك الخطير ، والشمسُ واجبةٌ سقوطاً مُنازع ، وحياة الذي
يقضي حُشاشةَ نازع ، والبيتُ قد غصَّ بما فيه ، وضاق لفظُهُ عن معانيه ،
والشغلُ مُسَاهِمٌ بل مُشاطرٌ، [والخاطرُ لا طالع ولا خاطر] ، يَصُورُ
فكري إليه ، ويخلعُ فقري عليه، إلّا صُباةٌ لا تردُّ صباةً، ورسيماً لا يشفي
نسيماً ، فدوبكه واهنَ الدعائم ، واهيَ العزائم ، يتبرأ تابعُهُ من متّبعه ،
ويفرُّ سامِعُهُ من مستمعه، ولولا أن الجوابَ فرضٌ لا عذرتُ واقتصرْتُ،
لكن أوثرُ حقكَ وإن أبقى عليّ دركاً ، وبوأيّ دركاً ، وقد راجعته
[أيضاً] - أعزّه الله - بشريطة^٣ كتمانهِ وسَترهِ ، انقياداً لأمرهِ ، وتضدياً
إلى عقوقهِ ببهه^٤ .

وأجابني أيضاً برقعة قال فيها : وصل من السيد المسترقّ ، والمالك

١ ب م : المبيح (اقرأ : المتيح) ؛ ط د س : المفتح .

٢ ب م : كتابك ؛ س : كتابك وافى بكتابه .

٣ ط د والقلائد : على شريطة .

٤ القلائد : لأمرك . . . عقوقك ببهك .

المستحقّ - وصل الله أنعمتهُ لديه ، كما قصّر الفضلَ عليه - كتابهُ
 البليغُ ، واستدراجهُ المريعُ ، فلولا أن يصائدَ زئدُ اقتداحه ، ويرتدّ
 طَرْفُ افتتاحه ، وتنقبضَ [٢١٦ أ] يدُ انبساطه ، وتغبنَ صفةُ
 اغتباطه ، للزمتُ معه مركزَ قدري ، وضمنَ بسرّه صدري ، لكنه بينفشةً
 سيحره يسُمِّعُ الصمَّ ، ويسننزلُ العُصمَ ، ويقنادُ الصَّعبَ فيُصحبُ ،
 ويستدرُ الصَّجورَ فتحلبُ ، ولما فجأني ابتداؤه ، وقَرعَ سمعي نداؤه^١ ،
 فزعتُ إلى الفكرِ ، وخفق القلبُ بين الأُمنِ والحذرِ ، فطاردتُ^٢ من الفِقْرِ
 أوابد قَفْرِ ، وشواردَ عَفْرِ ، تغبّرُ في [وجوه] سوابقها ، ولا يتوجّهُ
 اللحاقُ لوجهها ولاحقها ، فعلمتُ أنها الإهابة والمهابةُ ، والاصابةُ
 والاسترابةُ ، حتى أياستني الخواطرُ ، وأخلفني المواطرُ ، إلاّ زبرجاً يعقب
 جواداً ، وبهرجاً لا يحتمل انتقاداً ، وأنى لثلي والقريحة مُرجاةُ ، والبضاعةُ
 مزجاةُ ، براءة الخطابُ ، وبزاعة^٣ الكتابُ ، ولولا دروسُ معالم البيان ،
 واستيلاء العفاءِ على هذا الشان ، لما فاز لثلي فيه قيدُحُ ، ولا تحصلَ [لي]
 في سُوقيه ربحُ ، ولكنه جوٌّ خال ، ومضمارٌ جهال .

وفي فصل منها : وأنا أربأ - أعزك الله - بقدر « الذخيرة » ، عن
 هذه التتفِ الأخيرة ، و [أرى] أنها قد بلغت مداها ، واستوفت حلاها ،
 وإنما أخشى القَدْحَ في اختيارك ، والاخلالَ بمختارك ، وعلى ذلك فوالله
 ما منْ عادتي أن أثبتَ ما أكتبُ في رسمٍ يُنقلُ ، ولا في وُضْعِ المراتبِ
 عندنا مخاطبٍ نتحفزُ له ونحتفلُ^٤ ، وإنما هو عفوُ فكرٍ ، ونشرُ ذكرٍ ؛

١ ب م : ابتداه . . . بداره .

٢ ب م : فطارت . ٣ س : ونزاعة ؛ ط د : وبراعة .

٤ ط د : مخاطبة له يخفز له ويحتفل ؛ س : مخاطب ينحفز له ويحتفل .

٥ ب م ط د : وبسر .

وقد وجّهتُ من المنظوم طيّها ما حَضَرَ . وعذري إليك - أعزك الله -
 في أي خطلتُ والنومُ مغازل ، والقرمّ منازل ، والريحُ تلعبُ بالسراج ،
 وبصولُ عليه صَوْلَةٌ الحجاج ، فطوراً تسدّه سناناً ، وثارةٌ تحركه
 لساناً ، وآونةٌ تطويه حَبَابَةٌ ، وأخرى تنشره ذُؤَابَةٌ ، وتقيمه إبرة لَب ،
 وتَعْطِفُهُ بُرَّةٌ ذهب ، أو حُمَّةٌ عقرب ، وتقوّسه حاجبٌ فتاة ذاتِ
 غمزات ، وتمسَلْطُ على سليطه ، وتزِيلُهُ عن خايطه ، وتخلّفه نجماً ،
 وتردُّهُ رَجْماً ، وتستلُّ روحه من ذباله ، وتعيده إلى حاله ، وربما نصبتُهُ
 أذنَ جواد ، ومسخته حدّقَ جراد ، ومشقته حروفُ برقي ، بكفٍ
 ودقٍ ، ولثمتُ بسناه قنديله ، وألقتُ على أعطافه منديله ، فلا حظاً
 منه للعين ، ولا هدايةً في الطرسِ لليدين ، والليلُ زنجي الأديم . تيهريُّ
 النجوم ، قد جلتنا ساجه ، وأغرقتنا أمواجه ، فلا مجالٌ للحظة ، ولا
 تعارفٌ إلاً بلفظة ، ولو نظرتُ فيه الزرقاءُ لاكتحلت ، أو خُضِبَتْ^٢ به
 الشبيبةُ لما نصّلت ، والكلبُ قد صافح خيشومه ذنبه [٢١٦ ب] وأنكر
 البيتَ وطنه^٣ ، والتوى التواءَ الحُبَابِ ، واستدارَ استدارةَ الحَبَابِ ،
 وجَلَدَهُ الجليد ، وضربَهُ الضرب ، وصعدَ أنفاسه الصعيد ، فجماهُ
 مباح ، ولا هريز ولا نباح ، والنارُ كالصديق أو كالرحيق ، كلاهما عنقاءُ
 مُغْرَب ، أو نجمٌ مُغْرَب .

استوفي^٤ يا معتمدي هذا الفصل ، ولك في الاغضاءِ الفضل .

١ ط د : أعطافها . ٢ ط د : اختضبت .

٣ من قول مرة بن محكان (الحماسية رقم : ٦٧٥) :

في ليلة من جمادى ذات أنديّة لا يبصر الكلب من ظلماتها العليبا

لا يبيح الكلب فيها غير واحدة حتى يلف على خرطومه الذنبا

٤ ط د : استوف ؛ ب م س : استولى (اقرأ : استوى) .

وهذه أيضاً المقطوعات الي وجه بها إلي من شعره

قال يصفُ ليلةَ أنسٍ مع أحدِ ظباءِ بني مروان^١ :

وليلةٌ عنبريةٌ الأفقِ رَوَيْتُ فيها السرورَ من طرقِ^٢
وكنتِ حرَّانَ فاقتمدحتُ بها ناراً من الراحِ برَدَّتْ حُرَّيَ
حلتِ^٣ بنا عاطلاً وقد لبستُ غلالةً فُصِّلَتْ من الحدقِ
فجاءها الدهرُ من بنيه هوى^٤ بغيَّةٍ كالصباحِ في نسقِ
قامتُ لنا في المقامِ أوجههم وراحهم^٥ بالنجوم والشفقِ
وأطلعَ البدرُ من ذرى غصنٍ تهفو عليه القلوب كالورقِ
من عهدِ شمسٍ بدا سناءُ وهل ذا البدرُ إلاً لذلك الأفقِ
مدَّ بحمراءَ من مُدامتِه يبيضاءَ كفاً مسكيةً العبقِ
فخلتُها وردةً منعمةً تُحمَلُ من سوسنٍ على طبقِ
يَشْرَبُ بالراحِ حينَ أشربها ما غادرت^٥ مقلتاه من رmq

وقال أيضاً فيها^٦ :

يا حَبْدًا ليلةٌ لنا سَلَفَتْ أَغْرَتْ بِنَفْسِي الهوى وقد^٧ عرفتُ

١ ط د : أفق .

١ انظر المغرب ٢ : ٦٧ .

٢ ط د س والمغرب : وافت .

٣ المغرب : فاجا . . . دجا .

٤ س : غازلت .

٥ منها بيتان في بغيَّة الوعاة ، وراجع ص ٧٨٥ فيما تقدم .

٦ البغيَّة : وما .

دارت بظلمائها المدامُ فكم
ثم انطوى [ثوبها] ومن أسفٍ
نرجسة من بنفسج قُطفت
أن صرفت لوعي وما انصرفت

وقال في ضدها :

بعُدت ليلةٌ تولت ذميمة
ليلةٌ لو تقدمت لاستحقت
لم تفق^١ فيضَ ديمةٍ بغد ديمه
شهرةَ الذكر قبلَ يومِ حلیمه
غسلت لمتي بصبحٍ مشيبٍ
ورائي من الخضابِ قصيرٍ
ومحت ليلةً عليّ كريمة [٢١٧]
وهي زبَاءُ والشبابُ جديمه

وأرى أبا بكر بن بقي ألمَّ بهذا الغرض في قطعة له كتب بها إلى أحد إخوانه :

نحن كنا في التصافي
فأتى بالصرمِ يومٌ
وتعطينا التفاضلي
تقدحُ الأيام حتى
مثلَ ندْمانيّ جديمه
دونه يومٌ حلیمه
أينا أقوى شكيمه
في الموداتِ القديمه

وقال يعتذرُ من انفصال صديقٍ دونَ وداع :

يا روضةً بعُدت^٢ بها أيدي النوى
فتركناها والحسنُ ملءُ نواظري
أرددُ إذا هبَّ النسيمُ فإنه
بتحيتي ومودتي يعتسادهما
ضنَّ الزمانُ بنظرةٍ أزدادها
ثم انثنتُ بخاطري أرتادها

وقال يصف^٣ نار فحم :

١ د : تبق ؛ س : يفتق .

٢ طد : قذفت ؛ س : قد بعدت ؛ ب م : نفتت .

٣ طد س : في وصف .

أما ترى النارَ وهي راقصةٌ تنفضُ أردانها من الطربِ
تضحكُ من أبносها عجباً إذ حوّلتُ عينهُ إلى الذهبِ
وقال يصف كأساً^١ صنوبرية الشكل من عنبر^٢ ، منجمة بذهب ، وفيها
المدام :

وكأسٍ من الليل مخلوقةٌ تبدتُ من التبر فيها نجومٌ
تضمّنُ باطنها قهوةً إذا مردّ لهم فُضّت رجومٌ
وقال في كأسٍ غدر^٣ :

وكأسٍ من الغدرِ مخلوقةٌ ولكنها للأمير الوفي
إذا [ما] تضمّنّها كاشحٌ تبيّنَ من سرّه ما خفي
قفنا في المسدام على ودّه ولا تنشداني قفنا أو قفي
وقال في رواقصٍ قباح [الوجوه] :

جاء عليٌّ بملهياتٍ اللهم والقبح جامعاتٍ
لم يلتفتُ ناظري إليها إلاّ تذكرتُ سيثاتي [٢١٧ ب]
وقال فيهن وبينهن واحدة أشبه^٤ [منهن] :

وليلةٍ طولها عليّ سنّه^٥ بات بها الجفنُ نادباً وسنّه^٥
بأربعٍ بينهن واحدة كسيثاتٍ وبينها حسنه

١ ط د س : : في وصف كأس .

٢ ط د : غير .

٣ ط د : وقال في كأس من العدر (د : العزر) .

٤ د : أنسة ؛ س : أشبة ؛ ولم ترد كلمة « منهن » في س .

وقال في مُسْمَعٍ محسنٍ أغبَّ ثم زار^١ :

وافى وقد عظمتُ عليَّ ذنوبه في غيبةٍ قبحت بها آثاره^٢
فمحا إساءته بنا^٣ إحسانه واستغفرتُ لذنوبه أوتاره

وقال في مطيبٍ ورد مفصلٍ بترنجان^٣ :

ورودٍ جيِّ طالعَتنا حدوده^٤ بنشرٍ وبشرٍ^٤ يبعثانِ على الشكرِ
وحفَّ ترنجانٌ بها فكأنها حدودُ العذارى في مقانعها الخضر

وقال في [مداعبة] شيخٍ ثقیلٍ اتفق حضوره^٥ معهم في مجلسٍ أنس :

أما لهذا الشيخ من عهدٍ عادٍ من أجلٍ يُقضى ولا من معادٍ
ليت لنا في سنّه قهوةٌ تدیلُ . من ظلمته باتقاد
وليتنا نخرجُ في صفقةٍ جائزة عنه ولسو بالجماد
وهل لنا في البيع من حيلةٍ إذا رمينا بثبوتٍ السداد

وقال^٦ من قصيدة :

وذی نخوةٍ یختالُ ثانيَ عطفه فلولا تناهي لؤمه قلتُ أصيدُ
له نظرةُ الزرقاءِ في كلِّ بدعةٍ ولكنه عن مسلكِ الحقِّ أرمد

١ البيتان في القلائد والمطرب والبنية ، وقد مرا في النص المنقول عن القلائد ص ٧٨٥ .

٢ ط د : بها ؛ س : بدا .

٣ ط د : بريجان ؛ والبيتان في النفع ٣ : ٦٠٢ .

٤ ط د س : يبشر ونشر .

٥ ط د : بثبات .

٦ ط د س : وله .

وقال فيه :

ومناقٍ يبدي انفعالَ مناقٍ متبسماً وضميرُهُ متجهمٌ
حاجاك^١ مكتتماً بما في نفسه ولطيفٌ ذهنك مخرجٌ ما يكتم
وتريدُ عدلاً من سجيةٍ جائرٍ ومتى أفادَ الشهدَ يوماً أرقم

وقال من قصيدة مراجعة^٢ عن شعر :

وما كُنْههُ نُظْمٌ بطرسٍ وإنما نسقتَ النجومَ الزهرَ في صفحةِ البدرِ [٢١٨]

وله من أخرى :

ومن كان في حُكمِ الزمانِ مصرفاً فلا بدَّ أن يلقى مُهيناً ومُكرماً

وله من أخرى يعتذرُ من استبطاءِ المكاتبةِ^٣ :

ولو وفَتِ الأيامُ جاشتُ صدورها بما ضُمَّنتَهُ أو تبلَّغَ ما عندي
ولو جرت [الحمسُ] الرياحُ تَضوَعَتِ بما استنشقتَه من ثنائي ومن ودي
ولو كان عهدٌ للغزاةِ جددتُ ؛ لكم كلٌّ ما أبقى الجديدان من عهد
ألم تسألوا^٤ والقلبُ رهنٌ لديكمُ فيخبركم غني بمضمرةِ بعدي
فلو قبلتني الحادثاتُ مكانكم لأنهبتهُ وقُري وأوطأتها خدي
ألم تعلموا أنني وأهلي وواحدي فداءٌ ولا أرضى بتفديةٍ وحمدي

١ ط د : حاكك .

٢ س : وله من قصيدة . . . ط د : وقال في مراجعة .

٣ بعض أبياتها في القلائد والمطرب، وورد منها ثلاثة في القسم المنقول عن القلائد : ٧٨٥ .

٤ ط د : كنت عهداً . . . جردت ؛ س : جردت .

٥ المطرب : تعلموا .

قال ابن بسام : ثم ختم رقعته إليّ بأن قال : هنا - أعزك الله - وقفَ ذكري ، ولا أذكرُ شيئاً من نثري ، وهو عندي بالإضافة إلى النظمِ أصلح ، وكلاهما بعيد^١ من الغرض ، لولا مكان حقلك المفترض .

وهذه أيضاً فصول وقعت إلي بعد ذلك من كلامه

فصل له من رقعة تعزية : أطال الله بقاءَ الأمير مؤيداً اعتزامه^٢ ، مسددةً إلى أغراضه سهامه^٣ ، نائمةً عنه التوبُّ ، ساميةً به الرتبُ ، ولا زالت الرزايا تنخطاه^٤ ، والحوادثُ تهابه^٥ وتتحاماه .
الأمير [الجليل] - أيدهُ الله - ممن آتاه الله أجره^٦ مرتين ، وجمعَ له بين الدارين : جهاداً في سبيله مبرور ، وأجرٌ بجميل صبره موفور ، ومثله تقلد نجاد السعدِ منى^٣ ، [ووردتُ عليه الصالحاتُ منى] ، فكلُّ^٤ له في كليهما غابط ، ولكلنا يديه باسطٌ ، في انفساحِ عمره ، وانشراحِ صدره ، وتأيدِ صبره ، وما ألامَ دهرٌ تحاماه ، ولا ألمَ رزءٍ تنخطاه .

وله من أخرى :

إني أعزبك لا أتي على ثقةٍ من البقاء ولكن سننةُ الدين
فما المعزى بباقي بعد صاحبه ولا المعزى وإن عاشا إلى حين
كتبته وقد دهم من المصابِ بالأختِ البرّة - كرمَ الله [مثواها و] منقلبها ،

١ ط د : يبعد .

٢ ط : تنخطاه .

٣ ط د : منى . ٤ ب م : فالكل .

ورفعَ في جناته درجاتها ورتبها ، ما لفتح الأكيادِ حرهٌ ، وصدع الفؤادِ ذكره ، ولما غار الحزنُ وأنجدَ ، وصوبَ [٢١٨ ب] الوجدُ وصعد ، أهابَ داعي النهى فابيتُ ، وصدعَ زاجرُ الحلمِ فانشيت ، وما الجزعُ مما لا يطفأ ، [ولا يعافُ] ما لا بد من شربه^١ ، ويشفق من قُرَّبَ^٢ إلى تربه . هذا وللسلوانِ مذاهبُ لا تذهبُ على ذي نظر ، ولا تغيبُ على ذي تأملٍ وتدبر ، أولها التسليمُ للقدر المحتوم ، والثقةُ بالعوذِ الكريم ، إلى ما لا يخفى مَوْضِعُهُ ، ولا يُجهَلُ من النفوسِ موقعه ، من فضلِ الله تعالى في بقاءِ فلان الذي هو رأسُ المال ، وجماعُ الآمال ، وما زالتُ لله مع كلِّ محنةٍ منحةٌ تقاومها ، ومنَّةٌ تلازمها ، حكمةٌ منه بالغةٌ تسكنُ إليها القلوبُ ، ويرجعُ معها الصبرُ ويشوب ، وأنت - أيدك الله - فوق أن تُنسبَ بوعظ ، إلى مكانِ حظ ، وأرحبُ بالنوازلِ ذراعاً ، وأكثرُ عن الأجرِ ذباً ودفاعاً ، لكن ناجيتُ مستريحاً ، وذكّرتُ تلويحاً ، والله يجعلها آخرَ الرزايا ، ويحرس الأولياءَ والولايا [بمنه] .

وله من أخرى : يا سيدي الأعلى ، وظهيري لخطب إن تجلّتي ، نداءً منّ قام شاهدهُ في المودّة^٣ وبرهانه ، واستوى في موالاتك^٤ إسرارهُ وإعلانهُ ، دمت مقتبلَ الجدد ، واري الزندِ ، مستقلاً بأعباء السيادة والمجد ، في المحلّ النجد ، والطالع السعد .

١ من قول المتنبي :

نحن بنو الدنيا فما بالنا نعانف ما لا بد من شربه

٢ ب م : تربه ؛ ط د : ترب .

٣ ط د س : الود .

٤ ط د : فاستوى ؛ ط د س : موالاته .

كتبتُ هذه الحروف ذاهباً منذَهَبَ الإيجاز ، وراغباً مع الحقيقة عن
المجاز ، فعبءُ الإطراءِ ثقيل ، ومركبُ الاسترسالِ نبيل ، وشاهدي
منك حاضر ، وإليك في كل الأحوال^١ ناظر ، وموصِلُهُ فلان ، الوائقُ
بفضلك في ما ينهيه إليك ، ويوردهُ عليك ، ويستظهرُ فيه بسعيك الحميد ،
ويستنجحُ برأيك الأصيل السديد ، وأنت لا تألوه بسِرِّوكِ نصحاً ، ولبيهم
أبوابه فتحاً ، وهو في تفضيلك أمةٌ لا يُؤْتِنِي ولا يُصَدِّ ، وما قال الا بالذي^٢
علمت سعد^٣ .

وله من أخرى : أطالَ الله بقاءكَ ومقاليدُ المجد تُلْتَمَى إليك ، ووفود
الحمد وقفٌ عليك ، وأزمةُ الفضلِ في يديك ، ولا زلتَ للمبهمات
فارجاً ، ولسبلِ المكرماتِ ناهجاً ، ناهضاً باليزلاء^٤ ، صبوراً [على العزاء] .
كتبتُ والأحوالُ التي استطلعها اهتباك ، واستهدى علمها^٥ إجمالك ،
في ريعانِ ظهورها ، وشرخِ شبابِ نورها ، والله بفضلِه يعيدُنا فيها من
عَيْنِ الكمال ، ويديمُ لنا حالَ الاستواء والاعتدال . وإنَّ الخطابَ الكريمَ
نجره^٦ ، المنيرَ فجره ، الذكيَّ نشره ، وافى قريباً^٧ بالسيادةِ عهدُهُ ،

١ ط د : والبر في كل الإخوان ؛ س : والبر في كل الأحوال .

٢ ط س : بالتي .

٣ من قول الخطيئة :

وتعدلني أفناء سعد عليهم وما قلت إلا بالذي علمت سعد

٤ ط د : ووفور . . . موقوف .

٥ من أمثالهم : « إنه ناهض بيزلاء » واليزلاء : الرأي الجيد أو الداهية العظيمة ، قال الشاعر :

إني إذا شغلت قوماً فزوجهم ربح المسالك ناهض بيزلاء

(انظر فصل المقال : ١٤٧) .

٦ ط د : عليها .

٧ ط د س : حديثاً .

مطرزاً بالبلاغة بُرْدُهُ ، فوردتُ منه معيناً ، واجتليتُ [٢١٩ أ] به^١
من البيان سحرأً مبيناً ، ومثلُكَ أهدى مثله ، ووالى فَضْلَهُ ، وتابع بذله^٢ ،
وأَتبع دَلْوَهُ في السَّماحِ رِشَاءَها ، وسما إلى هِمَمِ أَملاكِ جُعيلَ إِزاءِها^٣ ،
والله لا يُعَدِمُنِي الأُنْسَ طالِعاً من أفقك ، والدنيا تجري في وَقْفِكَ ،
ولا زالتُ قِيداحُكَ فائِزَةً ، وأحكامُكَ جائزة ، وحظوظك لكل أُمْنِيَةٍ
حائزة .

[وله^٤ من رقعةٍ خاطب بها بعضَ الأعيان يعتذر من ذكر المقامة^٥ ،
واستفتحها بهذا البيت :

ما كنت أشتمُ قوماً بعد مدحهم^٦ ولا أكرُّ نعيماً بعدما تحبُّ

مَنْ يُسَرِّ فيه - أيده الله - للحسنى ، وفاز من لقاءه بالخطِّ الأسنى ؛
فله ما تمنى ﴿ وما يلقاها إلاَّ ذو حظٍّ عظيم ﴾ (فصلت : ٣٥) ومن أتى

١ ط د س : منه .

٢ ط د : جذله .

٣ من قول قيس بن الخطيم (ديوانه : ٤ - ٥) :

إذا ما اصطبحت أربماً خط منزري وأتيمت دلوي في السماح رشاءها

ثارت عدياً والخطيم فلم أضع ولاية أشياد جعلت إزاءها

٤ ابتداء من هنا وقع بياض في ب م ، حتى آخر رسالته في اتنصل من « المقامة » .

٥ هذه المقامة تسمى القرطبية ، وقد قيل ان الفتح بن خاقان هو الذي صنعها على ابن السيد البطلبيوسي

وعليها رد يسمى الانتصار ؛ وقد نسبت لابن أبي الخصال ، وهو في هذه الرسالة يحاول أن

يتبرأ منها ، ويخاطب برسالته هذه الوزير أبا الحسين ابن سراج ؛ والمقامة القرطبية في

كتاب « رسائل إخوانية » الورقة : ١٢ - ١٤ ؛ أما رد ابن أبي الخصال فقد ورد في كتاب

« ترسل ابن أبي الخصال » الورقة : ٧٣ وما بعدها ؛ قلت : وانظر كتابي « تاريخ الأدب

الأندلسي - عصر الطوائف والمرابطين » ص : ٣١٤ - ٣١٥ .

الله بقلب سليم . واني مع عدم الاستطاعة ، ومزجى البضاعة ، أتوهم
سقوط الفرض ، وأخلى إلى الأرض ، وأحمل الأمر محمل العرض ،
ودونه - أيده الله - مهابة لإجلال تنثيه ، وكرم خلال يديه ، فأنا بينهما
عصي طيع ، هذا يجيء < بي > وهذا يرجع ٢ ، لا جرم أني أفقر إليه من
جفن إلى كرى ، ومن أذن إلى بشري ، بل من جذية إلى نديم ، ومصعب
إلى إبراهيم ٣ ، بل من الشمال إلى اليمين ، والأنف إلى العينين ، بل من
دريد إلى الشباب ، والقارظ إلى الإياب ، وأسأنف وأستدرك ، وأخب
نحو علاه وأبرك ٤ ، وأتوسل بتشيع في مجده غال ٥ ، وأمت بمنافسة مغال :

فلا تلزمني ذنوب الزمان - إليّ أساء وإياي ضارا

وهل هو إلا نقصان يقعد عن كمال ، وحرمان يبعث عن نوال ، أروح
وأغدو ، أتجنب روضه وأجيل أعدو ، أستغفر الله من غربة ركبت مطاها ،
ووصلت خطاها ، وأثرت قطاها ، أنضت شبابي بل نضته ، وسلت
مشيبي وانتضته ، فما أنا طليح أو جريح ، وأبقت عليّ دركاً ، وبوأتني
دركاً ، فضاعت أثنائها الحقوق ، وبئس الاسم العقوق . نعم - أدام الله

١ د : فيها :

٢ من قول المتنبي :

الحزن يقلق والتجمل يردع والدمع بينهما عصي طيع

يتنازعان دموع عين مسهد هذا يجيء بها وهذا يرجع

٣ مصعب بن الزبير ، وإبراهيم بن مالك بن الأشتر قائد جيوش مصعب ، وقد ظل و
بعد أن تغير عليه سائر القادة .

٤ الترسل : إلى علاه وأبرك ؛ س : نحو علاه وأبرك ؛ ط : وأترك .

٥ س والترسل : عال .

٦ ط د : أجنب .

سَعَدَكَ ، تجولاً إلى الكاف ، وإسناداً من الاعتراف بحقك إلى كاف - :
وعيدُ أبي قابوسٍ في غيرِ كُنْهِهِ أَتاني ودوني راكسٌ فالضواجعُ^١
فانطويتُ على حريق ، وتعلّلتُ برحيق :

وفضيلةُ الراحِ الخروجُ بأهلها عن عالم هو بالأذى مجبولُ

فما سَلِمْتُ معَ ذلك من ظنونهم ، ولا غَبْتُ عن عيونهم ، وأنتى لي بالسلامة
من كاشحٍ يُغري ، ويد ترميني من حيثُ لا أدري ، تمنحني الفصاحة
ضُرّاً ، وتمنعنيها نفعاً وخيراً^٢ ، ان مرّ به ذكري فيها غُمِيزَ وَغُمِيسَ ،
أو ادعي لي حظ نفيسٍ بَخِيسٍ ونُقِيسٍ^٣ ، أو قرىء لي « قُبِيسَ » قرأ
« قبص » ، ما هذه المقامة إلاّ قِيامةٌ حَشَرَتِ الكرامَ وحاشَتُ^٤ ، وما
استثنت ولا حاشَتُ ، أصابت وأشوت ، وصابت وأخوت ، وعمتُ
لتخصّ^٥ ، وباحت لتقصّ ، والمناجى لبيب ، « وقد يؤذى من المقة الحبيب » .
اللهم اعصمنا من^٥ الدعوة ، واجعلني فيها مجابَ الدَّعْوَةِ ، حتى
ندعوها لأبيها ، ونؤثر الأقسطَ عندك فيها ، بعزتك .

أولى لهذا المتهم ، ساء ما حكم ، ويا بُعد ما توهم :

أيها المنكحُ الثرياً سهيلاً عمركَ اللهُ كيفَ يلتقيان^٦

١ البيت للنايفة الديباني ، ديوانه : ٤٥ .

٢ الترسل : ضراماً . . . برداً وسلاماً .

٣ ط د : حظ نفس ونقص .

٤ ط د : وجاشت .

٥ الترسل : طهرنا من دنس .

٦ لعمر بن أبي ربيعة ، ديوانه : ٤٣٨ .

هي شاميةٌ إذا ما استقلتُ وسهيلٌ إذا استقلَّ يمانِي

منع الجار صقياً^١ ، وادعى لابن^٢ طريف عقباً ، وما ينامُ أبو سفيانَ عن زياد ، ولا يترك في ثقيفٍ ثمرَ الفؤاد ، هيهات هيهات ! ! يدلُّ على الفجر سناه ، ويُعربُ عن الشجر جنَّاهُ ، ويفضِّحُ الشناشِنَ أخزم ، وينسب الحكمُ إلى أكم^٣ ، وما هو بمطاعٍ ثمَّ أمينٌ ، ولا أنا على غيبِ السيادة بضنين^٤ ، لاسيما وقد افتتح بمن افتتح ، وبمن ورنَ فرجَح ، وسعى فأنجَح ، ومملك فأسجَح ، وأشفَى فَعَف ، وكفى فكفَّ ، وثنَّاه بمن أتى ما أتاه ، وتقبَّلَ في الفضل أباه ، وتخطَّاه إلى صنوٍ كماءِ المزن ، وروضِ الحزنِ ، تجافى جنَّبهُ عن المضاجع ، وطلَّقَ الدنيا غيرَ مُراجِع ، وتجاوزَه إلى ابن عمِّ ، وكبيرِ في المكارم جَمِّ ، خلع على المروءة^٥ عمره ، وقلَّدها أمره ، هجرَ مراتبَ وخططاً ، وأبى إلاَّ أن يكن أمةً وسَطاً ، ثم جاء بالحلَّة لفيفاً ، فنكَّر معروفاً^٦ ، ومنع الصرفَ في غير ضرورةٍ مصروفاً ، وماذا له ، في مصونٍ أذالهُ ؟ ومن أجاههُ ، إلى قبيحٍ جاءهُ ؟ ومن جرَّهُ إلى هُجرٍ أجرَّهُ ؟ ومن قاده إلى القادة ؟ ومن سامه هُلكَ سامه^٧ ؟ ومن

١ س والترسل : سقياً .

٢ الترسل : لأبي .

٣ الترسل : وتنسب الحكم أكم .

٤ فيه إشارة إلى الآية : « مطاع ثم أمين » والآية « وما هو على الغيب بضنين » (التكوير :

٢١ ، ٢٤) .

٥ الترسل : السيادة .

٦ ط د س : تعريفاً .

٧ سامه بن لؤي بن غالب فقاماً عين أخيه وهرب إلى عمان ، فكانت منيته من نهشة أفعى (أنساب

الأشراف ١ : ٤٦) .

أدارةٌ على فعلِ ابنِ دارَةَ^١؟ هلاَّ أسرَّ ما أشرَّ^٢ ، وعشَّى ولم يفتَّر^٣؟ ولَمَّا
توجَّه اليَّ بينُ^٤ يدي الوزيرِ الأجلِ - دام سعده - منها^٥ ظنُّ أخطأ ، وهم
أسرع وأبطأ ، لا تقبلُهُ حالي ، ولا يقرُّعُ له بالي ، أدرجته أثناء تنصلي ،
ووصلتُهُ بتوسلي ، إلى علائهِ وتوصلي :

ليعلمَ أني لا أظنُّ^٦ بمثلها وأن ليس إهداءُ الخنا من شماليا

ولن يخفى على ذي بصيرٍ نمطُها ، ولا يغيب مستنبطها ، وكيف وهناك
فطنةٌ تخلصُ بين الماءِ واللبنِ ، وتفرقُ بين القبيحِ والحسنِ ، فليُصَرَّفْ
هذا اللجامُ إلى من علكه ، وليُنْتَظْ هذا الدمُ بمن سفكه ، فليس المرِّيُّ^٧ من
جريرِ ، ولا ابنُ الزبيرِ من ابنِ الزبيرِ^٨ ، والوزيرُ الأجلُ^٩ - دام سعده -
يحجبُ عن ادراكه عيبي ، ويحرسُ بكرمِ نثاه غيبي^٩ ، ويضعني حيث
وضعت نفسي من تأمليه ، ويعودُ عليَّ بحسنِ تأويله ، متطوِّلاً ، إن شاء
الله تعالى] .

١ ابن دارَةَ واسمه عبد الرحمن بن مسافع (أو ابن ربيعي بن مسافع) هجا بني أسد كثيرًا فقبضوا
عليه وتشاوروا هل يطلقونه كي يمدحهم: ثم إن رجلاً منهم اغتفله فضر به بسيفه فقتله (الأغاني
٢١ : ٢٧١) .

٢ الترسل : ولو وقف لأسر .

٣ من المثل : عش ولا تقتر (المليدياني ١ : ٣١١) .

٤ ط د : وبين .

٥ ط د : فيها .

٦ لمل صوابها : أزن .

٧ لملها أن تقرأ في الترسل : المرثي ؛ وهو مهجو ذي الرمة .

٨ ابن الزبير الأسدي شاعر أموي (انظر الأغاني ١٤ : ٢٠٨) .

٩ س : عيني .

[٢١٩ ب] ولما نكب انوزير أبو محمد بن القاسم النكبة التي أنبأت بتعذر أوطار ، ذوي الأخطار ، وأعلنت بكساد الفضل^٢ ، وابستساد الندل^٣ . لأنه كان طود جمال ، وبحر لإجمال ، وناظم خلال ، وحين ثل الدهر عرشه ، وأحلّ سواه فرشاه ، خاطبه كل زعيم^٤ جليل مسلياً عن نكبته ، وانتقاله عن رتبته ، فكتب إليه برقعة مستبدعة وهي : مثلك — أنس^٥ الله فؤادك ، وخفف عن كاهل المعالي ما هاضك وآدك — يلقي دهره غير مكترث^٦ ، وينازله بصبر غير منتكث ، ويبسم عن^٧ قطوبه . ويفل شباة خطوبه . فما هي إلا غمرة ثم تنجلي . وخطرة ويليتها من الصنع الجميل ما يلي . لا جرم أن الحرّ حيث كان حر ، وأن اندرّ يرغم من جهله درّ ، وهل كنت إلا حساماً انتصاه ، قدر أمضاه ، فإن أغمده فقد قضى ما عليه ، وإن جرده فذلك إليه . أما إنه ما تثلم حده ، ولبس جوهر الفرند خده ، لا يعلم طبيئاً يشترطه ، ويمينا تخترطه ، هذه الصمصامة ، تقوم على ذكرها القيامة ، طبقت البلاد أخباره ، وقامت مقامه في كل أفق آثاره . فأما حامله فنسي منسي ، وعدم منفي ، كالا لقد بقيت الحقائق ، وأثبتت^٨ تلك العلائق ، فلم يصحبه غير غرار ، ومتن عار ، كلاهما بالغ ما بلغ ، والغب معه في الدماء إذا ولغ ، وما الحسن إلا مجرد العريان ، وما الصبح إلا الطلق الأضحيان ، وما النور إلا ما صادم^٩ الظلام ، وما النور إلا ما فارق الكمام ، وما ذهب ذاهب ، أجزل منه العوض واهب ، ولئن قضى حق المساهمة في هذه

١ هذا نص دخيل على الذخيرة، وهو منقول عن قلائد العقبيان: ١٨٧ ، ولم يرد إلا في ب م .

٢ القلائد : الفضائل والمعالي .

٣ القلائد : الوضیع علی الماجد المعالي .

٤ ب م : رعية .

٥ القلائد : ثبت .

٦ من قول المتنبي :

لا تلق دهرک إلا غیر مکترث ما دام یصحب فیہ روحک البدا

٧ القلائد : عند .

٨ القلائد : فنیت . . . وأنهیت .

٩ ب م : صارفه .

الحال التي التوى عرضها ، وتأخر للأعداء القاطعة فرضها ، أسف تردد ، وإرتماض تجدد ، وذنوب على الأيام لا تحصى وتعدد ، وحبا للثام منها > تحل < وتعد ، فيعلم الله عز وجهه لقد استوفيت فيه هذه الأقسام ، ونهيت^١ فيك حتى المزن عن الابتسام^٢ .

وله أيضاً : ليست الأذنان كالأعراف ، ولا الأنذاك كالأشراف ، ولا كل أشرف بأشراف ، فثم^٣ من يزيل^٤ ما ولي ، ويعمى عن الصبح وقد جلي ، إن ذكر نسي ، وإن عدل فكأتما أغري ، وكثيراً ما يمتد شططه ، فتحذف نقطه ، ويهجر نطقه ، وإن ساحناه في الضبط ، وأمتعناه بالنقط ، نبد الوفاء فحذفنا الفاء ، وجفا الكريم ، فألغينا الميم ، وله بعد ما ألغى ما بقي ، إن أشرف فعلى الخطير العظيم ، وإن اطلع ففي سواء الجحيم ، ورب طويل النجاد ، عريق في الآباء [٢٢٠ أ] والأجداد ، ولايته أمان ، وعمله إيمان ، وخلقه رضوان ، تود النجوم أن يخطها^٥ في كتاب ، وينسقها نسق الحساب ، قد ارتقى بخطته باذخ السناء ، وأخذ بضعها رفعا إلى السماء ، فهناك - وأنت ذاك - طاب الجنى ، وذنبت المني ، وأيقن الشرف أنه في حرم وحمى ؛ وأقسم^٦ بالمبسم البارد ، والحبيب الوافد^٧ ، قسماً تبقى على الشباب مدته^٨ ، وتعز على المشيب حدته^٩ ، ذكرى من ذلك العهد مدت بسبب ، ومنت إلى القلب بنسب ، ليحنون^{١٠} على الكرام ، وليجترو^{١١} ^٨ > على < الأيام^٩ ، وليأخذن^{١٠} فوق أيديها ، وليكفن^{١١} من تعديها^{١٠} ، ما لها^{١١} تنحت أثلاثهم > وتسمهم بغير سماتهم ، تصفهم

١ ب م : وبقيت .

٢ ناظر إلى قول المعري :

نقمت الرضى حتى على ضاحك المزن فلا جادني إلا عبوس من الدجن

٣ القلائد : يصم .

٤ القلائد : ينظمها .

٥ القلائد : الوارد .

٦ القلائد : جدته .

٧ ب م : حده .

٨ ب م : وليجرهم .

٩ القلائد : الأنام .

١٠ القلائد : أيديهم

١١ القلائد : ما لهم .

بصفتهم، وتعلمهم بعلاّتهم^١ ، فأين أنت من الذب ، وسنام قد استؤصل بالحب ، وكيف ارتياحك لعبد شمس^٢ اذ زارت ، ومكرمة كالشمس أشرقت وأنارت ، لا جرم أنك منها على ذكر ، وبمدرجة حمد وشكر ، وما هو إلاّ الشريف الأوحّد ، ومن لا ينكر فضله ولا يجحد ، أبو بكر - أعزه الله - وناهيك^٣ انتماء ، وحسبك علاء وسناء ، فتيّ دهي في ضيعته هناك بدواه ، ورمي بخطوب غير ريوث ولا سواه ، ورأيتك - أصاب الله برأيتك ، وجبر الأولياء بسعيك - في تحصين مراعاته ، وترفيهه ومحاشاته ، ولولا عذر منع ، لكان على أفقك النير قد طلع ، ولكنه أناب فلاناً وحسبه أن يدفع^٤ كتاباً ، ويقتمضي جواباً ، ويتصرف على حكمك جيئة وذهاباً .

وكتب إلى أبي بكر بن رحيم يهنئه بولايته خبطة الاشراف :

إذا ما شرف الاشرافُ قوماً فإنّ نبي رحيم شرفوه
 كفاةً للملوك على سبيل ودين نصيحة ما حرفوه
 أبو بكر له ولهم كُفيل بكل كفاية اذ صرفوه
 وما الاشراف إلاّ عبد قنّ لهم فمتى تولى استصرفوه

هذه - أعزك الله - بديهة البشرى ، وعجالة كعجالة القرى ، فأنا لها بالاقبال ضمين ، وعليّ آلية ويمين ، لتحوطنها أفلامك ، وليحمدن فيها مقامك ، ولتعرفن بالحجول والغرر أيامك ، فحالفك السعد ، ولا عدملك الملك الجعد ، وأبل وأخلق مثلها جديداً^٥ بعد ، وما حق من بشر باعتلائك ، وسرى بأنبائك إلى أوليائك ، أن يؤخر مراده [٢٢٠ ب] أو يضيع عمله واعتقاده ، وأن الحاج ابن شقران أملك - أبقاه الله وجبره - أشعرني بهذه المسرة ،

١ ب م : وتضميمهم بضياعهم وتقلهم بقلاّتهم .

٢ القلائد : بغير خمر .

٣ ب م : وناهيه .

٤ ب م : إنه .

٥ القلائد : يؤدي .

٦ القلائد : جدداً .

والديمة الثرة ، ولقد هممت على هذا البرد > بخلع البرد < وحل العقد ، وفض النقد ، فدافني انقباضاً ، وأعلني أن له في عملك - أبقاه ١ الله - أغراضاً ، تكون على ذلك أثماناً واعواضاً ، وأراني ٢ عقلاً يشهد بعدمه ، وصحة ما استحثة في مقدمه ، وأنه ليس له سوى غرس قد صار عليه > كلاً < ، بل استدار في ساقيه كبلًا ، والتوى في عنقه > غلاً ، وأض له > غلالاً مغلاً ، ولك الطول في نظرك بالتخفيف عن مثله من الضعفاء ، ومن لا قدرة له على الأداء ، وحمل الأعباء ، فإن ذلك ذكر في العاجل ، وذخر في الآجل ، إن شاء الله .

في ذكر الأديب أبي بحر يوسف بن عبد الصمد وائبات جملة من أشعاره ، مع ما يتشبه بها من مستطرف أخباره ٣

وهو يوسف بن أبي القاسم خلف بن أحمد بن عبد الصمد ، جدهم الأول كان السمح بن مالك بن خولان ، أحدَ أمراء الأندلس في ذلك الأوان ، قبل دخول بني مروان ، من تقديم عمر بن عبد العزيز . وهؤلاء الصمديون قومٌ من ذوي الهيئات ، متقدمون في الكتابة وأدوات أهل النباهات ٤ ، وأصلهم فيما أخبرت من إقليم الشبتان ٥ من كورة جيان ، وخدم أبو القاسم والد أبي بحر الخزانة في المرية ٦ زمانَ زهيرٍ وخيران ،

١ القلائد : أنماه .

٢ ب م : وأرى .

٣ انظر ترجمته في المغرب ٢ : ٢٠٣ والمسالك ١١ : ٤٥٠ والنفح ٤ : ٢٥٩ . وذكره صاحب القلائد : ٣٠ وأورد له مرثية في المعتمد بن عباد .

٤ ب م : النباهة .

٥ ب م : المسميان ؛ ط د : الشمسان .

٦ ط د س : بالمرية .

وفي دولة المنصور.بعدهما ، ومات في دولة ابن صمادح سنة ثمان وأربعين ،
وبنوه وقرابته أكثر خدّامة المريّة ، وفيهم يقولُ بعض أهل الأوان ،
لما رأى من كثرة عددهم والتباسهم بالسلطان^١ :

ملأوا قلبي هموماً مثلما ملأ الأرض بنو عبد الصمد^٢
كأثر الشيخ أبوهم آدمأ فغدوا أكثر أهل الأرض عد^٣
كلهم ذئب أزلّ مثنه^٣ والرعايا بينهم مثل النّقْد

ونشأ أبو بحر منهم : بحر [نبل] كاسمه ، في نثره ونظمه ، حسن^٤
الحديث حاضر النادر^٤ ، ذو رويّة وبديهة . ومن ظريف شعره مما أنشدت
له قوله^٥ :

فوصلت^٦ أقطاراً لغير محبةٍ ومدحتُ أقواماً بغير صِلاتِ
أموال أشعاري نمت فتكاثرت فجعلت مدحي للبخيل زكّاتي [٢٢١أ]

وهذا من غريب المعاني ، وإنما ألمّ بقول ابن رشيق القيرواني^٧ :

فإن وجبت عليّ زكاة شعري جعلتك من مساكين الكرام

١ انظر النفع ٣ : ٥٣٥ .

٢ ط د : أكثر نسل وعدد ؛ النفع : أكثر نسلا وولد .

٣ النفع : إذا آمنته .

٤ ب م : المبادر .

٥ البيتان في المسالك والنفع ٣ : ٥٣٤ .

٦ د ط س : ووصلت .

٧ لم يرد البيت في ديوانه المجموع .

جملة من شعره في أوصاف شتى

له من قصيدة أولها^١ :

أدبلوا بالشموسِ في الأغصانِ ومَشَّوْا بالحدوجِ في الكَثبانِ
 حيث جالَ الوشاحُ واصطحب العقة مع المرهفِ الحسامِ اليماني
 كلما سارَ^٢ شادن ذو سوار راع ليثٌ غضنفرٌ ذو سنان
 يالها من ضراغمٍ وسروجٍ^٣ خالطتها هودجٌ وغوان
 كم قطعت الزمانَ والعيشَ غض [في ارتياح] ما بين تلك المغاني
 وإذا غرَّدَ الحَمَامُ على الأيدِ لكِ وأصبتِ مرجعاتُ القيانِ
 صلصلتُ حولها الجيادُ وهزَّتْ ذابلاتُ أعطافها للطعانِ
 ربَّ ليلٍ قطعتهُ في رياضٍ وندامى وقهوةٍ ومثاني
 ووجهٍ مثلِ البدرِ تلالا وقُدودٍ كأنها قُضْبُ بان
 فوق أطواقها سنا صفحاتٍ مُعجَماتِ السطورِ بالخيلانِ
 وعيونٍ من نرجسٍ وخدودٍ من شقيقٍ على طلا سوسان
 فاجتني زهرَ الحدودِ غضيضاً وقبضنا أرواحَ [تلك] الدنانِ
 لم تزلْ تسجد الأباريقَ للشَّرِّ بـ سجودَ الرهبانِ للصلبانِ
 نتعاطى الكؤوسَ والليلُ خفّاً قُ الحوافي ممزقُ الطيلسانِ

ومنها في المدح :

فثناءٌ يسيرٌ في كلِّ أفقٍ ومديحٌ يُتلى بكلِّ مكانِ

١ ورد منها بيتان في المسالك . ٢ ط سرد : شان ؛ ب م : شار .
 ٣ ط د س : وأسود . ٤ ط د : غصن .

يحملُ السرجُ حينُ يركبُ بدرًا كاملاً آمناً من النقصان

[ومنها] :

لستُ بالألكنِ الذي يُبهِمُ القو لَ ولا بالمعجزِ المتواني
ولعمري لقد [كشفت] دجى الش لكَّ وأوضحتُ غامضات المعاني
ذلَّ في ذا الزمان نثري ونظمي^١ ذلةَ السيفِ في يمين الجبان [٢٢١ ب]

وهذا المعنى قد نبهنا عليه فيما سلف^٢ ، ومنه قول ابن شرف :

تقلدني الليالي وهي مدبرة^٣ كأنني صارمٌ في كفٍّ منهزمٍ

ولأبي بحر من أخرى في الوزير [أبي بكر]^٣ ابن زيدون :

زمانٌ يمنعُ الخيلَ الطرادا وسيرٌ يحسبُ النخلَ القتادا^٤
وأيامٌ تغتلبُ كلَّ ضد وتخلعُ في رضَى النعلِ^٥ النجادا
وقد جبن الشجاعُ فليس يدري أيرتبطُ الحمارَ أم الجوادا
عليك الحدُّ في طلبِ المعالي وليس عليكَ أن تعطي القيادة
فأسنى المجدِ ما أدركتَ سعياً وخيرُ السَّعي ما كان اجتهادا
ولا يقننك عيشٌ في خمول فغيرُ البازِ من صَادَ الجرادا
سأبقي حدَّ حسادي كهاماً وأجعلُ نارَ أعدائي رمادا

١ ط د : نظمي ونثري .

٢ ط د : تقدم .

٣ زيادة من س وحدها ؛ وأبو بكر هو ابن الشاعر أبي الوليد ابن زيدون ، وكان وزيراً لبني عباد .

٤ ب م : الحل القيادة ؛ ط د : النقادا .

٥ ب م : النغل .

بذكرٍ يُخجلُ المسكَ انتشاقاً وذهنٍ يحرقُ النارَ اتقاداً

ومنها في المدح :

لك البشرُ الذي سألني وسرّي وأدركَ منتهى أمني وزادا
وما أخشى عليكَ نفاذاً^١ لون ومن يخشى على الشمس النفاذا
تنزهك العزائمُ^٢ أن تضاهي وتمنعك المكارمُ أن تسادا
فإن خصتكَ بالحمد القوافي فقد عمّت أيديك العبادا
أجادَ نظامها قلبي وحلي^٣ ولولا وصفُ مجدك ما أجادا

[ومنها] :

أبا بكر تقولُ ليَ القوافي وجدتَ البحرَ فاطرحِ الثمادا
لك القلمُ الذي ان خَطَّ سطرأ يودُ المسكُ لو كان المدادا
سللتَ على المهارقِ منه حداً فللتَ به الصوارمَ والصعبادا
فإن زهدتَ طياً في حبيب فإن زهدتَ في كعبِ إيادا
فلا جلبَ الزمانِ إليكَ همأ ولا منعتكَ حادثةَ رقادا
فإن الناسَ والأيامَ عينٌ وجدتكَ بين جفنيها سوادا [٢٢٢أ]

وله [من] أخرى في المعتمد يقول فيها في وصف طيرٍ :

وأقبَّ تحملهُ رِيحُ أربعُ لولا اللجامُ لطار في الميدانِ
من جملةِ العقبانِ إلا أنه من حسنه في طلعة الغزلانِ
يمشي إلى مَيدانه متبخراً من تيهه كتبخترِ الشوان

٢ س : العوالم ؛ ط : العوازم .

١ م : بعاد .

٣ س : وجلي

وعلوتُ أذنيه بأذنٍ ثالثٍ كالنجم منقضاً على شيطان
 رمحٌ ولكن هزاً من أعطافه فالخيلُ تنفرُ منه كالثعبان
 ومكّللٍ] مما انتضت يدُ قيصر وبلت ظباه يدا أنو شروان^١
 عشقَ الطلا وبودّها لو عوضت منه مكان الوصل بالهجران [
 جرّدتَه من غمده وهزّزته فكأتما جرّدتَ غرّبَ لسان

ومنها ، وقد حضر المجلس أبو بكر بن اللبانة وأبو تمام الحجام فقال معروضاً
 بهما^٢ :

والشعرُ بهجته إذا نطقتُ به بين المحافلِ ألسنُ الأعيانِ
 ما كان قولُ الشعرِ إلاّ خطّةً كانت مراتبها على كيوان
 حتى تدنسَ ثوبها بزعانفٍ نشأتُ على الأوضار والأدران
 من صنعةِ القزاز والجزاز أو من صنعةِ الحجامِ واللبيان

فعجبا من ذلك ، وأحجلهما هنالك .

وله من أخرى في المعتمد ويصف يوم الجمعة [الذي بدد الله فيه شيعة
 الطاغية أذفونش] :

خضعتُ لعزتك^٣ الملوك الصيد وعنتُ لك الأبطالُ وهي أسودُ
 رأيٌ يفلُّ الجيشَ وهو عرممٌ ويعفرُ الجبارَ وهو عنيد
 وهذا مما أراه نظراً إلى قول مختار بن النجار من جملة الطارئین علی

١ هذه رواية البيت بهامش س ؛ وفي ط د : مما تطاير قيصر ، وثلاث يميناه ؛ س :
 تصايد . . . وثلاث طبات ؛ وسقط من م ب .
 ٢ ب م : به ، وسقطت من ط د .
 ٣ ط د : ليهيتك .

الجزيرة ، وكان من غرائب الدهر أمياً ، لا يفهم ولا يقيم حرفاً سويماً ،
أنشد المعتمد بن عباد من جملة قصيد فريد قال فيه :

ذات^١ لعزتك الملوكة الصيد^٢ يا من إذا نقص الزمان يزيد^٣
وفتحت باب الغرب يا ابن محمد وبلغت أقصاه فأين تريد

أرتاح ابن عباد لقوله وقال له : يا ابن الفاعلة ، إلى بغداد . [٢٢٢ ب]

لم ترض^٤ إلا^٥ والسيوف توائم والحرب ظئر^٦ والسروج مهود^٧
ولقد شقت إلى الطعان سغيرها^٨ وحملت وطأتها وأنت وليد
ولكل نصر^٩ من ظباك مخيلة^{١٠} ولكل فخر من قذاك عمود

ومنها :

هيهات لا يمضي لحقك شاهد^١ يوم العروبة شاهد^٢ مشهود^٣
يوم توصلت الترائب والقنا فيه وعانقت الأسود أسود
والشمس مرها^٤ الجفون كليلة^٥ والجو مغبر^٦ الدررى مسدود
والمرهفات من النجيع كأنها صفحات^٧ بيض^٨ بينها توريد
والخيل^٩ قد نكصت على أعقابها والروم^{١٠} زرع^{١١} والرؤوس حصيد
وكأنما كانت هناك كنائس^{١٢} قد حان فيها للصليب سجد
لوزلت زال الدين^{١٣} وانتهب الهدى ونبا اليقين^{١٤} وناق^{١٥} التوحيد

١ المغرب : خضعت .

٢ س : لم ترب .

٣ ط دم ب : سبقت ؛ د ط : سغيرها .

٤ ط د : فالروم .

٥ د ط : وأذعن ؛ س : وأظعن .

لكن وقفت وملءٌ درعك للعدا
والوجهُ لا متغيرٌ والرأيُ لا
نالتك في ذاتِ الإلهِ شداًد^١
درعٌ يهدُّ الراسياتِ شديد
متبلدٌ والعزمُ لا مردود
تركت لك الإملاكَ وهي عبيد

ومنها^٢ :

والملكُ لا يحميه إلاَّ أروعُ
فاطعنٌ ولو أنَّ الثريا ثغرةُ
وافتحٌ ولو أنَّ السماءَ معاقلُ
واطلبُ بملك الأرضِ حقاً^٣ إنه
وطُلَّ ابنَ عبَّادِ على أملاكها
إن الرياسة والنفاة والعلاء^٤
ثبَّتُ الجنانَ على الجلاذِ جليل
واضربُ ولو أن السماءَ وريد
واهزمُ ولو أنَّ النجومَ جنود
فرضُ على بيض السيوفِ وكيد
فقد ارتضاك الواحد المعبود
حرَّمُ تدافعُ دونها وتلدود

وله من أخرى في يحيى بن فانو^٥ بسجلماسة :

عزمٌ تضيق بجيشه البيداءُ
وعرامة^٦ لو أنها لي لأمة^٦
في عفة لو أصبحت مسومة^٦
فلتلحظ الغزلانُ ولتتمايل الـ
ومنى أقلُّ مرامها الجوزاءُ
لم تمض فيها الصعدة السمراء
في الناس لم تتقنع الحسناء [٢٢٣أ]
أغصانُ ولتترجرج الأناقاء

١ ب م : سوابك ؛ ط د : شوابك .

٢ منها بيتان في المغرب . ٣ س : حقه .

٤ ط د س : بالملا .

٥ في النسخ : بانو ؛ والتصويب عن البيهقي : ٦٢ وابن القطان : ٢٣٠ - ٢٣١ ، وفانو

أمه هي أخت علي بن يوسف بن تاشفين .

٦ د ط س والمغرب : وصرامة .

ومنها :

وأحتمّ مسودّ القميصِ كأنما
وكأنما خاض الصباحَ فأرضه
سامي التليلِ يروقُ تحت لجأه
أطغيتَه فمشى العريضةً تائهاً
وخلعت عنه عنانه في روضةٍ
مخضرةٌ زهرت كواكبُ نورها

خلعتُ عليه ثيابها الظلماء
مبيضةً وسماؤه دهماء
فرعٌ أحمرٌ وغرّةٌ بلجاء
يبدو عليه الكبرُ والخيلاء
شطأ النباتُ بها وفاض الماء
فكأنها تحت السماء سماء

ومنها :

وتطلعتُ زهُرُ النجوم كأنما
بتنا نراعي النجمَ إلاّ أنه
دارت كؤوسُ الطلّ وانتشتِ الربي
والقضبُ تخضعُ للغدير كأنه

تشرّت هناك عقودها الحسناء
باتت تراعيننا مهأً وظباء
ومشى القضيبُ وغنتِ الوراق
يحيى وقد خضعت له الأمراء

ومنها :

كثر القليلَ عليه في عيريسه
يمشي كما تمشي المها مترفقاً
[حتى إذا ما توجّته لبدة
هدم الجبالُ^٣ بصدرة فكأنما

فبساطه^١ الأوصال والأشلاء
ويصدّه^٢ عن طرفه استحياء
أو كللته^٢ الغفرةُ الزباء
في منكبِهِ الهضبةُ السماء]

١ ط د : قد ساطه ؛ ب م : فتكائر .

٢ س : توجت في لبده أومت إليه ؛ وبهامش س كما أتفته .

٣ ط د : الجمال .

وله من أخرى في مجلس أنس بروضة :

وحديقة مخضرة أثوابها في قضبها للطير كل مغرد
نادمتُ فيها فتيةً صفحاتهم مثلُ البدورِ تنيرُ بين الأسعد
والجدولُ الفضيّ يضحكُ ماؤه كالعقد بين مجمع ومبدد
وترجرتُ الناظرين كأنها درٌ نثيرٌ في بساطٍ زبرجد

وكان^٢ بسرقة سطة شيخ يكنى بأبي عبد الصمد ، من شعراء ذلك العصر ، وأراه من سلف أبي بحر ؛ أخبرني ذو الوزارتين أبو عامر بن عبدوس أنه اجتمع [به] في ذلك الثغر ، وراه قد لبس بياضاً في جنازة الكاتب أبي عمر بن القلاس ، وقد حضرها المقتدر بن هود ، فرثاه بقصيدة نعى فيها تلك الدولة ، ووصف أنها بعد ابن القلاس على طرف ، وفي [٢٢٣ ب] سبيل تمام وتلف ، فتعجب منه المقتدر ، وجميع من حضر . وكان ذلك الشيخ يستعمل وحشي الألفاظ ، ويخاطب العوام بكلام لو خوطب به رؤبة بن العجاج ما فهم عنه ؛ وأخبرت أن بعض أصحابه قال له يوماً : مالك وللتقير^٣ في كل وصف ! فقال له الشيخ : يا قرارة النوك وعنصر السخف ، أتتكر أن أستعمل الغريب وفصيح الكلام ؟ ! لو كان في طبعك ، ما مجّه سمعك ، أين أنت من قول أوس^٤ :

ألم تر أن الله أنزلَ مزينةً وَعُفِرُ الظباءِ في الكناسِ تَتَمَسَعُ

١ ط د : وتدهرجت ؛ وسقط البيت من س .

٢ انفردت س بمذوان قبل هذا وهو : أبو عبد الصمد السرقسعي .

٣ ط د س : والتقير .

٤ ديوان أوس بن حجر : ٥٧ ، ولم يرد إلا الأول .

على دَبَرِ الشهرِ الحرامِ بأرضنا وما حوله بعهد السنين يُتَمَعُّ^١
ومن قول امرئ القيس^١ :

وما ذَرَفَتْ عيناكِ إلّا لتقدّحي بسهميكِ في أعشارِ قلبٍ مقتلٍ

قال له : وأيهما ألوطُ بالقلبُ وأقربُ إلى مجاري النفس ؟ قال الشيخ : قول
أوس لأنه جَزَلُ المقطع ، بعيدُ المرمى غريبُ المنزع ، وأما قول امرئ
القيس فهو من باب الغزل وظريفِ الألفاظ ، لا يجرّك عالماً ، ولا يثيرُ من
غامضِ المعرفة كامناً ، ولا يُتَعَبُ مفسّراً ، وإنما يدرّ الدمع ، ويهيجُ
الوجد ، ويثير الصبابة ، ويؤكدُ الكتابة ؛ فقال له ذلك الرجل : وهذه
صفة المحبوب من الشعر ، ألا ترى أن امرأ القيس لم يحزُ قَصَبَ السبقي ،
ولا أعطي غاية الخصل [إلّا لإتيانه بهذه الألفاظ السهلة ، وأن أبا نواس
لم يسبق الناس] إلّا بعدوبةِ ألفاظه ، [فمن] احتذى هذه الطريقة نجح ،
ومن حاد عنها افتضح ؟

وكان ذلك الشيخ أبو عبد الصمد [في عصر] أبي حفص بن برد
الأصغر ، واجتمع في خزائنه زهاء خمسمائة رسالة ، أقلّها فيما بلغني
من عشر ورق ، مع قصائد له مطوّلات ، لا يقدر أحد أن يفسر^٢ له منها
عشرة أبيات ، لوحشية ألفاظه ، واشتباك معانيه ؛ ورسائل ابن بردٍ سائرة^٣
لعدوبة كلامه ، في نثره ونظامه .

وفي هذا الشيخ يقول [ابن] الصفّار السرقسطي :

لأبناء هودٍ قلوبُ الأسودِ لها عند لقياء الرزايا جاكِدٌ

١ ديوان امرئ القيس : ١٣ .

٢ ب س م : لا يجد أحداً يفهم

وأعجب^١ أفعالهم صبرهم على برّدي شعر ابن عبد الصمد

وأخبرت أن بعض أدباء ذلك الثغر^٢ استدعى هذا الشيخ لمجلس أنس بهذا النثر : أنا أطال الله بقاء الكاتب الفاضل ، سراج العالم ، وشهاب الفهم ، في مجلس قد عبقت^٣ تفاحه ، وصفت^٤ [٢٢٤ أ] أقداحه ، وخفقت فوقنا للطرب ألوية^٥ ، وسالت بيننا للهوى أودية ، لكننا لنأيك عنا مقالة^٦ سال إنسانها ، وصحيفة بشير عنوانها ، فإن رأيت أن تتجشّم إلينا غاية القصد ، لنحصل بك في جنة الخلد ، صقلت نفوساً أصدأها بعدك ، وأنرت سرجاً أدها فقدك .

فأجابه [أبو] عبد الصمد^٥ : فضضتُ أيها الكاتب [المميم] ، والحر المصقح^٦ [العميم] ، طابع كتابك ، فممنحي منه جوهراً منتخِباً ، لا يشوبه مشخّلب^٧ ، هو السحر إلا أنه حلال ، [والدر إلا أنه جلال] ، دلّ على ودّ حنيت لي عليه ضلوعك ، ووثيق عقدي انتدب^٨ كريم سجيتك إليه ، فسألتُ فالتحسب ، وعامر القلب بالحب ، أن يصون لي حظي منك ، ويدرأ لي النوائب عنك ، ولم يعني أن أصرف وجهه الإجابة^٩ إلى مرغوبك ، وأمتطي جواد الانحدار إلى محبوبك ، إلا عارض ألم^{١٠} ألم ، فقيّد بقيده نشاطي ، وزوى براحته بساطي ، وتركني أتململ على فراشي

١ ط د : فأعجب .

٢ هو علي بن خير التظيلي ، انظر النسخ ٣ : ٤٠٢ .

٣ س : غلفت ؛ ط د : علفت .

٤ ط د : فنحن . ٥ انظر النسخ ٣ : ٤٠٣ .

٦ ط د : أسدت .

٧ ط د : الإيجاب .

كالسليم ، وأستمطر الإصباح من الليل البهيم ، وأنا منتظرٌ لادباره .
فكان يُستترزل في هذه الألفاظ وغرابة^١ هذا المنزع ، ويُستبَرَدُ في
هذا المقطع .

في ذكر الأديب أبي تمام غالب الملقب بالحجّام^٢

وكان معدوداً في شعراء عصره ، إلاّ أنه كان متخلّفاً في شعره ،
لأن طبعه كان ينبو عن الرقيق السهل ، ولا يلحقُ بالفصيح -الجزل ،
وربما ندرت له أبياتٌ في النظام ، كرميّة من غير رام ، ووجدته قد
سلك في الأوصاف طريقة الرّمادي ، فغرق في ببحوحة ذلك الوادي ،
وقد أخذت هنا من شعره بطرف ، يُعربُ عما به ذكر ووصف .

جملة من شعره في النسب مع ما يتشبه به من المديح

له من قصيد في الرشيد يقول فيه :

أراعي الفرقدين ولستُ أعيا كأي ثالث للفرقدين

١ ط د س : فكانت تستهول له هذه . . . ط د : وعارية .

٢ غالب بن رباح المعروف بالحجّام شاعر قلعة بني رباح الذي نوه بقدرها، ورفع من رأس
فخرها ؛ وقلعة رباح غربي طليطلة ، سميت كذلك باسم علي بن رباح اللخمي الذي اشترك
في فتح الأندلس ، وقد سقطت في يد اذفونش (الفونسو السادس) سنة ٤٧٦ (انظر الترجمة
الفرنسية من الروض المعطار : ١٩٦) وراجع ترجمة أبي تمام هذا في المغرب ٢ : ٤٠
والمسالك ١١ : ٤٥١ وله ذكر في رايات المهريين وشعر في النتح .

غدوا في مشرق الدنيا ونفسي تناجيهم بأقصى المغربين
أنسى عهدهم وهم بقلبي وأشكو فقدهم وهم بعيني
سقى زمناً سقاهم كل صفو وقد قنيت جفون الحاسدين
وقد حيا بطاسات الحميا قضيب في الغلائل من لحن [٢٢٤ ب]
إذا سيم المزاج سقى لماه ونزهنا بروضة وجنتين
تقلد طرفه سيفاً ولكن حمائله نبات العارضين

وهذا البيت من متداولات المعاني ، ومنه قول ابن رشيق القيرواني ٢ :

وهل على عارضيه إلا حمائل قلدت حساباً

ومن مديح هذه القصيدة :

شكوتُ إليه عدوانَ الليالي وما ألقاهُ من تشيت بين
فأمنَ من صروف الدهر سري وأصلحَ بين أيامي وبين
رآني والظلامُ عليّ ثوبُ فأطلعي طلوعَ النيرين

وله من قصيد :

مالي حرمتُ على اتصالِ مدائحي أعقرتُ في الشعراءِ ناقةَ صالحٍ
ويناسبُ هذا قول الآخر ٣ :

أناقةُ الله حاجتي عقرتُ أم نبتَ الحُرْفُ في نواحيها

١ س : قرت .

٢ ديوانه : ١٦٩ باختلاف في الرواية .

٣ ط د س : وهذا كقول الآخر .

وأنشدني له من قصيدة^١ :

دعوت الندى^٢ من كل باب قرعته دعاءً ولكن^٥ كان غيرَ مجيبِ
فما هو إلا^٣ كالحبيب تمنعاً^٣ عليه من الغيران كلُّ رقيبِ
فكن^٤ طالباً للمجد إن كنت طالباً بهزّ سنانٍ وانتضاءِ قضيبِ
ولا تبغ^٤ من زيدٍ وعمرو مكانةً^٤ لحفظِ سوارٍ في بياض عصيبِ

ومنها :

ليالي كان العيشُ غضاً يُظلّتي نصيراً وماءُ الوردِ غيرَ مشوبِ
وعينيّ قد نامت بليلِ شيبتي فما انتهت إلا لصبح مشيبِ

وله من أخرى [أولها] :

أحينَ وصلتُ أحدثتَ الفراقا لقد حمّلتَ قلباً لو أطاقا
أحينَ كدّعتُ في ماء الأمانى سقيتني الأسي كأساً دهاقا

ومنها :

عرفتُ الدهرَ ثم طلبتُ منه ليسقيّ صفوه فسقى زعاقا [٢٢٥]
[فكنتُ كطالب في البحرِ ماءً تشكّك في مرارته فذاقا
ولم أر مثلَ أيامِ التصابي وقد ضرب الهوى فوقِي رواقا]

١ ط د س : وله من قصيدة .

٢ س : الهدى .

٣ ط د : بمنعاً .

٤ ب م : فحفظ .

٥ س : العيش .

وقد زُفِّتْ عروسُ الكاسِ نحوي^١ ، وقد كتبوا لها [شعري] صدّاقا
ومن كلّفي بها وبمن سقاني وصلتُ بها اصطباحاً واغْتباقا
غزالٌ لم يزلْ قلبي عليلاً بعلةٍ مقلتيه فلا أفاقا
رقيقٌ الحصرِ لو شاءَ احتراماً بنخاته لكان له نطاقا
ومنها :

سلاماً لم يكنْ إلاّ وداعاً وجمعاً لم يكنْ إلاّ افتراقا
وهذا كقول المتنبي^١ :

افترقنا حولاً فلما اجتمعنا كان تسليمهُ عليّ وداعا
وكقول علي بن جبلة^٢ :

ركبَ الأهوالَ في زورته ثم ما سلّم حتى ودّعا
وذكرتُ بهذا المعنى خبراً حكاه الزبير بن بكار قال : سمع أبو السائب
المخزومي قول مالك بن أسماء الفزاري :

بكت الديار لفقد ساكنها أفعدت قلبي تبتغي الصبرا
بيننا همٌ سَكْنٌ^٣ بلحيرتهم ذكروا الفراقَ فأصبحوا سفرا
فظللتُ ذا ولهٍ يعاتبني في حبّهم من لا يرى الأمرا

فقال أبو السائب عند سماع البيت الأوسط : ما أسرع هذا ! ما قدموا

١ ديوان المتنبي : ٥٢٦ وروايته : افترقنا عاماً .

٢ ديوان المكوك : ٧٦ .

٣ طردس : سَكْناً .

ركاباً حتى ودّعوا صديقاً ؛ قال الزبير : يرحمُ الله أبا السائب ، فكيف
لو سمعَ قول العباس بن الأحنف^١ :

سأعلونا عن حالنا كيف أنتم^٢ فقرننا ودّاعهم بالسؤال
ما أنحننا حتى افترقنا فما فرّقت بين النزول^٣ والإرتحال

وأبو السائب هذا كان له جدُّ يُكنى أبا السائب أيضاً ، خليطُ
رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، إذا ذُكِرَ قال : « نعم الخليطُ كان أبو
السائب لا يُشاري ولا يُماري » . وكان أشراف المدينة يستظرفون أبا السائب
هذا حفيدَهُ ، واسمه عبد الله ، ويقدمونه لشرفِ منصبه ، وحلاوة
ظرفِهِ ، وكان غزيرَ الأدب ، كثيرَ الطرب ، وله فكاهاتٌ مذكورة ،
[٢٢٥ ب] وأخبارٌ مشهورة .

وقولُ ابنِ رباح : « بعلّةٍ مقلتيه فلا أفاقا » كقول أبي عامر بن شهيد ،
من شعر قد تقدم^٥ :

فأنا المجروحُ من عضّتها لا شفاني اللهُ منها أبداً^٦

١ ديوان العباس : ٢٣١ ، وقد تقدم البيت الثاني على الأول .

٢ الديوان : إذ قدمنا .

٣ الديوان : حتى ارتحلنا فما نفرق بين المناخ .

٤ هذه العبارة قد خضعت في جزئها للتقديم والتأخير في ط د س .

٥ ط د س : معنى قد تطرفه لابن شهيد حيث يقول .

٦ ديوان ابن شهيد : ١٠٤ .

جملة من شعره في أوصاف شتى

له في الصورة التي بحمام الشطارة البديعة الشكلِ باشييلية^١ :

ودمية مرمّـر تزهى بخد^٢ تناهى في التوردِ والبياضِ
لها ولدٌ ولم تعرف^٣ حليلاً ولا ألمت بأوجاعِ المتخاضِ
ونعلمُ أنها حجرٌ ولكن^٤ تتيّمنا بالحاظِ مِراضِ

وأنشدني في صفة خاتم :

وخاتم تبرٍ قلّـد الدرّ حوله ومنه أحمرِ الياقوتِ ما يتقلدُ
كأن الثريا بالهلالِ تعلّمت وفي طرفيه المشتري يتوقدُ
وللطيبِ فيه مخبأً فكأنه سريرةٌ حبّ قد فشت وهي تجحدُ

وقال^٦ :

زرت الحبيبَ ولا واش^٧ أحاذرُه والصبحُ عينُ لوت^٨ بالغمضِ أشفارا
في ليلةٍ خيلتُ من حُسنِ كواكبها دراهماً وحسبتُ الدرّ ديناراً

١ انظر نفع الطيب ١ : ٥٣٣ .

٢ النفع : مجيد .

٣ س : تنكح ؛ ط د : تصحب خليلاً .

٤ ط د : التبر .

٥ ب م : وما .

٦ انظر نفع الطيب ٣ : ٤١٦ .

٧ النفع : شي . ٨ النفع : في ليلة قد لوت .

وقال :

انظرُ إلى زُهرِ النّجومِ وقد بدّتْ في البحرِ تعجبُ ذاتها من ذاتِها
فكأنها سِرْبُ الحسانِ تطلّعتْ لترى من المرآةِ حُسنَ صفاتها
وذكرتُ بوصفِهِ صورَ الكواكبِ في الماءِ ، قولَ أبي العلاء^١ :

فمدّتْ إلى مثلِ السّماءِ رقابها وعبتْ قليلاً بين نَسْرِ وفرقتِ
وصفَ إبلاّ وردتِ الماءِ ليلاً ، وهو أزرقُ صافٍ وفيه صورُ النجومِ ،
فكأنها شربتْ بين هذين الكوكبين ، وإنما أخذه من قولِ الأخطلِ يذكر
سمت لبل قصدته :

إذا طلّعَ العيوقُ والنجمُ أو لجتْ سوافها بين السماكين والقلبِ^٢

أراد إذا طلّعَ العيوقُ والثريا يمتتْ هذه الإبلُ سمّت ما بين السماكين
والقلبِ^٣ ، فكأنها وصّعتْ سوافها بينهما معرفةً ، وموضعُ العيوقِ وراءَ
الثريا في جانبِ المجرّةِ الأيمنِ ، والعيوقُ أقربُ إلى القطبِ من الثريا ،
وهما يطلّعان صُبْحاً ، عند اشتدادِ الحرِّ معاً ، ويكونُ [٢٢٦ أ] قلبُ
العقربِ والسماكان طالعين حينئذ ليلاً ، فوصف الأخطلُ أنه سرى
الليل ، ولا يكون العيوقُ في وقتٍ أقربَ إلى الثريا منه في وقت ، ولكن
الكواكبَ إذا كبدت^٤ تقارب ما بينها في رأي العين ، ولذلك قال الآخر^٥ :

١ شروح السقط : ٣٧٢ .

٢ ديوان الأخطل : ١٩ والأنواء : ٣٦ .

٣ ط د : وصف إبلا يمت ما بين السماكين . . الخ .

٤ ب م : كبرت ؛ وكبد النجم السماء : توسطها .

٥ البيت لبشر بن أبي خازم ، ديوانه : ٦٦ والأنواء : ٣٦ .

وعانَدَتِ الثرياَ بعدَ وَهْنٍ^١ معاندةً لها العيوقُ جارُ
أي عَدَلَتْ عن الطريقين معاندةً من أجلها جاورَ العيوقُ الثريا ، ولم يُرد
أنهما اجتمعا أو تقاربا قُرْباً زالا به عن مجاريهما .
وقال أبو ذؤيب^٢ :

فَوَرَدَنَ والعيوقُ مَقْعَدَ رابِيءِ الضَّرْبَاءِ فوقَ النجمِ لا يَتَتَلَعُ
أراد أنها وردت الماءَ سَحَرًا ، والعيوقُ من النجمِ قريبٌ كقرب الرقيب
من الضارب بالقداح ، ولم يُرد أنها وردت سَحَرًا وهما طالعان ، كما
فسر بعضهم ، بل وهما مكبَدان^٣ ، وذلك عند كونِ الشمسِ في الأسد ،
وهو أشدُّ ما يكونُ من الحرِّ .
وذكرتُ بقوله : « لترى من المرأة حُسْنَ صفاتها » قولَ البحري^٤ :

إذا النجومُ تراءتْ في جوانبها ليلاً حَسِبْتَ سماءَ ركبَتِ فيها
وأخذه الصنوبريُّ فقال^٥ :

ولما تعالَى البدرُ وامتدَّ ضوءُهُ^٥ بدجلةَ في تشرينَ في الطولِ والعرضِ
وقد قابلَ البدرُ المفضضَ لونه وبعضُ نجومِ الليلِ يقفُو سَنَا بعض
توهَّمَ ذو العينِ البصيرةَ أنه يرى باطنَ الأفلاكِ من ظاهرِ الأرض
وذكرتُ أيضاً بهذا التشبيه ، ما قد أكثرَ الناسُ فيه ، من ضوءِ القمرِ

١ الديوان والأنواء : هذه .

٢ ديوان الهدليين ١ : ١٩ .

٣ د : مكبران ؛ ب م : مكدان .

٤ ديوان البحري : ٢٤١٨ .

٥ ديوان الصنوبري : ٤٨٢ .

[على الماء ؛ من ذلك] قولُ بعضهم حيثُ يقول^١ :

قام الغلامُ يُديرُها في كفهٍ فحسبتُ بدرَ التّمّ يحملُ كوكبا
والبدرُ ينجحُ للأفولِ كأنّه قد سلّ فوقَ الماءِ سيفاً مذهبا

وقال التّمّار الواسطي^٢ :

أما ترى الليلَ قد ذلتْ عساكرُهُ مهزومةٌ وجيوشُ الصبحِ في الطلبِ
والبدرُ في الأفقِ الغربيّ تحسبهُ قد مدّ جِسراً على الشطينِ من ذهبِ

وقال القاضي التنوخي^٣ : [٢٢٦ ب] .

أحسِنِ بدجلة^٤ والدجى متصوّبٌ والبدرُ في أفقِ السماءِ مُغرَبٌ
فكأنها فيه بساطٌ أزرقٌ وكأنّه فيها طرازٌ مُذهَّبٌ

وقال كشاجم^٥ :

والبدرُ فوقَ دجلةٍ والصبحُ لما يُشرقِ
مكحلة^٦ من ذهبٍ فوقَ رداءٍ أزرقِ

١ البيتان لمنصور بن كيلغ ، انظر اليتيمة ١ : ١٠٨ و غرائب التشبيهات : ٢٨ .

٢ اليتيمة ٢ : ٣٧١ .

٣ اليتيمة ٢ : ٣٤٠ .

٤ اليتيمة : لم أنس دجلة .

٥ ديوان كشاجم : ١١١ (نسخة التيمورية) .

٦ ب م س : كحلية .

رجع :

وقال ابن رباح^١ في ثريا المسجد الجامع^٢ :

تحكي الثريا الثريا في تألقها وقد لَوَّاهَا^٣ نسيمٌ وهي تنقدُ
كأنها لذوي الإيمان أفئدةٌ من التخشعِ جوفَ الليلِ ترتعدُ
وله فيها^٤ :

انظر إلى سُرُجٍ في الليلِ مشرقةٌ من الزجاجِ تراها وهي تلتهبُ
كأنها ألسنُ الحياتِ بارزةٌ عند الهجيرِ فما تنفكُ تضطربُ
. وقال :

بسرِّينا إلى الحمَّارِ عنها وقد بدا لنا في الدجى نورٌ من الحانِ ساطعُ
[فقام إلى صفِّ الدنانِ كأنها عجائزٌ من قطنٍ عليها مقانعُ]
وبتُّ بجنبِ الزقِّ أرشفُ ريقهُ كما شدَّ كفيهِ على الثديِ راضعُ
وقال في مثله^٥ :

لم أنسَ ليلاً قطعتهُ وأنا متكئٌ لاصطحابِ زقينِ

١ ط د : ابن أبي رباح .

٢ انظر نفح الطيب ٣ : ٤١٥ .

٣ النفع : عراها .

٤ ط د : وقال ؛ وانظر نفح الطيب ٣ : ٤١٦ .

٥ ط د س : بجنب .

٦ البيتان في مسالك الأبصار .

ونمتُ سكرانَ بينَ ذاكِ وذا تناوُمَ الطفلِ بينَ ثديينِ
وقال في الطائر المعروف بالمقلين^١ :

صَبَّعُوا بِرُقْرَاقِ الْعَبِيرِ جَنَاحَهُ وَيُرَى عَلَى فِيهِ أَحْمَرًا عَنْدَمِ
وَأُظِنَتْ قَدْ غَرَّهُ فِي وِرْدِهِ مَاءُ الْيَفَاعِ^٢ فَظَلَّ يَكْرَعُ فِي الدَّمِ
وقال في البلاءِجة^٣ :

وَبَعِيدَةِ الْأَوْطَانِ فِي إِقْبَالِهَا بِشْرًا بِإِقْبَالِ الزَّمَانِ الْمُقْبِلِ
نَشَرَتْ جَنَاحَ الْإِبْنُوسِ وَصَادَرَتْ بِالْعَاجِ فِيهِ وَقَهَقَتْ بِالصَّنْدَلِ
وفي الشُّعْرَ :

بَدَا نَشْرًا فَاسْوَدَّ أَفْقٌ بَدَتْ بِهِ وَقَدْ نُظِّمَتْ فِي الْجَوِّ مِنْهَا سَلُوكُهَا
[وَصَاحَتْ فَمَا أَبَقَتْ بِقَلْبِ مَسْرَّةٍ صِيَاحَ بَنَاتِ الزَّيْجِ مَاتَ مَلِكُهَا]
وفي العُقَابِ :

ان العُقَابَ لَهُ بَطْشٌ يُهَابُ بِهِ لِطَيْرِ عَنَهُ بِذَلِكَ الْبَطْشِ تَكْمِيشٌ^٤ [٢٢٧أ]
كَأَنَّهُ فِي اخْتِرَاقِ الْجَوِّ مَنْدَفَعًا إِلَى الْفَرِيسَةِ رِيحٌ ضَمَّتْهَا رِيشٌ
وفي النسر^٥ :

-
- ١ المقلين أو المقلنين : Chardonneret .
 - ٢ ط : البقاع ؛ د : البقاء .
 - ٣ البلاءِجة : Cigogne .
 - ٤ ط د س : وقال في ؛ والبيتان في المسالك .
 - ٥ ط د س : النسور ؛ وانظر نفع الطيب ٣ : ٤١٦ .

ترى النسرَ والقتلى على عدَدِ الحصى وقد مزَّقَتْ أحشاءَها والتراثبا
مُضَرَّجَةً ممسا أكلنَ كأنها عجائزُ بالحنا خَضِبْنَ ذواثبا

وفي الأجلِ :

وأجدلٍ أقلقه فرطُ القرمِ أطلقتهُ بين الكراكي والرَّخَمِ
فانتَهزَ الفرصةَ لما أن هجم فعاد للكفِّ وما شكَا ألم
يمسحُ منقاراً علاه نضحُ دم ككاتبٍ يمسحُ حبراً عن قلم

وفي الشَّحْلِ :

شفاؤك من ذنباك في خُرْمِ نحلة وفيها كما فيها لك الصَّابُ والشَّهْدُ
وزينةُ ما أبدتْ نسيجةُ دودةٍ لتعلمَ أن اللهَ في حُكْمِهِ فَرْدُ

وذكرت بقوله : إنه شفاءٌ وهو خُرْمُ نحلةٍ ونسيجةُ دودةٍ ، حديثاً يُروى عن جابر بن عبد الله قال : خرج عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وجابر بن عبد الله إلى الجبَّانة ، فتذاكرا الدنيا ، فتنفَّسَ جابر ، فقال له عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : علامَ تنفَّسُ يا جابر ؟ أعلَى الدنيا ؟ فوالله ما لذاتها إلا سَبْعٌ^١ : مأكول ومشروب وملبوس ومسموع ومشموم ومركوب ومنكوح ، فألذَّ ما أكلَ فيها ابن آدم العَسَلُ ، وهو خُرْمُ ذُبَابَةٍ ، وألذَّ ما شربَ الماء ، وهو كثيرٌ موجود ، وألذَّ ما لبسَ الحريرُ ، وهو قِيءٌ^٢ دود ، وألذَّ ما اشتمَّ^٣ المسكُ ، وهو دمُ دَابَّةٍ ، وأما مسموعها ،

١ ط د س : لذتها إلا سبع (س : سبع) .

٢ ط د : نسج .

٣ ط د : شم .

٤ ط د : مسموعاتها .

فإنهم "حاضر"، ومركوبها الخيل، وهو قبر محفور، ومنكوحها مَبَالٌ في مَبَالٍ، يريق من الجارية أحسن ما فيها، لتؤتي أفتح ما فيها.

رجع :

وقال ابن رباح^١ في وصفِ دولابٍ :

يا حُسْنِ ما نظروا من الدولابِ والغيمُ يحسُدُهُ لذي التَّسْكَابِ
تشدو فيطربنا تردُّدُ شجوها فكأنما أخذتَهُ عن زرياب
وإذا الظلامُ أتى تشوقُ صوتها فكأنما داودُ في المحرابِ

وله فيه وقد طار منه لوحٌ فوقف، وهو من أغرب ما وصف^٢ :

وذا تِ شِدو وما لها كَلِمٌ كلُّ [فِي] بِالضَمِيرِ حَيَّاهَا [٢٢٧ب]
وطار لَوْحٌ منها فأوقفتها كلمحة العينِ ثم أجراها
كأنها قَيْنَةٌ وقد قَطَعَتْ تسمعُ مَنْ قال دونها واهَا

وقال ابن رباح في القلم^٣ :

يزدادُ حسنًا في الكتابِ إذا بدا نقصٌ به فيريك^٤ كلَّ بيانِ
ان السراجِ إذا قطعتْ ذُبَالَهُ صحَّ الكمالُ له من النقصانِ

وله [فيه]^٥ :

-
- ١ ط د : ابن أبي رباح .
 - ٢ انظر نفع الطيب ٣ : ٤١٥ .
 - ٣ البيتان في مسالك الأبصار .
 - ٤ د : فيريد .
 - ٥ انظر نفع الطيب ٣ : ٤١٨ .

لا يفخر السيفُ والأفلامُ في يده
فإن يكنُ أصلُها لم يقوَ قوتُها
قد صار قطعُ سيوفِ الهندِ والقُضْبِ
« فإن في الحمرِ معنى ليس في العنب »^١
وله فيه :

جوادٌ إذا ما شقُّ في البري رأسهُ
وتمنعه أن يوضحَ الحرفَ شعرةً
وإن لم يكنْ شقُّ به فبخيلُ
كذي لثغٍ بعضَ الحروفِ يُحيلُ
وقال^٢ فيه :

حازِ البلاغةَ غائصاً في بحرِها
وكأنما عَلِمُوا بطولِ نزاعِهِ
فيريكَ من صَدَفِ الكمالِ الجوهرا
فلذلك سَمَّوا كلَّ سيفٍ أبترا
وقال فيها^٣ :

ثَقَلَتْ عَلَى الأعداءِ إلا أَنها
أخذتْ من الليلِ البهيمِ سوادَهُ
خَفَّتْ عَلَى السَّبَابِ والإبهامِ
وبدتْ تَنَمُّقُ أوجُهُ الأيَّامِ
[وقال] في الجيشِ^٤ :

يا من إذا سار والأعداءُ يومَ وغيٍّ
والجيشُ كالبحرِ لكن ماؤهُ زَرَدٌ
ترى ذؤابته محمراً العَدَبِ
والبيضُ تطفو عليه موضعَ الحَبِ
ومن شعره في وَصْفِ العيونِ والشُّغورِ [والحيلانِ] وما يناسبُ ذلك
من التَّسْيِبِ :

١ عجز بيت المتنبي ، صدره : فإن تكن تغلب الغلباء عنصرها .

٢ ط د : وله .

٣ سقط البيتان في د ط س ، وقوله « فيها » يعني الأفلام ، وانظر النفع ٣ : ٤١٨ .

٤ البيتان في مسالك الأبصار .

ترنو بعينِ خشوعٍ وهي باكيةٌ
تزيك حُكْمَ سليمانٍ إذا حكمتُ
ومن طباعِ السيوفِ القَطْعُ واللينُ
وفي اللواحظِ ما تتلَوُ الشياطينُ
وقال ١ :

للأفحوانِ أرى ٢ عليكَ ظُلامَةً
لا يحملُ التورُّ الأنيقُ تَمَسُّهُ
وجلاؤُهُ المخلوقُ فيه قد كفى
لما عَنُفُتَ ٣ عليه بالمسواكِ
كفُّ بعودِ بَشَامَةِ وأراكِ [٢٢٨أ]
من أن يُراعَ عرارهُ ٤ بسواكِ
وله :

تعلِّمُ الغصنُ ليناً من معاطفه
من كلِّ أحوارٍ يُبدي في تَبَسُّمِهِ
وأقبلَ الظبيُّ يستجديه في الغَيْدِ
تألقَ البرقِ بين الجمرِ والبرَدِ
وقال :

خيلاًنُ خدكُ ٥ رَدَّتْ
في العينِ سودٌ ولكن
صحيحَ صبري مريضاً
ما زلنَ في القلبِ بيضاً
وقال في مثله :

خدكُ امرأةٌ كلُّ حُسْنٍ
مالي أرى فوقه نجوماً
تحسنُ من حسنِها الصفاتُ
قد كُسِفَتْ وهي نيراتُ

١ انظر نفع الطيب ٣ : ٤١٦ .

٢ النفع : الأفحوان رمى .

٣ طدس : عبقت . ٤ طد : غراره .

٥ طد : وجهك .

وقال ١ :

يا حبيباً لسه الفؤادُ محلُّ
كتب الحسنُ فوقَ خدِّكُ خالاً
كيف تجفُو وأنتَ في سَوْدائِهِ
فامحى الشكلُ غيرَ نقطةٍ خائِهِ

وقال ٢ :

يا طالعَ البدرِ المنيرِ جمالهُ
أوقدتَ قلبي فارتمتُ بشرارةٍ
ألْبَسْتَنِي للحسنِ ثوبَ سماءِهِ
نزلتُ بخدِّكُ فانطفت من مائه

ومن المليح في مثله قولُ ابن المعتز :

غلالةُ <خدّه> صُبِغَتْ بوردي
ونونُ الصُّدغِ مُعْجَمَةٌ بخالِ

ولكشاجم :

فلم يزلْ خدّهُ ركناً أطوفُ به
والحالُ في خدّهِ يُغني عن الحجرِ

وله في النهود ٣ :

وكأنما النهدُ الذي هو بارزٌ
في صورةِ التفاحِ إلا أنه
من صدرها سرٌّ به قد باحا
في شكله لا يألَفُ التفاحا

وقال ٤ :

١ البيتان في مسالك الأَبصار .

٢ انظر مسالك الأَبصار أيضاً .

٣ ط د س : وقال في النهود ؛ والبيتان في المسالك .

٤ منها بيتان في المسالك .

يا صاحبي بمهجتي خُصَّانَةٌ مالت مميل الغصن في أعطافها
في الصدر منها للطعان أسنَّةٌ ما أشرعت إلا لحمي قطافها
ان أنكرت قتلي هناك ففتشاً تريا دمي قد جف في أطرافها

وقال :

أبقى الشبابُ عليه من غلائله ما أثرت فيه من لين غلائله [٢٢٨ب]
وفي ترائبه والحليُّ يحجبه نهدٌ تصوّر في قلبي حكايته

وقال :

قد نالني منك في فرط الصدود أذى وكلُّ شيءٍ إذا ما زاد ينتقصُ
إن البياضَ إذا ما جاز غايتهُ فلا محالةً فيه أنه برصُ

ويناسبُ هذا [من وجهٍ] قولَ ابن الرومي^١ :

وما يعيبُ السوادَ حُلُكَّتُهُ وقد يُعابُ البياضُ بالبَهْتِ

[وقال]^٢ :

نظر الجسود فاذراً لي [صالحاً]^٣ والفضلُ مني لا يزال مُبيناً
قُبُحَتِ صفاتي من تغيرِ ودّه صدأ المرآة يُقْبِحُ التحسينا

وقال :

تحمّلتُ أعباءَ الزمانِ ولم أكنُ لأحمّلها فيما لديّ من الوهنِ

١ انظر زهر الآداب : ٢٣٠ .

٢ نفع العليب ٣ : ٤١٨ .

٤ ب م : لديك ؛ س : لذلك من وهن .

كما حَمَلَتْ ثِقْلًا من الأرضِ نَمْلَةً^١ وما هي منه في قياسٍ ولا وزن

وقال ١ :

تصَبَّرْ وإن أبدى العدو مَذَمَّةً^٢ فمهما رَمَى ترجعْ إليه سهامُهُ
كما يفعلُ النحلُ الملمُّ بلسعةٍ يريدُ به ضرراً وفيه حماه

وقال ٢ :

صغارُ الناسِ أكثرُهُمْ فساداً وليس لهم لصالحَةٌ نهوضُ
ألم تَرَ في سباعِ الطيرِ سرّاً تُسَالِمنا^٣ ويؤذينا البعوضُ

وقال :

ابخلُ بسرِّك لا تَبْحُ يوماً به فصغيرُهُ يأتي بكلِّ عظيمٍ
أو ما ترى سرَّ الزنادِ إذا فشا يأتي وشيكاً سَقَطُهُ بجحيمٍ

وقال ٤ :

وباردِ الشَّعرِ لم يَألم بما حملاً^٤ أضرَّ منه جميعَ الناسِ واعتزلاً
كأنه الصِّلُ لا تؤذيه ريقتهُ حتى إذا جَّها في غيره قتلاً

وقال :

١ نفع الطيب ٣ : ٤١٨ .

٢ البيتان في المغرب والمسالك .

٣ ب م : سرّاً يسالمنا .

٤ نفع الطيب ٣ : ٤١٨ .

٥ ب م س : به نخجلا .

يا ملكاً تخضعُ الملوكُ له اللهُ أعلى على الملوكِ يدكُ
تعجبُ الناسُ من جوادك بالأم سِ وما في شماسه اعتمدك
أراك عند النزولِ سُنْبُكَةُ وقال^١: في عينِ [كلَّ] من حسدك
وقال :

لي صاحبٌ لا كانَ من صاحبِ فإنه في كبدي جرحه
يحكي إذا أبصرَ لي زلَّةً ذُبابةٌ تضربُ في قرحه
وقال من قصيدة^٢ :

ولني من زماني في خمولٍ دُفِنْتُ به ومن لي بالنشورِ
وقد عكست يدُ النعمى فلاحتُ مكانَ الغلِّ من عتق الأسيرِ
[وان سراي في ليلٍ بهيمٍ ولا صبحٌ يشيرُ إلى سفورِ]
فما للملكِ ليس يرى مكاني وقد كُحلتُ لواظظه بنوري
كذا المسواكُ مطرَحاً^٣ هوأنا وقد أبقى جلاءً في الثغورِ

١ ط د : وبال .

٢ منها بيتان في المغرب والنفع ٣ : ٤١٧ .

٣ ب م : تنظره .

فصل في ذكر الأديب أبي إسحاق [إبراهيم] بن معلى ١

قيدحُ البلاغةِ المعلنى ، وسيفُها المحلّى ، أحدُ من بتى منارَها ، ورفع
بالغورِ اليفاعِ نارَها ، ولم أظفرُ من كلامه لانزعاجي في تحرير هذه النسخة
إلا بلمعة كهلال ليلة ، أو ظلّ أثيثة ٢ ، وقد أوردتها بأسرها ، لأنبسه
على قدره وقدرها .

قال يرثي بعضَ أعيانِ وقتهِ بقصيدة أولها ٣ :

هل بين أضلّعنا قلوبُ جنادلِ أم خلفَ أدمعنا مُدودُ جداولِ
في كلِّ يومٍ حزنُ نجمٍ ساقطِ ما بيننا وكسوفُ بدرٍ آفلِ
سدكتُ بنا الأرزاءُ غيرَ مُغيبةِ وألحّتْ النكباتُ غيرَ غوافلِ
وعلتُ بنا الأيامُ في سطواتها فجلتْ لنا عن كامناتِ غوائلِ
وهي الليالي ليس يخفى نقصها فلذاك تطلبُ كلَّ حرٍّ كاملِ
آهاً وواهاً للمعالي لأنها رزئتُ بركنتي عرشها المتمايلِ
بدعامتي حسبٍ ونجمتي سُوددِ وحديقتي أدبٍ وبحريّ نائلِ
أخويّ صفاءٍ في المودة أجرياً في المكرماتِ إلى المدى المتناولِ

١ هو طرسوني ، نسبة إلى طرسونة إحدى مدن الثغر ، وقال فيه صاحب المسهب : شاعر ممتد

النفس شديد المرس قدير على التلويل ، اشتهر ذكره بمدح ملك الثغر المقتدر بن هود ،

وجال على بلاد الأندلس (انظر المغرب ٢ : ٤٥٧ والمسالك ١١ : ٤٥٣) .

٢ ب م : أيكة .

٣ منها بيتان في المغرب ٢ : ٤٥٧ .

[فبذا تحمّلُ كلَّ عبءٍ مُثْقَلٍ
فكأن هذا حاجبٌ في خندِفٍ
إن طال حزني يومَ ذاكِ فإني
أو سالَ صبري في الدموعِ فبعدهما]

[ومنها] :

أينَ الذي يرتاحُ بِبِشْرٍ ألقى
زفرَ الزمانُ بذاك زفرةً مُغْضَبٍ
صلّى المهيمنُ ذو الجلالِ عليكما
وتظافرتُ^٢ أيدي الغمامِ فأخْصَمَتَتْ
لأرى الرياضَ على الرياضِ وأقتدي
والحقُّ يصدَعُ مظلماتِ الباطلِ
وسطابذاك الدهرُ سطوبةً صائلِ [٢٢٩ب]
والكلُّ من ملأ^١ السماءَ الحافلِ
حُلِّلَ^٣ الربيعَ عليكما بنجمائلِ
ببكا السحابِ على السحابِ الهاطلِ

وله^٤ من أخرى يرثي :

فلا تنغرُرْكَ بهجةٌ مستحيلِ
أبا الحجاجِ لو لم يؤتَ بدِعِ
وزارك من بني الآمالِ حَقْلِ
[معدّ للطريقِ ولا كعهدِ
فقد بارتَ بضائِعُهُمْ عليهمِ
إذا ما الجمرُ عادَ إلى الرمادِ
لحجَّ الناسُ قبرَكَ في احتشادِ
يضمُّ الأرضَ من هيدٍ وهادِ
مضى أغنيتَ عن لابلٍ وزادِ
وخلّوا السوقَ مُفْرِطَةً الكسادِ

١ ب م : ملك .

٢ ط : وتضافرت .

٣ ب م : ملك .

٤ ط د س : وقال .

• ط د : هاد ؛ ب م : هند .

فسيان الركوبُ على قَتودٍ
أمتعق^١ الصعيدِ وكان يغدو
أرى لُبْسَ الخِدادِ عليك ممّا
فكم أوردتهنَّ على وريدٍ
فإن تبعدُ فما بعدتُ صفاتٍ
وأينَ قيرَى مسائكٍ في الموالي
وأينَ نَدَاكَ يهتفُ كلَّ حينٍ
وأينَ بياضُ بيشركٍ وهو يجلو
وأينك في عرائكك اللواتي
إذا ما زرتُ قبرك رُضتُ نفسي
فأمكثُ لا يطاوعني لساني
أحاذرُ أن يفوه به فأقضي^٢
وكيف يكونُ عهدي منك هذا
وأعجبُ كيف يقنعُ فيك قومٌ
وكان^٣ يقلُّ لو نحرّوا المطايا
وحلَّ^٤ الكلُّ يومَ حللتَ عهداً
فيا لَهفي عليك ولهفَ غيري
ولما لم أنلُ أُملي وعاقبتُ
سعيته^٥ بأن أقيمَ مقامَ نفسي

لعافٍ والمبيتُ على قَتَادِ
عليه وهو معتقلُ الصُّعَادِ
يشقُّ على المهنتةِ الخِدادِ
وكم أهديتهنَّ إلى الهوادي
قرينَ لما دحيتُ على البعادِ
وأين قرى صباحك في الأعادي
بِبُغْيَةِ مجتدٍ ورضاءِ شادِ
دجى التكبّاتِ حالكةِ السوادِ
ألنَّ عرائكَ النَّوبِ الشدادِ
لأستسقي به سبيلَ الغوادي
بذاك ولا يساعدي فوادي
بأن ربي حللتَ بهنَّ صادِ
وأحملُ مينةً بك للعهدِ
بجدِّ في بكائك واجتهادِ
عليك وبادروا عقرَ الجيادِ [٢٣٠ أ]
فقسامك الترابَ إلى التنادِ
ولهفَ المعجدي والحسبِ التلادِ
عوائقُ دونَ سُؤلي واعتقادي
أزاهرَ روضةِ الأدبِ المعادِ

٢ ط د س : فيقضي .

١ ط د س : أمتعقل .

٣ ط د : فكان .

٤ ب م : وحال .

٥ ط د : بعثت .

فجاءتكم تمُّ ببعض وُدِّي وتعبتُ عن صفائي واعتدادي^١
[وإن لم ترضَ منتقداً بحالي تبيِّنَ وجهُ عذري في انتقاد]
ضلوعُ^٢ مسا يفارقها الثهابُ وجفنُ^٣ مسا يمتنع بالرقاد
وسُقْمُ^٤ يستزيدُ لنقصِ جسمي فقد وقع انتقاصي في ازدياد

قوله : « وأحملُ منةً بك للعهاد » كقول ابن المعتز^٥ :

وحاشاهُ من قولي سقى الغيثُ قبره يداهُ يروى قبرهُ من نداهما
وأخذه من قول أبي تمام^٦ :

سقى الغيثُ غيثاً وارتِ الأرضُ شخصه^٧ وإن لم يكن فيه سحابٌ ولا قطرُ
وكيف احتمالي للسحابِ صنيعه^٨ باسقاؤها قبراً وفي لدهِ البحر

وقال ابن المعتز^٩ :

لم تمتْ أنتِ إنما ماتَ مَنْ لم يبقِ للمجدِ والمكارمِ ذكرا
لستُ مستسقياً لقبرِكَ غيثاً كيف يظما وقد تضمَّنَ بحرا

وبيته الأول من هذين ، من قول حبيب أيضاً^{١٠} :

ألم تمتْ يا سليلَ المجدِ من زمنٍ فقال لي لم يمّت من لم يمّت كرمه^{١١}

- ١ د : والوداد ، وفي موضعها بياض في ط ؛ س : واعتقادي .
- ٢ ديوان ابن المعتز ٤ : ١٧٤ وروايته « تسقي قبره » ؛ وزهر الآداب : ٦٦٦ .
- ٣ ديوان أبي تمام ٤ : ٨٤ .
- ٤ ديوان ابن المعتز ٤ : ١٤٨ في رثاء عبيد الله بن سليمان ؛ وزهر الآداب : ٦٦٦ .
- ٥ ديوان أبي تمام ٤ : ١٣٧ .
- ٦ الديوان : يا شقيق النفس .

وقال عبد السلام بن رَغَبَان ١ :

سقى الغيثُ أرضاً ضُمَّنتكَ وساحةً لقبرك فيها الغيثُ والليثُ والبدرُ
وما هيَ أهلٌ إذ أصابتك بالبلى لسقيا ولكن من حوى ذلك القبر

أخذ [هذا] البيتَ الأوَّلَ الراضي فقال يرثي أباه المقتدر :

بنفسي ثرى ضاجعتَ في ساحةِ البلى لقد ضمَّ منك الغيثُ والليثُ والبدرُ
فلو أنَّ عُمري كان طوعَ مشيقي وأسعدني المقدورُ قاسمتك العمرُ [٢٣٠ ب]
ولو أنَّ حياً كان قبراً لميت لصيرتُ أحشائي لأعظمِهِ قبرا

وينظر في هذا المعنى إلى قول المتنبي ٣ :

حتى أتوا جَدثاً كأنَّ ضَرِيحَهُ في قلبِ كلِّ موحدٍ محفورُ

وقال ابن معلّى يرثي من قصيدة أخرى ٤ :

رزهٗ بكتَ منه العُلا ومُصابُ شَمَّتْ عليه جيوبها الأحسابُ
أعيا مرَّامُ الصبرِ يومَ حلولِهِ نفسي وسُدَّتْ دونهُ الأبوابُ
وظفقتُ ألتمسُ العزاءَ فخانني نَفْسٌ تَدوبُ وأدمعُ تنسابُ
وتلججَ الناعي [به] فسألتهُ عَوْدَ الحديثِ لعلَّه يرتابُ
أنفسي ٥ ويوجبُ أن يقولَ حقيقةً فعلَ الشفيقِ ، فغُلبَ الإيجابُ

١ ديوانه : ١٧١ نقلا عن زهر الآداب : ٦٦٧ .

٢ ب : نوى ؛ م : سوى .

٣ ديوان المتنبي : ٦٥ .

٤ ب م : ومن قصيدة له أخرى يرثي .

٥ ط د : أبقي .

تَرَبَّتْ يَدَاهُ مَدَى الْحَيَاةِ بِمَنْ أَنْعَى
[فلكم حماءه على المكارم ان نَبَا
يا عامرٌ لم يَبْتَقَ بعدك عامرٌ
أنعى إلى الإعرابِ منك مُعَيِّدَةٌ ٢
وإلى لبابِ الفهمِ فهمتكَ إنه
وإلى السيادةِ والصِّبَا فلكم أتت
ولكم نزعَتِ بسهمِ فكري صائبِ
كم أعدلُ الأيامُ فيكَ بما جَنَّتِ
وأعَاتِبُ الزمَنَ الخَوُونََ فينقضِي
ذبتُ بروضِ المجدِ بعدك دَوْحَةٌ
ناحتُ بك الأَقلامُ غَايَةً وَسَعَهَا
وتقطعتُ نَفْسُ الكِتَابَةِ حَسْرَةً
لا يُبَلِّلُ مَهْجَتِكَ الترابُ وَأَنَسْتُ
وسقى ضريحكَ بعد أخذِ عهوده
وغدا عليك الروضُ وهوَ كَأَنَّمَا
وإذا تنفستِ ° الرياحُ بِكَلِيلَةٍ
يا أيها الشبلُ المَعْفَرُ بعدما
أرثي لِيَيْثُكَ إِنَّهُ بِكَ مَضْمِرٌ
ولو استطعتُ جعلتُ موضعَ قلبه

وغدتُ بفيه جنادلٌ وتراب
وطنٌ بذي أملٍ وضاقَ جَنَابُ [
لمنازلِ العلياءِ فهيَ خراب
غَضَبًا كما نطقتُ به الأعراب
كانت تُقِرُّ بفهمك الألباب
تدعو نَهَاكَ عن الصِّبَا فتجابه
يُرْمَى الزمانُ بمثله فيصاب
لو كان للأَيَّامِ عنكَ ٣ متاب
كلُّ العتابِ ولم يكنْ . إعتاب
وخبا بأفُقِ العلمِ منك شهاب
وبكتُ بأبلغِ جُهْدِهَا الآداب
وأسىَّ عليكِ وأسعدتِ الكتاب
فيه ثراكُ؛ كواكبُ أتراب
ألا يُغَيِّبُ مُجَلِّجُلُ سَكَّاب
نُشِرَتْ بِهِ مِنْ سُنْدُسِ أَثْوَابِ [٢٣١أ]
فعليكِ منها جِيئةٌ وذهاب
حُمَيِّ العرينُ بسه وعزَّ الغاب
حُرْقًا لها بضلوعِهِ إلهاب
قلبي فيبقى سالمًا وأذاب

١ ب م : لقد .

٢ س : بديعه .

٣ ط د س : عنه .

٤ ط د س : فيه (منه) شذالك .

٥ ط د : تنافست .

ولنُبْتُ عنه إذا بكاكَ بأدمعِ فلکمُ له في ما أريدُ مَناب
وهذا كقول عليّ بنِ بسامِ البغدادي يرثي عليّ بنَ يحيى بن منصور
المنجم ، مما أنشده أبو اسحاق الحصري^١ :

قد زرتُ قبرك يا عليّ مُسَلِّمًا ولكَ الزيارةُ من أقلِّ الواجبِ
ولو استطعتُ حملتُ عنك ترابَهُ فلطالما عنّي حملتَ نوائبي

قال الحصري : وقد أنشدني^٢ هذين البيتين أبو بكر بن محمد بن القاسم
الأنباري ، قال : أنشدني علي بن سليمان لنفسه ، فأشدهما وزاد :

ودمي فلو أني علمتُ بأنه يروي ثراكَ سقاه صوبُ الصائبِ
لسفكتُهُ أسفًا عليكَ وحسرةً وجعلتُ ذاكَ مكانَ دمعِ ساكبِ
ولئن ذهبتَ بملءِ قبركِ سُوددًا فجميعُ^٣ ما أوليتَ ليس بذهابِ

وقوله : « وسقى ضريحك بعد أخذِ عهوده » . . . البيت ، من قول
طرفة^٤ :

وسقى طولكِ - غيرَ مفسدِها - صوبُ الربيعِ وديمةُ تهنمي
وقد تُتَّبِعَ هذا المعنى على ذي الرمة في قوله^٥ :

ألا يا اسلمي يا دارَ مِيٍّ على البلى ولا زال منهلاًً بجرعائكِ القطرُ

١ ط د س : وهذا كقول ابن بسام في ابن المنجم من أناشيد الحصري ؛ انظر زهر الآداب : ٦٧١ .

٢ ط د س : أنشد .

٣ ط د : فجميل .

٤ ديوان طرفة : ٩٣ من قصيدة يمدح فيها قتادة بن سلمة .

٥ ديوان ذي الرمة : ٢٩٠ .

لأن في مداومة الانهلال تعفية الرسوم ومحو الآيات ؛ على أنه قد احتس من الاعتراض احتراساً قدمه في صدر البيت وهو قوله : « اسلمي » ، فدعا لها بالسلامة على تعاقب الأحوال الموجبة بلى الديار ، واندراس الآثار ؛ وبيت طرفة أسلم. والذي فتق للشعراء هذا الفن^١ فافتنوا فيه وجاءوا بالاحتراس وغيره امرؤ القيس^٢ بقوله^٣ :

إذا ركبوا الخيلَ واستلأموا تحرقتِ الأرضُ واليومُ قرٌّ [٢٣١ب]
فقوله : « واليوم قر » تتميمٌ للمعنى ومبالغةٌ في اللفظ ، وقال [الآخر] :
إذا اللهُ أسقى دمتينِ ببقعةٍ من الأرض سقياً رحمةٍ فسقاها
وقال أبو الطيب^٤ :

صلى الإلهُ عليكَ غيرَ مودعٍ وسقى ثرى أبويك صوبُ غمامٍ
ومن هذه المبالغةِ في التتميمِ أيضاً قولُ امرئ القيس^٥ :
كانَّ عيونَ الوحشِ حولَ خبائنا وأرحلينا الجيزعُ الذي لم يثقبِ
فتناوله زهير فقال^٦ :

كان فتاتَ العهنِ في كلِّ منزلٍ نزلن به حبُّ الفنا لم يُحطِّمِ

١ ط د : الفتق .

٢ ط د : الملك الضليل .

٣ ديوان امرئ القيس : ١٥٤ .

٤ ديوان المتنبي : ٤١١ .

٥ ديوان امرئ القيس : ٥٣ .

٦ شرح ديوان زهير : ١٢ .

ويسمى أصحابُ البديع ما كان مخصوصاً من هذا النوع بالقافية : « الإيغال »
[والتتبع] وما كان في أضعافِ البيت : « المبالغة » و « التتميم »^١ ؛ ومن
المبالغة قوله^٢ :

من القاصراتِ الطَّرْفِ لو دبَّ محولٌ^٣ من الذرِّ فوق الإتبِ منها لأثرا
وأخذه حسنٌ فقال^٤ :

لو يدبُّ الحوليُّ من وُلدِ الذرِّ عليها لأندبتهُ الكلامُ

فقصر حسنٌ عنه لأن امرأ القيس قال : « فوق الإتب » وهو ثوب ، وأيضاً
فإن في بيته معنىً متقدماً وهو قوله : « من القاصراتِ الطَّرْفِ » يريد أنها
غير متطلعة إلى غير زوجها ، وقيل : تقصرُ الطرفَ ألا يجاوزها إلى غيرها ،
كما قال أبو الطيب المتنبي^٥ :

وخصرٍ تثبتُ الأبصارُ فيه كأنَّ عليه من حدقٍ نطاقاً

وأصلُ هذا المعنى من قولِ امرئ القيس :

* بمنجردٍ قيسدِ الأوابدِ هيئكلٍ ° *

ففرعه الناس فقالوا : قيسدُ العيون وقيسدُ النواظرِ ، فأخفاه أبو الطيب
وملأه^٦ ، والذي نبهه على الزيادة فيه بشار بقوله^٦ :

١ انظر نقد الشعر لقدماء ، ٧٥ ، ٩٧ في التتميم والايغال .

٢ هو امرؤ القيس ، ديوانه : ١٠٣ (ط . هندية) والصناعتين : ٣٦٠ .

٣ ديوان حسان : ٤٠ .

٤ ديوان المتنبي : ٢٧٩ .

٥ صدره : وقد أغتدي والطير في وكناتها .

٦ ديوان بشار : ١٤٢ (جمع العلوي) .

ومكثلاتٍ بالعيونِ طرفني ورَجَعَنَ مُلْسًا

وأخذه السريُّ فقال ١ :

أحاطتُ عيونُ العاشقينَ بخصره فهنَّ له دونَ النطاقِ نطاقُ
وتناول ابنُ المعتز ما تناول حسَّان فقال [٢٣٢ أ] [وتجاوز الحد] :
أنَّ فلو مرَّت به ذرَّةٌ في رِجلها نعلٌ من الوردِ
لمزقتُ ديباجتي خده من غير أن جالت على الخدِّ
وقول ابن المعلني : « وتلجج الناعي به » . . . البيت ، من قول المتنبي ،
وقد تقدم إنشاده ٢ :

طوى الجزيرة حتى جاءني خبَرٌ فزعتُ فيه بآمالي إلى الكذبِ
حتى إذا لم يدع لي صدقه أُملاً شرقتُ بالدمع حتى كاد يشرق بي

وأخذه أبو الحسين ابن الجدد فقال من شعري قد تقدم أيضاً إنشاده في القسم
الثاني من هذا المجموع :

تصاممتُ عنها مستريحاً إلى المنى وقلتُ عساها في الأحاديثِ بُهتانُ

رجع :

وأشدتُ له يصفُ خروجَ أهلِ بلنسيةَ لحربِ العدوِّ في غير ثيابِ الحربِ ،

١ ديوان السري : ١٦٧ .

٢ ط د س : إنشاد هذا المعنى ؛ وانظر ديوان المتنبي : ٤٢٣ .

وهزيمتهم [بموضع يُعرَفُ ببطرنة]^١ :

لبسوا الحديد إلى الوغى ولبستمُ حُللَ الحريرِ عليكمُ ألوانا
ما كان أقبحهمُ وأحسنكمُ بها لو لم يكنُ ببطرنةٍ ما كانا

قال أبو الحسن : وذكرتُ بما وصفه عن أهل بلنسية^٢ من خروجهم
لقتال^٣ عدوهم في ثياب الحرير ، زينتهمُ ، ما حكاها أبو مروان بن حيان
في فصل من تاريخه الكبير ، في صفة أهل طليطلة ، وقد خرجوا لعدوهم
على تلك الهيئة ، فانهزموا وقتلوا :

قال ابن حيان : فلم يرُعِ الأسماعَ إلا ورودُ الخبرِ بما صكَّها من
توريطِ المسلمين في جحيم ذلك المأزقِ ؛ ومما وقع [من] التعجبِ منهمُ
أنه أخذَ من البياضِ المقتولين من أهل طليطلة في تلك الوقعة ألفُ غفارة
من لبوسِ أهلِ الرفاهيةِ أيامَ المباهاة ، ركبوا بها إلى الطاغيةِ - قصصه
الله - كأنهم وقد سلَّمِ يشهدون المعاقدة ، فيا للرجالِ لحلومِ قومِ
سُكَّانِ بغيرِ مخوفٍ ، أبناءِ قتلتى وسلالةِ أسرى ، فلما خلوا من
هبيعةٍ ، عدموا الراعي العنوفَ منذ حقبٍ ، فنبذوا السلاحَ وكلَّفُوا
بالترقيحِ ونافسوا في النَّسبِ ، وعطَّلوا الجهادَ ، وقعدوا فوقَ الأرائكِ
مقعدَ الجبابرةِ المتفانين^٤ ، من أهلِ مَوسَطَةِ الأندلسِ ، ينتظرونَ من
ينبعثُ من أهلها للقتالِ عنهم حِسبةً ، ولا يرْفِدُونَ المختلَّ ممَّنْ

١ انظر نفع العليبي ١ : ١٨١ ، وبطرنة قرية من عمل بلنسية .

٢ ط د س : وصفه عنهم .

٣ ط د س : ل حرب .

٤ د : المتفانين ؛ ط : المتفايتين .

رابطاً إليهم بعليّهِ ، فتباً لهم تباً ! ! فتضعض^١ ا ثَغْرُهُمْ بتوالي هذه
النكبات ، ولحقت المسلمين بهم مضايقٌ يكربُ سماعُها ، حتى عمّ تلك
[٢٣٢ ب] الثغورَ الجلاءُ ، وتوزّعَ المسلمين البلاءُ ، وخربت ديارُهُمْ ،
وبادت آثارهم .

وذكرت [أيضاً] بهذه الحكاية ما حكاه الفرزدقُ عن نفسه قال :
كنتُ أخرجُ أنا وجرير كلَّ يومٍ إلى المناقضةِ بالمربد ، ويحضرنا وجوهُ أهلِ
البصرة ، وكنتُ أرسلُ كلَّ غداةٍ إلى جرير عينا^٢ ، فإذا لبسَ زياً لبستُ
أحسنَ منه أو مثلهُ ، أباهيه بذلك ، فجاءني عيني^٣ عليه يوماً فأخبرني
أنه في حلّةٍ فاخرةٍ وزيٍّ من الرفاهية ، وأنه على قتلوصٍ في مرّكبٍ
نبيلٍ ورّحلٍ ظاهرٍ ، فسرتُ في مثلِ ذلكِ الزيّ ، وانتهيت إلى المربدِ فلم
أجدهُ ، فلم يرُعني إلاّ انقضاضُ فارسٍ قد اعتقل قناةً خطيّةً وظاهر
بين درعين ، وتقمّع بالحديد ، فلم يظهر إلاّ عينهُ ، وجاء حتى ركزَ
قناته إلى جنبي ، وأنا أشبهُ شيءٍ بالهديّ تُزفُّ إلى بعلاها ، فإذا جريرُ
رافعٌ عقيرتهُ يُنشدُ :

أعيدوا معَ الحلّي الملابَ فإنما جريرٌ لكم بعلٌ وأنتمُ حلالتهُ

فانصرف الناسُ بذلك البيت ، وانصرفتُ أخزى مُنصرَف .
وقولُ ابنِ المعلّي : « لو لم يكن ببطرنةٍ ما كانا » . . . البيت ، يسمي
بعضُ أهلِ النقدِ هذا النوعَ من البديع « الإيماء » ، وهو عند بعضهم من
أقسامِ الاشارة ، وهي من غرائبِ الشعرِ ومُلتحِه ، ويدلّ على بُعدِ المرعى ،

١ ط د س : قد تضعض .

٢ ط د : عبداً .

٣ د : فجاءني من أرسلته ، وفي ط بياض .

وليس يأتي بها^١ إلاّ الشاعرُ المبرّزُ الماهر ، وهي في كل نوعٍ من الكلام
لمحةٌ دالةٌ واختصارٌ وتلويحٌ ؛ قال أبو علي بن رشيقي في كتاب « العمدة »
له^٢ : فمن الإيماءِ المليحِ للمتقدمين قولُ قيسِ بن ذَرِيحِ :

أقول إذا نفسي من الوجدِ أصدتْ لها زفرةٌ تعادني هي مساها
ومثله قولُ كُثَيِّرٍ^٣ :

تجافيت عني حين لا لي حيلةٌ وخلفت ما خلفت بين الجوانحِ
فقوله : « وخلفت ما خلفت إيماءٌ مليحٌ .
ومن أنواع الإشارة : « التلويح » كقول المجنون^٤ :

لقد كنتُ أعلو حُبَّ ليلي فلم يزل بي النقضُ والإبرامُ حتى علانيا
فلوَّح بالصحة والكتمان ، ثم بالسقم والاشتهار تلويحاً عجيباً ؛ وإياه عنى
المتنبي^٥ بعد أن قلبه ظهراً لبطن فقال^٦ :

كتمتُ حَبْلِكَ حتى مِنْكَ تَكْرِمَةٌ ثم استوى فيكِ إسراري وإعلاني
لأنه زاد حتى فاضَّ عن جسدي فصار سقمي به في جسمِ كتمانِي [١٢٣٣]
فأخفاه وعقده كما تراه ، حتى صار أحجيةً يتحاجها^٧ الناس ؛ ومن أجود

١ ط د س : بهذا .

٢ انظر العمدة ١ : ٢٠٧ .

٣ ديوان كثير : ٥٢٦ ، وينسب أيضاً لغيره .

٤ ديوان المجنون : ٣٠٠ .

٥ ط د س : وإليه ذهب بقوله أبو الطيب .

٦ ديوان المتنبي : ٥٢ . ٧ ب م : يتلافاها .

ما وقع في هذا المعنى قولُ النابغة في طول الليل^١ :

تقاعسَ حتى قلتُ ليس بمنقضٍ وليس الذي يرعى النجومَ بأيبِ

والذي يرعى النجوم هنا هو الصبح ، أقامه مقامَ الراعي الذي يغدو فيذهبُ بالإبلِ والماشيةِ ، فيكونُ حينئذٍ تلويحُهُ هذا عجباً في الجَوْدَةِ . وزعم بعض أهلِ النظر أن الذي يرعى النجوم هنا إنما هو الشاعر الذي شكى السهرَ وطولَ الليل ، وليس هذا الزعمُ الذي فهم^٢ ؛ وقد ذكر أن الآيب لا يكون إلاً بالليلِ خاصة ، ذكر ذلك عبد الكريم بن إبراهيم .

ومن أنواع الإشارة « التفضيم » كقولِ كَعْبِ الغنوي^٣ :

أخي ما أخي لا فاحشٌ عندَ بيتهِ ولا ورِعٌ عندَ اللقاءِ هيوبٌ

ومن أنواعها « التعريضُ » والرمزُ والغزُ « واشتقاقه من لغز اليربوع ، إذا حَفَرَ مستقيماً ثم أخذ يمتدُّ ويسرة ، ليورِي [ويعمِّي] على طالبه ، و [منه] قول امرئ القيس^٤ ، وبعضهم يُسمِّيهِ : « التتبيع » .

ويُضْحِي فتيتُ المسكِ فوقَ فراشها نؤومُ الضحى لم تتطيق عن تفضُّلِ

يعني أنها مخدومةٌ مكفية المؤونة ، فأتى في هذا البيت بثلاثِ إشارات كلها تتببع ، ترك الصفةَ فأتى بما يتبعها ؛ وبعضهم يسمِّي هذا النوعَ « الارداف » . ومما جاء من الإشارة على معنى التشبيه قول الراجز يصف لبناً ممذوقاً :

١ ديوان النابغة : ٥٥ .

٢ ط د س : وليس هذا الوجه بشيء .

٣ الأصمعيات : ٩٧ .

٤ ديوان امرئ القيس : ١٧ .

جاءوا بمدق^١ هل رأيت الذئب قط

فأشار إلى تشبيه لونه ، لأن الماء إذا غلَّسَ عليه صار كلونِ الذئبِ انتهى كلامُ ابنِ رشيقي .

قال أبو الحسن : واستقصاء هذه الألقاب^٢ في كلِّ باب ، مما يضحِّم حجمَ الكتاب ، وقد تفرَّقَ من أنواعِ البديع ، في أثناء هذا المجموع^٣ ، ما فيه كفاية ، ويُرَبِّي على النهاية^٤ .

إيجاز الخبر عن وقعة بطرنة التي ذكر

قال أبو الحسن : قد جهَّدتُ أن أجِدَ هذا الخبرَ في ما وقَّعَ إليَّ من كتابِ أبي مروان^٥ ، فأولَّيته حُكْمَهُ ، وأَعْتَمَدُ فيه وصفه الرائقَ ونظمه ، فأعياني مَرَامُهُ ، وغَرَّبَ عني سَوَامُهُ ، وأنا أثبتُهُ^٦ ، حسبما التقطته ، من فم من شهِدَ ذلك ، وحدثتُ عما [جرى] هنالك [٢٣٣ ب] ممن لا يُحسِنُ الوصفَ ، ولا يجيدُ الرِّصْفَ ، بيدَ أني أتجرى الصوابَ ، وأتبعُ الصريحَ اللباب :

حدثني غيرُ واحدٍ من أهلِ بلنسية^٧ قال : دلفتُ [إلى] بلنسية

١ ط د : بضح ؛ س : بضح .

٢ ط د س : واستقصاء ما يمرض .

٣ ط د س : وقد تفرق في تضاعيف هذا التصنيف من ذلك .

٤ ط د س : الغاية .

٥ ط د س : قال ابن بسام لم يقع لي هذا الخبر في كتاب ابن حبان .

٦ ط د س : فإذا أعياني . . . فانا أصفه .

٧ أورد ابن عذاري وصف المعركة (٣ : ٢٥٢ - ٢٥٣) اعتماداً على ما ذكره ابن بسام .

[سنة خمس وخمسين] قطعة من الافرنجة ، كدّين آفاق هذه الجزيرة
المرّوع — كان سرّ بها ، الذلول بتناصر غوغائيا ، وتخاذل أمرائها ،
[يومئذ] صعّبها ، من طواغيت الروم المحيطين بجهاتها ، أبناء المخترجين
من جنّاتها ، الموتورين بأيدي المسلمين حُماتها ، أيام رسوخ أقدامهم
في عرصاتنا ، واجتماع كلمتهم على الذبّ عن حوزاتها ، فسَمّوا إليها
لأول إطباق الفتنة ، واشتمال [تلك] المحنة ، مُضمّنين لأحكامهم
المفسوخة ، مقارعين عن ملتهم المحوّة المنسوخة ، مغتَمين^٢ للفترة ،
متنسّمين لروح الكثرة ، فسأل منها يومئذ بيلنسية سَيْلٌ عَرَمٌ عَفَى على
ما [كان] بها من بهجة ورونق ، ومزق أهلها بأطراف الرياح وظنبا الصّفاح
كلّ مزق . قال المحدث : فأناخت تلك القطعة يومئذ بيلنسية سنة
ست وخمسين وأربعمائة ، وأهلها : جاهلٌ غرّ أو مترفٌ مغتَرٌّ ،
أو غفلٌ لا خيرَ ولا شرّ . قد خَسّوا بشهواتهم ، وانخدعوا بإغضاء^٣ الدهر
عن غرّاتهم ، لا عهد لهم [يومئذ] بصريح إلاّ من كاس شمول ، أو
لحظات أعين^٤ كحيل ، ولا بعان كنيع^٥ إلاّ لعتاب خليل ، أو إعراض
حبيب ووصول ، مغفلين للتدبير ، غافلين عما يتّعاور أطرافهم من الخدْف
والتغيير ، فطار بهم الدُّعْرُ^٦ كلّ مطار ، وسارت عن زعمائهم في استقبال
محتنتهم تلك أعجب أخبار ، ثم كأيدهم العدو بإظهار^٧ الاضطراب ، والاستتار

- ١ ط د : بتنازع .
٢ ط د : مشتغلين .
٣ البيان : باغفاء .
٤ ط د : أغر .
٥ العاني الكنيع : الأسير المتقبض في قده ؛ ومنه قول متمم « وعان ثوى في القدّ حتى
تكنما » .
٦ د : العدو ؛ وفي ط : بياض .
٧ ط د : باضممار .

عن عيونهم ببعض تلك الهضاب ، استدرجاً لهم واستطراداً ، وجيداً في طلب مكروههم واجتهاداً ، فهاج رعاؤهم ، ونادى بالنفير مهنتهم وصناعتهم ، حتى بلغني أن مخنثين من مخنثيها تناديا إلى الخروج ، وقد حلما بسبي العلوج ، فهما يتنازعا المني ، ويقولان نحن أعلم بفعلات القنا ، وهيهات ! تلك أقصف للظهور ، وهذه أشقى لبعض الصدور ، وخرجا ولا سلاح إلا رشاء تجاذباه ، ثم اصطلحا بعد فقسماه ، لا يستريان بضيق المنهاج ، ولا يشكان في اقتياد الأعلاج ، وساعد أولئك الرعاع الحائنين^١ أميرهم [يومئذ] المترف^٢ عبد العزيز بن أبي عامر - المتقدم الذكر - فخرج بالعين والنفير ، والجم الغفير ، بحسب الطعن كالتقبيل ، ولم يكن من محبين ، ويطن^٣ السيوف كالقفل ، ولم يتعقب على مشتهين^٤ ، ويتخيل صليل الحسام ، بين القصر والهام ، ما كان اتسع له ذرعه ، ومرن عليه سمعه ، من [٢٣٤ أ] نغم الأوتار ، وترنم الأطيوار ، فلم يرع العدو يومئذ إلا خروج أهل بلنسية الأغمار الأغفال ، إلى تلك المصارع والآجال :

يمشون^٥ مشي^٦ قطا البطاح تأوداً هيف الحصور^٧ رواجح الأكفال^٨

فظفر [العدو] منهم يومئذ بغنيمة أحلى من السرور ، وأبرد من النسيم على كبد المخمور ، أتاها من ظهورهم ، فحكمت السيف في جمهورهم ،

١ ط ب د س م : الحائنين .

٢ ط : المزف .

٣ ط د : مشبهين ؛ ب م : مشبهين .

٤ ط د س : يمشين (وهي الرواية الأصلية) .

٥ ط د : البطون .

٦ البيت للكميت في الأغاني ٨ : ٢٢٧ والحيوان ٥ : ٢١٧ وديوانه ٢ : ٥٣ .

فلم يبقَ إلاّ من أحرزه أجلكهُ ، وخفيَ على [سهم] المنية مقتله .
حدثني^١ من رأى ابنَ أبي عامر يومئذ متحصّناً بربوةٍ بين لمةٍ من
فرسانه ، يُنشدُ وقد عقد الرعب^٢ عَدَبَةَ لسانه :

خليلي ليس الرأيُ في صدرٍ واحدٍ أشيرا عليّ اليومَ ما تريانِ
فنجنا منها منجى أبي نصر ، بعد أن أعطى على القسر^٣ ، ولم يحفل بما
أحاط به من أصحابه المغترّين به من قتلٍ وأسر .

في ذكر الأديب أبي عامر بن الأصيلي واجتلاب جملة من شعره^٥

وكان أبو عامرٍ جوابةَ آفاقٍ ، وناظماً وناثراً باتّفاقٍ ، وله بيتٌ شرف ،
وسابقةٌ سآف ، وقد أثبتُ بعضَ ما وقع إليّ من شعره ، على معرفتي
بقدره ، لنباهةِ سلفهٍ واشتহারِ ذكره .

فصل له من رقعة : أنت - أعزك الله - أشدُّ استِثباتاً ، وأكرمُ
التفاتاً ، من أن تتأملَ ما ينقلُهُ الواشون ، وتتبعَ بهِ واجسك سوءَ الظنون ،
فتهيئنَ بهِرجَ قولٍ لم يُعرهُ الحقُّ نورَه^٦ ، ولا الصدقُ ظهوره . والوزيرُ

١ ط د س : أخبرني . ٢ ط د س والبيان : الذعر .

٣ ط د س : قسر .

٤ ط د س : يحفظ ما .

٥ انظر ترجمته في المغرب ٢ : ٤٤٤ والمسالك ١١ : ٤٥٣ والحريدة ٢ : ٣٠٨ (ط .
تونس) والنقل فيها عن ابن بشرون .

٦ ورد في ب م بعد هذا : « وكان الوزير الفقيه أبو عبد الله بن إبراهيم سويداء قلب ذلك
الاقليم . . . من شدة » وستأتي بعد ص : ٨٦٥ - ٨٦٦ ولهذا أسقطتها من هذا الموضع .

أبو القاسم بن صارم ، ظالمٌ لي وإن كان غيرَ ظالمٍ ، [٢٣٤ ب] فإنه
نَقَصَ فاضلاً ، وقطعَ واصلاً ، وتَمَيَّعَ يسيراً ، وعظَّمَ حَقيراً ، تَقَمَّنَا
لمسرةٍ ولدٍ له مدللٍ يحسبُ أن كسرى من أعوانِهِ ، وأن هاروتَ ينفثُ
عن لسانه ، [يتعاطى ما لا يُحسِنُ ، ويحقرُ ويمتهنُ ، فيورطُ أباه في
بحورِ السبابِ ، ويبیحُ عِرْضَهُ لِلسنةِ الشعراءِ والكتّابِ] وجرى عليٌّ بجهتكِ ،
التي أَلَمْتُ بها من أجلكِ ، وتسترُ [فيها بظلكِ ، تطاولُ لم تقبَلِهِ
طباعي ، ولا استقرتُ عليه أضلاعي ، إذ لم أعهدُ مثله] في سائرِ البلادِ ،
ولا مُنيتُ بشكليهِ في حاضرٍ ولا بادٍ ، وذلك أن الوزيرَ الأعلى أبا عامرٍ ،
القائدَ الشجاعَ الشاعرَ - أنهضَ الله همتهُ ، وضمَّخَ بمسكِ الثناءِ لمتتهُ^٢ -
أراد أن يُدخلني تحت قدمه ، ويعدني من خولهِ وحشَمه ، وتوهم أنه
يستطيع بعزته عليٌّ ، ويستميلُ بكثرةِ دراهمه من لديّ ، فأدركني لذلك إباءً^٣
أوقع الوحشةَ بيني وبين أبيه ، ونقلني عن حُسْنِ ظنيّ فيه ، فلم يُمهني
غايته غيرَ ثلاثٍ ، حتى تسببَ إليّ بأسبابِ رثاثٍ ، كانت سبباً لانزعاجي
دون تسليمٍ ولا توديعٍ ، وفراري فرارَ الخائفِ المروعِ .

١ ط س د : عند .

٢ وذلك أن الوزير . . . لمتته : لم ترد في د ط س ، وورد في موضعها « وذلك أنه أراد أن
يدخلني » ، والسياق في ب م مخالف لطبيعة الرسالة إلا إذا حمل محمل التهكم .

٣ ط د : ما .

٤ د ط : بيته .

جملة من شعره في أوصاف شتى

قال يتذكّر وطنهُ بسرقسطةٍ ويضمّن^١ بيتين من إنشاد الثعالبي
لبعض أهل عصره^٢ :

على سرقسطةٍ أبكي دماً وأموأهيا العذبة المحيية^٥
وقومٍ كرامٍ فواحسةً على الجمعٍ منهم أو الثنية
وأصيحتُ في بلدةٍ أهلها سباعٌ لأهلٍ النهى مؤذيه
كانَ بلنسيةً زينت لشاطبةٍ فاحتفت^٣ مُرسيةً
تعوّضتُ منها بأرضٍ أرى أفاعيلَ أربابها^٤ ملهيه
فكم كاسٍ ذلّ تجرّعتها ولم أبدها وهي لي مخزيه
وكم ليلةٍ بثّها طاوياً ونفسي عن الكشفِ مستحيه
« وقد يلبسُ المرءُ حرَّ الثياب ومن تحتها حالةٌ مضنيه^٦ »
« كما يكتسي خدّه حمرةً وعلّتها ورمّ في الرية^٦ »
عسى اللهُ يُعقبنا صحةً فمن عنده الداءُ والأدويه

١ ط د : وضمّن .

٢ من إنشاه . . . عصره : سقط من ط د .

٣ ط د س : فاحتفت .

٤ ط د : سكاها .

٥ ط د : على .

٦ هذا البيت والذي يليه لأبي الفتح البستي (البيتهمة ٤ : ٣١٤ والتمثيل والمحاضرة : ١٨٣)

وأوردتهما صاحب المسالك للأصمعي خطأ .

وقال وهو يقلمريرة من عمل الطاغية^١ اذفونش^٢ - قصمه الله - :

قلقتُ وحقّ بأن يقلقا مصونٌ غدا غرَضاً للشقا
حللتُ بلاداً كسّنتي بها يدُ الليث من سقمٍ يلمقا [٢٣٥أ]
وردتُ قلمريةً طامعاً^٣ فلم ألف برّاً ولا مرّفقا
حرمتُ كأني دونَ الوري طلبتُ العفوقَ بها الأبقا
[ورمتُ الرجوعَ ومنّ لي به وقد غلّق البابَ من غلقا
إذا الشوقُ مرّ على خاطرِي شرقتُ وحقّ بأن أشرقا]
أحبّابنا هل لنا رجعةٌ وهل لي بكم أبداً ملتمقا
توركتُ بحرّ الأسي بعدكم واني لأحذرُ أن أغرقا
وصرتُ وإن كنتُ ذا همةٍ وحزمٍ بأيدي النصارى لتمقا
يقولُ أناسٌ ولو أنصفوا لكذبٍ في الذي صدقا
فلانٌ حريصٌ به نُهمةٌ إلى الرزقِ من قبل أن يرزقا
وليس ، ولكن نحوسي أبتُ بسوقِ النباهةِ أن تنفقنا
ولو وفقّ المرءُ في سعيه تخيّرَ في رزقه وانتقمي
تلونَ دهري بأحداثه عليّ فشبهتهُ عتقنا

وكان أبو عامرٍ مشحوذَ المدينةِ في الكدية ، وهي التي بلّغتهُ كما ترى
إلى بلادِ النصارى .

- ١ ط د س : بعمل ؛ ط د : الطاغوت .
- ٢ ب م : اذفونش .
- ٣ ب م : طامعاً .
- ٤ ط د : تورطت ؛ ب م : تدرطت .
- ٥ ط د س ؛ إلى بلاد كما ترى .

وهو أيضاً القائل ، وقد تطوّفَ على بلاد الساحل ، فما حظي^١ أيضاً
منها بكبير طائل :

إلى أين الفرارُ ولا فرارُ ومن لي بالقرارِ ولا قرارُ
أرى الأوغادَ يعتمرون دُوراً ومالي في بلادِ الله دار
إذا ركبوا المذاكي والمطايا فمركوبي على شرفي حمار
أجولُ فلا أرى إلاّ رِعاةً كبارُهُمْ إذا اختبروا صغار^٢
أباجةُ لا وفاقِ الله شراً فأهلكُ أهلُ متفسدةٍ شرار
أشائبُ لا جزاكِ الله خيراً فلا خيرٌ لديكِ ولا خيار
أشنتِ مَرِيَّةً قُبِحتِ داراً كؤوسُ المخزياتِ بها تدار
أشلطيشُ ألا غرقُ وشيكُ تموجُ على ثراكِ به البحار
أونبةُ تعدتُكِ الغواذي ولا هطلتُ بساحتكِ القطار
أبلتُ كنتِ صالحَةً ولكن أتى ابن حليفةٍ وأتى الشنار
بلادُ عُرِيَّتْ من كلِّ خير فملبس^٣ أهلها مَتَّعَتْ وعار^٤ [٢٣٥ب]
غَلَطْتُ فزرتُها فرأيتُ قوماً منازلهم وإن عُمِرَتْ قفار
تُرَدُّ عليّ أشعاري ويجفى رسولي ، والنباهةُ لي شعار
شعوتُ بها على كسرِهِ فغطى على جدِّي ومعرفي الغبار

وله مما كتب به للحصري :

حلفتُ بمحكمِ السورِ ومنزلِ محكمِ السورِ

١ ط د : حلي .

٢ سقط البيت من ط د ، وفي موضعه : « ومنها » .

٣ ط د س : ملايس . ٤ ب م : به ، وسقط من ط د س .

وَمَنْ بَعُدَتْ جلالته عن الإدراك والنظر
وما سَنَّ النبيُّ لنا وما أبقى من السير
ولإيَّ لستُ منه وَمِنْ أبي بكر ومن عمر
لقد أولى الزمانُ يداً سأشكرها مَدَى عُمري
أطالَ يدي وفضَّلني بليقيا الفاضلِ الحُصَري
أقولُ . لمن ينافِسُهُ رويدكَ لستَ ذا بصر
تخلُّ عن البديع له وسَلِّمُ فيسه للقدر
شهدتُ له على علمي بسبقِ البدو والحضر
وجئتُ إليه معترفاً بما في الباعِ من قِصر
وما أدلتُ من أشيرٍ ولا استرسلتُ من بطر
ولكن خاطري أبدى له ودِّي على خَطَر
جعلتُ بضاعتي تمراً وجئتُ بها إلى هَجَر
ذكرناهُ بواجبه وهل يخفى سنا القمر
طمعنا أن نفاكِههُ فجيئنا النجمَ بالشرر
فكيف نطولُهُ طولاً ومن للعُورِ بالخور
وليس العَرَفُ من بحر كمثلِ النحتِ في الحجر

وهبط^١ [أيضاً] إلى الأشبونة [أيام كوني بها] وقد أصبحبه المنصور
إلى قائدها كتباً في معناه ، فحَسُنَ بها مثواه ، وأجْزَلَ بها قرأه ، وزرته
ونزلتُ عليه في منزلهِ أوَّلَ التقائي به في لمة من أهلِ الأدب ، فلما انصرفنا
عنه خاطبَ كلَّ واحدٍ منا بأبيات شعر يشكرُ على ما تهيأ له هنالك من البرِّ ،
واعتمد بمخاطبته أيضاً غلاماً وضيءَ الوجه [وسيماً] ، وكان زاره معنا ،

١٠ وردت هذه الفقرة موجزة في د ط س .

يسمى عيسى ، وخرج في وصفه إلى النسيب ؛ فمن شعره مما خاطبني
به أبيات أولها :

يا دوحة العلم والآدابِ والحُطَبِ ومن غدا فارساً في حَلَبَةِ الطَّلَبِ
ماذا تحيطُ به من علمٍ مسألةٍ سألتُها منكَ بينَ الجَدِّ واللَّعبِ
وردُ الحدودِ ووردُ الروضِ أيهما أجلُّ عندكَ يا ذا العلمِ والأدبِ
وقهوةُ الريقِ والصهباءِ واحدةٌ أم قهوةُ الريقِ تخزي قهوةَ العنبِ
وما سألتك عن جهلٍ بأمرهما لكن نزعْتُ إلى شيءٍ من الطربِ^١ [٢٣٦]

فراجعتُهُ بأبياتٍ منها^٢ :

طوّقتَ كلَّ أديبٍ طوّقَ لؤلؤةٍ غرّفتُها من بحورِ العلمِ والأدبِ
لكن أجدتَ رويَّ السينِ من شغفٍ إذ همةُ الليثِ في المسلوبِ لا السلبِ

فراجعتني [ثانية] بأبيات قال فيها :

إيه أبا حسنٍ يا راقمَ الصُّحُفِ ما إن أجدنا رويَّ السينِ من شغفٍ
لكن طربتُ لما ألقاه من حُرْقٍ وما أكابده من شدّةِ الكلفِ
وما انتفاعي بمحبوبٍ أفارقهُ عما قريبٍ ولم أربحْ سوى الدنفِ
[هذا الذي في الهوى قسراً يزهدني ولو سكتُ لكان العذرُ غيرَ خفي]

وله في الوزير الفقيه أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الفهري بالأشبونة ،
قصيدة خمسة وتضمن أبيات المتنبي ، يقول فيها^٣ :

١ جاء في د ط س بعد هذا : « وكان اعتمد مخاطبته غلاماً وسيماً يسمى عيسى فراجعته ... الخ » .

٢ ط د : قلت فيها .

٣ ط د س : وله من قصيدة خمسة أدرج له فيها قصيدة المتنبي ؛ والأبيات.

المضمنة من قصيدة للمتنبي في ديوانه : ١٧٤ - ١٧٨ .

دَبَّارٌ عَلَى دَارِ الْفَنَاءِ وَمِينَهَا نَفَضْتُ يَدِي مِنْ سَامِهَا وَبَلَجِيهَا
فَقَلْتُ وَنَفْسِي قَدْ تَصَدَّتْ لِحَيْتِهَا ذَرِ النَّفْسَ تَأْخُذُ وَسِعَهَا قَبْلَ بَيْنِهَا
فَمَفْتَرِقٌ جَارَانِ دَارِهِمَا عَمْرُ

فَلَا تَحْسِبَنَّ الْمَجْدَ سُكْرًا وَلَا كَرِيَّ فَمَا الْمَجْدُ إِلَّا هِمَّةٌ تَذُرُّ الْوَرِيَّ
وَنَفْسٌ تُرَى أَشْهَى مِنَ الدَّعَةِ السُّرَى وَتَضْرِبُ أَعْنَاقَ الْمُلُوكِ وَأَنْ تُرَى
لَكَ الْهَبَاتُ السُّودُ وَالْعَسْكَرُ الْمَجْرُ

وَأَخَذُكَ مِنْ دُنْيَاكَ مَا كَانَ أَحْزَمًا وَكَفَّكَ فِيهَا عَنْ عَسَى وَلَعَلَّمَا
وَصَدُّكَ عَنْ وَصْلِ الْأَوَانِسِ كَالدُّمَى وَتَرَكَكَ فِي الدُّنْيَا دَوِيًّا كَأَنَّمَا
تَدَاوَلَ سَمْعَ الْمَرْءِ أَنْمَلُهُ الْعَشْرُ

وَرَبَّ أَمِيرٍ مُنْزَطٍ فِي احْتِيَالِهِ قَبَضْتُ يَمِينِي نَحْوَةً عَنْ شِمَالِهِ
وَنَزَّهْتُ نَفْسِي رَفْعَةً عَنْ نَوَالِهِ وَمَنْ يَنْفَقِ السَّاعَاتِ فِي جَمْعِ مَالِهِ
مُخَافَةً فَقْرٍ فَالَّذِي فَعَلَ الْفَقْرُ

أَهْبِيلَ زَمَانِي وَذِكْرَكُمْ غَيْرُ خَالِصٍ فَلَسْتُ إِلَيْكُمْ مَا بَقِيَتْ بِشَاخِصٍ
شَكَرْتُ وَشُكْرِي رَعْدَةٌ فِي الْفَرَاخِصِ إِذَا الْفَضْلُ لَمْ يَرْفَعَكَ عَنْ شُكْرِ نَاقِصٍ
[٢٣٦ ب]

عَلَى هَيْبَةٍ فَالْفَضْلُ فِي مَنْ لَهُ الشُّكْرُ

تَجَنَّبْتُ فِي أَشْبُونَةِ آلِ أَخْطَلٍ وَأَمَلْتُ رَكْنِي فِي الْخَطُوبِ وَمَعْقَلِي
قَطَعْتُ إِلَيْهِ كُلَّ بِيْدَاءٍ مَسْجَهَلٍ وَأَقْدَمْتُ إِقْدَامَ الْأَتِيِّ كَأَنَّ لِي
سَوْى مَهْجَتِي أَوْ كَانَ لِي عِنْدَهَا وَتَرُ

١ بعد هذا في ط د س : وفيها يقول .

سَعَيْتُ وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ « مِنْ سَعَى رَعَى » إِلَى أَنْ لَقَيْتُ النَّاسَ أَجْمَعَ أَكْتَمَا
فَتَى لَوْذَعِيًّا بِاسْمِ الثَّغْرِ أَرَوْعَا مَفْدَى بَأْبَاءِ الرِّجَالِ سَمَيْدَعَا
هُوَ الْكَرَمُ الْمَدُّ الَّذِي مَالَهُ جَزْرُ

سَرَيْتُ إِلَيْهِ أَهْتَدِي بِضِيَائِهِ وَيُرْشِدُنِي فِي الْقَفْرِ طَيْبُ ثَنَائِهِ
وَمَا زِلْتُ أُسْتَسْلِي بِطَوْلِ بَقَائِهِ وَأُسْتَكْبِرُ الْأَخْبَارَ قَبْلَ لِقَائِهِ
فَلَمَّا التَّقِينَا صَغَرَ الْخَيْبَرَ الْحُبْرُ

إِلَيْكَ ابْنَ إِبْرَاهِيمَ أَدَى بِنَا الْهُوَى وَمَنْ عَرَفَ الْأَطْوَادَ حَادٍ عَنِ الصَّوَى
أَمَمْنَاكَ وَالْإِحْلَاصُ مُسْتَحْكَمُ الْقَوَى وَجَنَانُكَ دُونَ الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ فِي النَّوَى
وَدُونِكَ فِي أَحْوَالِكَ الشَّمْسُ وَالْبَدْرُ

سَمِيَّ رَسُولِ اللَّهِ يَا خَيْرَ مَرْتَجِي وَيَا كَوْكَبًا يَذْكُو إِذَا حَادَتْ دَجَا
وَيَا مِقْلَدَةَ الْمَحْيَا إِذَا الْبَابُ أُرْتَجَا دَعَانِي لِإِلَيْكَ الْعِلْمُ وَالْحِلْمُ وَالْحُجِّي
وَهَذَا الْكَلَامُ النَّظْمُ وَالنَّائِلُ النَّثْرُ

لِمَجْدِكَ عِنْدِي حَتْمِي فُخْرِي نَعْوَتُهُ^٢ وَوَدَّ كَمَا الْمِزْنَ صَبَحَ ثَبُوتُهُ
فَدَعُ كُلَّ شَعْرٍ فِطْبَعِي يَفُوتُهُ وَمَا قَلْتُ مِنْ شَعْرٍ تَكَادَ بِيُوتُهُ
إِذَا كُتِبَتْ يَبْيِضُ^٣ مِنْ نُورِهَا الْخَبْرُ

[قَالَ ابْنُ بَسَامٍ] : وَكَانَ الْوَزِيرُ الْفَقِيهَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ [مُحَمَّدٌ] ابْنُ إِبْرَاهِيمَ ،
سُوَيْدَاءَ قَلْبِ ذَلِكَ الْأَقْلِيمِ ، وَجَلَسَهُ بِالْأَشْبُونَةِ مَرْمَى جِهَارِ الْمُنْثُورِ وَالْمَنْظُومِ ،
هُوَ الْمَقْتُولُ هُنَاكَ الْمَظْلُومُ^٣ ، - رَفَعَ اللَّهُ دَرَجَتَهُ ، وَقَتَلَ قَتَاتَهُ - ؛ وَلَمَّا

١ ط د : بي . في النسخ : يفوته .

٣ ط د س : وقتل بها ظلماً .

كُسِفَ ذلك النيرُ المشرق، وأظلم عليهم بغتة^١ الأفق ، انطلقت [بالغرب يومئذ] أيدي الدهماء ، إذ عدموا مَنْ كان يُفيضُ عليهم أنوارَ الآراء ، فيقبلونها [٢٣٧ أ] قبولَ الكواكب لشعاع ذُكاء ، ويُدني من لباناتهم ما شَسَع ، ويستنزلُ بها ما امتنع ، بآراء سديدة الأئحاء ، كالسيوف في المضاع ، وسياسات لطيفة : من شدة ولين ، وحركة وسكون ، وكنت قد علكتُ منه في ذلك الغربِ بالحبلِ المتين ، وأسندتُ منه إلى ثبيرِ الحصين ، وتبواتُ منه أرحبَ مرتبَع ، وأخصبَ مرتع ، وفي وصف سؤدده وفضله ، وكيفية قتله ، طولٌ خارجٌ عن غَرَضِ هذا المجموع^٢ . ولأبي عامر الأصبلي في تأيينه قصيدة أولها^٣ :

على مصرعِ الفهريِّ ركني وموثلي	بكيثُ وأبكي طولَ دهري وحقَّ لي
أوبنُّ من مات الندى يومَ موته	وقلَّصَّ ظلُّ الجودِ عن كلِّ مُرميلٍ
وما كان صمّي منذ حينٍ لسلوةٍ	ولكنَّ عظمُ الرزءِ أخرسَ مقولي
إلى أيِّ طودٍ يُسندُ الشعرُ بعده	وقد حطَّ منه الدهرُ أركانَ يذبل
تولى ابنُ إبراهيم فالغربُ بعده	لكلِّ غريبِ الدارِ حلقةٌ جلجل
فأصبحتِ الآمالُ بعدَ محمدٍ	تنادي ألا بُعداً لكلِّ مؤمل
خليلي مالي لا أذوبُ وإنني	لأطوي الحشامنه على غكلي مِرْجَل
وفي من يُحكُّ المدحُ جزلاً كأنما	أنى عن لبيدٍ قوةً ومهلل

١ ط د : بعده .

٢ ط د س : يشق سرده أضربت عنه ليمض الأمر .

٣ منها ثلاثة أبيات في المغرب .

٤ المغرب : أرمل .

٥ ط د س : ولكن عظيم .

ألا أيُّها النّوامُ هبُّوا لتسمِعوا جدالَ قَتيلٍ بالرزايا مجدل
أما إنه والحقُّ أبلجٌ واضحٌ لقد جثمُ بالعارِ يا آلَ أخطل
غدرتمُ فكان الغدرُ منكم سجيّةً ففى العلمِ والمجدِ التليدِ المؤثّل
لثامٌ رعاغٌ جاهلون تحاسدوا على قتلِ صنديدِ أغرِّ محجل
سقى الله قبرا ضمَّ جسمَ محمدٍ سحائبَ ترى بالحيا المنزل
وجازاه عن إحسانه وأثابه جزاءَ المنيبِ القانتِ المتبتّل
سأندبُهُ عمري وإن قالَ قائلٌ « رويدك لا تهلكُ أسىً وتجمّل »
وأتبعه ذكراً بشعرٍ كأنه « نسيمُ الصبّا جاءتُ برّياً القرنفل »

فصل في ذكر الأديب أبي الفضل

جعفر بن محمد بن شرف^١ [٣٢٧ب]

ذو مِرَّةٍ لا تناقض ، وعارضةٍ لا تعارض ، وطراً أبوه على جزيرة
الأندلس من بلدة القيروان، حسبما نشرحه إن شاء الله في ما يأتي^٢ من هذا
الديوان ؛ وأبو الفضل هذا [أيومئذ] لم يصب قطره^٣ ، ولا خرَجَ من
الكمامة زهره^٤ ، ومن المريّة درجَ وطار، وباسم صاحبها أنجدَ ذكره وغار ،
وهو اليومَ بها قد طلّقت الشعرَ ثلاثاً ، ونقضَ غزله [بعد قوة] انكاثاً ،
وارتسم في حدّاقِ الأطباء، واشتمل بما بقي له هناك من الجاهِ والثراء ،

١ خرج عن القيروان سنة ٤٤٧ هـ واستوطن برجة من ناحية المرية ، وكان شاعراً وقتئذ غير
مدافع، وله توالييف في الأمثال والأخبار والآداب والأشعار ، توفي عصر الثلاثاء منتصف
ذي القعدة سنة ٥٣٤ هـ (انظر الصلة : ١٢٩ والقلائد : ٢٥٢ والمطرب : ٧١ والمغرب
٢ : ٢٣٠ وبغية الملتبس رقم : ٦١٠ والخريدة ٢ : ١٧١ (ط : تونس) والنفح ٣ : ٣٩٥)
٢ ط د س : في القسم الرابع

ولم أظفر من شعره ، إلاّ بما لا يكادُ يفي بِقَدْرِهِ ، وقد أثبتُّهُ على نَزْرِهِ ،
لئلا يُخِلَّ بكتابي إهمالُ ذكره .

فصل له من رقعة في ^١ فتح بلنسية : من ذكر - أعزك الله - عهدك
الكريمَ والتزامه ، وأبصرَ مجدك العميمَ وانتظامه ، ووضع نفسه حيثُ
وضعها ماضي الذّمام ، وأنزلها منك حيثُ أنزلتَها تلك الأيامُ الكرام ،
وعلم أن رَبَطَكَ مُبِرِّمُ الشدِّ ، وضبطك مُحَكِّمُ العَقْد ، وإن وافاك
أكبرُ من رضوى جسدأ ، وأكثر من حُرُوى عددأ ، تخطى بِقَدَمِ العهد ،
وتخطى بِقَدَمِ الودِّ ، حتى زارَ الصفائحَ بالصحائف ، وباشر ^٢ الكتابَ
بالكتب اللطائف ، وحيّاك بلسانِ الأقلام ، تحت لسانِ الأعلام ، حين ^٣
أشرقَ وجهُ الدينِ فأسفر ، وزهقَ حُزْبُ الملحدين فنفر ، وأقبل الفتحُ في
لمةِ التأييد ، يرفلُ في ثوبِ النصرِ الجديد ؛ وجاء الوعدُ الناجزُ ببلنسية
تجديها أعنةُ الأقدار ، وتسوقها أحكامُ الجِبار ، فالآن قد نُشِرَ الميتُ من
لحده ، وعادَ الحسامُ إلى غمده ، فسبحانَ من سبب ما سبَّبَ ، وأدبَ
بالموعظة من أدبَ ، مَحَّصَ الذلّةَ فأزالها ، وقدَرَّ العثرةَ فأقالها ، وأعاد
نعمةً كان قد أذهبَ خضراءها ، وأبادَ غَضْرَاءها ، وفتح باباً سدَّ رتاجه ،
وصدَّ منهاجه ، حتى خرَّ شامخُهُ ، وذلَّ ^٤ باذخه ، [ثم نشر ميتهُ ،
ونجَّدَ بيتهُ] ، فهبَّتْ ريحُ النصر ، ومدَّ بجرُ الظفر بعد الحَسَمِ ^٥ :

١ ط د س : وذكر فيها .

٢ ط د س : وقاس .

٣ ب م : حتى .

٤ س : ووهن .

٥ ب م : وزال .

٦ ب م س : الحصر .

٥ ب م : وأذاب .

فقل - أعزك الله - في فتح عمّ الله ببهجته قلوب المؤمنين ، وخصّ بالفضل فيه أمير المسلمين [وناصر الدين] ، ووفى به ضمانه ، وأرجح بفخريه وأجره ميزانه ، حتى اقتدح بحساميه ، ووسم بأعلاميه ، وورخ بسعيد أيامه ، دعا مانعه فأجاب ، وجلّى عاتيمته فأنجاب ، فتحّ سالت تِلاعهُ بماءِ النعمة ، وجالت سوامهُ في ضَمَانِ العِصْمَةِ .

وفي فصل [منها] : ومن زكاة الجاه التي هي من الفروض [٢٣٨ أ] وأداء المفروض ، مشاركة مُوصليهِ جارنا القديم ، وصديقنا الحميم ، له هناك أطلال رَسْمُها دائر ، وَجَدُّها عائر ، يرجو تجديد خرابها ، وتعمير يَبابها ، ولإليك إسنادهُ ، وعليك اعتمادهُ ، ومن كان منك بعين فقد أوى إلى ركن ، واعتصم بحصن ، فلك الفضل في تصديق أراجيه ، ولإظهار جميل الرأي فيه .

وله من قصيد [فريد] أوله ١ :

مَطَلَّ اللَّيْلُ بوعْدِ الفلقِ وتشكَّى النجمُ طولَ الأرقِ
ومَرَّتْ رِيحُ الصَّبَا مسكَ الدجى فاستفادَ الروضُ طيبَ العبقِ
والأحَ الفجرُ خدأً خجلاً جالَ من رشحِ الندى في عرقِ
جاوَزَ اللَّيْلَ إلى أنجمه فتساقطنَ سِقَاطَ الورقِ
واستفاضَ الصبحُ فيها فيضةً أيقنَ النجمُ لها بالغرقِ

وهذا كقول أبي الحسن مولى البكري ٢ :

١ منها أبيات في المغرب والحريفة ، ومعظمها في النسخ ٣ : ٣٩٣ وقدم لها بقوله « ولما وفد أبو الفضل بن شرف من برجة في زي تظهر عليه البداوة بالنسبة إلى حفرة المداكمة العظمى أنشده (أي المعتصم) قصيدته الفائقة » .

٢ ترجمته في القلائد : ٢٩٠ .

• ونجمُ الدجى في لَحْتَةِ الصبحِ يَغْرَقُ •

وطمى الشرقُ عليه فانتحى من هلالٍ غائبٍ في زورق
فانجلى ذاك السننَا عن حلتكِ وامسحتُ تلك الدجى عن بهقِ ٢
بأبي بعد الكرى طيفُ سرى طارقاً عن سكتنٍ لم يطرُقِ
زارني والليلُ ينعى شرفه ٣ وهو مطلوبٌ بباقي الرمقِ
ودموعُ الطلِّ تمرّ بها الصبا وجفونُ الروضِ غرقى الحدقِ
فتأنى في إزارٍ ثابتٍ وتثنى في وشاحٍ قلقِ
وتجلّى وجهه عن شعره فتجلّى فلقٌ عن غسقِ
نهبَ الصبحِ دجى ليلتهِ فحبا الخلدَ ببعض الشفقِ
سلّبتُ عيناه ٥ حدّي سيفه وتحلّى ٦ خدهُ بالرونقِ
وامتطى من طرفه ذا حسبٍ ٧ يلثم الغبراء إن لم يعنقِ
أشوس الطرفِ عمرته نخوةً فتهادى كالغزالِ الخرقِ
لو تمطّى بين أسرابِ المها نازعتهُ في الحشا والعنقِ [٢٣٨ ب]

وهذا كقول سعيد العروضي يصف فرساً :

< كانت > من الظلمان آباؤه فوَرثتهُ الساقَ والجؤجؤا

١ ط د س : غارب .

٢ النفع : شفق ؛ ط س د : لثق .

٣ النفع : سدفة ، وهو أصوب .

٤ ط د س : شعره عن خده . . . غسق عن فلق .

٥ ب م : خداه .

٦ ط د س : وتولى ؛ النفع : فتحل .

٧ النفع : ذا خبيب .

خَسَّرَتْ دُهُمَّتَهُ عَنْ غُرَّةٍ ۚ كَشَفَتْ ظَلْمَاؤُهَا عَنْ يَقْتَقِ
 لِبَسَتْ أَعْطَافَهُ ثُوبَ الدَّجَى وَتَحَلَّى خَدَّهُُ بِالسَّفَلَى
 وَانْبَرَى تَحْسِبُهُ أَجْفَلَ عَنْ لَسَعَةً أَوْ جِنَّةً أَوْ أَوْلَقِ
 مَدْرَكَاً بِالْمَهْلِ مَا لَا يَنْتَهِي لِاحِقاً بِالرَّفْقِ مَا لَمْ يُلْحَقِ
 ذُو رَضَى مُسْتَرٍ فِي غَضَبٍ وَوَقَارٍ مَنْظُورٍ فِي خُرُقِ
 وَعَلَى خَدِّ كَعْضَبٍ أَيْضٍ أَذُنٌ مِثْلُ سِنَانٍ أَزْرُقِ
 كَلِمَا نَصَّبَهَا مُسْتَمِعاً نَدْباً الشَّهْبِ إِلَى مَسْرُقِ
 حَارَدَتْ حَرْدَ ۲ شَيْهَا خَطِيئَةً لَا تَجِيدُ الْخَطَّ مَا لَمْ تَمْشُقِ
 كَلِمَا شَامَتْ غِرَارِي حَدَّهُ خَفَقَتْ خَفَقَ فُوَادِ الْفَرِيقِ
 فِي ذِرَا ظِلْمَانَ فِيهِ هَيْفٌ لَمْ يَدْعُهُ الْقَضِيبُ الْمُورِقِ
 يَتَلَقَّكَ بِكَعْبٍ مِصْفَعٍ يَقْتَفِي شَاوَ غِرَارٍ مُفْلِقِ
 إِنْ يَدْرُ دَوْرَةَ [طَرْفٍ] يَلْتَمَحُ أَوْ يَجِلُّ جَوْلَ لِسَانٍ يَنْطِقِ
 وَتَرَى مِنْ هَزِهِ مُخْتَلِفاً جَالاً فِي مَتْنِهِ مِنْ مُتَّفِقِ
 عَصَفَتْ رِيحٌ عَلَى أَنْبُوبِهِ وَجَرَّتْ أَكْبَعُهُ فِي زَيْبِقِ
 كَلِمَا كَلِمَتَهُ بَاعَدَ عَنْ مَتْنٍ مَلْسَاءَ كَمَثَلِ السَّرِقِ

ومنها :

جَمَعَ السَّرْدُ قَوَى أَزْرَارِهَا فَتَأْخُذُنْ بِعَهْدٍ مَوْثِقِ
 أَوْجَسَتْ فِي الْحَرْبِ مِنْ وَخْزِ الْقَنَا فَتَوَارَتْ حَلَقاً فِي حَلْقِ ۳
 كَلِمَا دَارَتْ بِهَا أَبْصَارُهَا صَوَّرَتْ فِيهَا مِثَالَ الْخَدِقِ

١ النفع : بدت .

٢ النفع : حاذرت منه ؛ س حاز منه .

٣ بعد هذا في ب م : لو سقي حسان . . . وسينأتي في موضعه .

وهذا كقول [أبي محمد] ابن عبدون :

ودموعُ طلَّ الليلِ تجلو أعيناً ترنو إلينا من عيونِ الماءِ [٢٣٩أ]
زلَّ عنها منُ مصقولِ القرا يرتمي في مائها بالحرقِ
لو نضا وهو عليها ثوبه^١ لتفرى عن شواظِ عرقِ
أكهبُ من هبواتِ أخضر^٢ من فرندِ أحمر^٣ من علقِ
وارتوتُ صفحاه حتى خلت^٤ بجياً من سحْبِ كفيك^٥ سقي
يا بني معنٍ لقد طابت بكم شَجَرٌ لولاكم لم تورقِ
لو سقيي حسانُ إحسانكم^٥ ما بكى ندمانه في جيلقِ
أو دنا الطائي من حييكم^٥ ما حدا البرق [لربع] الأبرقِ
طنبت منكم تجيب^٥ في حمى طالبِ شأو^٣ المعالي لحقِ
إن من أنجبت من نجلِ زكوا فانتهوا غايةَ ذاكِ الطلّقِ
قل لمن تخافَ زماناً^٥ جائراً أو شكا من صرْفِ دهرٍ موبقِ
بمعز الدولة الأوحدي أو عزها أو سيفها فاعتلقِ
تجل عيناك إذا زرتهم^٥ بنظامِ للعسلا متسقِ
أبدعوا في الفضل حتى كلّفوا كاهلَ الأيامِ ما لم يُطقِ

قوله : « وتشكى النجم طول الأرق » كقول ابن رشيق^٥ :

* أشكو إلى النجم حتى كاد يشكوني *

١ ط س د : حلية .

٢ ط د س : كفيه .

٣ س : طلب سامي .

٤ د ط : قد خاف دهرأ .

٥ لم يرد في ديوانه المجموع .

وقال أبو جعفر التطيلي^١ :

وطال على النجوم سُرَاهُ حَتَّى
أنتِ وكأَنما تَطَأُ القَتَادَا

وقال^٢ :

قد أذنَ الشرقُ للصباحِ
وانجأبَ جيشُ الدجى ببيضِ
[سالت] لها مسكةُ الدياجي
واندمجَ الليلُ في مَضيقِ
نبهته والنسيمُ يُهدي الش
فقام كسلانَ دونَ أينِ
يُظهرُ للسخطِ وهو راضِ
كأنه كلما تنسَى
وَحَيَّعَلَ الفجرُ بالفلاحِ
قد جئن^٣ في سمرةِ الرماحِ
أمامَ كافورةِ الصباحِ
وانبلجَ الصبحُ عن براحِ
ميم في أنفِ الرياحِ
واهتزَّ نشوانَ دونَ راحِ [٢٣٩ب]
ويدعي السكرَ وهو صاحِ
يُصغي إلى نغمةِ الوشاحِ

وقال :

أمسكْ بصدغكَ أم شامةُ
إخالُ العذارَ أرادَ انتشاراً
قد اختلسَ الشيبُ من بعضها
فخالطَ فيها ضياءُ البياضِ
كأنَ المحبَّ شكَا من هواك
فأودعَ أذنكَ سرَّ الهوى
غفلنا عن الأمرِ حتى التيس
فصَلَّتْ بلحظكَ حتى احتبس
شباباً وما الدهرُ إلاَّ خُلْس
ظلامَ السوادِ فصارا غلس
سرّاً إليكَ بما [قد] أحس
فسودَّ صدغكَ حرُّ النفسِ

١ لم يرد في ديوانه .

٢ دطس : وله من أخرى .

٣ قد تقرأ في ب : قدحن .

ومعنى هذا البيت الأخير معنىً غريباً ، وإنما نبيه عليه أبو حفص
ابن برد بقوله يصف ككفّ البدر ، [وقد تقدم] :

والبدرُ كالمراةِ غيرَ صقلها عبتُ العذارى فيه بالأنفاس^١

ومن أخرى :

في ضمانِ الطيفِ بقيا رمقي صدقت عيني أم لم تصدقِ
زارني بل عادي من مرضي إذ شفاني زارني في قلتي
نعمتُ عينك بالطيفِ وقد نقت الفجرُ به عن حنق^٢

وفي صفة الليل :

فهو يُبدي بلىً عن دُهمةٍ ثم يُبدي شُهبةً عن بلىِ
وكان الفجرَ في ذيلِ الدجى وافدٌ يقرعُ بابَ الأفقِ
أنبه الروضة^٣ عن قلبِ شجٍ لتناثيه وجفنٍ غرقِ
لاحَ فاهزتُ لايه قُضبها ورماهُ نورها بالحرقِ
وكان الصبحَ في آثارهِ صارمٌ يضربُ وجهَ الغسقِ
كلما عن لراياتِ الدجى سقطتُ منه سقوطَ الصَّعقِ^٤
ونجومُ الليلِ صرعى كلما نهضت عن نكبةٍ لم تطق [٢٤٠]
سبحتُ جوارها في بحرهِ والثريا راحةُ المعتلقِ
كأيدتهُ شعراها برهةً والسها عنه ضعيفُ الرمقِ

١ هنا تنتهي الترجمة في ط د س .

٢ م : حق .

٣ ب م : الروض .

٤ ب م : الصفق .

وكان النسر في مغربه
 ولتالي النجم قلب راکض
 وذراع الليث قد مددها
 قد بكى جفن الحيا عن أدمعي
 غضبت وشحك من ليلتنا
 صمت الخلخال عن تنقيها
 بسمت إذ كشفت عن نحرها
 ثم أدنت طرة من وجنة
 قد تداوينا من الشوق بها
 وقد تولى طائراً عن قلق
 كلما يوجس بخوف يخفق
 فهي إن تظفر بجبل تعلق
 واشتكى نجم الدجى من قلقي
 فعلمنا غيظها بالقسق
 حين أفشى السر نطق النطق
 كابتسام الفجر قبل الفلق
 كتداني ليلة من شفق
 غير أنا بعدهم لم نُنْفِقِ
 ومنها :

سبقت جدواكم فاطر دت
 قد رمى الدهر بسهم نافذ
 طلب الغاية في كل مدى
 بشر وجه تحته ماء ندى
 لبسوا ثوب المعالي حلة
 كنجوم صعدت في ذروة
 لو أطلقنا وهو الخط لنا
 كأنابيب القنا المتسق
 وشباً ماضٍ وحدٍ ذليق
 فهو يجري في عنان مطلق
 وفرند السيف تحت الرونق
 عطروها بالثناء العبق
 أو شمس طلعت عن مشرق
 لفديناهم بنور الخلق

وله :

بتنا وأجفان الكنائم نوم والليل أعمى والكواكب تنظر

١ هذه قراءة تقديرية قلقة ؛ وفي ب م : قد بدا وينام .

والروضُ يَرجُ والظلامُ يبلِّه
حتى استشارته الصَّبَا وكأته
فهناك صاحَ بنا الصبَّاحُ وبيننا
ضمُّ يموتُ الشوقُ فيه وينشر

وله :

أتُ والروضُ يعطفُ جانبيها
وما بالرَّمْلِ ان خافتُ سليمي
وليس على شعابِ الحَزْنِ بأسٌ
إذا صدقَ الغرامُ فكلُّ قاصٍ

وله :

ولما تلاقينا وقد ضمنا الهوى
تمازجَ ما بين النجَادِ وعقدِها
مزاجاً تخالُ الكأسَ مانعها الحيا
فتهمي بطيَّ الثوبِ في الثوبِ كلما
ضجيعين ماتَ الحسُّ بيني وبينها

وله :

بتنا نشدُّ على القلائدِ بيننا
والريحُ ما نَبَسَتْ لنا بسريرةٍ
خفنا فأخفتنا خمائلُ روضةٍ

وله :

أتُ تنفضُ الأعطافَ من بللِ الندى
وقد رَشَفَتْ ماءَ الندى الورقُ الخُضْرُ

تحفّ بها الظلماءُ وهي مبرّوعةٌ تفصلُ فتهدّيا الصّباة والذكر
فبتنا وقد باتَ العناقُ يضمنا على دعةٍ حتى استرابَ لنا الفجر
فبانَتْ وفي عينيَّ من قسّماها خيالٌ وفي ثوبيَّ من طيبها عطر

[وله] ١ :

ألمى لفقدِ الدمعِ عند فراقهِ ألمُ الجراحةِ بالدم المحصور
[... ..] [... ..]

[وله] :

وما ذقتُ طعمَ النومِ إلا وللصّبا تنفسُ مشتاقٍ وللروضِ مدمعُ
وللصبحِ في الآفاقِ جيّبٌ مشقّقٌ وللورقِ في الأغصانِ نوحٌ مرجعُ
فخفّفَ ما بي أنّ فيهنّ أسوةٌ وأنا جميعاً كلّنا متوجّع

وله :

إذا نالك الدهرُ بالحدّاثِ فكُنْ رابطاً الجأشِ صعبَ الشكيمةِ
ولا تُهينِ النفسَ عند الخطوبِ إن كان للنفسِ عندك قيمة
فوالله ما لقيّ الشامتون بأحسنَ من صبرِ نفسِ كريمه [١٢٤]

وله :

أتى الليلُ يطلبُ غزوَ النهارِ في أنجمٍ ما درى عدّها
فجاء النهارُ بشمسِ الضحى وقال : كفتني ذي وحدّها

وله :

١ البيت في الخريدة : ١٧٢ والمطرب : ٧١ .
٢ بياض بمقدار سطر في ب م .

تسلّ ونخلّ عنك الهمّ جانبُ
ودعْ عنك الأوائلَ واطّرحها
ولا تيأسْ وإن بعدتْ ظنونُ
فكم ظنّ يكذبُ وهو حقّ
ولا تحفّلْ بطارقةِ النوائبِ
سدىّ إن المدارَ على العواقبِ
فإن الدهرَ يأتي بالعجائبِ
وكم أملٌ يُصدّقُ وهو كاذبُ

وله في الثريا :

استقنيها وللظلامِ ركودُ
والثريا كأنها قدّمٌ أو
ونجومُ الدجى هبوطٌ صعودُ
راحةٌ في الظلامِ أو عنقودُ

وله ١ :

رأى الحسنُ ما في خدّه من بدائعِ
وقال لقد ألفتُ^٢ فيه نوادرأ
فأعجبه ما ضمّ منه وصرّفا
فقلتُ له لا بل غريباً مصنّفا

وقال يصف كتفاً بيضاء مدهونة :

وواضحة كمثلِ النصلِ تجري
حوتٌ حلتك المدادِ بجسمِ نورِ
معَ الأبصارِ كالماءِ القراحِ
كمخضّرِ الفِرندِ على الصفاحِ
كجري المسكِ في ثغرِ الملاحِ
بقايا الليلِ في وجهِ الصباحِ
كأن سوادَه في صفحتيها

وله :

ولما استقلتُ بالشبابِ ركابُهُ
وأيقنتُ من شعلِ الصبا بتفرّقِ^٣

١ البيتان في المغرب ٢ : ٢٣١ .

٢ المغرب : ألفيت .

٣ كذا ورد مفرداً .

وله في الصباح :

وأبيضَ فياضٍ على القومِ كلما
نفى كلَّ منسوبٍ إلى المجدِّ والعلا
إذا ارتاحتِ الدنيا إليه أصابها
بنارٍ أطلَّتْ من وراءِ رياحِ
أدار سُلُفاً شجتها بقراحِ
فساروا وقد طاروا بكلِّ جناحِ

وله يصف خاتماً :

وأبيضَ من شطرِ الغنى ردَّ ظهره
أديرَ كدورِ البدرِ ثم لبستهُ
إلى كوكبِ عالي المكانةِ غالٍ [٢٤١ب]
فلم ترَ منه العينُ غيرَ هلالِ

وله :

ووائقي بالليالي الخادعاتِ له
وقال سَعدي يحميني فقلتُ له
يغترُّ بالبيضِ لا يخشى من السَّودِ
هل يطلبُ النحاسُ إلا كلَّ مسعودِ

وله :

لا تقبلنَّ قوامَ ذي عِوجِ
كالصخرِ يعلو حين ترفعهُ
فرجوعُهُ أدنى من الرَّجْعِ
بالقسْرِ ثمَّ يعودُ للطبعِ

وله :

ألا كلُّ خطبٍ نالني أو ينالني
فلا تغلُّ في عتَبِ فعتبكِ مَوجُ
رأيتك مثلَ السيفِ أمَّا غيراره
وأنتِ إلى الخيراتِ أسبقُ سابقِ
إذا أنتِ لم تغضبِ عليَّ فهينُ
ولا تَعْمَ عن عذري فعذري بين
فماضٍ وأما صفحُهُ فهو لين
وان أوغلوا في الصالحاتِ وأمعنوا
لئن حسُنوا في موطنٍ دونَ موطنِ
فإنك في كلِّ المواطنِ تحسن

وله :

عجبتُ لها كيف استطاعتُ لحاظُها
فقلتُ لها سرِّي وسرُّكِ في الهوى
فقلتُ لها سرِّي وسرُّكِ في الهوى
فقلتُ لها سرِّي وسرُّكِ في الهوى

وله :

قد وقفَ الشكرُ بي لديكمُ
فصرتُ أخشى من الإعادة
فصرتُ أخشى من الإعادة
فصرتُ أخشى من الإعادة

وله يصف الثريا^١ :

ألا فاسقنيها والصباحُ كأنه
ولاحت لرائيها الثريا كأنها
على الأفقِ الشرقي ثوبٌ ممزقُ
على جنباتِ الأفقِ كيسٌ مفتقُ

وله :

أتى زائراً والصبحُ يكشرُ نابهُ
ولاحتُ على الأفقِ الثريا كأنها
لريتانَ من ماءِ الندى متضوعِ
مواقعُ دمعِ الساجدِ المتضرعِ

وله :

بادرُ صباحاً والثريا قد بدتْ
تبدو وينهجها الصديعُ كأنه
تختالُ في ثوبِ الصباخِ المدهبِ
أثرُ السجودِ على الصعيدي الطيبِ

وله في وصف درقة : [٢٤٢ أ]

١ البيت الأول في المغرب ٢ : ٢٣١ .

جاءت فادية الكماة بنفسها بيضاء يغمرها العجاجُ فتَسَطَّعُ
فتظللُ تقصدها الختوفُ كأنما فيها لكلِّ شبا وحدٌ موضع
فإذا تعاورتِ الظُّبَا صفحاتها ورمتْ جوانبها الرماحُ الشرعُ
وردتْ ورود الإبلِ وهي رويّةٌ تُدني السقاة من الحياضِ وترجعُ

ومن حكمه^١ :

— الفاضلُ في الزمانِ السوءِ كالمصباحِ في البَراحِ ، قد كان يضيء لو تركته الرياح .

ومنها :

— لتكنْ بالحالِ المتزايدةُ أعبطَ منك بالحالِ المتناهية > فالقمرِ آخرَ إبداره ، أولَ إبداره < .

— لتكنْ بقلبك أعبطَ منك بكثيرِ غيرك ، فإن الحَيَّ برجليه ، وهما ثنتان ، أقوى من الميتِ على أقدامِ الحَمَلَةِ ، وهي ثمان .

— المتلبَّسُ بمالِ السلطانِ كالسفينةِ في البحرِ ، إن أدخلتْ بعضه في جوفها أدخل جميعها في جوفه .

— الحازمُ مَنْ شكَّ فروى وأيقنَ فبادرَ .

— ربَّ سامحِ بالعطاءِ على باخلٍ بالقبولِ .

— ابنِ آدمَ ، تدمُّ أهلَ زمانك وأنت منهم ، كأنك وحدك البريء ، وجميعهم الجريء ، كلا بل جنيتَ وجنيتي عليك ، فذكرت ما لديهم ، ونسيت ما لديك .

— اعلم أن الفاضلَ الزكيَّ لا يرتفعُ أمره حتى يَطْهَرُ قلبه ، كالسراجِ لا تظهرُ أنواره أو يرفعَ مناره ، والناقصُ الدنيءُ الذي لا يبلغُ لِنفعه إلا بوضعه كهُوَجَلِ السفينةِ ، لا يُنتَفَعُ بضبطه ، إلا بعد الغايةِ من حطه .

وله^٢ فصل من رسالة : توصَّلْ الهمم — أدامَ اللهُ عزك — كتوسَّلِ الذمَم ، وربَّ

راقٍ بوسيلة ، ذي اشتياق > واستباق إلى فضيلة ، رَصَدَ فقصد ، واحتشدَ فتحترى

١ من هنا يبدو أن النص دخيل وأنه مأخوذ من القلائد : ٢٥٢ وانظر الخريدة ٢ : ١٧٣ .

٢ القلائد : ٢٥٢ والخريدة : ١٧٤ .

الرَّشْدُ ٨ ولما طلع بك المجدُّ من معالهِ ، وأبْنَعَ المجدُّ في كِثْمِهِ ، فلاحَ مِجْيَاكَ قمرًا زاهرًا ،
 > وفاحت سجايك < زهرًا عاطرًا ، وأنار بأفكك منارُ الأَبوار ، ودار على قطبك مداره
 الفِخْخَار ، ووقف ١ لَدَيْكَ بِالْقُلُوبِ ارْتِيَا حُجَّهَا ، وطار إِلَيْكَ بِالنَّفُوسِ جَنَاحُهَا ، فجوارحُ ٢
 الجِوَانِحِ ظَنُور ، ونواظِرُ الخِوَاطِرِ إِلَيْكَ صُورٌ ، وقد تَخَيَّلْتِكَ نِظْرَاتُ الغُيُوبِ ،
 ويمتلكَ خِطراتُ القُلُوبِ ، فخففتَ إِلَيْكَ بِأرواحها ، وتلقَّتْكَ القَاوِبُ ٣ بالتماحها ،
 فقد يَرْقُبُ الصِّبَا ، وَيُتَلَمَّحُ القَمَرُ اللَّيَّاحَ ، وليس على عاشقِ الفِضْلِ جُنَاح .

وكتب ٤ : أطال الله بقاءَ الوزيرِ الجليلِ الأَجمَدِ الأَوحَدِ وأعلسى مُرْتَقاه في رفيعِ
 العِزِّ ، ومنيعِ ٥ الحِرِّزِ ؛ الوزيرُ كالمطرِ الجودِ يملأُ الحياضَ ، وَيُنْبِتُ الرِّياضَ ، بل
 كالقمرِ ، يقذفُ بالنورِ ، وَيَنْدَهَبُ بالدِّيَجُورِ ، وقد ألخفي ٦ من سناه ، وسقاني < من >
 سقياه ، ما أنارَ فأضوى ٧ ، وجادَ فأروى ، فله أيادي الوزيرِ [٢٤٢ ب] ما أنزلها
 بكلِّ فِئاءِ ، وأسمعها لكلِّ نداءِ ، حتى رعى قَصْدِي وهو قَصِي ، وَوَعَى صوتي وهو
 خَفِي ، فالآنَ أُضْرَبُ بِحِسامِ اعتناؤهِ جِرْدَهُ ، وآوي إلى زمامِ وفاؤهِ ٨ ، وكده ، واللهُ
 يُدِيمُ بقاءَهُ ، وَيُعَلِّي ارتقاه ، حتى أظهرَ في سماءهِ ، وأشهرَ بأرفعِ أسمائه .

وله فصل من رقعة ٩ : مثلي - أعزك الله - في عناءِ بلا غِنَاءِ ، كما خُضَّ الماءُ ،
 زُبْدُهُ ١٠ الزُّبْدُ ، وَوَعْدُهُ الأَبَدُ ، وأستغفرُ الله ، ما استهديتَ بغيرِ منارِ ، ولا اقتدحتُ
 بغيرِ عَقَّارِ :

- ١ القلائد : وخف .
- ٢ القلائد : فجوامع .
- ٣ القلائد : العيون .
- ٤ القلائد : ٢٥٢ والخريدة : ١٧٥ .
- ٥ القلائد والخريدة : رفعة . . . ومنمة .
- ٦ ب م : ألفني ؛ القلائد : أتخفني .
- ٧ ب م . فاستوى .
- ٨ القلائد : علاؤه ؛ الخريدة : علاؤك .
- ٩ القلائد : ٢٥٨ . ١٠ القلائد : يرید .

* ولكن حُرِّمَتُ الدَّرَّةُ والضَّرْعُ حَافِلٌ *

وما يُوجِعُ الحرمانُ من كَفِّ حارِمٍ كما يُوجِعُ الحرمانُ من كَفِّ رازِقٍ
وما فَعَلَتُ تلكَ الأبياتُ ، والرجاءُ الذي في بطونِ الحملاتِ ، أزعَجَتُهُ الأرحامُ ،
حتى كَثُرَ عليه الزحامُ فأقام^١ ؟ وتلك النتيجة : هل حان نيفاسُها ، أم دام^٢ احتباسُها ،
أم وُلِدَتْ ثم وئِدَتْ ، أم وَضَعَتْ ليلًا ، وأَرْضَعَتْ غَيْلًا ، فهي لا تَدْبُ ولا تَشَبُّ ،
والنجمُ أَفَلٌ ، والكفيلُ غافلٌ ؟ ومهما يكنُ من أمرٍ فما ضاعَتِ إلاَّ في ضمانك ، ولا جاعت
إلاَّ على خيوانك ، هلاَّ حَلَبْتَ ما درَّ وطب ، وَطَبَعْتَ والطينُ رطبٌ ؟ فلا أمانَ من
الزمان :

* ومن ذا الذي يَبْقَى على الحدَثانِ *

وله :

ذو فطنة تبصرُ الأشياءَ غائبةً كأنَّ كلَّ سماعٍ عندها نظَرُ
كأنما الدهرُ مرآةٌ تقابِلُهُ إذا تأملها لاحَتْ له الصور

وله :

إذا أعرضتُ نحو الصبّاحِ لوى بها من الليلِ مسودُّ الجوانحِ أسحْمُ
كأنَّ على أخفافها كلِّما سَرَّتْ بروقًا تعقُّ الليلَ والليلُ مظلمُ
إذا قطعتُ غُفْلَ الظلامِ بعزيمةٍ مضت وردادُ الصبّحِ بالفجرِ معلّمُ
نظرنا إليها ضاحكين إلى المنى بها وهي من أين عوابسُ سُهْمِ

وله :

١ القلائد : أم كره الزحام ، أم استقر به المقام .

٢ القلائد : خانها .

كم طالب للعزيز لم يختبر له وقتاً يليق ولا أعدّ مكاناً
طلب التعرّز فاستفاد مذلةً ومن التعرّز ما يجرّ هوان

ومن قصيد :

والأجرُ لإلّا في نواكٍ ذخيرةٌ والصبرُ لإلّا في هواكٍ جميلُ
جُودي عليّ فما عليكِ ملامةٌ ذنبُ الحبيب وإن جفا محمولُ
أنكرتِ ما أثلفتهِ من مهجتي ودمي بخدكٍ شاهدٌ مقبول [٢٤٣ أ]

وله :

وما ضرّ لو كان الترحلُ واحداً فكان مشوقٌ حيثما كان شائقُ

وقال :

زارتُ على خَطَرٍ وقد عَقَدَ الكرى راحاً بِراحِ
والنجمُ مرفوعُ الذرى والليلُ منشورُ الجناحِ
حتى دنتُ فتساقطتُ ما بين ريحانٍ وراحِ
لله ما مَنَحَ الهوى وأتاحتُ من وصل الملاحِ
خلطَ الغلائلُ بالحما ثلِ والقلائدُ بالسلاحِ
بتنا على رِغمِ الرّوا صيدِ والحواسيدِ واللّواحِ
من فوقِ آكامِ الريا ضِ وتحتِ أذيالِ الرياحِ
في ليلةٍ قادتُ إليّ الوصلَ من بَعْدِ الجباحِ
فقضى الرضى بالقربِ وار تاحِ الوصالُ إلى السماحِ
وأنى العناقُ على ضعيهِ في بينِ أثناءِ الوشاحِ
تهفو عليه الوُشْحُ بي ن الغصنِ والكفَلِ الرِداحِ

بننا يضيقُ بنا التعا
والروضُ يمرحُ في الرسي
حتى إذا ارتاب الظلا
وجلا احمرارَ الفجرِ عند
وكأنما غَسَلَتْ دما
عاد الفراقُ إلى القطي
نقُ بين أردانٍ فساح
والريحُ تصفقُ في بَراح
مُ بفتح أجفانِ الأفاح
ه بياضُ صبحٍ في اتضاح
ه الفجرِ أهواهُ الصباح
مة بيننا بعد اصطلاح

ولأبي الفضل ١ :

سَرَوْا ما امتَطَوْا إلاّ الظلامَ ركائبها
وقد وَخَطَّتْ أرماحهم مفرقَ الدجى
وليلٍ كطيّ المسحُ جُبنا سوادهُ
خبطنا به الظلماءَ حتى كأننا
لأمرٍ سرينا نمتطي العيسَ في الدجى
وركبٍ كأنّ البيضَ أمستَ ضرائباً
إذا ما سَرَوْا داسوا الهضابَ نراهةً
فما يحملون السّمَرَ إلاّ عوالياً
إذا أوبوا ساروا شمساً منيرةً
يَرِدْنَ جِمامَ الماءِ بالقاعِ أزرقاً
إذا اعتقلوا للطعنِ سُمراً عوالياً
رأيتَ أسوداً ينهرون > إلى الوغى
ولا اتّخذوا إلاّ النجومَ صواحبها
فباتَ بأطرافِ الأستةِ شائبا
كأننا امتطينا من دجاه النواثبا
ضربنا بأيدي العيسِ إبلًا غرائبا
ركاباً ونقتادُ الجيادَ جنائبها
لهم وهمُ أمسّوا هنّ مضارباً ٢
عن الخفضِ وارتادوا الذرى والغواربا
ولا يركبون الخيلَ إلاّ سلاهبها
وإن أدلجوا أسرّوا نجوماً ثواقبها
ويرتدّن نَوْرَ الروضِ بالخزّنِ عازبا
أو اتشعوا للضربِ بيبضاً قواضبها
عجاً < لآتجاري يستسلن مذانبا [٢٤٢ ب]

١ انظر القلائد : ٢٥٥ والخريدة : ١٧٨ وفي عدد الأبيات وروايتها اختلاف مما في هذين

المصدرين مما يرجح أنها ليست مقتبسة عن القلائد .

٢ القلائد : ضرائبها .

فانك من قومٍ إذا أعجزتهمُ
مطالبُهُمْ مَدُّوا السيوفَ طوالبا
فما اتخذوا إلا ظُبابها وسائلا
ولا سلكوا إلا شَبابها مذاها
إذا علقَت بالموردِ سوء خيلُهُمْ
رَجَعْنَ على بَرَحٍ وَعَفْنَ المشاربا

وله ١ :

أرِحْ خطاكَ فحليُ النجم قد نُهبها
وقد قضى الشوقُ من وصل الدجى أربا
سلِ النجوم هل ارتابتُ بصفحتها
لما أترنَّ اليهنَّ القنا السلبا
إذا استمرتُ بمجرى النجم سالكةً
خيلتُ المجرةَ من آثارها ندبا
تهفوا الركابُ فتهدبها أستنها^٢
كأنما عارضتُ أطرافها الشهبا
وباتت الخيلُ يقدحنُ الحصى حنقا
حتى تضرمَّ حبلُ الليل والتهب^٣
والليلُ مثلُ عذارِ الكهلِ شيبه
جورُ الزمانِ على الأحرارِ فاختضبها
تلك الفوارسُ لا تثني أعنتها
عن وجهةٍ أو ينالُ السيفُ ما طلبها
باتوا على نشوةٍ ما نالها طربُ
وقد أداروا بكاساتِ السرى نخبا
إذا أناروا القنا في ليلٍ مظلمةٍ
شالوا النجومَ على أطرافها لهبا^٤

١ انظر القلائد : ٢٥٦ والحريفة : ١٧٣ .

٢ القلائد : فتهدبنا أستنها .

٣ القلائد : تضرم ذيل الليل .

٤ القلائد : حاجها .

٥ القلائد : عذبا .

فصل يشتمل على طوائف مقلبين من سكان هذا الجانب الشرقي
من الأندلس ، تنمة لمعانيه ، واستيفاء لغايات الإتقان فيه

وقد أذكرُ الشاعرَ ليس له شعر كثير ، ولا إحسانٌ مشهور ، إما
لاشتهارِ ذِكْرِهِ ، أو لخبرٍ يتعلّقُ بشعره . منهم :
أبو عبد الله بن عائشة^١ : من بلنسية ، أي فتى [هو] طهارة أثواب ،
ورقة آداب ، وأكثرُ ما عوّلَ على [علم] الحساب ، فهو اليوم فيه آية
لا يقاس عليها ، وغايةٌ لا يُضافُ إليها ، وله من الأدبِ حظٌّ وافٍ ، وفي
أهله اسمٌ طائرٌ ، يقولُ من الشعرِ ما يشهد له بكرم الطَّبْعِ ، وَسَعَةِ الذَّرْعِ .
كان يوماً مع أبي اسحاق بن خفاجة وجماعةٍ من أهلِ الأدبِ تحت
دَوْحَةِ خَوْخٍ مُنَوَّرَةٍ ، فهبّت ریحٌ صرّصرٌ ، أسقطتُ عليهم جميعَ
الزّهَرِ ، فقال ابن عائشة :

ودوحةٌ قد علّت سماءً تُطلِّعُ أزهارها نجوما
هبّ نسيمُ الصِّبَا عليها فخلتُها أرسلتُ رجوما
كأنما الجوّ غارَ لما بدت فأغرى بها النسيما [٢٤٤ ب]

وينظر هذا إلى قول إدريس من بعض الوجوه :

١ كان صاحب أعمال بلنسية في أيام علي بن يوسف بن تاشفين ثم استنحى إلى المغرب فوكل
أمر الحسابات إليه (انظر ترجمته في المغرب ٢ : ٣١٤ والمطمح : ٨٤ والمسالك ١١ :
٤٥٤ والخريدة ٢ : ٢١٦ ، ٥٨١ ط . تونس) ؛ وقد وردت أشعاره في أكثر المصادر
المذكورة .

وإخوان صدق قد أناخوا بروضةٍ وليس لهم إلاّ النبات أفراشُ
فخلتهمُ والنورُ يسقطُ فوقهم مصابيحَ تهوي نحوهن فَرّاشُ
وأنشدني الأديب أبو عبد الله محمد بن فرج الجياني^٢ لنفسه في ما يجانس^٣
[هذا المعنى] :

أضحى ابن عبدوسٍ مُعشّقَ معشرٍ قد خلطوا في حبّه تخليطا
فهو السراجُ وهم فَرّاشُ حوله يتهافتون على سناهُ سقوطا
وكان ابن فرج في هذه المُلحِ من أهلِ البديه ، فأما طويلُ القصيد
فقلما رأيتُهُ نَجَحَ فيه . وكان يوماً بقرطبةَ فمرّ به غلامٌ وسيم به بعضُ
صفرة ، فقال بعض من حضر : إنه للمليح لولا صفرةٌ فيه ، فقال ابن فرج^٤ :
قالوا به صفرةٌ عابتُ محاسنَه فقلتُ ما ذاك من عيبٍ به نزلاً
عيناهُ تطلبُ في آثارٍ من قتلت فلست تلقاهُ إلاّ خائفاً وجلا
وكان يوماً مع لمة من أهلِ الأدب في مجلسِ أنسٍ فاحتاج صاحبُ المنزل
إلى دينار ، فوجّهه عنه إلى السوق ، فدخل به عليهم غلامٌ من أهلِ الصّرف ،
في نهايةٍ من الجمال [والظرفِ] ، ورمى بالدينارِ إليهم من فيه تماجناً ،
فقال ابن فرج [في ذلك] :

أبصرتُ ديناراً بكفّ مهفهفٍ يزهو به من كثرةِ الإعجابِ

١ ط د : الثياب .

٢ انظر ترجمته في المغرب ٢ : ٥٩ .

٣ ب م : يجانسه .

٤ ط د : فقلما ينجح ؛ ب م : فما رأيتُهُ نجح .

٥ ورد البيتان في المغرب ٢ : ٥٩ مع اختلاف في بعض الرواية .

أومسى به من فيه ثم رمى به فكأنه قمرٌ رمى بشهاب

> عود إلى ابن عائشة < ١ .

ولما أنهضه أميرُ المسلمين إلى بساطه ، وأوضعه في بساطِ العين وفسطاطه ، هبَّ من مرقدِ خموله ، وشبَّ جندوةً ٢ مأموله ، فبدأ منه انزواً عن الحظوة ، والتواءً في تسنم تلك الربوة ، وكان له أدبٌ واسعُ المدى ، يانعٌ كالزهرِ بتلته الندى ، ونظمٌ مُشرقُ الصفحة ، عبقُّ النفحة ، إلا أنه قليلاً ما كان يحلُّ ربعمه ، ويدلُّ له طبعه ، > وقد أثبت له منه ما < يدع الألبابَ حائرة ، والقلوبَ إليه طائرة ، فمن ذلك قوله في ليلة سمحت له بفتى يهواه ، ونفحت له هبّة بدتْ شملَ جواه] :

لله ليلٌ باتَ في جناحه طوعَ يدي مَن مهجتي في يديه
فبتّه أسهرُ أنساً به ولم أزلُ أسهرُ شوقاً إليه [٢٤٥أ]
عاطيته حمراء مشمولة كأنها تُعصرُ من وجنتيه

وله فيه وقد طُرزتُ غلالةُ خدّه ، وركب من عارضه سنانٌ على صعدّةِ قده :

إذا كنت تهوى خدّه وهو روضةٌ به الوردُ غضنّ والأفاحُ مفلجٌ
فزد كلفاً فيه وفرطاً صبايةً فقد زيدتُ فيه من عذارٍ بنفسح

وكان ٣ في زمن عطنتيه ، ووقت اضطرابه وقلته ، ومقاساته من العيش أنكدّه ، ومن التحرف أجهده ، كثيراً ما ينشرحُ بجزيرة شقر ويستريح ، ويستطيبُ هبوب تلك الريح ، ويجولُ في أجارع واديها ، وينتقلُ من نواديها إلى بواديها ، فإنها صحبحةٌ

١ وضعت هذا العنوان للتمييز بين ما سبق من حديث عن ابن فرج وبين هذه القطعة التي هي دخيلة أيضاً فهي مأخوذة من ترجمة ابن عائشة في المطمح : ٨٤ - ٨٥ وانظر النفع ٤ : ٥٣ .
٢ المطمح : لبلوغ .

٣ وردت هذه القطعة في ترجمة أبي الفضل بن شرف ، ولكنها هي نص ترجمة ابن عائشة في المطمح : ٨٤ وعنه ينقل صاحب النفع ٤ : ٥٤ - ٥٥ ولذلك حولتها إلى هذا الموضع .

الهواء ، قليلةُ الأدواء ، خَصِيصَةُ العُشْبِ ، قد أحاط بها نهرها كما تحيطُ بالمعاصمِ الأساورُ ،
 والتوى عليها كالأرقمِ المساور ، والأيكُ قد نَشَرَتْ ذوائبها على صَفْحِهِ ، والروض
 قد عَطَّرَ جوانبه بنفحة ، وأبو اسحاق بن خفاجة منزعُ نفسه ، ومضْرَحُ أنْسِيهِ ، وبه
 نَفَحَ له بالمنى عَبَقٌ وشذا ، وَضَرَحَ عن عيونِ مَسْرَاتِهِ القذى ، وغدا على ما أحب
 وراح ، وجرى متهافتاً في ميدانِ ذلك المراح ، وسنهُ قَريبُ عهدٍ بالقطام ، ودهرُهُ
 ينفادُ للإسعادِ في خطام ، فلما اشتعل رأسُهُ شيباً ، وزرَّتْ عليه الكهولةُ جيباً ، أقصر
 عن تلك الهناتِ ، واستيقظ من تلك السِّناتِ ، وشبَّ عن ذلك الطَّوقِ ، وأقصرَ عن
 الحنين والشوق ، وقنع باهداء تحية ، وما يستشعره في وصف تلك المعاهد من أريحية ،
 فقال [٢٤٤ أ] :

ألا خلتاني والأسى والقوافيا أرددها شجواً فأجهشُ باكيا
 أو بن شخصاً للمسرة بائناً وأندب رسماً للشبية باليا
 تولتني الصبا إلا توالي فكرة قدحت بها زناداً من الوجد واربيا
 وقد بان حذو العيش إلا تعلقةً تحذني عنها الأمانى خاليا
 ويا يرد ذلك الماء هل منك قطرةً فيها أنا أستسقي لمالك صاديا
 وهيأت حالت دون حزوئى وعهدا ليالٍ وأيامٌ تُخالُ لياليا
 فقل في كبيرٍ عاده عائد الصبا فأصبح مهتاجاً وقد كان ساليا
 فيا راكباً يستعمل الخطو قاصداً ألا عدوً بشقيرٍ رائحاً أو مغاديا
 وقف حيث سال النهرُ ينسابُ أرقماً وهباً نسيمُ الأيكِ ينفثُ راقيا
 وقل لأثيلاتٍ هناك وأجرعٍ سقيتِ أثيلاتٍ وحييتِ واديا
 وليس بيدعٍ أن تعدتُ في الهوى فحييتُ من أجلِ الحبيبِ المغانيا

فصل في ذكر الشيخ الماهر أبي محمد بن السيد البطلبوسى^١ : إمامٌ

١ ترجمته في الصلة : ٢٨٢ والديباج المذهب : ١٤٠ والمغرب ١ : ٣٨٥ والقلائد : ١٩٣
 وأزهار الرياض ٣ : ١٠١ وصفحات متفرقة من نفع الطيب ، وأخبار وتراجم أندلسية : =

الأوان ، وحاملٌ لواءِ الإحسان ، وهو بالأندلس كالجاحظ بل أرفعُ درجةً ، وأنفعُ لمن شامَ بَرَقَهُ أو شمَّ أَرَجَهُ ، وشَلِبُ بَيَضَتُهُ ، ومنها كانت حَرَكَتُهُ ، ونُسِبَ إلى بطليوس لتردده بها ، ومولده في تُرْبِهَا ، ومن حيث كان فقد طبَّقَ الأرضَ رِقْعَةً ذَكَرٍ ، وسَبَقَ أَهْلَهَا بِكُلِّ نَزْعَةٍ فِكر ، وقد أثبت من محاسنه ما يَبْهَرُ الألبابَ وَيَسْحَرُ ، ويحسده الوسمي المبتكر ، فمن ذلك قوله يصفُ طولَ ليلةٍ :

تري ليلنا شابت نواصيه [كبرة] كما شبت أو في الجوروض بهار
 كأن الليالي السبع في الأفق جمعت
 ولا فضل فيما بينها لنهار
 وأنشدني لنفسه من جملة أبيات :

خليلي ما للريح أضحى نسيمها يذكرني ما قد مضى ونسيت
 أبعد ندير الشيب إذ حل عارضي صبوت بأحداق المها وسبيت
 تلاحظني العيان منها بنظرة فأحيا ويقسو قلبها فأموت
 فيا قمرأ أغرى بي التقصن واكتسى كمالاً ووافى سعده وشقيت

وأنشدني من أخرى له :

أيا قمرأ في وجنتيه نعيمٌ لعيني وفي الأحشاء منه جحيمٌ
 إلى كم أقاسي منك روعاً وقسوةً وصراً وسقماً إن ذا لعظيم
 ولاني لأنهي النفس عنك تجلداً وأزعمُ أني بالسلو زعيم

.....
 = ٢٤ ، ٩٧ ووفيات الأعيان ٣ : ٩٦ والخريدة ٢ : ٤٧٨ (ط . تونس) وغاية النهاية
 ١ : ٤٤٩ والشذرات ٤ : ٦٤ ومرآة الجنان ٣ : ٢٢٨ وبغية الوعاة ٢٨٣ ؛ والمقدمة
 التي وردت هنا لم ترد في ط د س وبدأت الترجمة هنالك : « أبو محمد بن السيد البطليوسي
 من سكان مرسية » أنشدني لنفسه : خليلي ما للريح . . . الخ .

وأنشدني أيضاً لنفسه يستدعي بعض إخوانه ، يسمي راشداً^١ : [٢٤٥ ب]

عندي [مسكوب^٢] من الراح عبيق^٣ فيه مئى مصطبح^٤ ومغثيق^٥
يحكي شذا المسك إذا المسك فُتِق^٦ كأنه من خُلِقِك^٧ [الخلو] خُلِق^٨
كأنما كؤوسه تحت الغسق^٩ في راحة الساقى نجوم^{١٠} تأتلق
[تخالها وهي تلظى كالخرق أحشاء صب^{١١} ملهتب^{١٢} من الخرق
ترى لدى المزج إذا الماء اندفق فيها حباًباً لآح كالدر^{١٣} انتسق]
وأنت أنسي والمقدى بالحدق^{١٤} فاطلع طلوع القمر^{١٥} التمسك^{١٦} اتسق
في يومنا هذا إذا الظهر نطق يا راشداً إذا دجى الغي^{١٧} سبق
[وماجداً كم حاز في السبق السابق] لله معنى طابق^{١٨} اسماً لك حق
توافقا فيك إذا الاسم اتفق

وأنشد لأخيه أبي الحسن الكاتب من جملة قصيدة :

يا رب ليل قد هتكت^١ حجابته^٢ بزجاجة وقادة^٣ كالكوكب^٤
يسعى بها ساق^٥ أغر^٦ كأنها من خدته^٧ ورضاب^٨ فيه الأشنب^٩
بدران : بدر^{١٠} قد أمينت^{١١} غروبه^{١٢} يسعى ببدر^{١٣} جانح للمغرب^{١٤}
فإذا نعمت^{١٥} برشف بدر غارب^{١٦} فانعم^{١٧} برشفة^{١٨} آخر^{١٩} لم يغرب^{٢٠}
حتى ترى زهر^{٢١} النجوم^{٢٢} كأنها حول^{٢٣} المجرة رب^{٢٤} رب^{٢٥} في مشرب^{٢٦}
والليل^{٢٧} منحفر^{٢٨} يطير^{٢٩} غرابه^{٣٠} والصبح^{٣١} يطرده^{٣٢} بباز^{٣٣} أشهب^{٣٤}

وما أحسن قول المعري في هذا التشبيه ، وعلى لفظه عول فيه^٣ :

١ انظر أزهار الرياض ٣ : ١١٣ - ١١٤ .

٢ دط : أحوى الجفون ؛ س : ساق أغن .

٣ شروح السقط : ٤٢٣ وروايته هناك :

يا ليل [بالله أذق غرابها موتاً من الصبح ببازٍ كُرزٍ]
وقال تميم بن المعز^١ :

وكانَّ الصبَّاحَ في الأفقِ بازٍ والبدجى بين مخالبه غرابُ
و [قد] أخذ هذا المعنى أبو محمد أخوه [المذكور] فقال ، وَنَقَلَهُ إِلَى
ذِكْرِ الشَّبَابِ :

أرى الدهر يَأبى أن يُرى وهو مسعفُ بما الهمةُ العليا تكلفنيه
طوى جِدَّتِي طيَّ السجَلِ وعاضني بثوبِ بلي [أمسى] يبادلنيه
وطار غرابُ للشبيبة راعهُ موافاةُ بازٍ للمشيب تليه
ولم أنسَ من ليلِ الشَّبَابِ وظلته أثيثَ جناحِ بات يُلحُفنيه
وعهداً تولَّى باللَّبانةِ خِلْتُهُ لى الحِبِّ في أفواه مرتشفيه

وله^٢ يصفُ فرساً ، وهو مما اندفع في التمثيل له والتشبيه ، وخلع عليه شِيئَاتٍ لاحق
والوجيه : [٢٤٦ أ] .

وأقبَّ من نسلِ الوجيهِ ولاحقِ قَيْدِ العيونِ وغايةِ المتأملِ
مَلَكَ النواظرَ والقلوبَ بحبِّه فمتى ترقَّ العَيْنُ فيه تسهَّلَ
ذي منخرٍ رحبٍ وزورٍ ضيقِ وسماوةٍ خصبٍ وأرضٍ ممحلِ

= بالله يا دهر أذق غرابها موتاً من الصبح ببازٍ كرز

والكرز من اللير : الذي سقط ريشه .

١ ديوانه : ٧٠ ، وشروح السقط : ٤٢٣ .

٢ هذه القطعة دخيلة على الترجمة الأصلية - في ما أقدر - وقد اعتمدنا عليها على ترجمة مفردة

لابن السيد ألفها الفتح بن خاقان واقتبسها المقرئ في أزهار الرياض ٣ : ١٠٧ ، وقارن

بالقائد : ١٩٤ .

قَصُرَتْ له تسعٌ وطالتُ أربعٌ وزكت ثلاثٌ منه للمتأمل
وكأنما سال الظلامُ بمنته وبدا الصباحُ بوجهه المتهايل
وكان راكبهُ على ظهر الصبَا من سرعةٍ أو فوق ظهر الشمال

وحضر^١ مع ابن ذي النون بطليطلة بمجلس الناعورة ، في المنية المتناهية البهاء والإشراق ،
المباهية لزوراء العراق ، التي تنفجرُ أبدأً وتقطر ، وتكادُ من الغضارة تُسَطِّير ، والقادر
قد التحف الوقارَ وارتداه ، وحكّم العقار في جوده ونداه ، والدولابُ يحنُّ كناقاةٍ إثر
الحوار ، أو ككلكي من حرّ الأوار ، والمجلسُ يروقُ كالشمس في الحمل : وأهله
يبتهجون بمثل الأمل ، والجوُّ قد عنبرته أنواؤه ، والروضُ قد بلّته أنداؤه ، والأسدُ
قد فَعَرَّتْ أفواهها ، وسَجَّتْ أمواها ، فقال :

يا منظرًا إن رمقتُ بهجتهُ أذكرني حُسْنِ جَسَّةِ الخُلْدِ
تربةٌ مسكٌ وجوٌّ عنبرةٌ وغيمٌ نديٌّ وطشٌ ماورد
والماءُ كاللازوردِ قد تَطَمَّتْ فيه اللَّآلِي فواغرُ الأسدِ
كأنما جائلُ الحبابِ به يلعبُ في جانبيه بالنرد
تراه يزهي إذا يحل به الـ قادرُ زهْوُ الفتاةِ بالعقدِ
تخاله إن بسدا لناظره تيمًا بدا في مطالع السعدِ
كأنما أُلْبِسَتْ حدائقه ما حاز من شيمةٍ ومن مجدِ
كأنما جادها فروضها بنائلٍ من يمينه رغدِ

وَدُعِيَ^٢ ليلةً إلى مجلسٍ قد احتشد به الأنسُ والطرب ، وقُدِرَ عَ فيه نبعُ السرورِ بالغرب ،
ولاحتُ بِنجومٍ أكواسيه ، وفاح نسيمُ رَنْدِهِ وآسيه ، وأبدت صدورُ أباريقه أسرارها ،
وضمّتْ عليه المحاسنُ أزرارها ، والراحُ يديرها أوظف ، وزهرةُ الأمانِي تجني وتقطف ،
فقال^٣ :

١ انظر أزهار الرياض ٣ : ١٠٧ والقلائد : ١٩٤ ونفح الطيب ١ : ٦٤٤ .
٢ انظر أزهار الرياض ٣ : ١١٠ .
٣ هنا تجده نسب الأبيات لأبي محمد مع أن صاحب الذخيرة أوردتها من قبل ص : ٧٩٢ لأخيه
أبي الحسن .

يا ربَّ ليلٍ قد هتكتُ حجابه بمدامةٍ وقادة كالكوكب [٢٤٦ ب]
.....
(الآيات)

وله في وصف فرس :

وأدهمَ من آلِ الوجيه (الآيات)

ودخل سرقسطة أيام المستعين ، وهي زهرة الدنيا ، وفتنة المحيا ، ومنتهى الوصف ، وموقف السرور والقصف ، فنزل منها بمثل الخورنق والسدير ، وتصرفت فيها بين روضة وغدير ، وكان فرّ من ابن رزيين ، فدار السرور من نفس الحزين ، وخلص من اعتقاله ، خاوص السيف من صقاله ، فقال :

هم سلبوني حُسنَ صبري إذ بانوا بأقمار أطواقٍ مطالعها بانُ
لئن غادروني باللّوى إنَّ مهجتي مسائرةٌ أظعانتهم حيثما كانوا
أأحبابنا هل ذلك العهدُ راجعٌ وهل عنكمُ لي آخرَ الدهرِ سُدوان
ولي مقلةٌ عبّرتي وبين جوانحي فؤادٌ إلى لقياكمُ الدهرَ حنان
تنكرت الدنيا لنا بعدَ بعدكمُ فعاودنا من مُعضيلِ الخطبِ ألوان
أناختُ بنا في أرضٍ شنتمريّةٍ هواجسُ ظنّ نخانٍ والظنُّ خوان
رحلنا سوامَ الحمدِ عنها لغيرها فلا ماؤها صدّاً ولا الثبتُ سعدان
إلى ملكٍ حاباه بالمجدِ يوسفٌ وشاد له البيتَ الرفيعَ سليمان
إلى مستعينٍ بالإله مؤيدٍ له النصرُ حزبٌ والمقاديرُ أعوان [٢٤٧ أ]

وكتب مراجعاً ٢ :

ليس بالمستنكر أن طرت سباً غير مدفوعٍ عن سبق العرابُ

١ انظر أزهار الرياض ٣ : ١٢١ .

٢ هذه القطع حتى آخر ترجمة ابن السيد لم ترد في القلائد ، ولا في الترجمة التي نقلها المقرئ في أزهار الرياض ، وأكبر الظن أن المقرئ لم يورد جميع تلك الترجمة .

واقفاني - أعزك الله - كتابٌ شغل حاسيتي سمعي وبصري ، وملاً حافتتي فكري
 وخاطري ، وأراني الدرّ إلاّ أنه لم يُنظّم ، وأسمعي السحرَ إلاّ أنه لم يُحرّم ، لو صيغ
 عقيداً لأحجل الدرّ والعقيان ، ولو حييتك برُداً لعطلّ الديباج والخسروان ، فله
 قريحةٌ أذكت نارَهُ ، وأطلعت أنواره ، إن مُزنتها لتغيّرُ جهام ، وإن سيفها لتغيّرُ كهام ،
 وإن ثمرها > . . . < ونضار ، وإن زندها لمرخٌ وعفار ، حبّدا سيدي - أدام الله
 عزّه - وقد طلع علينا طلوعَ البدر في الغسق ، وضمخ أبقها بخدوقِ ذلك الخلق ،
 واقتدحنا زندَ ذكائه فأورى ، ولمحنا كوكب سمانه فأعشى ، وشاهدنا به البلاغة شخصاً
 محسوساً ، والرئيس المتعاطي البراعة مرعوساً ، أقدمه الله خيّرَ مقدّم ، وأغنمه أفضلَ مغنم .
 وكتب مستدعيّاً : نحن - أعزك الله - في مجلس مُدامٍ تديرنا أفلاكُهُ ، وعقيدِ
 نظامٍ نظمنا أسلاكُهُ ، بين غيم يبكي بمثالِ عينِ المهجور ، وروضٍ يضحك عن مثلِ
 درّ الثغور :

ومدامٍ كأنما كلُّ شيءٍ يتمنى نغير أن يكونا
 أكل الدهرُ ما تجسم منها وتبقى لبابها المكنونا

فلك الفضلُ في الخفوفِ إلينا لتكون شمس تلك الأفلاكِ ، ووُسطى تلك الأسلاكِ ،
 إن شاء الله .

وكتب في مثل ذلك : ما ظنك - أعزك الله - بعروسٍ لهو ، تختالُ في ثياب عُجبٍ
 وزهوي ، وتصبي القلوب بحسن قصفٍ وشدو ، قد سفرت من وردّها عن خدّ نخجلٍ ،
 ورنتت من نرجسها بطرفٍ غيرٍ مكتحل ، ونحن بين فرشٍ مرفوعةٍ ، وأكوابٍ
 موضوعة ، فبادرُ إلينا .

وأنشدت لابن هند الداني^٢ وقد طَلَقَتْ عليه امرأته :

١ لابي نواس ، قطب أنسرور : ٦٩٧ .

٢ ترجمته في المغرب ٢ : ٤٠٨ والخريدة ٢ : ١٨٦ وورد اسمه في المغرب « ابن هندو »

وانظر نفع الطيب ٣ : ٢٦٥ حيث ورد الاسم كذلك .

أَبْدَيْتُ سِرِّي مَدَّ كَتَمْتِ سُرَاكِ
 وَنَثَرْتُ أَسْلَاكَ الدَّمْعَ مَعْرَضاً
 أَرْحِيمَةَ الْأَلْفَاظِ غَيْرَ رَحِيمَةَ
 لَا دَرَّ دَرٌّ صَبَاكَ لِاسْتِحْلَالِهِ
 هَبَّتْ ضَحَى وَأَهَابَ طَيْبٌ نَسِيمَهَا
 لَمَّا أَسْرُوا الْبَيْنَ أَسْرَوْا وَالدَّجَى
 فَطَفَقْتُ أَنْشُدُهُمْ وَأَنْشُدُ بَعْدَهُمْ

ومنها :

هَلَا بَعَثْتِ لَوْ لَوْ يَفْرَعُ بِشَامَةٍ
 وَقَرَأْتِ حِينَ قَرِيتُ أَرْبَعُ أَدْمَعِي
 يَا بِنْتَ مَعْتَنِي الْفَوَارِسِ بِالْقَنَا
 لِأَقْرَنَ أَرْهَبُهُ سِوَاكِ وَإِنْ غَدَا

ومنها :

أَهْوَاكِ حَالِيَةً وَعَاظِلَةً^٢ وَإِنْ
 وَيَسْرُهَا مَا سَاعَنِي مِنْ حَبِهَا
 مَهْمَا رَحَلْتِ وَصَارَ حَبُّكَ قَاطِنًا
 رَفَقًا بَقَلْبِ أَنْتِ فِي سَوَادِيهِ
 وَعَزِيمَةٍ أَمْضِيَّتِهَا لَمْ أُخْلِهَا

١ ب م : نزلت .

٢ د ط : عاظلة وحالية .

٣ ط د : حزم .

فعلَ الكرامَ ولاني لزعيمهم فاخترتُ تسريحاً على إمساك
ولو أني أحببتُ ذلك لردّها للقول مرهفةً وجردُ مذاكي
فالحقُّ أبلجُ لا شهادةُ كاذبٍ من جهله يزكو وليس بزاك
يحيي ويقتل بالشهادةِ وهو لا يدري ، فأفّ ليزوره السفّاك

واعترض الحاجبُ منذر بن هود يوماً بعضَ الجنود ، وزعيمهم بعض
أعلاج العبيد ، يسمى خياراً ، في نهاية من الجمال ، فجعل ينفخُ في القرن
بجمع أصحابه كعادة أعلاج العبيد ، فقال ابن هند ارتجالاً :

أعنّ بابل أجفانُ عينيك تنفثُ وعن قوم موسى [قد جعلت تحدثُ]^١
أفي الحقّ أن تحكي سرافيلَ نافخاً وأمكثَ في رمسِ الصدود وألبث
عسالكَ خيار الحسنِ^٢ تأتي بآيةٍ فتنفخَ في ميّتِ الغرامِ^٣ فيبعث

ووجدتُ له في بعض [التعاليق] هذه القصيدة منسوبةً إليه بخط عبد الجليل
ابن وهبون المرسي ، أولها :

فرقتُ لتوديعِ الخليطِ الموافقِ وقد حُميتُ بالبيضِ سودُ المفارقِ
ولا ثغرَ إلاّ دونه ثغرُ بارقِ ولا خدّ إلاّ دونه حدّ بارقِ^٤
أمانيّ تحميها المنايا وللهوى بها موردٌ يغري مشوقاً بشائقِ [٢٤٨]^٥
ومما شجاني شدوُ أوركِ ساجعِ يراجعهُ تنعابُ أسفَعِ ناعقِ

١ النفح : أنت للمهد تنكث ؛ س : حزت قرباً تحمحت .

٢ النفح : نبي الحسن .

٣ النفح : ميت الصدود .

٤ ط د : لتفريق .

٥ د ط : حجبت .

٦ ط د : خد خارق .

وفكّ معصى النائحين كليهما
 فمن ذات قلب فوق وجناء خيفتي
 ومن عاتق فعل الحليّ بجيدها
 من اللائي لا الأقراطُ يرضين زينةً
 شققن قلوباً لا جيوباً كرامةً
 وضاعف وجدي عطفُ صدغٍ معقربٍ
 ولينُ قدودٍ كالغصون يعوقها
 فأبديتُ ما أخفيتُ والموتُ حاضرٌ
 فأقبلن يُسدّلنَ البراقعَ عِفّةً
 وسِرْنَ يؤمّلنَ الحمى فنزلنه
 ولني لمن حاز الغبيطَ لغابطٍ
 سيلحقي بالحليّ من كلِّ وجهةٍ
 عليمٌ بسريّ جسمه جسمٌ [مقربٍ]
 وأسمرٌ مهما سرتُ سار مسامري
 ومن شيمي حبُّ الحسامِ كأنّه
 وليلٍ يظلُّ النجمُ فيه كأنما
 سريتُ ودوني كلِّ خرّقٍ كأنما
 فما راعهم إلاّ الكرى قد أطاره
 ومن لم يعرضْ للمهالكِ نَفْسَه
 وأجدرُ من نال الأمانيّ ساكنٌ
 وأخلقُ خلقٍ بالمدائحِ ماجدٌ
 ثببتُ عناني بالمودةِ نحوه
 فأوردني من بيرةٍ وثنائيهِ
 ترنّم حادٍ بالمطايا وسائق
 تسيرٌ ومن قلبٍ هنالك خافق
 يذكّرها فعلَ النجادِ بعاتق
 لهنّ ويستحسنّ لبسَ القراطق
 لنا ونثرن الدرّ فوق الشقائق
 كنون أجادت خطها كفّ ماشق
 إذا مسنّ أن تنقدّ شدّ المناطق
 ومثلي لا يزهي بحبّ مناقق
 ويرميننا من كلِّ لحظٍ براشق
 لإسّادٍ عشرٍ بعد وخذٍ الأيانق
 على صابحٍ بالوجد قلبي وغابق
 أخو الريح من آل الوجيه ولاحق
 كريمٍ ولكنّ نفسه نفسٌ عاشق
 وأبيضٌ مهما نمتُ نام معانقي
 إذا شيمٍ في الهيجا تألقُ بارق
 مغاربهُ موصولةٌ بالمشارق
 تُردّدُ فيه الجنّ لحنَ مخارق
 صليلُ العوالي أو صهيل السوابق
 وفاءً لمن يهوى فليس بواقق
 ظهورَ المداكي في بطون السماتق
 صليبُ قناة الدين لدنّ الخلائق
 مُجدّ أولم [أحفل برأي] المحائق [٢٤٨ ب]
 رواءً لظمانٍ ومسكاً لناشق

ومن كأبي عبد الإله مؤملاً
جري بميدان العلوم مؤيداً
فما شئتة من طاعن فيه خارق
فأعجب له من ناظم فيه ناثر
جميل الأيادي في المبادي معيدها
إذا استمطر الذهن الذكي تفتحت
فيا لك من مستعذب العرف عاطر
لعمرك إجلالاً لما أنسا حالف
لقد أهدت بي من أياديك منة
وعاق لساني أن يطيل عنانه
واني ان قصرت فالشكر مسهب
فقل لأناس أملوا نيل شأوه
فدونكها من مخلص لك ممحض
ومن لم يساعده الرشاد فغيه
إذا الجدد لم يجدي عليك فلا تكن

لقمع أباطيل ونصر حقائق
على قرنيه في المأزق المتضايق
وما شئتته من ضارب فيه فائق
وأعجب له من فاتق فيه رائق
حميد المساعي في العلا والطرائق
أزاهير علم في رياض المهارق
ويا لك من مستغرب الحسنى رائق^٢
به قول ذي ود وحلقة صادق
تذكرني في الحسن زهر الحقائق
أمور عرت^٣ والمرء رهن العوائق
يطيل وإن أبصرته غير ناطق
مكانكم فالشاه رب البيادق
هو العلق إلا أنه غير نافق
مفيد الأعادي من جهات الأصادق
من الجدد ما حاولت شيئاً بوائق

وأنشدت لأبي عامر بن زهرة الصانع من دانية في ابن هند هذا، إذ
طلقت عليه امرأته :

لا تلوما نجل هند يا خليلي وكفنا

١ ط د س : حاذق .

٢ بعد هذا البيت وقع في ط د س بيت أوله «فقل لأناس . . .» وسيأتي حسب موضعه في ب م .

٣ ط د : عدت ؛ س : عفت .

فهو في الناس رشيدٌ أبصرَ الغيَّ فكفناً
طلتَ الفرَجَ^١ ثلاثاً^٢ وابنتي^٢ بالزبِّ ألفاً

وسرق رجلٌ من دانية دنانيرَ لرجل اسمه غالب ولم يعاقبْ ، فقال
ابن زهرة :

أني الحقُّ أن يدرا. ويدراً حده وقد غلَّ شطراً من دنانيرِ غالبِ
وتقطعَ مخزوميةٌ في نجارها تمتُّ بقربى من لؤي بن غالب

وأشدت لأبي بكر الفرضي الداني وخاطب بها أبا الحسن بن سابق ،
صاحب سوق بنسبة [٢٤٩ أ] :

يا ماجداً أصبح ممنوحا بكلِّ فضلٍ بانَ تصريحاً
طالت مواعيدك لا معدماً فاستقصرت في عمره نوحاً
واستقبلتُ رُسليَ أعيانها من فرطٍ ما حملتها ريحاً
لعلَّ اسرافيلَ إذ زاركم ينفخُ في بيت الدجى روحاً

فأجابه ابن سابق :

يا غخطيءَ التقدير^٣ [إني] امرؤٌ مكابدٌ منك تباريحاً
قستَ بما تبصره باطني إن شئتَ خذ سريَ مشروحاً
كم ضاحكِ السنِّ [إذا] جردوا أثوابه أُلْفِيَّ مجروحاً
إيه أبا بكرٍ لقد غادرتُ دمعيَ أبيتك مسفوحاً

١ ط : الحرح .

٢ ب م : وانثى .

٣ ط د س : التدبير .

أبكيك من حرٍّ أخِي فطنةٍ أصبح بالحرمانِ مفضوحا
سبحانَ من صيَّر مثلي على قلةِ قدرِي منك ممدوحا
محملاً رُسُلكَ مهما أتوا برقعةٍ من لفظك الريحا
من بعد أن كنت بكاسِ الغنى والعزِّ مغبوقاً ومصبوحا

ولأبي بكر الفرضي من جملة أبيات :

قالت وقد نَشَرُ الصِّباحُ رداءَهُ وَجَبَّ الصِّبوحُ فعاطِنِي الجِرِّبالا
فسقيتُها حتى انثشتُ وتمايلتُ كالغصنِ حرکه النسيمُ فمالا
وشربتُ فَضلاتِ الكؤوسِ وقد أبتُ الا لتجعلَ قبلها الأثقالا^١

وأشدني الشيخ أبو [جعفر] أحمد بن عتق الفضة^٢ من مدينة سالم لنفسه :

رضي [جاء] عن لحظاتٍ غِيصابٍ وَعَتي . تحاولُ مَحَوَ العتابِ

يقول فيها :

فلولا حياءُ المحيّا وما عراني [لفقْد] الصِّبا من تصابي
لمرَّغتُ نخدي وألقتُ بين هشيمِ المشيبِ وروضِ الشبابِ

وأول من أفرغ على هذا المعنى وصبَّ على هذا القالب ابن الرقاع^٣

بقوله : [٢٤٩ ب]

لولا الحياءُ وأنَّ رأسيَ قد عسا فيه المشيبُ لزرتُ أمَّ القاسمِ

١ ط د : نقلها ؛ س : الاثقالا .

٢ في المغرب ٢ : ٤٦٢ ترجمة لجعفر بن عتق الفضة من مدينة سالم ، فلعله هو .

٣ انظر الشعر والشعراء : ٥١٦ وياقوت (جاسم) والكمال ١ : ١٤٨ والأغاني ٩ : ٣٠٥ .

وقال تميم بن المعز :

والله لولا أن يقالَ تغيّرا وصبا وإن كان التصابي أجدر
لأعاد تفاحَ الخلود بنفسجاً لثمي وكافورَ الترائب عنبرا

ولو قال تميم في هذا البيت :

لأعاد وردَ الوجنتين بنفسجاً لثمي

لتمَّ له الوصفُ ، وَحَسُنَ الرَّصْفُ ، لكونِ الورد من قبيل البنفسج ،
كما جمع بين الكافور والعنبر ، وسلم بذلك من كل ناقد ، لأنهما من قبيل واحد.
وقال محمد بن هاني^٢ :

والله لولا أن يُسَفَّهني الهوى^٣ ويقولَ بعضُ القائلين تصابى
لكسرتُ دُمْلُجها بضيقِ عناقها ولثمتُ من فيها البَرودِ رضاها

وأشدت لأبي محمد بن سفيان^٤ وزير الأمير ابن قاسم صاحب حصن
البونت من جملة أبيات خاطبَ بها أبا عيسى بن لبون :

ألموا وقالوا مذنبٌ ومُليماً وعرضيَ من تلك الهناتِ سليمُ
وما في ما يُنعى ولكنَّ سؤدداً هوتُ لذوي الرجحان فيه نجوم
فقلتُ وجفني قد تداعتْ شئونهُ وحرُّ ضلوعي مُقْعِدٌ ومقيم

١ ديوان تميم : ٤٦٢ ، وهي من الإضافات إلى الديوان ، وانظر التخريج في الحاشية .

٢ ديوان ابن هاني : ١٩٨ .

٣ دطس : الوري .

٤ ترجمته في القلائد : ١٣٦ .

لئن دَهَمْتُ دَهْمَ الْخُطُوبِ وَأَلَمْتُ
يَجْلِي دَجَى عَمِيائِهَا فَتَجِرُ رَأْيَهُ

ومن جواب أبي عيسى :

لِيَهْنِكَ مَجْدٌ مُحَدَّثٌ وَقَدِيمٌ
بَنَى لَكَ سَفِيانٌ وَقَدْ زِدْتَ يَا ابْنَهُ
كَأَنَّكَ تَمَثِيلًا سَمَاءُ جَلَالَةٍ

ومنها :

وَأَسْمَرَ عَرِيانٍ مِنَ الْغُشْمِ^١ جَاهِلٍ
إِذَا جَنَّةُ الْأَقْلَامِ يَوْمًا تَمَرَّدَتْ
وَإِنْ خَطَّ قَرطاساً بَدَا فَوْقَ صَحْنِهِ
يَعْطَلُ سِحْرَ السِّحْرِ سِحْرُ بَيَانِهِ
رَأَتْكَ الْمَعَالِي هَادِيًا عَالِمًا بِهَا
يَهْبُ عَلَى الْآفَاقِ ذَكَرَكَ عَاطِرًا
وَدُونِهَا وَالْعَدْرُ مَا قَدْ عَلِمْتَهُ^٢
نَتِيجَةُ فِكْرٍ قَدْ ثَقَلَبَ^٣ مِيزَهُ
وَحَقٌّ فَإِنَّ الْمَاءَ قَسَدٌ بَلَغَ الزَّبِي
[عَلَى أَنْيِ صَعْبُ الْقِيَادِ إِذَا دَهَسَتْ
وَمَا الْمَجْدُ إِلَّا مَا ابْتَنَتْهُ ثَلَاثَةٌ

١ د ط : القصب .

٢ د ط س : هموم .

٣ د ط س : ذهن . . . تفلت .

فإن مرّ منك النقدُ منها بسقطةٍ فحلّمك يُغضي والكريمُ حلِيم

وأنشدت ليحيى السرقسطي المعروف بالجزار^١ في رجل ساوم طبيباً :

عجبت لذي سقم معضل يسوم الطبيب ويكدي عليه
يضمنُ عليه بديناره ويجعل مهجته في يديه

وأمر الحاجب ابن هود الوزير أبا الفضل بن حسداي أن يوبخ يحيى هذا على رجوعه إلى الجزارة من بعد أدبه ، فخاطبه بأبيات أولها :

تركتَ الشعرَ من ضعفِ الاصابه وعدتَ إلى الدناءة^٢ والقصابه^٣

فأجابه يحيى الجزار :

تعيبُ عليّ مألوفَ القصابه^٤ ومن لم يدرِ قدَرَ الشيءِ عابه^٥
ولو أحكمتَ منها بعضَ فنّ لما استبدلتَ منها بالحجابه
أما ولو اطلعتَ عليّ يوماً^٦ وحولي من بني كلبِ عصابه
لهالك ما رأيتَ وقلتُ هذا هزبرٌ صيرّ الأوضامَ غابه
فتكنا في بني العنزى فتكاً أقرّ الدّعْرَ فيهم والمهابه
ولم نُقلِيعَ عن الثوريّ حتى مرّجنا بالدم القاني، لعابه
ومن يغرّ منهم بامتناعٍ فإنّ إلى صوارمنا إياه
ويبرزُ واحدٌ منا لألفٍ فيغلبهم وتلك من الغرابه

١ ترجمته في المغرب ٢ : ٤٤٤ وانظر نفع الطيب ٤ : ١٥٢ وزاد المسافر : ١٤٠ .

٢ النفع : وملت إلى التجارة ؛ زاد المسافر : وعدت إلى التجارة .

٣ زاد المسافر : فانك لو نظرت إلي فيها .

٤ زاد المسافر : لهالك منظري ولقلت .

ومنها :

وَحَقِّكَ مَا تَرَكْتُ الشَّعْرَ حَتَّى
وَحَتَّى زَرْتُ مُشْتَقًّا حَمِيمًا^٢
وِظَنَ زِيَارَتِي لِطِيَلَابِ شَيْءٍ
وَمِنْ تَكْ سُهْمَةً الْمَاضِي وَيَأْمَلُ^٣
مِنَ الْأَوْشَالِ لِحُجِّ الْبَحْرِ طَامٍ
كَتَبْتُ بِهِ عَلِيلَ الْجَسْمِ نَضْوًا
وَمَوْقِفَ حُسْنِ نَقْدِ الشَّعْرِ صَعْبًا^٤
رَأَيْتُ الْبِنْخَلَ قَدْ أَمْضَى شَهَابَهُ^١
فَأَبْدَى لِي التَّجْهَمَ وَالْكَأَبَ [ب ٢٥٠]
فَنَافَرَنِي وَغَلَطَ لِي حِجَابَهُ
بِكَ الْغَرَضَ الَّذِي يَهْوَى أَصَابَهُ
وَفِيضُ الْبَحْرِ مِنْ نُقْطِ السَّحَابِ
وَذُو الْأَسْقَامِ قَدْ يَعْدُو صَوَابَهُ
فَيَسِّرُ عِنْدَ مَوْقِفِهِ حِسَابَهُ

وأُنشِدتْ لَهُ مِنْ أَيْتٍ خَاطَبَ بِهَا صَاحِبَ الْأَحْكَامِ بِسَرَقِيسَةَ :

خَلِيلِيَّ مَا أَوْلَى الْمَكَائِي وَبِأَسْهَا
وَصَبَّحْتِي خَصْمٌ أَلَدٌّ وَإِنِّي
أَقْلَّ بِنَاتٍ^٣ الْخِصْمِ تَهْدُنِي
وَمَا لِي مِنْ شَيْءٍ أَدَافَعُهُ بِسَه
وَلِي مَقْعَدٌ خَمْسُونَ يَوْمًا مَضَتْ بِمَا
فَكُنْ بَاسِطَ الشُّورَى بِفَضْلِكَ قَاضِيًا
وَلَمْ أَلْتَزِمْ مَجْهُولَ وَقْتٍ لَوْزَنَهُ
بِيَا فَوْخَ مَنْ يَبْتَاعُ دَارًا مُسْطَبَّلَهُ^١
وَحَقِّكَ فِي أَمْرِ الْجِصَامِ لَذُو بَلَلَهُ
وَإِنْ عَنِ نَظْمِ الشَّعْرِ طَبَّقْتُ مَفْصَلَهُ
سِوَى عُسْرَةٍ بِكُلِّ حَالِي مَوْكَلَهُ
حَوْتَهُ يَدِي فِي قَابِضَاتِ مَسْهَاهُ
عَلِيَّ وَلِي إِنْ الْقِضَاءَ لَمَعْدَلَهُ^٢
وَحَسْبُكَ ذَا رَسْمِي بِنُحْطِ ابْنِ حَنْظَلَهُ

وَكَانَ وَالِدُهُ تَقْبَلُ أَرْضًا لِلْأَحْبَاسِ فِضَاعَ ، وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ خِرَاجُ الْأَرْضِ ،
فَكَتَبَ إِلَى الْعَامِلِ فِي ذَلِكَ :

١ المغرب : أذكى شهابه ؛ النفع : أوصى صحابه .
٢ المغرب : حبيباً ؛ النفع : خليلي .
٣ ب م : بنات ؛ ط د س : فتيات .
٤ ط د س : أمر .

يا أبا جعفر^١ لعمري عثار
 مسيدي اسمع لعبدك القن^٢ [يحيى]
 كان لي والد^٣ وكان لعمري
 ناقص^٤ الرأي تاجر البر والبحر
 مثل ما سميت^٥ اللدغ^٦ سليماً
 وكذا يسلك^٧ النجيب^٨ ويقفو
 لو وردت^٩ البحار^{١٠} أطلب^{١١} ماءً
 أو لمست^{١٢} العود^{١٣} النضير^{١٤} بكفي
 أو رمى^{١٥} بأسى^{١٦} النجوم^{١٧} الدراري
 ولو آني^{١٨} بعت^{١٩} القناديل^{٢٠} يوماً
 ومنها في كراء الأرض المذكورة :

اكثرها ولم يكن مستخيراً
 جدبة^{٢١} بعضها من الشوم^{٢٢} أضحي
 لم يزل^{٢٣} زارعاً^{٢٤} بها حمل^{٢٥} بغل^{٢٦}
 ساءني^{٢٧} ما أصبت^{٢٨} فيها ولكن
 ما أبالي^{٢٩} وقد غدا^{٣٠} لي^{٣١} ركناً
 وله من أبيات استهدى فيها مشروباً :

هاتها كوثرية^{٣٢} عسجدية^{٣٣} بنت^{٣٤} كرم^{٣٥} رحيقة^{٣٦} عطرية^{٣٧}
 كلما شفتها^{٣٨} النحول^{٣٩} تقوت^{٤٠} فاعجبوا^{٤١} من ضعيفة^{٤٢} وقوية^{٤٣}

١ سن : أبا عامر . ٢ ط د : كادل .

٣ هذا البيت ورد في المغرب ٢ : ٤٤٥ ومعناه بيت آخر وهو « ولو آني بعت القناديل . . . »

ربّ خمارةٍ سريت إليها والدجى في ثيابه الزنجيه
 وجيوشُ الصبّا تحثُّ ركابي وشياطينه تجدد نيه
 ثم ناديت ربةَ الدير قومي فتثنت^١ كأنها حوريّه
 تمسح النومَ عن جفونِ أماقٍ بينان مخضّبٍ فضيه
 قلت هاتي التي بها يستمال الـ شادين الصعب والنفوس الأبيه
 فأتني بها تلاً نوراً في كؤوسٍ كأنها عديه
 كم عقارٍ بذلته بعُقارٍ وثيابٍ صبغتها خمريه
 ودنانٍ ثنائيَ السكر عنها مترعَ البطن فارغَ السبنيّه^٢

[ومنها] :

هاك روضاً من التأدّبِ غضباً بفصولٍ غريبةٍ معنويّه
 من شكورٍ أهدى إليك ثناءً حين لم يستطع سواه هديّه
 فلتقارض عليه ماءً بماءٍ لا تقلّ غدوةً ولا في العشيّه
 إن خيرَ البيوع ما كان نقداً ليس ما كان آجلاً بنسيّه [٢٥١ب]

ورفع بعض المستمنحين رقعةً رديئة الخطّ واللفظ للوزير أبي عبد الله بن
 زرارة^٢ بسرقسطة ، فوقّع على ظهرها :

إنّ منّ يقصد الملوكَ ليعطى بمدادٍ مسطرٍ في كتابِ
 دونَ نظمٍ ولا براعةٍ لفظٍ رائعٍ حسّنه ذوي الألبابِ
 لحقيقٍ بالمنع في كلّ وجهٍ وجديرٍ بالطرد في كلّ بابِ

١ ط د س : فأتني .

٢ ترجم له في المغرب ٢ : ٤٤٣ وقال انه من رؤساء سرقسطة ومن ساد بصحبته الملوك ، مع البيت القديم ، وأنشد له أبياتاً ذكر أنها وردت في الذخيرة ولكنها لم ترد هنا .

ورفعت طائفة^٢ من الرعية على خازن المتنانية إلى المستعين بالله بن هود،
فوقع لهم :

نسبتم الظلمَ لعمالكمُ ونتمم عن قبُح أعمالكمُ
تالله لو حكمتم ساعةً ما خطر العدل على بالكم

وأُنشدت للأديب أبي الطاهر محمد بن يوسف الاشكوري^١، منسوباً
إلى قريةٍ له بعمل سرقسطة^٢ :

يا غُصْنًا هَزَّه نداءه يمنعه الحلم أن يميدا
لم يثنِ منك الشبابُ عِطْفًا ولا استمال الفخار جيذا
غرَّكَ مِين وَصَلِينَا غرامٌ فنازع الوصلَ والصدودا
كلُّ معنى سواك أَمسى صبيًّا بغير العلا عميدا
كم شرف في العلا [يفاع] أَحْرَزْتَهُ يافعا وليدا
ومنطق في الندى جُرَّازٍ أرسلته ضامنا سديدا
راعَ جلالاً وجلَّ قدرًا وفات سَبَقًا وبدًا جودا

[ومنها] :

إن تَبَلَّقْتَهُ فالأنام طُرا وإن غدا واحداً فريدا
[يهزُّ منك القريض عطفًا والمدح يثني إليك جيذا]
سوف أوفيه منك حظًا يحتفظه الدهر أن يبيدا

١ في المغرب ٢ : ٤٧؛ أبو الطاهر يوسف بن محمد الاشكركي ؛ وفي ب م : الاسكوري؛
نس : الأشكديري، وورد مرة أخرى في المغرب: ٤٣٣ الاشكورتى ، وقال فيه إنه إمام في
اللغة وكان له جاه عند ملوك الثغر بني هود وأكثر أمداحه في المعتصم بن صمداح ملك المرية .
٢ منها أربعة أبيات في المغرب ٢ : ٤٨ .

وله من أخرى يخاطب رفيع الدولة بن صمادح^١ :

ألا مبلغٌ عني الرفيع تحيةً كما نبه الروضَ النسيم المخلتق
عَدِمْتُ رسولاً بالتحية نحوه فسار بها عني الهوى والتشوق
ونازعني ذكراه شوقٌ مبرحٌ كما عللَ الشربَ الرحيقَ المعتق [٢٥٢أ]
فيا ليت شعري هل يُعرجُ خاطرٌ عليّ وهل يجري بدكري منطق
وإني لأخشى أن يسوغَ كاشحٌ وأحذر من كئيدِ العُدّةِ وأشفق
سواكَ لأسبابِ المودّةِ قاطعٌ وغيركَ مننٌ تبلى اديه وتختلق^٢

وله يشكره على مبرةٍ كانت منه لأحد بني الراضي يزيد بن المعتمد
ابن عباد^٣ :

إليكَ رفيعَ الملكِ تُهندي المحامد وباسميكَ تبهي في الزمانِ المشاهدُ
سلكتَ سبيلاً في المكارمِ أولاً لك الفضلُ هادي تفتفيه وراشدُ
وجردتَ دونَ المجدِ للجودِ صارماً وللهِ حامٍ عن حمى المجدِ ذائداً
وإنك للغيتُ الذي عمَّ سيبه تساوى قصيُّ في نذاكَ وشاهدُ
تغايّرَ فيك المكرّاتِ فكلّما تبرعتَ عادتُ بالجزيلِ عوائدُ
بدائعُ مجدٍ أنطقتُ كلَّ أوحدٍ فإنك فذٌّ في البريةِ واحدُ
ولما رأيتَ الفتحَ روضةً سوددٍ ذوى يانعٍ منها وجفتُ مواردُ
وكم عَدُّ بَتِ تلكَ الرياضِ مشارعاً فعرّجَ منتابٌ ونخيمَ رائدُ
سقاها ذنوبٌ من نوالِكِ سلسلٌ وسجَّ عليه من سحابكِ جائدُ

١ منها أربعة أبيات في المغرب .

٢ هنا تنتهي النسخة ب ، وقد سقطت منها ورقنتان على الأكثر .

٣ منها بيتان في المغرب .

٤ المغرب : ورائد .

فأضحى وعودُ العيش رِيَانُ مَورِقُ
وعاد عليه الدهرُ سلماً وكم غدا
سلالةُ مجدٍ صرَّم الدهرُ حَبْلَهُ
وبينكما للمجدِ قُربى قُربىةُ
أبوك ابنُ معنٍ والمؤيدُ جدُّه
لأجلتَ برّاً واحتفلتَ كرامةً
ولني زعيمٌ والقوافي ضوامنُ
فقدُمتَ على الأيامِ تزهو بك العلاءُ
وغصنُ الصِّبا لذنُ المعاطفِ مائد
يحاربه منه عدوٌّ معانسد
فواصلَ منه الحبلَ أروعُ ماجد
وحسبك قُربى أنْ تطيبَ المحائد
سما بكما جدُّ همامُ ووالد
فحيّاك مني شاكرٌ لك حامد
بشكرٍ تعاطيه الزمانُ القصائد
وحظُّك موفورٌ وجدُّك صاعد
وله من قصيد طويل ، خاطبه به من غرناطة وهو عابر سبيل ، أوله :

ألا هل أتى عني الرفيعَ سلامُ
وهل زاره عني ثناءُ كأنما
عليك سلامُ الله أمّا تشوفي
عهدتك من ذكرى خليلك والندی
ولني لتثنيي إليك نوازعُ
تصاحبي عليك في كلِّ بلدةٍ
وترفع لي إما ضللت على السرى
محارب أقبالٍ وأعلامِ سؤددٍ
لذكرك ما حنّت ركابي فشاقي
فهنّ حوانٍ كالقسيّ وإننا
أعلتها أن الرفيعَ أمامها
فهل جاءها أن الديارَ قصبةُ
فقلت لها لما أضرت بها الوجي
كما فُضَّ للمسك الذكي ختامُ [٢٥٢ب]
يخامر عطفَ الدهر منه مُدام
فبرحُ وأمّا أدمعي فسجام
كما هزّ يومَ الروع منك حسام
كما اعتاد صبيّاً لوعةً وغرام
كأنّ اضطرابي في البلاد مقام
قبابٍ لكم فوق السها وخيام
بهنّ على صدرِ الزمانِ أقاموا
حينئذٍ به تُطوى الفلا وبغام
مسيراً وعزماً في البلاد سهام
فتترك مَرَوَ الحزن وهو قتام
وأن وراءَ خلفته أمام
وقد جدّ منها غاربٌ وسنام

إذا ما حططتِ الرحلَ بآبن صمادحِ
ومن لركابي أن تنيخَ بظلالهِ
ومن لي بأني من ذراه بروضةِ
فأرتعَ منها في معاطفِ سرحةِ
وأسفرَ عن وجه من الودِّ واضحِ
مشارع أرخى الفضل فيها إزاره
سلامٌ على تلك المحاسنِ كلِّما
فإن السرى بسئلَ عنك حرام
فيخلعَ منها مقودٌ وزمام
يسحَّ عليها من نداء غمام
تغني بها للمكرمات حمام
كما حطَّ عن وجه الصباح لثام
وضمَّ العلا والمجد منه نظام
ترددَ ذكرٌ في الورى وسلام

وله يعارض أبا الفضل بن حسداي في قصيدته التي أولها ١ :

عهدٌ للبنى تقاضته ٢ الأمانات بانث وما قُضيتَ منها لباناتُ
فقال أبو الطاهر :

وعدٌ لعلوة أن تقضى لبانات
لم تُرضيها منك أنفاسٌ مقطعة
قالتُ وقد أبصرتُ من بينها ٣ جزعي
وفي سبيل الهوى والشوق ما صنعت
عوض رجاءك من يأس [ومن ترح]]
بيبي وبينك عهدٌ سوف أحفظه
ألوتُ بها يومَ وشكِ البينِ علاّتُ [٢٥٣]
حتى تقطع أطواقٌ ولبّات
لا تياسنُ فإن الدهرَ حالات
روائع البينِ لا تحزنك روعات
فلليالي وإن باعدنَ كرات
وربما ضيبتُ يوماً أمانات

هاجنا انتهى ما أثبتته ابن بسام رحمه الله
في القمم الثالث من كتاب الذخيرة

- ١ انظر ما تقدم ص : ٤٩٢ .
٢ ط د : تقضته .
٣ ط د : بينهم .

تعليقات

١ - ص ٤٠ س ٢١ : أشير إلى ترجمة أبي بكر ابن عبد العزيز في قلائد العقيان : ١٦٧ (صوابه ١٦٣) وهذا خطأ ، فإنها ترجمة رجل آخر اسمه أبو بكر بن عبد العزيز ويعرف بابن المرخي ، وله ترجمة في القسم الثاني من الذخيرة .

٢ - ص ٢٢٥ س ٢٠ : البيتان « لا بد من فقد ومن فاقد » قيل في التعليق عليهما : وردا منسوبين لأبي نواس في محاضرات الراغب ٤ : ٥١٣ والصحيح أن البيتين لأبي فراس الحمداني (ديوانه : ٢٢٥) واليتيمة (٥٢ : ١) ، وقد ضللتني التصحيف الواقع في محاضرات الأدباء ، واستدركت ذلك في فهرس القوافي .

٣ - ص ٣٢١ س ١ : أبيات لابن مهران ، أوردها الحميدي في الجذوة : ٣١٧ ونسبها لموسى بن الطائف .

٤ - ص ٤٤٨ س ١١ : أبو جعفر بن جرج : في الذيل والتكملة (١ : ٨٠) ترجمة لأبي جعفر أحمد بن جرج القرطبي الوزير ، وكانت وفاته بعد ٥٧٠ ، قال ابن عبد الملك : وإنما أثبت هذا هنا لأني وجدته هكذا منسوباً إلى جرج ، وما أراه أباه الأقرب والله أعلم ؛ ثم ترجم ابن عبد الملك لأحمد بن محمد بن جرج ، وهو قرطبي سكن مالقة ، ووصفه بأنه كان من جلة الأدباء وفحول الشعراء ،

مكثراً سريع البديهة وأنه توفي سنة ٤٨٦ ؛ ولعلّ الأوّل منهما هو الذي ترجم له ابن بسام .

٥ - ص ٤٦٢ س ٢ : ورد البيت :

ولو كنت بالعنقاء أرباً سومها لخلتك إلاّ أن تصدّ تراني
وصواب القراءة : أو بأسومها ، كما ورد في النسخ الخطية ، وقد
ورد البيت في الأغاني (٦ : ١٨٩) لمحمد بن عبد الله النميري ،
وهذه روايته :

فلو كنت بالعنقاء منك تطير بي لخلتك إلاّ أن تصدّ تراني
ورواه صاحب الأغاني (٢٢ : ٣٧٥) للعديّل بن الفرخ ، على
النحو الآتي :

فلو كنت في شهان أو شعبي أجا لخلتك إلاّ أن تصدّ تراني

وأورده المبرد (الكامل ٢ : ١٠٣ ، ٢٠٦) للنميري وروايته
كما جاءت عند ابن بسام « أو بأسومها » وفي المرة الثانية (٢٠٦)
« أو بيسومها » ؛ وورد البيت في الجمان في تشبيهات القرآن لابن
ناقيا (ص : ٢٢٧) للنميري ، وروايته « أو بأسومها » . وقد
ذكر ياقوت أن يسوم اسم جبل ، ويبدو أن « أسوم » قراءة أخرى
فيه ، وإن لم تذكرها المعاجم الجغرافية .

٦ - ص ٤٧٧ س ٥ : الرجز « قد حلفت بالله لا أحبه » . ورد في كتاب
خلق الإنسان لثابت ، وفي اللسان والتاج (زبب ، خصي) .

٧ - ص ٨٢٤ س ١١ : ورد الخبر عن الزبير بن بكار في زهر الآداب :

٧٤٣ على النحو الآتي : وقرأ الزبير بن بكار في أخبار أبي السائب

المخزومي ، فاما بلغ إلى قول مالك بن أسماء الفراري :

بكت الديار لفقد ساكنها أفعدت قلبي أبتغي الصبرا

هذا البيت نظير قول ابن وهيب :

بيننا هم سكن بحيرتهم ذكروا الفراق فأصبحوا سفرا

فظللت ذا وله يعاتبني من لا يرى أمري له أمرا

وان أبا السائب قال عند سماع البيت الأوسط : ما أسرع هذا !

أما قدموا ركاباً ؟ أما ودعوا صديقاً ؟ فقال الزبير : رحم الله أبا

السائب ، فكيف لو سمع قول العباس بن الأحنف :

سألونا عن حالنا كيف أنتم فقرننا وداعنا بالسؤال

ما أنحننا حتى ارتحلنا فما فرقن بين النزول والارتحال

هكذا رواها الزبير بن بكار لمالك بن أسماء ، ورواها غيره لأيوب

ابن شبيب الباهلي .

٨ - ص ٨٣٦ س ٧ - ٨ : قول ابن المعتز « غلالة خده صبغت بوردا . . . »

البيت ، في الأوراق للصولي : ١٩٩ وزهر الآداب : ٧٣٠ .

فهرس الكتاب

أ - فهرس الأعلام

- أ
- آدم ٣٨٩ ، ٦٧٤ ، ٧٤٠ ، ٧٤٥ ، ٨١٠ .
 إبراهيم (الخليل) ١٦٠ ، ٤٣٣ ، ٤٤٧ ، ٦٩٣ ، ٧٤٥ .
 إبراهيم (ابن الأشر) ٨٠٢ .
 إبراهيم بن معلى الطرسوني . أبو إسحاق (٨٤٠ - ٨٥٤) .
 إبراهيم بن يوسف بن تاشفين . أبو إسحاق ٦٢٣ .
 ابن أبي حصادة ١٤٥ .
 ابن أبي حمادة ٧٧٨ .
 ابن أبي الخصال : أبو عبد الله ذو الوزارتين ٦٣٨ ، ٦٣٩ . (٧٨٤ - ٨٠٩) .
 ابن أبي عامر . انظر : المظفر بن أبي عامر : المنصور بن أبي عامر (عبد العزيز بن عبد الرحمن) : المنصور الكبير ابن أبي عامر (محمد) .
 ابن أبي الفتح (في شعر أبي حاتم الحجاري) ٦٦٤ .
 ابن أبي موسى . انظر : ابن مقفة .
- أحمد (الرسول) ، انظر : محمد (الرسول) .
 أحمد بن جدار ٥٨١ .
 أحمد بن الحسين ، انظر : المتنبّي .
 أحمد بن الحصب ٢٤٤ .
 أحمد بن صبغون (والد أبي المطرف بن المثنى) ٤١٠ .
 أحمد بن عباس ، أبو جعفر ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٩ ، ٢٥٠ ، ٧٤٦ .
 أحمد بن عنق الفضة ، أبو جعفر (٩٠٢ - ٩٠٣) .
 أحمد بن غرسية ، انظر : ابن غرسية .
 أحمد بن المعدل ٢٩١ .
 أحمد بن يوسف بن هود ، انظر : المستعين ابن هود .
 الأحنف (ابن قيس) ٣٨٠ .
 الأخطل ٤٦٣ ، ٨٢٧ .
 إدريس بن اليماني العبدي اليباسي : أبو علي (٣٣٦ - ٣٤٥ ، ٣٥٢ - ٣٦٠) .

- ٨٨٧ .
 ابن أدهم (القاضي) ٦٦١ .
 أذفونش (الطاغية) ٤٣ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٨١٤ ، ٨٦٠ .
 ابن أذينة ، انظر : عروة بن أذينة .
 ارسطاطاليس ٣٦٨ .
 ابن أرقم ، أبو الأصبع ١٥٠ ، (٣٦٠ -
 - ٤٠٩) ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ .
 ابن أرقم ، أبو عامر ابن أبي الأصبع ٤٠٣ .
 إساف ٧١٢ .
 إسحاق بن كنداج ٥١٤ .
 أبو إسحاق الماذراني ، انظر : الماذراني .
 أبو إسحاق ابن ميمون ، انظر : ابن ميمون .
 أسعد أبو كرب الحميري ٧٤٤ .
 الأسعد بن بليظة ٤٩١ ،
 أسقليبيوس ٤٧٩ .
 أسماء (في شعر الأخطل) ٤٦٣ .
 أسماء (في شعر ابن عطية) ٧٧٤ .
 إسماعيل (النبي) ٧٤٥ ، ٧٥٣ .
 إسماعيل بن ذي النون (الظافر بن عبد
 الرحمن بن سليمان بن ذي النون)
 ١٠٩ - ١١١ .
 إسماعيل بن المعتضد عباد ، انظر : المنصور
 ابن عباد ، أبو الوليد .
 ابنة إسماعيل بن عباد ١٣٦ .
- الأسود العنسي ٧٣٧ .
 أشعب ٧٣٩ .
 ابن الأشعث ٢١٣ .
 الأشكوري (محمد بن يوسف) أبو
 الظاهر (٩٠٩ - ٩١٢) .
 أبو الأصبع البلنسي المتطبب ٦٥٦ .
 أبو الأصبع ابن أرقم ، انظر : ابن أرقم .
 أبو الأصبع .
 ابن الأصيلي ، أبو عامر ٦٧٣ ، (٨٥٧ -
 - ٨٦٧) .
 الأعشى ٥٤١ .
 أغلب (مولى مجاهد) ٤٢٧ .
 ابن الأفطس . انظر : المتوكل ابن الأفطس
 (عمر بن محمد) ؛ المظفر بن الأفطس ؛
 المنصور بن الأفطس (يحيى) .
 أفعى نجران ٧٣٧ .
 إقبال الدولة (علي بن مجاهد العامري ؛ ابن
 مجاهد) ٨١ ، ١٢٧ ، ١٥٠ ، ١٦٥ ،
 ١٦٩ ، ٢٢١ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٣٢٢ ،
 ٣٢٨ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٦١ ، ٣٧٠ ،
 ٣٩٣ ، ٤٢٩ ، ٧٥٨ .
 إقليدس ٢١٥ .
 أكرم بن صيفي ٥٧٩ ، ٨٠٤ .
 امرؤ القيس (الملك الضليل) ١٠ ، ٤٩٥ ،
 ٤٩٦ ، ٥٦٧ ، ٨١٩ ، ٨٤٧ ، ٨٤٨ .

ابن برد الأصغر ، أبو حفص ٨١٩ ، ٨٧٤ .
 ابن برد الأكبر ، أبو حفص ٢٢ .
 البرذقون (الطيب ، الحكيم) ٤٧٥ ،
 ٤٧٦ ، ٤٨١ .
 البرزلياني (محمد بن أحمد) أبو عبد الله
 ١٤٦ ، ١٤٧ .
 ابن بسّام (علي) أبو الحسن (مؤلف
 « الذخيرة ») ٩ ، ١٣ ، ٢١ ، ٢٤ ،
 ٢٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٩ ، ٩١ ، ٩٢ ،
 ١٠٣ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١٣١ ،
 ١٣٦ ، ١٤٨ ، ١٥٢ ، ٢٢٧ ، ٢٤٤ ،
 ٢٧٣ ، ٣١٢ ، ٣١٩ ، ٣٣٢ ، ٣٤١ ،
 ٣٤٥ ، ٣٧٢ ، ٤١٨ ، ٤٤٨ ، ٤٩٤ ،
 ٤٩٨ ، ٦٥٥ ، ٧٦٦ ، ٧٩٨ ، ٨٥٠ ،
 ٨٥٤ ، ٨٦٥ .
 ابن بسام البغدادي البسّامي (علي) ٨٤٦ .
 بشّار بن برد ٣٧٢ ، ٦٧٦ ، ٨٤٨ .
 بشر بن عوانة ٢٧٤ .
 بصيص ٧٤٠ .
 بقراط ٤٧٥ ، ٦٥٤ ، ٧٣٨ .
 ابن بقي ، أبو بكر ٧٩٤ .
 البقيلة ٢٧ .
 أبو بكر الداني ، انظر : ابن اللبّانة .
 أبو بكر الصديّق ٥٠٥ ، ٨٦٢ .
 أبو بكر الفرضي الداني (٩٠١ - ٩٠٢) .

٨٥٣ .
 أمية بن أبي الصلت ٧٤٤ .
 أمية بن عبد العزيز العراقي ٥٢٥ ، ٥٢٦ ،
 ٥٢٧ ، ٥٢٩ .
 أبو أمية ابن عصام ، قاضي القضاة ٥٦٦ .
 أنوشروان ٨١٤ .
 أوس بن حجر ٨١٨ ، ٨١٩ .
 ابن أيمن ، أبو عبد الله الوزير ٢٥٣ .

ب

ابن باجة ، انظر : ابن الصائغ .
 باديس بن حبوس الصنهاجي ١٤١ ، ١٤٥ ،
 ١٤٦ ، ٣٥٥ .
 الباقلائي ، أبو بكر ٣٧٤ .
 الببغا ، أبو الفرج ١٣٣ .
 بثينة (صاحبة جميل) ٦٩٢ .
 البحّري ، أبو عبادة الوليد ١١ ، ٢٧٣ ،
 ٣١٥ ، ٨٢٨ .
 أبو بجر (يوسف) بن عبد الصمد ، انظر :
 ابن عبد الصمد .
 بختيار ١٣١ ، ١٣٣ .
 بدر ٣٨٠ .
 بدر الحرمي ، أبو النجم ١٣١ ، ١٣٣ .
 بديع الزمان الهمداني ٤٩ ، ٦٠٤ ، ٦٥٣ .
 البرجمي ١٠ .

- أبو بكر (أبو يحيى) بن إبراهيم، انظر: ابن تيفلوت .
أبو بكر ابن صاحب الأحباس الفقيه ٣٦٧ .
أبو بكر ابن عبد العزيز الوزير ٢٦ ، ٣٣ .
٣٩٠ ، (٤٠ - ٤٤) ، ٢٥٠ ، ٤٥٢ .
أبو بكر ابن العربي ، انظر: ابن العربي .
أبو بكر ابن عمار ، انظر: ابن عمار .
أبو بكر بن محمد بن القاسم الأنباري ٨٤٦ .
بلال بن أبي بردة ٣٨٥ .
البلينه . أبو مروان الأديب ٣٤٧ ، ٣٤٨ .
البيماري . أبو عامر (٥٢٩ - ٥٣٠) .
بهجة ١٨٧ .

ث

- الثريا (صاحبة عمر) ٨٠٣ .
الثعالبي ، أبو منصور ١٣١ ، ٧٦٩ ، ٨٥٩ .
ثعلب اللغوي ٥٨٢ .
ابن ثوابة ١٣٢ .

ج

- جابر بن عبد الله ٨٣٢ .
الجاحظ ٥٩ ، ٣٨٢ ، ٥٠٥ ، ٨٩١ .
جالينوس ٣٨٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٤ .
جبريل بن بختيشوع ٦٥٣ .
ابن جبير . انظر: سعيد بن جبير .
ابن جحاف ، أبو أحمد ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٥ -
٩٨ ، ١٠٢ .
ابن الجلد . أبو الحسين ٩٤ ، ٨٤٩ .

ت

- تاسلاس ٤٧٩ .
تاشفين بن علي بن يوسف ٤٠٧ .
ابن التاكرفي . أبو عامر ٤٠ ، (٢٢٦)
- (٢٤٨) - ٢٥٠ .
تبع ٧٢٩ .
تحتون . الوزير ابن أحمد ٢٧٤ .
أبو تغلب ١٣١ .
التمار الواسطي ٨٢٩ .
أبو تمام حبيب بن أوس ٣٤٣ ، ٣٧٣ ،
٦٧٧ ، ٨١٣ ، ٨٤٣ ، ٨٧٢ .
أبو تمام (غالب بن رباح) الحجام ٩٤ .

- جذع ٧٥٢ .
 جديمة ٦٦٨ ، ٨٠٢ .
 جرادتا عاد ٧٥١ .
 بن جرج . أبو جعفر الوزير الكاتب
 (٤٤٨ - ٤٥٧) .
 جرول . انظر : الخطيئة .
 جرير ٣٧٩ ، ٨٠٥ ، ٨٥١ .
 جزار ، يحيى السرقسطي (٩٠٥ -
 ٩٠٨) .
 الجزيري (عبد الملك بن ادريس) ٦٧٧ .
 بن الجصاص ، أبو عبد الله ١٣٢ ، ١٣٣ .
 جعفر (ممدوح ابن هانيء) ٥٠٩ .
 جعفر بن محمد بن شرف ، انظر : ابن
 شرف أبو الفضل .
 أبو جعفر البجائي ٥٢٩ ، ٥٣٠ .
 أبو جعفر التطيلي ٨٧٣ .
 أبو جعفر الحكيم ٦٩ .
 أبو جعفر عامل الأحباس ٩٠٧ .
 أبو جعفر بن أبي ٦٦٢ .
 أبو جعفر بن أحمد (٧٥٥ - ٧٥٦)
 (٧٧٣ - ٧٥٧) .
 أبو جعفر بن الدودين ، انظر : ابن الدودين .
 أبو جعفر بن عباس ، انظر : أحمد بن
 عباس .
 جمل ٣٢٨ .
- جميل بثينة ٦٩٢ .
 ابن جني ، أبو الفتح ٤٩٦ .
 أبو جهل ابن هشام ٧٤٤ .
 ابن جهور . أبو الخزم ٤٢ ، ٥١٢ ،
 ٥١٣ ، ٥٢٣ ، ٥٢٧ .
 ابن جهور ، أبو الوليد ٤٢٤ ، ٥٢٧ .
 جوهرة (جارية المعتمد) ٦٣٥ .
 ابن الجيار ٥١٩ .
- ح
- حاتم الطائي ٣٦٤ ، ٧٧٣ ، ٧٨٠ .
 أبو حاتم الحجاري (٦٥٢ - ٦٦٦) .
 ٧٦٩ ، ٧٧٠ .
 أبو حاتم اللغوي ٣٨٦ .
 حاجب بن زرارة ٥٠١ ، ٧٥٢ ، ٨٤١ .
 الحارث بن كلدة ٧٥١ .
 الحارث بن مسرة الفقيه ٧٧٦ .
 الحائك (حكيم بن سعيد) ٥١٦ ، ٥١٨ ،
 ٥٢٠ ، (٥٢٢ - ٥٢٦) .
 حبيب بن أوس ، انظر : أبو تمام .
 الحجاج بن يوسف ٣٠ ، ٢١٣ .
 أبو الحجاج (مرثي ابن معلى) ٨٤١ .
 ابن الحداد ٤٦٧ .
 ابن الحذاء ، أبو عمر ١٢٦ .
 أبو حزام العكلي ٣٥١ .

- ابن حزم ، أبو محمد الفقيه ٣١٨ ، ٣١٩ .
 حسام الدولة ابن رزين (عبد الملك بن هذيل) ، أبو مروان ٤٧ ، ٥٠ ، ٧٥ ، ١٠٥ ، (١٠٩ - ١٢٤) ، ٢٢٢ ، ٣٦٥ .
 ٤٥٩ ، ٨٩٥ .
 حسام الدولة ابن رزين (يحيى بن عبد الملك) ٧٥ .
 حسام الدولة بن هود (يوسف بن سليمان) ١٨١ ، ٤١٩ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ .
 حسان بن ثابت ٥٤١ ، ٦٨٨ ، ٨٤٨ ، ٨٤٩ ، ٨٧٢ .
 ابن حسداي ، أبو الفضل ٢٨٤ ، (٤٥٧ - ٤٩٤) ، ٩١٢ ، ٩٠٥ ، ٩١٢ .
 حسن (شقيق بن مجاهد) ١٦٩ ، ١٧٠ ، الحسن البصري ٣٨٥ .
 الحسن بن هانئ ، انظر : أبو نواس .
 أبو حسن (في شعر ابن خفاجة) ٦٠٣ .
 أبو الحسن (في شعر ادريس) ٣٥٤ .
 أبو الحسن الكاتب (أخو ابن السيد البطلبيوسي) ٨٩٢ .
 أبو الحسن مولى البكري ٨٦٩ .
 أبو الحسن ابن الأستاذ ٦٧٢ .
 أبو الحسن ابن بسام ، انظر : ابن بسام .
 أبو الحسن ابن سابق ، انظر : ابن سابق .
 أبو الحسن بن يحيى الجوهرى الوزير ٤٤٠ .
- أبو الحسن صالح الشتمري ٤٩٠ .
 الحصادي ١٤٧ .
 الحصري ، أبو إسحاق إبراهيم بن علي ٥٢٩ ، ٨٤٦ .
 الحصري ، أبو الحسن عبد الغني ٣٣٠ ، ٤٨٥ ، ٨٦١ ، ٨٦٢ .
 الخطيئة ٤٩ ، ٢٢٨ .
 أبو حفص ابن برد ، انظر : ابن برد .
 أبو حفص الهوزني الوزير ٧٨٢ ، ٧٨٣ .
 الحكيم المصري ٤٩٢ .
 ابن حماد ٢٠٨ .
 ابن حمديس ، أبو محمد عبد الجبار ٥٧٣ .
 ابن حمدين ، أبو عبد الله محمد ٥٩٠ ، ٥٩٢ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ .
 ابن حمود ، علي ٥٢٠ .
 الحتميدي ٣١٩ .
 ابن حنظلة ٩٠٦ .
 ابن حيان ، أبو مروان المؤرخ ١٣ ، ١٤ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٤١ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٧٩ ، ١٨٣ ، ١٨٦ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ٢٤٩ ، ٣٢٠ ، ٤١٠ ، ٤٢٣ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥٢٠ ، ٥٢٢ ، ٨٥٠ ، ٨٥٤ .
- خ
 خالد بن سنان ٧٤٤ .

- خالد بن يزيد ٧٢٧ .
- ابن الخراز، أبو جعفر (أحمد بن محمد الأنصاري) (٧٠٤ ، ٧٠٥ .
- خراش ٩٧ .
- الخصيب ٣٩١ .
- الخضر ١٥٢ .
- أبو الخطاب ابن عطيون ، انظر : ابن عطيون .
- أبو الخطار ٦٩ .
- ابن خفاجة ، أبو إسحاق لإبراهيم ١٠٠ (٥٤١ - ٦٥٢) ، ٨٨٧ ، ٨٩٠ .
- بن نخلصة الضرير ، أبو عبد الله محمد (٣٣٠ - ٣٢٢) .
- الخليل ، انظر : لإبراهيم (الخليل) .
- الخليل بن أحمد ٦٧٦ .
- خمارويه ، أبو الجيش ١٣٣ .
- الخنساء ٣٧٩ ، ٦٣٨ .
- الخوارزمي ٦٠٤ .
- خيار ٨٩٨ .
- خيران الصقلبي العامري ١٠ ، ٨٠٩ .
- ابن خيرون ، أبو القاسم ٢٠١ ، ٣١٥ .
- ذ
- ابن ذكوان ، القاضي ٥١٨ .
- ذو الرمة ٧٨٠ ، ٨٤٦ .
- ذو القرنين ٧٢٩ .
- أبو ذؤيب الهذلي ٣٨١ ، ٨٢٨ .
- ابن ذي النون ، انظر : إسماعيل بن ذي النون ؛ القادر بالله يحيى ؛ المأمون يحيى .
- ر
- راشد (صديق ابن السيد) ٨٩٢ .
- راشد بن سليمان ١٠٦ .
- الراضي (الخليفة العباسي) ٨٤٤ .
- الراضي (يزيد بن المعتمد بن عباد) ١٩٠ .
- أبو الربيع القضاعي (سليمان بن أحمد) ٣٤٥ ، (٤٩٩ - ٥١٤) .
- ربيعة بن مكدم ٥٧٩ .
- ابن داره ، عبد الرحمن ٨٠٥ .
- ابن الدباغ ، أبو المطرف (عبد الرحمن بن فاخر) ٢٠٤ ، (٢٥١ - ٣١٧) .
- ابن دراج القسطلي ، أبو عمر ١٠ ، ١٣ .

ز

- أبو رجاء الضبيعي ٣٩٠ .
 ابن رحيم ، أبو بكر ٨٠٨ .
 رذريق ، انظر : الكنيستور .
 ابن رذمير ١٠٠ .
 ابن رزين ، انظر : حسام الدولة ابن رزين
 (عبد الملك بن هذيل) أبو مروان ؛
 حسام الدولة ابن رزين (يحيى بن عبد
 الملك) ؛ هذيل بن خلف بن لب بن رزين .
 الرشيد بن المعتمد ٦٧٤ ، ٨٢١ .
 ابن رشيق ، عبد الرحمن ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ .
 ابن رشيق القيرواني ٨١٠ ، ٨٢٢ ،
 ٨٥٤ ، ٨٧٢ .
 الرضي الشاعر ، انظر : الشريف الرضي .
 أبو رغال ٧١٢ ، ٧٢٠ .
 رفيح الدولة ابن صمادح ٩١٠ ، ٩١١ ،
 ٩١٢ .
 ابن الرقاع ، انظر : عدي بن الرقاع .
 الرمادي (يوسف بن هارون) ٣٤٦ ،
 ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٨٢١ .
 الرماني ٣٨٥ .
 رؤبة بن العجاج ٨١٨ .
 ابن الرومي ١٢٠ ، ٣٤٢ ، ٥٣٠ ،
 ٨٣٧ ، ٥٨٠ .
 ريمته (أمير الفرنجة) ٢٠ .
- الزباء ٦٦٨ .
 الزبير بن بكار ٨٢٤ ، ٨٢٥ .
 الزبير بن عمر ، أبو محمد ٤٠٦ ، ٤٠٧ .
 ابن الزبير ، عبد الله ٣٧٤ ، ٧٣٠ ، ٨٠٥ .
 ابن الزبير ٨٠٥ .
 الزجاجي ٤٥٥ .
 ابن زرارعة ، أبو عبد الله الوزير ٩٠٨ .
 زرقاء اليمامة ٤٨٢ ، ٧٣٧ ، ٧٩٢ ،
 ٧٩٦ .
 الزعفراني ، أبو القاسم ٤٩٧ .
 زفراء ٧٥٢ .
 ابن زهرة الصائغ ، أبو عامر (٩٠١ -
 ٩٠١) .
 زهير الفتي العامري ٢٢٧ ، ٨٠٩ .
 زهير بن أبي سلمى ٣٤٣ ، ٣٧٧ ، ٨٤٧ .
 زهير بن جناب الكلبي ٧٣٧ .
 زياد ، انظر : النابعة الندياني .
 زياد بن أبيه ٤٩ ، ٣٨٥ ، ٨٠٤ .
 زيد الخليل ٣٨٢ .
 زيد بن عمرو ٧٤٤ .
 ابن زيدون ، أبو بكر ٧٦٨ ، ٨١٢ ،
 ٨١٣ .
 ابن زيدون ، أبو الوليد ١٢٥ ، ٤٤٦ ،
 ٦٨١ .

سليمان (النبي) ٣٦٥ ، ٥٠١ ، ٥٨٦ ، ٨٩٥ .

سليمان بن الحكم ٣١٨ .
سليمان بن مهران السرقسطي ، أبو الربيع (٣١٧ - ٣٢١) .
سليمان بن وهب ٢٤٤ .
السمح بن مالك الخولاني ٨٠٩ .
السميسر الشاعر ٣٣٨ .
سمية ٧٥٢ .
ابن سنون ، أبو عامر ١٢١ ، ١٢٤ .
سهيل (زوج الثريا) ٨٠٣ ، ٨٠٤ .
سيبويه ٣٧٢ .
ابن سيد (في شعر) ٦٧٠ .
ابن السيد البطليوسي ، أبو محمد ٦٢٠ .
(٨٩٠ - ٨٩٦) .
ابن سيده ، أبو الحسن ٣٦٨ ، ٣٧١ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٨ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٧ ، ٣٨٩ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ .
ابن سيرين ١٢٣ .
سيف بن ذي يزن ٧٤٤ .
سيف الدولة الحمداني ٤٩٥ - ٤٩٨ .
سيف الدولة ، أبو الفتوح الحاجب ٢٧٧ ، ٤٣٦ ، ٤٣٩ .

س

ابن سابق ، أبو الحسن ١٢٣ ، ٩٠١ .
سارة (زوج إبراهيم) ٧٠٨ ، ٧٥٣ .
ساسان ٦٨٧ ، ٧١٣ ، ٧٢٧ .
سامة بن لؤي ٨٠٤ .
أبو السائب المخزومي ٨٢٤ ، ٨٢٥ .
ابن ست الجيش ٣٢١ .
سحبان وائل ٤٩ ، ٣١٥ .
ابن سريج ٧٣٩ .
سطيخ ٧٣٧ .
ابن سعدون ، أبو جعفر ١٢٠ ، ١٢٢ .
سعید العروضي ٨٧٠ .
سعید بن جبیر ٩ .
سعید بن حمید ٦٥٧ .
السفاح ٦٨٨ .
ابن سفيان ، أبو محمد (٩٠٣ - ٩٠٥) .
أبو سفيان (صخر بن حرب) ٨٠٤ .
ابن سقبال ، أبو محمد الوزير (لعله ابن سفيان) ٤٩٢ .
سقراط ٤٦٢ ، ٧٣٨ .
سلمة ١٧٠ .
سليمي ٤٦٧ ، ٦١٤ .
سليمان المستعين ، انظر : المستعين .

صالح (الذبي) ٧٤٥ .
 صالح الشتمري ، انظر : أبو الحسن
 صالح الشتمري .
 ابن الصائغ (ابن باجة الفيلسوف) ٦٢١ .
 صخر (أخو الخنساء) ٦٣٨ .
 أبو صخر الهذلي ٤٦٤ .
 ابن الصق ٣٨١ .
 ابن الصفار السرقسطي ٨١٩ .
 ابن صمادح ، انظر : رفيع الدولة ابن
 صمادح ؛ عز الدولة ابن صمادح ؛ المعتصم
 ابن صمادح ؛ معز الدولة ابن صمادح .
 الصنوبري ٨٢٨ .
 الصولي ٣٨٦ ، ٥١٤ .

ط

ابن طالوت ٢٥٠ .
 ابن ظاهر ، أبو عبد الرحمن (٢٤ - ٤٠)
 (٤٤ - ٩٢) ، ٩٦ ، ١٠١ ، ١٠٣ ،
 ١١٣ ، ١١٤ ، ٤٤٩ ، ٤٥١ ، ٤٥٨ ،
 ٤٦٤ .

أبو الطاهر الأشكوري ، انظر : الأشكوري .
 الطائي ، انظر : حاتم الطائي .
 طرفة بن العبد البكري ٨٤٦ ، ٨٤٧ .
 ابن طريف ٨٠٤ .
 طليحة الأسدي ٧٢٧ .

ش

شائجة بن غرسية بن فردلند ٣١٨ .
 بنت شائجة ملك البشكنس ٣١٨ .
 أبو شحمة ١٦٠ .
 شداد ٧٤٧ .
 ابن شرف ، أبو عبد الله ٨١٢ .
 ابن شرف ، أبو الفضل (جعفر بن محمد بن
 شرف) ٦٩٧ ، (٨٦٧ - ٨٨٦) .
 الشريف الرضي ٣١٥ ، ٥٧٤ .
 شنبند ٤٤ .
 شعيب ٧٤٥ .
 شقي ٧٣٧ .
 ابن شقران ٨٠٨ .
 ابن شماخ الغافقي ٣٣٤ .
 شمر ٧٢٩ .
 ابن شهيد ، أبو عامر ٤٥٥ ، ٤٥٦ ،
 ٥١٣ ، ٥٢٠ ، ٨٢٥ .

ص

الصابي ، أبو إسحاق ١٣١ ، ١٣٢ ،
 ٣١٥ .
 الصاحب بن عباد ٢٥ ، ٤٩٧ .
 ابن صارم ، أبو القاسم ٨٥٨ .
 صاعد بن الحسن الربيعي ، أبو العلاء ٣٩٠ .

ابن طولون ١٣٢ ، ٥١٤ .

طويس المغني ٧٣٩ .

ابن الطويل ١٨٢ .

أبو الطيب القروي (عبد المنعم بن من الله)

٧٢٢ ، ٧٤١ .

أبو الطيب المتنبي ، انظر : المتنبي .

ع

العافية المنجم ٤٧٤ .

عامر (مرثي ابن معلى) ٨٤٥ .

عامر بن الطفيل ٧٤٤ .

أبو عامر الوزير الأعلى ٨٥٨ .

أبو عامر ابن الأصيلي ، انظر : ابن الأصيلي .

أبو عامر ابن التاكرني ، انظر : ابن التاكرني .

أبو عامر ابن زهرة الصائغ ، انظر : ابن

زهرة الصائغ .

أبو عامر ابن سنون ، انظر : ابن سنون .

أبو عامر ابن عبدوس ، انظر : ابن عبدوس .

أبو عامر ابن غرسية ، انظر : ابن غرسية .

أبو عامر ابن الفرج ، انظر : ابن الفرج .

عائشة ٣٧٨ .

ابن عائشة ، أبو عبد الله (٨٨٧) ،

(٨٨٩ - ٨٩٠) .

ابن عباد ، انظر : المعتضد عباد ، المعتمد

ابن عباد .

أبو عبادة ، انظر : البحرني .

العباس بن الأحنف ٦٥٧ ، ٨٢٥ .

أبو العباس القاضي ٢٤٤ .

أبو عبد الإله (ممدوح ابن هند) ٩٠٠ .

ابن عبد البر ، أبو محمد الكاتب (ابن

الفقيه أبي عمر) (١٢٥ - ١٣١)

(١٣٤ - ١٤٣) ، (١٦٥ - ٢٢٦)

٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣١ ، ٤٣٧ .

عبد الجليل المرسي ، انظر : ابن وهيون .

عبد الرحمن بن أبي عامر ٢٢١ ، ٢٢٧ .

عبد الرحمن بن محمد بن حناط الوزير

٥٢١ .

عبد الرحمن بن يسار الوزير ١٤ ، ١٥ .

أبو عبد الرحمن بن طاهر ، انظر : ابن طاهر .

عبد السلام بن رغبان ، انظر : ديك الجن .

عبد الصمد الفقيه (ممدوح الحجاري) ٦٦٢ .

ابن عبد الصمد ، أبو بحر يوسف (٨٠٩

- ٨٢١) .

أبو عبد الصمد ، الشيخ (٨١٨ - ٨٢٠) .

عبد العزيز بن عبد الرحمن بن أبي عامر .

انظر : المنصور بن أبي عامر .

عبد العزيز بن اللبابة ، انظر : ابن اللبابة .

عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي ٨٥٣ .

عبد الله (في شعر المعري) ٢٩٨ .

- عبد الله بن ربيعة (صديق ابن خفاجة) . ٦٠٨
- عبد الله بن عامر ٣٨٥ .
- عبد الله بن محمد الأمير الأموي ١٦٠ .
- عبد الله بن المنصور الكبير العامري ١٦٠ .
- أبو عبد الله ٧٨ .
- أبو عبد الله البزلياني ، انظر : البزلياني .
- أبو عبد الله ابن حمد بن ، انظر : ابن حمد بن .
- أبو عبد الله بن زرارة ، انظر : ابن زرارة الوزير .
- أبو عبد الله بن عائشة ، انظر : ابن عائشة .
- عبد المجيد الثقفي ٤٩٨ .
- عبد المجيد بن عبدون ، انظر : ابن عبدون .
- عبد المطلب بن هاشم ٧٤٤ .
- عبد الملك بن ادريس الجزيري ، انظر : الجزيري .
- عبد الملك بن عبد العزيز بن أبي عامر ، انظر : المظفر ابن أبي عامر .
- عبد الملك بن مروان ٣٨٠ .
- ابن عبدوس ، أبو عامر ذو الوزارتين ٦٥ ، ٦٦ ، ٨١٨ ، ٨٨٨ .
- ابن عبدون ، أبو محمد الوزير عبد المجيد ٢٥٣ ، ٢٨٩ ، ٣٠٢ ، ٣٥٥ ، ٤٩٨ ، ٦٧٢ ، ٨٧٢ .
- عبيد الله بن خاقان الوزير ١٣٢ .
- عبيد الله بن سليمان ١٣٢ .
- عبيد الله بن منبه الششمري ، أبو الحسين الفقيه ٣٢١ .
- أبو عبيدة معمر بن المثنى ٧٧ .
- أبو العتاهية ٦٨٠ .
- العتبي ٣٨٥ .
- عتيبة ٦٦٧ .
- عثمان بن عفان ٣٨٥ ، ٤٤٣ .
- أبو عثمان الوزير ٤٣٥ .
- العجاج ٣٧٤ .
- عدي بن الرقاع العاملي ٢٠٤ ، ٩٠٢ .
- ابن العربي ، أبو بكر ٣١٩ .
- عروة بن أذينة ٥٤٢ .
- عروة بن الزبير ٢٢٠ .
- عز الدولة بن صمادح الحاجب (ابن المعتصم) ٢١٩ ، ٤٩١ .
- ابن العطار ٦٤ ، ٢٠٣ .
- ابن عطرون ، أبو الخطاب (عمر بن أحمد التجيبي) (٧٧٣ - ٧٨٣) .
- عفراء ٥٧٧ .
- عقيل (نديم جذيمة) ٦٨٩ .
- أبو العلاء المعري ١٩٨ ، ٣٤٨ ، ٣٥٧ ، ٤٦٣ ، ٦٧٨ ، ٦٨١ ، ٧١٤ ، ٨٢٧ ، ٨٩٢ .
- علوة ٩١٢ .

- علي (في شعر) ٧٩٥ . ٧٠٣ .
- علي بن أبي طالب ٢٩٦ . ٨٣٢ .
- علي بن بسام . انظر : ابن بسام (مؤلف
الذخيرة)
- علي بن بسام . انظر : ابن بسام البغدادي
البسامي .
- علي بن جبلة ٨٢٤ .
- علي بن الجهم ٣٣٤ .
- علي بن داود ٥١٠ .
- علي بن سليمان ٨٤٦ .
- علي بن مجاهد . انظر : إقبال الدولة .
- علي بن محمد الإيادي ٤٦٢ .
- علي بن محمد الكوفي ٥١٠ .
- أبو علي الفارسي ٣٧٢ ، ٣٧٩ .
- عماد الدولة ابن هود (عبد الملك بن أحمد)
- ٣٤ ، ٣٥ ، ٩٠٥ .
- ابن عمار . أبو بكر ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ .
- ٢٩ . ٤٤ . ٥٠ . ١٢١ . ٢٥٢ .
- ٤٥٦ . ٤٦٧ . ٦٧٥ .
- عمارة بن عقيل ٣٧٦ . ٣٨٦ .
- عمر (ممدوح بشار) ٥٧ .
- عمر بن إبراهيم ٥١٤ .
- عمر بن أبي ربيعة . أبو الخطاب ٣١٥
- ٣٧٨ .
- عمر بن الأفتس . انظر : المتوكل ابن
- الأفتس .
- عمر بن الخطاب ١٣٣ ، ١٦٠ ، ٣٧٣ .
- ٨٦٢ .
- عمر بن عبد العزيز ٧٤٦ ، ٨٠٩ .
- عمر بن العلاء ٦٨٠ .
- أبو عمر الزاهد (محمد بن عبد الواحد)
- ٥٨١ .
- أبو عمر ابن عبد البر . انظر : ابن عبد البر .
- أبو عمر ابن القلاس ، انظر : ابن القلاس .
- عمران بن حطان ٣٨٥ .
- عمرو ٧٨ .
- عمرو بن السعلاة ٤٠٥ .
- عمرو بن العاص ٧٧٨ .
- عمرو بن معديكرب ١١ ، ٢٧ .
- أبو عمرو بن العلاء ٣٨٥ .
- عنان جارية الناطقي ١٢٠ .
- عيسى (المسيح) ٢٨٣ ، ٤٣٦ ، ٥٦٩ .
- ٧٢٠ ، ٧٤٢ ، ٧٤٤ .
- عيسى بن سعيد . أبو الاصمغ الوزير ٣١٩ .
- عيسى بن عمر ٣٨٥ .
- ابن عيسى قاضي بربشر ١٨٢ .
- أبو عيسى ٤٨٨ .
- أبو عيسى ابن لبون ، انظر : ابن لبون .

غ

- غالب ٩٠١ .
غالب بن رباح الحجام ، انظر : أبو تمام
الحجاء .
أبو غيشان ٧١٢ ، ٧٢٠ .
غرسية المنبوز بالقم المعوج ١٠٠ .
ابن غرسية ، أبو عامر أحمد ٧٠٤ ،
٧٠٥ ، ٧٢٢ ، ٧٤٦ .
الغريض ٧٣٩ .

- ابن غصن الحجاري ، أبو مروان (٣٣١)
— (٣٣٥) ، ٣٣٩ .
غلياناش ٣٨٩ .
ابن غندشلب ذو الوزارتين ٢٧٤ .

ف

- فاطمة (بنت الرسول) ١٢٨ .
فائر بن المغيرة ٥١٤ .
الفتح بن أفلح ١٢ .
الفتح بن خاقان ، أبو نصر ٧٥٥ ، ٧٨٦ .
الفتح بن الراصي بن المعتمد ٩١ .
أبو الفتوح الحاجب ، انظر : سيف
الدولة أبو الفتوح .
ابن الفرات الوزير ١٣٣ .
ابن الفرغ ، أبو عامر ذو الوزارتين (١٠٣)

- (١٠٤) ، ٤٨٦ ، ٤٨٩ .
الفرزدق ٢٠٢ ، ٣٧٩ ، ٨٥١ .
فرفوريلوس ٣٦٨ ، ٣٨٨ .
ابن فضالة ، عبد الله ٧٣٠ .
فضل الشاعرة ٦٥٧ .
أبو الفضل ، الشيخ ٧٠ .
الفكيك الشاعر ٦٧٤ .
ابن فورك ٣٧٤ .

ق

- أبو قابوس ، انظر : النعمان بن المنذر .
القادر بالله بن ذي النون (يحيى) ٣٧
٩٢ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٤
٨٩٤ .
القاسم بن حمود الحسيني ٢٤٩ .
ابن قاسم صاحب البونت ٩٠٣ .
أبو القاسم (والد أبي بحر بن عبد الصمد)
٨٠٩ .
أبو القاسم الوزير ٦٨٤ .
أبو القاسم بن صارم ، انظر : ابن صارم .
أبو القاسم عبد الدائم ٥٨ — ٦٠ .
أم القاسم (في شعر) ٩٠٢ .
قتيبة بن مسلم ٦٦٧ .
أبو قحافة ٣٨٩ .
قدامة بن جعفر ٤٩ .

ل

- ابن اللبانة ، عبد العزيز ٦٦٧ .
 ابن اللبانة ، أبو بكر الداني (محمد بن عيسى)
 (٦٦٦ - ٧٠٢) ، ٧٧١ ، ٨١٤ .
 لبني (في شعر) ٤٩٢ ، ٩١٢ .
 ابن لبون ، أبو عيسى القائل (١٠٤ -
 ١٠٨) ، ١٢٣ ، ٩٠٣ ، ٩٠٤ .
 ابن لبون ، أبو محمد ذو الوزارتين ١٠٦
 لبيب الصقلي الفتي ٢٠ ، ٥٠٨٠٠ .
 لبيد بن ربيعة ٤٩ ، ٨٦٦ .
 اللجام (علي بن الحسن الحراني) ٧٦٩ .
 لقمان ٧٢٨ .
 لوط ٧٠ .
 ليلي (في شعر) ٤٦٤ ، ٨٥٢ .
 ليلي الأخيلية ٧٧ ، ٣٥١ ، ٣٧٨ ، ٣٨٠ .
 ٣٨١ .

م

- الماذراني ، أبو إسحاق ١٣٢ .
 مالك (سيد وأثل) ٨٤١ .
 مالك (نديم جديمة) ٦٨٩ .
 مالك بن أسماء الفزاري ٨٢٤ .
 مالك بن فهم ٧٣٤ .
 المأمون (العباسي) ٢١٣ .

ابن القزاز ٧٣ ، ٥٢٩ .

- قس بن ساعدة ٣١٥ ، ٧٤٤ .
 القسطلي أبو عمر ، انظر : ابن دراج
 القسطلي .
 قصير ٦٦٨ .
 القطامي ٣٧٤ .
 قطر الندى ١٣٢ ، ١٣٣ .
 ابن القلاس ، أبو عمر (٤١٨ - ٤٢٦)
 ٨١٨ .
 قيس بن الخطيم ٣٥٦ .
 قيس بن ذريح ٨٥٢ .
 قيصر ٨١٤ .

ك

- كاسان ٧٢٧ .
 ابن الكتاني المتطبب ، أبو عبد الله ١١٢
 (٣١٩ - ٣٢٠) .
 كثير عزة ٣٧٨ ، ٣٩١ ، ٨٥٢ .
 كسرى ٢١٥ ، ٥٠١ ، ٦٨٧ .
 كشاجم ٧١٦ ، ٧٢٢ ، ٨٢٩ ، ٨٣٦ .
 كعب بن سعد الغنوي ٨٥٣ .
 كعب بن مامة ٧٨٠ ، ٨١٣ .
 الكنبيطور ، ذريق ٩١ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ٩٩ .

- ٣٤٢ ، ٣٥٧ ، ٣٧٥ ، ٣٧٨ ، ٧١٣ ،
 ٧٨٩ ، ٧٤٤ ، ٧٤٥ ، ٨٢٥ ،
 ٨٦٢ ، ٨٦٥ .
 محمد بن إبراهيم الفهري ، أبو عبد الله
 ٨٦٣ - ٨٦٧ .
 محمد بن أحمد الاصبهاني ٥٨١ .
 محمد بن أحمد البزلياني ، انظر : البزلياني .
 محمد بن الحسن المذحجي ، انظر : ابن
 الكتاني المتطبيب .
 محمد بن عبد الله الأمير الأموي ١٦٠ .
 محمد بن عبد الملك ٢٤٩ .
 محمد بن عبد الواحد البغدادي ، أبو الفضل
 ٤١٠ ، ٤١٥ ، ٥١١ .
 محمد بن عبد الواحد الزاهد ، انظر :
 أبو عمر الزاهد .
 محمد بن عمر المرزبان ، أبو عبد الله ٣٧٤ .
 محمد بن فرج الجياني ، أبو عبد الله (٨٨٨-٨٨٩) .
 محمد بن قاسم الفهري ٥١٥ .
 محمد بن مسلم ، أبو عبد الله (٤٢٧ -
 ٤٤٨) .
 محمد بن المظفر بن أبي عامر ٥١٦ .
 محمد بن هانيء ، انظر : ابن هانيء .
 محمد بن هشام بن عبد الجبار الناصري ٢٢٧ .
 أبو محمد الصقلي ، انظر : ابن حمديس
 الصقلي .
- المأمون يحيى بن ذي النون ٤١ ، ٤٢ ،
 ٤٤ ، ٢٥٠ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٤١ ،
 ٣٤٣ ، ٤٠٩ ، ٤١٢ ، ٤١٧ .
 مبارك العامري (١١ - ٢٠) ، ٢٢٦ .
 المبرد ، أبو العباس ٣٢١ .
 مبشر بن سليمان ، انظر : ناصر الدولة .
 المنبجي (أحمد بن الحسين) أبو الطيب ٥٤
 ٢٢٩ ، ٢٣٢ ، ٣٣٤ ، ٣٤٧ ، ٤٩٠ ،
 (٤٩٤ - ٤٩٨) ، ٦٥٣ ، ٦٧٩ ،
 ٨٤٤ ، ٨٤٧ ، ٨٤٨ ، ٨٤٩ ،
 ٨٥٢ ، ٨٦٣ .
 المتوكل بن الأفضس (عمر بن محمد) ٢٥٢ ،
 ٢٥٣ ، ٦٣٧ ، ٦٧٠ ، ٦٧٢ ، ٧٧٤ - ٧٧٧ .
 ابن منبى ، أبو المطرف (عبد الرحمن بن
 أحمد بن صبيغون) ٢٥٠ ، ٣٤٦ ،
 ٣٤٧ ، (٤٠٩ - ٤١٨) .
 مجاهد العامري ، الموفق أبو الجيش ٢١
 ٢٣ ، ١٧١ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٤٩ ،
 ٣٤٠ ، ٣٩٨ ، ٤٠١ ، ٤١٩ ، ٧٠٤ .
 ابن مجاهد ، انظر : إقبال الدولة .
 المجنون ٨٥٢ .
 ابن محاسن الوزير ٥٠٥ ، ٥٠٧ .
 ابن محرز ٧٣٩ .
 المحلق ٥٤١ .
 محمد (الرسول) ١٦٠ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ،

- أبو محمد بن عامر الوزير المشرف ٥٩٨ .
أبو محمد بن عبد البر ، انظر : ابن عبد البر .
أبو محمد بن عبدون ، انظر : ابن عبدون .
أبو محمد بن قاسم الوزير ٨٠٦ .
أبو محمد بن هود ٢٨٩ .
أبو محمد بن لبون ، انظر : ابن لبون .
أبو محمد مزدلي ، انظر : مزدلي .
مخارق المغني ٨٩٩ .
مختار بن النجار ٨١٤ .
المرار ٣٨٠ .
مربع ٢٠٢ .
المرتضى المرواني ٥١٥ ، ٧٠٢ .
ابن المرشاني ٤٨٩ .
مروان بن الحكم ٣٨١ .
أبو مروان الفقيه ٦٩ .
أبو مروان ابن حيان ، انظر : ابن حيان .
أبو مروان ابن غصن الحجاري ، انظر : ابن
غصن الحجاري .
مزاحم العقيلي ٤٦٤ .
مزدلي الأمير المرابطي ، أبو محمد ٥٠ .
١٠١ ، ٤٠٥ .
المستعين سليمان الأموي ٢١ ، ٢٢ ، ١١٠ .
المستعين بالله بن هود (أحمد بن يوسف) ٦٢ ،
٩٤ ، ١٢٣ ، ٤٦١ ، ٤٩٣ ، ٥١٧ ،
٨٩٥ ، ٩٠٩ .
- مسلم المغني ٥٠ .
مسلمة بن عبد الملك ٧٢٧ .
المسيح ، انظر : عيسى .
مسيلمة الحنفي ٧٣٧ .
مصعب بن الزبير ٨٠٢ .
أبو المطرف ابن مثنى ، انظر : ابن مثنى .
مظفر العامري ١١ - ١٨ .
المظفر بن أبي عامر (عبد الملك بن عبد
العزيز) ١٨ ، ٤١ ، ٩٣ ، ١٠١ ، ٢٢٦ ،
٢٤٨ ، ٢٥٠ ، ٣١٩ ، ٤٣٩ ، ٥١٩ .
المظفر بن الأفضس ١٦٦ ، ١٧١ ، ٢٢٣ ،
٧٧٥ .
المظفر بن هود ٣٦ ، ٤٣ ، ٤٧١ .
المظفر ، أبو مناد الرئيس ٤٣٤ .
أبو المظفر البغدادي ٦٨٨ .
معاوية بن أبي سفيان ٢٥٢ ، ٣٨٩ ،
٧٣٩ ، ٧٤٤ .
معبد المغني ٧٣٩ .
المعتد هشام بن محمد الناصري ٥١٤ ،
(٥١٥ - ٥٢٩) .
ابن المعتز العباسي ١١٥ ، ١٣٣ ، ٥١٢ ،
٥٧٦ ، ٥٨٠ ، ٧٧٩ ، ٨٣٦ ، ٨٤٣ ،
٨٤٩ .
المعتصم بن صمادح ١٢٧ ، ٢١٦ ، ٣٢٢ ،
٣٤٣ ، ٣٧١ ، ٤٣١ ، ٤٣٩ ، ٦٧٣ .

٤٢٩ ، ٤٢٣ ، ٢٧٥ ، ٢٧٤ ، ٢٥١

٤٩٣ ، ٤٨٥ ، ٤٧٠ ، ٤٦٨ ، ٤٥٨

٤٩٤ ، ٨١٨ .

ابن مقنة ٣٥٢ ، ٣٥٣ .

مكي بن أبي طالب ٥١٧ .

ابن الملح ، أبو بكر ٤٩٢ .

الملك الضليل . انظر : امرؤ القيس .

ابن مناذر ٤٩٨ .

المتنصر بالله الحمودي (حسين بن يحيى)

٥١٢ .

ابن المنجم (علي بن يحيى بن منصور)

٨٤٦ .

منذر بن هود ٨٩٨ .

منذر بن يحيى الحاجب ١١٠ ، ٢٢٩ ، ٢٤٩

٥٠٧ .

المنصور بن أبي عامر (عبد العزيز بن عبد الرحمن)

١٦٩ ، ١٦٧ ، ١٦٥ ، ١٤٩ ، ١٣٧ ، ٤٠ ، ٢١

٢٢٧ - ٢٢٩ ، ٢٣٣ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨

(٢٤٩ - ٢٥١) ، ٤١٩ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠

٥١٦ ، ٨١٠ ، ٨٥٦ ، ٨٥٧ .

المنصور الكبير بن أبي عامر (محمد) ١٣ ، ٢٢

١٦٠ .

المنصور ابن الألفس (يحيى والد المظفر)

٢٢٣ ، ٢٥٢ ، ٢٧٨ .

المنصور اسماعيل بن المعتضد العبادي

٦٩٩ ، ٧٠٤ ، ٨١٠ ، ٩١١ .

المعتضد عباد ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣٢

١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤٣ ، ١٤٥ -

١٤٨ ، ١٩٠ ، ٣٢١ ، ٣٣١ ، ٣٣٦

٤٤٠ ، ٤٤٥ ، ٤٤٧ ، ٧٥٩ .

المعتضد العباسي ٥١٤ .

المعتضد بن عباد ٢٥ ، ٢٩ ، ٤٤ ، ١١٥

١٤٢ ، ٢٥١ - ٢٥٣ ، ٣٣٤ ، ٣٤١

٦٣٥ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، ٦٧٥ ، ٦٧٨

٦٨٠ ، ٦٨٦ ، ٧٥٩ - ٧٦١ ، ٨١٣ -

٨١٦ ، ٩١١ .

المعري . انظر : أبو العلاء المعري .

المعز الفاطمي ٣٥٢ .

المعز بن باديس ٢٤٥ ، ٣٦١ .

معز الدولة ٨١ .

معز الدولة أبو عامر ٣٢٩ .

معز الدولة ابن صمادح ٨٧٢ .

المعقل ٤٩٧ .

معن بن زائدة ٤٩٧ .

ابن معن الصمادحي . انظر : المعتصم

ابن صمادح .

مفرج العامري ١٩ .

مقاتل الصقلبي العامري ٢٢٩ ، ٣٦٣ .

المقتدر العباسي ٨٤٤ .

المقتدر بالله ابن هود (أحمد) ٨٢ ، ٨٣ ، ١٨٩

ن

الناطقة الذبياني ٤٩٢ . ٦٦٨ . ٨٥٣ .
 الناصر بن أبي عامر ٢١٦ .
 الناصر عبد الرحمن ٥٢٥ .
 ناصر الدولة مبشر بن سليمان ٦٨٣ . ٦٨٤ .
 ٦٨٦ ، ٦٨٨ ، ٦٩١ ، ٦٩٤ ، ٧٠٢ .
 الناظفي ١٢٠ .
 نائلة ٧١٢ .
 ابن نجية . أبو مروان ٤٠٢ .
 أبو نصر . انظر : الفتوح بن خاقان .
 نصيب الأكبر ٣٣٨ .
 النعمان بن المنذر . أبو قابوس ٣٠٥ . ٤٩٢ .
 ٧٣٣ . ٧٣٤ . ٨٠٣ .
 أبو نواس (الحسن بن هانيء) ١١٥ . ١٢٠ .
 ٢٨٣ ، ٢٨٧ ، ٣٩١ . ٤٦٣ . ٨١٩ .
 نوح ١٥٢ . ١٦٥ . ٤٩١ . ٦٥٣ . ٩٠١ .
 هاجر ٧٤٦ . ٧٥٣ .
 هاشم بن عبد مناف ٧٤٥ .
 ابن هانيء الأندلسي (محمد) ٣٤٢ . ٣٤٥ .
 ٣٥٢ . ٥٠٨ . ٥٧٥ . ٩٠٣ .
 هذيل بن خلف بن لب بن رزين ١٠٩ =
 . ١١١

١٣٤ ، ١٣٨ ، ١٤٤ ، ١٤٨ - ١٦١

ابن مهران ٣٢٠ .
 المهلب ١٠٠ .
 مهلهل ٨٦٦ .
 ابن مهلهل ٦٩٧ .
 مهيبار ٦٤٠ .
 المؤتمن العامري . انظر المنصور بن
 أبي عامر .
 المؤتمن ابن هود ٣٩ ، ٨٣ ، ٤٦٤ ، ٤٩٣ .
 موسى (الزبي) ٤٣٨ ، ٤٤٧ ، ٤٧٥ ، ٥٠٢ .
 ٧٤٤ ، ٨٩٨ .
 موسى بن أبي الغصن ٣٩٢ .
 موسى بن نصير ١٧٩ .
 الموفق العامري . انظر : مجاهد العامري .
 مؤمل القشتالي ١٨ .
 المؤيد ابن عباد ، انظر : المعتمد بن عباد .
 المؤيد هشام بن الحكم المستنصر . الخليفة
 الأموي ٢١ .
 الميلاء ٧٤٠ .
 ميمون بن يوسف بن دري ٣٣٧ .
 ابن ميمون . أبو اسحاق القاضي ٦٣٤ .
 مية (صاحبة ذي الرمة) ٨٤٦ .
 مية (في شعر النابغة) ٥٤٧ .

الأفطس .
يحيى بن حمود ٣٥٢ .
يحيى بن ذي النون ، انظر : القادر بالله .
يحيى بن ذي النون ، انظر : المأمون بن
ذو النون .
يحيى بن زكريا ٥٠٠ .
يحيى بن عبد الملك ابن رزين ، انظر :
حسام الدولة ابن رزين .
يحيى بن فانو ٨١٦ ، ٨١٧ .
أبو يحيى وأبو بكر ابن إبراهيم ، انظر :
ابن تيفلويت .
أبو يحيى بن محمد بن الحاج ٧٨٤ ،
٧٨٦ .
يزيد بن الصفعب ٢٧ .
يزيد بن معاوية ٤٩ ، ٧٢٧ .
ابن يسار ، انظر : عبد الرحمن بن يسار .
ابن اليسع ١٠٦ .
يعقوب ابن السكيت ، ٣٨٥ ، ٣٨٧ .
يهوذا ٧٢٠ .
يوسف الإسلامي ، انظر : ابن حسداي .
يوسف الصديق ٥٨٦ ، ٧٥٣ ، ٨٩٥ .
يوسف بن تاشفين ، أبو يعقوب ٥٦ .
٩٣ - ٩٥ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ .
يوسف بن سليمان بن هود ، انظر :
حسام الدولة ابن هود .

ابن هذيل ، يحيى الشاعر ٣٤٦ - ٣٤٨ .
هروم بن سنان المري ٣٤٣ ، ٧٧٣ .
هزار ١٣٣ .
هشام المؤيد ، انظر : المؤيد هشام .
هند ٢١٤ .
ابن هند اللدائي (٨٩٦ - ٩٠٠) .
هود ٧٤٥ .
ابن هود ، انظر : حسام الدولة ابن
هود ، عماد الدولة ابن هود ، المستعين
بالله ابن هود ، المظفر ابن هود ، المقتدر بالله
ابن هود ، المؤتمن ابن هود .
ابن هود ٢٠ ، ١٣٤ ، ٤٥٨ .

و

الواثق العباسي ٢٤٤ .
ابن واجب ٣٤٤ ، ٣٤٥ .
ورقة بن نوفل ٧٤٤ .
الوليد ، انظر : البحري .
ابن وهبون المرسي ، عبده الجليل ٥٧٥
٦٤٨ ، ٦٤٩ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩ ، ٧٦٦ .
٨٩٨ .

ي

يحيى السرقسطي ، انظر : الجزائر السرقسطي .
يحيى بن الأفطس ، انظر : المنصور بن

٢ - فهرس الأماكن

٦٠٧ . ٥٤٢ ، ٤٥٧ . ٤١٢ . ٣٩٢	أ
٧٥٦ . ٦٦٧ . ٦٥٢ . ٦٢٣ . ٦٢٠	
٨٥٥ . ٨٥٠ . ٨١٥ . ٨٠٩ . ٧٨٨	. الأبلق الفرد ٧٦٢
. ٨٩١ . ٨٨٧ ، ٨٦٧	. أرش اليمن ٧٠٥
. أوزيولة ٤٣٠ ، ٤٣٩ .	. لرم ٧٢٨
. أونبة ٨٦١ .	. الاسكندرية ٤٨٣
. ايوان كسرى ٧٦٠ .	. الاشبونة ٧٠٣ . ٨٦٢ . ٨٦٣ . ٨٦٤ .
ب	. اشيلية ١٢٦ . ١٣٧ . ١٤٥ . ١٤٦
. بازل ٣٠٥ ، ٥٧٤ ، ٦٢٠ ، ٨٩٨ .	٦٠٧ ، ٢٥٣ ، ٢٥٢ . ٢٢٩ . ١٧٠
. بجاجة ٧٠٥ ، ٧٥٥ .	. ٦٨٠ . ٧٥٩ . ٧٧٨ . ٧٨٨ . ٨٢٦ .
. برهشتر ٨٧ ، ١٧٣ ، ١٧٩ ، ١٨١ .	. أغمات ٦٠٦ ، ٦٠٧ .
. ١٨٢ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٩ ، ١٩٠ .	. افريقية ٣٦١ .
. برشلونة ٢٠ ، ٤٢٥ .	. البونت ٥١٥ . ٩٠٣ .
. برطانية ١٧٩ .	. ألس ٤٣٧ .
. البشر ٤٦٣ .	. المرية ٣٤ ، ٤٠٣ ، ٤٣٠ ، ٤٣٤
. البصرة ٨٥١ .	. ٦٤٨ . ٦٧٣ . ٨٠٩ . ٨١٠ . ٨٦٧ .
. بطرنة ٨٥٠ ، ٨٥١ ، ٨٥٤ .	. الأندلس ٢٩ ، ١٦ ، ٢٥ ، ٣٩ ، ٤٤
. بطليوس ٢٥٣ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٧٧٤	. ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٢ ، ٩٥ ، ٩٩ ، ١١٠
. ٨٩١	. ١١٢ . ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٧٤ ، ١٧٩
	. ١٨٠ . ١٩٠ ، ٢٥١ ، ٣٣٦ ، ٣٤٧

النفرة الأدنى ١٠٩ .
النفرة الأعلى ١٠٩ ، ٢٨٦ ، ٤٠٠ ، ٤١٨ .
شهران ٣٤٤ ، ٥٦٨ ، ٦٨٨ .

ج

جاسم ٦٠١ .
الجزائر الشرقية ٢٢ ، ٢٢٧ ، ٣٣٦ .
الجزيرة الأندلسية ، انظر : الأندلس .
الجزيرة الخضراء ١٤٠ ، ١٤٥ .
جزيرة شقر ، انظر : شقر .
جلق ٢٨٥ ، ٤٨٨ ، ٧٣٤ ، ٨٧٢ .
جمع خيف ٦٥٨ .
الجودي ٤٩١ .
الجولان ٧٣٥ .
جيان ٨٠٩ .

ح

حارب ٧٣٥ .
الحجاز ٧٠٧ ، ٧٠٩ ، ٧٣٤ ، ٧٤٧ .
حزوى ٦٠١ ، ٦١٢ ، ٨٦٨ ، ٨٩٠ .
حصن ابن الشرف ٥٢٨ .
حصن الزاهر ١٤٥ .
حصن ٤٨٣ .
حمام الشطارة ٨٢٦ .

بطن نخلة ١٠ .

بغداد (بغداد) ١٣٢ ، ٤١٤ ، ٦٢٠ ، ٦٥١ ، ٦٧٤ ، ٦٩١ ، ٨١٥ .

بلاد الجوف ٦٧٠ .

بلنسية ١١ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٨ ،

٢٠ ، ٢٦ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤١ ، ٤٢ ،

٥٠ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٧ ،

٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ٢١٦ ،

٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٥١٦ ،

٥٩٨ ، ٨٤٩ ، ٨٥٤ ، ٨٥٥ ، ٨٥٩ ،

٨٦٨ ، ٨٨٧ ، ٩٠١ .

بحار ٥٢٩ .

البيت الحرام ٣٤٩ .

ت

التاج ٤٣٢ ، ٤٣٥ .

تاجو ٧٨٣ .

تبالة ٧٠٦ .

تهامة ٤٨٣ ، ٥٨٩ ، ٦٤٠ ، ٧٢٧ ،

٧٨٠ .

تيماء ٤٨٩ ، ٥٦٨ ، ٧٦٢ .

ث

ثبير ٤١٦ .

حمص ، انظر : اشيلية .
حنين ٣٥٧ ، ٦٥٣ .
حومل ٦٦٠ .
الحيرة ٧١١ ، ٧٣٤ .

خ

خراسان ٦٦٧ ، ٧٢٧ .
الخورنق ٢٨١ ، ٣٠٩ ، ٤٣٥ ، ٨٩٥ .
خخير ٣٥٧ .

د

دار ساپور ٣٥٠ .
دار السرور ٢٧٤ .
دانية ١٢ ، ٢٢ : ٤٢ ، ٨١ ، ٢٢٧
٣٣٦ ، ٣٤٣ ، ٧٠٤ ، ٧٥٧ ، ٧٥٨
٩٠١ .
دجلة ٦٨٩ ، ٨٢٨ ، ٨٢٩ .
الدخول ٦٦٠ .

ذ

ذات البين ٤٦٤ .
ذات الجيش ٤٦٤ .
ذات المجاز ٧٠٧ .
ذو الأضا ٧٠٢ .

ذو حسي ٥٤٧ .
ذوقار ٧٣٤ ، ٧٥٢ .
ذو المجاز ٧٤٧ .

ر

الرافدان ٦٩٢ .
راكس ٨٠٣ .
رامة ٧٧٩ .
رضوى ٢٨٩ ، ٥٦٣ ، ٨٦٨ .
روطة ٤٨٩ .
روية (رومية) ١٨٢ ، ٧٢٧ .

ز

الزاهر ٤٣٢ ، ٤٣٥ .
زمزم ٤٠٩ ، ٦٩٥ ، ٧٥٣ .
الزهراء ١٤٣ ، ٤٥٤ .
الزوراء ٧٣٥ ، ٨٩٤ .

س

ساباط ٢٧٤ .
سجلماسة ٨١٦ .
السدير ٢٨١ ، ٣٠٩ ، ٨٩٥ .
السرقة ٥٧٤ .

ص

- صخرة ابن الشرف ، انظر : حصن
ابن الشرف .
صفيين ٢٥٢ .
صنعاء ٣١٧ ، ٧٣٤ ، ٧٦٣ .
صيداء ٧٣٥ .

ط

- طرطوشة ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢٨ ، ٥١٤ .
طليلة ٩٢ ، ٩٣ ، ٢٥٠ ، ٨٥٠ .
طيبة ٧٢٧ .

ع

- عالج ٦٤٤ .
عدن ٧٢٧ .
العراق ٥٩ ، ٦٨٩ ، ٥٨٢ ، ٨٩٤ .
عسيب ٥٧٧ .
العقيق ٤٣١ ، ٦٠١ .

غ

- غرب الأندلس ٨٦٦ .
غرناطة ٩١١ .
غمندان ٦٥١ .

- سرقسطة ٩٥ ، ١٧٩ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣ ،
٢٧٤ ، ٤٢٤ ، ٤٥٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٣ ،
٨١٨ ، ٨٥٩ ، ٨٩٥ ، ٩٠٦ ، ٩٠٨ ،
٩١٢ .
سرّ من رأى ٥١٤ .
سمرقند ٧٢٩ .
سنداد ٧٤٧ .
السهلة ١٠٩ ، ١١١ .
السواد ٥٠١ .

ش

- شاطبة ١٥ ، ٦٨ ، ١٩٥ ، ٢٢٨ ،
٥١٧ ، ٨٥٩ .
الشام ٧٠ ، ٧١١ ، ٧٣٤ ، ٧٣٥ .
الشبثان ٨٠٩ .
شدونة ١٤٥ .
شقر ٥١٧ ، ٨٨٩ ، ٨٩٠ .
شقورة ٧٨٧ .
شلب ٦٢ ، ١٢٩ ، ٨٦١ ، ٨٩١ .
شلطيش ٨٦١ .
الشماسية ١٣٢ .
شمام ٣٩٤ ، ٦٤٤ .
شتتمرية ١١٤ ، ٨٦١ ، ٨٩٥ .
شتتمرية ابن هارون ٣٣٦ .

. الغميم ٦١٢
. النخوة ٧٣٥

ف

. فاس ٣٥٩
. الفرات ٧٣٤

ق

قرطبة ٩ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٨ ،
٢٠ ، ٢٣ ، ١٠٩ ، ١٨٠ ، ١٨٩ ،
١٣٥ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ٢٤٦ ،
٢٤٩ ، ٢٩٣ ، ٣١٨ ، ٤١٠ ، ٤٢٤ ،
٤٤٠ ، ٤٤٤ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ،
٥١٧ ، ٥٢٢ ، ٥٢٧ ، ٦٣٩ ، ٦٥٣ ،
٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٦٠ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤ ،
. ٨٨٨

. قرمونة ١٤١

. قسطلة الغرب ٣٣٦

. القسطنطينية ٧٢٧

. القصر المبارك ٧٥٩ ، ٧٦٢ ، ٧٦٥

. القصر المرواني ٤٤١

. القصر المكرم ٧٥٩

. قللمرية ٨٦٠

. قونكة ٩٣ ، ٢٥٠

. القيروان ٥٢٩ ، ٨٦٧

ك

. ككبك ١٠ ، ٥٥١
. الكعبة ٧١٢ ، ٧٢٠

ل

لاردة ٣٦ ، ١٧٩ ، ٤٦٨ ، ٤٧٤
. ٥١٧

. لبله ٨٦١

. لبنان ٥٨٦ ، ٦٢٠

. لعلج ٦٤٠ ، ٦٤٤

. لورقة ٦٤٨

. لبيط ٦٤٨

م

. ماردة ١٧٩

. ماسان ٧٢٧

. مالقة ١٤٦

. ما وراء النهر ٧٢٧

. مجريط ٧٧٦ ، ٧٧٧

. مجلس الذهب ٢٧٤

. مجلس الناعورة ٨٩٤

. مدين ٧٢٧

. المدينة ٨٢٥

. مدينة سالم ٩٠٢

نجران ٧٤٤ .
نعمان ٤٨٨ ، ٥٨٥ ، ٦٨٤ .
نعمان الأراك ٣٤٩ .
النيل ٦٨٤ ، ٦٨٩ ، ٦٩٢ ، ٦٩٣ .

هـ

هجر ٧٧٥ .
الهند ٣٠٥ ، ٣٥٦ ، ٤٣٧ .

و

وادي آش ٤٠٣ ، ٦٩٧ .
وادي الحجارة ٦٥٢ ، ٦٧٢ ، ٧٧٦ .
وادي الزيتون ٢٨٢ ، ٢٨٤ .
وادي شوش ١٤١ .
وادي طلبيرة ٧٨٢ ، ٧٨٣ .
وشقة ٥٠٦ .

ي

يابرة ٢٥٢ ، ٦٧٤ .
يابسة ٣٣٦ ، ٣٤٠ .
يسوم ٧٥٣ .
اليمامة ٧٢٧ ، ٧٨٠ .
اليمن ٤٠٥ .

مدينة الفرج ٦٥٥ .

المربد ٨٥١ .

مربيطر ١٠٥ ، ١٢٣ .

مرسية ٢٥ ، ٢٦ ، ٤٦٧ ، ٨٥٩ .

المسجد الأقصى ٧٢٥ .

المسجد الجامع (بلنسية) ١٨ .

المسجد الجامع (قرطبة) ٤٤٢ .

مصر ٧٠ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠ ، ٣٩١ .

٣٩٣ ، ٤٠٠ ، ٥٢٩ ، ٦٨٤ ، ٦٩٢ .

٦٩٣ ، ٧٧٨ ، ٧٩٠ .

المغرب ٣٤٧ ، ٦٦٧ .

المغرب الأقصى ٤٠٠ .

مكة ٣٨٦ ، ٧٧٠ .

منتشون ١٨٥ .

منية العيون ١٢٤ .

الموصل ١٣١ .

ميورقة ٩٤ ، ٤٢٧ ، ٦٨١ ، ٦٨٤ ،

٦٩٢ ، ٦٩٣ ، ٧٠٢ .

ن

الناصرية ٦٨٢ .

نجد ٤٥٩ ، ٥٥٥ ، ٥٨٩ ، ٦١٢ ، ٦٢٠ ،

٦٤٠ ، ٦٥٢ ، ٧٢٧ ، ٧٣٢ ، ٧٣٣ .

٧٨٠ .

٣ - فهرس القبائل والأمم والطوائف . . .

- | | |
|--|-----------------------------------|
| . الترك ٥٠٩ . | آل أخطل ٨٦٤ ، ٨٦٧ . |
| . تغلب ٧٤٤ . | . الأذواء ٤٠٥ . |
| . تميم ٦٩ ، ٣٨٥ . | . الأردمانيون ١٨١ . |
| . بنو ثعل ٦٥٨ . | . الأزد ٦٨٢ . |
| . ثقيف ٨٠٤ . | . بنو الأصغر ٧١١ . |
| . ثماله ٣٢١ . | . الأعاجم ، انظر : المعجم . |
| . ثمود ٤٤١ ، ٧٢٩ . | . الأعراب ٨٤٥ . |
| . جذام ٧٤٧ . | . الأفرنج ، انظر : الفرنجة . |
| . الجلالقة ٢٩ ، ٩٥ . | . الأقباط ٧٣٠ . |
| . الحبش (الحبشان ، الحبشة) ٤٥٣ ، ٧١٠ . | . الأكاسرة ٧٠٦ ، ٧٢٤ . |
| . ٧١٢ . | . بنو أمية ١٥١ . |
| . بنو الحديدي ٩٦ . | . الأنباط ٧٣٠ . |
| . بنو حماد ٦٨٥ . | . الأنصار ٤٤٤ . |
| . بنو حمدين ٥٩١ . | . إباد ٨١٣ . |
| . بنو حمود ٣٣٦ . | . البرابر ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٩٠ ، ٧٢٧ . |
| . حمير ٧٢٩ ، ٧٤٣ . | . البراجم ٥٠٢ . |
| . بنو حية ٣٨٢ . | . البربر ، انظر : البرابر . |
| . خندف ٨٤١ . | . البشكنس ١٦ ، ٣١٨ ، ٤٢٥ . |
| . الدهرية ٧٤٠ . | . بنو تاشفين ٤٠٩ . |
| . بنو الديان ٧٤٤ . | . التبابعة ٤٠٥ ، ٧٢٩ ، ٧٤٤ . |

- بنو ذبيان ٩ .
 آل ذي حسان ٧٠٥ ، ٧٤٧ .
 ربعة ٥٦٦ .
 بنو رحيم ٨٠٨ .
 بنو رزين ١١١ ، ١١٩ .
 الروم ١٨٥ ، ٢٤١ ، ٤٠٤ ، ٤٥٣ ، ٤٦٠ .
 ٦٥٥ ، ٧٤٤ ، ٧٨٢ ، ٨١٥ ، ٨٥٥ .
 رومان ٧٣١ .
 الزنج ٥٢٨ .
 بنو ساسان ٧٣٤ .
 بنو سعد ٦٨١ ، ٨٠٠ .
 الصقلب ١٤ ، ١٦ ، ١١٢ .
 الصمديون ، انظر : بنو عبد الصمد .
 صنهاجة ٣٥٥ .
 بنو طاهر ٢٤ .
 الطبيعيون ٧٤١ .
 طيء ٣٨٢ ، ٨١٣ .
 عاد ٤٤٢ ، ٧٢٨ ، ٧٤٧ ، ٧٩٦ .
 بنو عامر ١٦ ، ٢٠ ، ٤١ .
 بنو عباد ٩٤ ، ٦٧٤ .
 بنو العباس ١٤٢ ، ١٥١ ، ١٦٠ .
 بنو عبد شمس ٧٩٣ ، ٨٠٨ .
 بنو عبد الصمد ٨٠٩ ، ٨١٠ .
 بنو عبد المدان ٢٠٣ .
 العجم ٤٩ ، ١٠٠ ، ٤١٤ ، ٦٧١ ، ٧٠٥ .
- ٧٠٨ ، ٧١١ ، ٧١٩ ، ٧٢٠ ، ٧٢٢ .
 ٧٢٧ ، ٧٣٠ ، ٧٣٩ .
 بنو علي ٧٤٤ .
 العرب ٢٧ ، ٣١ ، ٤٩ ، ٧٣ ، ١٠٠ .
 ٣٢٠ ، ٣٦٨ ، ٣٧٦ ، ٣٨٣ ، ٣٨٥ .
 ٣٩١ ، ٤٤٤ ، ٤٥٨ ، ٥٠١ ، ٦٧١ .
 ٦٨٧ ، ٧٠٤ ، ٧٠٦ ، ٧١٢ ، ٧١٧ .
 ٧١٨ ، ٧١٩ ، ٧٢١ ، ٧٢٣ ، ٧٢٥ .
 ٧٢٦ ، ٧٢٧ ، ٧٣٠ ، ٧٣١ ، ٧٣٣ .
 ٧٣٥ ، ٧٣٦ ، ٧٣٧ ، ٧٣٨ ، ٧٣٩ .
 ٧٤٣ ، ٧٤٥ .
 العرب العاربة ٧٢٨ .
 العربان ، انظر : العرب .
 العمالقة ٧٢٩ .
 غسان ٦٨٢ ، ٦٨٨ ، ٧٠٥ ، ٧١٣ .
 ٧٣٤ ، ٧٤٤ ، ٧٤٧ .
 غطفان ٧٣٧ .
 القراصة ٧٢٩ .
 بنو الفرج ٩٣ .
 الفرس ١٤٢ ، ١٥١ ، ٧٣٤ .
 الفرنجة ١٦ ، ٢٠ ، ١٠٠ ، ٢٤١ ، ٨٥٥ .
 القارة ٧٢٣ .
 قريش ٥٤ ، ٣٨٦ ، ٦٦٤ ، ٧٤٥ .
 القياصرة ٧٠٦ ، ٧٢٤ .
 آل كاسان ٧٣٤ .

- . ٣٧٨ كليب
 . ٦٩٢ كندة
 . ٧٣١ كنعان
 . ٧٢٩ كهلان
 . آل لبون ١٢٣
 لحم ٤٤٤ ، ٦٧٩ ، ٦٨٢ .
 لتوتة ٤٠٨ ؛ وانظر : المرابطون .
 محارب ٣٧١ .
 المرابطون ٩٥ .
 مراد ١٦٣ .
 بنو مروان ٦٨٨ ، ٧٩٣ ، ٨٠٩ .
 مضر ٧٤٥ .
 المعتزلة ٣٧٤ .
 بنو معن ٨٧٢ .
- ملوك الطوائف ٢٤ ، ٣٣٦ ، ٤٤٨ ، ٥٤٢
 . ٧٥٧ ، ٦٦٧ ، ٦٥٢
 المنجمون ٧٤٢ .
 الموالي العامريون ١١٠ .
 نزار ٢٢٨ .
 النصاري ١٨٢ ، ١٨٥ ، ٣٦٣ ، ٤١٥
 . ٤٢٣ ، ٤٢٦ ، ٧٤٢ ، ٧٦٧ ، ٨٦٠ .
 بنو هاجر ٧٠٧ .
 بنو هاشم ٥٤ ، ٧١٢ .
 بنو هود ٩٥ ، ٤١٩ ، ٨١٩ .
 وائل ٨٤١ .
 يعرب ٦٨٢ .
 اليهود ١٨٦ ، ٢٨٣ ، ٤٥٧ ، ٧٢٠
 . ٧٢١ ، ٧٤٢ ، ٧٤٣ ، ٧٤٤ ، ٧٥٣ .
 اليونانية ٣٨٩ .

٤ - فهرس الكتب المذكورة في المتن

- | | |
|--|--|
| <p>بسام ٢٥ ، ١٠٣ .</p> <p>شرح الحماسة لابن سيده ٣٨٧ .</p> <p>شرح الفصيح لابن درستويه ٣٦٨ .</p> <p>طي المراحل لابن مسلم ٤٢٧ .</p> <p>عقاب المتسور لابن أرقم ٣٧٢ .</p> <p>العمدة لابن رشيق ٨٥٢ .</p> <p>العين للخليل بن أحمد ٣٧٢ .</p> <p>قاطاغورياس ٣٦٨ .</p> <p>الكامل للمبرد ٣٦٨ .</p> <p>كتاب سيويه ٣٦٨ ، ٣٧٥ .</p> <p>كتاب في الشبان للصولي ٣٨٦ .</p> <p>المحكم لابن سيده ٣٨٧ .</p> <p>المخصص لابن سيده ٣٨٧ .</p> <p>المذكر والمؤنث لارماني ٣٨٥ .</p> | <p>اصطلاح المنطق لابن السكيت ٣٨٧ .</p> <p>باري أرمينياس ٣٦٨ .</p> <p>البيان والتبيين للجاحظ ٣٦٨ ، ٣٨٢ ، ٥٠٥ .</p> <p>التاريخ الكبير لابن حبان ٨٥٠ .</p> <p>التذكير والتأنيث لأبي حاتم ٣٨٦ .</p> <p>الحجة لأبي علي الفارسي ٣٧٢ ، ٣٧٩ .</p> <p>الحيوان للجاحظ ٤٧٨ .</p> <p>الذخيرة لابن بسام ٧٩١ .</p> <p>رداً على إصلاح المنطق لابن سيده ٣٨٧ .</p> <p>رسالة السجن والمسجون للحجاري ٣٣٢ .</p> <p>رسالة العشر كلمات للحجاري ٣٣٢ .</p> <p>الرياض لمحمد بن عمر المرزبان ٣٧٤ .</p> <p>سر الذخيرة لابن بسام ١١٧ .</p> <p>سلك الجواهر في ترسيل ابن طاهر لابن</p> |
|--|--|

٥ - فهرس القوافي

قافية الهمزة

٦٢٧	ابن خفاجة	الكامل	ضياء
٦٣٠	» »	السريع	بيضاء
٨٧٠	سعيد العروصي	»	والجوجوا
٧٧٧	ابن عطيون	الطويل	ويكلاؤ
٣٧٧	زهير	الوافر	الأداء
٧١٣	الخطيئة	»	الخداء
٨١٦	أبو بحر ابن عبد الصمد	الكامل	الجوزاء
٦٢١	ابن خفاجة	»	ذكاؤه
١٠٠٨	ابن ليون	»	بدائي
٣١٧	ابن الدباغ	»	مساقي
٥٢١	ابن شهيد	»	الأعداء
٥٨٢	ابن خفاجة	»	والأمساء
٥٨٩	» »	»	الوعساء
٥٩٧	» »	»	الغيناء
٦١٥	» »	»	النظراء
٦٣٥	» »	»	الأنواء
٦٣٥	» »	»	الأنداء
٧٥٨	ابن أحمد	»	الوزراء

٨٧٢	ابن عبدون	الكامل	الماء
٨٣٦	الحجّام	»	سمائيه
٧٠٣	ابن الدودين	الكامل المجزوء	بضياته
٢٤٢	ابن الرومي	الخفيف	بالايماء
٣٨٦	-----	»	العواء
٨٣٦	الحجّام	»	سوداته

قافية الباء

٨٧٨	أبو الفضل ابن شرف	الوافر	النوائب
٦١٣	ابن خفاجة	المتقارب	اضطرب
٥١١	أبو الفضل البغدادي	الطويل	تعيبا
٥١١	أبو الربيع القضاعي	»	شرايا
٥٧٠	ابن خفاجة	»	قبابا
٨٣٢	الحجّام	»	والتراثبا
٨٨٥	أبو الفضل ابن شرف	»	صواحبا
٨٨٦	» » » »	البسيط	أريا
٥٧٢	ابن خفاجة	مخلع البسيط	سحابا
٦٦٩	ابن وهبون	الوافر	الذنوبا
٩٠٥	ابن حسداي	»	والقصابه
٩٠٥	الجزار السرقسطي	»	عابه
٥٧٥	ابن هانيء	الكامل	مذهبا
٦٧٤	ابن اللبانة	»	مذهبا
٨٢٩	ابن كيغلغ	»	كوكبا
٣٤٢	ابن هانيء	»	عذابا

٩٠٣	ابن هانيء	الكامل	تصابى
٥٧١	ابن خفاجة	»	محرابا
٦٣١	»	»	خضابا
٧٠٤	ابن الدودين	»	جوابا
٦٣٦	ابن خفاجة	المتقارب	أشهبأ
١٥٤	ابن عبد البر	الطويل	جانبُ
٣٥٦	قيس بن الخطيم	»	فنضاربُ
٣٨١	أبو تمام	»	عجائب
١٦٣	المتنبي	»	يتقلبُ
٣٥٢ ، ٣٤٥	ابن هانيء	»	مشبوب
٥٧٦	ابن خفاجة	»	طيببُ
٦١٨	»	»	يطيبُ
٦١٩	»	»	نسيبُ
٦٢٨	»	»	مُشيبُ
٦٣٦	»	»	ضروب
٦٤٩	»	»	قريبُ
٦٤٩	ابن وهبون	»	سليبُ
٨٥٣	كعب الغنوي	»	هبوب
٣١٤	المتنبي	»	خطاب
٥٦٥	ابن خفاجة	»	عتاب
٦٧٠	ابن اللبانة	»	سكبُ
٦٧٣	ابن خفاجة	»	وألعبُ
٢١	أبو تمام	»	عواقبه
١٠٧	ابن لبون	البسيط	آراب
٨٣٠	الحجّام	»	تلتهب

٤٥٤	ابن جرج	البيسط	قرب
٨٠١	-----	»	تجبُ
٦٦٩	ابن اللبانة	محلج البسيط	الكثيبُ
٣٥٥	ابن عبدون	الوافر	الرقاب
٨٧٦	أبو الفضل ابن شرف	»	الرطيبُ
٥٧١	ابن خفاجة	الكامل	كتابُ
٨٤٤	ابن معلى	»	الأحساب
٤٧٣	-----	»	توهب
٦١٦	ابن خفاجة	»	صائبُ
٥٦٩	»	»	فتلعب
٦٢٩	»	»	تشرّب
٣٤٠	ادريس بن اليماني	»	مغرب
٨٢٩	القاضي التنوخي	»	مغرب
٨٩٥	ابن السيد البطليوسي	الرملى	العزاب
٨٩٣	تميم بن المعز	الخفيف	غراب
٦١٦	ابن خفاجة	الرجز	ذهب
٤٧٧	-----	»	أحبه
١١٥	-----	الطويل	ذائب
٥٨٦	ابن خفاجة	»	النجائب
٦٩٦	ابن اللبانة	»	حاجب
٧٣٥	-----	»	حارب
٩٠١	ابن زهرة الصائغ	»	غالب
٨٥٣	الناطقة الديباني	»	بآيب
٥١٠	علي بن محمد الكوفي	»	طبيبي
٦٣٥	ابن خفاجة	»	ريب

٨٢٣	الحجّام	الطويل	مجب
١٠	امرؤ القيس	»	كبكب
٨٤٧	»	»	يثقب
١٢	ابن دراج	»	الغرب
٨٢٧	الأخطل	»	والقلب
٦٨	أبو الأسود الكناني	البيسط	تجريب
٥٥٢	المتنبي	»	محبوب
١١٥	ابن المعتز	»	والكذب
٣٥٣	ادريس بن اليماني	»	الكتب
٤٥٣	ابن جرج	»	الأشب
٨٢٩	التمار الواسطي	»	الطلب
٨٣٤	الحجّام	»	والقضب
٨٣٤	»	»	العذب
٨٤٩	المتنبي	»	الكذب
٨٦٣	ابن الأصيلي	»	الطلب
٨٦٣	ابن بسام الأندلسي	»	والأدب
٣٣٤	ابن غصن الحجاري	مخلع البيسط	سحابه
١٦٥	-----	الوافر	القريب
٣٣٩	اذريس بن اليماني	الكامل	عنا
٢٩١	أبو تمام	»	مغرب
٦١٥	ابن خفاجة	»	مشرب
٨٩٢	أبو الحسن ابن السيد	»	كالكوكب
٨٩٥	ابن السيد البطليوسي	»	كالكوكب
٨٨٠	أبو الفضل ابن شرف	»	المذهب
٨٤٦	البسامي أو غيره	»	الواجب

٨٨٨	محمد بن فرج	الكامل	الاعجاب
٨٣٣	الحجّام	»	التسكاب
٣٢١	ابن مهران السرقسطي	»	نصيبي
٥٥	البحثري	»	بغريب
٣١٥	ابن الدباغ	»	إعرايه
٣١٥	ابن خيرون	»	عذابه
٥٣	ابن طاهر	»	أصحابه
٦١٨	ابن خفاجة	مجزوء الكامل	الشباب
٥٣٠	أبو جعفر البجائي	»	حبيبه
٥٣٠	الهماري	»	مطلوبه
٢٧٤	ابن غند شلب	الرمل	واحرني
٧٤١	المتنبي	السريع	كسبه
٦٥٧	العباس بن الأحنف	المنسرح	والغضب
٧٩٥	ابن أبي الخصال	»	الطرب
٣٣٧	ابن دري	»	موعبه
٤٣٣	ابن الرومي	الخفيف	غراب
٥١٣	ابن شهيد	»	الأسباب
٩٠٨	ابن زرارة	»	كتاب
٥٧٣	التميمي	المتقارب	كاتب
٥٨١	ابن الرومي	»	الكاتب
٩٠٢	ابن عنق النضة	»	العتاب
٣٦٧	---	الرجز	بيه

قافية التاء

٧٩٣ ، ٧٨٥	ابن أبي الخصال	المنسرح	عرفت
-----------	----------------	---------	------

٦٨٠	ابن اللبانة	الطويل	فأسكتُ
٨٩١	ابن السيد البطلوسي .	»	ونسيتُ
٩١٢ ، ٤٩٢	ابن حسداي	البيسط	لبانات
٦٩٦	ابن اللبانة	»	استحالات
٩١٢	أبو طاهر الأشكوري	»	علايت
٨٣٥	الحجّام	مخلع البيسط	الصفات
١١٦	ابن رزين	الخفيف	ميميتُ
٦٩	الطرمّاح	الطويل	لوتتِ
٥٥٥	طارق بن نابي أو غيره	»	ظنتتِ
٧٩٥	ابن أبي الخصال	مخلع البيسط	جامعات
٨١٠	أبو بحر ابن عبد الصمد	الكامل	صلاتِ
٦٧٩	المتنبي	»	أبياتها
٨٢٧	الحجّام	»	ذاتها
٣٣٣	ابن غض الحجاري	المنسرح	اشتهتِ
٣٧٤	العجاج	الرجز	رحمتي

قافية الثاء

٨٩٨	ابن هند الداني	الطويل	تحدت
-----	----------------	--------	------

قافية الجيم

٦٠٥	ابن خفاجة	الطويل	مخارجا
٤٩١	ابن صمّاح	الرمّل	دملجا
٣٧٥	— — —	الرجز	خدلجا

٥٤	ابن طاهر	الطويل	منضج
٨٨٩	ابن عائشة	»	مفلج
٧٨٠	ذو الرمة	البيسط	الفراريج
٦٩٧	ابن اللبانة	الكامل	آراجها
٦٩٨	أبو الفضل ابن شرف	»	عجاجها

قافية الحاء

٥٧٣	ابن حمديس	السريع	الأفاح
٦٩٩	ابن اللبانة	»	فصاح
٤٩٢	ابن الملح	المنسرح	قزح
١٠٧	ابن لبون	البيسط	التباريحا
٣٤	ابن طاهر	الكامل المرفل	سمحا
٨٣٦	الحجام	الكامل	باحا
٤٨١	—	مجزوء الرمل	ملحه
٩٠١	ابن سابق	السريع	تباريحا
٩٠١	أبو بكر ابن الفرضي	»	تصريحا
٨٣٩	الحجام	»	جرحة
٧٧	توبة بن الحمير	الطويل	صفائح
٦١٧	ابن خفاجة	»	نافح
٣٣٨	ادريس بن اليماني	»	صحاح
٧٧٥	ابن عطّيون	»	براح
٢٤٠	—	»	وتمدح
٦٠٦	ابن خفاجة	»	أمسح
١٠٥	ابن لبون	الوافر	ارتياح

٦٢٦	ابن خفاجة	الوافر	جناح
٦٤٥	»	»	جناح
٦٢٦	»	»	سلاح
٧٢٦	سعد بن مالك	مجزوء الكامل	والمراح
٧٨١	ابن عطيون	الرجز	يلتاح
١٤٦	—	الطويل	المنالكح
٨٥٢	كثير أو غيره	»	الجوانح
٣٤١	المعتمد بن عباد	»	برج
٨٧٩	أبو الفضل ابن شرف	»	بقراح
٨٧٣	»	مطلع البسيط	بالفلاح
٨٧٨	»	الوافر	القراح
٣٤٣	ادريس بن اليماني	الكامل	الضاحي
٨٢٢	الحجج	»	صالح
٨٨٤	أبو الفضل ابن شرف	مجزوء الكامل	براح

قافية المذال

٨١٠	—	الرمل	الصمد
٦٢٥	ابن خفاجة	السريع	وقد
٧٩٦	ابن أبي الخصال	»	معاد
٨١٩	ابن الصفار السرقسطي	المتقارب	جلد
١٦٩	—	الطويل	يدا
١١٩	ابن رزين	»	مقعدا
٦٢٥	ابن خفاجة	»	ندآ
٧١٢	—	»	سوددا

٢٠٣	— —	البيسط	قودا
٩٠٩	ابن طاهر الأشكوري	مخلع البسيط	يميدا
٨٨٠	أبو الفضل ابن شرف	» »	الزيادة
٧٧٧	ابن عطيون	الوافر	بعادا
٨١٢	أبو بجز ابن عبد الصمد	»	القتادا
٨٧٣	التطيلي	»	القتادا
٦٢٦	ابن خفاجة	الكامل	مدادا
٦٢٨	» »	»	فرقدا
٤٨٢	— — — —	»	واحداه
٨٢٥	ابن شهيد	الرميل	أبدا
١١٩	ابن رزين	السرير	حداه
٨٣٩	الحجام	المنسرح	يدالك
٦١٨	ابن خفاجة	المجتث	عقدا
٦٥٢	» »	»	قده
٨٧٧	أبو الفضل ابن شرف	المتقارب	عدها
٧٠٧	— —	الرجز	مجادا
٣٥٨	ادريس بن اليماني	الطويل	جديد
١٦٧	المتنبي	»	وأطار د
٩١٠	أبو طاهر الأشكوري	»	المشاهد
٦٢٤	ابن خفاجة	»	سهاد
٥٥٨	ابن الرومي	»	رمدد
٥٦٧	ابن خفاجة	»	وتنجد
٧٩٦	ابن أبي الخصال	»	أصيد
٨٢٦	الحجام	»	يتقلد
٣٩٦	— —	»	العقد

٧٠٩	الطيطنة	الطويل	شدوا
٨٣٢	الحجام	»	والشهدُ
١٥٨	—	»	اجتهادُهُ
١٦٩	المتنبي	»	أستجده
٨٣٠	الحجام	البيسط	تتقد
٢٠٣	—	»	محسود
٤٥٥	ابن جرج	مخلع البسيط	حصيد
٤٥٥	ابن شهيد	»	هجوم
٦٦٥	أبو حاتم الحجاري	الكامل	أسود
٨١٤	أبو بحر ابن عبد الصمد	»	أسود
٨١٥	مختار بن النجار	»	يزيد
٧٩٤	ابن أبي الخصال	»	أزادها
٨٧٨	أبو الفضل بن شرف	الخفيف	صعود
٦٩	عمرو بن ذي الاصبع	الطويل	الثرائد
٥٥٨	دريد بن الصمة	»	أبعد
٨٢٧	أبو العلاء المعري	»	وفرقد
١١٨	ابن رزين	»	الزهد
٥٨٨	ابن خفاجة	»	الورد
٦٨١	ابن اللبانة	»	الورد
٧٨٥	ابن أبي الخصال	»	بعدي
٧٧٦	ابن عطيون	»	المجد
٧٩٧	ابن أبي الخصال	»	عندي
٧٢٩	—	»	المتمدد
٢٠٤	الراعي النميري	البيسط	أحد
٣٤٧	ابن هذيل	»	واكبدي

٦٢٩	ابن خفاجة	البيسط	نزد
٧٧٢	أبو جعفر ابن أحمد	»	بيد
٨٣٥	الحجّام	»	الغنيّة
٦٧٩	ابن اللبّانة	»	باد
٦٦٩	»	مخلع البيسط	فؤادي
١٦٣	---	الوافر	الحمايد
١١	عمرو بن معديكرب أو غيره	»	تنادي
١٦٣	عمرو بن معديكرب	»	مراد
٦٤٦	ابن خفاجة	»	حداد
٧٣٠	ابن فضالة	»	معاد
٨٤١	ابن معلى	»	الرماد
٢١٦	---	الكامل	لوداد
٣٧٣	أبو تمام	»	متبغدد
٤٧٥	الناطقة الذبياني	»	باليد
٦٣٠	ابن خفاجة	»	مقيد
٨١٨	أبو بحر ابن عبد الصمد	»	مفرد
١١٧	ابن رزين	مجزوء الكامل	وعود
٢٢٥	أبو فراس الحمداني	السريع	خالد
٦٦٤	أبو حاتم الحجاري	»	أملود
٨٤٩	ابن المعتز	»	الورد
٦٩٥	ابن اللبّانة	»	خده
٨٩٤	ابن السيد البطلوسي	المنسرح	الخلد
٣٥٠	أبو العلاء المعري	الخفيف	شاد
٦٧٧	أبو تمام	»	الجوادي
١٠٤	ابن القرّج	المجث	خحك
٧٦٤	---	المتقارب	الوداد

قافية الذال

تنبذُ الطويل بشار ٣٧٢

قافية الراء

٦٠٥	ابن خفاجة	مجزوء الكامل	والنظرُ
٤٦٢ ، ٤٦١	علي بن محمد الايادي	السريع	الديارُ
٣٣٨	—	المجتث	بمعدر
٦٢٩	ابن خفاجة	المتقارب	النظر
٨٤٧	امرؤ القيس	»	قرّ
٨٠	أبو حزابة	الطويل	أخضرا
١٠٧	ابن لبون	»	تتغيرا
٣٨١	الفرزدق	»	تأزرا
٢٢٩	امرؤ القيس	»	آخرا
٦١٣	ابن خفاجة	»	خضرا
٦٧٧	—	»	اليسرى
٨٤٤	الراضي العباسي	»	والبدرا
٨٤٨	امرؤ القيس	»	لأثرا
٦٠٥	ابن خفاجة	»	نهارا
١١	ابن دراج	»	ادكارك
٦٩٥	ابن اللبابة	البيسط	قمرا
٨٢٦	الحجّام	»	أشغارا
٣٣٨	ادريس بن اليماني	مخلع البيسط	الصغارا
٣٣٩ ، ٣٣٥	ابن غصن الحجاري	الوافر	الصغارا
٥٠	ابن رزين	الكامل	السكر

٢٣٤	--	الكامل	يشعرا
٦٢٦	ابن خفاجة	»	وأنضرا
٦٣٨	»	»	فأقمرا
٦٧٥	ابن عمار	»	مجوهرا
٧٦٤	--	»	الورى
٨٣٤	الحجّام	»	الجوهرا
٩٠٣	تميم بن المعز	»	أجدرا
٨٢٤	مالك بن أسماء	الكامل المرفل	الصبرا
٥٧٤	ابن خفاجة	السريع	معطارا
٦٧٤	--	»	خاسره
٨٤٣	ابن المعتز	الخفيف	ذكرا
٦٣١	ابن خفاجة	»	نارّه
٦٥٢	»	المجتث	مسرى
٦١٥	»	»	غرّه
٦٧٢	ابن عبدون	»	الحجاره
٣٣٤	المتنبي	المتقارب	سارا
٣٨٠	الخنساء	»	الازارا
٨٠٢	--	»	ضارا
٣٠٦	--	»	زندره
٧٤	نهشل بن مالك	الرجز	الحضاره
٦٩٩	ابن اللبانة	الطويل	المواطر
٧٣٥	ابن حمار البارقى	»	مسافر
٣٧٨	عمر بن أبي ربيعة	»	معصر
٧٨٦	الفتح بن خاقان	»	تقطر
٧٨٦	ابن الحاج	»	أسطر

٣٩١	أبو نواس	الطويل	تسير
٥٧٥	ابن وهبون	»	تدور
٦٦٨	»	»	قصير
٦٧٦	بشار	»	مبير
١٢٠ ، ١٢٢	ابن سعدون	»	الأمر
١٢١	ابن رزين	»	السكر
١٢٢	»	»	نثر
١٦٢	---	»	العذر
٤٦٤	أبو صخر الهلالي	»	سطر
٦٠٤	ابن خفاجة	»	السكر
٦٢٧	»	»	سرة
٦٣٢	»	»	والجهر
٨٧٦	أبو الفضل ابن شرف	»	الحضر
٨٤٦	ذو الرمة	»	القطر
٨٤٢	أبو تمام	»	قطر
٨٤٤	ديك الجن	»	والبدر
٣٧١	---	»	ناصره
٣٧٦	عمارة بن عقيل	»	ضميرها
٣٨٤	الفرزدق	»	نثيرها
١١	المبجّري	البيسط	شعروا
٢٧٤	»	»	أعتذر
١٠٦	ابن ابون	»	وينحدر
٦٧٥	ابن عمار	»	معتكر
٦٨٣	ابن اللبانة	»	يتنشر
٧٢٩	---	»	زهر

٧٦٠	---	البسيط	الحجرُ
٨٨٣	أبو الفضل ابن شرف	»	نظر
٣٠	---	»	العيبر
٣٨٦	---	»	الأعاصير
٥١٤	أبو الربيع القضاعي	مخلع البسيط	وزير
٣٣٨	نصيب	الوافر	الصغار
٨٢٨	بشر بن أبي خازم	»	جار
١٠٠	ابن خفاجة	الكامل	النار
٥٦٤	» »	»	دوار
٥٩٦	» »	»	تدار
٨٤٤	المتنبي	»	محفور
٣٥٧	أبو العلاء المعري	»	الأحمرُ
٦٣٢	ابن خفاجة	»	فيقصرُ
٨٧٥	أبو الفضل بن شرف	»	تنظر
٧٩٦ ، ٧٨٥	أبن أبي الخصال	الكامل	آثارُه
١١٦	ابن رزين	مجزوء الكامل	بر
٧٥٨	أبو جعفر ابن أحمد	مجزوء الرمل	يجورُ
٦٢٩	ابن خفاجة	السريع	خمر
٣٦٧	--	»	حفارها
٤٦٣	--	المنسرح	مطر
٦٥٧	أبو حاتم الحجاي	»	الفجر
٧٧٣	أبو جعفر ابن أحمد	»	القطر
٥٨٠	ابن المعتز	الخصيف	صغير
٦٧٨	أبو العلاء المعري	المقارب	البنصر

٧٣٢	حاتم أو غيره	الرجز	قرّ
٥٦١	--	»	فراره
٣٧٠	--	الطويل	تسري
٣٧١	الأخطل	»	تبري
٤٦٣	»	»	الدهر
٣٧٨	--	»	العشر
٥٧٨	ابن خفاجة	»	يكري
٦٣٧	»	»	كالعشر
٦٤١	»	»	الزهر
٧٩٦	ابن أبي الخصال	»	الشكر
٧٩٧	»	»	البدر
٢٣٨	جرير	»	مثري
٣٣٤	ابن الجهم	»	البحر
٨٩١	ابن السيد البطليوسي	»	بهار
٦٢٢	ابن خفاجة	»	عداره
٧٧٤	ابن عطيون	المديد	حدوره
٣٣٤	ابن شماخ	البيسط	وأغوار
٤٥٦	ابن جرج	»	أخطار
١٥٩	ابن المعتز	»	الخبر
٦٤٧	ابن خفاجة	»	والنظر
٦٩٦	ابن اللبانة	»	بالبصر
٢٩٨	أبو العلاء المعري	»	البشر
٧٠٧	»	»	والسير
٧٠٨	»	»	والمكر
٧٣٢	»	»	الحضرم

٤٩٣	ابن حسداي	البيسط	البكري
٥٣٠	ابن الرومي	»	بالبصر
٥٣٠	البنماري	»	خري
٧٦٩	أبو حاتم الحجاري	»	الصدر
٧٧٠	» » »	»	الحجر
٧٧١	» » »	»	النظر
٧٧٠	أبو جعفر ابن أحمد	»	المصر
٧٦٩	» » »	»	الحجر
٨٣٦	كشاجم	»	الحجر
٦٣٥	ابن خفاجة	»	العار
٧١٨	النابعة الذبياني	»	واكوار
٣٨٧	—	»	النار
٧٠٣	ابن الدودين	مخلع البيسط	وقاري
٣٧٩	—	الوافر	إزاري
٣٥٦	ابن عبدون	»	الدهور
٨٣٩	الحجام	»	بالنشور
٦٦٨	ابن اللبانة	»	قصير
٨٦١	ابن الأصيلي	مجزوء الوافر	السور
٢٢٨	—	الكامل	الأحرار
٥٦٨	ابن خفاجة	»	الأزهار
٥٩٢	» »	»	نهار
٧٢١	النابعة الذبياني	»	البقار
١٥٥	التهامي	»	نار
٣٥٦	»	»	الخطار
٣٣٥	ابن غصن الحجاري	»	مقفر

٣٥٨	ادريس بن اليماني	الكامل	الاكدر
٥٩٨	ابن خفاجة	»	الأعصر
٦٣٢	»	»	فاعبر
٦٧٧	الجزيري	»	للخنصر
٨٧٧	أبو الفضل ابن شرف	»	المحصور
٥٠٣	—	»	الزاخر
٦٠٤	ابن خفاجة	»	ظهره
٣٧٩	الخرنق	الكامل المرفل	الأزر
٢٣٥	زهير	»	ستر
١١٨	ابن رزين	مجزوء الكامل	المنير
٥٨١	الأصبهاني	السريع	الأمر
٥٨٨	ابن خفاجة	المنسرح	مطر
٩٠٧	الجزار السرقسطي	الخفيف	قراري
٦٨٥	ابن اللبانة	المتقارب	يعتري
٣٧٤	—	الرجز	الداري
٣٧١	طرفة أو كليب	»	بمعدر

قالية الزين

٣٢٨	ابن خلصة	الطويل	معترا
٦٥٦	أبو حاتم الحجاري	الكامل	مزاا
٦٠٣	ابن خفاجة	»	إعجاز
٤٥٤	ابن جرج	البسيط	بتطريز
٨٩٣	أبو العلاء المعري	الرجز	كرز

قافية السين

٦٣٠	ابن خفاجة	المتقارب	الغلسُ
٨٧٣	أبو الفضل ابن شرف	»	التبس
٥١٣	أبو الربيع القضاعي	الكامل	حنديسا
٦٨٤	ابن اللبانة	»	الأوعسا
٨٤٩	بشار	مجزوء الكامل	ملسا
٧١٣	—	الكامل	الناسُ
٤٠٣	ابن أرقم	السريع	رمسُ
٦١٧	ابن خفاجة	المتقارب	والمعطس
٢٨٨	امرؤ القيس	الطويل	المقدسِ
١١٤	ابن رزين	»	اللمس
٥٠٧	—	»	بجارس
٢٢٨	الخطيئة	البسيط	الكاسي
٤٥٣	ابن جرج	»	آسي
٦٨٠	أبو العتاهية	»	وجلاسي
٣٣٤	ابن غصن الحجاري	مخلع البسيط	نفسى
٥٩٠	ابن خفاجة	الكامل	دامس
٨٧٤	ابن برد	»	بالأنفاس
٦٢٣	ابن خفاجة	الرمل	نفس
١٣٠	ابن عبد البر	السريع	بالنفس

قافية الشين

٦٩٩	ابن اللبانة	المتقارب	طائشةُ
-----	-------------	----------	--------

٨٨٨	ادريس بن اليماني	الطويل	فراشُ
٨٣١	الحجّام	البيسط	تكميشُ
٣٣٧	ادريس بن اليماني	المديد	العطشِـ
٤٥٣	ابن جرج	البيسط	فرشِـ
٩٤	أبو الحسين ابن الجلد	الوافر	الفراشِـ

قافية الصاد

٤٧٥	—	الطويل	البرص
٤٨٧	ابن حسداي	الرمّل	الفصصا
٩٦	ابن طاهر	مجزوء الرمل	عويصا
٨٣٧	الحجّام	البيسط	ينتمصُ

قافية الضاد

٧٠٢	ابن الابانة	الكامل	الأضا
١١٨	ابن رزين	الخفيف	مراضا
٨٣٥	الحجّام	المجنت	مريضا
٨٣٨	الحجّام	الوافر	نروضُ
٤٩١	سيف الدولة	الطويل	الأرضِـ
٨٢٨	الصنوبري	»	والعرضِـ
٨٢٦	الحجّام	الوافر	والبياضِـ

قافية الطاء

٨٥٤	—	الرجز	قطُ
-----	---	-------	-----

٤٩١	ابن بليطة	الطويل	اسفطا
٨٨٨	محمد بن فرج	الكامل	تخليطاً
٦٥٧	سعيد بن حميد	المنسرح	بمغتبط

قافية العين

٢٨٩	—	الطويل	مسمما
٦٢٠	ابن خفاجة	»	ربعا
٦٢٣	»	»	فرجما
٦٩٦	ابن اللبانة	»	شفا
٧٠٢	»	»	فرعا
١٨١	القطامي	الوافر	استطاعا
٨٢٤	علي بن حيلة	الرميل	ودعا
٤٤٧	أوس بن حجر	المنسرح	سما
٨٢٤	المتنبي	الخفيف	وداعا
١٢٤	ابن رزين	الطويل	مدمع
٢٢٥	—	»	أوسع
٢٢٣	—	»	تدمع
٣٨٠	—	»	أنزع
٣٩١	عروة بن الورد	»	مقنع
٤٥٢	—	»	فيتبع
٤٨٦	ابن حسداي	»	مروع
٨١٨	أوس بن حجر	»	تقمع
٨٧٧	أبو الفضل ابن شرف	»	مدمع
١٥٢	—	»	جامع

٢٨٨	— —	الطويل	ناقعُ
٨٠٣	النابعة الذبياني	»	فالضواجعُ
٨٣٠	الحجّام	»	ساطعُ
٦٧٨	ابن اللبانة	البيسط	أطلعُ
٦٨٥	» »	الوافر	الخداعُ
٧٨٢	ابن عطيون	الكامل	المسموع
٥٦٣	ابن خفاجة	»	مرتاع
٢٠٢	جرير	»	مرع
٣٥٥	ادريس بن اليماني	»	ممرع
٨٨١	أبو الفضل ابن شرف	»	فئسطع
٣٨١	أبو ذؤيب	»	يقطع
٨٢٨	» »	»	يتتلع
١٥٤	المجنون	الطويل	الأصابع
٨٨٠	أبو الفضل ابن شرف	»	متضوع
٣٣٩	ادريس بن اليماني	الكامل	نزاع
٨٧٩	أبو الفضل ابن شرف	الكامل المرفل	الرجع

قافية الغين

٤٥٢	ابن جرج	المتقارب	أصباغهُ
-----	---------	----------	---------

قافية الفاء

٧٦٩	الحجّام	مجزوء الخفيف	ينصرفُ
٦٢٩	ابن خفاجة	المتقارب	الحروفُ

٥٠٨	أبو الربيع القضاعي	الطويل	ضعفا
٥٠٨	ابن هانئ	»	شفا
٨٧٨	أبو الفضل ابن شرف	»	وصرفا
١٠٥	ابن لبون	الكامل	منوفا
٩٠٠	ابن زهرة الصائغ	مجزوء الرمل	وكفا
٤٦٧	—	الطويل	أطوف
٤٩٠	ابن حسداي	»	يكشف
٨٧٦	أبو الفضل ابن شرف	»	خلف
٦٧٧	—	البيسط	والصحف
٣٣٥	ابن غصن الحجاري	الطويل	إلني
٥٧٠	ابن خفاجة	»	سوالف
٦٦٩	ابن اللبانة	البيسط	شغف
٨٦٣	ابن الأصيلي	»	شغف
٧٦٨	أبو جعفر ابن أحمد	»	زخاريف
١١٦	ابن رزين	»	منتصفه
٨٣٧	الحجّام	الكامل	أعطافها
١٢٨	ابن عبد البر	مجزوء الكامل	طرفك
٧٩٥	ابن أبي الحصال	المتقارب	الرفي

قافية القاف

٧٠١	ابن اللبانة	السريع	استفاق
٦٢٨	ابن خفاجة	المتقارب	أشفق
٣٨١	—	»	الصعق
٨٩٢	ابن السيد البطلبوسي	الرجز	عبق

٨٤٨	المتنبي	الوافر	نطاقا
٨٢٣	الحجّام	»	أطاقا
٥٨٣	ابن خفاجة	الكامل	لحاقا
٨٦٠	ابن الأصيلي	المتقارب	للشقا
٣٧٦	أبو نخيلة	الرجز	الفتقا
٨٨٤	أبو الفضل ابن شرف	الطويل	شائق
٣١٨	ابن مهران السرقسطي	»	خالق
٤٨١	المنجون	»	لصديق
٦١٤	ابن خفاجة	»	معرق
٧٧١	ابن اللبانة	»	ويعبق
٧٧١	أبو جعفر ابن أحمد	»	يشرق
٨٧٠	مولى البكري	»	يفرق
٨٨٠	أبو الفضل ابن شرف	»	مميزق
٣٧٨	كثير	البسيط	العبق
٦١٢	ابن خفاجة	»	شفق
١٠٤	ابن الفرّج	الكامل	صادق
٦٠٩	ابن خفاجة	»	يتدفق
٦٩٣	ابن اللبانة	»	يمرق
٨٧٦	أبو الفضل ابن شرف	»	تنطق
٧٥٤	العباس بن عبد المطلب	المنسرح	الورق
٣٣٢	ابن غصن الحجاري	المتقارب	غريق
٨٨٣	— — —	الطويل	رازق
٨٩٨	ابن هند الباني	»	المفارق
١٥٤	أبو نواس	»	صديق
١٠٩	أبو الطمّحان	»	بالنهق

٣٧٦	عقمان اليربوعي	الطويل	تشتق
٦٠٧	ابن خفاجة	»	المتدفق
٨٧٨	أبو الفضل ابن شرف	»	يتفرق
٦١١	ابن خفاجة	اليسيط	والعتق
٩٤	الحجام	الوافر	بالطلاق
٦٥٧	---	»	المنداق
٦٣٨	ابن خفاجة	الكامل	وعناق
١١٨	ابن رزين	»	مشتاق
٦٢٦	ابن خفاجة	»	وحريرق
٣٧٤	القنطاري	»	الأوثق
٥٩٦	ابن خفاجة	»	المورق
٨٦٩	أبو الفضل ابن شرف	الرميل	الأرق
٨٧٤	»	»	تصادق
٦٥٦	أبو حاتم الحجاري	المنسرح	الأفق
٧٩٣	ابن أبي الحصال	»	طرق
٨٣٧	ابن الرومي	»	بالبهق
٥٨٢	---	المتقارب	يلتمق
٦٢٥	ابن خفاجة	»	الرحيق
٧١٤	---	»	لاق
٦٦٣	أبو حاتم الحجاري	مجزوء الرجز	خرق
٨٢٩	كشاجم	»	يشرق

قافية الكاف

٣١٦	ابن الدباغ	اليسيط	بقر باكا
٩٧٤			

٦٨٦	ابن الابانة	البيسط	حلكا
٦٧١	»	الوافر	ذاكا
١٠٤	ابن الفرج	الخفيف	عليكا
٢٨٧	أبو ذواس	»	بفيكا
٨٣١	الحجام	الطويل	ساو كُها
٣٤٤	أدريس بن اليماني	الكامل	أراك
٣٤٥	أبو الربيع القضاعي	»	رياك
٣٤٦	ابن هنديل	»	باك
٣٤٧	الرمادي	»	أبكاك
٣٤٨	البلينه	»	عينك
٦٤	ابن خفاجة	»	شاك
٨٣٥	الحجام	»	بالمسواك
٨٩٧	ابن هند الداني	»	هواك

قافية اللام

٢٤١	---	الطويل	وصل
٤٨٠	---	»	كاللجل
٢٨	ابن عمار	»	قبولا
٥٠٠	ليلي الأخيلىة	»	هلا
٥٨٤	ابن خفاجة	»	خيالا
٩٠٦	الجزار السرقسطي	»	مطلبه
١٥٨	المتنبي	البيسط	رجلا
٢٣٥	---	»	قبلا
٨٣٨	الحجام	»	واعترلا
٨٨٨	محمد بن فرج	»	نزلا

٢٤٠	---	الوافر	يقالا
٧٦٦	ابن وهبون	»	ملالا
٣٥١	---	»	انتكالا
٣٢١	المبرد	»	ثماله
٦٤٩	ابن خفاجة	الكامل	صقبلا
٩٠٢	أبو بكر ابن القرضي	»	البحر يالا
٦٤٦	ابن خفاجة	مجزوه الرمل	جهلا
٣٢٩	ابن خلصة	الخنيف	خيللا
٧١١	المتني	»	الاجياللا
١١٥	ابن المعتز	المقارب	شائلا
١١٥	المعتد بن عباد	»	زائلا
٢٠٤	إبراهيم الصولي	»	ينالا
٦٨٣	ابن اللبابة	»	الغليلا
٦٩٢ ، ٦٨٦	»	»	وأصيلا
٤٨٠	صخر بن عمير	الرجز	التفتاة
٨٤	الحطيطية	الطويل	قلائل
١٤٢	---	»	مقاتل
١٦٦	--	»	الشمائل
٥٨٠	أبو تمام	»	نازل
٧٧٢	أبو جعفر ابن أحمد	»	وباخيل
٨٨٣	--	»	حافل
٨٣٤	الحجرام	»	فبخيل
٦٤٠	ابن خفاجة	»	فأقول
٣٥٠	أبو العلاء المعري	»	مينال
٣٧٩	جرير	»	جلالجه

٨٥١	جرير	الطويل	حلائله
٧٢٣	زهير	»	قائله
١١٦	ابن رزين	»	نصاليه
٥٥٩	الأعشى	البيسيط	الإعسل
٦٣٣	ابن خفاجة	»	العطل
٦٣٥	»	»	الأول
٧٢١	أبو تمام	»	قتلوا
٨٣٧	الحجاء	»	غلاته
٣٥٦	ادريس بن اليماني	الكامل	بابل
٦٦١	أبو حاتم الحجاري	»	سائل
١٢٠	عنان أو أبو نواس	»	هلال
٤٠٧	أبو عامر ابن أرقم	»	الآمال
٦٢٢	ابن خفاجة	»	مكسال
١٣٠	ابن عبد البر	»	يصول
٦٠٩	ابن خفاجة	»	جميل
٦١٠	»	»	ظليل
٦٨٩	أبو المظفر البغدادي	»	قليل
٦٩٠	ابن اللبابة	»	قليل
٨٠٣	—	»	مجبول
٨٨٤	أبو الفضل ابن شرف	»	جميل
٧٦٩	اللجاء	»	المهمل
٥١	ابن طاهر	مجزوء الكامل	رسول
٤٥٩	—	السريع	مثله
٣٢٩	ابن خليصة	الخفيف	العليل
٤٩٥	امرؤ القيس	الطويل	نخلخال

٨٧٩	أبو الفضل ابن شرف	الطويل	غال
٧٠	امرؤ القيس	»	الرواحل
٢٠١	الطارم	»	طائل
٥٩٠	ابن خفاجة	»	فصل
٦٣٠	»	»	العذل
٦٨١	ابن زيدون	»	الحفل
٨١٩	امرؤ القيس	»	مقتل
٨٤٨	»	»	هيكل
٨٥٣	»	»	تفضل
٨٦٦	ابن الأصيلي	»	لي
٣٢٧	ابن خالصة	البيسط	خطل
٣٤٢	ابن الرومي	»	الملل
٤٠٤	أبو عامر ابن أرقم	»	كسل
٤٩٦	المتنبي	»	قبلي
٢٥٦	المتنبي	الوافر	نبال
٧٣٥	اللعين المتقري	»	النبال
٨٣٦	ابن المعتز	»	بخال
٣٨٤	المتنبي	»	قبلي
٦٦٠	أبو حاتم الحجاري	»	للأفول
٧١٤	أبو العلاء المعري	»	جميل
٨٤٠	ابن معلى	الكامل	جداول
١٢٤	ابن رزين	»	قتال
٤٩٠	صالح الشنمري	»	إعمال
٦٦٢	أبو حاتم الحجاري	»	اللاكفال
٦٧٧	الحجرام	»	العالي

٨٥٦	الكميت	الكامل	الاكفال
١٠٦	ابن ليون	»	التمويل
١٠٦	راشد بن سليمان	»	بجزيل
٨٣١	الحجج	»	المقبل
٧٩٠	—	الكامل المرفل	جمل
٣٥٥	—	مجزوء الكامل	مسالك
٦٨٧	ابن الرومي	مجزوء الرمل	بمثاله
٩٠٩	ابن زرار	السريع	أعمالكم
٧٢٢	عسر بن أبي ربيعة	الخفيف	الذيول
٨٢٥	العباس بن الأحنف	»	السؤال
٤٨٩	ابن الفرج	المجتث	الجريال
٤٨٩	ابن حسداي	»	بغال
٢٥٢	—	المتقارب	الرجال
٢٥٣	المعتمد بن عباد	»	المقال
٢٥٣	ابن الدباغ	»	الفعال
٤٨	المتنبي	»	طائل
٢٢٩	»	»	القابل
٤٣٩	—	»	المتزل

قافية الميم

٧٣٧	مرقش السدوسي	مجزوء الكامل	الرتائم
٥٧٣	ابن خفاجة	»	تلّم
٥٧٩	»	»	وننعم
٥٧	بشار	المتقارب	نم

٣٤١	ادريس بن اليماني	المتقارب	علم
٧٤٤	أسعد أبو كرب	»	النسم
٧٩٥	ابن أبي الخصال	»	نجوم
٨٣٢	الحجّام	الرجز	القرم
٥٦٢	ابن خفاجة	الطويل	أدهما
٥٦٨	»	»	فثيما
٥٧٧	»	»	شما
٥٧٩	»	»	غموما
٦٤١	»	»	دما
٧٩٧	ابن أبي الخصال	»	ومكرما
٨٤٣	ابن المعتز	»	نדהما
٨٤٧	—	»	فسقاهما
٨٢٢	ابن رشيق	مخلع البسيط	حساما
٦١٤	ابن خفاجة	»	الغماما
٦١٤	»	»	الخزامى
٨٨٧	ابن عائشة	»	نجوما
٦١٢	ابن خفاجة	الوافر	قسما
٧٧٩	ابن عطيون	»	ابتسامه
٣٨٠	ليلي الأخيلية	الكامل	سقيما
٧٥٣	»	»	يسوما
٣٣٩	ادريس بن اليماني	مجزوء الرمل	كالحمامه
٧٩٤	أبو بكر ابن بقي	»	جذيمه
٥٧٨	ابن خفاجة	المنسرح	علما
٧٩٤	ابن أبي الخصال	الخفيف	ديمه
٨٧٧	أبو الفضل ابن شرف	المتقارب	الشكيمه

٧٠٧	---	الرجز	أمه
٤٩٥	المتنبي	الطويل	نائم
٧٢٨	»	»	والقوادم
٤٦٤	مزاحم العقيلي	»	قديم
٨٩١	ابن السيد البطلوسي	»	جسيم
٩٠٣	ابن سفيان	»	سليم
٩٠٤	ابن لبون	»	كريم
٢٤٥	---	»	كرام
٩١١	أبو طاهر الأشكوري	»	ختام
٦٩٩	ابن اللبانة	»	وسلام
١٠٥	ابن لبون	»	لديكم
٢١٩	---	»	وتقدموا
٥١٢	أبو الربيع القضاعي	»	منمنم
٨٨٣	أبو الفضل ابن شرف	»	أسحم
٧٦٢	---	»	سهامه
٨٣٨	الحجّام	»	سهامه
٢٣٩	---	البيسط	اظلام
٣٨٠	بدر	»	خدم
٦٧٨	---	»	الخدم
٥٤	المتنبي	»	أمم
٦٧٩	»	»	والظلم
٨٤٣	أبو تمام	»	كرمه
٢٨٩	ابن عبدون	مخلع البيسط	شمام
٢٤٣	نصر بن سيار أو غيره	الوافر	الكلام
٦٤٨	ابن خفاجة	»	حمام

١٦١	المتنبي	الكامل	يظلم
٦٨٠	ابن اللبابة	»	معلم
٧٩٧	ابن أبي الخصال	»	متجهم
٢٠٣	أبو الأسود الدؤلي	»	خصوم
٧٠٨	أبو تمام	»	أرحام
٥٤	المتنبي	الخفيف	الأجسام
٨٤٨	حسان	»	الكلام
٤٠٨	أبو عامر ابن أرقم	المقارب	المظلم
٦٧٣	ابن اللبابة	»	العالم
٦٧٣	ابن الأصيلي	»	العالم
٥٩٧	ابن خفاجة	الطويل	بفاحم
٦٠١	»	»	المباسم
٤٦٣	أبو نواس	»	رسوم
١٥٢	---	»	صميمي
٥٧٤	الرضي	»	السلام
٦٤٣	ابن خفاجة	»	غرام
٦٨١	أبو العلاء المعري	»	سهم
٢٣٢	المتنبي	»	توهم
٣٢٣ ٣١٤	»	»	أنكلم
٨٤٧	زهير	»	يحطم
٦٢١	ابن باجة	المديد	رسم
٦٢١	ابن خفاجة	»	والحرم
٦٢١	»	»	والديم
٧٥	المتنبي	البسيط	للقلم
١١٩	ابن رزين	»	الأمم

٣٨٠	---	البيسط	الكريم.
٣٨٩	---	»	كالحمم.
٦١٧	ابن خفاجة	»	ظلم
٨١٢	ابو عبد الله ابن شرف	»	منهزم
٣٥١	أبو العلاء المعرّي	الوافر	أمامي
٨١٠	ابن رشيق	»	الكرام
٩٠٢	ابن الرقاع	الكامل	التاسم
٦١٩	ابن خفاجة	»	تمام
٨٤٧	المتنبي	»	غمام
٨٣٤	الحجّام	»	والاياهم
٨٣١	»	»	العندم
٦٠٥	ابن خفاجة	»	ملثم
٦٣٣	»	»	ظلم
٨٣٨	الحجّام	»	عظيم
١١٧	ابن رزين	»	المعلوم
٨٤٦	طرفة	الكامل المرفل	تحي
٣٢٣	ابن نخلصة	مجزوء الكامل	المستقيم
٦٧٢	ابن عبيدون	السريع	المسلم
٧١٢	---	»	هاشم.
٤٦٣	---	المنسرح	ملتئم
١٢٠	ابن رزين	الخفيف	الغمام
٦٣٤	ابن خفاجة	المقارب	الكلام
٥١٢	ابن المعتز	الرجز	مظلم

قافية النون

١٢١	ابن رزين	الطويل	ومعلنا
١٢١	ابن عمار	»	المنى
٣٢٤	ابن خلصة	»	الدنا
٦٧٠	ابن اللبانة	»	معنى
٣٩٠	ابن المعذل	»	حزينه
٣٥٦	بشامة بن حزن أو غيره	البيسط	بأيدينا
٧٣٢	» » » »	»	يغدونا
٥٧٥	ابن خفاجة	مجمع البيسط	حنينا
٥٧٦	» »	» »	دينا
٥٧٨	» »	الوافر	تائبونا
٦٥٩	أبو حاتم الحجاري	»	ضمانا
٨٣٧	الحجج	الكامل	مبيننا
٨٨٤	أبو الفضل ابن شرف	»	مكاننا
٨٥٠	ابن معل	»	ألوانا
١٢٤	ابن رزين	مجزوء الرمل	العاشقينا
٦٧٤	الفكيك	السريع	جنة
٧٩٥	ابن أبي الخصال	المنسرح	وسنته
٥٤٣	— — —	الخفيف	يصطلونا
١١٥	أبو فواس	»	المكنونا
٨٩٦	» »	»	يكونا
٢٣٠	المتنبي	»	نتفانى
١٠	ابن دراج	الطويل	أزمان
٦٢٠	ابن خفاجة	»	وريجان

٦٣٢	ابن خفاجة	الطويل	حران
٨٤٩	أبو الحسين ابن الجلد	»	بهتان
٨٩٥	ابن السيد البطليوسي	»	بان
٨٧٩	أبو الفضل ابن شرف	»	فهين
٢٩١	كثير	»	يزينها
١٠٨	ابن لبون	البيسط	أغتبين
٤٨٨	ابن حسداي	»	البان
٨٣٥	الحججام	»	واللين
٨٠	---	الوافر	المنون
٧٧٢	أبو جعفر ابن أحمد	»	الزمان
٣٢٦	ابن خلصة	الكامل	خزون
٥٨٣	ابن خفاجة	»	الظلمان
٦٩٧	ابن اللبانة	»	ثمين
٥٨١	ابن جدار	السريع	إعلان
٣٠	---	المجتث	تدان
٣٣٠	الخصري	المتقارب	الزمان
٣٣٠	ابن خلصة	»	أوان
٥٧٦	ابن المعتز	»	عيون
٦٩٦	ابن اللبانة	»	المعدن
٢٤٤	ابن المدينة	الطويل	قضياني
٤٦٢	منصور النمري أو غيره	»	تراني
٧٠٧	---	»	وأفان
٨٥٧	---	»	تريان
٨٨٠	أبو الفضل ابن شرف	»	ستان
٨٨٠	---	»	الحدثان

٥٨٥	ابن خفاجة	الطويل	مأذن
١١٨	ابن رزين	»	أعلني
٣٥٠	أبو العلاء المعري	»	أعني
٤٦٣	» » »	»	الخصن
٦٥٣	» » »	»	السفن
٨٣٧	الحجّام	»	الوهن
٢٠١	---	البسيط	خلاني
٦٧٦	الخليل بن أحمد	»	الباني
٨٥٢	المتني	»	واعلاني
٤٥٤	ابن جرج	»	المزن
٦٦٢	أبو حاتم الحجاري	»	والوسن
١٢٣	ابن رزين	»	بالرياحين
١٢٣	ابن سابق	»	لبون
٧٨	ذو الأصبع العدواني	»	اسقوني
٧٩٨	---	»	الدين
٨٧٢	ابن رشيق	»	يشكوني
٢٠٣	دعبل	الوافر	المدان
٦٥٣	أبو حاتم الحجاري	»	قهرماني
٦٥٨	» » »	»	المدان
٧٢٤	معن بن أوس	»	رمانى
٥٤٤	---	»	للسكون
٨٢١	الحجّام	»	للفرقدين
٤٩٢	ابن حسداي	الكامل	للأجفان
٦٠٤	البديع	»	شيطاني
٦٨٦	ابن اللبانة	»	الغزلان

٦٨٧	ابن اللبانة	الكامل	التيجان
٧٥٢	المتنبي	»	السرطان
٨١٣	أبو نحرابة عبد الصمد	»	الميدان
٨٣٣	الحجّام	»	بيان
٦٣٣	ابن خفاجة	»	هتون
٨٣٠	الحجّام	السريع	زقّين
٣٨٦	ابن بيص	الخفيف	رمتي
٨٠٣	عمر بن أبي ربيعة	»	يلتقيان
٨١١	أبو نحر ابن عبد الصمد	»	الكثبان
٤٨٦	ابن الفرّج	المجتث	الداياخيون
٤٨٧	ابن حساماي	»	الفنون

قافية الهاء

٨٢٨	البحثري	البيسط	فيها
٥١٤	---	مخلع البيسط	رآها
٥٧٨	ابن خفاجة	»	أذاها
٦٥١	»	»	كراها
٨٢٢	---	المنسرح	نواحيها
٨٣٣	الحجّام	»	حيها
٢٩٦ . ٩٠	أبو العتاهية	المتقارب	لها
٧٢٣	---	الرجز	نلقاها
٧٣٣	---	»	فيها
٣٥٢	ادريس بن اليماني	الطويل	فأبكاها
٨٠٨	ابن أبي الخصال	الوافر	شرفوه

٥٦١	---	المرج	ماشاه
٢١٤	---	الخفيف	علاه
٨٩٣	ابن السيد البطليوسي	الطويل	تكلفنيه
٧٠١	ابن اللبانة	الوافر	قالصيه
٨٨٩	ابن عائشة	السريع	يديه
١٠٦	ابن ليون	الخفيف	الدواهي
٩٠٥	الجزار السرقسطي	المتقارب	عليه

قافية الياء

٣٠٠	---	الطويل	ورائيا
٨٥٢	المجنون	»	علائيا
٨٠٥	---	»	شماليا
٨٥٢	قيس بن ذريح	»	هيا
٨٩٠	ابن عائشة	»	باكيا
٦٥٠	ابن خفاجة	»	ريا
٦٠٣	»	مخلع البسيط	الحميا
٦٤٦	ابن خفاجة	الكامل	عافيا
٦٧٢	ابن اللبانة	بجزوء الرمل	بآيه
٩٠٧	الجزار السرقسطي	الخفيف	عطرية
٦٦٥	---	المتقارب	مضنيه
٨٥٩	ابن الأصيلي	»	المحييه
٧٠٣	ابن الدودين	مخلع البسيط	العلي
٣٣٥	ابن غصن الحجاري	»	جلي
٤١٣	أبو تمام	الوافر	سي

مصادر التحقيق

- الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين ابن الخطيب ، ج ١ ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، دار المعارف بمصر .
- أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر للسلفي ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٣ .
- أخلاق الوزيرين لأبي حيان التوحيدي ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي ، دمشق ١٩٦٥ .
- أزهار الرياض (١ - ٣) للمقري : تحقيق السقا والابباري وشلبي ، القاهرة ١٩٣٩ - ١٩٤٢ .
- أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ، تحقيق هلموت ريتز ، استانبول ١٩٥٤ .
- الأصمعيات ، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر .
- إعتاب الكتاب لابن الأبار ، تحقيق صالح الأشر ، دمشق ١٩٦١ .
- أعمال الأعلام للسان الدين ابن الخطيب ، تحقيق ليفي بروفنسال ، بيروت ١٩٥٦ .
- الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني (١ - ٢٥) دار الثقافة ، بيروت .
- أمالي الزجاجي ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ١٣٨٢ .
- أمالي القاضي ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٥٣ .
- أمالي المرتضى (غرر الفوائد) للشريف المرتضى . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٥٤ .
- أمثال الضبي . ط . إلخواب ، القسطنطينية ١٣٠٠ .
- إنباه الرواة على انباه النجاة للقفطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتب المصرية ١٩٥٠ .
- أنساب الأشراف (ج ١) تحقيق محمد حميد الله . مصر ١٩٥٩ .

- الأزواء لابن قتيبة . ط. حيدر آباد الدكن ١٩٥٦ .
- بدائع البدائ لابن ظافر ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . القاهرة ١٩٧٠ .
- البدائية والنهاية لابن كثير . ط مصر ١٣٥١ . ١٣٥٨ .
- البديع في وصف الربع الحديري ، تحقيق مدرتي بيريس . الرباط ١٩٤٠ .
- بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس لابن عميرة الضبي . مجريط ١٨٨٤ .
- بغية الوعاة للسيوطي ، مصر ١٩٢٦ .
- البيان المغرب لابن عذاري المراكشي ج٢ (تحقيق كولان وبروفنسال ١٩٤٨) ؛ ج٣ (تحقيق بروفنسال ١٩٢٩) ؛ ج٤ (قطعة في تاريخ المرابطين . تحقيق إحسان عباس . بيروت ١٩٦٧) .
- البيان والتميين للجاحظ (أ . ٤) تحقيق عبد السلام هارون . القاهرة ١٩٦١ .
- تاج العروس (١ - ١٠) لمرتضى الزبيدي . ط. بولاق .
- تاريخ ابن خلدون (ج٤) . ط. بولاق ١٢٨٤ .
- تاريخ الأدب الأندلسي - عصر سيادة قرطبة لإحسان عباس ، ط. ثانية . بيروت ١٩٦٨ .
- تاريخ الأدب الأندلسي - عصر الطوائف والمرابطين لإحسان عباس . ط. ثانية . بيروت ١٩٦٥ .
- تاريخ بني عباد (Historia Abbadidarum) جمع دوزي ، ليدن ١٨٤٦ .
- تاريخ البيهقي (كتاب أخبار المهدي) تحقيق ليفي . بروفنسال ، باريس ١٩٢٨ .
- تاريخ الخلفاء للسيوطي (١ - ٢) ط. بيروت .
- تاريخ العلماء والرواة للعلم في الأندلس لابن الفرزي (١ - ٢) . مصر ١٩٥٤ .
- تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة . القاهرة ١٣٢٦ .
- تحفة الأحباب في ماهية النبات والأعشاب . ط. باريس ١٩٣٤ .
- تحفة القادم : انظر : المقتضب من تحفة القادم .
- ترسل ابن أبي الخصال (مخطوطة بمعهد المخطوطات بالقاهرة) .
- التشبهات من أشعار أهل الأندلس لمحمد بن الكتاني . تحقيق إحسان عباس . بيروت ١٩٦٦ .
- التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار (١ - ٢) ط. مصر (يشار إلى الصفحة ، وحيث يشار إلى الرقم فالمتعمد طبعة مجريط) .

- التيجان لوهب بن منبه . ط . حيدر آباد الدكن ١٣٤٧ .
- التمثيل والمحاضرة للثعالبي ، تحقيق عبد الفتاح الحلو ، القاهرة ١٩٦١ .
- ثمار القلوب للثعالبي . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٦٥ .
- جدوة المتنبس للحميدى . تحقيق محمد بن تاويت الطنجي ، مصر ١٩٥٢ .
- الجمهرة لابن دريد (١ - ٤) ط . حيدر آباد الدكن .
- جمهرة الأمثال للعسكري (بهامش الميداني) و ١ - ٢ تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٦٤ .
- جيش التوشيح لابن الخطيب ، تحقيق هلال ناجي ومحمد ماضور ، تونس ١٩٦٧ .
- الحلل الموشية لمؤلف مجهول ، تحقيق ي . عاوش . الرباط ١٩٣٦ .
- الحلة السيراء لابن الأبار (١ - ٢) تحقيق حسين مؤنس . مصر ١٩٦٣ .
- حماسة أبي تمام . انظر : شرح ديوان الحماسة .
- حماسة البحري . تحقيق لويس شيخو . بيروت ١٩١٠ .
- الحماسة البصرية لعلي بن أبي الفرج البصري (١ - ٢) ط . حيدر آباد الدكن ١٩٦٤ .
- الحيوان للجاحظ (١ - ٧) تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٣٨ - ١٩٤٥ .
- خريدة القصر للعماد الاصفهاني (قسم المغرب والأندلس ٣٠٢) تحقيق آذرتاش آذرتوش ، تونس ١٩٦٦ - ١٩٧٢ .
- خزائن الأدب لعبد القادر البغدادي (١ - ٤) ط . بولاق .
- الخصائص لابن جني (١ - ٣) تحقيق محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية ١٩٥٢ - ١٩٥٦ .
- خلق الإنسان لثابت . تحقيق عبد الستار فراج ، الكويت ١٩٦٥ .
- دار الطراز في عمل الموشحات لابن سناء الملك . تحقيق جودت الركابي ، دمشق ١٩٤٩ .
- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب لابن فرحون ، مصر ١٣٥١ .
- ديوان إبراهيم بن العباس الصولي (ضمن كتاب الطرائف الأدبية) ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، القاهرة ١٩٣٧ .
- ديوان ابن خفاجة . تحقيق السيد مصطفى غازي ، الاسكندرية ١٩٦٠ .

- ديوان ابن دراج التسطلي ، تحقيق محمود مكّي . دمشق ١٩٦١ .
- ديوان ابن الدمينه . تحقيق أحمد راتب النفاخ ، القاهرة ١٩٥٩ .
- ديوان ابن الرومي (١ - ٢) ، تحقيق حسين نصار . القاهرة ١٩٧٣ - ١٩٧٤ (واختيار كامل كيلاني) .
- ديوان ابن شهيد . جمع يعقوب زكي . القاهرة ١٩٦٩ .
- ديوان ابن المعتز (٣ - ٤) ، تحقيق ب . لوين . أستانبول ١٩٤٥ . ١٩٥٠ .
- ديوان ابن هانئ الأندلسي ، بيروت ١٩٥٢ .
- ديوان أبي الأسود الدؤلي ، تحقيق محمد آل ياسين . بغداد ١٩٥٤ .
- ديوان أبي تمام (١ - ٤) ، تحقيق محمد عبده عزام ، مصر ١٩٥١ - ١٩٦٥ .
- ديوان أبي الحسن التهامي . المكتب الإسلامي . بيروت ١٩٦٤ .
- ديوان أبي العتاهية . تحقيق شكري فيصل . دمشق ١٩٦٥ .
- ديوان أبي فراس الحمداني . تحقيق سامي الدهان ، بيروت ١٩٤٤ .
- ديوان أبي نوان ، ط اسكندر آصاف ، مصر ١٨٩٨ .
- ديوان الأخطل ، تحقيق انطون صالحاني ، بيروت ١٨٩١ .
- ديوان الأعشى ، تحقيق رودلف غيار ، لندن ١٩٢٨ .
- ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . مصر ١٩٥٨ .
- ديوان أمية بن أبي الصلت . جمع وتحقيق عبد الحفيظ السطلي ، دمشق ١٩٧٤ .
- ديوان أوس بن حجر . تحقيق محمد يوسف نجم . بيروت ١٩٦٠ .
- ديوان البحثري (١ - ٤) ، تحقيق حسن كامل الصيرفي . دار المعارف بمصر ١٩٦٣ - ١٩٦٥ .
- ديوان بشار بن برد (جمع بدر الدين العالوي) . بيروت ١٩٦٣ .
- ديوان بشر بن أبي خازم . تحقيق عزة حسن . دمشق ١٩٦٠ .
- ديوان تميم بن المعز . دار الكتب المصرية . ١٩٥٧ .
- ديوان جرير (١ - ٢) ، تحقيق نعمان أمين طه . القاهرة ١٩٦٩ - ١٩٧١ .
- ديوان حسان بن ثابت الأنصاري (١ - ٢) . تحقيق وليد عرفات ، لندن ١٩٧١ .

- ديوان الحطيطنة ، تحقيق نعمان أمين طه ، مصر ١٩٥٨ .
- ديوان الخنساء . ط. بيروت (باسم : نزهة الجلساء في ديوان الخنساء) .
- ديوان ذي الرمة (١ - ٣) تحقيق عبد القدوس أبو صالح ، دمشق ١٩٧٢ .
- ديوان الراعي النميري . تحقيق ناصر الحائلي . دمشق ١٩٦٤ .
- ديوان زهير بن أبي سلمى ، دار الكتب المصرية ١٩٤٤ .
- ديوان الطرماح . تحقيق عزة حسن . دمشق ١٩٦٨ .
- ديوان العباس بن الأحنف . تحقيق عاتكة الخزرجي ، القاهرة ١٩٥٤ .
- ديوان العجاج رواية الأصمعي وشرحه . تحقيق عبد الحفيظ السطلي ، ١٩٧١ .
- ديوان عروة بن الورد شرح ابن السكيت . تحقيق عبد المعين الملوحي ، دمشق ١٩٦٦ .
- ديوان المعكوك علي بن جبلة ، جمع حسين عطوان ، دار المعارف بمصر ١٩٧٢ .
- ديوان عمر بن أبي ربيعة ، بيروت ١٩٦١ .
- ديوان الفرزدق (١ - ٢) ، بيروت ١٩٦٦ .
- ديوان القطامي ، تحقيق إبراهيم السامرائي . بيروت ١٩٦٠ .
- ديوان قيس بن الخطيم . تحقيق ناصر الدين الأسد ، مصر ١٩٦٢ .
- ديوان كثير عزة ، تحقيق إحسان عباس . بيروت ١٩٧١ .
- ديوان كشاجم (نسخة التيمورية رقم : ١١١) .
- ديوان الكميت (١ - ٢) ، جمع داود سلوم ، بغداد ١٩٦٩ .
- ديوان المتنبي ، تحقيق عبد الوهاب عزام ، القاهرة ١٩٤٤ .
- ديوان المعاني للعسكري (١ - ٢) ط. القدسي ، مصر ١٣٥٢ .
- ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق سُكْرِي فيصل ، بيروت ١٩٦٨ .
- ديوان نصيب بن رباح ، جمع داود سلوم ، بغداد ١٩٦٨ .
- ديوان الهدليين (١ - ٣) تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، القاهرة ١٩٦٥ .
- ديوان المجنون ، جمع وتحقيق عبد الستار فراج ، القاهرة (دون تاريخ) .
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام (١ / ٢ ، ١ / ٤) ، القاهرة ١٩٤٢ - ١٩٤٥ .
- الذيل والتكملة (ج : ٥) تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٥ .

- الصلة لابن بشكوال (١ - ٢) القاهرة ١٩٥٥ .
- كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ، تحقيق البجاوي وأبو الفضل ، القاهرة ١٩٥٢ .
- طبقات الأمم لصاعد الأندلسي ، تحقيق لويس شيخو ، بيروت ١٩١٢ .
- طبقات الشعراء لابن المعتز ، تحقيق عبد الستار فراج ، القاهرة ١٩٥٦ .
- طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجهمي ، تحقيق محمود محمد شاكر ، القاهرة ١٩٥٢ .
- الطرائف الأدبية ، انظر : ديوان إبراهيم بن العباس الصولي .
- كتاب العبر ، انظر : تاريخ ابن خلدون .
- العقد لابن عبد ربه (١ - ٧) ط . لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة .
- عقود الجمان للزركشي ، مخطوطة الفاتح رقم : ٤٤٣٤ .
- العلوم البحرية عند العرب (مصنفات سليمان المهري) تحقيق إبراهيم خوري ، دمشق ١٩٧٢ .
- العمدة في صناعة الشعر لابن رشيق ، تحقيق عيسى الدين عبد الحميد ، القاهرة .
- عيون الأخبار لابن قتيبة (١ - ٤) ط . دار الكتب المصرية ١٩٦٣ .
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (١ - ٢) ط . مصر ١٣٠٠ .
- غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (١ - ٣) ، تحقيق برجستراسر ، القاهرة ١٩٣٢ - ١٩٣٣ .
- غرائب التشبيهات لابن ظافر ، تحقيق زغول سلام ومصطفى الجويني ، القاهرة ١٩٧١ .
- الماخر في الأمثال للمفضل بن سلمة ، تحقيق استوري ، لندن ١٩١٥ .
- الفائق في غريب الحديث للزحشري (١ - ٣) تحقيق أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي ، القاهرة ١٩٤٥ - ١٩٤٨ .
- الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (١ - ٥) مصر ١٣١٧ - ١٣٢١ .
- فصل المقال لأبي عبيد البكري ، تحقيق إحسان عباس وعبد المجيد عابدين ، ط . ثانية ، بيروت ١٩٧١ .
- الفهرست لابن النديم ، تحقيق فلوجل ، بيروت ١٩٦٤ .
- فهرسة ابن خبير ، الطبعة الثانية ، بغداد ١٩٦٣ .

- رايات المبرزين لابن سعياد . تحقيق غرسية غومس ، ط. مدريد .
- رسائل أبي العلاء المعري . تحقيق مرغوليوث . اكسفورد ١٨٩٨ .
- رسائل اخوانية وسياسية أندلسية (نسخة الاسكوريال رقم : ٥٣٨) .
- الروض المعطار للحميري . تحقيق ل . بروفنسال (وترجمته الفرنسية) القاهرة ١٩٣٧ .
- زاد المسافر لصفوان بن ادريس المرسي . تحقيق عبد القادر محداد . بيروت ١٩٣٩ .
- زهر الآداب للحصري . تحقيق علي محمد البجاوي . مصر ١٩٥٣ .
- شرح الجيوت في شرح رسالة ابن زيدون لابن نباتة . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . القاهرة ١٩٦٤ .
- سمط اللآلي في شرح أمالي القاضي للبكري . تحقيق عبد العزيز الميمني . القاهرة ١٩٣٦ .
- شذرات الذهب لابن العماد . القاهرة ١٣٥٠ - ١٣٥١ .
- شرح أسماء العقار لأبي عمران الإسرائيلي الزرطبي . تحقيق ماكس مايرهوف . القاهرة ١٩٤٠ .
- شرح ديوان الحماسة للتبريزي (١ - ٤) القاهرة ١٢٩٦ .
- شرح ديوان الحماسة للمرزوقي (١ - ٤) تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون . القاهرة ١٩٥٣ - ١٩٥١ .
- شرح ديوان المتنبي للعكبري (١ - ٤) . القاهرة ١٩٣٦ .
- شرح ديوان المتنبي لواحدي . برلين ١٨٦١ .
- شرح شواهد المغني للسيوطي . مصر ١٣٢٢ .
- شرح مقامات الحريري للشريشي (١ - ٢) القاهرة ١٣٠٠ .
- شروح سقط الزند للمعري (١ - ٥) دار الكتب المصرية ١٩٤٥ - ١٩٤٨ .
- شرح شواهد الكشاف لمحب الدين . مصر ١٢٨١ .
- الشعر والشعراء لابن قتيبة (١ - ٢) بيروت ١٩٦٤ .
- شفاء الغليل للخفاجي . مصر ١٣٢٥ .
- صحيح البخاري . ط. بولاق .
- الصدقة والصديق لأبي حيان التوحيدي . تحقيق إبراهيم الكيلاني ، دمشق ١٩٦٤ .

- فوات الوفيات لابن شاكر الكندي (١ - ٤) . تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٧٣ - ١٩٧٤ .
- قطب السرور للرقيق . تحقيق أحمد الجندي . دمشق ١٩٦٩ .
- قلائد العقيان للفتح بن خاقان . بولاق ١٢٨٣ .
- الكامل للمبرد ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٥٦ .
- كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد . تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ١٩٧٢ .
- كتاب سيويه (١ - ٢) ط . بولاق .
- كتاب من اسمة عمرو من الشعراء لابن الجراح (نسخة الناتج) .
- لسان العرب لابن منظور (١ - ١٥) بيروت ١٩٦١ .
- مجلة معهد المخطوطات (مجلد ٣ ج ١ - ٢) : مقالة ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام في لحن العامة ص ١٢٧ - ١٥٧ . ٢٨٥ - ٣٢١ لعبد العزيز الأهواني .
- مجمع الأمثال للميداني (١ - ٢) مصر ١٣١٠ .
- مجموعة المعاني . ط . الجوائب . القسطنطينية ١٣٠١ .
- محاضرات الراغب الأصبهاني (١ - ٤) ، ط . بيروت .
- المحتسب لابن جنبي (١ - ٢) تحقيق علي تجدي ناصف ورفيقه ، القاهرة ١٣٨٦ - ١٣٨٩ .
- مرآة الجنان لليافعي (١ - ٤) ط . حيدر آباد الدكن ١٣٣٧ - ١٣٣٩ .
- مروج الذهب للمسعودي (١ - ٩) ط . باريس ١٨٦١ - ١٨٧٧ .
- مسالك الأبصار للعمري (ج ١١) مخطوطة آيا صوفيا .
- مسند أحمد (١ - ٦) بيروت ١٩٦٩ .
- المطرب لابن دحية الكلبي ، تحقيق إبراهيم الأبياري ورفيقه ، القاهرة ١٩٤٥ .
- مطمح الأنفس للفتح بن خاقان ، ط . الجوائب ، القسطنطينية ١٣٠٢ .
- المعاني الكبير لابن قتيبة (١ - ٢) ط . حيدر آباد الدكن ١٩٤٩ .
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي ، تحقيق محمد سعيد العريان ، القاهرة ١٩٦٣ .
- معجم الأدباء لياقوت الحموي (١ - ٢٠) القاهرة ١٩٣٦ - ١٩٣٨ .

- معجم البلدان لياقوت الحموي (١ - ٥) بيروت ١٩٥٥ - ١٩٥٧ .
- معجم الشعراء للسرزباني . تحقيق عبد الستار فراج . القاهرة ١٩٦٠ .
- المعجم في شيوخ أبي علي الصادفي لابن الأبار . مجريط ١٨٨٥ .
- المغرب في حلى المغرب لابن سعياد (١ - ٢) تحقيق شوقي ضيف . القاهرة ١٩٥٣ - ١٩٥٥ .
- مفردات ابن البيطار (الجامع لمفردات الادوية والاعذية) ١ - ٤ . طبعة بالوفست مكتبة المثنى ، بغداد .
- معبد العلوم لابن الحشاء . ط . الرباط ١٩٤١ .
- المقاصد النحوية للعيني (على هامش خزائن الأدب) .
- مقامات بديع الزمان الهمداني شرح محمد عبده . الطبعة السادسة ، بيروت ١٩٦٩ .
- المنقبس في أخبار الأندلس . تحقيق عبد الرحمن الحجتي . بيروت ١٩٦٥ .
- المنصب من تحفة القادم لابن الأبار . تحقيق إبراهيم الابياري . القاهرة ١٩٥٧ .
- مهراج الدكان لابن أبي نصر الإسرائيلي . مصر ١٢٨٧ .
- المؤتلف والمختلف للآمدي . نشر ف . كرنكو ، ط . القديسي ، القاهرة .
- المروشح للسرزباني . تحقيق علي البجاوي . القاهرة ١٩٥٦ .
- نثار الأرهار للثيفاشي . ط . الجوائب ١٢٩٨ .
- نظام الغريب للربيعي . تحقيق بولس برونله ، مصر .
- نظم الجمان لابن القطان . تحقيق محمود مكلي . الرباط .
- نفع الطيب للمقري التلمساني (١ - ٨) تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٨ .
- نقد الشعر لقدامة بن جعفر . تحقيق س . بوليباكر ، لندن ١٩٥٦ .
- نكت الميدان للصمدي . ط . مصر .
- نوادير المخطوطات (المجموعة الثالثة) وتحتوي رسالة ابن غرسية في الشعبية والردود عليها . تحقيق عبد السلام هارون . القاهرة ١٩٥٣ .
- الرواي بالرويات للصمدي (١ - ٩) فيسبادن ١٩٣١ - ١٩٥٩ ؛ وج ١٠ مخطوطة .
- وفيات الأعيان لابن خلكان (١ - ٨) تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٩ - ١٩٧٢ .
- بتيمة الدهر للنعالي (١ - ٤) تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٣٧٥ - ١٣٧٧ .

- Dozy R. Recherches sur l'Histoire et la Littérature de l'Espagne, Tome I et II, Troisième édition, Amsterdam, 1965.
- Dozy R. Supplement aux Dictionnaires Arabes, Tome I et II, Beyrouth, 1968.
- يشار إليه باسم « ملحق دوزي » .
- Miranda, A. H. Historia Musulmana de Valencia y su Region, I-III, Valencia, 1970.
- Munroe, James. The Shu'ubiyya in Al-Andalus, University of California, 1970.
- Sciaparelli C., Vocabulista in Arabico, Firenze, 1871.
- Vila, J. Bosch. Historia de Albarracin y Su Sierra, Tome II, Albarracin Musulman, Teruel, 1959.



فهرس المحتويات

٥٤١	في ذكر الأديب أبي إسحاق إبراهيم بن خفاجة
٥٤٢	فصول من شعره في أوصاف شتى
٥٦٢	حملة من شعره في أوصاف شتى
٥٧٨	ومن شعره في أوصاف شتى
٦٠٣	ومن مقطوعات قالها زمن الصبا
٦٣٩	من شعره
٦٤٠	[وله شعر]
٦٤٨	[أخبار عنه وأشعار من الفلاند]
٦٥٢	فصل في ذكر الأديب أبي حاتم الحجاري
٦٦٦	في ذكر الأديب أبي بكر محمد بن عيسى الداني ، ابن اللبابة
٦٦٩	جملة من شعره في أوصاف شتى
٧٠٣	فصل في ذكر الأديب أبي جعفر أحمد بن الدودين البلنسي
٧٠٥	نسخة رسالة ابن غرسية إلى ابن الخراز
٧١٥	رسالة ابن الدودين في الرد على ابن غرسية
٧٢٢	رسالة أبي الطيب القروي في الرد على ابن غرسية
٧٤٦	من كتاب لابن عباس يرد فيه على ابن غرسية
٧٥٥	فصل عن الفلاند في ذكر الوزير أبي جعفر ابن أحمد
٧٥٧	فصل في ذكر ثلاثة من رجال الأندلس جمعهم وقت ومكان
٧٥٧	الكاتب أبو جعفر ابن أحمد
٧٥٩	فصول له من رقعة على لسان القصر المبارك

٧٦٢	الجواب عن ذلك
٧٦٧	[فصول أخرى من نثره]
٧٦٨	جملة من شعره
٧٧٣	فصل في ذكر أبي الخطاب ابن عطيون التجيبي
٧٧٤	جملة من شعره في أوصاف شتى
٧٨٤	فصل من القلائد عن أبي عبد الله بن أبي الخصال
٧٨٦	في ذكر الكاتب أبي عبد الله بن أبي الخصال
٧٨٧	فصول من نثره
٧٩٣	مقطوعات من شعره وَجَّهَ بها لى ابن بسام
٧٩٨	فصول من كلامه وقعت بعد ذلك لابن بسام
٨٠٦	عودة إلى إدراج فصول من القلائد
٨٠٩	في ذكر الأديب أبي البحر يوسف بن عبد الصمد
٨١١	جملة من شعره في أوصاف شتى
٨١٨	[في ذكر أبي عبد الصمد السرقسطي]
٨٢١	في ذكر الأديب أبي تمام غالب الحجام
٨٢١	جملة من شعره في النسيب وما يتشبه به من المديح
٨٢٦	جملة من شعره في أوصاف شتى
٨٤٠	فصل في ذكر الأديب أبي إسحاق بن معلى
٨٤٠	[جملة من شعره في أوصاف شتى]
٨٥٠	وصف ابن حيان لخروج أهل بلنسية في قتال العدو
٨٥١	[حكاية للفرزدق وجرير]
٨٥١	[الإيماء والتلويح والتشبيح . . .]
٨٥٤	ليجاز الخبر عن وقعة بطرنة
٨٥٧	في ذكر الأديب أبي عامر ابن الأصيلي
٨٥٩	جملة من شعره في أوصاف شتى

٨٦٧	فصل في ذكر الأديب أبي الفضل جعفر بن محمد بن شرف
٨٦٨	[جملة من نثره وشعره]
٨٨١	[من حكمه ورسائله عن القلائد]
٨٨٣	[جملة أخرى من شعره]
٨٨٧	فصل يشتمل على طوائف مقلين من سكان الجانب الشرقي
٨٨٧	أبو عبد الله بن عائشة
٨٨٨	أبو عبد الله محمد بن فرج الجلياني
٨٨٩	[عود إلى ابن عائشة ، عن القلائد]
٨٩٠	فصل في ذكر أبي محمد بن السيد البطليوسي
٨٩٢	أخوه أبو الحسن ابن السيد
٨٩٣	[رجوع إلى أبي محمد بن السيد]
٨٩٧	ابن هند الداني
٩٠٠	أبو عامر بن زهرة الصائغ
٩٠١	أبو بكر الفرضي الداني
٩٠٢	أبو جعفر أحمد بن عتق الفضة
٩٠٣	الوزير أبو محمد بن سفيان
٩٠٥	يحيى السرقسطي المعروف بالجزار
٩٠٨	الوزير أبو عبد الله بن زرارة
٩٠٩	أبو الطاهر محمد بن يوسف الاشكوري
	تعليقات
	فهارس الكتاب
	١ - فهرس الأعلام
	٢ - فهرس الأماكن
	٣ - فهرس القبائل والأمم والطوائف
	٤ - فهرس الكتب المذكورة في المتن
	٥ - فهرس القوافي
	مصادر التحقيق

بعونه تعالى
تم طبع الجزء الثالث من كتاب الذخيرة
في محاسن أهل الجزيرة
دار الثقافة
ص.ب ٥٤٣
بيروت - لبنان